د. أنيس سعد المنصور

شعر البحرين

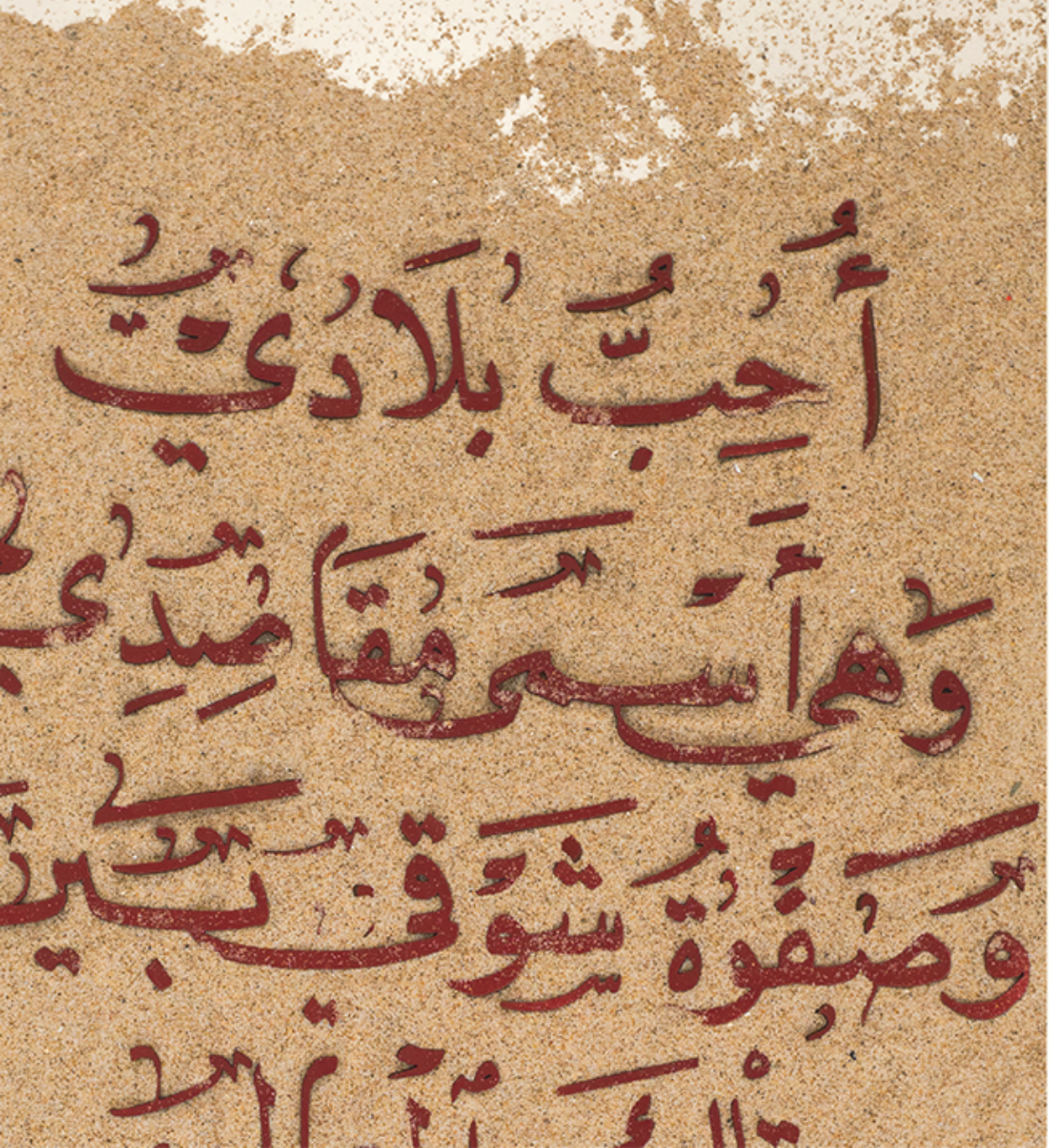

صوت البحرين
VOICE OF BAHRAIN
WWW.VOB.ORG

شعر البحرين

من القرن السابع عشر الميلادي إلى الثُّلث الأول من القرن العشرين

مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION

اسم الكتاب: **شِعرُ البَحرين**

من القرن السابع عشر الميلادي إلى الثُّلث الأول من القرن العشرين

تأليف: **الدكتورة أنيسة أحمد خليل المنصور**

الطبعة الأولى، بيروت 2017

© لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال.

التعريف بالمؤلف:

الدكتورة أنيسة أحمد خليل المنصور (1947): أستاذة الأدب العربي في جامعة البحرين (1978-2006)، من مؤلفاتها، القيم الخلقية في شعر الكميت بن زيد الأسدي، قراءات في شعر البحرين، تحقيق ديوان أبي البحر جعفر الخطي.

www.awalcentre.com | info@awalcentre.com
ISBN 978 - 9953 - 0 - 3734 - 9

صوت البحرين
VOICE OF BAHRAIN
WWW.VOB.ORG

شعر البحرين

من القرن السابع عشر الميلادي إلى الثُّلث الأول من القرن العشرين

صوت البحرين
VOICE OF BAHRAIN
WWW.VOB.ORG

د. أنيس سرور الملك صور

المحتويات

المقدِّمة **11**

مدخل عام 17

مفهوم البحرين قديماً وحديثاً 19

الإطار الجغرافي 20

الإطار الاقتصادي 22

انعكاسات الازدهار الاقتصادي 27

الإطار الاجتماعي 27

الإطار التاريخي 32

الإطار الثقافي 39

الفصاحة والشعر 41

الباب الأول

بيئة الشعر البحراني

الفصل الأول:الأوضاع السياسية 49

الفترة الأولى: الاحتلال البرتغالي من 928 هـ/1521م إلى 1032 هـ/1622م 51

الوضع الإسلامي العام عند مجيء البرتغاليين 51

وضع «البحرين» عند مجيء البرتغاليين 52

دور الأتراك في «البحرين» 54

طرد البرتغاليين من «البحرين» 54

الفترة الثانية: مرحلة الحكم الإيراني وسماتها 55

تدهور السلطة الصفوية وتعرّض «البحرين» لعدّة هجمات 57

الفترة الثالثة: الحكم الخليفي 61

نسب آل خليفة 61

الاستيلاء على «البحرين»..... 63
«البحرين» تحت الحكم الخليفي..... 63
السمات العامة للحكم الخليفي..... 65
الصراع مع قوى خارجية..... 65
النـزاع على الصعيد الداخلي 68
تصاعد التدخل البريطاني..... 71
ظواهر اجتماعية 72
الفصل الثاني: الأوضاع الفكرية 77
المكانة العلمية التي وصلت إليها «البحرين»..... 79
خصائص الحركة الفكرية 80
- الرافد الأول: المؤسسات التعليمية وخصائصها..... 81
- الرافد الثاني: العلماء..... 88
- الرافد الثالث: الآثار العلمية..... 100
الحياة الأدبية..... 112
ضياع التراث الفكري 117
الانحسار الفكري..... 117

الباب الثاني
شعر العقيدة

تقديم: حول الشعر البحراني 123
المدوّنة الشعرية 123
أولاً: الدواوين الشعرية، وهي نوعان..... 123
ثانياً: الاختيارات الشعرية 125
ثالثاً: مدونة التراجم والنقد والكتب العامة..... 125
بين الشعر العربي والشعر البحراني في الفترة المدروسة 127
أولاً: ملامح الشعر العربي 128
ثانياً: حالة الشعر البحراني 130
عصر الإحياء الأدبي في البحرين..... 131
السمات العامة للشعر البحراني..... 133
ما قيل عن شعر البحرين 136

الفصل الأول: العقيدة والدين في الشعر البحراني 139
القسم الأول: شعر العقيدة 141
القسم الثاني: الشعر المتعلّق بآل البيت 146
تعريفه 146
قِدمه 146
مكانته في شعر البحرين في الفترة المدروسة 146
تفاوت نسبته خلال الفترة المدروسة 148
خصائص الشعر البحراني المتعلّق بآل البيت 150
الفصل الثاني: التاريخ وتفاعلات الواقع في شعر آل البيت 161
أولاً: التاريخ المحض 163
ثانياً: التاريخ وانعكاسات الواقع 173
الفصل الثالث: محنة المرأة والطفولة في شعر آل البيت 181
أولاً: محنة المرأة 183
ثانياً: محنة الطفولة 191
الفصل الرابع: التفجّع في شعر آل البيت: أسبابه ـ مظاهره ـ أصداؤه 203
أهم مبررات البكاء 205
الفصل الخامس: المناقب في شعر آل البيت 229
قيم روحيّة خاصة، وفضائل أخلاقية عامة 232
أولا': القيم الروحية الخاصة 232
ثانياً: الفضائل الأخلاقية العامة 237

الباب الثالث
الأغراض الشعرية العامة

الفصل الأوّل: شعر التأمّل والحكمة 253
المحاور التي دار حولها شعر التأمل 256
المحور الأول: الحياة وصروفها 256
المحور الثاني: السلوك الإنساني 262
الفصل الثاني: شعر الغزل 273
الاتجاهات الغزلية 276
الفصل الثالث: مضـمون الوطن 291
1 ـ تمجيد الوطن 293

2 ـ وصف مشاعر الغربة.....295
3 ـ الحنين إلى الوطن.....296
4 ـ لوعة الذكرى وتوق الرجوع للوطن.....300
5 - الوطنية السلبية.....302
6 - تنامي النزعة الوطنية.....303
الفصل الرابع: شعر المديح.....305
أبرز أسباب المديح.....308
الفئات الممدوحة.....310
الفصل الخامس: شعر الرثاء.....319
الفئات المرثية.....321
الفصل السادس: الشعر القصصي.....333
النوع الأول: الشعر القصصي التاريخي.....336
النوع الثاني: القصص الخيالي الرمزي.....348
سمات المضمون الفكري في شعر البحرين.....353

الباب الرابع
دراسة الشكل

الفصل الأول: دراسة الصورة الشعرية.....357
التشبيه وأنواعه.....359
تراكم التشبيهات في السياقات الشعرية.....366
التشبيهات المادية والمعنوية.....367
الاستعارة.....371
الكناية.....376
مصادر التصوير.....380
أولاً: الطبيعة.....380
عالم الحيوان.....385
الحيوانات عامة.....386
عالم النبات.....388
ثانياً: التراث الثقافي.....391
الثقافة التاريخية.....393

الثقافة الأدبية 395
الفصل الثاني: موسيقى الأوزان والقوافي..... 399
أولاً: الأوزان 401
الطويل..... 403
الكامل 403
البسيط 404
الخفيف 405
الوافـر..... 406
الرمل 406
السـريع 407
الرجـز..... 408
البحور النادرة الاستعمال..... 408
ظواهر عروضية بارزة ومقارنات 409
ظاهرة تنويع البحور في القصص الشعرية 411
البند 412
ثانياً: القوافي..... 418
القوافي المطلقة..... 420
القوافي المقيّدة 421
ثراء القافية..... 423
عيوب القافية 424
التنويع في القوافي..... 425
الفصل الثالث: فنـون البـديـع..... 429
الجناس 431
التصدير..... 437
التكرار..... 442
التقطيع..... 447
المقابلة..... 454
موقع المتقابلين في إطار البيت..... 458
التوريـة..... 461
الفصل الرابع: الأساليب الإنشائية 465

الاستفهام.....467
التفجّع.....469
التأمّل والاتّعاظ.....469
اللوم والتوبيخ.....470
الدعوة للنهوض واستثارة الهمم.....470
التحسّر.....471
أساليب إنشائية أخرى.....471
النداء.....474
التمنّي.....475
ظاهرة تنويع الأساليب الإنشائية في السياق الواحد.....477
بروز ظاهرة الحوار.....478
خصائص حواريّة.....482
الفصل الخامس: شعر البحرين بين المحافظة والتجديد.....487
المعارضات.....489
الشعراء القدامى الـمُعَارَضُون.....490
ملامح أخرى للمعارضات.....497
المقاطع في المعارضات.....499
التخميس.....501
ألوان أخرى من التعلّق بالقديم.....504
ملامح تجديدية.....509
أسبقية شعراء البحرين في إحياء التراث الشعري.....510
الخاتمة.....513
ملاحق.....519
ملحق يحتوي على تراجم شعراء الفترة المدروسة.....521
شعراء نرجّح أنهم من رجال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي.....543
فهرس المصادر والمراجع.....561

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

انبعثت في «البحرين» ـ منذ بداية العصر الحديث تقريباً ـ حركة شعرية نشطة تلفت النظر بغناها وتنوّع أبعادها. وارتبطت تلك الحركة بانتعاش الحياة الفكرية التي وصلت إلى درجة من النمو والازدهار، جعلت «البحرين» تؤدي دوراً فكرياً متميزاً بالنسبة للمنطقة خاصة تلك التي عرفت قديماً بـ «البحرين» أي جزر «أوال»، و«القطيف» (الخط)، و«الأحساء» (هجر)، فكان لها مساهمة إيجابية في الفترة المدروسة التي تمتدّ من القرن السابع عشر الميلادي إلى الثلث الأول من القرن العشرين.

ومع خصوبة تلك الحياة الشعرية واتساع آفاقها، ظلّت مجهولة مطموسة المعالم. ساعد على ذلك الوضع، تبعثر مظّانها ومصادرها بين العديد من البلدان، خاصة «العراق» و«إيران» و«الهند». وظلّ ما وصل منها حبيس المكتبات الخاصة قابعاً في رفوفها.

رغم تعذّر الحصول على الكثير من تلك المظان والمصادر، توفّر لنا منها قسم لا بأس به، وقد تمكنّا بواسطته من التعرف على أهم ملامح تلك الحركة، وتحديد أبرز سماتها ومعالمها. ويأتي في مقدّمتها عدد من الدواوين منها أربعة مطبوعة، هي حسب الترتيب الزمني لأصحابها:

1. ديوان «جعفر الخطي».
2. ديوان «حسن الدمستاني» الذي أدرج فيه عدداً من قصائد ابنه «أحمد الدمستاني» وبعض الأشعار لشعراء بحرانيين آخرين.
3. ديوان «إبراهيم بن محمد الخليفة».
4. ديوان «محمد بن عيسى الخليفة» الذي اشتهر بـ «الوائلي».

وأخرى مخطوطة هي:

1. ديوان «خليل بن علوي».
2. وديوان «طه بن إبراهيم العرادي».

إضافة إلى شعر «سلمان التاجر» الذي تمكنّا من جمع جزء كبير منه. وعلاوة على الدواوين المذكورة احتفظت كتب الاختيارات الشعرية بكمية كبيرة من الشعر أهمها:

- «رياض المدح والرثاء» لـ «حسين بن علي البلادي»، وهو مطبوع، و«المنتخب من أدب البحرين» لـ «حسين علي محفوظ»، وهو مطبوع أيضاً.

ومن المخطوطة مجموعة رقّمناها برقم (1) ضمّت العديد من قصائد الشعر البحراني. ومجموعة (2) أدرجنا بها ما عثرنا عليه من منظومات وأراجيز مطوّلة.

كما احتفظت كتب التراجم والنقد وكتب الأدب العامة بالكثير من نصوص شعر «البحرين» في الفترة المدروسة. ومن المطبوع منها كتاب «سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر» لـ «علي بن أحمد المدني» الذي ترجم لأحد عشر شاعراً بحرينياً، وذكر نماذج من أشعارهم. وتابعه في ذكرهم «محمد أمين المحبّي» في كتابه «نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة». وهناك كتاب «أنيس المسافر وجليس الخاطر» المعروف بالكشكول لـ «يوسف بن أحمد البحراني». وكتاب «أنوار البدرين» لـ «علي بن حسن البلادي».

ومن الكتب ذات الموضوعات المتخصصة ـ المطبوعة أيضاً ـ التي ترجمت لشعراء بحرانيين وأوردت شواهد من أشعارهم كتاب «أعيان الشيعة» لـ «محسن الأمين»، وكتاب «الغدير في الكتاب والسُّنَّة والأدب» لـ «عبد الحسين الأميني»، وكتاب «أدب الطفّ أو شعراء الحسين» لـ «جواد شُبَّر».

ومن المخطوطة كتاب «المقتل» أي مقتل الحسين، وهو لـ «حسين بن محمد العصفور» الذي أورد الكثير من القصائد لشعراء بحرانيين عاصرهم أو سبقوه بقليل. وهناك كتاب «منتظم الدرّين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين» لـ «محمد علي بن أحمد التاجر». ولأهمية الكتاب وتعذّر الحصول عليه عوّلنا على استخدام ما حصلنا عليه من مسودات ضمّت بعض تراجم الشعراء.

وقد اكتفينا بهذه الكتب. وتعذّر علينا الحصول على الدواوين والمؤلفات الأخرى. ومن المظّانّ التي لم نتمكّن من الوصول إليها على سبيل المثال ديوان «إبراهيم بن علي بن حسن البلادي» المعروف بـ «أبي الرياض»، وديوان «عبد اللّه بن أحمد البصري»، ومجموعة «لطف اللّه بن علي بن لطف اللّه الجدحفصي».

مع توفّر قسم لا بأس به من مادة الموضوع لم يحظَ أيّ جزء منها بالدراسة أو

البحـث فبقـي بكراً، مجهولاً، ينتظر من يميط عنه اللثام. وإذا توفّر شـيء من الدراسـات فهي قصيرة عابرة وهامشية.

والـذي أعطى الحركة الشـعرية البحرانية المدروسـة قيمتها وتميّزهـا انبعاثها في زمن اتسـمت فيه الحياة العربية في معظم مناحيها بالجمود والتقهقر والانحدار. مما دعا مؤرّخي الأدب ودارسـيه إلى وسـمه بعصر الانحطـاط. ولا عجب فقـد تدهورت الثقافـة، وهزل الفكر وتراجـع الأدب. وعمـد الأدبـاء والشـعراء إلـى سـدّ قصورهـم، وتغطية خوائهـم بألـوان الزينة والحلـيّ مـن لفظيـة ومعنويـة. ففقـد الأدب مصداقيتـه، وخلا الشـعر مـن المعنى الشـريف السامي والمفهوم الجادّ.

لقـد اقتضـى منّـا البحـث فـي شـعر «البحريـن» وانطلاقاً مـن اعتقادنـا بوجـود علاقة تفاعلية وشـيجة بيـن الحياة في وجوهها المختلفـة والفنّ بأنواعه ـ والأدب فـرع منه ـ النظر فـي جوانـب هي ليسـت من صميـم دراسـتنا، بَيْدَ أنهـا ذات قيمة كبيـرة في المسـاعدة على تعليل أسـباب نشـاط الشـعر في الفترة المدروسـة، وفـي تفسـير ظواهر المضمـون الفكري، والسـمات الأسـلوبية. كما أن لها دوراً في الكشـف عـن ملامح واتجاهات وأبعـاد ذلك الأدب. وعلى ذلك فقط انصبّت دراستنا على المحاور التالية:

قدمنـا بفصـل قصيـر اعتبرنـاه مدخـلاً عامًّـا للدراسـة، سـلّطنا الضـوء فيـه علـى تاريخ «البحريـن» القديـم والمتوسّـط، وتوقفنـا فيـه عنـد فتـرة الدراسـة، تناولنـا فيه مفهـوم كلمة «البحريـن» قديمـاً وحديثـاً. ثـم بحثنـا فـي الإطـار الجغرافـي للجـزر، ثـم الإطـار الاقتصـادي فالاجتماعـي فالتاريخـي فالثقافـي. واهتممنـا في الجـزء الأخيـر بالنظر في عطـاء «البحرين» الأدبي القديم، وما نشأ في أحضانها من شعر وشعراء وتناولناه بشكل سريع.

وخصصنـا **الباب الأول** لدراسـة بيئة الشـعر البحراني في فترة الدراسـة، وقسّـمناه إلى ثلاثـة فصول خصصنـا الأول للبحث في الأوضاع السياسـية، وسـلطنا الضوء فـي الفصل الثاني علـى الأوضـاع الاجتماعية، وبدأنـاه بالنظر في ملامح الحيـاة الاقتصادية وأثرها فيما شـاع من أنظمـة وأسـاليب معيشـية. أمـا الفصـل الثالـث فركّزنـا فيـه علـى الحيـاة الفكريـة وأبعادهـا المختلفة. وختمناه بإلقاء نظرة سـريعة على الحياة الأدبية، وقد جعلنا من هذا الباب وسـيلة تعيننا على فهم أبعاد الشعر وظواهره.

الباب الثاني: عرضنا فيه لدراسـة شـعر العقيدة. وبدأناه بالتعريف بالمدوّنة الشـعرية نظراً إلى أن الكثير من مظّانها مجهول، أو هو في عداد ذلك.

ورأينـا مـن المفيد واللازم عقـد مقارنة بين حالة الشـعر العربية عامّة وشـعر البحرين خاصّـة فـي الفترة المدروسـة لتحديـد جوانـب التشـابه والاختلاف بينهمـا. ثم نفذنا لدراسـة

السـمات العامـة لذلك الشـعر. وقد انصبّت الدراسـة في الفصـل الأول على العقيـدة والدين. واختص القسـم الأول بشعر العقيدة الإسلامية والشعر المذهبي، واهتمّ القسم الثاني بالشعر المتعلّق بآل البيت لكونه يشكّل الجزء الأكبر من المادّة المجموعة.

وتركّـزت الدراسـة فـي الفصـل الثاني علـى ظاهـرة إدخال عنصـر التاريخ في شـعر آل البيـت، وحاولنـا خلاله النظـر في مدى ما وقـع من تفاعل بيـن التاريخ كماضٍ وعى الشـعراء أبعاده، وواقعهم بمنحه وسلبياته.

وقد اسـتتبع عناية الشعراء بالتاريخ المأساوي للهاشميين أن التفتوا إلى جوانب دقيقة فـي فاجعة «الطف»، فاهتموا بإبراز محنة المرأة والطفولة فيها، فخصصنا الفصل الثالث لهذا الموضوع. وعرضنا لأسلوبهم في تناول هاتين القضيتين.

ونظراً لما وقع من تفاعل في حنايا الشـعراء بين فواجع التاريخ المأسـاوي لآل البيت، والواقع المؤلم الذي عاشـوه، فقـد أكثروا من التفجّع في المراثي الهاشـمية، ومن ثم خصّصنا الفصل الرابع لدراسة هذا الموضوع وعنونّاه بـ «التفجع في شعر آل البيت».

وانجـرّ عـن تقهقـر القيـم الخلقيـة، واضطـراب المثـل العليـا علـى صعيـدي الماضـي والحاضـر أن مـال الشـعراء إلـى التغنّـي بالفضائـل الأخلاقية التـي تحلّى بهـا الهاشـميون، لذا خصصنا الفصل الخامس للبحث في «المناقب في شعر آل البيت».

وتركّـز **البـاب الثالث** على دراسـة الأغراض الشـعرية العامـة، ونقصد بهـا الموضوعات التقليدية في الشعر العربي: فاختصّ **الفصل الأول** بالنظر في شعر التأمّل والحكمة.

واشتمل **الفصل الثاني** على دراسة فنّ الغزل واتجاهاته.

وتنـاول **الفصـل الثالـث** النظـر فـي معنـى الوطـن والمظاهـر التـي تجلّـى فيهـا هـذا المضمون.

وتكفّل **الفصل الرابع** بدراسة شعر المديح وأسبابه وتحديد الفئات الممدوحة.

ودار **الفصل الخامس** حول فنّ الرثاء.

أما **الفصل السادس** فقد انصبت الدراسة فيه على الشعر القصصي.

واختص **الباب الرابع والأخير** بالأساليب التعبيرية أي بدراسة الشكل.

وتناول **الفصل الأول** البحث في الصورة الشعرية بأنواعها المختلفة.

وانصـرف **الفصـل الثانـي** للتعـرّف علـى موسـيقى الأوزان والقوافـي التـي مال شـعراء «البحرين» للنظم عليها. وسمات استخدامها.

ونظـراً لرواج مذهب البديـع في الأدب العربـي، وخاصة في الفترة المدروسـة، عقدنا **الفصل الثالث** لدراسـة هـذا الموضوع، والبحث في مدى تفاعل الشـعراء مـع هذا المذهب، وحجم تعاملهم معه.

واختصّ **الفصل الرابع** بدراسـة الأسـاليب الإنشـائية، وما نجم عن كثرة اسـتخدامها من ظواهر فنّيّة وأبرزها ظاهرة الحوار.

وجعلنا **الفصل الخامس** للنظر في (شـعر «البحرين» بين المحافظة والتجديد) وحاولنا أن نجمـع فيـه المظاهر القديمة التي تبرز النــزوع إلـى المحافظة باتّباع منهج السـلف. كما ألممنا بالجوانب التي تجسّد الميل إلى التجديد.

وذيّلنـا الدراسـة بملحق اشـتمل علـى تراجم الشـعراء الذيـن ورد ذكرهم فـي البحث. وعنينـا بإبـراز جانبيـن: الأخبـار التي قيلت بصـدد حياة كل منهم، ثـم أهمّ الملامـح المتعلّقة بفنهم الشعري.

وأدرجنـا ضمن الملحـق خريطتين: الأولى للخليج العربي رسـمنا عليهـا مواقع البلدان التـي تعامل معها أهل البحرين، والثانية خريطة للبحرين بيّنّا عليها أشـهر الجزر وأبرز المدن والقرى.

وبخصوص المنهج:

اعتمدنـا فـي البـاب الأول على اسـتقراء مـا قاله مؤرّخـو الفترة المدروسـة ودارسـوها بشأن أوضاع «البحرين المختلفة»، واستنبطنا منها العديد من النتائج والأحوال.

وفي الأبواب الأخرى انصبت دراسـتنا على النصوص الشـعرية اسـتقراءً واستنباطاً. وفي القضايـا ذات المضمـون التاريخـي حاولنـا بقـدر الإمـكان إلقاء بعـض النظـرة التحقيقية فيما عـرض لـه الشـعراء من أحـداث تاريخيـة لمعرفة مـدى صحتهـا، ودرجـة التزامهم بمـا أوردته أمّهات المصادر التاريخية القديمة من أخبارها.

وفـي دراسـتنا للمضاميـن الفكريـة والأسـاليب التعبيريـة ركّزنـا علـى الظواهـر البارزة وحسـب، ونظرنا فيما اشـتملت عليه من ملامح وسـمات عامـة. وكنّا نمد بصرنـا أحياناً إلى ما قيل من شـعر سـابق لفترتنا بهدف تلمّس الزمن الذي انبعثت فيه بعض الظواهر المدروسـة. وفي تحليلنا للنماذج والمختارات الشـعرية اكتفينا ـ بسـبب ضغط الوقت ـ بالنظرة السـريعة العامـة، ولـم نتمكّن من الغـوص في أعمـاق الشـواهد، مرجئين النظـرة الدقيقـة والمتعمّقة لدراسات قادمة بإذن اللّه.

وفي تراجم الشعراء كنّا إذا تعذّر علينا الوصول إلى بعض المعلومات المطلوبة نعمد إلى الاستنتاج باستقراء شعر الشاعر، متخذين منه وثيقة ووسيلة نستدلّ بها على ما نريد، وهي طريقة مشروعة عند الضرورة ومفيدة غالباً.

ولقد كان الطريق محفوفاً بالعقبات، مليئاً بالأخطار والمحظورات. ولعلّ أبسطها صعوبة الحصول على المظانّ الشعرية، فأغلبها ما زال مخطوطاً، وأصحابها ضنينون بها يرفضون إطلاع أحد عليها فضلاً عن السماح باستنساخها أو تصويرها. وإذا تيسّر الحصول على بعضها تعذّرت قراءتها في الكثير من الأحيان، بسبب رداءة الخط وما طرأ عليها من تصحيف وما وقع فيها من أخطاء. فهي بحاجة إلى تحقيق وتوثيق.

ولعلّ أبرز الصعوبات وجوب إنجاز البحث في أجل محدّد. هذا مع اتساع المادة المدروسة، وتشعّب جوانب الموضوع. فالأبيات لا تقلّ عن عشرين ألف بيت وقد جعلنا ذلك نلمّ إلماماً سريعاً بمادّة الدرس، مع إدراكنا بضرورة تفحّصها وتأمل أبعادها.

وإنّنا بتقديمنا عملنا المتواضع نرجو أن نكون ساهمنا في إضافة لبنة في صرح الأدب العربي، وأبرزنا وجهاً من وجوهه المجهولة تمام الجهل.

د. أنيسة المنصور

مدخل عام

مفهوم البحرين قديماً وحديثاً[1]

أطلق اسم «البحرين» على وحدتين جغرافيتين تختلفان اتساعاً وضيقاً.

الأولى: قديمة وتشمل الساحل الشرقي للجزيرة العربية بأكمله الممتد من «البصرة» شمالاً إلى «عُمَان» جنوباً[2]، أي ما يسمّى اليوم بمنطقة الخليج العربي، كما أطلق على رقعة أضيق قليلاً وهي ما يقارب منطقة «القطيف» و«الأحساء» وجزر «البحرين»[3].

الثانية: حديثة اختصّت بها جزر «البحرين» التي كانت تعرف قديماً بـ «أوال». و«أوال» صنم كان لقبيلتي «بكر بن وائل» و«تغلب بن وائل»[4].

وتتعدّد آراء الأقدمين إلى حدّ ما في أصل تسمية «البحرين». ولكن كلّها تدور حول تعليلها بتثنية «بحر». هذا على اعتبار أنّ العيون الغزيرة المياه القوية التدفّق - وهي ظاهرة تتميّز بها المنطقة - هي كالبحر[5].

ولا نعرف على وجه الدقّة الزمن الذي تفرّدت فيه «أوال» باسم «البحرين»، وربما كان اختصاصها بهذا الاسم من باب إطلاق الكلّ على الجزء، وإن كان قول «الإدريسي» يعني العكس أي إطلاق الجزء على الكلّ[6].

---

(1) هذا المدخل عبارة عن توطئة نلقي من خلالها ضوءاً عاماً على مختلف الأُطر التي شكّلت مناحي الحياة في البحرين منذ القديم وحتى القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. وإن كنّا سنضطر إلى تجاوز ذلك أحياناً للأخذ بما تفرضه طبيعة الدراسة من مرونة.

(2) (البكري الأندلسي) عبد اللّه بن عبد العزيز، معجم ما استعجم، ط1، عالم الكتب، بيروت 2010، ج1، ص228.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه ج1، ص274.

(5) المصدر نفسه ج1، ص347؛ و(الهمداني) الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، دار الآداب، بيروت ط3، 1983، ص251؛ و(الإدريسي) محمد بن محمد، نزهة المشتاق، الجزء الخاص بجزيرة العرب، نشر مجلة المجمع العالمي العراقي، بغداد 1971، ص50 و51.

(6) يقول في «نزهة المشتاق» ص50 و51: «وسمّيت البحرين بجزيرة أوال وذلك أن جزيرة أوال بينها وبين فارس مجرى، ومنها إلى برّ العرب مجرى».

ونظراً إلى أن «البحرين» في مفهومها الضيّق هو المكان الذي ستدور عليه دراستنا لا نرى بأساً في محاولة معرفة الزمن الذي وقع فيه.

ليس بين أيدينا وثيقة تنصّ على ذلك وحسبما ورد في مقالة مجلة الوثيقة، فإن «البحرين» الحالية كانت ما تزال تعرف بـ «أوال» حين سقوط «بغداد» عام 656هـ/1258م[1]. وترجّح مقالة أخرى أنه في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بدأت تسمية «أوال» بـ «البحرين». وهي تبني فكرتها على أساس إطلاق «ناصر خسرو» ـ الرحّالة الفارسي ـ اسم «البحرين» للدلالة على الجزر (أوال)[2].

على أنّ هذا القول لا يعني اختصاص الجزر بهذا الاسم. والمعتقد أنّ الاسمين ظلا يُتَدَاولان خلال العصور حتى اختصّت به الجزر في العصر الحديث[3].

الإطار الجغرافي[4]:

«البحرين» أرخبيل مكوّن من ثلاث وثلاثين جزيرة أكبرها جزيرة «البحرين»، والثانية جزيرة «المُحَرَّق» والثالثة «سِتْرة»، وعدد من الجزر الصغيرة. وهي تكوّن مجموعة مندمجة تقريباً في وسط الخليج العربي. وتقع على خط عرض 26 درجة شمالاً، وتبعد عن الساحل العربي بحوالي 15 ميلاً[5].

---

(1) مجلة الوثيقة البحرانية العدد 6، ص57، والوثيقة دورية نصف سنوية يصدرها مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين تهتم بتاريخ البحرين، وقد اعتمدنا كثيراً على ما نشرته من بحوث جادّة خاصّة فيما يتعلق بتاريخ البحرين القديم والمتوسط الذي يكتنف الغموض الكثير من جوانبه.

(2) المصدر نفسه، العدد 2، ص178 والعدد 9، ص156.

(3) يوضّح ذلك استعمال شعراء البحرين وعلمائها لكلتا التسميتين للدلالة على الجزر، فمثلاً الشاعر جعفر الخطي (ت 1040هـ/1630م) ذكر اسم البحرين للدلالة على الجزر في الصفحات التالية من ديوانه: 3، 8، 114 وورد اسم أوال في العديد من الصفحات منها: 8، 49، 52. كما إن الشيخ يوسف البحراني وهو من أبرز علماء الجزيرة (ت1186هـ/1772م) أدخل اسم البحرين في تسمية اثنين من مؤلفاته، الأول: سمّاه «لؤلؤة البحرين» والثاني سمّاه «جواهر البحرين في أحكام الثقلين». وفي أحيان قليلة كان يستخدم اسم «أوال». ينظر البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين ص97 على سبيل المثال.

(4) تُراجع خريطة البحرين في الملحق ص657 وحدّدنا عليها أهمّ الجزر والمدن والقرى.

(5) لوريمر، جون غوردون، دليل الخليج القسم الجغرافي، ج1 ص296.
وجون غوردون لوريمر أمين الأرشيفات البريطانية وألّف دليل الخليج وعمان ووسط الجزيرة العربية بتكليف رسمي من قبل حكومة الهند البريطانية (عن مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 12، ص195) والكتاب قسمان: الأول يتضمّن تاريخ منطقة الخليج وما حولها، والثاني معجم جغرافي للمنطقة. نشر القسم الثاني عام 1908. أما القسم الأول فنشر بعد وفاته في عام 1914. والكاتب وإن كان يمثّل وجهة النظر البريطانية إلا أن لكتابيه قيمة وثائقية هامّة بالنسبة لتاريخ الخليج الحديث. وقد قام مكتب الترجمة بديوان أمير قطر بتعريبهما ونشرهما. ويُراجع عن الطبيعة الجغرافية والموقع مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد7، ص28 مقالة «تجارة البحرين منذ فتح العتوب...».

وتحتـلّ موقعـاً هامـاً فمركزهـا فـي الخليـج متوسـط، لأن بُعْـد مينائهـا وعاصمتها من مدخل الخليج أكثر قليلاً من بعدها عن مصبّ شط العرب[1].

لقـد أضفـى عليها ذلك الموقع الجغرافي فـي قلب الخليج تميّـزاً وأهمية، فجعلها منذ أقدم العصور شـرياناً هاماً في خطوط الملاحة العربية والمواصلات البحرية القديمة، ومحطّة اتصال وتبادل تجاري بين دول العالم القديم المتحضّر كمناطق «الجزيرة العربية» و«العراق» موطـن حضارة بابل وآشـور، المجاورة لـ «الشـام» وبلاد «البحر المتوسـط». كمـا أن خطوطها الملاحيّـة التجاريـة جعلتهـا على صلـة وثيقـة بحضارة «الهنـد» و«الصيـن» ومـا جاورهما[2]. يصف «أمين الريحاني» موقع «البحرين» فيقول: (ليس بين «مسـقط» و«البصرة» أجمل من مركـز هـذه الجزيرة، وليس أصلـح منه للتجارة وللحرب، فهي تتوسّـط في زاويـة حصينة منه، كأنّها بارجة راسية في جون متسع بين «قطر» و«البحرين»)[3].

وقـد تجلّـت أهمية هـذا الموقع المتوسـط فـي ناحيتين: فقد انعكسـت علـى حياتها الاقتصادية رخاءً ويسراً، كما برزت كمعلم حضاري هام.

ومـن الظواهـر الطبيعيـة الهامـة التـي اشـتهرت بهـا أكثر الجـزر وفـرة الميـاه الغزيرة العذبة[4]. ويذكر النبهاني أنّ عيون البحرين وينابيعها تزيد كثيراً عن احتياجاتها الزراعية[5].

وهنـاك ضربـان من العيون: بريّـة، ويقال إنها كانت تبلغ مئتي عين، تسـقي البسـاتين ثـم تفيض في البحـر[6] وبَحريّة: وهي ظاهرة طبيعيـة تتميّز بها الجزيـرة. وتقع هذه العيون وسط البحر تحت المياه المالحة ويقدّر عددها بنحو خمسة وعشرين نبعاً[7].

---

(1) لوريمر، جون غوردون، الدليل الجغرافي، وتُراجع خريطة (1) ص558.

(2) مجلـة الوثيقـة البحرانيـة، مصـدر سـابق، العـدد 6 ص106، مقالـة بعنـوان العلاقـات التجارية بيـن البحرين والعراق لعبد الجبار ناجي وينظر أيضاً العدد 9، ص17.

(3) الريحاني، أمين، ملوك العرب، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1986، ج2 ص237.
والريحانـي كاتب مـؤرّخ (ت 1359هـ/1940م) ولـد بـ (الفريكة) في لبنان ورحل إلى أمريـكا ثم عاد إلى بلاده. زار كثيـراً مـن البلـدان العربيـة والغربية، منهـا البحرين فـي عـام 1923، من أشـهر مؤلفاته التاريخيـة «ملوك العرب» تُراجع ترجمته عند الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، ج2 ص18.

(4) لوريمر، جون غوردون، الجغرافي، مصدر سابق، ج1 ص298.

(5) النبهانـي، محمد بن خليفة، التحفـة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، طبعـة إحياء العلوم، بيروت 1986، ص22.
والمؤلف من مدرّسـي الحـرم المكي، مالكي المذهب. سـافر إلى البحرين عـام 1332هـ/1913م فطلب منه بعـض أمرائهـا كتابـة تاريخ لحكامهـا المعاصريـن والأقدمين، ينظـر المقدمـة ص7، 8، فكتبه ثـم أضاف إليه زيـادات تتعلـق بتاريخ المنطقة وسـماه «التحفة النبهانية فـي تاريخ الجزيرة العربيـة» تُراجع التفاصيل في أعلام الزركلي، خير الدين، مصدر سابق، ج6 ص116.

(6) التاجر، محمد علي، مسودّات مخطوطة عقد اللآل في تاريخ أوال، مصدر سابق، ص4.

(7) النبهانـي، محمـد، التحفـة النبهانية، مصدر سـابق، ص21؛ والريحانـي، أمين، ملوك العرب، مصدر سـابق ج2 =

وقد أشار الجغرافيون الأقدمون إليها فوصف «ابن المجاور» «البحرين» بـ (أنّها جزيرة في بحر مالح فوق بحر عذب)[1]. أما «أحمد بن ماجد» ـ وهو من أشهر ملّاحي الخليج في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي فقال: «إنّ أعجب ما فيها مكان يُقال له «القصاصير» يغوص الإنسان في البحر المالح بالقربة ويملؤها من الماء الحالي وهو غرقان في الماء المالح»[2].

الإطار الاقتصادي:

تمتّعت «البحرين» منذ أقدم العصور بحياة اقتصادية ميسّرة. ومارس أهلها ألواناً متعددة من النشاط الاقتصادي وأهمّه:

أولاً: صيد اللؤلؤ:

اللؤلؤ عنصر حيوي صاغ حياة الناس الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وفرض نفسه حتى على الحياة الأدبية، وارتبط اسمه بـ «البحرين» منذ فجر التاريخ وحتى انهيار أسواقه في الثلث الأول من هذا القرن.

ولقد شكّل إنتاج اللؤلؤ منذ القديم وحتى الثلاثينيات من هذا القرن العصب الرئيسي لاقتصاديات «البحرين»[3].

وتمتدّ مغاصات اللؤلؤ من «الكويت» شمالاً وحتى مضيق «هرمز» جنوباً[4]. ولكن ربما كان أهمها ما يقع حول جزر «البحرين»[5]. وقد أشار إليها مؤلفون أوروبيون يرجع تاريخ كتابات بعضهم إلى ما قبل الميلاد[6]. فذكرها «بطليموس» وخصّص فصلًا عن مصائد اللؤلؤ في «تايلوس» وهو الاسم الذي أطلقه الرومان على الجزيرة. كما ذكرها «بليني» و«سترابون»[7].

= ص234؛ ينظر أيضاً دليل لوريمر، جون غوردون، الدليل الجغرافي، مصدر سابق، ج1، ص298.

(1) ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب، صفة بلاد اليمن المسمّى تاريخ المستبصر، ضبط أوسكر، لوفغرين، ليدن 1951، ص300.

(2) ابن ماجد، أحمد، الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تحقيق إبراهيم خوري وعزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ص300.

(3) الرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، ط1، دار ابن خلدون، بيروت 1976، ص57.

(4) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد7، ص160.

(5) لوريمر، جون غوردون، دليل الخليج الجغرافي، مصدر سابق، ج1، ص184.

(6) الرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق ص53.

(7) عن بطليموس تُراجع مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 10، ص114، وعن بلينوس يُراجع جواد، علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1952، ج2 ص297 و422، وعن سترابون ص420.

وأشار إليها بعض الجغرافيين العرب[1]. وكان اللؤلؤ وغيره من الثروات من أهمّ بواعث البرتغاليين في الاستيلاء عليها في العصر الحديث. وعلّل القائد البرتغالي «ألفونسودي البوكيرك» لملك البرتغال رغبته في احتلال «البحرين» لأنها منطقة غنيّة، يكثر فيها اللؤلؤ وبذوره. كما أنّ لؤلؤها أجود من غيره وأمتن[2].

وأهمّ الأسباب التي جعلت البحر المحيط بـ «البحرين» صالحاً لتكوين اللؤلؤ: ضحالة المياه، وشدّة الحرارة في الصيف، ووجود المياه العذبة في وسط البحر[3].

وللغوص مواسم تستمر طوال الصيف. والفترة الرئيسية تمتدّ من بداية يونيه حتى بداية أكتوبر[4].

وفترة العمل بالنسبة للغوّاص تمتدّ من بزوغ الشمس حتى غروبها، ويبذل جهداً شاقاً ومضنياً. وهو لا يتناول سوى وجبة مسائية واحدة، وعندما يعود الغوّاصون في نهاية الموسم يكونون أشبه بالهياكل العظمية[5].

ويتعرّض الغواصون لأخطار عديدة منها مهاجمة الأسماك المفترسة كالقرش والسمك الهلامي (الدُّوْل) الذي يحرق جلد الغواص. كما يصابون بالعديد من الأمراض، كالتواء الأطراف والشلل وأمراض الجلد والأذن. وهم معرّضون إلى الغرق. فثوانٍ قليلة يُهمَل فيها الغوّاص في البحر تكون فاصلة بين الحياة والموت[6].

وكانت هذه الصناعة تتطلّب تشغيل ما لا يقلّ عن 50 % من الرجال في الجزيرة[7].

ومع كل تلك المشاق عاش عمّال الغوص حياة بائسة على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي فكانوا يكدّون ويكدحون للحصول على الكفاف[8].

أخذت أسواق اللؤلؤ في الكساد ابتداءً من عام 1921 وكانت الضربة القاضية في

---

(1) جمع حمد الجاسر أكثر ما قاله الجغرافيون العرب في هذا الصدد فذكر قول المقدسي والإدريسي وغيرهما، المعجم الجغرافي، ط1، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1979، ج1، ص184 وما بعدها؛ تُراجع أيضاً مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 10، ص114 وما بعدها.

(2) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 10، ص116.

(3) يُراجع في ذلك: النبهاني، محمد، «التحفة النبهانية»، مصدر سابق، ص21؛ والريحاني، أمين، ملوك العرب، مصدر سابق، ص233 والرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي مصدر سابق، ص53.

(4) الرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص54.

(5) المصدر نفسه، ص55.

(6) المصدر نفسه؛ ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 7، ص168 و171 وما بعدها.

(7) الرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص58؛ ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 7، ص43.

(8) المصدر الأول نفسه، ص63.

مطلع الثلاثينيات. وأهم أسباب ذلك: الاضطرابات الداخلية وما قام به الغواصون من احتجاجات، وظهور اللؤلؤ الصناعي الياباني، علاوة على المشاق والأخطار التي كان يعيشها الغوّاص، ووجود مصادر عمل أخرى بعد اكتشاف النفط[1].

فتحت حرفة الغوص مجالات صناعية مرتبطة بها، كصناعة السفن التي اشتهرت بها «البحرين» في الماضي[2]، كما انتشرت صناعة نسيج أشرعتها[3]. ومن الطبيعي أن تنهار هذه الصناعات بانهيار أسواق اللؤلؤ.

ثانياً: الفلاحة:

لجزر «البحرين» تاريخ عريق في الفلاحة. وترسم المصادر القديمة صورة واضحة لما كان عليه هذا النشاط. يقول «ياقوت الحموي»: «فيها نخل كثير وليمون وبساتين»[4] ويقول «الحميري»: «أوال كثيرة النخل والموز والجوز والأترج والأشجار والزرع والأنهار»[5].

ووصفت الوثائق البرتغالية واقع هذا النشاط، فذكرت إحداها: إن «البحرين» كثيرة النخيل شديدة الرطوبة والخضرة. وأينما حفر السكّان يجدون الماء العذب. وأشارت إلى أن الجزر تنتج تموراً كثيرة وفواكه متنوعة، حتى إنهم شبّهوها بشبه جزيرة «إيبريا» الكثيرة الإنتاج للفاكهة[6].

وذكر «لوريمر» أنّ جزر «البحرين» أعظم منطقة لها قيمة زراعية في بيئة دول الخليج العربي[7] ولا شكّ أن لوفرة المياه العذبة وانتشار العيون الجارية بريّة وبحريّة أثره في تنشيط هذا القطاع.

وشكّلت الفلاحة مصدراً هاماً للدخل. بَيْدَ أنه بعد اكتشاف النفط عام 1932 أو قبله تقلّصت أهميتها وهجرها السكان فانحصرت في الجزء الشمالي من جزيرة «البحرين»[8].

---

(1) الرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص58 و62؛ ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 7، ص45 و186.

(2) المصدران نفسهما، الأول ص49؛ والثاني العدد 7، ص43.

(3) التاجر، محمد علي، مسودّات مخطوطة العقد، مصدر سابق، ص6.

(4) الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1984، ج1 ص274.

(5) الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان 1984، ص82.

(6) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 4، ص122 و123 و138.

(7) لوريمر، جون غوردون، الدليل الجغرافي، مصدر سابق، ج1 ص296 و305.

(8) لمزيد من التفاصيل يُراجع الرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص63 وما بعدها.

وتعدّ أشجار النخيل محور الحياة الفلاحية. ويقال: إنه كان بالجزيرة 800 نوعٍ من التمر، أجوده «الخلاص» و«المرزبان»[1].

وشكّلت هذه الشجرة عنصراً هاماً في حياة البلاد. فقط كانت غذاءً رئيسياً لأهلها، إلى جانب السمك والأرز. كما زوّدتهم بالكثير من احتياجاتهم. فقد استخدموا سعفها لبناء المساكن وصناعة الأدوات المنزلية، واستعملوا الجاف كوقود. كما بنوا مصائد الأسماك «الحضور» من جريدها، أما الليف فصنعوا منه الحبال[2].

وعلى الصعيد الأدبي مثّلت البيئة الزراعية ببساتينها ونخيلها وأشجارها ومياهها عنصراً بارزاً في شعر البحرين. كما سيتضح في بحثنا.

ثالثاً: التجارة:

كانت التجارة عنصراً حيوياً ازدهر من خلاله اقتصاد الجزيرة منذ أقدم الأزمنة.

ففي حدود الألف الثاني قبل الميلاد وبقيام دولة «دلمون» على أرض «البحرين» غدت الجزر من أهم مراكز الخليج التجارية، فشكّلت همزة الوصل بين وادي السند وبلاد الرافدين[3].

وتظهر القراءات التحليلية للمكتشفات الأثرية أن وادي الأندوس (الهند) هو الجهة التجارية الرئيسية مع «دلمون»، وقد تاجر سكان «دلمون» في 42 نوعاً من السلع والمنتجات[4].

كما استمر التبادل التجاري قائماً أيضاً مع «أُور» واستوردت بلاد الرافدين من «دلمون» النحاس والأخشاب واللؤلؤ[5].

وفي العصر الجاهلي احتفظت «البحرين» بمكانة تجارية مرموقة. ويذكر «جواد علي» أن سادات «اليمامة» و«البحرين» من الأثرياء الثقال، وأنهم يحملون تجاراتهم من أقمشة وتجارة بحريّة إلى «مكة»، وأن أسواق المنطقة من أشهر الأسواق العربية. وكان يتولّى تعشير التجارة فيها «المنذر بن سَاوَى» ملك «البحرين»[6].

---

(1) النبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص24؛ والتاجر، محمد علي، مسودات عقد اللآل، مصدر سابق، ص5.

(2) الرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص64.

(3) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 7، ص28.

(4) المصدر نفسه، العدد 2، ص144.

(5) المصدر نفسه، العدد 10، ص112 و113.

(6) علي، جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، مصدر سابق، ج4، ص374.

وحيـن دخلـت «البحرين» الإسـلام شـكّلت مـوارد المنطقة دخـلاً هامـاً للدولة وغدت مصدراً حيوياً في اقتصادياتها[1].

وفي العصر العباسـي تزايد النشـاط التجاري. وتخطّى تجّار «البحرين» حدود «الهند» إلى «الصين»[2].

وتطلعنـا المصادر القديمة على ما كان للبلاد من أمـوال عظيمة وتجارة ومكوس. ففي القرن الرابع الهجري/العاشـر الميـلادي يقول «ابن حوقل»: و«أوال» هـي جزيرة، كان لـ «أبي سـعيد الحسـن بن بهرام»... الضريبة العظيمة على المراكب المجتازة. ويستطرد: «وبها أموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف»[3].

وظلّت تجارتها منتعشة طوال العصور الوسطى[4].

وفي القرن العاشـر الهجري/السادس عشـر الميلادي كان النشاط التجاري وما يدرّه من أرباح وفيرة من العوامل التي أطمعت البرتغاليين في احتلالها. يقول «ألفونسو دي البوكيرك» ـ القائـد البرتغالي في رسـالة إلى ملكه: «...إن «البحرين» أهم ما يمكن أن يهتمّ به الإنسـان. ذلـك أن عـدداً كبيـراً مـن المراكـب تنطلق منهـا في اتجـاه «الهنـد» محمّلـة بعـدد كبير من الخيول وكذا كميّات مهمّة من اللؤلؤ»[5].

وذكـر «لوريمـر» أنّ «البحريـن» تكـوّن أهـمّ منطقـة لهـا قيمـة تجارية علـى الجانب الغربـي للخليـج[6] وقد اتخذتها الشـركة البحرية الهنديـة البريطانية مركـزاً لتصريف البضائع التي تجلبها من «الهند» وغيرها من الموانئ الرئيسية[7].

وأهـمّ ما كانـت تصدّره الجزر عنـد مطلع هذا القـرن اللؤلؤ والبلـح والبضائع القطنية، خاصة نسيج قلوع السـفن والحصر والصدف. وتستورد الأرز وأنواع الأغذية، والمواشي الحيّة، والأنسجة الحريرية والقطنية[8].

---

(1) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 7، ص31 وسنعرض لذلك لاحقاً.

(2) المصدر نفسه، ص32.

(3) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص33.

(4) يُراجـع الجاسـر، حمد، المعجـم الجغرافـي، ط1، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشـر، الريـاض، 1979، ج1 ص215 و216، مقولة ابن فضل اللّه العمري المنقولة عن كتابه «التعريف بالمصطلح الشريف».

(5) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 4، ص122.

(6) لوريمر، جون غوردون، الدليل الجغرافي، مصدر سابق، ج 1ص296.

(7) الرميحـي، محمد، البحرين ومشـكلات التغيير السياسـي والاجتماعـي، مصدر سـابق، ص71؛ ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 7، ص33.

(8) لوريمر، جون غوردون، الدليل الجغرافي، مصدر سـابق، ج1، ص310 و311؛ والتاجر، محمد علي، مسـودات العقد، مصدر سابق، ص5 و6.

انعكاسات الازدهار الاقتصادي:

أثّـر الازدهار الاقتصادي الذي عاشـته «البحرين» منذ القدم تأثيـراً مزدوجاً على حياتها السياسية والاجتماعية:

فمن إيجابياته أنّه مكّنها من أداء دورها كاملاً خاصة في الفترات الحاسمة. فحين دخلت الإسلام طوعاً شكّلت مواردها دخلاً هاماً للدولة الإسلامية. يذكر المؤرخون أن «العلاء الحضرمي» ـ الصحابي الذي ولي «البحرين» ـ أرسل إلى الرسول ﷺ مالاً ما أتاه أكثر منه قبله ولا بعده[1]. ويقـال إن «الربيع بـن زياد» قـدم على الخليفة «عمر بـن الخطاب» بأموال مـن «البحرين» لم يستطع الخليفة تصوّر مبلغها. فأشار عليه الصحابة بإنشاء الديوان لضبط أموال الدولة[2]. وبلغ من كثرة ذلك المال وصعوبة توزيعه أن الخليفة خيّر المسلمين بين كيله أو عدّه[3].

كمـا أن الرخاء سـاعدها علـى الاطّلاع بـدور حضاري منذ فتـرة ما قبل التاريـخ[4]. كما شجّع على العمران البشري، وجعلها مأهولة بالسكان، عامرة بالمدن، ويروى أنه كان بها 360 قرية، وأشارت إلى ذلك المراجع القديمة وبعض الحديثة[5]. هذا مع ملاحظة صغر مساحتها.

وتمثّـل الجانـب السـلبي للرخاء فـي أنها غـدت موضعاً تتنافـس عليه القـوى الطامعة محليّة وأجنبية. وقد عرضها ذلك ـ وعلى امتداد العصور ـ لأخطار مستمرّة ومحن متواصلة[6].

الإطار الاجتماعي:

سكان البحرين:

توالـت على سـكنى منطقـة البحرين العديـد مـن القبائل العربيـة. فمنذ فتـرة مبكرة سكنتها قبائل من طسم وجديس، وهما من القبائل البائدة[7].

---

(1) البـلاذري، أحمـد بـن يحيـى بـن جابـر بـن داود، فتـوح البلـدان، تحقيـق إحسـان عبـاس، ط1، دار العـرب الإسـلامي، بيروت، 1985، ص92؛ والحموي، شـهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، مصدر سابق، ج1، ص348؛ والخزاعي، محمد بن علي، تخريج الدلالات السمعية، ط1، تحقيق إحسان عباس، ص583.

(2) ابـن أبـي الحديد، عبد الحميـد بن محمد، شـرح نهج البلاغـة، تحقيق محمد أبـو الفضل إبراهيـم، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1965، ج12 ص99، وتاريخ ابن خلدون، مصدر سابق ج1 ص303.

(3) الخزاعي، محمد بن علي، تخريج الدلالات السمعية، مصدر سابق، ص244.

(4) سنعرض لذلك في دراستنا للإطار التاريخي.

(5) مـن المراجـع القديمـة يُراجـع ابـن المجـاور، جمـال الدين يوسـف بن يعقـوب، تاريـخ المسـتبصر، مصدر سـابق، ص301؛ وابـن ماجـد، أحمـد، الفوائد فـي أصول علـم البحـر والقواعد، مصـدر سـابق، ص300. ومن المصـادر الحديثـة التي أشـارت إلى ذلك الوثائـق البرتغالية تُراجع عنهـا مجلة الوثيقة، مصدر سـابق، العدد 4، ص12 وكذلك الوثائق العثمانية ويُراجع المرجع نفسه ج1، ص147.

(6) سيتّضح ذلك في دراستنا للإطار التاريخي والوضع السياسي.

(7) الحميري، الروض المعطار، مصدر سابق ص82 و621؛ ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 7، ص108.

وعند ظهور الإسلام كان يسكنها من القبائل[1]:

1. «بكر بن وائل» وامتدّت مساكنها إلى «اليمامة» وأطراف سواد «العراق»[2].
2. «عبد القيس» وهم بطن من أسد من ربيعة من العدنانية. وهم بنو «أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد». وكانت ديارهم بـ «تهامة». ثم خرجوا إلى «البحرين» وزاحموا فيها «بكر بن وائل» وقاسموهم في الموطن. وانتشرت هذه القبيلة في معظم أرجاء «البحرين» خاصة المناطق الساحلية ونزلوا أكبر مدنها[3]، وغدوا أهمّ قبائلها.
3. تميم واستوطن «البحرين» من بطونها بنو «سعد بن زيد مناة»، وامتدّت منازلهم إلى «يبرين»، وخالطوا بني «عامر بن عبد القيس»[4].
4 ـ الأزد ويعتقد أن استقرارهم بـ «البحرين» تمّ قبل مجيء « عبد القيس»، وأن بعضهم قدمها بعد الإسلام[5].

ومن الطبيعي أن نجد السلالات القبلية نفسها تسكن جزيرة أوال؛ يذكر المسعودي أن (جزيرة «أوال» فيها بنو معن وبنو مسمار وخلائق كثيرة من العرب)[6] وبنو معن من الأزد بطن من بطون دوس بن عُدْثان. وبنو مسمار هم بنو أبي الحسن علي بن مسمار من جذيمة من عبد القيس[7].

وكان يسكن قرى «أوال» بطون القبائل السابقة نفسها فـ «سماهيج» كانت لـ «عبد القيس»[8]. و«الجفير» لبني «عامر بن عبد القيس»[9]. والقليعة «لهم أيضاً»[10].

---

(1) البكري، عبد اللَّه بن عبد العزيز، معجم ما استعجم، مصدر سابق ج1، ص86؛ والهمداني، صفة جزيرة العرب، مصدر سابق، ص284؛ ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 7، ص61.

(2) يُراجع البلاذري، فتوح البلدان، مصدر سابق، ص89؛ والحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، مصدر سابق، ج1، ص347؛ وتاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج4 ص119؛ ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 7، ص57.

(3) البكري، عبد اللَّه بن عبد العزيز، معجم ما استعجم، مصدر سابق، ج1 ص80 وما بعدها؛ وابن حزم، علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط5، دار المعارف، مصر 1982، ص299؛ ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 7، ص57 و58.

(4) المصدر الأول نفسه، ج1، ص88؛ والهمداني، صفة جزيرة العرب، مصدر سابق، ص251 و293.

(5) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 7، ص62.

(6) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب، ط4، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1964، ج1، ص110.

(7) ابن حزم، جمهرة الأنساب، مصدر سابق ص473؛ والهمداني، صفة جزيرة العرب، مصدر سابق، ص249.

(8) البكري، عبد اللَّه بن عبد العزيز، معجم ما استعجم، مصدر سابق، ج4، ص1282.

(9) الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، مصدر سابق، ج2، ص148.

(10) المصدر نفسه، ج4، ص396؛ والتاجر، مسودات العقد، ص20.

غلبة الولاء لآل البيت:

يذهب الكثيرون إلى أن «البحرين» بقصباتها الثلاث جزيرة «البحرين» و«القطيف» و«الأحساء» معرقة في الولاء لآل بيت الرسول ﷺ[1]، وهم يبنون آراءهم على ما ذكرته المصادر القديمة، ويرون أنّ غارس هذه البذرة هو «أبان بن سعيد بن أبي العاص» الذي ولّاه الرسول ﷺ عليها[2] ويعتقدون أنه من الموالين للإمام «علي بن أبي طالب»[3].

والشخصية الثانية التي يعتقد أن لها دوراً في ذلك الولاء هو «عمر بن أبي سلمة» وذلك حين ولّاه الإمام «علي» على «البحرين» وكان ممّن يواليه[4].

يُضاف إلى ما سبق ما روته المصادر من نفي «معاوية بن أبي سفيان» «صعصعة بن صوحان العبدي» [5] إلى إحدى جزر «البحرين»[6]، وكان من عيون الشيعة وأجرأهم عليه[7].

---

(1) ممن قال بذلك نور اللّه الشوشتري في كتابه: «مجالس المؤمنين» وهو باللغة الفارسية يُراجع في ذلك الطهراني، آقا بزرك، «الذريعة»، ج19، ص370. وقد نقلنا قول الشوشتري عن علي بن حسن البلادي في كتابه «أنوار البدرين» مطبعة النعمان، النجف، 1377هـ، ص26؛ وحسن الأمين في «دائرة المعارف الإسلامية الشيعية»، المجلد 2، ص438.

(2) عن ولاية أبان على البحرين يُراجع البلاذري، فتوح البلدان، مصدر سابق، ص92 والحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، مصدر سابق، ج1 ص348.

(3) ذكر ابن الأثير الحسن بن بشر في «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، تحقيق محمد إبراهيم البنا وزميلاه، طبعة دار الشعب، القاهرة، ج1 ص47: «أن أباناً تخلّف عن بيعة أبي بكر لينظر ما يصنع بنو هاشم، فلما بايعوه بايع». يُراجع أيضاً الأمين، محسن، أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، 1983، ج1 ص179. ويذكر ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق، ط1، المكتبة العربية، دمشق، 1911، ج2 ص132 أن أباناً رفض أن يتولى ولاية لأحد بعد رسول اللّه ﷺ.

(4) جاء في شرح النهج لابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج6 ص219، أن عمراً شهد مواقع الإمام علي كلها، ينظر أيضاً ج14 ص17 وج16 ص173.

(5) العبدي نسبة إلى عبد القيس، ويذكر القلقشندي، أحمد بن علي، في «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب»، تحقيق علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد، 1958، ص311 أن النسبة لعبد القيس تأتي على ثلاثة مذاهب: عبدي أو قيسي، أو عبقسي.

(6) ابن العسقلاني (الشافعي)، الإصابة في تمييز الصحابة، مصوّر عن الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1928، ج2 ص200، ومما يرجّح هذا الخبر أن له قبراً هناك، وهو ما يزال معروفاً. وتشير إحدى روايات الخبر السابق إلى أنه نُفي إلى جزيرة ابن كافان. ويرى التاجر أنها المعروفة اليوم بجزيرة النبيه صالح. تُراجع: التاجر، محمد علي، مسودات مخطوطة عقد اللآل، مصدر سابق، ص36؛ والزركلي، خير الدين، «الأعلام»، مصدر سابق، ج3 ص205، ويبدو أنه انتقل من تلك الجزيرة واستقرّ في جزيرة البحرين وقبره اليوم في قرية «عسكر».

(7) تنظر محاوراته مع معاوية في مروج الذهب للمسعودي، مصدر سابق ج 3 ص48 وما بعدها.

ومما يدلّ على عمق ذلك الولاء وبعد جذوره فيها ما روته المصادر عن موالاة عبد القيس ـ أشهر قبائل «البحرين» ـ لآل البيت، فـ «ابن قتيبة» يذكر أن هذه القبيلة كانت توالي آل البيت عدا فرداً منها[1]. ويقول «الطبري»: إن عبد القيس بأسرها كانت مع «عليّ» يوم الجمل[2]. وتشير الأخبار أن أبناءها على علاقة حميمة بالإمام «علي». ويذكر «ابن أبي الحديد» أن «جويرية بن مسهر العبدي» كان صالحاً وصديقاً لـ «علي» شديد الاختصاص به وأن «علياً» يحبّه[3]. وقد تولّى الكثير من العبديين مراكز قيادية للإمام «علي»[4].

وكان للعبديين مساهمتهم في واقع «الطفّ»، فقد استشهد مع «الحسين بن علي» جماعة منهم[5].

هناك عدد من شعراء عبد القيس وظّفوا شعرهم لرثاء آل البيت كـ «سفيان بن مصعب العبدي». ويُروى أن الإمام «الصادق» قال: «تعلّموا شعر العبدي فإنه على دين اللّه»[6] وقد بلغ من حبّه لآل البيت أنه لم يذكر بيتاً من الشعر إلا فيهم[7].

استمرّت «البحرين» في ولائها للهاشميين، ففي القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ومن خلال أخبار القرامطة تظهر نزعة التشيّع عند أهلها[8]، وينظرنا «ياقوت الحموي» (ت 262هـ/1229م) أن أهل «البحرين» كلّهم روافض وليس عندهم مَنْ يخالف هذا المذهب إلا أن يكون غريباً[9].

وفي القرن السابع يقول «ابن المجاور»: إن بجزيرة «أوال» ثلاث مئة وستين قرية إمامية المذهب عدا قرية واحدة[10]. وكانت كذلك في القرن الثامن[11].

---

(1) المعارف، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص339.

(2) الطبري، تاريخه، مصدر سابق، ج4 ص487.

(3) شرح النهج، مصدر سابق، ج2 ص290 و291.

(4) تُراجع ترجمة زيد بن صوحان عند ابن حجر العسقلاني في الإصابة، مصدر سابق، ج1 ص583، وترجمة صعصعة بن صوحان، المصدر نفسه، ج2 ص200، وسيحان بن صوحان في ج1 ص103، وأخبار حكيم بن جبلة الواردة عند الطبري في تاريخه، مصدر سابق، ج4 ص470.

(5) يورد محسن الأمين في «أعيان الشيعة»، مصدر سابق، ج1 ص610 و611، قائمة بأسماء من وصلت أسماؤهم من أنصار الحسين الذين استشهدوا معه يوم الطف ومن بينهم سبعة من عبد القيس.

(6) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، أمل الآمل، ط1، تحقيق أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس، بغداد 1385، ج2 ص186، إحالة (2). والقمّي، عباس، الكنَى والألقاب، ج2 ص414.

(7) المصدر الأول نفسه، ج2 ص186، ترجمة 550.

(8) راجع تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج3 ص214 و437 وج4 ص114، أخبار يحيى بن المهدي وعلي بن المُعلّى الدبادي والحسن بن بهرام.

(9) الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، مصدر سابق، ج4 ص150، مادة عُمان.

(10) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، «تاريخ المستبصر»، مصدر سابق، ص301.

(11) يُراجع ما قاله ابن بطوطة، محمد بن عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم، في رحلته «تحفة النظّار»، ط1، =

ويذكـر ابـن حجـر العسـقلاني ـ من أهـل القرن التاسـع في «الـدرر الكامنـة» أن أهل «البحرين» من كبار الروافض[1].

وقـد اسـتمرّ ذلـك ـ على الأرجـح ـ حتـى العصـور الراهنـة. فـ «النبهانـي - المالكي» - (ت 1370هـ/1950م) يذكر أن أكثر أهلها شيعة[2].

الباحثون الأوروبيون وآراء مغلوطة:

منذ مطلع هذا القرن ـ وربّما قبله ـ قدّم بعض الأوروبيين دراسات حول المنطقة ونشروا معلومات عن هويّة التشيّع في «البحرين»[3]. فـ «لوريمر» في دليله الجغرافي ينقل رأيين: الأول تقليدي محلّي كما يقول، ويذهب أصحابه إلى أن عمر التشيّع في «البحرين» لا يتعدّى الثلاث مئة عام. والثاني رأي الكتّاب الأوروبيين، ويميلون فيه إلى اعتبار الشيعة مواطنين قدماء غزاهم العرب. وهو لا يرجّح رأياً لعدم وجود معلومات كافية لديه كما يقول[4].

ويذهـب آخر إلـى أن شـيعة «البحرين» هم من سـلالة عربية أخذهـم «نبوخذ نصر» إلى «العراق» وهربوا منه واستوطنوا «البحرين»[5].

وهنـاك مـن قـال إنهم شـبه فـوارس ـ أي فـرس ـ وادّعى آخـرون أن شـيعة «البحرين» ينحـدرون من آباء يهود كانوا يعيشـون فـي الخليج العربـي قبل الإسـلام[6]. واعتبرهم «أمين الريحانـي» أجانـب كالهنود والإيرانييـن أو هُمْ في عداد ذلـك[7]، والغالب أنـه بنى رأيه على أقوال غير دقيقة.

= المكتبة العصرية، بيروت، 1997، ص203 و291.

(1) نقلاً عن الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي، مصدر سابق ج1 ص218.

(2) أشـار إلـى ذلك في «التحفـة النبهانيـة» ص73 وص85 وتطلعنـا الوثائـق البريطانية الحديثة علـى معلومات دقيقـة. فحسـب الإحصائيـات التـي أجراهـا الإنجليز عـام 1935 يظهر أن نسـبة الشـيعة فـي البحرين تقدر بحوالي 60 % نقلاً عن التاجر، مهدي، لهجات البحارنة، بحث باللغة الإنكليزية، نشر:

Kegan - Paul - International - London - 1982.

ص32 و39. الإحالة رقم 116.

(3) التاجر، مهدي، لهجات البحارنة، مصدر سابق، ص8 إلى ص11.

(4) لوريمر، جون غوردون، الدليل الجغرافي، مصدر سابق، ج1 ص258.

(5) بلجريف، جيمس، البحرين ترحب بكم، ص8، والمؤلف ابن آخر مستشار بريطاني بحكومة البحرين.

(6) عـرض الآراء السـابقة باحثـان بحرانيـان معاصـران وردّا عليهـا وهمـا محمـد الرميحـي فـي كتابـه «البحرين ومشـكلات التغييـر السياسـي والاجتماعي» خاصـة ص34، والتاجـر، مهدي، فـي «لهجات البحارنـة»، مصدر سـابق، ص8 إلـى ص11. وتتبـع الـدارس الأخيـر الجـذور العميقـة للقبائـل العربيـة التـي سـكنت البحريـن، وتقصّـى بدايـات التشـيّع. كمـا درس أوضـاع الطائفـة فـي الوقـت الراهـن واعتمـد فـي دراسـته فيهـا علـى الإحصائيـات الإنجليزيـة لمعرفة نسـبتهم العدديـة والتي أجروهـا حين كانـوا بالبحرين. والدراسـة أطروحة لنيل الدكتوراه وهي باللغة الإنجليزية.

(7) الريحاني، أمين، ملوك العرب، مصدر سابق، ج2 ص237.

ويتـراءى لنا بعد الذي قدّمناه، أننا لسـنا بحاجة إلى تفنيد تلـك الآراء. فأصحابها غرباء يجهلـون المنطقة وأوضاعها، خاصة توجّهات أهلها المذهبية. ولعل ما حدا بهم إلى التشـكّك في الأصل العربي لشـيعة «البحريـن» أن القوم خفتت في نفوسـهم روح العصبية القبلية[1]. كما أن الوضع الاجتماعي والاقتصادي السـيئ الذي كانوا عليه شكّل أحد الأسباب، ولا يستبعد أن أولئك المؤرخين استقوا آراءهم من جهات تخالف ذلك الاتجاه.

ولعـلّ ما يؤيّـد الانتماء العربي لتلـك الطائفة ويؤكّده، ما أنتجته من فنّ شـعري عربي إسـلامي قلبـاً وقالبـاً ـ وهو موضع دراسـتنا. وهذا الأدب يمثّـل حلقة أصيلة شـديدة الالتصاق بالأدب العربي في عصوره المختلفة.

الإطار التاريخـي:

سـنلقي فـي هذا الجزء من الدراسـة ضـوءاً خاطفاً علـى جانبين: الأول حضـاري أو هو أقـرب إلـى الحضـارة منه إلـى التاريـخ ـ ويشـمل تاريـخ «البحرين» قبـل الميلاد. وهـي فترة مـا زال جزء كبيـر منها يكتنفـه الغموض، وإن كانت الجهود مسـتمرة للكشـف عنهـا. والثاني تاريخي ويشـمل أهـم الأحداث التـي مـرّت بـ «البحرين»، وما تـداول عليها مـن دول وحكام منذ مجيء الإسلام وحتى القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي.

القسم الأول: الحضاري

أ ـ عصر دلمون[2]

لعبت «البحرين» في القديم دوراً هاماً باعتبارها مركزاً تجارياً يتوسّـط الطريق البحري بيـن بـلاد «الهند» وبلاد ما بيـن النهرين[3]. وكان لهـا تميّزها الحضاري عن تلـك المدينتين[4] وقد عرفت بـ «دلمون».

وورد ذكر دلمون في النصوص «الأكديّة» و«السومريّة». وفي أخبار «سرجون» الأكدي أنه غزاها وأضافها مع تخومها إلى مملكته[5].

---

(1) الرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص34.

(2) نلحـظ اهتمامـاً بهـذا العصـر مـن خـلال الدراسـات المتلاحقـة لمعرفـة عصـر دلمـون والتـي تحـرص مجلة الوثيقـة علـى نشـرها، ففـي العـدد الأول ص192 مقالـة عن ملابـس دلمون، وفـي الثانـي ص124 بحث عن الموسـيقى فيهـا، وفـي الرابـع ص136 قـراءة في ألـواح أثرية تتضمـن أخباراً عـن تجارتها، وفـي ص170 من العدد نفسه موضوع الكتابة فيها وهكذا قلّما يخلو عدد من إشارة لهذا العصر.

(3) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 9 ص181.

(4) الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مصدر سابق، ج2 ص437.

(5) علي، جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، مصدر سابق، ج2 ص294 و295.

اتسعت العلاقة بين البلدين، ونشأت بين «دلمون» ووادي الرافدين علاقة أكثر ما تكون ثقافية روحية.

ويشير مؤلّف «تاريخ العرب قبل الإسلام» إلى أن جزيرة «دلمون» كانت تتمتّع بقدسيّة خاصّة لدى بلاد الرافدين، فكانت تعدّ من الأماكن المقدّسة، وعبد أهلها بعض الآلهة التي تعبّد لها أهل «العراق». ووجد اسم الإله «إنزاك» في كتابة عثر عليها في «البحرين». كما تردد عند الطرفين أسطورة «أنكي» وزوجه «ننخرساك» وملحمة «جلجامش» وأسطورة أرض الحياة وغيرها[1].

ويشير المؤرخ نفسه إلى نصّ بابلي أُرِّخَ سنة 317 قبل الميلاد يذكر أرضاً تُدْعَى «برديسو» وهي تقابل «فردوس» في العربية وتقع في القسم الشرقي من الجزيرة العربية بين «مجان» وبين «بنسانو» وهي جزيرة «دلمون». وقد حملت هذه التسمية بعض العلماء على الاعتقاد أنّ ما ورد عنه «جنّة عدن» في التوراة إنّما أريد بها المنطقة الشرقية من جزيرة العرب وعلى سواحل الخليج[2].

وتردد اسم «دلمون» كثيراً لدى المؤرخين القدامى كـ «استرابون» (ت سنة 79 ق.م) و«بلينوس» في القرن الأول للميلاد، كما تحدّث عنها «بطليموس» قبل منتصف القرن الثاني عشر الميلادي. واختلفت تسمياتها من قرن لآخر حسب رواية كلّ مؤرخ، فقد كانت تدعى (kki ـ Niddu) عند الأكديين و«دلمون» أو «تلمون» عند السوريين و«تايلوس» عند الفينيقيين[3]. وإلى جانب تلك التسميات ورد اسم «أرادوس» عند القدماء وهو اسم كان يطلق على الجزيرة الثانية في «البحرين» «الـمُحَرَّق» ويذكر «جَواد علي» أنّها جزيرة «أرد» أو «أراد»[4] ـ و«عراد» في وقتنا الحاضر قرية صغيرة من قرى جزيرة «الـمُحَرَّق».

كانت العلاقة بين «دلمون» ومحيطها المتمثّل في الدول الواقعة على الخليج العربي

---

(1) علي، جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، مصدر سابق، ج2 ص296، وتشير الأسطورة البابلية إلى كيفية نجاة الإله «انكي» من الفيضان الشهير وتوجّهه إلى أرض الخلود في دلمون واستقراره فيها. ثم مجيء البطل السومري «جلجامش» ليتعرّف منه على سرّ الحياة وأسرار الخلود في دلمون. فيفيده عن كيفية موته تحت قاع البحر الذي يمتزج بعيون ماء عذب واحتوائها على زهرة بيضاء هي زهرة الخلود... يُراجع في ذلك كتاب البحرين عبر التاريخ لمؤلفيه الخليفة، عبد اللّه، والحمر، عبد الملك، ط2، الشركة العربية للوكالات والتوزيع، البحرين 1972، ص17، ونصّ الأسطورة في ص167. يُراجع أيضاً مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد ج9 ص175.

(2) المصدر نفسه، ج2 ص297.

(3) المصدر نفسه، ج2 ص297 و421، والخليفة، عبد اللّه بن خالد والحمر، عبد الملك، البحرين عبر التاريخ، ص18 و19.

(4) المصدر الأول نفسه، ج2 ص422.

علاقة وشيجة واتّسم ذلك المحيط بالتحضّر والرفاهية. وعلى بعد 50 ميلاً من وجهة البحر تقع مدينة «الجرعاء»، أو الجرهاء ـ الواقعة على كثيب وكان أهلها من أغنى شعوب الجزيرة ويُقال: إنهم اتخذوا من الذهب كؤوساً وآنية وأثاثاً، وجمّلوا سقوف بيوتهم وأبواب غرفهم به وبالأحجار النفيسة[1].

ب ـ علاقة البحرين بالفينيقيين:

يعتقد بعض المؤرخين أن «البحرين» وما جاورها هي موطن الفينيقيين الأقدم. وأوّل من طرح هذه النظرية هو «هيرودوتس» المتوفى سنة 406م[2]. وقد تبعه في ذلك الرأي مؤرّخون آخرون كـ «استرابون» الذي أشار إلى التشابه بين أسماء مدن الخليج والمدن الفينيقية، والتشابه في المعابد بين الطرفين[3].

وفي العصر الحديث سلّم بتلك النظريّة بعض المؤرخين كـ «أمين الريحاني»[4].

وقد عثر المنقّبون في «البحرين» على عدد كبير من المقابر القديمة خطّطت على نمط واحد. والرأي السائد لمنقّبيها أنها مقابر فينيقية[5].

على أن المؤرّخ «جواد علي» يرى أن هذه النتائج لم تُعطِ الباحثين فكرة يقينية عن تاريخها وأيام أصحابها وأنها يجب أن تُدرس دراسة آثارية دقيقة[6].

القسم الثاني: «البحرين» بعد مجيء الإسلام:

البحرين في أيّام الرسول ﷺ: كانت «البحرين» تحت الحكم الفارسي[7] عندما بزغ نور الإسلام. وحين أرسل الرسول الكريم «العلاء الحضرمي» ليدعو أهلها إلى دين اللّه بادروا إلى إجابته. ويذكر المؤرّخون أن «البحرين» أسلمت طوعاً ودون قتال [8]. وعندما قدم وفدها بزعامة رجال من عبد القيس ـ أبرز قبائلها ـ أثنى الرسول ﷺ عليهم، ويُروَى

---

(1) علي جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، مصدر سابق، ج2 ص297 و419 و420.

(2) الخليفة، عبد اللّه بن خالد والحمر، عبد الملك، البحرين عبر التاريخ، مصدر سابق، ص18 و139.

(3) علي، جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، مصدر سابق، ج 2ص298؛ والخليفة، عبد اللّه بن خالد والحمر، عبد الملك، البحرين عبر التاريخ، مصدر سابق، ص142.

(4) الريحاني، أمين، ملوك العرب، مصدر سابق، ج2 ص221 وما بعدها.

(5) علي، جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، مصدر سابق ج2 ص298. وعن الآراء التي قيلت عن المقابر المنتشرة في البحرين وعصورها تُراجع مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 3 ص150.

(6) المصدر نفسه، ج2 ص297 و298.

(7) الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، مصدر سابق ج1 ص347؛ وتاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج4 ص119.

(8) المصدر الأول نفسه، ج1 ص348.

أنـه قال لأصحابه فـي صباح الليلة التي قدموا فيها: «سـيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير أهل المشـرق»[1]. ويذكر أنه ﷺ رحّب بهم قائلًا: «مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى»[2]، وممـا قاله في إطرائهم: «نِعْـمَ القوم عبد القيس»[3]. وفي الجملة كانت علاقة الرسـول ﷺ بأهل «البحرين» علاقة متميزة وحميمة[4]. ولقد حسـن إسـلامهم وانشـدّت نفوسهم لتعاليم الديـن الحنيـف. جـاء فـي الحديـث: («أول جمعـة جمّعـت بعـد جمعـة فـي مسـجد رسول اللّه ﷺ في مسجد عبد القيس بـ «جواثى» من «البحرين»)[5].

«البحريـن» فـي عهد الراشـدين: يجرّنا الكلام السـابق إلى ضرورة تفسـير مـا قيل عن الـردّة فيهـا[6]. ونحـن نعتقـد أنّ مـا قيل بشـأنها فيه تضخيـم للأمـور. فالقـول أن عبد القيس ارتدّت بحجّة لو كان محمد نبياً لما مات، ثم عودتهم إلى الإسـلام بمجرّد أن خاطبهم زعيمهم «الجـارود» بعبـارات قليلـة هـو قـول ضعيـف وتعليـل سـاذج، فلـو أن الـردّة وقعـت بالفعل وبالحجـم نفسـه الـذي تصوّرهـا به المصـادر، لما كان لهـا أن تنتهـي بكلمات بسـيطة. ونحن نرجّـح أن تهمـة الارتـداد أو علـى الأقل في بعـض جوانبهـا أمر قصد بـه النكايـة بالمعارضين للدولـة. وقد ألمحنا إلى ميل أهل «البحرين» إلى التشـيّع. كمـا أن بعض المصادر تنفي الردّة عمّـن اتهـم بها أو على الأقـلّ جزء منها، فروايـات «الطبري» تذكر أن عبد القيـس ـ وهي أبرز قبائـل المنطقـة كمـا قلنا ـ كانـوا مخالفين لمن ارتـدّ. بل إنهم كانـوا يمدّون جيـش «المنذر» القائـد الـذي تصـدّى لقتـال المرتدّيـن فـي «البحريـن»[7]. وإلى ذلك أشـار «ابن عسـاكر»[8] و«ابن حجر العسـقلاني»[9]. ونعتقد أن تعليق «ابن أبي الحديد» على حركة الردّة في شكلها العـام فيـه قدر من الصواب. فهو يرى أنهـا مجاز أريد به تضخيم ما قاله مـن دعي بالمرتدّين وما تأوّلوه[10].

---

(1) نقلًا عن محمد بن عبد اللّه آل عبد القادر، تاريخ الأحساء، ط1، مطابع الرياض، 1960، ص62.

(2) البخـاري، محمـد بـن إسـماعيل، الصحيـح، دار الجيـل، بيـروت، ج1 ص21، والبـلادي، علي بن حسـن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص22.

(3) ابـن سـعد، أبو عبد اللّـه محمد، الطبقـات الكبـرى، دار بيـروت للطباعـة والنشـر، 1980، ج5 ص557. ينظر أيضاً ما أطرى به زعيم الوفد الأشجّ عبد اللّه بن عوف ص558.

(4) تُراجع مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 5 ص87.

(5) صحيح البخاري، مصدر سابق، ج2 ص6.

(6) يُراجـع على سـبيل المثال تاريخ الطبري، مصدر سـابق، ج3، ص301 وما بعدها، وتاريـخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج2 ص504.

(7) الطبري، تاريخه، مصدر سابق ج3 ص304.

(8) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، مصدر سابق، ج2 ص132 ينظر ثناء أبان بن سعيد على عبد القيس.

(9) العسـقلاني، الإصابـة، مصدر سـابق، ج1 ص103 ويذكر هـذا المصدر أمـراء عبد القيس الذين تصـدّوا لقتال المرتدّين.

(10) ابن أبي الحديد، شرح النهج، مصدر سابق، ج13 ص187.

وفي عهد الراشدين نفسه ساهمت «البحرين» مساهمة فعّالة في حركة الفتوح. فقد كانت القاعدة التي انطلقت منها الحملات الأولى ضد الفرس. ولعبت قبيلة بكر بن وائل ـ البحرانية ـ دوراً أساسياً في التمهيد لحركة الفتوحات. واستمرّ هذا الدور العسكري لـ «البحرين» حتى مُصّرت «البصرة»، وحينذاك أخذت تحلّ محلّ «البحرين» في توجيه الجيوش المقاتلة في الجبهة الجنوبية في بلاد «فارس» وإمدادها[1].

في العصر الأموي: أبرز حدث في حياة «البحرين» في هذا العصر استيلاء «نجدة بن عامر» الخارجي عليها عام 67هـ. وقد بعث «مصعب بن الزبير» جيشاً لمحاربته فهزمه «نجدة»، وظلّ عمّاله على نواحي «البحرين» حتى اختلفوا عليه وولّوا أمرهم «أبا فديك» الذي قتل «نجدة». ولما استتب له الأمر، عرض عليه «عبد الملك بن مروان» إقراره على ما بيده مقابل طاعته. فرفض ومن ثم حاربه «عبد الملك» وقتله، فخضعت «البحرين» لحكمه وضمّها إلى أعمال «البصرة»[2].

في العصر العباسي: كان أهل «البحرين» قد ولّوا عليهم «سلمان بن حكيم العبدي». وفي عام 151هـ كاتب والي «البصرة» وأعمالها «عقبة بن سليم الفهري» أمراء الأطراف ليذعنوا للخلافة فعصت «البحرين» فجرّد عليها العباسيون حملة قتل فيها «سليمان بن حكيم»، واستولى عقبة على خزائن الجزيرة وعيّن عليها أميراً وظلّت تحت الحكم العباسي[3].

ثورة الزنج: استولى صاحب الزنج على «الأحساء» سنة 249هـ، وجبى الخراج من جزيرة «البحرين»، وتميز عهده بالوحشيّة والقسوة[4]. ولما هلك عام 270هـ رجعت «البحرين» إلى الحكم العباسي[5].

استيلاء القرامطة: في سنة 286هـ عبر القرامطة من «القطيف» إلى «البحرين» وفتحوها. ويذكر «ابن خلدون» أن «أبا سعيد القرمطي» ملك «البحرين» بعد حصار دام ثلاث سنوات واستباحها قتلاً وإحراقاً وتخريباً[6]. ولم يتقلّص نفوذهم هناك إلا بهلاك «أبي

---

(1) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 6 ص105 وعن غزو أهل «البحرين» لفارس بقيادة العلاء الحضرمي، يُراجع تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج4 ص79 وما بعدها.

(2) التاجر، محمد علي، مسودّات عقد اللآل،مصدر سابق، ص66 وما بعدها.

(3) النبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص61؛ والتاجر، مسودّات مخطوطة العقد، مصدر سابق، ص69 وما بعدها.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق ج4 ص25.

(5) النبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص62.

(6) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج4 ص119.

سـعيد الجنابي» سـنة 301هـ[1]. وقد انتهز ذلك «أبو البهلول ـ العوّام بن الزجّاج» وكان ضامناً لخراجها واستقلّ بها[2].

اسـتيلاء العيونييـن عليهـا: تمكّن «يحيى بـن العيّـاش» ـ حاكم «القطيـف» ـ من أخذ الجزيـرة من «أبـي البهلول» ـ وبعـد موته خلفه علـى «القطيف» ابن «زكريـا»، وعلى جزيرة «البحرين» ابنه «الحسـن». فطمع «زكريا» في «الجزيرة فقتل أخاه واسـتولى عليها. ثمّ تطلّع هـذا الحاكـم إلـى انتـزاع «الأحسـاء» مـن يـد العيونييـن[3]، فاشـتبك معهـم وانهزم ففـرّ إلى «البحريـن» وانتهـى الأمر بقتلـه على يـد الأميـر «عبد اللّه العيونـي». فخضعت البـلاد لحكم العيونييـن، وتولّـى حكمهـا «الفضل بـن عبد اللّـه العيونـي» ثـم تتابـع عليهـا حـكّام آخـرون منهم[4].

سـيطرة بنـي عامر: حين بـدأ التمـزّق والتناحر في صفـوف العيونيين طمـع فيهم بنو عامر بـن عقيـل[5]. وأخـذت هذه القبيلـة تمارس بعـض النفوذ منـذ العهد القرمطـي، وتزايد ذلـك فـي العهد العيوني، خاصّة حين بدأ الصراع يدبّ بين أبنـاء البيت الحاكم، وأخذ بعضهم يستعين ببني عامر. وقد اهتبل هؤلاء الفرصة وفرضوا لأنفسهم الكثير من الامتيازات، ومُنحوا مـا أرادوه مـن بسـاتين وقطائـع ومناطق صيـد اللؤلؤ والسـمك. وقـد تألّم الشـاعر «علي بن المقرّب العيوني» (ت 629هـ تقريباً) لتلك السيطرة فقال:

[كامل]

أخـذوا «الحَسَـاءَ» من «القطيـفِ» إلى «محا ديـــثِ العيـــونِ» إلـــى «نَقَـــا حلـــوانِ»

وكان أشدّ ما يثير سخطه وألمه استيلاؤهم على بساتين جزيرة «البحرين»:

وأمـــــضُّ شـــــيءٍ للقلـــــوبِ قطائِـــــعٌ بـ «المِـــرْوزَانِ» لهـــم و«كَـــرْزَكانِ»[6]

---

(1) النبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص63.

(2) المصدر نفسه ص63؛ والتاجر، محمد علي، مسودّات مخطوطة العقد، مصدر سابق، ص76.

(3) الدولـة العيونيـة قامـت في الأحسـاء والبحرين من 466 إلـى 636هـ يُراجـع عنها تاريخ الأحسـاء لمحمد آل عبد القادر، مصدر سابق، ص98 وما بعدها.

(4) التفاصيـل عنـد النبهانـي، محمـد، التحفة النبهانيـة، مصدر سـابق، ص66؛ والتاجـر، مسـودّات العقد، مصدر سابق، ص78.

(5) أشـار ابـن خلدون فـي تاريخه، مصـدر سـابق، ج4 ص118 و119 إلـى أن مُلـك «البحرين» سـنة 651هـ كان لبنـي عامر بن عوف بن عقيل، وتنتسـب هذه القبيلـة إلى عقيل بن كعب بن ربيعة بـن عامر بن صعصعة مـن العدنانييـن. وموطنهم الأصلي نجد، وقد اسـتقرّت بطون هـذه القبيلة في منطقـة «البحرين» والعراق، القلقشـندي، نهايـة الأرب في معرفة أنسـاب العرب، مصدر سـابق، ومجلـة الوثيقة، مصدر سـابق، العدد 3، 38.

(6) آل عبـد القـادر، محمد بـن عبد اللّه، تاريخ الأحسـاء، مصـدر سـابق، ص269؛ ومجلة الوثيقة، مصدر سـابق، العـدد3 ص38. و«مـروزان» و«كـرزكان» المذكورتـان مـن قـرى جزيـرة «البحريـن»، وتشـتهران بالبسـاتين =

تمكّن رؤساء بني عامر بن عقيل من تقليص سلطة العيونيين، ولم يبق من معاقلهم سوى جزيرة «البحرين»[1]. وقد تشبّث آخر أمرائهم بها، وصدّ عنها ببسالة حملتين أعدهما «أبو بكر السلغري» ـ أتابك فارس. وفي عام 636هـ/1238م أعدّ الأخير حملة بحرية كبيرة، وتمّ فيها الاستيلاء على جزيرة «أوال»، وقتل آخر أمير عيوني[2].

وفي عام 641هـ/1224م استولى الأتابك على جزيرة «تاروت»، ثم أحكم سيطرته على «القطيف» وحكم المنطقة حكماً مباشراً.

أثار ذلك غضب بني عصفور العقيليين ـ وكانوا يسيطرون على «الأحساء» ـ فأخذوا يشنّون الهجمات المتكررة، مما دفع الأتابك أبا بكر لاسترضائهم بدفع إتاوة سنوية[3] لهم. وحين ازداد الخطر على بلاده بتعرّضه لغزو خارجي عمد إلى تسليم السلطة في المنطقة إلى العصفوريين، مقابل دفع مبالغ سنوية لخزينته[4].

سيطرة هرمز: في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي استغلّ «إبراهيم بن محمد الطيبي» ـ حاكم إقليم «فارس» ـ الخلافات الحادّة بين الأمراء العصفوريين وأدخل كلّاً من جزر «البحرين» و«القطيف» و«الأحساء» ضمن دائرة نفوذه السياسي والاقتصادي. ولكسب ولاء العصفوريين لجأ إلى منحهم مبالغ مالية سنوية. وحين ضعف الطيبيّون استولى أمير هرموز ـ «قطب الدين تهمتن الثاني» ـ على باقي ملكهم[5].

ودخلت «البحرين» تحت نفوذ أمراء «هرموز» في نهاية الأربعينيات من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وبقي آل عصفور حكاماً لها. واستمرّت صلة المنطقة بمملكة «هرموز» لمدّة تقارب قرناً ونصف قرن.

وغدت جزيرة «البحرين» مسرحاً للصراع بين أبناء البيت الحاكم. فقد زاحم «نظام الدين كيقباذ» أخاه الحاكم في حكم جزيرة «هرموز»، واهتبل فرصة غيابه ونصّب نفسه حاكماً، إلاّ أن وفاته المفاجئة مكّنت «تهمتن» من استعادة الحكم. وقد عجز ابنا الملك المتوفى عن الاحتفاظ بالسلطة فهربا بالخزائن والعساكر إلى جزر «البحرين» وسيطرا عليها،

= الجميلة والعيون المتدفّقة. يُراجع لوريمر، جون غوردون، الدليل الجغرافي، مصدر سابق، ج1 ص280 و282، والتاجر، محمد علي، مسودّات العقد، مصدر سابق، ص24 و30.

(1) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 3، ص40 و41.

(2) المصدر نفسه، ص42.

(3) المصدر نفسه، العدد 3، ص43.

(4) المصدر نفسه، ص55 وما بعدها. وذكر ابن خلدون في تاريخه، مصدر سابق، ج4 ص118: أنّ بني ثعلب من رعايا بني عامر بن عوف بن عقيل هم حكّام «البحرين» في منتصف القرن السابع الهجري وأن بني عصفور منهم وأنهم أصحاب «الأحساء».

(5) المصدر نفسه، العدد 3 ص53 و54.

وجعلاهـا مركزاً لمهاجمة عمّهما ثم ابنه «تورانشـاه» الذي تولّى الحكـم بعده. وقد روّع ذلك الصراع الدموي سكّان الجزيرة فهرب قسم منهم[1].

اتجهت الآراء إلى إقامة زعامة وطنية محليّة لكن سـرعان ما دبّ الخلاف بين أعضائها حول مسألة الاستقلال عن بني عصفور أو التبعية لهم.

وباطلاع «تورانشـاه» ـ ملـك «هرموز» ـ على أحداث الجزيرة قـدم إليها على رأس قوّة بحريّـة، ورتّب أوضاعها. ويرجّح وقوع ذلك في التسـعينيات أو السـبعينيات من القرن الثامن الهجري/الرابـع عشـر الميـلادي. ويعتقد أن منطقـة «البحرين» اسـتمرت خلال القرن التاسـع الهجري/الخامس عشر الميلادي تدين بالتبعية لملوك «هرموز»[2].

ويذكـر المؤرّخـون أن «البحريـن» و«القطيـف» كانتـا ولغايـة عـام 880هـ/1475م من جملة أملاك «سـرة السـلطان سـر علي بن تورانشـاه». وإذ ذاك وقع خلاف بينـه وبين إخوته اضطـره إلـى عقد اتفاق مـع أمير «الأحسـاء» «أجود بن زامـل» على أن يعينه على اسـترجاع جزيـرة «هرموز» مـن إخوته مقابل التنازل له عن «القطيف» و«البحرين» عدا بعض بسـاتين الأخيرة[3].

وبعد أن طُبّقت شـروط الاتفاق، واستلم «أجود» إمارة البلدين ولّى ابنه «مقرن» أمور «البحريـن»، وكان هـذا إيذانـاً بابتـداء فتـرة جديـدة فـي تاريـخ «البحريـن» وهـي العهـد البرتغالي[4]. وهو ما سنعرض له في الباب الأول.

الإطار الثقافي:

لـ «البحرين» مسـاهمة إيجابية في رفد الثقافة الإسـلامية العربية. فقد قدّمت العديد من العلماء كما كان لها نصيبها في مدّ البلاغة والفصاحة وما يتعلّق بها من فنّ شعري.

وعلـى الصعيـد الفكري يذكـر «ياقوت الحمـوي» أنه ينسـب إلى «البحريـن» قوم من أهل العلم ويذكر عدداً منهم[5].

---

(1) تُراجع التفاصيل في مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 3، ص55 و56.

(2) المصـدر نفسـه، العـدد 3 ص57 – 59، ونشـير إلـى أن تاريـخ «البحريـن» فـي القرنيـن الثامـن والتاسـع الهجرييـن يكتنفـه الغمـوض الشـديد. واعتمدنـا كثيـراً على مقالـة عبد اللطيـف ناصـر الحميـدان وعنوانها «العصفوريـون وقصـة 150 عاماً» المنشـورة فـي المرجع المذكـور لاعتقادنا بأنهـا أدقّ ما كتـب وأقربه إلى الصحة.

(3) ابن ماجد، أحمد، الفؤاد في أصول علم البحر والقواعد، مصدر سابق، ص303 وما بعدها.

(4) التاجر، محمد علي، مسودّات مخطوطة عقد اللآل، مصدر سابق، ص82.

(5) ذكر ثلاثة منهم الحموي، شهاب الدين ياقوت في معجم البلدان، مصدر سابق، ج1 ص347.

وتطالعنا في القرون الإسلامية الأولى قائمة من علماء الجزيرة منهم: «نصر بن نصير البحراني»[1]. و«محمد بن سهل» وهو أحد رواة الحديث، ويعتقد أنه كان معاصراً للإمام «الكاظم»[2] و«محمد بن محمد البحراني» وكان فاضلًا أديباً[3]. و«الشريف بن الشريف أكمل البحراني». و«ناصر الدين راشد بن إبراهيم البحراني»، ويُقال إنه كان فقيهاً أديباً متكلماً لغوياً[4].

وإذا كنّا لا نعرف على وجه الدقّة تاريخ وفيات أولئك العلماء وجلّ ما نستطيع قوله إنهم عاشوا قبل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، فإنه منذ مطلع هذا القرن ـ أي السابع ـ تبدو الأمور أكثر وضوحاً.

فمن علماء «البحرين» في هذا القرن «أحمد بن علي بن سعادة البحراني»، وكان معاصراً لـ «الخواجة نصير الدين الطوسي» ـ من كبار علماء «إيران» في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[5] ـ وقد تولّى «الطوسي» شرح «رسالة العلم» لـ «ابن سعادة» وبدأها بأبيات أثنى فيها ثناءً جميلاً على الرسالة وصاحبها، وهي تشتمل على أربع وعشرين مسألة[6].

من تلاميذ ابن سعادة: «علي بن سليمان البحراني» ويوصف بأنه عالم جليل متكلّم حكيم، وسمّي بـ «الفيلسوف الحكيم» ويدل ذلك على غلبة العلوم العقلية عليه.

له تصانيف في الحكمة منها كتاب «الإشارات» في الإلهيات، وشرح رسالة الطير لـ «ابن سينا»، كما شرح أبياته في وصف الروح[7].

---

(1) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص56؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص221.

(2) المصدر الأول نفسه، ص57، والكاظم هو الإمام السابع عند الإمامية.

(3) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن ، أمل الآمل، مصدر سابق، ج2 ص298؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق ص57.

(4) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص307؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص59.

(5) تُراجع ترجمته عند البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق ص245، والزركلي، خير الدين، الأعلام، مصدر سابق، ج7 ص30؛ وكحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج11 ص207.

(6) وردت ترجمة ابن سعادة في لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص254ه 43؛ والكشكول، ج1 ص303، وهو للمؤلف نفسه، وأيضاً عند البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص60، والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج3 ص43 و44؛ وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج2 ص8.

(7) ترجم له الحر العاملي في أمل الآمل، مصدر سابق، ج2 ص189؛ والبحراني، يوسف في لؤلؤة البحرين، مصدر سابق ص253 إحالة 41؛ والبلادي، علي، في أنوار البدرين، مصدر سابق، ص61؛ وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج7 ص103.

من تلاميذ السابق ابنه «حسين». وكان من مشايخ العلامة [1] «الحلي».

أما أبرز علماء «البحرين» في القرن السابع على الإطلاق فهو «كمال الدين ميثم بن علي البحراني» الذي نال منزلة علمية رفيعة، وكان محيطاً بالعلوم الشرعية والحكمية والفنون العقلية، وقد اصطلح على تسميته بالعالم الربّاني. وله ما يقارب الأحد عشر مصنّفاً[2].

في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي يبرز «أحمد بن عبد اللَّه بن المتوَّج البحراني». وكان جليل القدر، تتلمذ على كبار علماء «العراق»، وله ما يقارب التسعة مصنّفات. وله شعر كثير[3].

وبرز من الأسرة نفسها «عبد اللَّه بن المتوَّج» والد السابق وابنه «ناصر بن أحمد»، ويوسف بأنّه صاحب ذهن وقّاد، محقّق فقيه قوي الحافظة[4].

وتتلمذ على «أحمد بن عبد اللَّه بن المتوَّج» عدد من فقهاء «البحرين» من أبناء القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[5].

وأشهر علماء «البحرين» في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي «مفلح بن حسن الصيمري»، وله ما يقارب الخمسة مصنّفات[6].

الفصاحة والشعر:

ألمحنا إلى أن عبد القيس كانت أبرز قبائل «البحرين»، وتتحدّث المصادر عن فصاحة

---

(1) الحر العاملي، أمل الآمل، مصدر سابق، ج2 ص99؛ والبحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص253 إحالة 41؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص62.
والعلامة الحلّي هو الحسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي من كبار علماء الشيعة (ت 726هـ) وترجمته في لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص210 وفي أعلام الزركلي، ج2 ص227.

(2) الحرّ العاملي، أمل الآمل، مصدر سابق، ج2 ص332؛ والبحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق ص253. والخوانساري، محمد باقر، روضات الجنّات، مكتبة إسماعيليان، طهران، د.ت، ج7 ص216؛ وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق ج13 ص55

(3) الحر العاملي، أمل الآمل، مصدر سابق، ج2 ص16. والبحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص177؛ الكشكول، ج1 ص299 وما بعدها؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص70؛ والخوانساري، روضات الجنّات، مصدر سابق، ج1 ص68؛ وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج1 ص300.

(4) الحر العاملي، أمل الآمل، مصدر سابق ج2 ص333. والبحراني، يوسف لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص179 إحالة 40. والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص72؛ وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج13 ص68.

(5) يُراجع البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص74.

(6) المصدر نفسه، ص74 وما بعدها.

هـذه القبيلـة. فيذكر «الجاحظ» أن فرقتهـم التي وقعت إلى «البحرين» أصبحت أشـعر قبيل فـي العـرب، وأن الفرقة الأخرى التـي وقعت إلى «عمـان» هم خطباء العرب. وهو يسـتغرب أنهم لم يكونوا كذلك حين كانوا في سرّة البادية وفي معدن الفصاحة[1].

لفتـت بلاغـة العبدييـن الأنظـار. واسـتدعى إعجـاب «معاويـة» ببلاغتهـم أن سـأل «صحار بـن العيّاش العبـدي»: ما هذه البلاغة التـي فيكم؟ فأجابه: «شـيء تجيش به صدورنا فتدفقه على ألسـنتنا...». ورغب «معاوية» في معرفة مفهوم البلاغة عنده فذكر أنها: الإيجاز. وحين سأله عما يقصده بالإيجاز، أجاب: «أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ...»[2].

وعـدّد «الجاحظ» خطبـاء عبد القيس فقال: «من خطبائهم المشـهورين «صعصعة بن صوحـان»، و«زيد بن صوحان»، و«سـيحان بن صوحـان». ومنهم «صحار بـن عيّاش». وصحار من شيعة «عثمان»، وبنو صوحان من شيعة «علي»[3].

يؤيّـد قـول «الجاحـظ» ما ذكـره «أبو عبيـدة» مـن تفـوّق عبد القيس علـى غيرها من العـرب بسـت خصـال، منهـا أن فيها أخطـب العـرب «مصقلة بن رقبـة» الـذي كان يضرب به المثـل فيقـال: أخطـب من مصقلـة[4]. ويبدو أن مصقلة وأسـرته وصلـوا إلى مرتبـة عالية في الفـن الخطابـي، وأن خطبهم غدت نموذجاً يحتذي به الخطباء، يقـول «الجاحظ»: من خطباء عبد القيـس «مصقلة بن رقبـة»، و«رقبة بن مصقلة» و«كرب بن رقبة»، ويسـتطرد قائلاً: «من خطـب العـرب ـ «العجـوز» وهـي خطبـة لآل رقبـة، ومتـى تكلّمـوا فـلا بدّ لهـم منهـا أو من بعضها»[5].

يهمّنـا من الخطباء العبدييـن بنو صوحان إذ لهم علاقة وثيقة بجـزر «البحرين». ففيها عـاش «صعصعة بن صوحـان» فترة من حياتـه وفيها دفن كما ألمـحنا[6]. وهنـاك قبر يدعى قبر الأمير زيد ويعتقد أنه لأخيه الأمير «زيد بن صوحان»[7].

كان آل صوحـان فـي مسـتوى عـالٍ مـن البلاغـة والفصاحة، وقـد وصفهـم «معاوية» ـ

---

(1) الجاحـظ، عمـرو بـن بحر، البيـان والتبييـن، تحقيـق عبد السـلام هـارون، ط3، مؤسسـة الخانجـي، القاهرة، د.ت، ج1 ص96 و97.

(2) المصدر نفسه، ص96؛ وابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4 ص31.

(3) المصدر نفسه، ج1 ص97.

(4) ابن أبي الحديد، شرح النهج، مصدر سابق، ج18 ص65.

(5) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج1ص348.

(6) يُراجع ص29.

(7) تُراجـع مسـودّات العقـد، للتاجر، مصـدر سـابق، ص30 و31. والخبـر ما زال بحاجـة إلى تحقيـق. فالمصادر التاريخيـة تشـير إلـى أنه قتل يوم الجمل ينظر طبقات ابن سـعد، مصدر سـابق، ج6، ص123 و221، وشـرح النهج، مصدر سابق، ج1 ص258 و259 والإصابة، مصدر سابق ج1 ص583.

بالرغم من الخصومة بينهم ـ بأنهم مخاريق الكلام[1]. وقد أطراهم «ابن عباس» بقوله لـ «صعصعة»: «إنك سليل خطباء فصحاء. ما ورثت هذا عن كلالة»[2].

وكان «صعصعة» مقدّماً في الخطابة مميّزاً فيها[3]، وصفه «عقيل بن أبي طالب» بأنه عظيم الشأن عضب اللسان[4]. وبلغ من شدّة إعجاب «معاوية» بفصاحته ـ رغم جرأته الشديدة عليه ـ أنه ودّ لو أنه من صلبه، وعدّه النموذج المطلوب من الرجال. قال بعد محاورة حادة ـ بينهما: «هكذا فلتكن الرجال»[5]. كما كان يعتبره أحد سهام عليّ وخطباء العرب[6]، وقد نتج عن ذلك أن خطبه غدت منهلًا للواردين، روي عن «الشعبي» أنه قال: «كنتُ أتعلّم منه الخطب»[7].

كان من الطبيعي أن يترعرع الفنّ الشعري في أحضان تلك الفصاحة. ولا ـ غرو فالفصاحة دعامة متينة لكل شعر جيّد. وقد قال «ابن سلام» (ت276هـ/889م): «في «البحرين» شعر كثير جيّد وفصاحة»[8]. وأورد في معرض حديثه ثلاثة من شعراء المنطقة وهم «المثقّب العبدي»، و«الممزّق العبدي»، و«المفضل بن معشر بن نكرة»[9]. وقد أشرنا إلى قول «الجاحظ» أنّ عبد القيس التي نزحت إلى «البحرين» أصبحت أشعر قبيل في العرب.

ليس من مهمّتنا تتبّع كل شعراء «البحرين» منذ الجاهلية حتى القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، وسنكتفي باستعراض سريع لإعطاء فكرة عامة عن حالة الشعراء في هذه المنطقة للتعرّف على مساهمتها، ولكون ذلك العطاء القاعدة التي شكّلت المسار الشعري، ورفدته، ورسمت اتجاهاته وحدوده.

ففي العصر الجاهلي تورد المصادر شعراً للكثير من شعراء المنطقة من بكريين وعبديين وغيرهم. وعلى رأس هؤلاء جميعاً يأتي «طرفة بن العبد» ـ من بكر بن وائل ـ وهو من شعراء جزيرة «البحرين»، وجده «سعد بن مالك» وخاله «المتلمّس بن عبد المسيح»،

---

(1) المسعودي، المروج، مصدر سابق ج3 ص46.
(2) المصدر نفسه، ج3 ص54.
(3) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، مصدر سابق، ج1 ص327.
(4) المسعودي، المروج، مصدر سابق، ج3 ص46.
(5) المصدر نفسه، ج3 ص49.
(6) المصدر نفسه، ج3 ص48.
(7) العسقلاني، ابن حجر، الإصابة، مصدر سابق، ج2 ص200.
(8) الجمحي، محمد بن سلام، طبقات الشعراء، إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي في طبعة ليدن، دار النهضة العربية، بيروت، 1916، ص69.
(9) المصدر نفسه، ص69 و70.

وأختـه «خرنق». وقد أشـرنا قبل قليل إلى ثلاثة شـعراء جاهليين مـن عبد القيس ذكرهم ابن سـلام في طبقاته. وهناك المرقّشـان الأكبر والأصغر، و«عمرو بن قميئة» وغيرهم[1]. هذا عدا المغمورين والمقلّين[2].

ومنـذ فجر الإسـلام طرأ تغييـر في مواطـن القبائـل العربية. ونظـراً لنــزوح الكثير من رجـال عبد القيس وغيرهـا إلى «البصرة» و«الكوفـة» على وجه الخصوص بعـد تمصيرها فقد عدّوا من العراقيين أو في عدادهم.

مـن الشـعراء العبدييـن فـي القـرون الإسـلامية الأولـى «بشـر بن منقـذ» المعـروف بـ «الأعـور الشـنّي»[3] و«زياد الأعجـم» مولى عبد القيـس[4]، و«تميم بن أبيّ بـن مقبل»[5]، و«قثم بـن خبيئة» ـ الصلتـان العبدي[6]. ومن المقلّين يورد «البحتـري» مجموعة كبيرة نذكر منهم على سـبيل المثال «مويلك بن قابس العبدي»[7]. أما «المرزباني» فيذكر عشـرة شـعراء عبدييـن إضافة إلى «قراد السدوسي البحراني»[8].

الإنتاج الشـعري في القرنين الرابع والخامس الهجرييـن يلفّه ظلام دامس عدا ومضات هنا وهناك. ونحن نعتقد أن الشعراء لم يصمتوا أو تخرس ألسنتهم، وربّما كان تتابع الأحداث السياسـية وعنفها في العهد القرمطي قد ألهاهم، أو أن الظروف حالت دون وصول ما أنتجوه من شعر.

---

(1) عوّلنـا في هذا الجزء من الدراسـة على ما ذكره محمد علي التاجر في مسـودّات مؤلفـه المخطوط «منتظم الدرّيـن فـي تراجم علمـاء القطيف والأحسـاء والبحريـن». ونعتقد أننا لسـنا بحاجة إلى ذكـر المصادر التي ترجمت للشـعراء المشـهورين فهي كثيرة ومعروفة. وسـنكتفي بالإشـارة إلى المصادر التي عرضت للشعراء المقلّين.

(2) تـرد أسـماء الكثيـر مـن الشـعراء العبدييـن المغموريـن في معجـم الشـعراء لمحمد بـن عمـران المرزباني تُراجـع مثـلاً ص224 و385 وفـي حماسـة البحتـري، أبـو عبـادة الوليـد بـن عبيـد، ضبـط الأب لويس شـيخو اليسـوعي، ط3، دار الكتـاب العربي، بيروت، 1967، ص254 على سـبيل المثال وفـي «المؤتلف والمختلف» للآمدي، الحسن بن بشر، ص158 مثلاً.

(3) ابن قتيبة، الدينوري، عبد اللّه بن مسـلم، الشـعر والشـعراء، دار إحيـاء الكتب العربيـة، القاهرة، 1964، ج2 ص621.

(4) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني، الدار التونسية للنشر، 1963، ج15 ص307 وما بعدها.

(5) الجمحي، ابن سـلام، طبقات الشـعراء، مصدر سـابق، ص34؛ وابن قتيبة، الشعر والشـعراء، مصدر سابق، ج1 ص424 وما بعدها؛ وحماسة البحتري، مصدر سابق، ص112 و123 و152 و160 و167 و200 و256.

(6) المصدر الأول نفسه، ص95 و96؛ والآمدي، المؤتلف والمختلف، مصدر سابق، ص154.

(7) حماسـة البحتري، مصدر سـابق، ص215 وذكر هذا الشـاعر كل من أبي تمّام في حماسته، ج2 ص902 والتي بشـرح المرزوقـي، والمرزبانـي فـي معجـم الشـعراء ص363. وممّـن ذكر لهـم البحتري شـعراً في حماسـته سلمة بن أبي حبابة العبدي ص27 والجمّال بن سلمة العبدي ص40 و46 و164 و169.

(8) نذكر منهم عمرو بن أوس العبدي ص232، وعمرو بن دراك العبدي ص40 و46 و164 و169.

فالقرامطة، رغم ما نسب إليهم من مساوئ ظهر فيهم أدباء وشعراء. فكبيرهم «الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي القرمطي» المعروف بالأعصم كان شاعراً[1] (ت 366هـ/976م)، كما أن كاتبهم «أبا الفتح الحسين بن محمود» المشتهر بـ «كشاجم» من أعلام الشعراء[2].

في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي تشير المصادر إلى الشاعر «محمد بن يوسف بن قائد» الملقّب بموفّق الدين ويصفه «ابن خلكان» بأنه مقدّم في العربية، متفنّن في أنواع الشعر، ومن أعلم الناس بالعروض والقوافي، وأحذقهم بنقد الشعر، ومعرفة جيّده من رديئه، وبدأ في نظم الشعر وهو صبي صغير بـ «البحرين»[3].

بين القرنين السادس والسابع الهجريين يلمع في «البحرين» نجم الأمير والشاعر «علي بن المقرّب العيوني»[4].

تتضح ـ وإلى حدٍّ ما ـ معالم الشعر منذ القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، ونستطيع أن نتعرّف على شعراء الجزيرة بصورة أوضح. وحسبما توفر لنا من مصادر تبرز أسرة المتوَّج، بأجيالها الثلاثة، كأكبر الأسر شاعرية وعلماً. فـ «عبد اللَّه بن المتوَّج» كان شاعراً، عالماً، وكذلك ابنه «أحمد»، ثم «ناصر بن أحمد». ونظراً لكون الأجيال الثلاثة شعراء، يبدو أن شعرهم قد تداخل. وبخصوص الجدّ يُقال: إنه كان أديباً وشاعراً مجيداً وله شعر في مراثي أهل البيت بلغ عشرين ألف بيت[5]. أما «أحمد» فقيل: إن له شعراً جيّداً كثيراً، ومراثٍ لـ «الحسين»، وله نظم قصة أخذ الثأر[6]. وقد أشار «علي البلادي» إلى أن لـ «ناصر بن أحمد» أشعاراً كثيرة، منها نظم مقتل الحسين، ومراثٍ كثيرة، ومدح للإمام علي.

أما الخوانساري فقد ذكر أن لـ «أحمد بن المتوَّج» ديواناً في رثاء أهل البيت، يحوي عشرين ألف بيت في مجلّدين، وتوجد في بعض المواضع ما يشير إلى نسبتها إليه[7].

وإذا صحّ ما قيل، وبسبب غياب أغلب ذلك الشعر فنحن نعتقد أن هذا الكمَّ الكبير الذي أشير إليه، وربما كان للأسرة بأجيالها الثلاثة، وللأسف فإن نسّاخ الشعر لم يكونوا

---

(1) ينظر ما قاله من شعر بديهة عند الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات، دار صادر، بيروت، 1973، ج1 ص318 ووردت ترجمته عند الزركلي، خير الدين، الأعلام، مصدر سابق، ج2 ص179.

(2) تاريخ ابن خلدون، مصدر سابق، ج4 ص119.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ج5 ص9 وما بعدها.

(4) آخر طبعات ديوانه أصدرها المكتب الإسلامي بدمشق سنة 1961م. وعدد أبياته حوالي 5329 بيتاً. يُراجع الخطيب، أحمد، «شعر علي بن المقرّب العيوني»، مصدر سابق ص129.

(5) التاجر، مسودّات مخطوطة منتظم الدرّين، مصدر سابق، ترجمة رقم 508.

(6) البحراني، يوسف، «لؤلؤة البحرين»، مصدر سابق، ص175 و180.

(7) الخوانساري، روضات الجنّات، مصدر سابق، ج1 ص70.

يعيـرون قائـل القصيدة أي اهتمام. وهناك آلاف الأبيات من شـعر الفترة غير منسـوب. وربّما هـذا ما حدا بالشـعراء على تذييل بعض القصائد بذكر أسـمائهم أو أسـماء آبائهـم وعائلاتهم. لكـنّ المشـكلة تبقى قائمة حين يكتفي الشـاعر بذكر اسـمه العائلي ويكون فـي العائلة أكثر من شاعر.

وفي القرنين التاسع والعاشر الهجريين/الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين يزداد تدفّـق الشـعر البحرانـي، وتطالعنا عشـرات الأسـماء من الشـعراء خاصـة الرثّائيـن لآل البيت، نذكـر علـى سـبيل المثـال «مفلح بن حسـن الصيمـري»، ويقـال: إن لـه شـعراً كثيراً فـي رثاء «الحسـين»[1]، و«سـعيد بن يوسـف الجزيري» وله منظومة في رثاء الإمام علي تقارب الأربع مئة بيت[2]. و«عبد النبي المقابي»[3].

ومن شـعراء «البحرين» في القرن العاشـر الهجري/السـادس عشـر الميلادي «راشد بن سـليمان الجزيـري»[4]، وأبرزهـم «داود بـن أبـي شـافيز» وعـده البعـض مـن حسـنات القرن العاشر[5].

ونظراً للصلة الوثيقة والارتباط المتين بين شـعر القرن العاشـر وشعر الفترة المدروسة سنرجئ الحديث عنه للفصول القادمة.

---

(1) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص75.

(2) التاجر، مسـودّات مخطوطة المنتظم، مصدر سابق ترجمة 346. وشـبّر، جواد، أدب الطف،مؤسسة الأعلمي، بيروت، ج5 ص49.

(3) أورد له صاحب أدب الطفّ في ج5 ص50 أبياتاً داليّة عثر عليها ضمن المجموعة الخطّيّة السالفة الذكر.

(4) أورد لـه فخـر الديـن الطريحـي في منتخبـه ص95 قصيـدة لامية (طويل). واستشـهد شـبّر، جـواد، في أدب الطفّ، مصدر سابق، ج5 ص51 بأبيات منها.

(5) الأمينـي، عبد الحسـين، الغديـر فـي الكتـاب والسـنة والأدب، ط4، دار الكتـاب العربـي، بيـروت، 1977، ج11ص232.

الباب الأول

بيئة الشعر البحراني

إذا كان الشعر مرآة الحياة فمن الطبيعي أن يتأثّر سلباً وإيجاباً بكل ما يعرض من أحداث سياسية وما يسود من نظم اجتماعية وألوان ثقافية.

ومما لا شك فيه أن هذه الأحداث والنظم هي عنصر فعّال في تشكيل نظرة الشعراء إلى الحياة، وما يسود نتاجهم من روح تفاؤلية أو تشاؤمية، وما يصطبغ به فنّهم من مشاعر شتّى.

وانطلاقاً من هذه المقولة نعرض ـ بشكل سريع ـ لما تتابع على «البحرين» من أحداث سياسية وما ساد فيها من نظم اجتماعية وألوان ثقافية، في محاولة لاستكناه تجربتها الشعرية وفهم أبعاد روحها.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية

منـذ مطلـع القـرن العاشـر الهجري/السـادس عشـر الميـلادي تتابـع علـى «البحريـن» أحـداث سياسـية متعددة أثّرت في حياتهـا الاقتصادية. ومن ثمّ كان لها دورها الهام في رسـم حدود نظمها الاجتماعية وتشكيل أُطر حياة أبنائها.

ويمكـن للباحث فـي تاريخ «البحريـن» الحديث ملاحظـة تتابع ثلاث فترات رئيسـية. وهـي إن اختلفـت فيما بينها من حيث الطول الزماني إلا أنها تشـكّل ما يمكن اعتباره مراحل ثلاث:

الأولـى وتتمثّـل فـي الحكـم البرتغالي وهي تقـارب المئة عـام. والثانية تشـمل الحكم الإيراني وما تخلّلها من محاولات رمى أصحابها من ورائها إلى الاسـتقلال بالبلاد، وقد تواصلت ما يقرب من المئة وخمسـين عاماً. والثالثة فترة الحكم الخليفي وتمتدّ طوال مئتي عام وهي ما زالت مستمرة.

الفترة الأولى: الاحتلال البرتغالي من 928 هـ/1521م إلى 1032 هـ/1622م:

تعتبـر الرحلات الجغرافية البرتغالية إلى الشـرق وما أعقبها مـن احتلال لبعض مناطق «الهنـد» و«الخليـج» الخطـوة الأولـى للاسـتعمار الأوروبي الحديـث. فقد لفتت أنظـار الدول الأوروبية إلى أهمية الشرق.

وكان البرتغاليون يرمون من رحلاتهم إلى السـيطرة على تجارة الشرق وثرواته ملبسين هـذا الهـدف لباسـاً دينيـاً. يقـول «عمانويـل الأول» ملـك البرتغـال عنـد بعثـه أول حملة إلى الشـرق: «إن الغـرض مـن اكتشـاف الطريق البحـري إلى الهند هو نشـر المسـيحية والحصول على ثروات الشرق»[1].

الوضع الإسلامي العام عند مجيء البرتغاليين:

كانـت الظروف مواتية لتحقيق أطماعهم على جميع الأصعدة، بسـبب انشـغال القوى الإسـلامية بصراعـات مذهبيّـة وتوسـعيّة فيما بينهـا، فالصفويـون يعملون على توطيـد دعائم

(1) مجلـة الوثيقـة، مصدر سـابق، العـدد 12 ص14. مقالة بشـير كاظـم. تنظر أيضاً رسـالة الملـك البرتغالي إلى أسـقف «براغـا» يعلمـه فيهـا بالمكتسـبات التـي حقّقهـا، ويبشّـره فيهـا بانتصـار كبيـر علـى الإسـلام. مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 4 ص120 والعدد 10 ص163.

دولتهـم[1]، والصـراع الطائفـي محتـدم بينهـم وبيـن الدولـة العثمانية، ثـم تفجّر الصـراع إلى معارك حربية.

أمـا القـوى المحليـة فكانت علـى درجة كبيـرة من الإعيـاء والتفـكّك نتيجـة الخلافات القبليّـة والمنافسـات الأسـرية. وبرزت على السـاحة قوتـان متنافسـتان، مملكـة «هرمز» من ناحيـة، وشـيوخ الجبور ـ مـن بني عقيل بـن عامر ـ ملوك «الأحسـاء» من ناحيـة أخرى. وكان هؤلاء يسيطرون على «البحرين» و«الأحساء» و«القطيف» ومقاطعات عمانية إذ ذاك.

تطـوّر الأمـر إلى قيـام البرتغاليـين بعمليات عسـكرية ضـد مملكة «هرمز»، وسـيطروا عليهـا نظراً لما تتمتّع به من موقع هام يجعلها تتحكّم في مدخل الخليج، وطمعاً في ثرواتها، وكانـت تشـكّل أكبـر تنظيم سياسـي اقتصادي حينـذاك[2] ومنذ عـام 1507 اضطـر ملكها إلى دفع جزية سنوية للبرتغاليين، وأن يكون حليفاً خاضعاً لهم.

وضع «البحرين» عند مجيء البرتغاليين:

ظلّـت «البحرين» موضعاً للصراع الحاد بين ملوك «هرمز» ومنافسـيهم الجبور ـ ملوك «الأحسـاء» الذين خلفـوا بني عصفور. وقد تمكّن هؤلاء من السـيطرة على «البحرين»، إلا أن منافسـيهم ملـوك «هرمـز» أرسـلوا حملـة عسـكرية إليهـا عـام 917هـ/1511م وانتزعوها من الجبريين. على أن هؤلاء ما لبثوا أن استعادوها[3].

فـي عـام 928هـ/1521م تعرّضـت «البحرين» لهجـوم برتغالي هرمزي مشـترك، وكانت نـذر الحـرب التي وصلت منـذ وقت طويل نسـبياً أتاحـت لهم فرصـة تنظيم قواتهـم. فأعدّوا أسـطولاً كبيراً، وأقاموا التحصينات والأسـوار. وقاد الجيش السـلطان «مقرن بن زامل» بنفسـه. وأثنـاء المعركة جـرح ومات بعد ثلاثـة أيام[4] ففتّ ذلك في عضد جيشـه، وتـمّ الاحتلال في شهر يوليه عام 1521م[5].

---

(1) قامت الدولة الصفوية في إيران من 907 – 1148هـ/1502 – 1736م وجعلت التشـيّع المذهب الرسـمي للدولة. يُراجع عنها: دونالد ولبر ص86 وما بعدها. والشابي، علي، الشيعة في إيران، مصدر سابق، ص155 وما بعدها.

(2) فـي أهميـة هرمز تُراجـع مجلة الوثيقة، العـدد 4 ص79 وما بعدهـا مقالة أحمد العنانـي والعدد 12 ص44 وما بعدها مقالة جمال زكريا قاسم.

(3) فـي الصـراع بيـن الهرامـزة والجبور علـى «البحريـن» تُراجـع مجلة الوثيقـة، مصدر سـابق، العـدد 4 ص80، مقالة أحمد العناني.

(4) تفاصيـل المعركة في مجلة الوثيقة، مصدر سـابق، العدد 1 ص134 وما بعدها دراسـة بعنوان «صفحات من تاريـخ النفـوذ البرتغالي في البحرين» لم يذكر اسـم الكتـاب والعدد 4 ص96 وما بعدهـا ضمن مقالة أحمد العناني والعدد 8 ص126 وما بعدها مقالة نونو. بي. سلفا.

(5) مجلـة الوثيقـة، مصـدر سـابق، العـدد 3 ص96 ضمن مقالـة علي بن حسـين والعـدد 8 ص127 ضمن مقالة نونو بي سلفا.

تميّزت السياسة البرتغالية بالهمجية والوحشية، فحين احتلّوا «عمان» في عام 912هـ/1507م روّعوا أهلها بنهب المدن وتدمير الموانئ وحرق السفن وهدم المساجد والمعابد. كما جدعوا أنوف المواطنين، وقطّعوا آذانهم، وفتكوا بالنساء والأطفال. وكان قائدهم «ألفونسو دي البوكيرك» يشرف بنفسه على المجازر الرهيبة في الموانئ[1]. وكان القادة يكتبون بتلك المساوئ إلى ملكهم بافتخار بالغ عن حرق بلاد الكفار - أي المسلمين - وتعذيبهم[2].

وحين استولوا على «القطيف» دكّوا قلاعها حتى ساووا بها الأرض[3]. ومن الطبيعي ألا يختلف أسلوبهم في تعاملهم مع «البحرين»[4].

وبهدف إحكام سيطرتهم عليها لجأوا إلى استخدام سلاح الطائفية المذهبية. فنظراً لغلبة التشيّع على «البحرين» عيّنوا عليها حاكماً مسلماً أعجمياً سنيّاً، وهو بدوره يتخذ له وزيراً من جنسه. ولكونه مسلماً لا تنفر منه نفوس أهل «البحرين». ولأنه أعجمي لا ينحاز إلى جانب المواطنين العرب. كما إن صبغته المذهبية تؤمّن لهم عدم ميله إلى الأهالي أو الصفويين[5]. ويذكر أن أولئك الحكام اتسموا بالصلف والجفاء وكانوا يعاملون المواطنين معاملة قاسية[6].

ضاق سكان المنطقة بعسف البرتغاليين. وربما كان أشدّهم ضيقاً حكّام «هرمز». وحين تبيّن لـ «تورانشاه» ـ أحد ملوكهم ـ أن هؤلاء المستعمرين لم يحالفوهم إلا للسيطرة العسكرية والاقتصادية عليهم، بادر إلى اهتبال فرصة اضطر فيها البرتغاليون إلى سحب جزء من قواتهم في الخليج لمواجهة بعض الصعاب في «الهند»، فوضع خطّة لمهاجمة الحصون البرتغالية دفعة واحدة، في ليلة واحدة في كل من «هرمز» و«البحرين» وغيرها من مناطق نفوذه. وأسفرت تلك الخطّة عن قتل عدد كبير من البرتغاليين إلا أنها فشلت بشكل عام[7].

وقد هاجم أهل «البحرين» برئاسة «حسين بن سعيد» القلعة التي تحصّن فيها

---

(1) لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق، ج1 ص12 و13؛ ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 1 ص120 من دراسة لم يذكر اسم صاحبها.

(2) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 4 ص78 من مقالة أحمد العناني.

(3) المسلم، محمد سعيد، ساحل الذهب الأسود، منشورات دار الحياة، بيروت، ص42.

(4) تُراجع مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد1 ص193 وكذلك العدد4 ص98 مقالة أحمد العناني.

(5) إشارة إلى ذلك في كشكول يوسف البحراني، مصدر سابق، ج1 ص129؛ يُراجع أيضاً للتاجر، محمد علي، مسودّات مخطوطة عقد اللآل، مصدر سابق، ص84 و85؛ وصبحي، أحمد، البحرين ودعوى إيران، مطبعة عوف، الإسكندرية، 1963، ص66 و67؛ وبلجريف، جيمس، البحرين ترحب بكم، مصدر سابق، ص138.

(6) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج1 ص129؛ مجلة صوت البحرين، العدد 12 السنة الثانية ص27، مقالة عبد الرسول الجشي.

(7) تُراجع مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 12 ص51 و52 والعدد 1 ص138 و139 والعدد 4 ص98.

البرتغاليـون وقبضـوا على قائدهم. وكان جبّاراً متغطرسـاً وشـنقوه بتعليقه على جذع شـجرة، بَيْدَ أن وصول المدد البرتغالي أحبط الهجوم وأعاد نفوذهم[1].

في عام 936هـ/1529م تعرّضت «البحرين» لهجوم برتغالي آخر بسـبب امتناع حاكمها عـن دفـع الضريبة المقرّرة. فعمـدوا إلى إطلاق النار عليهـا وضربها بالمدافـع ثلاثة أيام حتى نفـدت ذخيرتهـم. وحيـن وصل المـدد كانـت الحمى قد تفشّـت بيـن جنودهم. فسـمح لهم المدافعون بالانسحاب إلى سفنهم[2].

دور الأتراك في «البحرين»:

ظـلّ البحرانيون يتحيّنون الفـرص للتخلّص النهائي من العسـف البرتغالي، وحين احتلّ السـلطان «سـليمان القانونـي» «بغـداد» عـام 941هـ/1534م وتطلّـع إلى بسـط نفـوذه على الخليج العربي أرسل حكّام «البحرين» و«الأحساء» وفداً لتهنئته[3].

وقـد شـرع الأتـراك فـي طـرد البرتغاليـين مـن المحيـط الهنـدي ابتـداءً مـن عـام 945هـ/1538م. وتكررت محاولاتهم ولكن دون نتائج تذكر[4].

طرد البرتغاليين من «البحرين»:

بعـد عجـز الأتـراك وملوك «هرمـز» عـن طـرد البرتغاليين تطلّـع أهل «البحريـن» إلى الدولة الصفوية لتعينهم على التخلّص من بطشـهم. وسنحت الفرصة في عام 1011هـ/1602م حيـن قام حاكم الجزيرة ـ وهـو قريب ملك «هرمز» وحليف البرتغاليـين ـ بقتل أحد الوجهاء ليسـتحوذ على مجموعته النادرة من اللؤلؤ. وقد تمكّن شـقيق القتيل من قتل القاتل، ونصّب نفسـه حاكمـاً مكانـه وسـاعده الأهالـي على القبـض على جنـود الحاميـة البرتغاليـة واحتلال القلعة. ثم اسـتنجد بأمير «شـيراز»، فبعث له بقوّة عسـكرية سـاعدته علـى دحرهم[5]. وقام البرتغاليون بعدّة محاولات لاسترداد «البحرين»، بَيْدَ أن جميعها باءت بالفشل[6].

---

(1) التاجـر، محمـد علـي، مسـودّات مخطوطة عقد الـلآل، مصدر سـابق، ص38؛ ومجلـة الوثيقة، مصدر سـابق، العدد 1 ص139 والعدد 4 ص98 والعدد 8 ص128.

(2) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 1 ص139 والعدد 4 ص98 وما بعدها والعدد 8 ص128 وما بعدها.

(3) مجلة صوت البحرين، العدد 3، السنة الثانية ص7. ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 4 ص100 و101.

(4) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 8 ص129.

(5) بلجريـف: البحريـن ترحب بكم، مصدر سـابق، ص139. وألمحت إلـى ذلك مقالة في مجلـة الوثيقة، مصدر سـابق، العـدد 4 ص108 دون خـوض في التفاصيل. كما أشـارت إلى تلك الأحداث التقديمـات المصدّرة بها بعـض قصائد الشـاعر جعفر الخطـي المعاصر إليها. يُراجع على سـبيل المثـال تقديم القصيدتيـن الحائيتين الواردتين في أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج4 ص166.

(6) المصدر نفسه، ص139. ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 4 ص108 وما بعدها.

الفترة الثانية: مرحلة الحكم الإيراني وسماتها:

تتسم هذه المرحلة بالغموض، وتبدو وكأن المهتمين بتاريخ «البحرين» يتحاشون الاقتراب منها. وجلّ ما يعثر عليه الباحث نتفاً إخبارية مبعثرة هنا وهناك.

وتشير المقالة إلى تلك الفترة باقتضاب، وتذكر أنه لما ضعف أمر البرتغاليين، دبّت الفوضى ونشب الخلاف بين سكّان «البحرين»، فرفع أبناء الشيعة شكواهم إلى الشاه «عباس الصفوي» طالبين منه مساعدتهم. ثم تختزل ما يربو على المئة عام، وتكتفي بتعديد الولاة الصفويين[1].

ويظهر أن القوات الإيرانية غادرت البلاد بعد إنهاء مهمّتها. وقد أشار جامع شعر «الخطي» إلى مغادرة القائد الإيراني البلاد وبمعيّته عدد من أكابرها ربّما لتقديم الشكر[2].

ويبدو أنه نظراً لخلوّ البلاد من قوة عسكرية حاول البرتغاليون استعادتها. وهناك خبر مفاده أن الصفويين بعثوا في عام 1031هـ/1622م جيشاً لاحتلال «البحرين» بقيادة «قوليخان» فاحتلّها[3]، وعيّن عليها «سوندك سلطان». وحسبما يذكر أن هذا الوالي أحسن السيرة وعدل في الأحكام وألغى الضرائب المفروضة منذ أيام البرتغاليين[4].

في عام 1077هـ/1666م عُيّن (بابا خان)[5]، وكان جائراً ظلوماً فطلب أهل «البحرين» عزله فعزل، وخلفه «زمان سلطان بن قزل خان»[6]، ثم الأمير «مهدي قلي خان» الذي عزل ونصّب مكانه «قزاع خان».

لا يعني أن هذا التعديد صحيح أو تام بشكل دقيق، ولكنّه الوحيد الذي توفّر بين أيدينا. ونعتقد أن هناك الكثير من الحلقات المفقودة.

الظاهرة البارزة في هذه الفترة أن بعض الولاة الإيرانيين اتّسم حكمهم بالجور والطغيان ولدينا أبيات تحمل هجاءً لبعضهم. يقول أحد شعراء «البحرين»:

---

(1) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 1 ص80 و81 مقالة بعنوان (دراسة في تاريخ العتوب)، ولعلّ عذر الكاتب أنه لا يدرس الموضوع المذكور.

(2) يُراجع تقديم القصيدتين الحائيتين الواردتين في أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج4 ص166.

(3) يذكر ذلك النبهاني، محمد، في التحفة، مصدر سابق، ص73، ويقول: إن ذلك وقع في عام 1039هـ/1629م؛ يُراجع أيضاً التاجر، محمد علي، مسودّات مخطوطة العقد، مصدر سابق، ص86؛ ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 1 ص81، مقالة علي أبا حسين.

(4) التاجر: مسودّات مخطوطة العقد، مصدر سابق، ص86.

(5) يجعل التاجر في المرجع المذكور سابقاً تعيين هذا الرجل في عام 1064هـ/1653م وليس لدينا ما يؤكّد صحّة أيّ منهما. والمؤلف يخطئ فيجعل 1064هـ تقابل 1647م.

(6) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 1 ص81.

[كامل]

«مهـــدي قلـــي» صرفُـــوهُ عـــن بحرينـــا عَـــامَ الفتـــورِ وحكَّمـــوا «قَزَّاغـــا»
مَـــلأَ الفِجَـــاجَ ببغيِـــهِ وفُجُـــورِهِ فلـــذا أتـــى تاريخُـــهُ (قَـــدْ زَاغَـــا)[1]

ترتّـب على ذلـك وقوع جفوة بين بعـض علماء الديـن ـ القضاة ـ وبين الحـكّام الذين عيّنتهم «إيران»، ويصف «يوسف البحراني» «علي بن سليمان القدمي» (ت 1064هـ/1653م) بقوله: «تولّى الأمور الحسـبية وقام بها أحسـن القيـام وقمع أيدي الحكام وذوي الفسـاد»[2]. وفـي معـرض حديثـه عـن «علي بن جعفـر» ـ حفيـد العالم السـابق ـ يذكـر أنه تولـى الأمور الحسـبية وكان شديد التصلّب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذه في اللّه لومة لائم غير مداهن للأمراء والكبراء. فحسـده بعض أمراء البلاد وكاتبوا عليه السـلطان «سـليمان الصفـوي» (ح من 1077 إلى 1105هـ/1666 إلى 1693م) فأرسـل إليـه من أخرجه مقيّداً. ولما عرف حقيقة الأمر أطلقه[3].

ونحـن وإن كنا لسـنا متأكّدين من الأمراء المعنيين بالكلام هل هـم الإيرانيون أم أمراء «البحريـن» نفسـها؟ إلا أنّنـا نعثـر على عبـارة أكثر وضوحـاً لـ «سـليمان الماحـوزي» ـ قاضي القضـاة في «البحريـن» ـ يذكر فيها أنّـه كانت بينه وبيـن «محمد سـلطان بن فريدون خان» كـدورة. كمـا أن له هجـاءً في «كلب علي» وهو من حـكّام إيران على البحريـن[4]. ويبدو أنه نظـراً لنفـور أهـل «البحريـن» من الـولاة الإيرانييـن، عمـد الصفويون ـ وحسـبما يظهـر ـ إلى تعيين حكام عرب على أهل الجزيرة وأشـهر هؤلاء أسـرة «آل مذكور» التي برز اسمها. وكانت تحالف الصفويين.

وتتضـارب الآراء حـول الموطـن الأصلي لهذه الأسـرة. فالبعـض يعتبرهـا نجديّة الأصل، والبعـض الآخـر يراها تنتسـب لقبيلـة المطاريـش العمانيـة[5]. وليس لدينـا ما يؤكّـد أيّ رأي. وبشأن ابتداء حكم أسرة «آل مذكور» لـ «البحرين» هناك رأيان:

---

(1) التاريـخ بحسـاب الجمـل يسـاوي 1113هـ أي 1701م. يُراجـع البيتـان عنـد النبهانـي، مصـدر سـابق، ص74؛ والتاجـر، مسـودّات مخطوطـة العقد، مصدر سـابق، ص87. ولسـليمان الماحـوزي أبيات ميمية فـي ذمّ هذا الوالي وردت في السابق ص87، الحاشية العليا.

(2) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق ص14.

(3) المصدر نفسه، ص15.

(4) البلادي، علي بن حسـن، أنوار البدرين، مصدر سـابق، ص71؛ والبحراني، يوسـف، كشـكول البحراني، مصدر سابق، ج3 ص42.

(5) الـرأي الأول لمحمـد علـي العصفـوري: مخطوطـة تاريـخ البحريـن، ورقـة 17؛ والثانـي لأبـي حاكمـة، أحمد مصطفـى، في تاريخ شـرقي الجزيرة العربيـة، تعريب محمد أمين عبد اللّه، دار مكتبـة الحياة، بيروت د.ت. ص108؛ وخوري، فؤاد، القبيلة والدولة في البحرين، مصدر سابق، ص48.

الأول يذكر أن اتصالها بالصفويين تمّ في أيام عباس الأول[1] (ح من 995 إلى 1037 أي 1586 ـ 1627)، أما «لوريمر» وغيره فيحدّدون حكمها بعام 1753م[2]. ونحن وإن كنّا غير واثقين ثقة تامّة بصحّة الرأي الأول إلا أننا نعتقد أنه الأرجح[3].

تدهور السلطة الصفوية وتعرّض «البحرين» لعدّة هجمات:

ومنذ مطلع القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي وبتدهور قوة الحكم الصفوي، وتراخي قبضته، تعرّضت «البحرين» لسلسلة من الأحداث والاعتداءات المتلاحقة، رمى أصحابها إلى الاستيلاء على الجزر وأهمها:

أ ـ هجمات العتوب:

يذكر «يوسف البحراني» أنه في عام 1112هـ/1700م أغار العتوب[4] على «البحرين»، وعاثوا فيها فساداً، ويد الحاكم قاصرة عنهم، فكاتب شيخ الإسلام فيها هو «محمد بن عبد اللّه بن ماجد» الهولة[5] ليأتوا عليهم. فجاءت طائفة منهم، وقارعوا المعتدين وتضعضعت البلاد، وانكسر الناس أكابر وأصاغر حتى تمّ إجلاؤهم. وقد أرّخ والده هذه الواقعة بقصيدة ضاعت ولم يبقَ منها إلا البيت الأخير المشتمل على التاريخ وهو:

---

(1) مخطوطة «تاريخ البحرين» لمحمد علي العصفوري، ورقة 17. وفيها يذكر أن قدوم آل مذكور على «البحرين» كان في عام 1002هـ/1594م. ويشير إلى أنه في العام نفسه طلب الشاه عباس الصفوي من بعض أمرائه إرسال رجل عارف بأحوال الثغور والجزائر في الخليج والواقعة تحت الاحتلال البرتغالي ليسأله عنه. فبعث إليه بعُبيد آل مذكور. وبعد الاجتماع به جعله كسفير له في تلك الثغور. ويورد المرجع عدّة مراسلات بين عبيد والشاه الصفوي تتضمّن شرحاً لأحوال المنطقة.

(2) لوريمر، جون غوردون، دليل الخليج التاريخي، مصدر سابق، ج3 ص1268. يُراجع أيضاً النبهاني، التحفة، مصدر سابق، ص78؛ وأبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص109.

(3) على اعتبار أن الكاتب بحراني الأصل، بوشهري المولد والمسكن والمدفن. توفي عام 1349هـ/1930م (تُراجع ترجمته في مسودّات مخطوطة المنتظم لمحمد علي التاجر، مصدر سابق، ورقمها 882). ونعتقد أن إقامته في «بوشهر» – أحد ثغور إيران على الخليج – أتاح له التعرّف على تاريخ آل مذكور لأنهم عاشوا في الثغر نفسه. وربما أتيح له من المصادر ما ساعده على استقصاء أكبر قدر من المعلومات الصحيحة عنهم.

(4) العتوب نسبة إلى بني عتبة وهي القبيلة التي ينتمي إليها آل خليفة حكّام «البحرين» الحاليين وآل صباح حكّام الكويت. يُراجع أبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص74 وما بعدها.

(5) الهولة هم أولئك العرب الذين نزحوا إلى الشاطئ الشرقي للخليج واستقرّوا هناك مدة طويلة اكتسبوا فيها كثيراً من العادات الفارسية، إلاّ أنهم لم يتشيّعوا. وأهم مراكزهم بندر عباس وبوشهر، وقد عاد كثير منهم إلى الشاطئ الغربي في الخليج خلال القرن السابع عشر. الرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص36. وتتضمّن تسميتهم بالهولة أو الحولة معنى التحوّل – بقلب الحاء هاء حسب اللسان الفارسي – أي التحوّل من عرب إلى فرس وبالعكس.

[رجز]

قضيـــــــة القبيلـــــــة المعتديـــــــة وعـــام تلـــك (شـــتّتوها) فاحســـبه[1]

ويبدو أن الهجمات استمرت لفترات متقطّعة حتى تمكّن آل خليفة من احتلالها بعد ثمانين عاماً تقريباً من محاولاتهم الأولى.

ب ـ انتزاع الشيخ الجبري الحكم في «البحرين»:

استغلّ الشيخ «الجبري» ـ وهو من بقايا الجبريين حكّام «الأحساء» ـ ضعف السلطة في «إيران» وتعرّضها لاعتداءات خارجية[2]. فاستقلّ بـ «البحرين» وذلك في حدود نيف وعشر بعد الألف والمئة، أي مطلع القرن الثامن عشر. إلا أنّ الحاكم الصفوي «عباس الثاني» تمكّن من استعادتها حسبما يذكر «النبهاني»[3].

ج ـ الغزو العماني للبحرين:

في إطار الصراع بين «إيران» و«عُمان»[4] حول مناطق النفوذ استغلّت الأخيرة تضعضع القوة الإيرانية فشنّت عدة حملات مدمّرة على «البحرين».

الحملة الأولى: وقعت في حدود 1127هـ/1715م ويمدّنا «يوسف البحراني» بمعلومات قيّمة لكونه شاهد عيان، فيصف تأهّب البلاد للقتال فيقول: «اتفق مجيء الخوارج إلى أخذ بلاد «البحرين» فحصل العطال والزلزال». ويشير إلى حجم القوة المهاجمة والنتيجة النهائية فيذكر «قدموا أول مرة في غراب واحد ـ أي سفينة واحدة ـ وانضمّت إليهم الأعراب. فردّ اللّه كيدهم في نحورهم»[5]. ويبدو أن السبب في فشل هذه الحملة أن حجم القوة صغير، وأن استعداد «البحرين» جيّد.

الحملة الثانية: وقعت بعد سنة واحدة، وكان الاستعداد العماني أقوى، إذ قدموا في سبع سفن وانضمت إليهم الأعراب. ويبدو أن الغزو كان متوقعاً فقد استعدّ أهل «البحرين»

---

(1) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص442؛ ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 1 ص84، مقالة علي أبا حسين.

(2) ولبر، دونالد، إيران ماضيها وحاضرها، تعريب عبد المنعم محمد حسين، ط2، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1985، ص90؛ وأبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص53.

(3) النبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص74 وما بعدها، ويذكر المؤلف قصة يبدو عليها الخيال ليبرز استرجاع الصفويين للبحرين. ولا توجد أخبار معقولة يمكن التعويل عليها في هذا الصدد.

(4) يُراجع لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق، ج2 ص641.

(5) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص103 و443. ويقصد الكاتب بالأعراب العرب القاطنين على الساحل الإيراني للخليج.

بالأسلحة، وأرسل الشاه الصفوي «سلطان حسين» (ح في 1105 - 1135هـ/1693 ـ 1722م) جنداً من أهل «الرشت» ـ منطقة في «إيران» ـ وجملة من العسكر. ووقعت معركة حربيّة انهزم فيها العمانيون[1].

الحملة الثالثة: زاد تصميم العمانيين على أخذ «البحرين» فكثّفوا قواتهم، واتبعوا خطّة جديدة فحاصروا الجزر. فتضعضعت قوة أهل «البحرين» وفتحت البلاد قهراً. ويبدو أن الهزيمتين السابقتين قوّت رغبتهم في الانتقام، فارتكبوا جرائم فظيعة وأفرطوا في الوحشية[2].

قبعت «البحرين» تكتوي بنيران الغزو العماني. ومما عمّق الهوة الاختلاف المذهبي. فالعمانيون يدينون بالمذهب الخارجي، وغالبيّة أهل «البحرين» من الشيعة. وظلّ الناس يترقّبون ردّة الفعل الإيرانية لكونها حامية الذمار. وفي عام 1130هـ/1717م وصلت قوّة عسكرية إيرانية مرفوقة بجملة من الأعراب المرتزقة، ودارت الدائرة على عسكر العجم فقتلوا جميعاً وجرح الكثير من الناس، وأحرقت البلاد وفرّ السكان[3].

وبقيت «البحرين» تحت هذا الوضع وتداعى زعماؤها يستنجدون بالحاكم الصفوي لتخليصهم من محنتهم. وحين أحسّ هذا السلطان بعجزه عن التحرّك العسكري أمام العمانيين بادر بشراء الجزر بمبلغ كبير من المال دفعه لسلطانهم[4].

د ـ سيطرة الشيخ «جبارة الهولي» على «البحرين»:

أغرى ضعف الملوك الصفويين الشيخ «جبارة الهولي» ـ من أعراب بلاد «فارس» ـ فهاجم «البحرين». وبقيت تحت حكمه إلى أن تولّى «نادر شاه» حكم «إيران» (ح من 1148هـ/1735م إلى 1160هـ/1747م) فاستعادها في عام 1150هـ/1737م[5].

وللشيخ «يوسف البحراني» إشارات يذكر فيها ما أصاب البلاد من تخريب ودمار إبّان استيلاء الأعراب من الهولة عليها[6].

---

(1) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص103 و443.

(2) المصدر نفسه، ص103 و443.

(3) المصدر نفسه، ص110 و443.

(4) المصدر نفسه، ص444؛ ولوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق ج2 ص698، وبلجريف، جيمس، البحرين ترحب بكم، مصدر سابق، ص140.

(5) النبهاني، محمد، التحفة، مصدر سابق، ص77 وما بعدها؛ وبلجريف، جيمس، البحرين ترحب بكم، مصدر سابق، ص140.

(6) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص444 وفي ص73 ترد إشارة إلى ذلك.

هـ ـ حملة عُمانية رابعة:

بطرد «جبارة الهولي» حاولت «عمان» ملء الفراغ فهاجمت الجزر عام 1151هـ /1738م، وبعد احتلالها أمر إمامها بإشاعة النهب والقتل فيها ستة أيام. ففرّ من استطاع. وتصرّف في حكّامها وعلمائها بين قتل وسجن. وحين تناهت أخبار الغزو العماني إلى «نادر شاه» أمر والي «شيراز» بالتوجّه إلى «البحرين». ويذكر أنه بوصوله فرّ العمانيون، فولّى عليهم «كلب علي خان» وعيّن «غيث بن ناصر آل مذكور» بدلاً من والده الذي توفي في السجن[1].

ويبدو أن الاعتداءات العمانية كانت في مستوى حاد من العنف والقسوة، فطفقت ألسنة العلماء تصفها بألم ممضّ ومرارة شديدة. يقول «ياسين بن صلاح الدين البحراني» ـ وهو من علماء «البحرين» الذين اكتووا بنار هذا الحدث: «الطامّة العامّة الزلزال والمشتملة على جميع البلايا وشدائد الأهوال، الواقعة بأوقع الوقايع في جزيرتنا «أوال» فإنه قد جرّد عليها صارم العدوان وأفنى من كان فيها من السكّان وأضرم نار غاراته علينا حتى أباد كل من كان فيها...» ثم يصف بشاعة ما جرى من قتل فيقول: «مُلئت أزقّتها من القتلى والجيف من أولئك الأعلام والسادات وأولي الشرف، فقبورهم بطون الكلاب الضارية بعد أن سقوا مرّ الحتوف من ظبا السيوف الماضية»[2].

وتتجلّى وحشيّة العدوان العماني في هجومه على المدارس وقتله من فيها من علماء وطلاب. ويذكر صاحب أنوار البدرين أن بجزيرة «النبيه صالح» ـ من جزر «البحرين» الصغيرة ـ مدرسة تحتوي على قبور سبعين عالماً قُتلوا كلّهم في يوم من أيام الخوارج كما يسمّيهم، حتى دعيت بـ «كربلاء»[3].

الظاهرة البارزة في هذه الفترة هي استنجاد زعماء «البحرين» وعلمائها بالدولة الإيرانية كلما ألمّت بهم محنة. وكان لتلاحق المحن وعجزهم عن ردّها وقربهم منها موضع ومذهب ـ كما يقول النبهاني ـ أثر في ذلك. ومن زعماء «البحرين» الذين وفدوا على «إيران» طلباً للنجدة «عبد اللّه بن صالح السماهيجي»[4]، و«عبد اللّه بن علي

---

(1) النبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص78؛ والتاجر، مسودّات مخطوطة العقد، مصدر سابق، ص88 وما بعدها، وبلجريف، جيمس، البحرين ترحب بكم، مصدر سابق، ص141.

(2) التاجر، مسودّات مخطوطة المنتظم، مصدر سابق، ترجمته 988، وللشخص نفسه وصف آخر للحادث في أنوار البدرين للبلادي، مصدر سابق، ص221 وما بعدها. ينظر أيضاً وصف يوسف البحراني في كشكوله، مصدر سابق، ج2 ص399.

(3) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، المقدمة ص (ز)، ويذكر في ص60 أن المدرسة المنكوبة هي مدرسة الشيخ داود.

(4) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص103، والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص174.

البلادي»[1]. وكانت الدولة الإيرانية تتعاطف معهم أحياناً وتنجدهم، وتهملهم حين تكون أحوالها مضطربة. وقد استمر ذلك حتى فترة متأخرة نسبياً[2].

ومهما يكن من أمر فقد هدأت أوضاع «البحرين» لعدّة سنوات. ولما مات «كلب علي خان» بعد أربع سنوات من توليته لم تعيّن الحكومة الإيرانية بديلاً له، واكتفت بولاء أمراء آل مذكور العرب، وسلّمت الأمور الإدارية والسياسية للشيخ «غيث بن ناصر» حتى مات عام 1137هـ/1774م، فخلفه أخوه «نصر بن ناصر»[3].

وفي إمارته جدّت أحداث خطيرة شكلت حدّاً فاصلاً بين فترتين هامّتين. وفيها انهار الحكم الإيراني وبدأت صفحة جديدة في تاريخ «البحرين» الحديث.

الفترة الثالثة: الحكم الخليفي

وهو المرحلة الأخيرة إذ ما يزال مستمراً.

نسب آل خليفة:

ينتسب آل خليفة إلى بني عتبة، والعتوب حلف يضم أفخاذاً كثيراً تنتمي إلى عدّة قبائل هاجرت من مساكنها في «نجد» واستقرّت على ضفاف الخليج العربي قرب «البحرين». وأقدم من ذكر ذلك عنهم المؤرّخ «عثمان بن سند» (ت عام 1250هـ/1834م تقريباً)، قال: «ولهم في عنزة بن أسد نسبة. والذي يظهر أن بني عتبة متباينو النسب، لم يجمعهم في شجرة أمّ وأبّ ولكن تقاربوا فنسب بعضهم لبعض»[4].

هاجر العتوب من مواطنهم الأصلية ضمن إطار هجرة جماعية قبائل عنزة في غضون القرن الثامن عشر[5]. واندفعت تلك القبائل إلى سواحل الخليج طلباً للخيرات المتوفرة هناك، وكان أولئك النازحون قد تعرّضوا لقحط عظيم، خاصة في الفترة من 1076 إلى 1078هـ/1665 ـ 1667م حتى سمّي «صِلْهَام» هلك فيه عدد كبير من الناس والدواب[6]. وقد

---

(1) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق ص73؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص169.

(2) يُراجع الموقف السلبي لملوك إيران القاجاريين عندما استعان بهم السيد شبّر الستري (ت 1288هـ/1871م) والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص242.

(3) التاجر، محمد علي، مسودّات مخطوطة العقد، مصدر سابق، ص89 وما بعدها.

(4) نقلاً عن مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد1 ص82 مقالة علي أبا حسين. والعدد 4 ص14 مقالة عبد اللّه بن خالد آل خليفة وزميله.

(5) أبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص74.

(6) مجلة الوثيقة، العدد1 ص90، مقالة علي أبا حسين. وصِلْهَام: تعني الشديد.

استمرّت السنوات العجاف خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر[1].

المرجّح أنهم مضوا ما يقارب النصف قرن في تلك المنطقة قبل انتقالهم إلى «الكويت»، وقد هيّأت لهم هذه الظروف أن يصبحوا من روّاد البحر[2]. وقد ألمحنا إلى ما ذكره «يوسف البحراني» من مرور العتوب بـ «البحرين» وما تبع ذلك من عمليات سلب ونهب، ومهاجمة السفن التجارية. وقد أشارت إلى ذلك وثيقة عثمانية مؤرخة في عام 1701م[3]. وهي تتطابق مع الفترة نفسها التي ذكرها «يوسف البحراني».

وقع خلاف بين فرعي العتوب آل صباح وآل خليفة بعد استقرارهم في «الكويت»[4] ونتج عنه نزوح آل خليفة وأحلافهم إلى «الزبارة» في «قطر» عام 1180هـ/1766م. ويبدو أنهم تطلّعوا إلى «البحرين» حيث مغاصات اللؤلؤ، ومزارع النخيل الواسعة. إلا أنهم مُنعوا من نزولها[5].

بحلولهم في «الزبارة» نشطت تجارتها واستقطبت تجّار المناطق المجاورة لعدم فرض أية رسوم تجارية[6]. وكان من بين النازحين إليها «الجلاهمة»، وهم إحدى الأُسر العتبية الكبرى وكانوا أشهر روّاد البحر. وقد عرفوا بممارستهم البحرية منذ أخريات القرن الثامن عشر[7].

وما كادت تحلّ سنة 1193هـ/1779م حتى انتهى العتوب من بناء أسطول مسلّح يستطيع صدّ أيّ عدوان يقع عليهم[8]. وبازدهار «الزبارة» غدت منافساً قوياً لـ «البحرين» مما جعل «ناصر آل مذكور» يتحفّز للانقضاض عليها[9].

تفاقمت المنافسة بين عرب الساحل الإيراني ومنهم آل مذكور ـ حكّام «البحرين»

---

(1) أبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص74 و75.

(2) المصدر نفسه، ص76.

(3) تُراجع مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 1 ص102 مقالة علي أبا حسين، ونشرت عدة ترجمات لهذه الوثيقة التركية. يُراجع ص103 و104.

(4) النبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص82؛ وأبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص93 و94.

(5) يُراجع أبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ شرقي الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص91 و95 و96 و100 و109.

(6) المصدر نفسه ص100 و102.

(7) المصدر نفسه، ص102 و103 و104.

(8) المصدر نفسه، ص138.

(9) المصدر نفسه، ص115 و138.

مـن قبل «إيـران» ـ وبين العتوب على مصادر الثروة، وأدّت إلى نشـوب غـارات بين الطرفين عام 1197هـ/1782م.

فقـد أغـار عتوب «الزبـارة» و«الكويت» علـى «البحريـن» وأحدثوا خسـائر في مدينة «المنامـة»[1]، وإثـر ذلـك أصـدر حاكـم «شـيراز» أوامـره للشـيخ «نصـر» بتجريـد حملة ضد «الزبـارة» مسـتعيناً بالحكّام العرب على السـاحل الإيراني. فحاصرها ثم أنـزل قواته لمهاجمة قلعتها. ففوجئ بقوات ضخمة، ومن ثم تراجع منهزماً وتكبّد خسائر جسيمة[2].

الاستيلاء على «البحرين»:

توجّه «نصر آل مذكور» إلى «بوشهر» طلباً للمعونة الإيرانية واستعداداً لجولة جديدة. وسـاءت أحـوال «البحرين» بسـبب ضعف حاميتهـا. وزاد الأمور سـوءاً وقوع فتنـة أهلية بين أبنائهـا وانقسـامهم إلى فريقيـن: الأول بزعامة «أحمد بـن محمد آل ماجد البـلادي»، والثاني برئاسـة الحاج «مدن الجدحفصـي» الذي كان بمثابة الوزير لآل مذكـور. ونكاية بالجدحفصي قام البـلادي بدعوة آل خليفة إلى دخول «البحرين». وقد خدمت هذه الانقسـامات العتوب، هـذا علاوة على ما شـبّ من تناحر بيـن أفراد الأسـرة الحاكمة في «إيران»، ومـا نتج عنه من تضعضـع لقواهـا. لذلـك فحيـن هاجـم «أحمد بـن محمـد الخليفـة» «البحريـن» فـي عـام 1197هـ/1783م لم يجد مقاومة تذكر من حاميتها[3].

«البحرين» تحت الحكم الخليفي:

توالى على حكم الجزيرة منذ الاسـتيلاء عليها وحتى الثلاثينيات من القرن العشـرين ما يقارب الثمانية حكّام من آل خليفة. ويبيّن التخطيط في الصفحة التالية تسلسلهم:

---

(1) مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 4 ص21، مقالة عبد اللّه بن خالد آل خليفة وزميله، مصدر سابق.

(2) لوريمـر، جـون غـوردون، الدليل التاريخي، مصـدر سـابق ج3 ص1197؛ وأبو حاكمة، أحمد مصطفى، شـرقي الجزيـرة العربيـة، مصدر سـابق، ص236، نـصّ خطاب المنـدوب المقيم فـي البصرة إلى مجلـس الإدارة في لندن؛ ومجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 4 ص22، المقال السابق.

(3) لوريمـر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سـابق، ج3 ص1272؛ وللتفاصيـل تُراجع مجلة الوثيقة، مصدر سـابق، العدد 4 ص21 و22، المقالة السـابقة، وللشـاعر محمد بن عيسـى الخليفـة (1296 – 1384هـ/1878 – 1964م) قصيدة تغنّى فيها بانتصارات قومه وفتح «البحرين» في ديوانه ص89 وما بعدها.

أحمد بن محمد بن خليفة
1794 - 1783/1209 - 1179

سلمان بن أحمد
1820 - 1794/1236 - 1209

عبد اللَّه بن أحمد
1842 - 1820/1258 - 1236

محمد بن خليفة بن سلمان
1868 - 1843/1285 - 1258

علي بن خليفة بن سلمان
(قتل) 1869 - 1868/1286 - 1285

محمد بن خليفة بن سلمان
حكم عدّة شهور وأقصاه آل عبد اللَّه

محمد بن عبد اللَّه
أقصاه الإنكليز

عيسى بن علي بن خليفة
1923 - 1869/1342 - 1286

حمد بن عيسى
1942 - 1923/1361 - 1342

السمات العامة للحكم الخليفي:

خاض الحكم الخليفي خلال المئة عام الأولى من حكم «البحرين» العديد من الصراعات غلب عليها الطابع الحربي، تثبيتاً لدعائم الحكم.

الصراع مع قوى خارجية:

تعرّضت «البحرين» لأطماع خارجية عربية وغير عربية بهدف السيطرة على مواردها الاقتصادية. وكانت تتخذ شكل فرض الضريبة عليها أو ما سمّي بالزكاة. وصدرت تلك المحاولات من:

أ ـ الدولة العُمانية:

جدّدت تطورات الأحداث السياسية في «البحرين» رغبة العمانيين في الاستيلاء على الجزر. وإثر احتلال آل خليفة لها حدث تقارب بين إمام «عمان» وشاه «إيران». فوقّع الطرفان في عام 1214هـ/1799م اتفاقية للعمل ضد العتوب[1]. وأسفر ذلك التقارب عن وقوع عدّة حملات على «البحرين»:

الأولى عام 1215هـ/1800م وفيها احتلّ العمانيون «البحرين» سلماً. فتحالف حاكمها «سلمان بن أحمد» مع الوهابيين وأجلاهم[2].

الثانية في عام 1217هـ/1801م وفيها شارك إلى جانب العمانيين بعض البحرانيين وعرب الخليج كالشيخ «رحمة بن غيث»[3]. ومع انتصارهم اضطروا للانسحاب بسبب التهديد الوهابي للأراضي العمانية[4].

والثالثة في عام 1232هـ/1816م وفيها اندحر العمانيون[5].

والرابعة في عام 1245هـ/1829م حيث دارت حرب عنيفة انهزم فيها العمانيون[6].

---

(1) لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق، ج2 ص665 وج3 ص1274 و1275.

(2) المصدر نفسه، ج3 ص1275؛ والنبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص90.

(3) تُراجع مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 2 ص82، صورة المخطوطة، وعن مشاركة البحرانيين تنظر الشروط التي نصت على إعادة أموالهم وأملاكهم التي صادرتها السلطة الجديدة (ص103). ولا نستبعد أن تكون المصادرة هي السبب في مشاركتهم في الحملة.

(4) لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق ج3 ص1276.

(5) المصدر نفسه، ج2 ص698 وج3 ص1278 و1279؛ والنبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص98؛ والرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، ط1، دار ابن خلدون، بيروت 1936، ص16.

(6) لوريمر، جون غوردون الدليل التاريخي، مصدر سابق، ج2 ص698 وج3 ص1290 إلى 1295؛ والنبهاني، =

رغـم عنـف بعض هـذه الحملات إلا أنها تبدو أقل شراسـة وبطشـاً من حمـلات الفترة الأولـى. تـلا ذلـك محاولات أخـرى لاحتلال «البحريـن» لكن لم يكن لها شـأن يذكـر[1]. وجنح البلدان بعد ذلك إلى السلم.

ب ـ النـزاع مع الدولة السعودية:

اتّسـمت العلاقـة بين الطرفيـن بالتذبذب. فمنـذ البداية نلحـظ لوناً مـن التنافر وعدم الثقة وقد تقتضي المصلحة وقوع بعض التقارب أحياناً، فالوهابيون كانوا يكفّرون المسـلمين الذين ليسـوا على مذهبهم[2]. وما زاد في توتر العلاقة، المنافسـة علـى مناطق النفوذ خاصّة الغنيّـة منهـا. وكان السـعوديون (الوهابيـون) يتطلّعـون إلـى إيجـاد موضـع قـدم لهـم فـي «البحريـن». وقـد أتتهـم الفرصة حيـن طلب منهـم آل خليفة العـون لطرد العمانييـن، فخفّوا ملبّيـن، إلا أنـه بعد طـرد الغزاة منعهم القائد الوهابي من ممارسـة سـلطتهم كحـكّام، وفرض عليهم الضريبة... وحين احتجّوا أمر السـلطان السـعودي باقتحام «الزبارة» مدينتهم القديمة، وأجبـر ثلاثة من أمرائهم على التوجّه إلى «نجد» واحتجزهم أسـرى. وقد تمكّنوا من اسـترداد حريتهم وعادوا إلى حكم «البحرين» عام 1226هـ/1811م[3].

في عام 1246هـ/1830م بسـط السعوديون نفوذهم على «الأحساء» وطلبوا من شيوخ «البحريـن» دفـع الضريبـة (الـزكاة) عـلاوة علـى مبلـغ كبيـر كتعويـض. فاضطـر الحاكـم «عبد اللّه بـن أحمـد» إلـى الاعتراف بسـيادتهم، لعـدم مواتاة الظـروف، ودفعهـا على مضض مقابل حمايته ضد أيّ اعتداء خارجي.

وفي عام 1249هـ/1833م أعلن شـيخ «البحرين» تحـرّره منهم، وهاجم بعض موانئهم. إلا أن تعرّض «البحرين» لبعض الأخطار اضطره إلى فكّ الحصار ودفع ضريبة رمزية[4].

واسـتمرت العلاقـة مضطربة بيـن الطرفين. فحين كـفّ الوهابيون عـن مهاجمة الجزر سـاندوا المنشقّين، كما حاولوا التأثير في الداخل بإثارة القلاقل عن طريق بعض القبائل. وفي جميـع الحـالات كانوا يغضّـون الطرف لمجـرّد الحصـول على الـزكاة التي كانت تدفع بشـكل

= محمـد، التحفـة النبهانيـة، مصـدر سـابق، ص103؛ والرميحـي، محمـد، البحرين مشـكلات التغيير السياسـي والاجتماعي، مصدر سابق، ص16.

(1) لوريمر، جون غوردون الدليل التاريخي، مصدر سابق، ج2 ص717.

(2) يظهر التبرم من تعاليم الوهابيين من بقايا أرجوزة خليفة بن محمد الخليفة التي يقول فيها: (طويل)

ويـا بدعـةً مـا قـد سـمعنا بمثلِهـا تُكَفِّـرُ كلَّ النـاسِ حتَّـى الموحِّـدَا

(3) لوريمـر، جـون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سـابق، ج3 ص1286 وما بعدهـا؛ والنبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص91 وما بعدها، والريحاني، أمين، ملوك العرب، مصدر سابق، ج2 ص259.

(4) المصدر نفسه، ج3 ص1297 – 1299؛ والنبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص104 وما بعدها.

متقطّع. وبقيت على هذا النحو من التذبذب حتى عام 1332هـ/1913م، حين اتخذت مساراً طبيعياً، واتجهت نحو التحسّن[1].

ج ـ الصراع مع قطر:

احتدم بدرجة كبيرة وتجلّى في العديد من الوقائع الحربية التي اندلعت بسبب التنافس على مراكز السلطة والنفوذ. وأبرزها:

- معركة عام 1226هـ/1811م البحرية. ودارت بين زعيم قبيلة الجلاهمة وحلفائه الوهابيين وبين آل خليفة[2].
- معركة عام 1259هـ/1843م البرية بين الخليفيين وبين المنشقين عنهم والذين انضمّ إليهم زعيم قبيلة البنعلي حليف آل خليفة القديم. وسمّيت بخراب الدوحة الأول أو وقعة أم سوية[3].
- معركة عام 1284هـ/1867م أو خراب الدوحة الثاني وهي من أهم المعارك، ووقعت بين آل خليفة وأهل «الوكرة» ـ على الساحل الشرقي لـ «قطر» ـ وأهل «الدوحة». وفيها انتصر الخليفيون وأعملوا القتل والسلب والنهب في المهزومين. ويقال: إن المدينتين المذكورتين أزيلتا من الوجود[4]. وتعقّب المنتصرون فلول المهزومين وقاتلوهم[5]. وقد تمثّلت ردة الفعل في استعانة أهل «قطر» بأمير الوهابيين وفي وقوع اشتباك بحري كبير أسفر عن هزيمة القطريين[6].
- وفي عام 1313هـ/1895م لجأت بعض القبائل الساخطة على آل خليفة إلى «قطر»، فساعدها الحاكم في التخطيط لشنّ هجوم على «البحرين» إلا أنّ التدخل البريطاني أوقفه وسوّى المسألة[7].

د ـ الصراع مع إيران:

انبعث هذا الصراع بسبب مطالبة «إيران» بـ «البحرين» على اعتبار أنها جزء من أراضيها واشتدّت هذه المطالبة في الستينيات من القرن التاسع عشر. وشكّلت شبحاً يهدّد

---

(1) يُراجع الرميحي، البحرين مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص16.

(2) لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق، ج2 ص1201 والنبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص96 وما بعدها وقعة «خكيكرة».

(3) للتفاصيل يُراجع المصدران نفسهما، الأول ج2 ص1213 والثاني ص112.

(4) المصدران نفسهما، الأول ج2 ص1215 وج3 ص1347 وما بعدها؛ والثاني ص124 وما بعدها.

(5) المصدر الثاني نفسه، ص125 «وقعة الحمرور».

(6) يُراجع لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق، ج3 ص1215 و1347 وما بعدها؛ والنبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص126 وقعة «دامسة».

(7) المصدر الأول نفسه، ج3 ص1390 – 1394.

كيـان البحريـن العربـي. وقـد أثير النــزاع على المسـتوى الإقليمـي والدولي. ووصـل إلى حدّ التهديد بالقوة العسكرية من جانب «إيران» في بعض الأحيان.

وبنـت «إيـران» مطالبتهـا بـ «البحرين» علـى عدة عوامـل: أولهـا أن «البحرين» كانت تابعـة لحكمهـا لفترات طويلـة. وثانيها معاهـدة «شـيراز» لعـام 1238هـ/1822م المبرمة بين حاكم «شـيراز» والمقيم البريطاني. وثالثها خطابان من حاكم «البحرين» «محمد بن خليفة» يعترف فيهما بالحماية الإيرانية، ويقرّ بدفع الضريبة[1].

وظلّت مطالبة «إيران» بـ «البحرين» مستمرة وكانت تُثار حين يوقّع حكام «البحرين» معاهدات مع قوى خارجية، أو حين تحدث قلاقل داخلية. وقد حلّت المشكلة نهائياً[2].

النـزاع علـى الصعيد الداخلـي:

اندلع بين العديد من الأطراف المتنازعة وأبرزه:

أ ـ الصراع بين آل خليفة والقبائل المحالفة لها:

لـم تـرضَ بعـض القبائـل الحليفـة بمـا حصلـت عليـه مـن مكاسـب[3]، فالجلاهمـة - فـرع مـن العتوب - غادروا «البحريـن» مغاضبيـن لآل خليفة معتقدين أنهـم لم يكافأوا المكافـأة التـي يسـتحقونها. واتخـذ زعيمهم مـن «قطر» مقراً لـه. وعمد إلـى التعاون مع الوهابييـن ودخل في مجابهة عسـكرية مع حـكام «البحرين»[4]. كما حرّض إمام «عمان» علـى الإغـارة عليهـم[5]. واسـتمر فـي ذلـك حتـى قضـى نحبـه فـي إحـدى المعـارك التي خاضهـا ضدهم[6]. وتابعه في نفس المسـلك بعض القبائـل الحليفة الأخرى[7].

---

(1) دأب آل خليفـة علـى إعطـاء مثـل هذه الوعـود لأية جهة يعتقـدون بقدرتها على مسـاعدتهم كالسـعوديين والعمانييـن. يُراجـع لوريمـر، جون غـوردون، الدليـل التاريخي، مصـدر سـابق، ج3 ص1304 و1305 و1327 و1346 و1351؛ والنبهانـي، محمـد، التحفـة النبهانيـة، مصـدر سـابق، ص111؛ والرميحـي، محمـد، البحرين مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص16 و17.

(2) حلّـت عن طريـق الأمم المتحدة عـام 1970، يُراجع الرميحي، محمد، البحرين ومشـكلات التغيير السياسـي والاجتماعي، مصدر سابق، ص18.

(3) تُراجـع أسـماء القبائـل المحالفة عنـد لوريمر، جـون غـوردون، الدليل التاريخـي، مصدر سـابق، ج3 ص272 والرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص37.

(4) لوريمـر، جـون غـوردون، الدليل التاريخـي، مصـدر سـابق، ص1198 و1273؛ وأبـو حاكمة، أحمـد مصطفى، تاريـخ شـرقي الجزيـرة العربيـة ، مصـدر سـابق، ص105 و151 و152؛ والنبهانـي، محمـد، التحفـة النبهانية، مصدر سابق، ص96 «وقعة خكيكرة» وقد ألمحنا إليها قبل قليل.

(5) يُراجـع لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سـابق، ص1280؛ والنبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص98 وما بعدها وقعة «المقطع».

(6) التفاصيل في المصدرين نفسهما الأول ص1288 و1427 وما بعدها، والثاني ص102.

(7) لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق، ص1289 والجغرافي ج4 ص1344.

ومن صور التناحر الأخرى سرعة القبائل في تغيير مواقفها من مجريات الأمور[1].

ب ـ النـزاع بين الخليفيين:

بعد وفاة «أحمد بن محمد» أول حاكم خليفي عام 1211هـ/1796م خلفه ابناه «سلمان» و«عبد اللَّه». وبعد وفاة «سلمان» عمد «عبد اللَّه» إلى إقصاء أبناء سلمان، وتقريب أبنائه. فتفجّر جرّاء ذلك نزاع استمر طويلاً. وفي عام 1251هـ/1835م قام بعض أبناء «عبد اللَّه بن أحمد» بعصيان ضده، وبدعم من بعض القبائل قصد انتزاع الحكم منه[2]. وفي عام 1258هـ/1842م نشب نزاع مسلّح بين «عبد اللَّه بن أحمد»، الحاكم الفعلي، وأبناء أخيه «سلمان» بزعامة حفيد أخيه «محمد بن خليفة بن سلمان»، واستعان فيه الطرفان بالبدو الذين تقاطروا على الجزيرة طمعاً في الغنائم والأسلاب[3]. وأشار «عبد الجليل الطباطبائي» إلى ذلك النزاع فقال:

[رجز]

لفرقةِ القومِ جَرَى القِتَالُ وعَمَّ في الناسِ لها وَبَالُ

وألمح إلى أثر ذلك على البلاد والفرقتين المتنازعتين:

انْظُرْ إلى «البحرينِ» إذْ فِيها جَرَى مِنْ فِتْنَةٍ هُدَّتْ بها «أوَالُ»
في الفئتينِ أُهرِقَتْ دماءُ ليسَ لها فِي أَمْرِهِم مَجَالُ

كما أشار إلى المفارقات الاجتماعية التي تمخّضت عنها تلك الحرب[4].

وحين انتصر «محمد بن خليفة» أجلى عمّ أبيه «عبد اللَّه بن أحمد»، وتجدّدت الاشتباكات الدموية عام 1264هـ/1847م على برّ «قطر»[5].

---

(1) تُراجع المواقف المتقلبة لقبليتي البنعلي وآل بوعينين عند الرميحي، محمد، البحرين مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق ص14 وعند النبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق ص93 و100 و106 و109 و112 وما بعدها.

(2) لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق، ج3 ص1298؛ والنبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص106 «وقعة الحويلة» وترد في مجلة الوثيقة، مصدر سابق، العدد 7 ص13 إشارة إلى ذلك.

(3) لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، ص1311 وما بعدها، ويعدّد النبهاني مؤرخ آل خليفة، أربع وقائع خاضها الخصمان هي: وقعة الناصفة ص107 ووقعة سوق الخميس ص108 ووقعة الحنينية ص109 ووقعة المحرّق أو وقعة السابة. وقد أرّخت بقولهم «بوقعة «البحرين ذاب مال» وبقولهم «شرّ نحر شرّ» ينظر ص110.

(4) توفي الشاعر عام 1270هـ/1853م وكان يتولّى المراسلات الرسمية لآل خليفة. ينظر ديوانه ص (هـ). ووردت الأرجوزة المذكورة في ديوانه ص247 وما بعدها.

(5) لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق ج3 ص1213؛ والنبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق ص112 وقعة أم سوية.

وأنجد الوهابيون الفرع المهزوم، وتكرّرت الحرب مرات عديدة، وفي حدود عام 1280هـ/1863م جنح الطرفان للسلم.

وقد نشب نزاع بين «محمد بن خليفة» وشقيقه، وكان «علي بن خليفة» الساعد الأيمن لأخيه «محمد» طوال فترة حكمه[1]. وكان الحاكم قد أبرم اتفاقاً مع الإنجليز عام 1861 تعهّد فيه بالامتناع عن أية عمليات حربية مقابل حماية بريطانية له[2]. وقد عدّ الإنجليز مهاجمته لـ «قطر» عام 1867 تحلّلاً من المعاهدة. فقدم المعتمد البريطاني لمعاتبته، غير أنه ترك لأخيه «عليّ» مهمة التفاوض معه. وبعد أخذ وردٍّ وقّع الأخير اتفاقية كان من بنودها توليه السلطة بدلاً من أخيه «محمد»، وتمّ ذلك في سبتمبر 1868[3].

فشلت مساعي الصلح بين الشقيقين وأسفر النزاع عن صرف «علي بن خليفة» وعودة «محمد» إلى الحكم عام 1286هـ/1869م. وبعد فترة وجيزة وقع نزاع بين الحاكم الجديد وحلفائه من أبناء عمه «عبد اللّه» فتدخّل الإنجليز وقبضوا على زعيمي الطرفين المتنازعين ونفوهما ونصبوا «عيسى بن علي» حاكماً في العام نفسه[4]. وعمدت «بريطانيا» إلى إقرار نظام الوراثة بانتقال الحكم من الأب إلى الابن الأكبر[5].

وتألّم شعراء الأسرة الحاكمة لتلك الأحداث، فقال «محمد بن عيسى الخليفة» في إطار التأريخ لعشيرته[6]:

[رمل]

وأقمنَا ثم نَشَبَتْ فتنةٌ بينَنَا يا ليتها لم تنشبِ

وتوجّع «إبراهيم بن محمد» ـ ابن الحاكم المخلوع ـ لمنازعة الشقيق لوالده، فقال[7]:

[وافر]

فنازعَكَ الشقيقُ وكان قُدماً حسامُكَ والأُمُورُ لها انتزاعْ

---

(1) الريحاني، أمين، ملوك العرب، مصدر سابق، ج2 ص273.

(2) لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق ج3 ص1342 و1343؛ والنبهاني، محمد، التحفة النبهانية، ص127 وما بعدها.

(3) المصدران نفسهما، ج3 ص1350 وما بعدها، وص128 وما بعدها.

(4) لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق، ج3 ص1353 إلى 1356 والنبهاني، محمد، التحفة النبهانية، ص129 – 136.

(5) المصدر الأول نفسه، ج3 ص1395.

(6) ديوانه ص93 وهو المعروف بالوائلي.

(7) ديوانه ص36.

تصاعد التدخل البريطاني:

ترجع طبيعة الوجود البريطاني في الخليج أساساً لأغراض تجارية. فقد حرص هؤلاء على الإبقاء عليه كممرّ مائي مفتوح لتجارتهم دون منافسة، لأنه أقصر طريق يربطهم بـ «الهند» أهم مستعمراتهم.

وفي عام 1236هـ/1820م تمّ توقيع اتفاقية عامّة وقّعتها السلطات البريطانية مع رؤساء القبائل والتجمّعات السكنية في الخليج، ومن بينها «البحرين». وتعدّ تلك المعاهدة العامة أول التزام بريطاني مباشر بالأمن البحري هناك. وقد تبعتها عدّة اتفاقيات[1].

وعندما شاع خبر اعتزام «إيران» غزو «البحرين» عام 1258هـ/1842م أصدر المقيم البريطاني أمراً بمراقبة السفن المسلّحة. ومن بنوده أنه إذا حدثت محاولة للسيطرة على أرض تابعة للرؤساء العرب المرتبطين باتفاقيات وديّة مع الحكومة البريطانية فيجب الاحتجاج عليها. وإذا استمرت ينبغي مقاومتها.

وقد فسّر البريطانيون محاربة «محمد بن خليفة» القبائل التابعة له في «قطر» عام 1284هـ/1867م على أنه خرق لتلك المعاهدة. ورأوا أن استمراره في الحكم سيسبّب لهم متاعب جمّة. ومن ثم زار المقيم البريطاني «البحرين» في عام 1283هـ/1868م برفقة قوة من أسطول حكومة «الهند» البريطانية، وإثر رفض الحاكم التنازل عن الحكم أطلق النار على القلعة التي يقيم فيها، ففرّ إلى خارج البلاد. وبعدها أعلن المقيم تنصيب «علي بن خليفة» حاكماً لـ «البحرين».

وأهم ما تمخّض عنه الخلاف الداخلي تصاعد النفوذ البريطاني، وانتهى بتنصيب «عيسى بن علي» حاكماً على «البحرين» عام 1286هـ/1869م. وبهذه الجولة تدخل العلاقة بين الطرفين مرحلة جديدة.

وفي عام 1298هـ/1880م وقّع الحاكم الجديد مع «بريطانيا» معاهدة تعهّد فيها بربط نفسه وخلفائه من بعده بعدم الدخول في مفاوضات أو اتفاقيات مع أية جهة، كما يمتنع عن إقامة علاقات قنصلية أو محطات تموين دون موافقة الحكومة البريطانية[2].

ويظهر أنّ «بريطانيا» بقيت غير واثقة تماماً من قدرة الاتفاقية السابقة على إحكام

---

(1) للمزيد من التفاصيل يُراجع الرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق ص18 وما بعدها.

(2) لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق، ج3 ص1388؛ الرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص24.

قبضتها على الجزر، ومن ثم وقعت مع الحاكم نفسه معاهدة أخرى عام 1310هـ/1892م استكملت فيها ما عدّته ثغرات في السابقة[1] كما يبدو.

ونمت المصالح البريطانية في «البحرين» بعد ذلك. ومنذ مطلع القرن العشرين عمد الإنجليز إلى إجراء بعض الإصلاحات التي اعتبروها ضرورية[2]، وقوي نفوذهم بتزايد نشاط وكلائهم السياسيين.

ظواهر اجتماعية:

الهجرة:

أدّى تتابع الأحداث السياسية وعنف بعضها إلى هجرة الكثير من السكان. ويبدو أن النزوح من «البحرين» كظاهرة اجتماعية بدأ منذ الاحتلال البرتغالي وازداد بتعاقب الأحداث. ويذكر «لوريمر» أن الاحتلال العماني في عام 1131هـ/1718م انتهى نتيجة هجرة أهل البلاد هرباً من المظالم[3].

وزادت هذه الظاهرة إثر أحداث القرن التاسع عشر. ويشير «لوريمر» إلى أنه في الفترة من 1836 ـ 1838 أخذ تحمّل رعايا «البحرين» لنتائج الأحداث في التناقص يوماً بعد يوم. وأن الجزيرة بدأت تخلو من سكانها الذين نزحوا بشكل جماعي[4].

المهاجر التي نزحوا إليها:

أ ـ «القطيف»: وتقع على الساحل الشرقي للجزيرة العربية، وهي المهجر الرئيسي للبحرينيين. وقد اختاروها لقرب المسافة، ويسر وسائل النقل إليها، وللروابط المذهبية المشتركة بين البلدين.

وحين اجتاح العمانيون البلاد هرب الناس إلى «القطيف» لاسيّما أكابر البلاد وأعيانها. وقد خرجوا بمجرد الثياب التي عليهم[5]. ومن العلماء الذين هاجروا إليها «أحمد بن

---

(1) تُراجع المعاهدة عند لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق، ج3 ص1398 وورد نصها في الملحق ص1421 وكذلك الرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص24.

(2) المصدر الأول نفسه، ج3 ص1397 وما بعدها؛ والرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص24.

(3) المصدر الأول نفسه، ج3 ص1268؛ ويُراجع أيضاً بلجريف، جيمس، البحرين ترحب بكم، مصدر سابق، ص141.

(4) المصدر نفسه، ج3 ص1299 و1334.

(5) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص443؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص164. والمرجع الأول توفي مؤلفه في 1186هـ/1772م، وهو عبارة عن إجازة كتبها المؤلف لابني أخويه. ونظراً لمعاصرته تلك الأحداث القاسية ومعاناته لعنفها كان كثيراً ما يشير إليها.

إبراهيم آل عصفور» (ت 1131هـ/1718م)[1]. وفي فترة تالية نزح إليها «أحمد بن صالح بن طعّان» (ت 1315هـ/1897م) وغيرهم[2].

ونشير إلى أن «البحرين» و«القطيف» كانتا تتناوبان في احتضان النازحين من أبنائهما في فترات الاضطراب. فحين احتلّ العثمانيون «القطيف» و«الأحساء» في عام 958هـ/1550م وأبدوا نزعة طائفية. نزح كثير من أشراف «القطيف» إلى «البحرين»[3].

ب ـ «العراق»: كان تردّد أهل «البحرين» عليها مستمراً طوال العصور لأغراض تجارية وعلمية ومذهبية، وهي زيارة العتبات المقدّسة. ومن ثم اختارها كثيرون لتكون مهجراً لهم. وممن استوطنها من العلماء «يوسف بن أحمد آل عصفور» (البحراني)، والسيد «علي البحراني النجفي» (ت 1162هـ/1748م)[4]. كما قصد بعضهم منطقة «عربستان» بين «العراق» و«إيران»[5].

ج ـ «إيران»: ارتبط البحرينيون بـ «إيران» بعلاقات سياسية وعلمية[6] ومذهبية. ومن ثم ولّى الكثيرون منهم وجهه نحوها. وانتشروا في مدنها.

ومن علماء «البحرين» الذين استوطنوا مدينة «شيراز» السيد «ماجد بن هاشم»، وتوفي بها[7]، و«جعفر بن كمال الدين» ورفيقه «صالح بن عبد الكريم»[8].

قطن بعضهم توابع «شيراز» كـ«أحمد بن صالح» الذي استوطن بلدة «جهرم»[9]، كما سكن بعضهم مدينة «أصفهان» كـ «محمد بن عبد الحسين آل شبانة»[10].

ونزل آخرون مدينة «بهبهان» كـ «عبد اللّه بن صالح السماهيجي» (ت 1135هـ/1722م)[11]. أما «علي بن عبد اللّه» فقطن بلدة «مينا» من بلاد العجم[12].

---

(1) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص110 و96 و443.

(2) يُراجع البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، المقدّمة صل و252 و270.

(3) المسلم، محمد سعيد، ساحل الذهب الأسود، منشورات دار الحياة، بيروت، د.ت، ص87 و148.

(4) الخاقاني، علي، شعراء الغري، النجفيات، منشورات دار البيان، بغداد، 1374هـ/1954م، ج6 ص234.

(5) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص203 وما بعدها. تُراجع المواقع المذكورة في خريطة (1) ص558.

(6) سنتحدث عن الروابط العلمية في دراستنا للحياة الثقافية.

(7) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص88.

(8) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص68 و71.

(9) المصدر نفسه، ص71؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص131.

(10) المصدر الثاني نفسه، ص95، وما بعدها.

(11) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص102؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص173.

(12) المصدر الثاني نفسه، ص227.

د ـ «الهنـد»: تردّد البحرينيون على هذه البلاد للتجارة خاصة. وقصدها بعض علمائهم وأنشـأوا علاقـات مـع بعـض أمرائهـا المسـلمين ومدحوهـم، كـ «محمد بـن عبد الحسـين آل شـبانة»[1]. واسـتقرّ بعضهم فـي نواحيها كـ «جعفر بـن كمال الدين» الـذي توفي في «حيدر آباد» عام 1088هـ/1677م، كما قصدها معاصره «أحمد بن صالح الدرازي»[2].

هـ ـ «عُمَـان»: مـن المهاجـر التـي لجـأ إليهـا البحرينيـون في فتـرة متأخرة نسـبياً. وقـد ألمحنـا إلى أطماعها المسـتمرة فـي «البحريـن» واعتداءاتها المتكـررة لتحقيق ذلك. لكـن يظهـر حدوث تقارب بيـن بعـض البحرينيين وبعض حكّام «مسـقط» بسـبب معاداة الطرفين للسـلطة.

ونعتقد وقوع ذلك التقارب بتولّي السـيد «سلطان بن أحمد الإباضي» - حكم «عُمَان» مـن 1207هـ/1792م إلـى 1219هـ/1804م[3] - وتعزّز بتولّي السـيد «سـعيد بن سـلطان» من 1222هـ/1807م إلـى 1273هـ/1856م. وقـد تطوّر الأمر إلى نزوح عدد مـن أهالي «البحرين» إلى «عُمَان» والاستقرار بها.

يصـف «البـلادي» الحاكـم الأخيـر فيقـول: «كان فـي غايـة عظيمة مـن العـدل ومحبّة الشـيعة ولاسـيما البحارنة والرحمـة والرأفة بالرعيـة وإنصافهـم»[4]. كما أشـار «لوريمر» إلى عدله أيضاً[5].

ويظهر أن توافد البحرينيين على «مسـقط» كان كبيراً. يقول «البلادي»: «كانت حينئذ عامرة بأهل «البحرين» تُجاراً وساكنين»[6].

ووسـمت ظاهـرة النـزوح عـن الوطـن حيـاة البحرينييـن المغتربيـن بطابـع التنقّـل والترحـال. وقـد عـاد بعضهـم إلـى الوطـن أو تـردّدوا عليـه، إلا أن البعـض الآخر عاش عيشـة التطواف والتجول في العديد من البلدان بحثاً عن الاستقرار والأمن.

ومثـال ذلـك حيـاة يوسـف البحرانـي الـذي نزح إلـى القطيـف وظـلّ متـردداً بينها

---

(1) ابـن معصـوم المدنـي، علي خان، سـلافة العصـر، المكتبـة المرتضويـة، 1324هـ، ص496؛ والبـلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص96.

(2) البحرانـي، يوسـف، لؤلـؤة البحرين، مصـدر سـابق، ص70 و71 ومـا بعدها؛ والبـلادي، علي بن حسـن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص128 و130 و131.

(3) ألمحنـا إلى وجود بعض الشـخصيات البحرانيـة في الهجوم العمانـي على «البحرين» عـام 1217هـ/1802م. يُراجع ص72.

(4) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص325.

(5) لوريمر، جون غوردون، الدليل التاريخي، مصدر سابق، ج2 ص728.

(6) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص324.

وبيـن «البحريـن»، ثـم هاجر إلى «إيـران» وطـاف بالعديد من مدنهـا، وأخيراً اسـتقرّ في «العراق»[1].

وكان لظاهرة النــزوح عن الوطن وما رافقها من ألم وحسرة وشوق بروزها الواضح في شعر الفترة المدروسة[2].

(1) تُراجـع ترجمتـه في كتابه (لؤلؤة البحرين)، مصدر سـابق، ص442 وما بعدها وعند البلادي، علي بن حسـن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص195.

(2) سنعرض لذلك في دراستنا لمضمون الشعر البحراني – موضوع الوطن – ص293 وما بعدها.

الفصل الثاني

الأوضاع الفكرية

عاشت «البحرين» حياة فكرية نشطة رغم انعدام الاستقرار. فازدهر العلم والأدب وزاد تدفّقهما، واستطاعت أن تصل إلى مركز علمي مرموق. ونظراً لاتساع الحياة العلمية واعتبارنا إيّاها الركيزة الهامة والقاعدة الصلبة التي انطلقت منها الحركة الشعرية ـ موضوع دراستنا ـ رأينا أن نتوسّع في دراستها. فهي الجو الذي تنفّس فيه الشعر، والأرضية التي انبعث منها. وكان الكثير من الفقهاء شعراء في ذات الوقت. وشكّلوا العمود الفقري للحركة الشعرية.

المكانة العلمية التي وصلت إليها «البحرين»:

ألمعنا إلى دور «البحرين» المعرق في العلم والثقافة خلال العصور الإسلامية المختلفة[1]. وغدت منذ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي هي والديار الهَجَرِيَّة محطّ رحال علماء الشيعة الإمامية[2].

وإذا كانت منطقة «البحرين» بمفهومها القديم قد أصبحت مركزاً علمياً[3]، فإن جزر «البحرين» قد تفوّقت على جارتيها «القطيف» و«الأحساء» بكثرة العلماء والشعراء والأدباء، وبانتشار المؤسسات التعليمية من مدارس ومساجد، ووصفها الحرّ العاملي (ت 1104هـ/1692م) إبّان زيارته لها بأنه غرق آنذاك في «البحرين» ـ بحر العلم وبحر الأدب[4] ـ .ووصف المؤرخون المحدثون مكانة «البحرين» العلمية وكثرة علمائها، فقال صاحب أعيان الشيعة: «خرج من (البحرين) جماعة كثيرون من علماء الشيعة وأفاضلهم قديماً وحديثاً»[5].

---

(1) يُراجع المدخل العام، الإطار الثقافي ص41 وما بعدها.

(2) الخوانساري، روضات الجنات، مصدر سابق، ج7 ص170، والديار الهَجَرِيَّة: نسبة إلى هَجَر وهي «الأحساء».

(3) المسلم، محمد سعيد، ساحل الذهب الأسود، مصدر سابق، ص235 و237 وما بعدها.

(4) ذكر ذلك في كتابه «أمل الآمل»، مصدر سابق، ج2 ص146، والحرّ العاملي هو محمد بن الحسن محدّث فقيه شاعر أديب ينتمي لأسرة علمية عريقة موزّعة بين جبل عامل – في لبنان – وإيران. اشتغل بالتدريس وله الكثير من المؤلفات، كـ «وسائل الشيعة» و«أمل الآمل». تُراجع ترجمته في مقدمة الكتاب الأخير ج1 ص8 وما بعدها وعند الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج9 ص167.

(5) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج3 ص172. ينظر أيضاً ما قاله البلادي، علي، في أنوار البدرين ص50 و51، ومحفوظ، حسين، في «نظرة في تراث البحرين» نشر مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ص706 وما بعدها، و«مصادر دراسة تراث البحرين» ص178 وما بعدها، وهذا الكاتب يشغل خطّة =

واتّسعت العلاقات العلمية بين «البحرين» وجيرانها، فأخذت أفواج العلماء وطلاب العلم من أبناء البلاد تنتقل بين المراكز العلمية في الجزيرة العربية و«العراق» و«إيران» تنهل من مدارسها الفكرية وتشارك في نشاطها العلمي مشاركة فعّالة.

وبالمقابل وفد على «البحرين» عدد من العلماء البارزين كان لهم دورهم في تنشيط الحركة العلمية، كـ «الحر العاملي»[1]، و«ميرزا عبد اللَّه أفندي»[2]. وممن استقرّ فيها وقضى نحبه بين ظهرانينها الشيخ «مفلح الصيمري»[3]، و«حسين بن عبد الصمد العاملي».

ونظراً لتنامي الحركة العلمية وخصوبتها دعيت «البحرين» بدار العلم. ثم ورثت هذا اللقب بعدها مدينة «شيراز»[4].

غدا العلم ركيزة هامة في حياة الكثير من أبناء «البحرين» وهاجساً قوياً ينبض به كيانهم، فكان مما يوصي به الوالد ولده.كتب «يوسف البحراني» لولده: «فاحرص ـ وفّقك اللَّه ـ على ما به سعادة داريك ونجاح أمرك وهو العلم، الذي به تدخل في حقيقة الإنسان الذي هو أشرف نوع الحيوان عند الملك المنّان»[5]. وقال «عبد اللَّه بن صالح السماهيجي»:

[كامل]

والعِلْمُ فَرْضٌ ليس يُعْذَرُ واحدٌ في تركِ مأخذهِ وفي التضييعِ[6]

خصائص الحركة الفكرية:

غلب عليها طوال الفترة المدروسة الطابع التقليدي. فكانت تدور في فلك الفكر العربي الإسلامي القديم وتنسج على منواله.

= أستاذ علوم الحديث والرجال في كلية أصول الدين ببغداد، وهو من المهتمين بالتراث العلمي البحراني. ومن دراساته «مصادر دراسة تراث البحرين» قدّمها للندوة العلمية العالمية الثانية لمركز دراسات الخليج العربي في جامعة «البصرة» التي عقدت تحت عنوان «اللغة العربية وآدابها في الخليج العربي تراث حضارة وعنوان أصالة» طبعه المركز المذكور في مطبعة الإرشاد ببغداد 1977 ويقع في ج1 من ص176 إلى 269.

(1) ذكر سابقاً.

(2) عالم إمامي، أشهر مؤلفاته «رياض العلماء» توفي نحو 1130هـ/1718م. تُراجع ترجمته عند الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج8 ص64؛ وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج4 ص251. ويشير الطهراني في الذريعة، مصدر سابق، ج3 ص266 إلى زيارته للبحرين.

(3) تُراجع ترجمته في الملحق الخاص بالتراجم ص522.

(4) التاجر، مسودّات مخطوطة العقد، ص16.

(5) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج2 ص253 وما بعدها.

(6) السماهيجي من علماء «البحرين» البارزين (ت 1135هـ/1722م) وذكر الخوانساري في روضات الجنات، مصدر سابق، ج4 ص252 بعض أبيات القصيدة المذكورة.

ونظـرة فاحصـة في مظاهـر الحياة الفكريـة تبيّن أنهـا تتمثّل في ثلاثـة روافد تفاعلت فيما بينها وشكّلت تيار الفكر الدافع.

- الرافد الأول: المؤسسات التعليمية وخصائصها:

نشـط التعليـم التقليـدي بمختلـف صـوره وزخـرت مراكـزه بالمعلميـن والمتعلميـن. فانتشرت مؤسساته، وأمّها الراغبون في العلم. وتتمثل المراكز التعليمية في:

أ. المسـاجد: اختار بعض العلماء المسـاجد العامة لإلقاء دروسهم فيها، كـ «محمد بن ماجد الماحوزي» (ت 1105هـ/1693م تقريباً) الذي اتخذ المسـجد المجاور لمسجد الخميس مكاناً لدرسه[1].

ونالـت بعـض المسـاجد مكانـة علميـة مرموقـة، فمسـجد «السـدرة» ـ فـي قريـة «جدحفـص» ـ وصف بأنه مدرسـة العلـم ومجمع أولي الفضـل والحلم. وكان يحضر دروسـه، ومـا يلقـى بـه من أبحـاث كبـراء البـلاد وأعيانهـا، وتـزوره الشـخصيات العلميـة الوافـدة على البلاد[2].

عـلاوة على المسـاجد العامـة ابتنى كثير من العلماء مسـاجد باسـمهم. وهذه الأماكن وإن كانـت لأغـراض تعبّديـة أساسـاً لا نسـتبعد اتخاذهـا أماكـن للدرس أحيانـاً. فممّـا رثي به «سليمان بن صالح» (ت 1085هـ/1674م):

[كامل]

يبكيــكَ مســجِدُكَ الشــريفُ وقــد غَــدَا مــــن بينِهِــــمْ مُتَسَــــرْبِلاً بعــــزاكا[3]

وكان للعلامّـة «حسـين آل عصفور» (ت 1216هـ/1801م) مسـجد في قريته، وللشـيخ «عبد اللّه بن عباس» مسجد كذلك[4].

ب ـ المدارس: ومن المدارس التي وصلتنا أسـماؤها مدرسـة داود الجزيري، ويقال إنه بناهـا ببيتـه بجزيـرة «النبيـه صالـح»، وهي التـي نكبت حيـن دهمهـا العمانيون فـي إحدى غاراتهم وقتلوا جلّ من كان فيها من طلاب وعلماء فدعيت «كربلاء»[5].

---

(1) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص134.

(2) يُراجـع: ابـن معصـوم المدنـي، علي خان، سـلافة العصـر، مصـدر سـابق، ص515؛ والبحراني، يوسـف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص26. والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص108.

(3) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص88.

(4) البـلادي، علـي بن حسـن، أنـوار البدريـن، مصـدر سـابق، ص245 و235؛ يُراجع مـا قاله أحمد بـن صالح بن طعان من أبيات عند إكمال المسجد الذي ابتناه في المصدر نفسه. ص263.

(5) المصدر نفسه، ص (ز) وص60 و186.

وهناك إشارات إلى مدارس عديدة كمدرسة «علي القدمي» في قرية «القدم»، ومدرسة «محمد الفاراني» في قرية «فاران»[1].

وكان العلماء أصحاب المدارس يتولّون التدريس بأنفسهم في مدارسهم، كـ «داود الجزيري» ويشاركهم في إلقاء الدروس علماء آخرون[2].

ونظراً لعكوف بعض العلماء على مهمّة التدريس لقّبوا بـ «مُدَرِّس». وممن أطلق عليه هذا اللقب «علي بن حسن بن يوسف البلادي»[3].

حلقات الدرس:

تراوح عدد الدارسين في المدارس بين أربعين ومئة. فمدرسة الشيخ «داود الجزيري» حين نكبت بقتل من فيها كان عدد طلابها وعلمائها أربعين أو سبعين[4]. هذا مع اعتبار احتمال فرار بعض الحاضرين.

ولا نغالي حين نقول: إن حلقات العلم التي تولّى التدريس بها كبار العلماء كانت تكتظّ بالطلاب. وهناك من الأخبار ما يشير إلى أن الكثير من العلماء حرصوا على حضور تلك الحلقات. وبديهي أن يكون لهم دور في إثراء ما يقع من جدل ونقاش.

ويذكر أن دروس مسجد «السِّدْرَة» كان يحضرها «حسين بن عبد الرؤوف» - عميد البلاد وقاضي قضاتها - ومن العلماء الذين يحضرونها «ناصر القاروني»[5]. أما درس «محمد بن ماجد البلادي» ـ شيخ الإسلام في «البحرين» ـ (ت 1105هـ/1693م)، فكان يجتمع فيه جمع كثير من فضلاء البلاد. وممن كان يداوم على حضورها «محمد بن ماجد» ـ الحاكم من قبل «إيران» ـ وكان يتولّى الإنفاق على الحلقة[6].

ولعل أبرز العلماء الذين ذاع صيتهم العلمي في المنطقة بأكملها «حسين آل عصفور» (ت 1216هـ/1801م) ويذكر أن درسه كان يغصّ بالعلماء الكبار من «البحرين» و«القطيف» و«الأحساء» وأطراف هذه الديار[7]. ويذكر أن مدينة «الـمُحَرَّق» كانت تعجّ بالكتاتيب والمدارس الدينية في حدود القرن التاسع عشر[8].

---

(1) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص297، وعن مدرسة فاران يُراجع ص220، الإحالة.

(2) يُراجع المصدر نفسه، ص297.

(3) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص74.

(4) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص186.

(5) المصدر نفسه، ص108.

(6) المصدر نفسه، ص134.

(7) المصدر نفسه، ص208.

(8) الخاطر، مبارك، قاسم بن مهزع، ط1، مطبعة حكومة الكويت، 1975، ص34.

التكوين الفكري للمتعلّمين:

يمكن استنباط نوعية التكوين الفكري للمتعلمين من خلال المواد الدراسية التي قرؤوها على شيوخهم.

فـ «سليمان بن عبد اللَّه الماحوزي» يقول: «حفظت الكتاب الكريم ولي سبع سنين تقريباً وأشهر»[1]. وفي ترجمة «محمد بن يوسف البحراني» يقول صاحب اللؤلؤة: «وعليه قرأ والدي... أكثر العلوم العربية والرياضية، وقرأ عليه خلاصة الحساب وأكثر شرح المطالع ـ وتمّم الباقي من شرح المطالع ـ بعد موت الشيخ المزبور على أستاذه «الشيخ سليمان بن عبد اللَّه». ثم لازمه بقية عمره في باقي العلوم من الحكمة والفقه والحديث والرجال»[2].

فالمتعلّم يستهلّ تحصيله بحفظ القرآن الكريم. وحين تقوى ملكته العقلية يشرع في دراسة مختلف العلوم والمعارف.

وأول ما يقرؤه علوم العربية فيدرس نحو اللغة بادئاً بكتاب «قطر الندى» لـ «ابن هشام»، ثم يقرأ شرح الألفية لـ «ابن الناظم»[3]، وحين يتوسّع يقرأ كتاب «الرضي الأسترآبادي» «شرح الكافية»[4]. وقد يقرّر بعض الشيوخ قراءة «الأجرومية» على طلابهم. هذا مع مراعاة قابلية المتعلّمين وقدراتهم العقلية[5].

ومما يقرؤه المتعلّم في الحديث كتاب «أصول الكافي» لـ «الكُليني» وهو «محمد بن يعقوب» (ت 329هـ)، و«الاستبصار» لـ «محمد بن الحسن الطوسي» (ت 460هـ) وهما من كتب الحديث الهامّة عند الإمامية[6]. وقد يطلب البعض المزيد، فيقرأ جميع كتب الحديث التي عليها المدار، ككتاب «من لا يحضره الفقيه» لـ «الصدوق»، وهو «محمد بن بابويه القمي» (ت 381هـ)، و«التهذيب» لـ «الطوسي»[7].

---

(1) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص8. والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص152.

(2) المصدران نفسهما ص39 وص141. تُراجع أيضاً مقروءات أحمد بن صالح في أنوار البدرين ص253 ومقروءات علي البلادي ص271.

(3) ابن الناظم هو ابن صاحب الألفية أي محمد بن محمد بن مالك، شَرَحَ ألفية والده في النحو (ت686هـ) أعلام الزركلي، مصدر سابق، ج7 ص31.

(4) يُراجع المصدر نفسه، ص93 ترجمة أحمد بن إبراهيم وص94 مقروءات يوسف البحراني على والده وص95 مقروءات عبد اللَّه بن صالح على أحمد بن إبراهيم.

(5) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص234.

(6) يُراجع البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق ص98 إحالة (23) مقروءات محمد بن سليمان على أحمد بن محمد بن يوسف وكذلك ص140 ما قرأه علي بن عبد اللَّه على شيخه سليمان الماحوزي. والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج2 ص14. تعريف كتاب «الاستبصار».

(7) تُراجع مرويات عبد اللَّه بن صالح في مخطوطة «منية الممارسين»، مخطوط، د.ت، ص468، والبلادي، =

وتكشف مرويّات «عبد اللَّه بن صالح السماهيجي» التي عددها في إجازته لتلميذه «ياسين بن صلاح الدين» المعروفة بـ «منية الممارسين» عن التكوين العلمي الذي حرص العلماء على تحصيله والتزوّد به وحثّوا طلابهم في الوقت نفسه على طلبه والاستقاء من معينه. يقول لتلميذه: «فإنك إذا ضممتَ بعضها إلى بعض لم يكد يفوت عليك شيء من الطرق إلى أصحاب الروايات وأهل العصمة وأصحاب الكتب والأصول من الخاصّة والعامّة»[1].

المناقشات العلمية:

من الطبيعي أن تحفل حلقات الدرس بالنقاش والجدل سواء بين الطلاب وشيوخهم أو بين الطلاب أنفسهم. وفي إحداها وقعت مناقشة بين «سليمان بن عبد اللَّه الماحوزي» وشيخه «محمد بن ماجد الماحوزي» حول مسألة فقهية، فقد اختلفا حول وضع الجبهة، هل هي جزء من السجود أم غير جزء؟ ولو تليت آية العزيمة على الساجد فهل يكفيه الاستمرار على السجود أم يرفع ثم يضع؟ فكان رأي الطالب مخالفاً لرأي أستاذه، واحتدمت المناقشة واشتدّت وانتهت بقول الطالب لشيخه: «لكم دينكم ولي دين» فاحتدّ الشيخ فردّ الطالب: «إنما الأمر بالحجج لا التشنيع». وبعد أربعين يوماً صنّف «سليمان الماحوزي» رسالة في الردّ على أستاذه[2].

علاقة الطلاب بأساتذتهم:

انبنت العلاقة على الودّ والتقدير المتبادل، واستمرّ التلميذ يجلّ أستاذه ويحفظ له مهما بعد العهد. ففي عام 1148هـ/1735م، كان «يوسف البحراني» إمام الجمعة في جامع «شيراز»، فزار هذه الربوع شيخه السابق «عبد اللَّه بن علي البحراني»، فتنحّى الشيخ «يوسف» عن الإمام وقدّم أستاذه[3].

رافق التقدير حرية الرأي واحترام الطرفين لوجهة نظر الآخر. وكان الأستاذ يقابل مخالفة التلميذ لرأيه بترحاب وسعة صدر في الغالب. وصنّف «أحمد بن إبراهيم آل عصفور» رسالة في شرح الحمدية وهي لأستاذه «سليمان الماحوزي» وصدّرها بالمديح، وأثنى عليها غاية الثناء، وضمّنها جملة من الاعتراضات، ولما عرضها على الشيخ أعجب بها،

= علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص191.

(1) مخطوطة الكتاب ص467. وقد عدّد المؤلف مروياته في علم الحديث والتفسير والفقه والنحو والصرف والمنطق والأدب وغيرها، من 468 – 477، ومن 495 – 504.

(2) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص62 والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص133.

(3) المصدران نفسهما، الأول ص73؛ والثاني، ص169.

وقال بعد ملاحظة الاعتراضات مداعباً: «إنه إن حصل من يتصدّى للجواب أعنّاه» فقال الطالب: «إن عدتم عدنا»[1].

ويصف «عبد اللّه بن صالح» موقفه مع أستاذه واستمراره في إظهار الخلاف له ومقابلة الشيخ ذلك برحابة صدر. فيقول: كثيراً ما كنتُ أُظهِر له الخلاف في طريقة أهل الاجتهاد ولا أسأله عن شيء إلّا وأطلب منه الدليل، وأقول: هل به حديث أم لا؟ ولا أظهر له أني مقلّد له، ومع ذلك فما جفاني ولا قلاني ولا أقصاني، بل قرّبني وأدناني[2].

وقد وصل التواضع العلمي بالأستاذ أنه لم يجد غضاضة في الجلوس إلى درس تلميذه والأخذ عنه عند استكماله لبعض العلوم. ويذكر أنه بعد عودة «علي بن سليمان بن حاتم» من «إيران» وتتلمذه على الشيخ «البهائي» ـ من أبرز علماء الإمامية آنذاك ـ واستكماله لعلم الحديث حتى دعي بأم الحديث، كان ممّن يحضر دروسه أستاذه السابق «محمد بن حسن بن رجب». فعوتب بقولهم: «إنه بالأمس كان تلميذاً لك فكيف تكون له تلميذاً»؟، فأجاب: «إنه قد فاق عليّ وعلى غيري بما اكتسبه من علم الحديث»[3].

صفات المعلّم والمتعلّم:

نلمح معايير قيست بها قدرات الطرفين. فكان ممّا يمدح به العلماء إقبالهم على التدريس وملازمتهم له. فقد أطري «عبد اللّه بن صالح السماهيجي» بأنه كثير الملازمة للتدريس[4]. وقيل عن «حسين الماحوزي» (ت 1181هـ/1767م): إنه كثير الاشتغال بالتدريس والنظر في ليله ونهاره وعشياته وأسحاره[5].

وبالمقابل عيّب على بعض العلماء انصرافهم عن هذا النشاط. فوصف «عبد اللّه بن علي البلادي» (ت 1148هـ/1735م) بأنّه «قليل الرغبة في التدريس والمطالعة»[6].

علاوة على ذلك مدح المدرّس بمهارته في التدريس وقدرته على التوصيل يثني «يوسف البحراني» على قدرة والده وأستاذه فيقول: «كانت له ملكة في التدريس لم يسبق لها غيره ممن رأيت وحضرت درسه من علماء عصرنا». وعن اتساع ثقافته وتنوّع معلوماته،

---

(1) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص95؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص163.

(2) مخطوطة «منية الممارسين» مصدر سابق، ص475؛ والبحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص37 إحالة (2).

(3) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، الأخير ص14.

(4) المصدر نفسه، ص98.

(5) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص178.

(6) المصدر نفسه، ص169.

وأثـر ذلك في العملية التعليمية يقول: «لسـعة باعه في العلوم يسـتفيد منه الدارس في علم جملة من مسـائل العلوم الأخرى مما يفرّعه في وقت البحث، ويبسّطه من الكلام في المقام، فتصير عند الدارس قواعد من تلك العلوم قبل الخوض فيها»[1].

وأطـري الأسـتاذ بشـدّة احتياطـه ودقّـة معلوماتـه التـي تنـأى بـه عـن الخلـط. يصف «محمد بن علي بن أبي شـبانة» أسـتاذه «حسـين الماحوزي» قائلاً: «كان مرضيـاً عند الناس، منـزّهاً عـن الأدنـاس، كثير الاحتيـاط، عديـم الاختباط». وعـن اتسـاع علومه وغزارتهـا يقول: «قـرأتُ عليـه فـي علـم الفقه وقابلـت عليه فيـه وفي علـم الحديـث فوجدته بحراً لا ينـزف ومعلماً لا يوصف»[2].

وكان ممـا يثنـى بـه علـى المتعلّـم القـدرة علـى البحـث، والصبـر، واتسـاع الأفـق. فـ «أحمد بـن إبراهيـم آل عصفـور» وصف بأنه «لا يجاريـه في البحث مجـارٍ، ولا يباريه فيه مبارٍ. وكان لا يملّ من البحث ولا يغتاظ، ولا يظهر التعصّب ولا الانقباض»[3].

ويُحَـبّ فيـه أن يقرأ قراءة فهـم ونظر، قادر على الاسـتنباط ومعرفة الأصـول والفروع. قـال «محمد بـن علي بـن عبد النبـي» فـي إجازته لأحـد طلابـه: «إنه قـرأ عليه قـراءة تنقيح وتحقيق وتقرير وتدقيق، كما أنه أجاد في استخراج الفرع من الأصل»[4].

ونـوّه «يوسـف البحرانـي» في إجازته لأحـد تلاميذه بقدرتـه على الجمع بيـن النظرية والتطبيـق والدقّـة المانعـة عن الخلط، فقـال: «الجامع بيـن رتبتي العلم والعمـل والعرّي عن وصمتي الخطل والخلل»[5].

الرحلة في طلب العلم:

رحـل طـلاّب العلـم إلـى الأقطـار المجـاورة رغبـة فـي اكتسـاب المزيـد مـن العلـوم والمعـارف. وأهـمّ المناطـق التـي يمّموا شـطرها: «العـراق» و«إيـران» والمراكـز العلمية في الجزيرة العربية.

«العـراق»: رحـل إليها طلاب العلم منـذ فترة مبكرة نسـبياً وأخذوا عن أشـهر علمائها. فـ «فضل بـن جعفر بن أبـي قائد» تتلمذ على المحقّق «الحلي»[6]. وفي المرحلة المدروسـة

---

(1) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص94.

(2) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص178.

(3) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص93.

(4) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص191.

(5) المصدر نفسه، ص192.

(6) المصـدر نفسـه، ص70. والأميـن، محسـن، أعيان الشـيعة، مصـدر سـابق، ج8 ص398. والمحقّـق الحلي هو جعفر بـن الحسـن (ت 676هـ/1277م) وكان مرجـع الإماميـة فـي عصـره، وله مؤلفـات عديـدة، يُراجع عنه =

أخذ «هاشم بن سليمان» (ت 1107هـ/1695م) عن «فخر الدين بن طريح النجفي»[1]. كما روى «أحمد بن صالح بن طعّان» عن فحول علماء «العراق»[2].

«إيران»: رحل إليها الكثير من الطلاب لتحصيل العلم. ودرسوا على أبرز علمائها[3]، فتتلمذ « على علي بن عبد العالي الكركي»[4] كل من «حسين بن أبي سروال»[5] و«يحيى بن عشيرة»[6].

ودرست مجموعة منهم على الشيخ «البهائي» (ت 1031هـ/1621م) كـ «أحمد بن عبد الصمد»[7] و«محمد بن يوسف العسكري المقابي» وله ثلاث إجازات منه[8]. كما أجاز «البهائي» عدداً من البحرينيين كالفقيه «ماجد بن هاشم» والشاعر «جعفر الخطّي»[9].

أما «المجلسي»[10] فتتلمذ عليه جمع من علماء «البحرين» كـ «حسن الندّي» الذي

= الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج4 ص89 وما بعدها، وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج2 ص123.

(1) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص66. والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج 10ص249؛ والطريحي عالم له مشاركة في عدّة علوم وله مصنّفات كثيرة، توفي في عام 1085هـ/1676م، يُراجع عنه كحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج5 ص41.

(2) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص253.

(3) كانت إيران تعيش عصراً من النهضة الفكرية في عهد الصفويين، فقد ازدهرت فيها فنون الزخارف والنقش، وعمد حكّامها إلى تحديث قوتهم العسكرية مستعينين بالأوروبيين، كما عظّموا علماء الدين واعتبروهم نوّاب الإمام الغائب، فازدهر التعليم الديني القائم على أساس العقيدة وما يتعلّق بها من فلسفة. وبرز عدد كبير من علماء الإمامية من إيرانيين وعرب. وكانت اللغة العربية هي اللغة العلميّة المفضّلة في تلك الأوساط آنذاك. يُراجع بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، مصدر سابق، ص504. وولبر، إيران في ماضيها وحاضرها، مصدر سابق، ص86 – 94. والأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مصدر سابق، ج2 ص42 وما بعدها. والشابي، علي، الشيعة في إيران، مصدر سابق، ص155 وما بعدها.

(4) كان ذا نفوذ كبير، فقد اعتبره الشاه الصفوي صاحب الدولة الحقيقي، له العديد من المؤلفات (ت 940هـ – 1533م) ترجمته عند البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص151 وما بعدها؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج8 ص208؛ وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج4 ص299.

(5) الحر العاملي، أمل الآمل، مصدر سابق، ج2 ص97؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج6 ص116.

(6) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص289.

(7) الحرّ العاملي، أمل الآمل، مصدر سابق، ج2 ص15؛ والمدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص519.

(8) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص100.

(9) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص187 و289؛ يُراجع أيضاً الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسُّنَّة والأدب، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1977، ج11 ص252 وما بعدها.

(10) هو محمد باقر بن محمد تقي شيخ الإسلام في أصفهان. أوكلت إليه مهمّة توجيه السياسة الصفوية، أشهر مؤلفاته «بحار الأنوار» (ت 1111هـ/1699م) ترجمته في البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص55 وما بعدها؛ والخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات، ج2 ص78 وما بعدها؛ والأمين، محسن، =

يـروي عنـه إجـازة[1]، و«أحمد بـن محمد بـن يوسـف المقابـي» (ت 1102هـ/1690م) ولـه إجازة منه أثنى فيها عليه ثناءً جميلاً[2].

لـم يكتـف بعض طـلاب العلـم بالاقتصار علـى الأخذ مـن بلد واحـد فتنقّلوا بيـن عدّة بلدان منوّعين بذلك في مشـايخهم وأسـاليب تلقّيهم. فـ «أحمد بن سـلمان آل عصفور» كان تحصيله الأول في «البحرين» ثم في «القطيف» ثم في «بوشـهر» كما أقام في «شـيراز» مدّة فحصّل تحصيلاً علمياً حسناً[3].

وتوجّـه قسـم مـن البحرينيين من الطائفـة السُّـنِّيَّة نحو المراكـز العلمية فـي الجزيرة العربيـة للأخذ عن علمائها، فـ «قاسـم بن مهزع» (ت 1360هـ/1941م) توجّه إلى «الأحسـاء» وقضـى مـا يقارب الثلاث سـنوات، زادت خلالهـا محصلته العلميـة، وبعد فترة شـدّ رحاله إلى «الحجـاز»[4]. أمـا «عبد اللطيف بـن محمـود آل محمـود» (كان حيـاً فـي 1326هـ/1908م) فدرس في «مكة المكرمة»[5].

- الرافد الثاني: العلماء:

العلمـاء عنصـر أصيـل في صياغـة الحيـاة الفكريـة وركيـزة هامة فـي تحديـد هويتها العقلية. وبمقدار نشاطهم ينشط الفكر، فيقوى بقوّتهم ويضعف بضعفهم.

وتـدلّ المعطيات الفكرية على تميّز هـذا الرافد من الحياة العلمية البحرانية بالعناصر التالية:

الكثرة:

فبالقيـاس إلى صغر البلاد ومحدودية السـكان يمكـن اعتبار عدد العلماء كبيراً نسـبياً. يذكـر أنه أقيـم «مجلس فاتحة» اجتمـاع للتعزية، وكان من بين الحاضرين ثـلاث مئة عالم أو يزيـدون، فتوجّـه رجـل مـن الحاضرين بسـؤال فقهي إلى أحـد العلمـاء، فأحالـه تواضعاً على الـذي عن يمينه، فسـأله فأحاله علـى الذي بجانبه. وهكذا لم يـزل كل واحد يحيل على الآخر حتى أتى على آخر الصف. ثم أحالوه على الأول، وتكرّر ذلك مرتين حتى وصل إلى المسؤول الأول، فأجـاب عـن السـؤال. ويعلّـق «البـلادي» علـى الخبـر فيقـول: «... فمـا ظنّـك بمـن لم

= أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج9 ص182؛ وكحّالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج9 ص91.

(1) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج5 ص322.

(2) البحرانـي، يوسـف، لؤلـؤة البحريـن، مصـدر سـابق، ص38 و39، والبـلادي، علـي بـن حسـن، أنـوار البدرين، مصدر سابق، ص140.

(3) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص215 و216.

(4) الخاطر، مبارك، الشيخ قاسم بن مهزع، مصدر سابق، ص40 وما بعدها.

(5) النبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق ص143.

يجمعهم ذلك المجمع ولم يحضر ذلك الموضع من أهل القرى البعيدة أو القريبة الذين لم يسمعوا ولم يحضروا»[1].

ورغم المبالغة الواضحة في الخبر، فهي تدلّ على كثرة العلماء. ونوّه دارس معاصر بدور «البحرين» العلمي وكثرة علمائها، فقال: «إذا قال «ابن سلاّم» (في «البحرين» شعر كثير جيّد وفصاحة) فإن في «البحرين» ـ أيضاً علماً جمّاً وأدباً عظيماً، وتراثاً كبيراً ومؤلفات تملأ الخزائن». ويثني على علمائها وما خلّفوه من آثار فيقول: «أنجبت البحرين ـ قديماً وحديثاً ـ طبقات من أفاضل العلماء، وفحول الأدباء، وزمراً من أهل الحكمة، ورجالات الفقه، وحملة الحديث، وأساتيذ البلاغة، وأمراء القول، وجهابذة الكتابة، وفرسان الشعر»[2].

ومما يجدر ذكره أن العلماء الذين وصلتنا أخبارهم هم الصفوة والبارزون. ويعلّق «البلادي» على ما ذكره أصحاب التراجم فيقول: «لا يذكرون غالباً إلا مشايخ الإجازة للرواية وأهملوا أكثر العلماء الذين ليس لهم اتصال بالسند»[3].

الدرجة العلمية الرفيعة:

وصل بعض علماء «البحرين» إلى مرتبة علمية رفيعة منذ فترة مبكرة نسبياً، كـ «ميثم بن علي البحراني» (ت 599هـ/1299م) الذي شهد له بالتبحّر في الحكمة والكلام[4].

وبلغ الكثير من علماء فترتنا مكانة عالية كـ «سليمان بن عبد اللّه الماحوزي» الذي سمّي «علاّمة العلماء» و«شيخ المشايخ»[5]، و«حسين بن محمد الماحوزي» (ت 1181هـ/1767م) الذي وصل إلى مرتبة في الإفتاء كفّ معها القاضي «صدر الدين بن محمد» عن الإفتاء وأوكله إليه حين زار «العراق»[6]. أما «يوسف البحراني» فقيل عنه: إنه «لم يعهد مثله بين علماء هذه الفرقة...»[7].

---

(1) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص50 و51.

(2) محفوظ، حسين، 1 مصادر دراسة تراث «البحرين»، مصدر سابق، ص178 و183.

(3) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص55 و182. يُراجع أيضاً ص113.

(4) يُراجع ما قيل عنه في «السلافة البهية في الترجمة الميثمية» لسليمان الماحوزي المدرجة في كشكول يوسف البحراني، مصدر سابق، ج1 ص41. وما ذكره الخوانساري في روضاته، مصدر سابق، ج7 ص217؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص62 وما بعدها. وله ترجمة في أعلام الزركلي، مصدر سابق، ج7 ص336 وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج13 ص55.

(5) تُراجع ترجمته عند البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص7 وما بعدها، والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص150 والخوانساري، روضات الجنات، مصدر سابق، ج4 ص247؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج7 ص303؛ وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج3 ص128 وكحّالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج4 ص267.

(6) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج6 ص143.

(7) الخوانساري، روضات الجنات، مصدر سابق، ج8 ص203، والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر =

ومهما كانت المبالغات في تقريظ أولئك العلماء فإنها لا شك تنمّ عمّا وصلوا إليه من مكانة.

الخلفية الثقافية للعلماء:

في اعتقادنا أن الخلفية الثقافية القويّة والممتدّة هي وراء المنزلة التي نالوها. وقد ساروا على نهج الأقدمين في اكتساب الثقافة الموسوعية والتي تسمح لهم في الوقت نفسه بالتفوّق في جانب علمي محدّد.

فـ «جعفر بن كمال الدين» (ت 1088هـ/1677م) كان فقيهاً عروضياً نحوياً قارئاً ماهراً في الحديث والتفسير والرجال والقراءة والعربية[1]. وقيل عن «سليمان الماحوزي»: «كان جامعاً لجميع العلوم علاّمة في جميع الفنون»[2].

إلى جانب الثقافة الموسوعية تفوّق بعض العلماء في علوم محددة ومهروا فيها جامعين بين الثقافة العامة والمتخصصة.

فـ «علي بن سليمان القدمي» (ت 1064هـ/1653م) اختص بعلم الحديث حتى سمّي بـ «أمّ الحديث»[3]. وقيل عن «سليمان الماحوزي»: إن أعظم علومه الحديث والرجال والتواريخ[4].

نلحظ من العلماء حرصاً على استمرارية التحصيل العلمي. فـ «سليمان الماحوزي» يشير قائلاً: إنه بعد انتهائه من التعليم الاعتيادي لم يزل مشتغلاً بالتحصيل[5].

وقد دأب العلماء على الدرس والمناقشة باستمرار، ويشير «يوسف البحراني» إلى أن للعلماء مجمعاً يلتقون فيه للدرس والمباحثة ويحضره الفضلاء[6] والضيوف من الشخصيات العلمية. ويظهر أن جلساته كانت تزخر بالجدل والنقاش. وحدث أن حضر ذلك المجلس «حسين بن عبد الصمد العاملي» بعد استقراره بـ «البحرين». ويبدو أن أحد الفقهاء نازعه وأخذ يجادل لمجرد الجدل وإظهار المقدرة. فبعد انتهاء البحث كتب هذين البيتين:

= سابق، ص193 وما بعدها، وله ترجمة عند الأمين، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص317، وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج8 ص215، وكحّالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج13 ص268.

(1) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج4 ص136.

(2) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص8.

(3) المصدر نفسه، ص14.

(4) المصدر نفسه، ص8.

(5) المصدر نفسه، ص8

(6) المصدر نفسه، ص26.

[وافر]

أُنـــاسٌ فـــي «أوالَ» قـــد تَصَـــدَّوا لمحـــوِ العلـــمِ واشـــتغلوا بِلَـــمْ لَـــمْ
فـــإنْ باحَثْتَهُـــمْ لَـــمْ تَلـــقَ منهـــم ســـوى حرفيـــنِ لـــمْ لَـــمْ لا نســـلِمْ[1]

معايير لقياس مقدرة العلماء:

لا ترد هذه المعايير في نظريات إنّما يمكن استنباطها مما قرّظ به العلماء.

على الصعيد الاجتماعي استحسن في العالم قدرته على النزول إلى الواقع المعاش وتعليم الجمهور، فهو يقاس بمدى قدرته على العطاء والإنتاج بمختلف صوره. فيمدح بالقدرة على الجمع بين درجتي العلم والعمل[2]، وكثرة الملازمة للتدريس والمطالعة والتصنيف[3].

وعلى الصعيد العلمي مُدِح العالم بكونه عَلَماً في التحقيق وطوداً في التدقيق، فائقاً في التحرير والتقرير، كشّافاً لدقيق المعاني[4]. وأن يكون له لسان طلق وسرعة في الجواب[5].

وأُطري أيضاً بتبحُره في الأخبار ومعرفته بأساليبها ووجوهها وبصره بأغوارها، والقدرة على تطبيق بعضها على بعض، وأن تكون له سليقة حسنة في فهم الروايات وأنس تام بمعانيها مع شدّة الاحتياط[6].

كما استحسن أن يكون العالم ذا فطنة وذكاء، فَمُدِح «صلاح الدين بن علي» بأنه نادرة وقته في الذكاء وحدّة الذهن[7]. كما أطريت موهبة الحفظ، فقيل عن «سليمان بن علي الإصبعي» بأنه أعجوبة وقته في الحفظ[8].

---

(1) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص26 و27.

(2) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص176.

(3) عن العلماء الذين مدحوا بهذه الصفة، يُراجع: البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص98، والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص171 و207 و254.

(4) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص38، ترجمة أحمد بن محمد بن يوسف.

(5) المصدر نفسه، ص95 ترجمة أحمد بن إبراهيم آل عصفور.

(6) المصدر نفسه، ص97، الإحالة.

(7) المصدر نفسه، ص15 إحالة (1)، يُراجع ما قيل عن ناصر بن آل أبي شبانة بالمعنى نفسه عند البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص240.

(8) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص13 الإحالة وص140. يُراجع ما قيل عن حافظة عبد علي آل عصفور في أنوار البدرين، مصدر سابق، ص204. والقصة التي رُويت عن ابن أخيه حسين آل عصفور في ن. م ص207 و208. وما ذكره الحر العاملي في أمل الآمل، مصدر سابق، ج2 ص333 عن ناصر بن المُتوَّج.

=

أُطْرِي العالم بقدرته على تخريج العلماء فمدح «سليمان الماحوزي» بأنه تتلمذ عليه جملة من العلماء. وذُكِر أن «ماجد بن هاشم» تتلمذ عليه فحول من العلماء[1].

وبشأن الصفات الأخلاقية استحسن أن يكون العالم في غاية الإنصاف وحسن الأوصاف والذلّة والورع والمسكنة[2]. وأن يكون عابداً كريماً تقياً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر[3].

التكسّب بالعمل:

انطلاقاً من الاعتقاد أن التعليم والتعلّم من أعمال العبادة، وتحرّج العديد من الفقهاء في أخذ أجرة عليه. مارس الكثير منهم مع ما لهم من الفضل والعلم أنواعاً من الحرف لكسب معاشهم. فكان «حسن الدمستاني» يعمل بالزراعة، كما عمل بها «يوسف البحراني» في بعض فترات حياته[4]. واشتغل «عبد اللّه بن عباس الستري» هو ومن يحضر حلقته من علماء وطلاب بفتل الحبال وصنع الحصر. وإذا أكملوا عملهم اتجهوا للدرس[5].

الاختلافات الفكرية بين علماء «البحرين»: (المجتهدون والإخباريون)

برز منذ العصور الإسلامية الأولى اتجاهان في التفكير وأساليب البحث: الأول كان محافظاً اعتمد في تشريعاته على الكتاب والسُّنَّة. أما الثاني فتخطّاهما معتمداً على العقل وما تفتّق عنه من طرق للبحث وأساليب للتفكير.

وظل الاتجاهان يتعايشان مرة ويتنافسان مرة أخرى. ففي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي هيّأت الظروف مدينة «الحلّة» بـ «العراق» لتكون مدرسة الكلام والمباحث العقلية، حتى تخطّت ما وقف عنده الفكر المتحرّر في مدرسة «بغداد» العقلية قبل ذلك[6].

---

(1) يُراجع البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص9 والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص88.

(2) يُراجع ما قيل عن أخلاق سليمان الماحوزي في لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص9. وأخلاق سليمان بن حاتم القدمي في ص14.

(3) تُراجع ترجمة أحمد بن محمد بن يوسف في لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص37 وما قيل عن اتجاهاته الأخلاقية في ص71 و92 و98 و110 الإحالة. والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص50 ما قيل عن صفات علماء «البحرين».

(4) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص219؛ والبحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص445.

(5) المصدر الأول نفسه، ص233.

(6) تُراجع التفاصيل عند الجابري، علي حسين الجابري في «الفكر السلفي عند الشيعة الاثني عشرية»، ط1، مكتبة الفكر الجامعي، بيروت، 1977، ص231 وما بعدها. وهذا البحث هو رسالة =

وفـي الفتـرة نفسـها اتجـه علمـاء «البحريـن» اتجاهـاً عقليـاً فلسـفياً ربمـا بتأثير هذا العامل، وبرز منهم المتكلّم الشـيخ «أحمد بن علي بن سـعادة البحراني» (توفي قبل 672هـ) صاحـب رسـالة العلـم[1]. وتلميـذه «علي بـن سـليمان» الـذي اعتبـر فيلسـوفاً عارفـاً بقواعد الحكمـاء والمتكلّمين[2]. وأبرزهم على الإطلاق «ميثم بن علي بـن ميثم البحراني»، وهو من الأعلام الذين تبنّوا التجديد في الفكر الاثني عشري، وانفتح على مختلف الآراء والفلسفات[3].

وإذا كان الاتجاه الاجتهادي هو السائد في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي في مراكز العلم الإمامية سواء في «العراق» أو «إيران» أو «البحرين»[4]. فإن الاتجاه السلفي المحافظ أخذ يسـتعيد أنفاسه، ويشـتد عوده بعد ذلك. فنرى «البحرين» تمارس خلال عملية الانطـلاق السـلفي دوراً ثنائيـاً فـي التأثيـر والتأثّـر إلـى «إيـران» وبالعكـس. مثّل ذلك السـيد «ماجد بـن هاشـم» (ت 1028هـ/1618م) الـذي يعتبـر أول مـن نشـر علـم الحديـث فـي «البحرين» وروّجه[5].

تواصـل النشـاط الإخبـاري فـي «البحريـن» بعـد ذلـك وبـرز العديـد من الشـخصيات الإخباريـة التـي يتـراوح موقفها بيـن الاعتدال والتطـرّف، وجلّهم ممّـن تتلمذ لعلمـاء «إيران» وفـي مراكزها الفكرية. وكان هذا الاتصال يقـوى ويضعف كلّما تقلّب الوضع في «العراق» أو «شبه جزيرة العرب» من جرّاء نشاط الخوارج والوهابيين والعثمانيين[6].

= ماجسـتير قُدّمـت لجامعـة بغـداد. وقـد تتبـع فيهـا صاحبهـا نشـأة الاتجاهيـن السـلفي والعقلـي وتطورهمـا. وألقـى ضـوءاً كاشـفاً علـى دور البحرين الفعّـال فيهما فـي الفصـل الخاص الذي عقـده لها وفي الفصول الأخرى.

(1) تُراجـع ترجمتـه في أنوار البدرين، مصدر سـابق، ص60 والأمين، محسـن، أعيان الشـيعة، مصدر سـابق، ج3 ص43؛ وكحالـة، عمـر، معجـم المؤلفيـن، مصـدر سـابق، ج2 ص8؛ وشَـرَحَ الرسـالة المذكـورة وأثنـى عليهـا المتكلّـم الإيرانـي نصير الدين الطوسـي (ت 672هـ) والـذي يعدّ من أكبر المشـتغلين بالعلـوم العقلية بعد ابـن سـينا. ولعب الطوسـي دوراً كبيراً في تشـجيع البحـث العقلي في مدرسـة الحلة المذكـورة. يُراجع عنه الأميـن، محسـن، أعيان الشـيعة، مصـدر سـابق، ج9 ص414؛ وكحّالة، عمر، معجـم المؤلفين، مصدر سـابق، ج11 ص207، والأميـن، حسـن، دائرة المعارف الشـيعية، مصدر سـابق، ج2 ص373 والجابري، علي حسـين، الفكر السلفي، مصدر سابق، ص233.

(2) تُراجع ترجمته في أمل الآمل، مصدر سـابق، ج2 ص189؛ والبحراني، يوسـف، لؤلؤة البحرين، مصدر سـابق، ص253 إحالة (41) والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص61.

(3) يُراجـع البحرانـي، الكشـكول، مصدر سـابق، ج1 ص41 وما بعدها؛ والبلادي، علي بن حسـن، أنـوار البدرين، مصـدر سـابق، ص62. وكحالـة، عمر، معجـم المؤلفين، مصـدر سـابق، ج13 ص55؛ والجابري، علي حسـين، الفكر السلفي، مصدر سابق، ص233.

(4) الجابري، علي حسين، الفكر السلفي مصدر سابق، من ص227 – 251.

(5) المصـدر نفسـه، ص367. ويُراجـع عـن الأول: البحرانـي، يوسـف، لؤلـؤة البحريـن، مصـدر سـابق، ص137 والثاني: ص14.

(6) المصدر نفسه، ص367.

وجسّد رجال الحديث في «البحرين» في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين/السابع عشر والثامن عشر الميلاديين الشيخ «أحمد بن محمد بن يوسف المقابي» والمحدّث «الشيخ عبد علي الدرازي» والسيد «هاشم بن سليمان» والشيخ «داود بن الحسن الجزيري»[1].

وقد وُجِدَ من الإخباريين البحرينيين من تصلّبوا في مواقفهم كالشيخ «سليمان بن عبد اللَّه» وتلميذه «عبد اللَّه بن صالح السماهيجي»[2]. وفي مقابل هؤلاء برز العديد من المجتهدين كـ «أحمد بن إبراهيم آل عصفور» وغيره.

ويبدو أن المناقشات الفكرية بين الطرفين حول أساليبهما ومناهجهما كانت محتدمة إلى حدّ كبير، حتى قيل: إن «عبد اللَّه بن صالح» كان كثير التشنيع على المجتهدين، وإن معاصره «أحمد بن إبراهيم» كثير التشنيع على الإخباريين[3].

وتتجلّى حدّة الخلاف بين الفريقين فيما أُلِّف من كتب. فقد لخّص «السماهيجي» موقفه الإخباري في رسالته في التوحيد، وضمن قصيدته التعليمية التي أرّخ فيها للعديد من أعلام الفكر الإخباري الإمامي[4]. وفي كتابه المخطوط «منية الممارسين» حدّد نقاط الخلاف بين المنهجين بما يربو على الأربعين نقطة. ويتمثّل أبرزها في النقاط الرئيسية التالية:

1. يوجب المجتهدون عيناً أو تخييراً، أما الإخباريون فيحرّمونه ويوجبون الأخذ بالرواية إما عن المعصوم أو عمّن روى عنه وإن تعددت الوسائط.
2. الأدلة عند المجتهدين أربعة: الكتاب والسُّنَّة والإجماع ودليل العقل. وعند الإخباريين الأولان فقط.
3. يُجوِّز المجتهدون أخذ الأحكام الشرعية بالظن ويمنعه الإخباريون، ولا يقولون إلا بالعلم. وهو عندهم لونان: قطعيّ وهو ما وافق نفس الأمر، وعادي أو أصلي وهو ما وصل عن المعصوم.
4. ينوّع المجتهدون الأحاديث إلى أربعة أنواع: صحيح وحسن وموثوق وضعيف. أما الإخباريون فيفرّعونها إلى صحيح وضعيف[5].

---

(1) الجابري، علي حسين، الفكر السلفي مصدر سابق، ص368.

(2) المصدر نفسه، ص376 وما بعدها.

(3) يُراجع: البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص98. والجابري، علي حسين، الفكر السلفي، مصدر سابق، ص378.

(4) المصدر الثاني نفسه، ص378.

(5) تُنظر بقية وجوه الخلاف في «منية الممارسين» ورقة 73 وما بعدها، وذكر يوسف البحراني في الكشكول، مصدر سابق، ج2 ص386 أهمها.

لقد تصلّب «السماهيجي» في منهجه الإخباري حتى أعلن نفسه خادم المحدّثين وتراب أقدام العلماء الإخباريين[1].

وواصل المنهجان الإخباري والاجتهادي مسيرتهما حتى بعد أن أُصيبت الحياة الفكرية بنكسة إثر الغزو العماني وما أعقبه من أحداث مختلفة. وقد غادر الكثير من علماء «البحرين» بلادهم متخذين لهم مهاجر متعددة واصلوا فيها نشاطهم العلمي، كـ «عبد اللّه بن صالح السماهيجي» الذي نزح إلى «إيران».

وممن جسّد الاتجاه الإخباري الشيخ «حسين بن محمد بن جعفر الماحوزي» (ت 1181هـ/ 1767م في «القطيف»)، و«عبد علي بن أحمد البحراني» (ت قبل 1182هـ/ 1768م في «العراق») ويُقال إنه من متصلّفي المحدّثين[2]. أما عمدتهم «يوسف البحراني» فقد استقر في «كربلاء» بعد رحلة طويلة. وهناك تزعّم الجانب الإخباري في مقابل الجانب العقلي المتجدّد[3]. أما منهجه الفكري فكان إخبارياً معتدلًا خاصة بعد أن استقر في «كربلاء»، حتى أنه بات يضيق ذرعاً في الكلام عن الاختلافات بين المجتهدين والإخباريين[4]، ودعا بالتالي إلى الإغماض عن هذا الباب وإرخاء الستر دونه[5]. وهكذا أخذ الاتجاه الإخباري البحراني طريقه إلى «العراق»[6].

أبرز شخصية إخبارية بعد الشيخ «يوسف آل عصفور» ابن أخيه «حسين آل عصفور» (ت 1216هـ/1801م) وكان شيخ الإخبارية وزعيمها في «البحرين»[7]، في مقابل «عبد اللّه بن يوسف البلادي» الذي كان مجتهداً أصولياً ورئيساً لهذه الفرقة في قرية «بلاد القديم» التي كان أكثر أهلها من الأصوليين[8].

ثم أخذ المنهجان يتعايشان دون نزاع وفي كثير من التسامح[9]، هذا في الوقت الذي انحسر فيه المدّ الفكري بشكل عام.

---

(1) يُراجع منهجه مفصلاً عند الجابري، علي حسين، الفكر السلفي، مصدر سابق، ص377 وما بعدها. وينظر أيضاً ما ذكره الخوانساري في روضات الجنات، مصدر سابق، ج4 ص247 وما بعدها، خاصة ص250.

(2) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص203.

(3) المصدر نفسه، ص144؛ والجابري، علي حسين، الفكر السلفي، مصدر سابق، ص382 وما بعدها.

(4) يُراجع منهجه مفصلاً عند الجابري، علي حسين، الفكر السلفي، مصدر سابق، ص385 وما بعدها.

(5) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج2 ص387.

(6) الجابري، علي حسين، الفكر السلفي، مصدر سابق، ص392.

(7) المصدر نفسه، ص396.

(8) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص228.

(9) يُراجع الجابري، علي حسين، الفكر السلفي، مصدر سابق، ص433 وما بعدها.

التفاعل العلمي بين «البحرين» وجاراتها:

لعبت «البحرين» دوراً في التأثر والتأثير الثقافيين، وإذا كانت الوفود العلمية التي تمثلت في خروج أفواج من أبنائها للأقطار المجاورة لتلقّي العلم جسّدت الجانب التأثري[1]، فإن الجانب الثاني (التأثيري) تمثل في مستويين: الأول وفود طلاب العلم إليها للأخذ عن علمائها خاصة المناطق القريبة ونعني «القطيف» و«الأحساء». والمستوى الثاني: نزوح الكثير من علمائها إلى المناطق المجاورة وممارستهم لنشاط علمي ديني مختلف.

والمناطق التي تفاعل معها علماء «البحرين» هي «القطيف» و«الأحساء» و«العراق» و«إيران»:

«القطيف»:

وفد على «البحرين» عدد من أبنائها للأخذ عن علماء «البحرين»، كـ «ناصر بن محمد الجارودي» (ت 1104هـ/1750م) وله إجازة من ثلاثة علماء بحرينيين، وهم «سليمان الماحوزي» و«عبد اللَّه بن صالح» و«محمد بن كنبار»[2].

وكان لعلماء «البحرين» النازحين إلى «القطيف» مساهمة علمية هامة. فـ «حسين الماحوزي» تتلمذ على يديه مجموعة من علمائها كـ «يحيى بن محمد العوّامي» الذي يعدّ من مشاهير أساتذة التدريس هناك[3]. أما «أحمد بن صالح بن طعّان» فجهوده العلمية هناك جعلت علماء «القطيف» وشعراءها شديدي التعلّق به. وقد تجلى ذلك فيما نظموه من قصائد في رثائه[4].

«الأحساء»:

قرأ كثير من فقهائها على علماء «البحرين»، فـ «أحمد بن عبد اللَّه بن المتوّج» (ت 820هـ/1417م) كان أستاذاً لعالمين بارزين من علماء «الأحساء» هما «أحمد بن محمد السبعي» و«أحمد بن فهد بن إدريس الأحسائي»[5].

---

(1) عرضنا لذلك في موضوع الرحلة في طلب العلم، ص88 وما بعدها.

(2) ترجمة ابن كنبار في لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص109 والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص180. وترجمة الجارودي في الأخير ص297 وعند التاجر، محمد علي، مسودات المنتظم، مصدر سابق، رقمها (965).

(3) يُراجع الخوانساري، روضات الجنات، مصدر سابق، ج1 ص36. وعن العوّامي يُراجع: الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص303 وآل أبي المكارم، سعيد، أعلام العوّامية في القطيف، مطبعة النجف إ138، القسم الأول، ص16.

(4) يُراجع البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص265 وما بعدها.

(5) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص168 و178، والخوانساري، روضات الجنات، مصدر =

وتتلمذ على الشيخ «أحمد بن حسن الدمستاني» عالمان أحسائيان كبيران هما: «الشيخ أحمد بن زين الدين» (ت 1242هـ/1826م) و«عبد المحسن اللويمي»، كما تتلمذ الاثنان على «الشيخ حسين آل عصفور» وغيره من علماء «البحرين»[1].

على صعيد النشاط العلمي السنّي قرأ «عبد اللطيف بن إبراهيم آل مبارك الأحسائي» (ت 1342هـ/1923م) الفرائض على «عيسى بن جامع» في «البحرين»[2].

وتجسّد التفاعل العلمي بين علماء المنطقة على مستوى المراسلات العلمية المتبادلة بين علماء «البحرين» وشرق الجزيرة العربية، كالمسائل التي وجّهها «أحمد بن محمد العصفور» إلى الشيخ «أحمد بن صالح بن طوق القطيفي»[3].

كما تبادل الشعراء القصائد الإخوانية، وهناك قصيدة مدح بها الشيخ «عبد اللّه الأحسائي» الشاعر البحراني «خليل بن علوي» (ت 1310هـ/1892م) فردّ عليه بقصيدة شكر مماثلة[4]. وهناك العديد من الرسائل الشعرية المتبادلة بين الشيخ «إبراهيم بن محمد الخليفة» (ت 1349هـ/1930م) وأدباء «الأحساء»[5].

«العراق»:

في إطار التفاعل الفكري بين علماء «البحرين» و«العراق»، روى الكثير من الفقهاء

= سابق، ج1 ص68، والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص72 و396 وما بعدها؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج3 ص14؛ والسبعي فقيه إمامي توفي بالهند عام 1553/960 وله عدة مؤلفات يُراجع عنه الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج12 ص154 وج14 ص18؛ وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج2 ص123. أما ابن فهد فيعدّ من أجلّة علماء الإمامية ومن مؤلفاته «خلاصة التنقيح»، يُراجع: الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج3 ص66 وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج2 ص46.

(1) يُراجع البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص211 و220. ووردت ترجمة العالم الأحسائي الأول في المرجع نفسه ص406؛ والخوانساري، روضات الجنات، مصدر سابق، ج1 ص88؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج5 ص173 و253 وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج1 ص228. وترجمة الثاني في أنوار البدرين، مصدر سابق، ص410.

(2) الحلو، عبد الفتاح، شعراء هَجَر، دار العلوم، الرياض 1981، ص111. ويذكر النبهاني في تحفته، ص143 عيسى بن جامع الحنبلي ضمن قائمة أشهر علماء «البحرين». وكانت «البحرين» استقدمت العديد من الفقهاء من مناطق الجزيرة العربية خاصة «الأحساء» لسدّ احتياجاتها من القضاة والفقهاء والسُّنّة. وكانت «الأحساء» مركزاً علمياً نشطاً بالعلماء والمرشدين. وعبد اللطيف بن إبراهيم المذكور في المتن ينتمي إلى آل مبارك وهي من الأسر العلمية العريقة في «الأحساء».

(3) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص212 و327.

(4) يُراجع ديوان السيد خليل، ص120 وما بعدها.

(5) يُراجع ديوان إبراهيم الخليفة، ص65 مراسلة بينه وبين صديقه عبد المحسن بن عبد العزيز وص68 و70 و75 وما بعدها. وقد أورد بعضها الحلو، عبد الفتاح، في: شعراء هجر، مصدر سابق، ص289 وما بعدها.

العراقيين عن علماء بحرانيين، فـ «نصر اللّه الحائري» (الشهيد في 1186هـ/1755م)[1] روى عن مجموعة منهم، كـ «الشيخ ياسين بن صلاح الدين»، كما أجازه «حسين بن محمد الماحوزي» و«عبد اللّه بن علي البلادي»[2].

ويبرز «يوسف البحراني» كأشهر عالم بحراني لعب دوراً تأثيرياً ليس في «العراق» وحسب بل في أغلب المراكز العلمية الإمامية. فقد تزعّم في «كربلاء» المدرسة الإخبارية، كما ألمعنا، وكان مجلس بحثه يعجّ بالطلبة من مختلف الجهات، وتخرّج عليه جيل من العلماء احتل بعضهم مواقع علمية مرموقة[3].

«إيران»:

اضطلع علماء «البحرين» الوافدون على «إيران» بدور علمي كبير. فـ «ماجد بن هاشم» له مع علماء «شيراز» مجالس ومقامات. وتتلمذ عليه عدد من الفقهاء الإيرانيين، أبرزهم المحدّث الشهير بـ «محسن الفيض الكاشاني»[4]. وقرأ على الشيخ «جعفر بن كمال الدين البحراني» (ت 1088هـ/1677م) عدد من الفقهاء، كالمحدّث المعروف «نعمة اللّه الجزائري»[5].

تركّز نشاط علماء «البحرين» في مدينة «شيراز» التي كانت تعدّ «دار العلم ومجمع فضلاء الأمصار، ومقصد الطلبة من جميع الأقطار». وفي المدرسة المنصورية اضطلعوا بالتعليم، فقد كان معظم شيوخها من «البحرين» و«الأحساء» و«الأهواز»[6].

---

(1) ترجمته عند الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص213؛ وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج8 ص30؛ وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج13 ص95.

(2) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج8 ص181 وج10 ص284؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج1 ص188 و209.

(3) تُراجع قائمة طلابه في لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص449، الإحالة، والخوانساري، روضات الجنات، مصدر سابق، ج8 ص207.

(4) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج1 ص112، والفيض زعيم مدرسة الحديث السلفية في إيران (ت 1091هـ/1680م) يُراجع عنه البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص121؛ والخوانساري، روضات الجنات، مصدر سابق، ج6 ص75 و79 وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج11 ص175 والجابري، علي حسين، الفكر السلفي، مصدر سابق، ص326. وعن إجازة ماجد البحراني لعلماء إيرانيين آخرين يُراجع الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج1 ص228 رقم (1193).

(5) (ت1112هـ/1700م) وهو قطب في الاتجاه السلفي المعتدل، يُراجع عنه الخوانساري، روضات الجنات، مصدر سابق، ج8 ص150 والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص226؛ وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج13 ص110.

(6) اللامي، عبد الرحمن، الأدب العربي في الأحواز، منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالعراق، بغداد 1985، ص392.

وانتهز الفقهاء زياراتهم لـ «إيران» للالتقاء بعلمائها، فـ «سليمان الماحوزي» اجتمع بـ «المجلسي»، ولإعجاب «المجلسي» بعلمه أجازه[1].

ومن صور التفاعل تصنيف علماء بحرانيين كتباً وتقديمها لشخصيات إيرانية. ففي القرن السابع الهجري ألّف «ميثم البحراني» كتابه «شرح نهج البلاغة» للوزير «عطاء ملك الجويني»[2]. وصنّف «محمد بن ماجد الماحوزي» (ت 1105هـ/1693م) رسالة في الصلاة لـ «صفي محمد بن مهدي» ـ شيخ الإسلام في «شيراز» -[3].

تسنّم العلماء النازحين مراكز عليا:

وصل العديد من الفقهاء المهاجرين إلى مراكز دينية رفيعة. ففي «الهند» صار «جعفر بن كمال الدين» مرجعاً في «حيدر آباد»[4]. كما تنوعت المناصب التي تسنّموها في «إيران».

فـ «يوسف البحراني» تولّى إمام الجمعة والجماعة في جامع «شيراز»[5]. وتقلّد بعضهم القضاء، فـ «ماجد بن محمد» (ت قبل 1104هـ/1692م) وُلّي قضاء «شيراز» ثم «أصفهان»[6].

ووصل بعضهم إلى أعلى منصب فقهي في الدولة الصفوية، وهو «شيخ الإسلام»، أي قاضي القضاة. وممن تولّاه من البحرانيين «محمد بن الحسين بن أبي شبانة»[7].

وفي «عُمَان» تقلّد «سيف بن موسى بن جعفر» (كان حيّاً في 1234هـ/1818م) قضاء «صحار» من توابع «مسقط»[8]. وغدا «محمد بن شرف» (ت 1319هـ/1901م) مرجعاً لأهل تلك الأطراف[9].

---

(1) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج7 ص303.

(2) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص225. والوزير المذكور كان ممّن يعضد العلم والعلماء، تُراجع ترجمته عند الكتبي، محمد بن شاعر، فوات الوفيات، دار صادر، بيروت 1973، ج2 ص452 وج3 ص247.

(3) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص61.

(4) المصدر نفسه، ص70 والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص128 والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج4 ص137.

(5) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص73.

(6) الحر العاملي، أمل الآمل، مصدر سابق، ج2 ص225، المتن والإحالة؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص92.

(7) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص498، والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص96.

(8) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج7 ص326.

(9) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص243.

- الرافد الثالث: الآثار العلمية:

لعلّ أهم مظهر جسّد حيوية الأوضاع الفكرية وغناها ما خلّفته من آثار علمية.

وتصف دراسة معاصرة قيمة ذلك العطاء فتقول: «خلّف رجال العلم والأدب نتاجاً كبيراً وكثيراً ومتنوعاً يعدّ بعضه من المصادر المهمة في الثقافة والمعارف والعلوم العربية والإسلامية». وتشير تلك الدراسة إلى غزارة ما خلّفوه من آثار فتقول: «عدّت الفهارس نحو أربع مئة كتاب شهير في مئات المجلدات لستة عشر من مشاهير علماء «البحرين» في القرون الأربعة الأخيرة بين القرنين الحادي عشر والقرن الرابع عشر الهجريين»[1].

لقد تميّز بعض العلماء بغزارة التأليف، ويُقال إن لـ «هاشم بن سليمان» ما يربو على خمسة وسبعين مصنّفاً بين كبير ومتوسط وصغير كلها في العلوم الدينية[2]. وعدّدت مراجع الفترة أربعة وستين مصنفاً لـ «سليمان الماحوزي»، هذا عدا الحواشي والأجوبة[3].

ونظراً لما تبرزه ملكة التأليف من فكر صاحبها وتجسيدها لقدراته، فقد اعتبرت مقياساً للكشف عن ملكاته. يقول «يوسف بن عصفور» منوّهاً بمؤلفات «أحمد بن محمد الخطي المقابي»: «تصانيفه... تشهد بعلو كعبه في اللامعقول والمنقول والفروع والأصول ودقّة النظر وحدة الخاطر...»[4].

ونظراً لموسوعية الثقافة فقد تنوعت مصنّفات العالم الواحد، هذا مع غلبة الجانب الديني عليها[5].

ولننظر في بعض تلك المؤلفات، محاولين تصنيفها حسب موضوعاتها.

ويجدر أن نذكر مسبقاً أن أغلبها ما زال مخطوطاً.

---

(1) محفوظ، حسين، مصادر دراسة تراث البحرين، مصدر سابق، ص204.

(2) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص249؛ يُراجع أيضاً البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص63 والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص136، وذكر الزركلي بعضها في الأعلام، مصدر سابق، ج8 ص66؛ وكحّالة في معجم المؤلفين، مصدر سابق، وترجم له مرتين في ج13 ص132 و148 على اعتبار أنهما ترجمتان لشخصيتين مختلفتين والحقيقة أنهما شخصية واحدة (ت 1109هـ/1697م).

(3) يُراجع البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص10 وما بعدها، والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص153، والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج7 ص304، وذكر بعضها الزركلي في الأعلام، مصدر سابق، ج3 ص128؛ وكحالة في معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج4 ص267.

(4) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص38.

(5) تُراجع على سبيل المثال مؤلفات أحمد بن إبراهيم بن عصفور في لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص95 و96.

- **المصنفات الدينية:** وتتنوّع بين تفسير وحديث وفقه وغيرها.

- **الدراسات القرآنية:** اعتنوا بالكتاب العزيز تفسيراً واستنباطاً وإعراباً وقراءة.

وفي مجال التفسير برزت جهود عديدة، نذكر منها تفسيرين لـ «هاشم بن سليمان» «الهادي وضياء النادي» و«البرهان في تفسير القرآن»[1]، وهناك تفسير «صفوة الصافي» لـ «محمد بن علي المقابي» وهو في ثلاثة مجلدات[2].

في إعراب آيات الكتاب كتب «سليمان الماحوزي» رسالة في إعراب «تبارك اللَّه أحسن الخالقين»[3]. ولـ «أحمد آل ماجد البلادي» رسالة في تحقيق الكاف من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[4][5].

برزت جهود أخرى تتعلّق بالدراسات القرآنية، فـ «لأحمد بن عبد اللَّه بن المتوّج» رسالة «الناسخ والمنسوخ» من القرآن[6]، ولـ «صالح بن عبد الكريم» رسالة في تفسير الأسماء الحسنى[7].

في مجال التجويد هناك أرجوزة «الكامل في الصناعة» لـ «جعفر بن كمال الدين»[8].

عِلْمَا الحديث والفقه:

اهتمّ الفقهاء بعلم الحديث باعتباره المصدر الثاني للأحكام الشرعية، وتركزت جهود علماء الإمامية البارزين في الفترة المدروسة على تصنيف مجاميع في الحديث تضمّ بين ثناياها جميع أحاديث الكتب الأربعة التي عليها المدار عندهم[9]، وكل ما ورد في كتب

---

(1) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص249؛ وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج8 ص66 وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج13 ص132. وذكر الطهراني في الذريعة، مصدر سابق، ج3 ص93 أن تفسير البرهان طبع في 1302هـ/1884م في مجلدين دون أن يشير إلى مكان الطبع ونعتقد أنه طبع في إيران. وصدرت له طبعة في بيروت عام 1983م في أربعة مجلدات كبيرة. وذكر أنها الطبعة الثالثة.

(2) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص190، والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج15 ص49.

(3) المصدر الأول نفسه، ص154.

(4) سورة الشورى، الآية 11.

(5) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص231.

(6) البحراني، يوسف الكشكول، مصدر سابق، ج1 ص300، والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج24 ص9 و12 و13، وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج1 ص300.

(7) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص69.

(8) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج17 ص256.

(9) هي: «الكافي» للكليني (ت 329هـ) و«من لا يحضره الفقيه» للصدوق (ت 381هـ) و«تهذيب الأحكام»، و«الاستبصار» للطوسي (ت 460هـ).

الإماميـة الأخـرى مـن أحاديـث الأحـكام. فبـرزت ثلاثـة مجاميـع هـي «الوافـي» لـ «محمـد محسـن بن مرتضـى الشـهير بالفيـض الكاشـاني» (ت 1091هـ/1680م)، و«وسـائل الشـيعة» لـ «الحـر العاملـي» (ت 1104هـ/ 1692م) و«بحـار الأنـوار» لـ «المجلسـي» (ت1111هـ/ 1699م)[1].

وفـي المسـار نفسـه سـار علمـاء «البحريـن» وبـرزت جهـود عديـدة أهمهـا مصنّفان ضخمان:

- **الأول:** كتـاب «العوالـم» لـ «عبد اللَّه بـن نور اللَّـه البحرانـي»، وهـو مصنّـف جامـع للعلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال. ويقال: إنه يزيد على المئة مجلد[2].

- **والثانـي:** كتاب «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة» لـ «يوسـف آل عصفور البحرانـي» وهـو فقه اسـتدلالي كبير في مجلـدات كثيرة. ويبلغ فـي إحدى طبعاتـه الحديثة (25) مجلداً[3].

إلـى جانب هذيـن المؤلفين برزت جهود لشـرح بعض تلك المجاميع، وهناك شـرحان لكتاب «وسـائل الشـيعة». الأول لـ «محمد بن علي بـن عبد النبي المقابي»، وسـمّاه «مجمع الأحكام»[4].

ونظـراً للعلاقـة الوشـيجة بين عِلْمَـي الحديـث والفقه، فقد اتجـه كثير مـن المحدّثين وغيرهم إلى كتابة المصنّفات الفقهية المستنبطة من الكتاب والسُّنَّة.

وتكثـر الأبحاث الفقهية كثرة واضحة حتى يصعـب الإحاطة بها، ولا غرابة في ذلك لأن الثقافة الدينية هي المسيطرة، وهي تتنوّع بين رسائل وكتب، وسنركز على أهمّها:

---

(1) يُراجـع عن هـذه الكتب: الطهراني، آقا بـزرك، الذريعة، مصـدر سـابق، ج4 ص352 و353 وج25 ص13 وج3 ص16.

(2) المصـدر نفسـه، ج15 ص356. ولم نعثر على معلومات دقيقة ووافية عن هـذا المؤلف. وهناك اختلاف في اسـم أبيـه فهـو نور اللَّـه أو نور الديـن. لكـن يوجد اتفـاق على أنـه بحرانـي. يُراجـع: الخوانسـاري، روضات الجنـات، مصـدر سـابق، ج4 ص254؛ والأمين، محسـن، أعيان الشـيعة، مصـدر سـابق، ج8 ص87. ويذكر أنه مـن تلاميـذ المجلسـي، وأنـه أعانه فـي تأليف كتابـه «البحـار». ويظهـر أن أجزاء مـن كتابه المذكـور كانت مطبوعـة على الحجـر وأن الكثير منها قد أعيـد طبعه في إيران حديثـاً. تُراجع مجلة تراثنـا، العدد 1 ص91، والعدد الجامع لرقمي 7 و8 ص398، والعدد 10 ص218 و220 و232 والعدد 15 ص225.

(3) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سـابق، ج6 ص289؛ وأعلام الزركلي، مصدر سـابق، ج8 ص215؛ وكحالة، عمـر، معجـم المؤلفيـن، مصـدر سـابق، ج13 ص268. والكتـاب مطبـوع فـي العـراق عـام 1386هـ/1966م وطبعت بعض أجزائه حديثاً في إيران. عن مجلة تراثنا، العدد 10 ص226.

(4) المصـدر الأول نفسـه، ج4 ص353، وكحالـة، عمـر، معجم المؤلفين، مصـدر سـابق، ج11 ص24، وذكر الأول فقط.

على صعيد المصنفات ذات الموضوعات الفقهية المتعددة هناك كتاب «رياض الدلائل وحياض المسائل» لـ «أحمد بن محمد المقابي»[1] (ت 1102هـ/1690م)، وكتاب «جواهر البحرين في أحكام الثقلين» لـ «عبد اللّه بن صالح»[2]، ورسالة في أصول الدين لـ «محمد بن أحمد آل عصفور» (ت 1183هـ/1769م)[3].

تركزت الأبحاث الفقهية الأخرى حول جانبين هامين، هما العبادات والمعاملات:

- **العبادات:** على هذا الصعيد استأثر موضوع الصلاة والصوم والحج والطهارة باهتمام العلماء فصنّفوا فيه الكثير من المؤلفات.

ومن الكتب التي تناولت مسائل العبادات كتاب «رسائل أهل الرسالة ودلائل أهل الدلالة» لـ «حسين آل عصفور»، تناول فيه جلّ المسائل المتعلقة بالعبادات[4].

واختصت بعض المؤلفات بموضوع واحد كرسالة الصلاة لـ «علي بن سليمان القدمي»[5] (ت 1064هـ/1653م)، ورسالة «سليمان الماحوزي» في الموضوع نفسه[6].

ضمن إطار الصلاة صنّف «يوسف البحراني» رسالة «إتمام الصلاة في الحرم الأربعة»[7].

كما كتبت العديد من المؤلفات في متعلقات الصلاة، فـ «لعبد اللّه بن عباس الستري» (ت حوالي 1279هـ/1862م) رسالة في «حكم الجهر والإخفات بالتسبيح في الأخيرتين»[8]، ولـ «أحمد بن طعان» (ت 1315هـ/1897م) رسالة «قرّة العين في حكم الجهر بالبسملة والتسبيح في الأخيرتين»[9].

في موضوع الحج صنّف «سليمان الماحوزي» رسالة في «مناسك الحج» وأخرى في

---

(1) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج1 ص305؛ الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج11 ص324 وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج2 ص169.

(2) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج8 ص54؛ وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج4 ص92؛ وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج6 ص63.

(3) المصدر الأول نفسه، ج9 ص71.

(4) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص210، الأميني، عبد الحسين، شهداء الفضيلة، مصدر سابق، ص316؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج6 ص141.

(5) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص14.

(6) المصدر نفسه، ص10.

(7) المصدر نفسه، ص448، والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص317.

(8) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص234.

(9) المصدر نفسه، ص255؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج2 ص605.

المسائل الخلافية فيه[1]. ولـ «حسين آل عصفور» المنسك الكبير والمتوسط والصغير وجميعها في الحج[2].

- **المعاملات:** أُلِّفَت الكثير من المصنفات في هذا المجال. ففي موضوع العقود صنّف «مُفلح الصيمري» رسالة «جواهر الكلمات في العقود والإيقاعات»[3]، ولـ «عبد اللَّه بن صالح» رسالة موضوعها العقد المنقطع[4].

على صعيد الميراث كتب «يوسف البحراني» رسالة في «أحكام الميراث»، وكتب ابن أخيه «خلف بن عبد علي العصفور» رسالة في الموضوع نفسه[5].

يجدر القول أن الكثير من المصنفات الفقهية كتبت لدواعٍ متعددة: فـ «سليمان الماحوزي» مثلاً ألّف رسالته في «مناسك الحج» بالتماس «أحمد بن عبد الرؤوف» أحد علماء «البحرين»[6]. و«يوسف البحراني» كتب رسالته في «الرضاع» إثر مناقشة علمية حول هذا الموضوع[7].

واهتموا ـ علاوة على المسائل الفقهية ـ بالقضايا المتعلقة بأصول الدين.

ومن أبحاثهم فيها كتاب «سليمان الماحوزي» «العشرة الكاملة» تناول فيه عشر قضايا أصولية[8]، وكتاب «نخبة الأصول» لمحمد بن علي المقابي، اهتم فيه ببيان صحة الطريقة الوسطى بين الأصوليين والإخباريين[9].

---

(1) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص10.

(2) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص210؛ والأميني، عبد الحسين، شهداء الفضيلة، مصدر سابق، ص361؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج6 ص141.

(3) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص75؛ وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج7 ص281؛ وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج12 ص316.

(4) المصدر الأول نفسه، ص100 إحالة (36).

(5) عن الأول: يُراجع البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص447؛ والخوانساري، روضات الجنات، مصدر سابق، ج8 ص206؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص317 والثاني: التاجر، مسودات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة (301).

(6) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص153. والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج7 ص304.

(7) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص448؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج11 ص195.

(8) المصدر نفسه، ص10؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص153؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج7 ص304.

(9) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص190، والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج24 ص93؛ وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج11 ص24.

ضمـن الإطار نفسـه ألّف «علي بـن محمـد الصالحـي» (ت 1247هـ/1831م) كتاباً في الـرد علـى القائليـن بالقيـاس[1] وكتب «أحمد بـن صالح بـن طعان» كتابـه «مـلاذ العباد في أحكام التقليد والاجتهاد»[2].

العقيدة:

تتعـدد الأبحاث في هذا الموضـوع. واتجه بعضها للدفاع عن العقيدة الإسـلامية ضد منتقديهـا، ككتاب «لسـان الصـدق» لـ «علي بن عبد اللَّه السـتري»[3]. واتجـه البعض الآخر لدراسـة صلـب العقيـدة. وتناولوهـا بشـكلين: تنـاولاً عامـاً ككتـاب «محاسـن الاعتقـاد» لـ «حسـين العصفـور»[4] أو بالتركيـز علـى ناحية مـن نواحيها، كرسـالة «يوسـف البحراني» فـي «تحقيـق معنـى الإسـلام والإيمـان»[5]، ورسـالة «سـليمان الماحـوزي» في معنـى «نيّة المؤمن خير من عمله»[6]، وألّفوا في مسـألة التوحيد، ولـ «حسـن الدمسـتاني» رسـالة في هذا الموضوع[7].

صنّفوا في موضوع الإمامة وما يتعلّق بها من موضوعات، ولـ «هاشـم بن سـليمان» ما يربـو علـى العشـرة مصنّفـات فيها، منهـا «مدينـة المعجزات فـي النص علـى الأئمـة الهداة» و«إثبـات الوصية»[8]، ولـ «علي بن عبد اللَّه السـتري» عدة مؤلفات منهـا كتاب «منار الهدى في إثبات النص على الأئمة»[9].

---

(1) التاجر، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة (687).

(2) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج2 ص606؛ وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج1 ص135.

(3) البـلادي، علـي، أنـوار البدرين، مصـدر سـابق، ص237؛ والطهرانـي، آقا بـزرك، الذريعة، مصدر سـابق، ج18 ص305؛ وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج7 ص137.

(4) المصدر الأول نفسه، ص210؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج20 ص125.

(5) عـن الأولـى، يُراجـع الخوانسـاري، روضـات الجنـات، مصـدر سـابق، ج8 ص206؛ والأميـن، محسـن، أعيـان الشـيعة، مصـدر سـابق، ج10 ص317؛ وعـن الثانيـة: البلادي، علي بن حسـن، أنـوار البدرين، مصدر سـابق، ص238؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج16 ص175.

(6) البحراني، يوسـف، لؤلؤة البحرين، مصدر سـابق، ص12؛ والأمين، محسـن، أعيان الشـيعة، مصدر سـابق، ج7 ص304.

(7) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج5 ص261.

(8) تُراجـع تصنيفاتـه فـي البحرانـي، يوسـف، لؤلـؤة البحرين، مصـدر سـابق، ص64 ومـا بعدها والخوانسـاري، محمـد باقـر، روضـات الجنـات، مصـدر سـابق، ج8 ص182 والأمين، محسـن، أعيان الشـيعة، مصدر سـابق، ج10 ص250؛ وأعـلام الزركلـي، مصدر سـابق، ج9 ص48؛ وكحالـة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سـابق، ج3 ص132.

(9) الطهرانـي، آقـا بـزرك، الذريعـة، مصـدر سـابق، ج22 ص344؛ وأعـلام الزركلـي، مصـدر سـابق، ج4 ص308 وكحالـة، عمـر، معجـم المؤلفيـن، مصـدر سـابق، ج7 ص137، طبـع هذا الكتـاب علـى الحجر سـابقاً وأعيد طبعه مؤخراً في بيروت، عن مجلة تراثنا، العدد 6 ص222.

ركّز البعض على القضايا الخاصة بالمذهب الجعفري، ففي موضوع التقية كتب «حسين آل عصفور» رسالة «الجنّة الواقية في أحكام التقيّة»، ولـ «علي بن عبد اللّه الستري» رسالة في الموضوع نفسه[1].

أُلِّفَت الكثير من المصنفات في فضائل آل البيت وأنسابهم، منها: كتاب «عقد اللآل في فضائل النبي والآل» لـ «أحمد بن سليمان الإصبعي الشاخوري»[2].

وفي نسب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صنّف «سليمان بن صالح بن عصفور» كتاب «الحدائق»[3]. ولـ «حسين بن عصفور» رسالة: «باهرة العقول في نسب الرسول»[4].

المؤلفات اللغوية:

اهتمّ الفقهاء بعلوم اللغة على اعتبارها وسيلة هامة لفهم أحكام القرآن والحديث، ويأتي النحو على رأس تلك الاهتمامات. وكانت قدرة العالم اللغوية موضع الثناء. فقد لقّب السيد «علي بن إسماعيل الغريفي» بـ «سيبويه» لبراعته في النحو[5]. ومما أطري به «محمد البحراني» أنه عالم في النحو واللغة[6].

تجسّد الاهتمام باللغة في بروز العديد من المؤلفات اللغوية، وصنّف الكثير منها لأغراض تعليمية، وقصد بالبعض الآخر الدراسة اللغوية ذاتها.

لـ «ياسين بن صلاح الدين» عدة مصنفات أهمها كتاب «الروضة العليّة في شرح الألفية». ويقال: إنها من أحسن الشروح، وهي بحجم شرح ابن الناظم وضمّنها اعتراضات كثيرة عليها. وله شرح على شرح «ابن الناظم» فيه الكثير من الردود والاعتراضات سمّاه «السيف الصارم في الرد على ابن الناظم»[7]، فردّ عليه أحد تلاميذه بكتابه ينتصر فيه لابن الناظم سمّاه «السيف السنين في الرد على مولانا الشيخ ياسين»[8].

وفي مجال الشروح هناك شرح لـ «عبد اللّه بن عباس الستري» على شرح السيوطي

---

(1) عن الأول: يُراجع البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص209؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج5 ص163 وعن الثاني: البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص238؛ وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج5 ص123.

(2) الزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ص150؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج15 ص295.

(3) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج6 ص280.

(4) الأميني، عبد الحسين، شهداء الفضيلة ص316؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج3 ص15.

(5) الخاقاني، علي، شعراء الغري، مصدر سابق، ج6 ص250.

(6) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج9 ص190.

(7) يُراجع تعريف ابن الناظم في ص85، إحالة 3.

(8) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص222؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص283.

للألفية[1]. وفي نطاق المنظومات النحوية نذكر منظومة «ظننتُ وأخواتها» لـ «حسين العصفور»[2].

هناك مصنّفات ركّزت على موضوع نحوي واحد كرسالة «علي بن محمد الصالحي» في إثبات أن الإضافة المحضة إما بمعنى اللام التي تفيد الاختصاص الكامل أو بمعنى من البيانية[3]. ولـ «محمد بن محسن العصفور» كتاب في النحو وآخر في معاني الحروف[4].

على صعيد الدراسة الدلالية ـ المعجمية ألّف «يحيى بن حسين البحراني» رسالته «بهجة الخاطر ونزهة الناظر»، وهي في الفرق بين الكلمتين المتماثلتين في المعنى، كالفرق بين التسمية والبسملة، والحمد والشكر، والحمد والمدح... إلخ[5].

ومن الجهود اللغوية المتعلقة بالشعر رسالة في علم العروض والقافية لـ «حسين بن حسن الغريفي»[6].

العلوم العقلية:

جسّد المتكلّمون من علماء «البحرين»[7] الاهتمام الكبير بالعلوم العقلية. وقد استمر ذلك في المرحلة المدروسة. وذكر أن «محمد بن يوسف المقابي» (ت 1103هـ/1691م) ماهر في العلوم العقلية والرياضيات[8].

وقد ترتّب على ذلك الاهتمام ظهور العديد من المصنّفات العقلية. فـ «لداود بن أبي شافيز» رسالة في علم المنطق ذهب فيها مذهب «الفارابي» [9]. ولـ «أحمد بن محمد بن يوسف المقابي» رسالة سمّاها «المشكاة المضيئة في العلوم المنطقية»[10].

---

(1) البلادي، علي، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص234.

(2) المصدر نفسه، ص210؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج23 ص122.

(3) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمته 687.

(4) المصدر نفسه، ترجمته 898.

(5) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص289؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج3 ص161.

(6) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص81؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج5 ص471.

(7) ممّن أطلق عليه متكلّم أحمد بن علي بن سعادة البحراني (ت قبل 672هـ/1274م)، يُراجع كحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج2 ص8 وميثم البحراني (ت 699هـ/1299م). الزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ج8 ص293. وكحالة، ج13 ص55.

(8) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص39. والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص100.

(9) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج23 ص50. وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج4 ص142.

(10) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص38؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج3 ص173. وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج2 ص169.

ضمـن الإطار نفسـه صنّف «سـليمان الماحوزي» كتاب «الشـفا في الحكمـة النظرية» ورسالة في المنطق[1].

هنـاك بحـوث ركّـزت على بعـض القضايـا العقليـة الفلسـفية ككتـاب «الجـزء الذي لا يتجزأ» لـ «عبد اللّه بن علي البلادي»[2]، ولـ «أحمد بن إبراهيم العصفور» رسـالة في الجوهر والعـرض، ورسـالة فـي بيـان القـول بحيـاة الأموات بعـد المـوت[3]، ولـ «علي بـن محمد بن عبد النبي المقابي» رسالة في الروح[4].

علم الرجال ـ التراجم:

أُغـرِم بعـض العلمـاء بالتصنيـف فـي هـذا المجـال. وذكـر أن أعظـم علـوم «سـليمان الماحـوزي» الرجـال والحديـث وغيرهـا. ويـروى أنه قال: إنـي أعرف رجـال الحديـث والرواة أعظم من معرفتي لأهل ماحوز[5] أي قريته.

مـن مؤلفاتهم فـي هذا المجـال كتاب «تاريخ مشـايخ الشـيعة» لـ «يحيى بن حسـين البحرانـي»[6]. ولـ «هاشـم بن سـليمان» مجموعـة مصنّفـات فـي هذا المجـال، منهـا: كتاب «تنبيهات في رجال التهذيب» وكتاب «تعريف رجال من لا يحضره الفقيه»[7].

وفي الاتجاه نفسـه كتب «محمد بن علي آل شبانة» كتابه «تتميم أمل الآمل»، وترجم فيـه لمئة وثمانين رجلاً رتّبه علـى الحروف وختمه بالتاريخ لأربعين عالمـاً بحرانياً. وله كتاب آخر في الرجال كبير[8].

هنـاك كتابـان فـي التراجـم لهمـا أهميتهمـا بسـبب تداولهمـا وهمـا: كتـاب «يوسـف البحرانـي» «لؤلـؤة البحرين»، وهو في الأسـاس إجازة كتبهـا لابني أخويه ترجم فيه لشـيوخه

---

(1) البحراني، يوسـف، لؤلؤة البحرين، مصدر سـابق، ص10، 12؛ والأمين، محسـن، أعيان الشـيعة، مصدر سابق، ج7 ص304.

(2) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج5 ص104.

(3) البحرانـي، يوسـف، لؤلـؤة البحرين، مصـدر سـابق، ص95؛ والبـلادي، علي بن حسـن، أنوار البدريـن، مصدر سابق، ص168؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج2 ص464.

(4) البلادي، علي بن حسـن، أنـوار البدرين مصدر سـابق، ص192؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سـابق، ج21 ص260.

(5) المصدر الأول نفسه، ص151؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج7 ص303.

(6) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص289.

(7) البحرانـي، يوسـف، لؤلـؤة البحرين، مصـدر سـابق، ص65؛ والبـلادي، علي بن حسـن، أنوار البدريـن، مصدر سابق، ص138؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص249.

(8) الطهرانـي، آقـا بزرك، الذريعة، مصدر سـابق، ج3 ص339. تُراجع أيضاً ترجمة يوسـف بن عبد اللّه آل شـبانة البحراني في معجم المؤلفين لكحالة، مصدر سابق، ج13 ص311.

الذيـن يروي عنهـم، وتتبع سلسـلة رواياتهـم[1]. والثانـي كتاب «أنـوار البدريـن» لـ «علي بن حسـن البـلادي» (ت 1340هـ/1921م)[2] ترجـم فيـه لعلمـاء «البحريـن» و«القطيـف» و«الأحساء» حسبما تسنّى له وحتى الفترة التي عاشها.

إضافـة للتراجم العامة ظهرت مصنفات تركّز على سـيرة شـخصية معيّنة. ولـ «سـليمان الماحـوزي» رسـالة ترجـم فيهـا لـ «ميثـم البحرانـي» سـمّاها «السـلافة البهيـة فـي الترجمـة الميثمية»[3].

كما كتب «علي بن حسن البلادي» رسالة في ترجمة شيخه «أحمد بن طعّان الستري» سمّاها «الحق الواضح في أحوال العبد الصالح»[4].

الشروح والحواشي وملحقاتها:

اهتـمّ علماء «البحرين» بشـرح أمهـات الكتب في مختلـف الموضوعات، كما شـرحوا بعـض المصنّفـات الطريفة أو المفيـدة. وتركّز اهتمامهم فـي الدرجة الأولى على شـرح كتب الفقه القديمة والمعاصرة لهم.

ومـن كتب الفقه القديمة التي شـرحوها كتـاب «من لا يحضره الفقيـه» لـ «الصدوق» وهـو «ابـن بابويه القمّـي» (ت 381هـ)، ولـ «عبد اللّه بن صالح» شـرحان عليه، الأول سـمّاه «إرشـاد ذهن النبيه في شرح أسـانيد من لا يحضره الفقيه»، والثاني «من لا يحضره النبيه في شـرح من لا يحضـره الفقيه»[5]، ولـ «يوسـف البحراني» كتاب «معراج النبيه في شـرح من لا يحضره الفقيه»[6].

كمـا شـرح «مفلـح الصيمـري» كتـاب «شـرائع الإسـلام» لـ «المحقّـق الحلـي»، وهـو «جعفر بن الحسن» سمّاه «غاية المرام في شرح شرائع الإسلام»[7].

---

(1) الطهرانـي، آقـا بـزرك، الذريعـة، مصـدر سـابق، ج18 ص379 وأعـلام الزركلـي، مصـدر سـابق، ج8 ص215 والكتاب مطبوع في العراق.

(2) الطهرانـي، آقـا بـزرك، الذريعـة، مصـدر سـابق، ج2 ص420؛ وأعـلام الزركلـي، مصـدر سـابق، ج4 ص276 ومحفوظ، حسين، مصادر دراسة تراث البحرين، مصدر سابق، ص247. والكتاب مطبوع في العراق.

(3) أوردها يوسف البحراني كاملة في كشكوله، مصدر سابق، ج1 ص41 وما بعدها.

(4) البلادي، علي بن حسـن، أنـوار البدرين، مصدر سـابق، ص272 والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سـابق، ج7 ص39.

(5) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص99 والأمين محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج8 ص54.

(6) المصدر الأول نفسه، ص448 والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج21 ص236.

(7) عـن الكتـاب الأصـل يُراجع الطهراني، آقـا بزرك، الذريعـة، مصدر سـابق، ج13 ص47 وعـرّف المحقّق الحلّي فـي ص81 إحالـة (1). وعـن الشـرح يُراجـع الأميـن، محسـن، أعيـان الشـيعة، مصـدر سـابق، ج10 ص133، والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج13 ص329.

ومـن الشـروح الفقهيـة للمعاصريـن شـرح «سـليمان الماحـوزي» للاثنـي عشـرية في الصـلاة لـ «البهائـي»، كمـا عرضوا بالشـرح للعديد مـن الكتـب ذات الاختصاصـات المختلفة. ولـ «ميثم البحراني» ثلاثة شروح لنهج البلاغة، كبير ومتوسط وصغير[1].

ولــ «حسـين بن أبـي سـروال» كتـاب «الكواكـب الدريّة فـي شـرح الرسـالة النجمية» والأصل لأستاذه[2].

كما شرح «عبد علي التوبلي» رسالة «محمد بن أحمد البلادي» في علم الهيئة[3].

عـلاوة علـى الشـروح كتبـوا حـواشٍ علـى مـا درسـوه أو قـرؤوه، ضمّنوهـا تعليقاتهـم وإضافاتهـم. وفي مجـال الفقه كتب «ماجد بن هاشـم» حـواشٍ على كتاب «الشـرائع» وعلى اثنـي عشـرية «البهائي»[4]. كما كتب «محمد بن خلف السـتري» حاشـية علـى زبدة الأصول لـ «البهائي»[5].

علـى صعيد العلوم الأخـرى كتب «إبراهيم بـن عبد النبي القدمي» حواشٍ على شـرح اللمعـة[6]. ولــ «علي بـن حسـن البـلادي» حـواشٍ عديـدة علـى شـرح النهـج لـ «ابـن أبـي الحديد»[7].

طمـح بعضهـم إلـى إتمام بعـض الكتب، فصنّف «حسـين العصفـور» كتابـه «الحقائق الفاخـرة فـي تتميـم الحدائـق الناضـرة». والأصـل لعمّه «يوسـف البحرانـي»، وله أيضـاً كتاب «الحدق النواظر في تتمة كتاب النوادر» لـ «الفيض الكاشاني»[8].

وأعـادوا ترتيـب مـادة بعـض الكتـب المعروفـة. ولــ «داود الجزيـري» ترتيـب رجـال «الكشّي» على حروف المعجم، وترتيب كتاب معاني الأخبار لـ «الصدوق»[9].

---

(1) الحـر العاملـي، أمل الآمل، مصدر سـابق، ج2 ص332. والشـرح الكبيـر طبع في طهـران 1276هـ/1859م في خمسـة أجـزاء. عن البحراني، يوسـف، لؤلـؤة البحرين، مصدر سـابق، ص255 و256 إحالـة 44. وطبع مؤخراً في بيروت وطبعته الثانية في 1401هـ/1981م.

(2) المصدر الأول نفسه، ج2 ص97 والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص78.

(3) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص248.

(4) المصدر نفسه، ص87.

(5) المصدر نفسه، ص229.

(6) التاجر، محمد علي، مسـودّات المنتظم، مصدر سـابق، ترجمته، 15، والأصل اسـمه «الروضة البهية في شرح اللمعـة الدمشـقية لزيـن علي بن أحمـد العاملـي الشـهيد فـي 1384/786؛ والطهرانـي، آقا بـزرك، الذريعة ج18 ص352 وكلها في الفقه.

(7) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص272.

(8) تُراجـع مؤلفاتـه فـي أنـوار البدريـن 209 والأميني،عبـد الحسـين، شـهداء الفضيلـة، مصـدر سـابق، ص315 والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج6 ص141.

(9) يُراجـع البـلادي، علـي بـن حسـن، أنـوار البدريـن، مصـدر سـابق، ص186؛ والأمين، محسـن، أعيان الشـيعة، =

ولخّص بعض العلماء أمهات المصادر في مختلف الموضوعات، ولـ «يحيى بن عشيرة البحراني» تلخيص «علل الشرائع» لـ «الصدوق» وتلخيص «كشف الغمّة» لـ «بهاء الدين الأربلي» ـ المتوفى في 692هـ، وتلخيص «مجمع البيان» لـ «الطبرسي» وتلخيص معارف «ابن قتيبة»[1].

المسائل الجوابية:

دأب فقهاء «البحرين» على الاستفسار عن بعض المسائل الدقيقة، وكتب من وجّهت إليه الأسئلة إجاباته في كتب أطلق عليها اسم السائل أو البلد الصادرة عنه. وكانت الموضوعات الفقهية هي القطب التي دارت حوله أغلب تلك الكتب، من ذلك: مصنّف «عبد اللّه بن صالح» «منية الممارسين في أجوبة سؤالات الشيخ ياسين»، وهو تلميذه «ياسين بن صلاح الدين»، وللمصنّف نفسه «النفحة العنبرية في جوابات المسائل التسترية»[2].

المعايير التقييمية للمصنّفات:

رافق نشاط حركة التأليف نظرة نقدية ظهرت لدى العلماء البارزين، كـ «يوسف بن عصفور البحراني». فكان يظهر الإيجابيات والسلبيات في شخصيات العلماء ومصنّفاتهم. وتتمثل أهم الجوانب الإيجابية التي أطريت بها تلك المصنّفات في:

- أن تتميّز على صعيد المضمون بـ «دقّة النظر وحدّة الخاطر»[3]، وما ينجر عن ذلك من إتيانها «مشفوعة بالتحقيق والتدقيق»[4].

- وعلى صعيد الشكل استحسن أن تأتي المصنّفات زاخرة بـ «مزيد البلاغة والفصاحة في التعبير والتحبير والتحرير»، وما يترتّب على ذلك من حسن الإنشاء والعبارة[5]

= مصدر سابق، ج6 ص386؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج4 ص66 رقم 269 وص70 رقم 286 وأيضاً رقم 288.

(1) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص2898؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج4 ص424 وما بعدها رقم 1869 و1874 و1879 و1896.

(2) يُراجع البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص98 وما بعدها، والخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات، مصدر سابق، ج4 ص248؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج8 ص53. وتستر مدينة بخوزستان.

(3) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص38.

(4) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص192.

(5) البحراني، يوسف لؤلؤة البحرين ص38 وص95. تنظر أحكام مماثلة وردت في ص136 وعند البلادي، علي، في أنوار البدرين، مصدر سابق، ص84.

وعيـب على الأبحـاث أن تأتي خالية من التحقيق غير مهذّبـة ولا محررة منقّحة وذلك بسبب شدّة الاستعجال وحبّ الإكثار من التصنيف[1].

وأُخِـذ عليها أن تكون مجـرّد جمع وتأليف، بعيدة عن ترجيح الأقوال وعدم وضوح رأي المصنّف إزاء القضية المدروسة[2].

عيـب علـى المؤلفات ذات العلاقة بالتاريـخ ذكرها لأحاديث غريبـة وأخبار نادرة ليس لها سند تاريخي من كتب التواريخ المشهورة والسير المعروفة[3].

وفـي العموم اتّسـمت الحركة العلميـة في «البحرين» في الفترة المدروسـة بالنشـاط والحيويـة. وغلب عليهـا الطابع التقليدي، وكان لبعض ما ألّف فيها مـن مصنّفات قيمة كبيرة. وعبّرت دراسـة معاصرة عـن أهمية ما خلّفه فقهاؤها من آثار علميـة فقالت: «غصّت بكتبهم الخزائـن، واعتزّت الثقافـة العربية بتراثهم الكثيـر المتنوّع المجيد البـارع، وتعدّ بعض آثارهم الباقية من المصادر المهمة في المعارف والعلوم»[4].

الحـياة الأدبـية:

واكـب نشـاط الحركـة الفكرية ازدهار فـي الحياة الأدبيـة على صعيد فرعيها الشـعري والنثـري. ففي ظلال العلم ترعرع الأدب ونشـط، وبسـقت غصونه. وقد فاق الشـعر النثر في التدفّق والبروز.

وضعية الشـعر: نشط بدرجة واضحة، ولعلّ السمة البارزة مساهمة الفقهاء في نظمه؛ فقد كان الكثير منهم شـعراء، وسـاهم اطلاعهم الجيّد في ثنايا التاريخ والسير والأدب وأشعار العـرب[5] في إثراء أفكارهم، وإبقاء جذوة الشـعر مشـتعلة. كما أن الاتصـال بمختلف العلوم أتاح لهم الإحاطة بأدوات الشعر ومعرفة أطره المختلفة من نحو ولغة وأخبار إلى حدٍّ ما.

ومـن ناحية أخرى كان لقسـوة الأحـداث وضراوتها ومـا انجرّ عنها من محـن أثرها في تفتيـق قرائحهـم. فغـدا الشـعر متنفّسـاً يخفّفون فيه مـن معاناتهـم ويعبّرون مـن خلاله عن آلامهم.

ويتـراءى أن النـاس كانـوا مغرميـن بالشـعر، وأن الشـعراء اغتنمـوا المناسـبات الدينية

---

(1) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص102.

(2) المصدر نفسه، ص63. ترجمة هاشم بن سليمان.

(3) هذا النقد وجّهه البلادي في أنوار البدرين، مصدر سابق، ص230 للمصنّفات التاريخية لعبد الرضا المكتّل.

(4) محفوظ، حسين، مصادر دراسة تراث البحرين، مصدر سابق، ص183.

(5) يقـول البـلادي فـي أنـوار البدريـن ص238: إن لعلي بـن عبد اللّـه السـتري حافظـة عظيمـة فـي التواريـخ والحديـث والسـير والأدب وأشـعار العـرب. ينظـر أيضـاً مـا قالـه التاجـر فـي مسـودّات المنتظم عـن ثقافة أحمد بن عباس التاجر، ترجمة 62.

لإلقاء ما نظموه. ويذكر أن «علي بن ماجد الحسيني» كان محباً لإنشاد الشعر، مواظباً على سماعه وقراءته، منشغلاً به ليله ونهاره. فحصلت له ملكة قوية اقتدر بها على نظم القريض[1].

وإذا كانت الحركة الفكرية قد أخذت في البروز ابتداءً من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي[2]. فإنه يمكن عدّ مطلع القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي الانطلاقة التي انبعث فيها الأدب، تشير إلى ذلك مقولة «ماجد بن هاشم» (ت 1028هـ/1618م) في تعليقه على قصيدة جعفر الخطي[3]: «الحمد للَّه على تجديد معالم الأدب بعد اندراسها، وتقويم راية البلاغة بعد انتكاسها وردّ غرايب ألفاظها إلى مسقط رأسها، وإزالة وحشتها إلى إيناسها».

وتدلّنا القرائن الأدبية أن الشعر انبعث قوياً غزيراً، فهناك عشرات الدواوين ومئات الشعراء الذين وصلتنا أسماؤهم. ونظرة فيما قيل عن بعض الشعراء ربّما كانت كافية للدلالة على شدة تدفّقه. وقد قيل: إن لـ «أحمد بن عبد اللَّه البلادي» (1137هـ/1723م) ألف قصيدة في رثاء آل البيت عدا غيرها من التواريخ والمدائح[4].

وللشيخ «إبراهيم بن علي البلادي» (كان حياً في 1150هـ/1737م) كتاب «جامع الرياض» ويحتوي على أربع عشرة روضة. والروضة في الاصطلاح الشعري ديوان مشتمل على ثمان وعشرين قصيدة بعدد الحروف في رويّها كما يقال[5]. وهذا يعني أن للشاعر 392 قصيدة في هذا الديوان، وكلّها في مدح الرسول ﷺ وآله.

ومهما كانت المبالغة في هذه الأقوال فإنها تكشف عن غزارة الشعر وشدة تدفّقه. ولقد حفظت لنا بعض الدواوين التي وصلتنا والمجموعات الشعرية التي اطلعنا عليها من ذلك الشعر[6]. إلا أن جلّه ما زال مجهولًا، مطموس المعالم[7].

---

(1) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص94.

(2) تُراجع بداية الفصل 51 وما بعدها.

(3) تُراجع عند المدني، علي خان ، سلافة العصر، مصدر سابق، ص531 والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص262.

(4) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص167.

(5) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج5 ص57.

(6) سنعرض لما اطلعنا عليه عند حديثنا عن المدونة الشعرية. وهناك مجموعات لم نتمكّن من الوصول إليها ككتاب في الأدب لإبراهيم بن عبد النبي القدمي ذكره التاجر في المنتظم ترجمته (15) ومجموع المراثي للشيخ لطف اللَّه الجدحفصي، يُراجع عنه الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج20 ص104 ومحفوظ، حسين، مصادر دراسة تراث البحرين، مصدر سابق، ص251.

(7) ومن الغريب أن يصدر باحث معاصر حكماً قاطعاً ويعمّمه، فيذكر أن الشعر العامّي ـ النبطي ـ هو اللون =

ونظراً لكون هذا الشعر بمختلف أبعاده هو المحور الذي ستدور حوله دراستنا يستحسن إرجاء الحديث عنه للفصول القادمة. ونبادر إلى إلقاء نظرة سريعة على الفرع الثاني للأدب وهو:

الفنّ النثري:

ويمكن تقسيم هذا اللون من الأدب إلى ضربين:

الأول: نثر علمي وهو أسلوب الكتابة في المؤلّفات. ويغلب عليه الطابع العلمي الخالي من الزينة اللفظية كما هو الحال في كتابي «لؤلؤة البحرين» لـ «يوسف البحراني» و«أنوار البدرين» لـ «علي بن حسن البلادي». وقد استشهدنا بنماذج منهما.

الثاني: نثر فنّي وقد استخدم في موضوعات يغلب عليها الطابع الأدبي، وهو يتّسم بالصنعة والزخارف اللفظية ومنه:

1 ـ الرسائل الإخوانية:

وتشكّل أبرز ما وصلنا من نثر فنّي. وحفظت لنا مصادر الفترة مجموعة هامة منها، متعدّدة الأغراض، وأقدمها رسالة بعث بها الشاعر «محمد بن عبد اللّه الحسيني» إلى «علي خان المدني» صاحب «سلافة العصر» ضمّنها تحياته وأدعيته وثناءه. ومما جاء فيها: «وأُنهي أبهى سلام شدَت بنغمات السرور أطياره، وبدَت على صفحات الدهور أنواره. وأصلح دعاء تَعاضَدَتْ شرائط إجابته، وتَرَادَفَتْ وسائط إصابته، وسَمَتْ مصاعد قبوله، ونَمَتْ فوائد فروعه وأصوله. وأنفس ثناء ثُنِيتْ بالوفاء وسائده ومسائده، وبُنِيتْ على الولاء قواعده ومقاعده...»[1].

وتظهر عناية الكتّاب برسائلهم الإخوانية من خلال ما كتبه «يوسف البحراني» لشيوخه وأقاربه[2]. ومن رسالة وعظية بعثها لابنه يوجّهه فيها لما فيه نجاح دنياه وآخرته، ومما قاله: «إن الإنسان ليس إنساناً باللحم والجسد، ولا بالجوارح المركّبة فيه مدى الأبد. بل بالروح والنفس الناطقة لا من حيث هي كذلك، بل من حيث استكمالها بكمالاتها اللائقة بما هنالك، وللّه درّ من قال:

= الغالب في القرن الماضي في بيئات الخليج. ثم يذهب إلى أبعد من هذا فيرى أن الشاعر عبد الجليل الطباطبائي الذي تنقّل عبر ربوع الخليج وبلدانه (ت 1271هـ/1853م) هو باعث الشعر الفصيح هناك. يُراجع فهمي، ماهر حسن، تطوّر الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1981، ص26 و27. وكان الأجدر بالباحث أن يتحرّى الحقيقة، ولا يلقي القول على عواهنه، مكتفياً بما يطفو فوق السطح من أقوال، خاصة فيما يتعلّق بالبحرين.

(1) المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص498.

(2) تُراجع في كشكوله، ج2 ص392 وما بعدها.

[بسيط]

يـا خـادمَ الجسـمِ كَـي تشـقَى بعِلتـهِ وتطلـبَ الربـحَ مـمّا فيـه خِسْـرانُ

فلازم ـ وفّقك اللّه له ـ الدروس والنظر:

اقْبِـلْ علـى النفـسِ واسـتكمِلْ طريقَتَهَـا فأنـتَ بالنفـسِ لا بالجسـمِ إنسـانُ

واتخذ الخلوة والعزلة حجاباً عن البشر، فليس في الصحبة إلا الوبال والضرر...[1].

وفـي مجال العتـاب تصادفنا رسـالة أدبية كتبهـا «أحمد بن محمد الإصبعـي» لتلميذه «صلاح الدين بن علي القدمي» إثر تأخّره عن حضور الدرس بسبب وشاية من بعض منافسي الشـيخ وحسّاده. وممّا جاء فيها: «... فقد اصطفيتُك من الإخوان، وجعلتُك إنسان عين الزمان. وبعجـتُ لك بطني، وقلـتُ قَطْني من الأصحاب قَطْنـي. وغذوتُكَ من لُبَـانِ العلم والحكمة ما بين الأبرص والأكمه... وصيّرتُ ودّك ألصق بقلبي من الجود بحاتم والشـرف بهاشـم. وأنقضتُ ظهري في تأديبك وتهذيبك، وبذلت جهدي في تأبيرك وتشذيبك، حتى ضارعتَ قِسّاً وسحبان بعد أن كنتَ وباقلاً رضيعي لبان...»[2].

علـى أنـه بتقدّم الزمـان صـارت الكتابة أكثـر انسـياباً وتحرّراً مـن قيود السـجع وكلفة البديـع. هـذا مع اتسـاع الأفق، ومحاولـة التحليق فـي آفاق إنسـانية أرحب. وأحـدث نموذج للفـن النثري في فترتنا المدروسـة رسـالة الشـاعر «إبراهيم بـن محمد الخليفـة» (ت 1933) علـى «أمين الريحاني»، ومما جاء فيها: «وأهم ما يتحدث به الإخوان وإن تناءت بهم الأوطان هـو مـا يتواصـون بـه من رفـع شـأن أمّتهم بيـن الأمـم، وتنبيـه أذهـان خاصّتهم إلـى مطالب عصرهـم. وإذا نظرنـا إلـى ذلك بعين الاستحسـان من وجه عام، فلا شـكّ أننا ننظـر إليه بعين الوجـوب مـن وجه خاص على من رزق من الاقتدار على الكتابة حظّاً وافراً. وتفرّغ لها بعد أن خـاض البحـار والقفار، وفاز بصحبتـه الكبار والصغار، وحـاز مزية الاختيار، وقُـدِّر له قبل ذلك أن يعيش في العالمين القديم والحديث. ويرى مظاهر الحياة بين الفريقين...»[3].

2 ـ الوصف:

وتتعـدّد مضامينـه مـن وصـف للطبيعـة[4] إلـى وصـف للأحـداث، إلـى غيرهـا مـن الموضوعات.

---

(1) البحراني، يوسف، الكشكول، ج2 ص254.

(2) المصدر نفسه، ج2 ص54 والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج3 ص129.

(3) المجموعـة الكاملـة لآثار الشـيخ إبراهيم بـن محمد الخليفة، أشـعاره ورسـائله، تحقيق وشـرح محمد جابر الأنصاري، بإشراف مديرية التربية والتعليم، البحرين 1968، ص96.

(4) يُراجع الأمين، محسـن، أعيان الشـيعة، مصدر سـابق، ج4 ص168 قطعة نثرية للشـاعر جعفـر الخطي وهي في وصف مدينة شيراز الإيرانية.

ومما قاله «محمد بن أحمد بن سـليمان» في وصف مجلس أدبي: «... فأقمنا نتعاطى مـن البديع فنونـاً، ونتجاذب أذيـال الحديث جَـدّاً ومجوناً، ونتصـارع إلى إبراز جنـي المعالي والمعارف، ونتسـابق إلى التقاط جواهر اللطائف، ونسـرح في رياض أنسه وميسره، ونسحب أذيـال رفعة على هـام المجرّة. تهزأ بعذبات البشـام مائسـات أقلامنا، وتخفق بنسـيم التفاكه شـامخات أعلامنا. فلم تبق في زوايـا المحاضرات محجّبة إلا وأبرزناهـا، ولا قناة إلا وهززناها، ولا درّة كمال إلا وأحرزناها...»[1].

ووصف «ياسـين بن صلاح الدين» بمرارة وحشية الغزو العماني على البلاد، وما ترتّب عليـه مـن نتائج مادية ومعنوية فقـال: «فيا لها من مصيبـة ما أمرّها قد شـربتُها. ومن بلية ما أحرّهـا قد تجرّعتُها. ثم إني لم أتحسّـر علـى ما فات من المال. ولا ما تَلِـفَ من الدار والحال، بـل أتذكّر ما تغصصتُـه من ضرب الرماح المريقـة لدمي، وملاطمة السـيوف المبرية لأعضائي وأعظُمـي، فلـم أزل أُسـلّي النفـس عـن ذكرهـا، وأُشـغلها عن ذلـك بغيرهـا. وكيف أسـلو وقد تلاطمتني بعدها أمواج الغربات، وتعاورتني عقيبها أيدي الكُرُبات...»[2].

3 ـ الخطابة:

كان مـن الطبيعي أن ينشـط هـذا الفن النثري في إطـار تلك الأجواء العلميـة الدينية. وهناك من الدلائل ما يشير إلى عناية الفقهاء بخطبهم وتحبيرها وتمرّسهم فيها. فـ «ماجد بن هاشـم» ذكـر أن خطبه في يـوم الجمعة تأخـذ بمجامع القلـوب لبلاغتها وحسـن تعبيرها[3]. و«سـليمان بن عبد اللّـه الماحـوزي» وُصِف بأنـه خطيب مفـوّه[4]. ولـ «عبد اللّه بن صالح» كتـاب جمـع فيه خطبـه التي كان يلقيها فـي الجمع والأعيـاد[5]. ونتوقّع ازدهـار الخطابة في المناسبات الشيعية كشهر محرّم، واعتناء الخطباء بخطبهم عناية فائقة.

ومـع كل ذلـك لا تمدّنـا المصادر التي توفـرت لدينا بأية خطبة تكشـف لنا عن طبيعة هذا الفن أو مستواه. ومن ثم تعذّر علينا الاستشهاد.

ويمكننـا القـول انطلاقـاً من الشـواهد السـابقة أن النثر البحراني سـار فـي ركاب النثر العربـي، فوجّـه الكاتـب همّه للزخارف الشـكلية وضـروب الزينـة اللفظية من سـجع وجناس

---

(1) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج3 ص397.

(2) المصدر نفسه، ج2 ص254.

(3) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص136.

(4) المصدر نفسه، ص8.

(5) الخوانسـاري، محمد باقر، روضات الجنات، مصدر سـابق، ج4 ص248. ينظر أيضاً ما قيل عن مقدرة الشـيخ أحمد بـن عبد السـلام الخطابية فـي كشـكول البحراني، مصـدر سـابق، ج2 ص252 والأمين، محسـن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج2 ص624.

وغيرهـا. وظلّ ملتزماً بذلك بشـدّة أحياناً وقلّـة أحياناً أخرى، إلى أن خفّت حـدّة ذلك الاتجاه وجنـح النثر إلى التحرّر النسـبي من قيـود الزخرفة، كما يتضح من رسـالة «إبراهيم بن محمد الخليفة». واعتنى الكثير من الكتّاب بتضمين نصوصهم الأقوال المأثورة نثراً وشـعراً كما يظهر من نموذج «أحمد بن محمد الإصبعي» و«يوسف البحراني».

وقد اتّسمت أفكارهم بالوضوح وكانت لا تزال بعيدة عن الأخذ بالأسلوب التحليلي.

ضياع التراث الفكري:

إننـا وإن كنـا حذرين في الجزم بضياع القسـم الأكبر من ذلك التـراث العلمي والأدبي، فإنه مما لا شـك فيه أن قسـماً غير قليل منه قد ضاع. وكان للأحداث السياسية أثرها الهام في القضاء عليه. وعبّر «يوسف البحراني» عن عمق حسرته وأسماه بسبب تبعثر كتبه، فقال:

[وافر]

وأعظـــمُ حَســـرةٍ أَضْنَـــتْ فـــؤادي تَفَـــرُّقُ مـــا بملكـــي مـــن كتـــابِ[1]

كمـا أن «علي بـن حسـن البـلادي» دائـم التألّـم علـى ضياع تلـك الثـروة العلميـة[2]. والمؤسف أن ضياع التراث بسبب إهماله استمر حتى عهد قريب، فشعر «إبراهيم بن محمد الخليفـة» (ت 1352هـ/1933م)، وشـعر «محمد بـن عيسـى الخليفـة» (ت 1384هـ/1964م) ضاع جزء غير معروف منهما[3].

ومـا بقي مـن ذلك التراث ما زال قسـم كبير منـه مخطوطاً قابعاً في رفـوف المكتبات العامـة والخاصـة، وعلـى الخصوص في «العـراق» و«إيران». لأنّهمـا البلدان اللـذان كثر نزوح أهل «البحرين» إليهما.

الانحسار الفكري:

اسـتمرّت الحركـة الفكريـة البحرانيـة نشـطة مـا يقـارب الثلاثـة قـرون ثم أخـذت في الاضمحلال بتأثير عدة عوامل، على رأسـها انعدام الاسـتقرار السياسي وما تتابع عليها من غزو واحتلال.

---

(1) كشـكوله، مصـدر سـابق، ج3 ص239 تنظـر الأبيات التاليـة لهذا البيـت. وما قاله فـي كتابه: لؤلـؤة البحرين عـن كتـاب «أربعين الحديـث» ص10 وما قالـه عن الشـرح الصغير لميثـم البحرانـي ص261 والكتاب مليء بإشارات كهذه.

(2) يُراجـع مـا قاله عن شـعر علي بن إبراهيم آل شـبانة في أنـوار البدرين، مصدر سـابق، ص98 ومـا ذكره في ص167 عـن تلـف ديـوان جـدّه فـي النـزاع الذي نشـب بيـن الشـيخ علي بـن خليفة وأخيـه الشـيخ محمد والإشارات من هذا النوع كثيرة، يُراجع ص113 و166 و193 و225 و228 و245.

(3) تُراجـع المجموعـة الكاملة لآثار الشـيخ إبراهيم بـن محمد، مصدر سـابق، ص5 وما بعدها وديـوان الوائلي، محمد بن عيسى الخليفة، المطبعة العالمية، القاهرة 1975، ص70.

ونظـرة إلـى تلـك المسـيرة العلمية تظهـر أن النهضـة الفكرية بـدأت في التجـذّر منذ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ووصلت إلى أوج ازدهارها في القرنين الحادي عشـر والثاني عشـر الهجريين ـ السـابع عشـر والثامن عشـر الميلاديين، يدلّنا على ذلك كثرة أسـماء العلمـاء، التـي وصلتنا، وما خلّفـوه من آثـار علمية. فالغـزو العماني رغم قسـوته كان متقطعـاً. والعلماء النازحون سـرعان ما يعـودون إلى وطنهم بمجرد انتهائـه أو خفوت حدّته. كما أن الحكم الصفوي الذي خضعت له «البحرين» ـ رغم بعض سـلبياته ـ كان يشـجّع بشكل عام العلم والعلماء كما ألمحنا إلى ذلك[1].

ويذكر «البلادي» أن العلم كان رائجاً في «البحرين» في أيام الفقيه «حسين العصفور» (ت 1216هـ/1801م) وقبله، وأن البلاد كانت عامرة بالعلماء والمشتغلين بالعلم[2].

وبـدأ الانحسـار الفكري منذ القرن الثالث عشـر الهجري/التاسـع عشـر الميـلادي، وقد حـدث تدريجيـاً. إذ أخـذ عـدد العلمـاء يتناقـص وإن كانـت مجموعـة منهم ما زالـت تمارس نشـاطها الفكـري، إلا أن الوضع العلمي أخـذ في التدهور، ولم يبقَ إلا بقيـة باقية من العلماء ويقـال إن «عبد اللّه بـن عبـاس السـتري» (ت حوالـي 1279هـ/1862م) كان مـن بقايـا علماء البحريـن[3]. ومـا كاد القـرن التاسـع عشـر يشـرف على نهايتـه حتى أخـذ الانحطـاط العلمي يتزايـد، ويذكـر أن «أحمد بـن طعّـان» (ت 1315هـ/1897م) كان خلاصـة علمـاء «البحريـن» وبقيـة فقهائهـا، وأنه فـي أواخر حياته وإثر اسـتقراره فـي «القطيف» اضطر إلـى التردّد على بلاده «البحرين» لإرشاد أهلها وإنقاذهم من هلكة الجهل بطلب منهم[4].

ومـا أن أطلّ القرن العشـرون حتى طويت تلك الصفحة الفكريـة الناصعة، وعمّ الجهل وسـاد الظـلام. والمظهـر العلمـي الوحيد الـذي بقي هـو الكتاتيـب، وكانت منتشـرة في طول البـلاد وعرضهـا[5]. ومـع كثرتها كانـت عديمـة الجدوى، يصـف أحد أبنـاء ذلك الجيـل كثرتها وسـلبية عملهـا فيذكر أنهـا كثيرة العدد قليلـة الفائدة. ويعلّـل ذلك فيقول: «غايـة ما يتحصّل عليـه التلميـذ فيهـا هو حفظه لقـراءة القـرآن قراءة سـقيمة... فلا يفهـم من معنى مـا يقرؤه شـيئاً. وخطؤه أكثر من صوابه. ولا يحسـن قراءة أي كتاب إلا إذا أتقن الكتابة، ولا يكاد يوجد فيهـم مـن يتقنهـا بالمعنى الصحيـح وجلّهم قاصـري الإملاء، وأما الإنشـاء فلا يعرفـون منه إلا اسمه[6].

---

(1) تُراجع ص95 من هذا البحث، إحالة 3.

(2) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص211 و246.

(3) المصدر نفسه، ص233.

(4) المصدر نفسه، ص252 و254.

(5) الخاطر، مبارك، قاسم بن مهزع، مصدر سابق، ص11 و25.

(6) التاجر، محمد علي، مسودّات عقد الآل، مصدر سابق، ص16.

ووصف الشاعر الكويتي «خالد الفرج» (ت 1954م) الواقع المزري والعطاء الهزيل لتلك الكتاتيب فقال:

[كامل]

تلكَ المكاتبُ كيفَ تخرجُ أمَّةً ... ترجو إلى أوجِ الحياةِ وصُولا
حُشِرَتْ بها أولادُكُمْ كحظيرةٍ ... مُلِئَتْ ضجيجاً منهُمُ وعَوِيلا
وبها المُعَلِّمُ غارِقٌ بِسُبَاتِهِ ... وإذَا صَحَا أَنْكَى بها تنكيلا
ويلقِّنُونَ من المصاحفِ نبذةً ... كالببغاءِ يُعِيدُ ما قد قيلا[1]

لقد أثار هذا الوضع المتردّي الشجون في نفوس الكثيرين، فكتب الشيخ «إبراهيم بن محمد الخليفة» لأحد أصدقائه متألّماً: «أيها الصديق: إن بلادك منتشر في جسمها داء فتّاك ضارّ هو الجهل فهو منتشر انتشاراً هائلاً في كل الطبقات، بحيث ترى كل فرد من أفرادها ـ ولاسيما الطبقة الممتازة ـ تكاد تحكم عليه حكماً عقلياً بأنه يقتل نفسه بنفسه من حيث يدري ولا يدري»[2].

وقد آلم انتشار الجهل المتفتّحين الذين أُتيح لهم الاحتكاك بالفكر العصري في «مصر» و«الهند» وغيرها. فتنادوا بضرورة التعليم وأُنشئت أول مدرسة للتعليم الحديث عام 1919. ولأن المؤسسات التعليمية الأولى قامت بجهود أهلية[3] فقد حكمها التعصّب الطائفي فكانت وقفاً على أبناء الطائفة السُّنِّيّة[4]. أما الشيعة فنظراً لفقر غالبيتهم فقد غدوا الطائفة الأكثر جهلاً وحُرِم أبناؤهم من دخول المدارس. ومع ذلك تطلّعت نفوسهم للتعليم الحديث. يقول «تشارلز بلجريف» ـ مستشار حكومة «البحرين» البريطاني: «كان الشيعة فقراء، ومع ذلك فقد جمعوا عدة آلاف من الروبيات كمساهمة منهم»، ويضيف: «لقد كان الشيعة أقلّ ثقافة من (السُّنَّة) إذ ما من أحد منهم كانت لديه فكرة عن كيفية إدارة مدرسة»[5]. وقد تمكّنت لجنة أنشؤوها من افتتاح مدرسة حديثة، أتبعوها بأخرى بعد عام. وبقي التعليم يخضع للتقسيمات الطائفية حتى أشرفت الحكومة على التعليم فأدمجت

(1) الطائي، عبد اللّه، الأدب في الخليج العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1974، ص14. والأبيات من قصيدة قالها الشاعر عند افتتاح أول مدرسة عصرية في «البحرين» عام 1921 والتي عمل مدرّساً بها. تُراجع ترجمته في المصدر نفسه، ص88.

(2) المجموعة الكاملة لآثار الشيخ إبراهيم، مصدر سابق، ص26 و117 والمرجّح أن الرسالة كتبت في حدود عام 1920.

(3) ينظر مطالبة أهالي «البحرين» حكومتهم بفتح مدارس لأبنائهم في مجلة «لغة العرب» الصادرة في بغداد، العدد 9، ربيع الأول 1330هـ/آذار 1912. المجلد الأول ص368.

(4) الرميحي، محمد، البحرين ومشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، مصدر سابق، ص129.

(5) المصدر نفسه، ص130.

المـدارس السُّـنِّيّة والشـيعية فـي العـام الدراسـي 1938 ـ 1939 [1]. وكانت تلـك الجهود رغم سـلبيتها وضآلتها بداية الانطلاقـة للتعليم العصري الحديث في «البحريـن»، والنهضة الفكرية المعاصـرة. وقـد واكب التعليم العصـري فتح الأندية والتفتّـح على الصحافة العربيـة بتياراتها المختلفة وأخذت وسـائل الثقافة الحديثة تترسّخ بإنشـاء الصحف المحلية وغيرها من أدوات الفكـر الحديـث، وبـدأ النشـاط يدبّ من جديـد في أوصـال الفكـر والأدب ناهضاً مـن كبوته مواصلاً مسيرته[2].

(1) الرميحـي، محمـد، البحرين ومشـكلات التغييـر السياسـي والاجتماعـي، مصدر سـابق، ص132. يُراجـع أيضاً الخوري، فؤاد إسحاق، القبيلة والدولة في البحرين، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت 1983، ص181.

(2) يُراجـع عبد اللّـه الطائـي: الأدب المعاصر في الخليج العربـي ص12 وما بعدها و21 ومـا بعدها وص27 وما بعدها.

الباب الثاني
شعر العقيدة

انعكســت مواكبــة الحركــة الشــعرية البحرانيــة للحيــاة الفكريــة الخصبــة والمتســمة بالصبغــة الدينيــة علــى موضوعــات الشــعر. ونظــرة فاحصــة فــي تلــك الموضوعــات تكشــف تفــوّق المضمــون المتصــل بالعقيــدة. ومــع هــذا التفــوّق يمكننــا القــول أن شــعر «البحريــن» دار حــول محوريــن:

الأول: وهــو شــعر العقيــدة بمختلــف تياراتــه واتجاهاتــه مــن إســلامية عامــة، ومذهبيــة خاصــة، وهــو مــا سندرســه فــي هــذا البــاب.

أمــا **الثانــي** وهــو الأغــراض الشــعرية الأخــرى، فســنعرض لهــا بالــدرس فــي البــاب الثالــث بــإذن اللّــه.

تقديم: حول الشعر البحراني:

قبل الشروع في دراسة الموضوعات ابتداءً من الفصل الأول نلقي ضوءاً حول عدّة نقاط ذات علاقة وشيجة بالشعر المدروس؛ ونبدأها بدراسة:

المدوّنة الشعرية:

وتتميز بأن الكثير من أجزائها مجهول أو هو في عداد ذلك. ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: الدواوين الشعرية، وهي نوعان:

أ ـ المطبوعة: والمتداول منها [1]:

1 ـ ديوان «جعفر بن محمد الخطي» (ت في حدود 1028هـ/1618م)، وطبع في «إيران» في 1373هـ/1953م، عن نسخة خطّية كتبت عام (1085هـ/1674م) ورتّبت القصائد على حروف المعجم. وكتب المقدّمة علي بن الحسين الهاشمي وعدد الأبيات يقارب 2400 بيت.

2 ـ ديوان «حسن الدمستاني» المسمَّى «نيل الأماني» (ت 1181هـ/1767م) نشر مكتبة العلوم العامة بـ «البحرين»، وطبع بمطبعة النعمان ـ النجف، تاريخ كتابة المقدمة 1382هـ/1962م، وهي بقلم «عبد الهادي الفضلي». ويبدو أنه عبارة عن منتقيات انتخبها «علي بن إبراهيم البوري» وجمعها في عام 1200هـ/1785م، وجلّه شعر ديني بعضه في العقيدة، والجزء الأكبر في مديح آل البيت ورثائهم. وعدد الأبيات يقارب 2911 بيتاً، ويضمّ

---

(1) من الدواوين المطبوعة غير المتداولة ديوان الأحمدي لأحمد بن صالح بن طعّان الستري. ذكره علي البلادي في أنوار البدرين ص257، ويبدو أنه طبع في مطلع القرن العشرين أو قبله بقليل، وقد تعذّر علينا الحصول عليه. ونعتقد أن حفيده حسين بن علي البلادي قد أورد جزءاً كبيراً من شعره في كتابه «رياض المدح والرثاء» وبلغ مجموع ما ذكره ألفاً ومئة بيت تقريباً. كما أن صهره صاحب: «أنوار البدرين» ذكر في ص257 وما بعدها ما أهمل من شعره عند الطبع.

الديـوان عـلاوة على ذلك سـبع عشـرة قصيـدة لابنـه «أحمد بـن حسـن الدمسـتاني». وأربع قصائـد لـ «علي بن أحمد الجدحفصـي»، وواحدة لـ «ماجد بن هاشـم الجدحفصـي»، وأربعاً لـ «أحمد بن الحاجي البلادي»، وبضع قصائد لشعراء غير بحرانيين.

3 ـ شـعر إبراهيم بـن محمـد الخليفـة المسـمّى «المجموعـة الكاملـة لآثـار الشـيخ إبراهيم بن محمد الخليفة أشـعاره ورسـائله» تحقيق وشـرح «محمد جابـر الأنصاري»، طبع بإشـراف مديرية التربية والتعليم 1968م. (توفي الشـاعر عام 1933م) وعدد الأبيات 434 بيتاً وهو مجموع ما عُثِر عليه.

4 ـ شـعر «الشـيخ محمد بـن عيسـى الخليفـة» (1878 ـ 1964م) صدر باسـم «ديوان الوائلـي» بمراجعة «العوضي الوكيـل»، طبع في القاهرة 1975، وعدد أبياته 1385 بيتاً تقريباً. أعيد طبعه في البحرين عام 1987م بتحقيق د. «علي باحسين» وأضيفت إليه قصائد جديدة فصار عدد أبياته 1891 بيتاً.

ب ـ الدواوين المخطوطة:

1 ـ ديوان خليل بن علوي بن هاشم آل عبد الرؤوف الجدحفصي (ت 1310هـ/1892م) يضـم حوالـي 2822 بيتاً. جزء بسـيط منه باللَّهجـة الدارجة [1]. وهو ناقص فـي الآخر. كما أن الصفحـات مـن 1 ـ 35 كتبت بخـط يختلف عن بقية الصفحات، لكن مـن المحقّق أنها لنفس الشـاعر إذ هـو يذكر اسـمه في نهايـة القصائد، والنسـخة المسـتخدمة غير مؤرّخـة ولم يذكر اسم الناسخ.

2 ـ شـعر «سـليمان بن أحمـد التاجـر» (ت 1342هـ/1923م) ينوف علـى الألفي بيت، منهـا 1562 بيتـاً في مجموعة «رياض المدح والرثاء» للشـيخ «حسـين بن علـي البلادي» [2]، والباقي موزّع على عدّة مصادر.

3 ـ شـعر «طـه إبراهيـم العـرادي» (ت 1363هـ/1943). 721 بيتاً فـي مخطوطة «رثاء أهـل البيـت»، و 961 بيتـاً في مخطوطة «رثـاء الحسـين»، اطّلعنا على المخطوطتيـن، وتعذّر علينـا نسـخهما أو تصويرهمـا، فاعتمدنـا على مصدريـن آخرين همـا «رياض المـدح والرثاء» لـ «حسـين بن علـي البلادي» وبه 193 بيتـاً، ومخطوطة كتاب «منية الممارسـين» وهي بخط الشـاعر نفسـه، أدرج بها 748 بيتاً من شـعره بعضها فـي بداية المخطوط والأكثـر في نهايته. وهي عبارة عن ثلاث مدائح في الرسول وآله مع تخاميسها.

---

(1) أسقطناه من حسابنا عند إحصاء الأبيات.

(2) سنعرّف بها في الاختيارات الشعرية.

ثانياً: الاختيارات الشعرية:

أ ـ المطبوعة:

1 - «**المنتخب في جمع المراثي والخطب لـ «فخر الدين بن محمد الطريحي النجفي**» (ت 1085هـ/1674م) مرتّب على عشرين مجلساً، وفي كل مجلس أبواب وفي كل باب ذكر لبعض فضائل أهل البيت عليهم السلام ومصائبهم ومراثيهم[1]. وقد تضمّن شعراً لأربعة شعراء بحرانيين. والنسخة المعتمدة نشر مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

2 ـ «**رياض المدح والرثاء**» للشيخ «حسين بن علي آل الشيخ سليمان البلادي البحراني». نشر دار الإرشاد العامة بالبحرين، ط3 ـ وطبع الكتاب لأول مرة عام 1338هـ/1919م[2]. ويتضمّن مجموعة من مدائح آل البيت ومراثيهم لشعراء «البحرين» و«القطيف» و«العراق» وأغلب الشعراء كانوا معاصرين لتلك الفترة أو قريبين منها.

3 ـ «**المنتخب من أدب البحرين**» لـ «حسين علي محفوظ». نشر شركة طباعة تابان. «طهران» 1375هـ/1955م، خرّج المؤلف منتخباته من 17 مصدراً بين قديم وحديث وبين مطبوع ومخطوط.

ب ـ المخطوطة:

المجموعة (1) وتضم 309 صفحات. ناقصة في الأخير وأيضاً في الوسط من ص 213 ـ 235. أوقفها «عبد اللّه بن أحمد الحداد» «على جهة القراءة»[3] كما يقول. وتاريخ وقفها 28 جمادى الأولى 1265هـ/1848م. وهي تحتوي على الكثير من القصائد أغلبها بالفصحى وبعضها باللّهجة الدارجة وجلّها لشعراء بحرانيين عدا القليل.

المجموعة (2) وتضمّ عدّة منظومات ومطوّلات شعرية جمعناها من عدة جهات.

ثالثاً: مدونة التراجم والنقد والكتب العامة:

أ ـ المطبوعة:

1. «**سلافة العصر في محاسن الشعراء بكلّ مصر**»، لـ «**علي خان بن أحمد المدني**»

---

(1) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج22 ص420.

(2) يُراجع ص620.

(3) أي لتقرأ على الجمهور في المآتم (الحسينيّات).

المعروف بـ«ابن معصوم» (ت 1120هـ/1708م) فرغ من كتابته عام 1082هـ/1671م[1]، نشر المكتبة المرتضوية طبعة 1324هـ/1906م. ويبدو أن نسختنا المستخدمة مصوّرة عن النسخة المصرية، ففيها مقدمة قصيرة لـ «محمد أمين الخانجي المصري».

2. **«نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، لـ «محمد أمين بن فضل اللّه المحبي»** (ت 1111هـ/1699م)، نشر دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، تحقيق «عبد الفتاح الحلو»، ط1، 1968م، وبه فصل لشعراء «البحرين» وقد اعتمد ـ كما يظهر ـ في مادته على المرجع السابق، تشير إلى ذلك إحالات المحقق، في عدة مواضع من الكتاب.

3 . **«أنيس المسافر وجليس الخاطر». المعروف بـ«الكشكول». لـ «يوسف بن أحمد آل عصفور البحراني»** (ت 1186هـ/1772م)، نشر مكتبة نينوى الحديثة ـ «طهران» بدون تاريخ.

4. **«أنوار البدرين لـ «علي البلادي». عرّفنا به سابقاً**[2]، نشر مطبعة النعمان «النجف» 1377هـ/1957م.

5. هناك كتب ذات موضوعات متخصصة تحوي العديد من النصوص الشعرية البحرانية التي يمكن أن تضاف للمدوّنة الشعرية وأهمها:

أ - «أعيان الشيعة» لـ «محسن الأمين»، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف، بيروت 1983م.

ب - «شعراء الغري لـ «علي الخاقاني» من منشورات دار البيان، «بغداد» 1374هـ/1954م.

ج - «الغدير في الكتاب والسُّنّة والأدب» لـ «عبد الحسين الأميني»، نشر دار الكتاب العربي ـ «بيروت»، ط4، 1977م.

د - «أدب الطّف أو شعراء الحسين» لـ «جواد شُبَّر» ـ منشورات مؤسسة الأعلمي «بيروت»، ج1، عام 1969م وج10 عام 1980م.

ب ـ المخطوطة:

1. **«المقتل لـ «حسين بن محمد العصفور»**، والكتاب نموذج للكتب المؤلفة لشهر محرم وهو وإن كان تأريخاً لمقتل الإمام «الحسين بن علي بن أبي طالب» إلا أن الغالب عليه أنه ديوان لشعر الفترة المكتوب فيها وما قبلها. وعلى سبيل المثال فهو يتضمّن عشر قصائد لـ «محمد بن أحمد العصفور» ـ والد المؤلف ـ

(1) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج12 ص212.

(2) يُراجع ص109.

عـدد أبياتهـا 482 بيتـاً. كمـا تضمّـن شـعراً لشـعراء بحرانييـن وغيرهـم. والنسـخة المستخدمة ناقصة في الأول والآخر.

2. **منتظـم الدرّيـن فـي تراجـم علمـاء القطيـف والأحسـاء والبحريـن، لـ «محمـد علي بـن أحمـد التاجـر»** (ت 1967م). ولأهميـة هـذا الكتـاب بالنسـبة للبحـث وتعـذّر الحصـول عليـه اضطررنـا إلـى اسـتخدام مسـودّات المؤلـف ـ وهـي ناقصـة ـ وقـد عثرنـا علـى ثـلاث منهـا: الأولـى نثـرت فيهـا المـادة بـدون ترتيـب، والثانيـة مرتبـة ترتيبـاً زمانيـاً، والثالثـة اعتمـدت الترتيـب الهجائـي وهـي التـي سـنعتمد عليهـا إلا فـي حالـة النقـص سـنرجع إلـى المسـودّات الأولـى. ويبـدو أن المؤلـف كان ينـوي التاريـخ لعلمـاء الجزيـرة فقـط، ثـم عـدل عـن ذلـك وجعـل كتابـه شـاملاً لعلمـاء منطقـة البحريـن القديمـة. ويظهـر أنـه بـدأ فـي جمـع مادتـه مـن الثلاثينيـات ـ مـن القـرن العشـرين ـ ولـم ينتـه منـه إلا فـي مطلـع السـتينيات. وتظهـر المسـودّات الجهـد الضخـم الـذي بذلـه المؤلّـف للإحاطة بمادة الكتاب المبعثرة في البحرين وخارجها.

وفـي اعتقادنـا أن قيمة المسـودّات ربما تفوق قيمـة الكتاب في صورتـه النهائية، لأن المؤلف في الأخيرة يقتصر على بعض الأبيات. أما في المسـودّات فهو يورد القصائد كاملة أو شبه كاملة، والكثير منها يستحيل الحصول عليه.

وهنـاك ملاحظـة يجب توضيحها قبل الشـروع في الدراسـة: فنظراً للتداخـل بين حياة النـاس فـي «البحريـن» ومـا جاورها خاصّـة «القطيف» بسـبب عمـق التفاعل يصعـب أحياناً تحديد البلد الذي ينتمي إليه الشـاعر كما هو الحال في شخصية «جعفر بن محمد الخطي». فهو ينتسـب إلـى «الخط» ـ كما يتضـح من لقبه ـ ، وفـي الوقت ذاته قضى شـطراً من حياته فـي جـزر «البحريـن»، تعلّق بهـا وتغنّى بربوعهـا ومدح أهلهـا ومن ثـم كانت الجـزر ببيئتها وناسـها بـارزة في شـعره. ولذلك وتفاديـاً للتداخل سـنغضّ عن أصول الشـعراء. وسـندرج في دراسـتنا الشـعراء الذيـن عاشـوا فـي الجـزر وتفاعلوا معهـا. وعلى ذلك سنسـقط من حسـابنا الشـعراء الذين هم من أصول بحرانية لكنهم ولدوا وعاشـوا خارجها، كالسـيد «عدنان بن شبر البحرانـي»، الـذي ولـد وعاش فـي «العـراق» ونواحيهـا [1]. ومن ثم لا نـرى أثـراً للبحرين في شعره. وكذلك الشاعر «عبد العظيم الربيعي» [2] وأمثالهما.

بين الشعر العربي والشعر البحراني في الفترة المدروسة:

ربّمـا كان مـن المفيـد إلقـاء بعـض الضـوء علـى وضعيـة الشـعر العربـي واتجاهاتـه

(1) وردت ترجمته في «شعراء الغري» لـ «علي الخاقاني» مصدر سابق، ج6 ص178 – 232.

(2) له ديوان مطبوع في مطبعة الآداب بالنجف عام 1360هـ/1941م.

ومستوياته الفنية. ومقارنة ذلك بالشعر البحراني لتلمّس أوجه الشبه والاختلاف على اعتبار أن الثاني جزء من الأول.

أولاً: ملامح الشعر العربي:

تندرج الفترة المدروسة ضمن ما اصطلح مؤرّخو الأدب على تسميته بعصري الانحطاط والنهضة.

أ ـ عصر الانحطاط:

ويبدأ بسيطرة المغول على بغداد عام 656هـ/1258م، وما تبع ذلك من سيطرة المماليك، ويمتد إلى فترة الحكم العثماني لمصر التي استمرت من 923هـ/1517م وإلى 1213هـ/1798م.

ويصف المؤرخون هذه الفترة بالانحدار الفكري، إذ تدهورت فيه الحياة العلمية وندر النبوغ وضعفت اللغة [1]. وانعكس ذلك على الأدب فضمر الإبداع وطغى الشكل على المضمون واعتنى الشعراء عناية فائقة بالألفاظ وزخرفة العبارات بضروب الزينة اللفظية وأهملت المعاني وتقهقرت [2].

وكان لعجمة الحكّام وفرضهم اللغة التركية كلغة رسمية للدولة أثره على الفكر والأدب فهم لا يعرفون العربية ولا يتذوّقون شعرها، ومعروف أن جانباً كبيراً من الأدب العربي قد ازدهر وبسقت فروعه في ظلال الخلفاء وعلى أيدي حاشيتهم من الشعراء والعلماء والرواة الذين تذوّقوه وكان فيهم من ينتقده ويقوّمه. ومما ساعد على إثراء الشعر وازدهاره في العصور الإسلامية المتقدّمة المكانة السامية التي حظي بها الشعراء والمكافآت المجزية التي كانوا ينالونها من الخلفاء وأعوانهم. وكان ذلك من دوافع الإجادة والإبداع [3].

أما في العصر التركي فقد فقد الشعر جدّيته وأهملت رعايته [4]، وغدا ضرباً من فنون اللعب وكدّ الذهن، وتمحّض جزء غير قليل منه للإضحاك والتظرّف، وغدت المنادمة

---

(1) للتفصيل يُراجع كتاب زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت 1967، ج3 ص282 وما بعدها. والركابي، جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، دار الفكر، دمشق 1982، ص120 و135 وما بعدها.

(2) زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، مصدر سابق، ج3 ص286 والركابي، جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، مصدر سابق، ص143 وما بعدها وص150 وما بعدها.

(3) السعافين، إبراهيم، مدرسة الإحياء والتراث، ط1، دار الأندلس، لبنان 1981، ص28 – 52.

(4) الركابي، جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، مصدر سابق، ص136 و146 وما بعدها.

والتسلية وظيفة مهمة للشعر. فغلب على مضامينه التكلّف والافتعال بسبب فقدها للدوافع النفسية الحقيقية [1].

ب ـ عصر الإحياء والنهضة:

ويميل المؤرخون إلى تحديد بواكيره بعام 1216هـ/1801م وهم يمدّونه إلى أوائل القرن العشرين، وفيه تم أول اتصال فكري بين الثقافة العربية والثقافة الأوروبية الحديثة، وذلك إبّان حملة «نابوليون» على «مصر» عام 1798م التي تمخّضت عن هزّ المصريين وبالتالي العرب بعنف وفتّحت عيونهم على مظاهر الحضارة الغربية ودفعتهم إلى المقارنة بين حالهم وحال الأوروبيين.

ومع تطلّع «نابوليون» إلى إقامة إمبراطورية شرقية وإلى قطع «الهند» عن «بريطانيا»، فإنه اتخذ الإصلاح الاجتماعي والتثقيف الفكري وسيلة لتحقيق أهدافه، فكان برفقته عدد من العلماء من مهندسين وأطباء ومؤرخين وغيرهم. فأقاموا عدداً من المؤسسات العلمية والثقافية.

وحين خروجه من مصر وتولّي «محمد علي» السلطة فيها كان من أهدافه بناء دولة عصرية فاستعان بالأوروبيين، ومن ثم أرسل البعثات العلمية وفتح المدارس وأنشأ الطباعة وتتالت بعدُ أدوات الفكر الحديث من صحافة ومكتبات ومراكز تعريب وغيرها[2].

وفي الفترة نفسها أو ما بعدها بقليل أخذت بوادر النهضة الحديثة في الظهور في بقية الأقطار العربية كـ«سوريا» و«لبنان» [3] و«تونس» [4].

انعكس صدى النهضة الفكرية على الشعر فأخذ يصحو بتململ. وكانت الوسيلة الأساسية في النهوض به الرجوع إلى التراث واستلهام النتاج الشعري القديم ومحاولة احتذائه، والنسج على منواله [5].

وظلّ حتى مطلع القرن العشرين يدور في حلقة القديم بسلبياته وإيجابياته ويقلّد حتى النصوص الضعيفة، وبقي جزء منه سجين المنادمة والتسلية والظرف، بعيداً عن روح

---

(1) السعافين، إبراهيم، مدرسة الإحياء والتراث، مصدر سابق، ص16 و86 و87 وما بعدها.

(2) للتفاصيل يُراجع كتاب زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، مصدر سابق، ج3 ص365 وما بعدها، خاصة ص370 وما بعدها؛ والركابي، جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، مصدر سابق، ص251 وما بعدها وص260 وما بعدها؛ والسعافين، إبراهيم،مدرسة الإحياء والتراث، مصدر سابق، ص17 و20.

(3) زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، مصدر سابق، ج3 ص367 – 370 وص395 وما بعدها. والركابي، جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، مصدر سابق، ص255 و266 وما بعدها.

(4) الجابري، محمد صالح، الشعر التونسي المعاصر، الشركة التونسية للتوزيع، 1974،، ص21 وما بعدها.

(5) السعافين، إبراهيم، مدرسة الإحياء والتراث، مصدر سابق، ص25 و26 و36 وما بعدها وص63 و450.

الجدّ وموضوعات الحياة العميقة [1]. وتصل دراسة معاصرة إلى أن الأدب في «مصر» خاصة، ظلّ حتى وقت قريب لا يحظى بأدنى اهتمام، وفُهِمَ دور الشعر على أنه وسيلة لفهم النصوص فهو مصدر للشواهد النحوية واللغوية وتفسير النصوص. وليس وسيلة للاستمتاع والتذّوق، فضلاً عن أداء وظيفة ضرورية في المجتمع. وقد قادهم هذا الفهم إلى تبنّي المفاهيم السائدة في العصر التركي التي تسلب الشعر أية قدرة على خدمة الحياة، فهو عبارة عن أحاجٍ وألغاز ومجرد أشكال وتقسيمات كالمشطّرات والمربعات والمخمّسات والمطرّزات. وأروع الشعر وأطرفه أحفله بالتورية والتواريخ وصنوف الألعاب والتعقيدات، وانطلاقاً من هذا الفهم لم يستسيغوا الجديد الأوروبي ولا شعر الفطرة والأساليب الأدبية المرسلة، بل عدّوه ضعفاً وإسفافاً [2].

ورغم ذلك تمكّن بعض شعراء مطلع القرن العشرين أو قبله من تمثّل حقيقة الشعر فتخفّفوا من سلبيات عصور الانحطاط بالرجوع إلى الأصالة في عصور الازدهار الأدبي العربي كما استفادوا من الانفتاح على الآداب العالمية.

ثانياً: حالة الشعر البحراني:

دأب الكثير من دارسي الأدب ومؤرخيه على التعميم، فراحوا يطبّقون مراحل تطوّر الأدب المصري الحديث ـ على وجه الخصوص ـ على آداب الأقطار العربية الأخرى [3]. ونحن نعتقد أن في ذلك ابتعاداً عن الروح الموضوعية وتغافلاً عن طبيعة الحياة. ولا نعني بذلك انعزال الأدب العربي في أقطاره المختلفة، لكن هناك ظروفاً عامة مشتركة وظروفاً خاصة تحكم النتاج الشعري وتطبعه بطوابعها في كل قطر.

---

(1) زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللغة العربية، مصدر سابق، ج4 ص574 ترجمة «إسماعيل الخشاب» وص584 وترجمة «علي الليثي»، وهذان الشاعران من ندماء القصر. يُراجع أيضاً السعافين، إبراهيم، مدرسة الإحياء والتراث، مصدر سابق، ص43 و53 و128 و143 و145.

(2) السعافين، إبراهيم،مدرسة الإحياء والتراث، مصدر سابق، ص27.

(3) من الدارسين الذين عمدوا إلى تعميم مراحل تطور الأدب العربي في مصر وغيرها على شعر «البحرين» «عبد اللّه آل مبارك» في دراسته «الأدب العربي المعاصر في الجزيرة العربية»، القسم الأول، الشعر في شرقي الجزيرة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1973، ص25، وهذه الدراسة عبارة عن محاضرات ألقاها الباحث في معهد البحوث والدراسات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1973. و«عبد اللّه الطائي» في كتابه «الأدب المعاصر في الخليج العربي» ص12 وما بعدها وص49 وما بعدها، وهو أيضاً محاضرات ألقاها في معهد البحوث عام 1974. و«ماهر حسين فهمي»، أستاذ مُعار من جامعة عين شمس إلى جامعة قطر. في كتابه «الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج»، مصدر سابق، ص11 وما بعدها وص 26 وما بعدها. وتكاد تتفق هذه الدراسات على أن ابتداء النهضة الحديثة والباعثة على إحياء الأدب في الخليج كان في مطلع القرن العشرين. وفي اعتقادنا أن ذلك الحكم ربما كان ينطبق على أقطار الخليج الأخرى، إلا أن إدماج البحرين معها يحتاج إلى تأنٍّ وبحث.

وعلى هذا فالشعر البحراني وإن اشترك في السمات العامة للشعر العربي إلا أن له ما يميّزه نتيجة ما مرّ به من ظروف سياسية وفكرية، وما اعتنقه الشعراء من مبادئ وأفكار.

عصر الإحياء الأدبي في البحرين:

إذا كان عصر الإحياء والنهضة في مصر ابتدأ بحدود عام 1798 إثر اطلاع المصريين على مظاهر الحياة الأوروبية وما أعقبه من رغبة في امتلاك أدوات التحضّر الحديثة من تعليم وغيرها. فإننا نزعم أن البحرين ربما سبقت الأقطار العربية في ذلك.

ولعلّ مرحلة ما يسمّى بعصر الإحياء عندها بدأت منذ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ثم أخذت في النضوج وطرح الثمار في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي.

ونعتقد أن مقولة العلاّمة «ماجد بن هاشم البحراني»، ومن خلال ربطها بزمانها تضع أيدينا على تلك البداية. يقول معلّقاً على قصيدة للشاعر جعفر الخطي قيلت في عام 1019هـ/1610م «الحمد للّه على تجديد معالم الأدب بعد اندراسها وتقويم راية البلاغة بعد انتكاسها...» [1]. فصاحب المقولة يشكر ربه على تجدد الأدب بعد فترة من الخمود وعودة البلاغة إلى طريقها الصحيح بعد أن اعوجّت عن نهجها.

يقوّي زعمنا السابق أن بعض المناطق العربية والوثيقة الصلة بالبحرين كانت تعيش مرحلة من الإحياء شبيهة بتلك التي انبعثت في الجزر، وحسبما تشير إليه الدراسات الحديثة؛ فـ«القطيف» ـ «الخطّ» ـ ومنطقة «البحرين» القديمة كانت قد ابتليت إبّان العصر المغولي والمملوكي بتحكّم القبائل البدوية الجاهلة التي عزلت المنطقة عزلاً تاماً. وظلّت تغطّ في سبات عميق لمدة ثلاثة قرون. وبعد سيطرة البرتغاليين واستيلاء الصفويين على جزر البحرين أتيح للمنطقة الخروج من العزلة والاتصال بالعالم الإسلامي، وذلك منذ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي فانتعشت الحياة الفكرية [2]، ودبّت الحياة في أوصال الأدب.

كما أن إقليم «الأحواز»[3] كان يعيش نهضة ثقافية وأدبية مماثلة ظهرت بوادرها في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ثم تطوّرت وازدهرت في القرن الحادي عشر

---

(1) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص531؛ والبحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج2 ص181. والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص292 والقصيدة المذكورة مثبتة في الديوان ص47.

(2) المسلم، محمد سعيد، ساحل الذهب الأسود، مصدر سابق، ص235 و237.

(3) الأحواز: كورة بين البصرة وفارس، الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، مصدر سابق، ج1 ص285.

الهجري/السابع عشر الميلادي[1]. وكان التفاعل قائماً بين هذه المناطق والبحرين. وكان قضاة البحرين على اتصال بأمراء الأحواز، كما أن لبعض شعراء البحرين مدائح فيهم[2].

ومن الملاحظ أن النهضة الأدبية المتزامنة في هذه الأقاليم العربية مبنية على المرتكزات نفسها. فقد انطلقت من التراث العربي الإسلامي خاصة في عهود ازدهاره وتفوقه[3].

وإذا كنا قد حدّدنا ابتداء مرحلة الإحياء الأدبي في البحرين بالقرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فلا بدّ من وجود أسباب ودواعٍ ساعدت على ظهورها. وفي اعتقادنا أن أهم العوامل التي ارتبطت بها تتمثل في:

1. أنها كانت مواكبة للنهضة الفكرية، نمت في ظلالها وتأثرت بها. وما دامت تلك النهضة قد اصطبغت بالطابع الديني فلا بدّ أن تترك أصداءها تلك على الحركة الشعرية، وقد أتاحت هذه الانتعاشة للشعراء الاتصال الواسع والوثيق بالشعر العربي القديم بمختلف عصوره خاصة عهود الازدهار، فانساق الشعراء لقراءة ذلك التراث والتمعّن فيه، وبالتالي تقليده واحتذاء مضامينه وأشكاله. وقد أدى ذلك إلى رقي أذواقهم وأساليبهم، فابتعدوا عن الإسفاف والركاكة التي وصل إليها الشعر العربي آنذاك. وهي ربّما التي عناها «ماجد بن هاشم» عندما أشار إلى اندراس معالم الأدب وانتكاس راية البلاغة.
2. مما ساعد على النهوض ابتعاد شعراء «البحرين» عمّا يسمى بأدب المنادمة ـ الذي شاع في شعر الفترة ـ وما يتّسم به من هزل وإضحاك [4]. وتوجّههم إلى الموضوعات الجادة التي تتعرّض لوصف مآسي الحياة ومحنها، خاصة رثاء آل البيت ـ كما سنبيّن عند دراستنا للمضمون الفكري.
3. بقاء اللغة العربية لغة البلاد الرسمية، فالبحرين لم تخضع للحكم العثماني الذي فرض لغته على الأقطار العربية الواقعة تحت هيمنته. ورغم انضواء البحرين تحت الحكم الصفوي إلا أن اللغة العربية ظلّت اللغة الرسمية لا في البحرين وحسب بل كانت لها مكانتها المرموقة في «إيران» نفسها، ويبدو أنها

---

(1) اللامي، عبد الرحمن، الأدب العربي في الأحواز، مصدر سابق، ص133. ويبدو من خلال المقدمة وكلمة الشكر أن هذه الدراسة هي أطروحة لنيل الماجستير، مقدمة لكلية الآداب – جامعة بغداد ونشرتها وزارة الإعلام العراقية ضمن سلسلة دراسات تحت رقم 386.

(2) المصدر نفسه، ص97 و99؛ وديوان جعفر الخطي ص59 و98.

(3) عن «القطيف»، يُراجع المسلم، محمد سعيد، ساحل الذهب الأسود، مصدر سابق، ص237 وعن «الأحواز» اللامي، عبد الرحمن، الأدب العربي في الأحواز، مصدر سابق، ص134 وسنبيّن ذلك بالنسبة للبحرين لاحقاً.

(4) السعافين، إبراهيم، مدرسة الإحياء والتراث، مصدر سابق، ص32 و43 و53 و128 وغيرها.

كانـت اللغـة العلميـة المفضلـة هنـاك فـي العهـد الصفـوي [1]. يؤيـد ذلـك مئـات المؤلفات باللغة العربية لعدد من الفقهاء الإيرانيين [2].

وفـي العموم سـاعدت الظـروف السـابقة على تنشـيط الحركة الشـعرية. فـازداد عدد الشعراء وتضخّم نتاجهم وتعدّدت اتجاهاته من شعر ديني وأغراض تقليدية.

وعن الأثر الأوروبي في الفكر البحراني لا نجد أية دلائل. فالبرتغاليون قدموا كمستعمرين هدفهـم ابتزاز الثروات والسـيطرة على طـرق التجارة. وإذا تفحصنا الأمر ربما وجدنا أثراً سـلبياً، فقـد خلقـوا أجواءً مـن المعاناة انعكسـت بكاءً ولوعة في شـعر البحرين ومن ثم نشـط شـعر الرثاء، كما أن الإنجليز لم يمارسوا أيَّ لون من النشاط الثقافي، بل ركّزوا على الجوانب السياسية، فأوجـس الناس منهم خيفـة. وحين قدمت بعض العناصر التبشـيرية الأمريكية منذ نهاية القرن السـابق وفتحـوا مدرسـة، نظـر النـاس إليها نظـرة ريبة وشـك، لأن التعليـم كان وسـيلة لا غاية. وبقيت تلك النظرة قائمة. وأشار أمين الريحاني إلى تلك الغاية التبشيرية ونعى على المبشرين جهودهـم فقـال: «في مدّة خمسـين سـنة لـم يتمكنوا مـن هداية خمسـة من المسـلمين فما الفائدة من التبشير إذاً؟ حبّذا مدارس أمريكية لا مفزعات دينية فيها تهرب المسلمين» [3].

فـإذا كان مردودهـا الثقافـي بهـذه الضآلـة فمـن الطبيعـي انعـدام أثرهـا علـى الأدب والشعر.

وربمـا كانـت الثقافة الوحيدة غيـر العربية التي أطلّ عليها بعض الشـعراء هي الثقافة الفارسـية ـ وهـي بطبيعة الحال إسـلامية ـ لكن لا نعرف شـعراً بالفارسـية، ولا كتبـاً، ولا خطباً تشير إلى التأثر.

ومن ثم كان الشعر العربي هو المصدر الوحيد الذي كان يمتح منه شعراء البحرين.

السمات العامة للشعر البحراني:

أ ـ النـزعة التقليدية:

التفت شـعراء البحرين التفاتة قوية إلى التراث الشـعري العربي في عصوره المختلفة

---

(1) الشـابي، علي، الشـيعة فـي إيران، الجامعـة التونسـية، كلية الحقـوق والعلـوم السياسـية والاقتصادية، مركز الدراسات والبحوث والنشر 1980، ص155.

(2) مثال ذلك موسـوعة «بحار الأنوار» لـ «محمد باقر المجلسـي» المطبوعة في مئة وعشـرة مجلدات، كما إن الكثيـر مـن العلماء البارزين فـي «إيران» في العهـد الصفوي هم من العـرب كـ«علي الكركـي» و«البهائي» ووالده وغيرهم. وقد عرضنا للتعريف بهم في فصل الحياة الثقافية.

(3) الريحاني، أمين، ملوك العرب، مصدر سابق، ج2 ص212.

خاصة عصور الازدهار. وانجرّ عن ذلك أن اتسم شعرهم بالتقليدية. فكان الشعراء القدامى شديدي الحضور في أذهانهم، فيتداول ذكرهم في أشعارهم ويقيسون قدراتهم بهم. ومن ثم يكون من البديهي احتذاؤهم والصوغ على منوالهم. يقول «محمد بن عبد اللَّه الحسيني» وكأنه يستطلع رأي «جرير»:

[وافر]

ولـــو بُلِغَـــتْ معاصـــرةَ جريـــراً لَهَـــزَّ العطـــفَ منـــهُ بهـــا اعتجابـــا

فالشاعر يزهو بشعره مفترضاً إعجاب «جرير» بقصيدته التي يجاري بها بائيته «أقلّي اللوم عاذلي والعتابا» [1].

أما «حسن الدمستاني» فيصرّح بمجاراته لـ «المرتضى»، إلا أنه حين يقارن قصيدته بالأصل يشعر بالاستصغار. يقول:

[متدارك]

ضَاهَيـــتُ القَـــولَ المرتضـــوي وإنّـــي مِنْـــهُ لَـــذو خَجَـــلِ
للعِلْـــمِ بأنّـــي ضاهَيْـــتُ الـ ـــبَحْرَ الزَّاخِـــرَ بالوَشَـــلِ[2]

فالشاعر يحسّ بالحرج ويجسّد ذلك الشعور بالصورة المستخدمة [3].

على أن «الدمستاني» نفسه قد يزداد حيناً آخر ثقة بالنفس فيتطلع إلى التفوّق، يقول مخاطباً الهاشميين:

[بسيط]

أَهْديتُكُـمْ يـا هُدَاتـي جَوهـراً حَسَـناً يُنسِـي مَحاسِـنَ شـعرَ الفَحْـلِ حَسَّـانِ [4]

ومنهم من لا يكتفي بالمضاهاة، بل يدّعي التفوق. يقول سلمان التاجر:

[كامل]

هَاكُـم قصيـداً دونَ نظـمِ بَيَانِهـا خَـرَسَ الحُطَيئـةُ مـا جَريـرُ ومُسْـلمُ؟[5]

---

(1) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص513؛ وديوان جرير ص64.

(2) ديوانه ص72. والشطر الثاني من البيت الأول مكسور، وربما كان صوابه «وأنا من ذلك في خجل» ومعنى الوشل: الماء القليل غير المتّصل المتحلّب من الجبل، ومعارضة أشعار الأقدمين ظاهرة بارزة في شعر البحرين مما يدل على تقليديته. وسنعرض لهَذا الموضوع في باب «شعر البحرين بين المحافظة والتجديد» من هذا البحث.

(3) بمراجعتنا لديوان الشريف المرتضى طبعة دار إحياء الكتب العربية 1958، لم نجد قصيدة على نفس الوزن والقافية.

(4) ديوانه ص181.

(5) البلادي، حسين بن علي آل الشيخ سليمان، رياض المدح والرثاء، ط3، دار الإرشاد العامة، البحرين، د.ت. =

هكذا دار شعراء البحرين في فلك التراث الشعري العربي. فكانوا ينظمون وعيونهم معلّقة على ذلك التراث وأذهانهم مشدودة إلى شعرائه، يستصغرون أنفسهم آناً ويطمحون إلى التفوّق آناً آخر.

وخلاصة القول: إن شعراء البحرين في الفترة المدروسة كانوا يكنّون تقديراً كبيراً لتراث أسلافهم الشعري فمنه ينطلقون وإليه يعودون.

ب ـ الطموح إلى التجديد:

يمكن تفسير التفوّق الذي رمى إليه الشعراء بالرغبة في التجديد. فالمقلّد مهما أوتي من قدرة من النادر أن يتمكّن من السمو على الأصل، ولن يتحقّق له ذلك إلا إذا أثبت ذاته بالاعتماد على قاعدة صلبة من الموهبة والتمكّن ينطلق منها ويرسّخ أقدامه فيها. وفي الوقت ذاته يحاول الخروج من دائرة التقليد مؤكداً شخصيته، رابطاً بين فنّه ومعطيات الحياة في عصره.

وربّما كانت مقولة «ماجد بن هاشم» في التعقيب على قصيدة الخطّي تجسّد الرغبة في التجديد وتدعو إليها. يقول: «أجلتُ رائد النظر في ألفاظها ومعانيها، وسرّحتُ صاعد الفكر في أركانها ومبانيها. فوجدتُها قرّة في عين الإبداع ومسرّة في قلب الاختراع. والحق أحقّ بالاتباع» [(1)].

والمقولة ـ رغم ما فيها من تكلّف وسجع ـ تنمّ عن تركز الحكم حول عنصرين رئيسيين:

الأول: المعنى، وربما كان هو ما عناه الناقد بقوله قرّة في عين الإبداع ومسرّة في قلب الاختراع. وبربطنا المقولة بالقصيدة التي قيلت فيها يتضح أن الناقد ربما قصد جدّة المعاني في النص [(2)]. وبالفعل نلمح روحاً من الجدّة والطرافة في الموضوع علاوة على حيوية الوصف.

الثاني: المبنى: فالناقد وإن مدح جدّة المعنى أولاً وربما دلّ ذلك على تقديمه على اللفظ إلا أنه لم يهمل المبنى ـ كما سمّاه ـ فإذا كانت المعاني جديدة فهو يحبّذ أيضاً أن

= ص290. ومسلم المذكور هو الشاعر العباسي مسلم بن الوليد.

(1) ابن معصوم، المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص531؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص292.

(2) القصيدة في الديوان ص47 وفي أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج4 ص168. وهي تصف حادثاً تعرّض له الشاعر. فحين كان يجتاز البحر بين بعض قرى «البحرين» طفرت في وجهه سمكة فشجّت جبهته، فقال قصيدته.

يكون اللفظ بليغاً. وربّما عنى بذلك أن الألفاظ والتعابير المستخدمة تحتذي أساليب البلاغة العربية القديمة في صورها وأشكالها.

خلاصة القول مما أثني به على الشاعر تجديده في المعنى، ثم تمكّنه من الجانب البلاغي القديم، وربما جاز لنا أن نستنتج أن مفهوم التجديد في رأي «ماجد بن هاشم» يجب أن يقتصر على المعنى أو الموضوع. هذا مع المحافظة على المبنى أو اللفظ في حدود نظام اللغة المعروف.

ما قيل عن شعر البحرين:

لعلّ من المفيد إلقاء بعض الضوء على ما قيل من آراء في شعراء البحرين في الفترة المدروسة، لأن تلك الأحكام ربما تكشف عن بعض سمات ذلك الشعر ومستواه الفني، وإن كانت تمثّل ذوق أصحابها من أبناء ذلك العصر.

من أهم المراجع التي توفرت لدينا وأبدت رأياً في شعراء البحرين «سلافة العصر» لـ «علي بن أحمد المدني» و«نفحة الريحانة» لـ «لمحمد أمين المحبي» [1]. ويلاحظ غلبة الثناء على آراء المؤلفين. وهما يكادان يتفقان في الشواهد الشعرية التي أورداها وإن كان صاحب السلافة يتوسّع أكثر من زميله في إيرادها. كما يتّفقان إلى حدٍّ كبير في آرائهما النقدية. وهما على عادة عصرهما يعتمدان الأسلوب المسجّع مما يوسم آراءهما بالتكلّف.

يقول «المحبّي» مقرّظاً شعراء «البحرين» بشكل عام: «ارتفع قدرهم وسما، وروت غررهم في رياض آدابهما حديث «النعمان» عن «ماء السماء» [2]. وفي كلامه تورية بـ«النعمان بن منذر بن ماء السماء» من ملوك الحيرة. وهذان نموذجان مما قاله عن شاعرين من شعراء «البحرين» [3].

1 ـ «**عبد اللّه بن محمد البحراني**» قال عنه صاحب السلافة: «نثره الورد ولكن في

---

(1) يتميز هذان المؤلفان بأنهما ممن اعتنى بترجمة شعراء عصرهما وعلمائه. وكانا شاعرين وعالمين باللغة وغيرها. فمن آثار الأول الأدبية ديوان شعر وتخميس البردة وكتاب «أنوار الربيع في أنواع البديع»، وهو في شرح بديعيته، وله جهود لغوية. تُراجع ترجمته في أعلام الزركلي، مصدر سابق، ج4 ص258؛ وعند كحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج7 ص28. ومن آثار «المحبي» ديوان شعر وعدّة مؤلفات لغوية. تُراجع ترجمته في أعلام الزركلي، مصدر سابق، ج6 ص41، وعند كحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج9 ص78.

(2) المحبي، محمد أمين فضل اللّه، النفحة، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1968، ج3 ص213.

(3) يحتل موضوع شعراء البحرين في السلافة، مصدر سابق، الصفحات من 492 إلى 537 وقد ترجم لأحد عشر شاعراً وفي النفحة، ج3 من ص181 إلى 213 وقد ترجم لعشرة شعراء.

ريـاض النفـوس لا الغروس، ونظمه العقود لكـن في ترائب الطروس لا العروس»[1]. وحسـبما يظهر فإن الناقد يفضّل نثر الشـاعر على نظمه. فيماثـل الأول بالورود المبهجة للنفوس، بينما يشـبّه الثاني بالعقود المزيّنة لجيد الكتب. وبديهي أن الزهور أكثر جمالية وحيوية، إذ إن لها بهـاء الشـكل وطيـب الرائحـة، بينما يقتصـر جمـال العقود علـى الناحيـة الخارجيـة التزيينية وحسب.

وعـن هذا الشـاعر قال المحبِّـي: «وقفتُ له على أشـعار باهت الطـراز المعلم ببذرقة التطريـز، وجرت جداولها لطالب الأدب بمذاب اللجين والإبريـز...» [2]. فهو يثني على ما في شعر هذا الشاعر من زينة وزخارف شكلية.

2 ـ «**عبد اللّه بـن الحسـين البحرانـي**»: وصف صاحب السـلافة شـعره بقولـه: «ينظم شـعراً جـزلاً فيجيد جـداً وهزلاً ويزيـل به عن المسـامع أَزْلاً. ونثره أحسـن مغنـى وأتقن لفظاً ومعنـى» [3]. وكمـا هو واضـح فالناقد يفضّـل نثر الشـاعر وإن وصف شـعره بالجزالة وقدرته على بثّ البهجة والفرحة في النفوس.

وقد قال «المحبِّي» بصدده: «رأيتُ له شـعراً يُنسِـي محاسـن التقـدّم، ويترك المجتري على معارضته بغبْن المتندّم. فلو منحه ابن الحسـين (أي المتنبي) لما تنبّأ عُجباً بالقريض بل كان تألَّه، أو سـمعه «أبـو تمام» لاتخذه تميمةً لِعَود عقله الذي تدلَّـه به وتولَّه». ويعلّق على بعض الشـواهد الشعرية لهذا الشـاعر قائلاً: «وها أنا ذا أتلو عليك منه قطعة تستنـزل الثريّا، وتغنيـك عـن اجتلاء زهـرات الروضة الرَّيَّـا» [4]. ونعتقد أن فـي الحكم مبالغـة، فالأبيات ربما كانـت جميلة إلا أنها لن ترقى لمنافسـة شـعر المتنبي وأبي تمام، فضلاً عـن إبهارهما. ويبدو التصنّع في الحكم واضحاً من خلال التورية في الأسماء.

علـى أنـه وإن اتفق الناقدان فـي حكمهما أو كادا، نرى اختلافـاً بينهما في الحكم على شعر «عبد الرضا بن عبد الصمد البحراني». فقد قال عنه صاحب السلافة: «له أدب مستفاض وبيان واسـع فضفاض. ومع ذلك فطبقة شعره وسـطى وإن مدّ له من مديد القول بسطاً. وقد وقفـتُ له على ما لم يهزّ الاستحسـان منه لأكثره عطفه ولا كسـاه الإحسـان رقّتـه ولطفه»[5]. أمـا «المحبِّـي» فوصـف أدبه بأنـه «أدب أوقع من حـلاوة الرضا، وشـعر ما نالـه «الرضي» ولا

(1) ص 506 والطـروس: جمـع طـرس وهو الصحيفـة التي محيت ثـم كتبت، وترائـب العروس يعنـي بها جيدها الذي تعلّق عليه العقود.

(2) المحبي، محمد أمين فضل اللّه، النفحة، مصدر سابق، ج3 ص191. البذرقة: الحرّاس يتقدّمون القافلة.

(3) ص520، والأزْل: شدة الزمان وضيق العيش.

(4) المحبي، محمد أمين فضل الله، النفحة، مصدر سابق، ج3 ص195.

(5) ص 517.

«المرتضى» [1]. ويتجلى الاختلاف في الحكم في وضع الأول شعر هذا الشاعر في مرتبة وسطى وإن دلّت تعابيره الأخيرة على أنه يصنّفه في مرتبة دنيا، فالإحسان والاستحسان باهتان في شعره كما يلمّح. أما الثاني فقد وضعه في مرتبة شعرية تفوق مرتبة الشريفين «الرضي» و«المرتضى». ويبدو أن الدافع لتلك المبالغة تكلّف الألفاظ لتصيّد زخارف البديع.

على أن أكثر شاعر نال شهرة واهتماماً هو «جعفر الخطّي». ومن ثم تعددت الآراء حوله وإن اتفقت ـ وإلى حدٍّ ما ـ على جودة الكثير من أشعاره [2].

يقول صاحب (ساحل الذهب الأسود): «شعره يمتاز بالأصالة وخلوّه من الألوان البديعية التي اصطبغت بها آداب العصر الذي عاش فيه» [3]. وتعتبره دراسة أخرى من شعراء الجزيرة العربية اللامعين في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وأنه رغم تقليدية أغراضه ارتفع بشعره الوطني عما كان يشوب فنّ عصره من الزخرف والبديع[4]. أما الدراسة الثالثة فتعدّه أهم شاعر في منطقة البحرين، وأشعر من ترجم له صاحب «السلافة» وصاحب «نفحة الريحانة». هذا رغم ما تراه من تكلّف في بعض شعره [5].

وفي العموم يتضّح مما سبق أن البحرين عاشت منذ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي نهضة شعرية وأنها كانت مواكبة للحركة العلمية النشطة، وأن الآثار الفنية التي تركتها وإن لم ترق ـ جميعها ـ إلى مستوى رفيع من الجودة إلا أنها ـ في اعتقادنا ـ تستحق الدراسة.

ولقد تواصلت تلك النهضة الشعرية في القرون التالية رغم كل السلبيات والمحن التي تعرّضت لها البلاد، بل لعلّها ساعدت على حفز الشعر وتأجيج القرائح بوصف الجانب المأساوي من الحياة. وربما عرى مسيرتها انحسار على الصعيد الكمّي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر بسبب هجرة الكثير من السكان إلا أن ذلك لا يعني خمودها أو توقّفها.

---

(1) المحبي، محمد أمين فضل اللّه، النفحة، مصدر سابق، ج3 ص182.

(2) ينظر تقريظ المدني، صاحب السلافة، له في ص524 وإشادة المحبّي له في النفحة ج3 ص204.

(3) المسلم، محمد سعيد، ساحل الذهب الأسود، مصدر سابق، ص236. وتاريخ كتابة المقدمة 1962.

(4) آل مبارك، عبد اللّه، الأدب المعاصر في الجزيرة العربية، مصدر سابق، ص70 و71.

(5) ضيف، شوقي، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، مصر 1980، ص133 وما بعدها.

الفصل الأول

العقيدة والدين في الشعر البحراني

نظرة شـمولية فـي الشـعر الديني تظهر أنه ينقسـم إلى قسـمين: يختـص الأول بأمور العقيـدة من إسـلامية ومذهبيـة، وينصّب الثانـي على ما قيل فـي آل البيت مـن مديح ورثاء وهو الأكثر:

القسم الأول: شعر العقيدة:

نظـم الشـعراء، خاصة الفقهاء منهـم، الكثير من المنظومات والقصائـد ذات المضمون الديني. ومما قاله عبد الرضا بن عبد الصمد في تمجيد الخالق وتقديس ذاته:

[مجتث]

عَلَـــــى الـــــوَرَى لَـــــكَ فَضْـــــلُ وجُـــــودُكَ الغَمْـــــرُ جـــــزْلُ
لِسَـــــــــانُ كلّ ثَنَـــــــــاءٍ أيُّ المَحَامِـــــــــدِ يتلُـــــــــو
عليـــــــكَ يـــــــا ربِّ نُثْنِـــــــي بِمَالَـــــــه أنـــــــتَ أهْـــــــلُ
أنَّـــــــى نُوفِّيـــــــكَ شـــــــكراً وقـــــــد عَـــــــرَا الـــــــكُلُّ كَلُّ

وعرض لعظمته وتعذر إدراك كنهه فقال:

يَـــــا مَـــــنْ تقـــــدَّسَ شَـــــانَا عَـــــنْ أنْ يُدانيـــــهِ مِثْـــــلُ
وكنهُـــــهُ ليـــــسَ فيـــــهِ لزائِـــــدِ الفكـــــرِ دخـــــلُ
أرَادكَ العقـــــلُ عِلْمـــــاً فعاقَـــــهُ عنـــــكَ جَهْـــــلُ
وتَـــــاهَ سُـــــكْراً وأنَّـــــى لـــــه إلـــــى ذَاكَ سُـــــبْلُ [1]

وأضفى أسـلوب الخطاب والنداء طابع المناجاة، والمعاني واضحة خالية من الفلسـفة والتعقيد.

ونعثـر لـ «عبد اللَّه بن أحمد بـن المُتوَّج» على منظومة أسـماها «الحـرز المنيع» [2]، وهـي عبـارة عن دعـاء وتبتّل إلى اللَّه، وقد توّسـل فيها بـكل ما يمكن أن يتوسّـل به المؤمن،

---

(1) ابـن معصـوم المدنـي، علـي خان، سـلافة العصـر، مصـدر سـابق، ص518 والأمين، محسـن، أعيان الشـيعة، مصدر سـابق، ج8 ص11. وبين المرجعين اختلاف يسـير فـي بعض الأبيات ورجّحنا روايـة الأول لأنها الأقدم والأرقى ذوقاً ومعنى.

(2) المجموعة (2) الصفحات من 1 ـ 11.

وقـدّم بين يدي دعائه اعتقاده الراسـخ بعظمتـه واعترافه بألوهيته وفضله، مشـيراً إلى قدرته العظيمـة التـي لا يعجزهـا إجابة أيّ سـائل، وعوّل على عناصـر عديدة يتكئ عليهـا في دعائه وركّـز علـى الدينيـة منها، فتوسّـل بصفاتـه تعالـى وبالرسـول وآله وصحبـه، وبجميـع الأنبياء، والمتعبّديـن الصادقيـن، وبالكتب السـماوية، وبالصلـوات الخمس، وبيوم الجمعـة. ومما قاله متوسّلاً بسور الكتاب وآياته:

[طويل]

وبالفَتْـــحِ والحُجُـــرَاتِ اغفـــرْ ذُنُوبَنَـــا وقَـــافٍ بهـــا نَدْعـــوكَ يـــا عَالِـــمَ السِّـــرِّ
وبالذاريـــاتِ الـــذرِّ بالطـــورِ نَجِّنَـــا وبالنجـــمِ مـــن كلِّ المـــكارِهِ والعُسْـــرِ

وتوسّل بسيرة الرسول ﷺ كبيعة الرضوان وبالغزوات فقال:

بِمَـــنْ بَايَـــعَ المختـــارَ كَفّـــاً بكفِّـــهِ مبايعـــةَ الرضـــوانِ بالفَـــوْزِ والفَخْـــرِ
بيـــومِ حنيـــنٍ والوقايـــعِ كلِّهـــا بجبريـــلَ قَيْـــدومِ الملائكـــةِ الغُـــرِّ

ويسـهب الناظـم فـي ذكر الأمـور المتعـوّذ منهـا. كما يعـدّد الفئـات الاجتماعيـة التي يخصّها بدعائه.

علـى صعيـد القضايا الفقهيـة المتّصلـة بالعبـادات والعقائد صـاغ الفقهـاء العديد من الأراجيـز والمنظومـات. ويذكـر في هذا الصـدد أن لأحمد بن طعّـان منظومة فـي الفقه تبلغ ألفين وخمس مئة بيت، وله أخرى في الشـكوك [1]. ولعلي بن حسـن البلادي عدّة منظومات فقهيـة منها «زواهـر الزواجر في معرفة الكبائـر» [2]. ومما قاله إبراهيم بـن علي البلادي في الاعتقاد بوجود الخالق:

[وافر]

هُـــوَ الموجـــودُ خالقُنَـــا وُجُوبـــاً ولـــم أثبـــتْ لموجدِنـــا انعدامَـــا
لقـــد خَلَـــقَ الـــوَرَى إظهـــارَ كَنْـــزٍ تَسَـــتَّرَ فاســـتفاضَ لَـــهُ الخِتَامَـــا[3]

ومـن الأراجيز التي عرضت لمسـائل العقيدة وشـرحها، ودلّلت عليها أرجوزة «شـارحة الصـدور» لـ «حسـين بن محمـد العصفـور» [4]، التي نظم فيهـا المبادئ الخمسـة التي تمثّل أصول الدين.

---

(1) البلادي، علي بن حسـن، أنوار البدرين، مصدر سـابق، ص256؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سـابق، ج23 ص116.

(2) المصدر الأول نفسه، ص272.

(3) الأميني، عبد الحسـين، الغدير في الكتاب والسـنة والأدب، مصدر سـابق، ج11 ص383. ويذكر المؤلّف أن في البيت الأخير إشارة إلى الحديث القدسي: «كنتُ كنزاً مخفيّاً فأحببتُ أن أعْرف فخلقتُ الخلق لكي أعْرف».

(4) المجموعة (2) الصفحات من 12 ـ 32.

وعن وجوب معرفة الخالق الموصلة إلى الإيمان بوحدانيته ـ وهي المبدأ الأول ـ قال:

[رجز]

مَعْرِفَـــةُ اللَّـــهِ العظيـــمِ واجِبَـــه عَلَـــى مُكَلَّـــفِ الأنـــامِ قاطِبـــهْ

فالناظم يشير إلى حكمها ووجوبها على كلّ مكلّف. ثم يدقق في طبيعة تلك المعرفة، ويحدّد الفئات المخصوصة بها، فيقول:

والحـــقُّ إنَّ فرضَـــهُ مَخْصُـــوصُ بِمَـــنْ لَـــهُ القُـــدْرَةُ والخُصُـــوصُ
أمَّـــا العَـــوَامُ فَرْضُهـــا التقليـــدُ لِمَـــنْ لَـــهُ القـــدرةُ والخُصُـــوصُ

ويبيّن حكم تاركها مع القدرة عليها:

وتـــارِكُ الدليـــلِ مـــع قُدْرتِـــهِ يفسُـــقُ لا إشـــكالَ فـــي فطرتِـــهِ

ويوضح الغرض من تلك المعرفة:

والشـــكرُ لا يصُـــحُّ مـــن مُكَلَّـــفِ قـــد جَهِـــلَ المشـــكورُ مـــا لـــم يعـــرفِ

ويذكر الناظم صفات الخالق الأخرى التي توجب تميّزه، وتدل على اختصاصه بالألوهية، فيقول:

فهـــو قديـــمٌ أزَلاً وأبـــدَا صَـــحَّ بهذيـــنِ البقـــاءُ سَـــرْمَدَا
وامتنعـــتْ عـــن ذاتِـــهِ صفـــاتُ لأنَّهـــا تُنْقِـــصُ منـــهُ الـــذاتُ
فليـــسَ بالجســـمِ ولا بالجَوْهـــرِ وهـــو مِـــنَ الأعـــراضِ جَزْمـــاً قَـــدْ بُـــرِي

ومن وجهة نظر إماميّة ينفي عنها التجسيم ملمّحاً إلى أن اتصافه بهذه الصفات انتقاص له لأنها تماثله بالمخلوقات. وبناءً على تلك الصفات قال:

وانتَفَـــتِ الرؤيـــةُ عنـــه والبَصَـــرْ عَقْـــلاً ونَقْـــلاً بالكتـــابِ والأَثَـــرْ
وانتفَـــتِ اللـــذَّةُ عنـــه والألَـــمْ فـــي الحِـــسِّ والقـــولِ علـــى القَـــوْلِ الأتَـــمْ

وبطبيعة الحال فهذه قضايا إسلامية قديمة تجادلت فيها الفرق الإسلامية على اختلافها، وأشبعتها بحثاً وتمحيصاً. والناظم متأثّر بتلك المناقشات وبعقيدته الإمامية.

وعن العدل ـ وهو المبدأ الثاني في أصول العقيدة الإمامية [1] ـ يقول حسن الدمستاني في أرجوزته «تحفة الباحثين في أصول الدين» [2]:

(1) وهو كذلك عند المعتزلة.

(2) ديوانه ص54 – 68.

[زجر]

العَـــدْلُ تنـــزيهُ الحكيـــمِ فِعْـــلا عـــن كُلِّ مـــا كانَ قبيحـــاً عَقْـــلا
كتـــركِ بَعْـــثِ الرُّسْـــلِ للأنَـــامِ وتركِهِـــمْ بَعْـــدُ بـــلا إمـــامِ
وخَلْقُـــهُ الطَّاعـــاتِ والمَعَاصـــي كـــي لا تكـــونَ حُجَّـــةً للعاصِـــي
ويســـتوي المؤمـــنُ والكَفُـــورُ إذ يســـتوي الإيمـــانُ والكُفُـــورُ

ويعمد الناظم إلى ذكر بعض مظاهر العدل الإلهي ليدلّل بها، فيشير إلى إرساله المرشدين من رسل وأئمة، لهداية الخلق وبيان الحسن والقبيح من الأعمال وليكون ذلك حجّة على الناس، وليعرف بها المؤمن من الكافر.

وانطلاقاً من عقيدته جعل العقل مؤثّراً في السلوك:

والعقـــلُ قَـــاضٍ إن مِنَّـــا فِعْلَنَـــا ورُبَّ جَاحـــدٍ لِمَـــا تيقَّنـــا
فالظُّلـــمُ والعُـــدوانُ مَخْصُـــوصٌ بنـــا واللَّـــهُ لا يفعـــلُ إلَّا الحَسَـــنا

فالناظم يستند على التراث الكلامي في أفكاره واستدلالاته مستفيداً من مطالعته لما دار من جدل حول قضايا الجبر والاختيار بين الفرق الإسلامية متبيّناً رأي الإمامية. ومن هذا المنطلق يرى أن الإنسان مخيّر وأن العقل هو الموّجه للسلوك لأن الاعتقاد بأن فعل الإنسان من ربّه ـ أي القول بأنه مسيّر ـ يقتضي نسبة الشرّ إلى الخالق، واللّه لا يفعل إلا الحسن.

يعرّف حسن الدمستاني في أرجوزته المذكورة المبدأ الثالث ـ عند الإمامية ـ وهو النبوّة، فيشير إلى طبيعتها ودواعيها:

مفهومُهَـــا بلـــوغُ إنســـانٍ خَبَـــرْ عـــن ربِّـــهِ بِـــلا تَوَسُّـــطِ البَشَـــرْ
وهـــي علـــى المُدَبِّـــرِ الحكيـــمِ واجبـــةٌ بالنَّظَـــرِ السَّـــليمِ
لأنَّ خَلْـــقَ الخَلْـــقِ ذا طِبَـــاعٍ مختلِـــفٌ دَاعٍ إلـــى النِّـــزَاعِ

ويبيّن الناظم صفات الرسل، فيقول:

مُبَصَّريـــن بالهُـــدَى والحكمـــةِ مُسَـــدَّدَينَ بالحِجَـــى والعِصْمَـــةِ
مُطَهَّريـــن غايـــةَ التطهيـــرِ عـــن كلِّ وصَـــفٍ مُوجِـــبِ السَّـــقِيرِ
آتيـــنَ بالبرهـــانِ والدلالـــةِ علـــى ثُبـــوتِ مُدَّعـــي الرســـالةِ

ويخصص الناظم مقطعاً لنبوّة رسولنا محمد ﷺ وما خصّ به من ميزات بين البشر وبين الرسل:

نبيُّنَـــا سَـــيِّدُ وَلْـــدِ آدمِ مُحَمَّـــدٌ صَفْـــوَةُ كلِّ العَالَـــمِ

للمُرسَـــــلِينَ فَاتـــــحٌ وخاتِـــــمٌ خَلْقـــاً وبعثـــاً للأمـــورِ نَاظِـــمْ

ويعمـد إلـى ذكر معجزاتـه مركّـزاً على وجـه الخصوص علـى معجزاتـه العظمى وهي القرآن:

وجـــاءَ بالقـــرآنِ وهـــو أعظـــمُ يُفْحِـــمُ مَـــنْ عارضَـــهُ ويُلْـــزِمُ
وكـــم لـــه مِـــنْ مُعْجـــزاتٍ بَهَـــرَتْ قـــد لَهَـــجَ النـــاسُ بهـــا واشْـــتَهَرَتْ

وتنـاول حسـين العصفور فـي أرجوزته المذكـورة المبدأ الرابـع ـ عنـد الإمامية ـ وهي الإمامة فأشار إلى طبيعتها وشروطها:

قـــد صَـــحَّ مـــن ألطافِـــهِ الإمامـــهْ وهـــي إلـــى الإســـلام كالدعامـــهْ
كلُّ دليـــلٍ أثبـــتَ النُّبُـــوَّهْ أثبتهـــا بالفعـــلِ أو بالقـــوَّهْ
وشـــرطُها العِصْمـــةُ أمْـــرٌ ظاهِـــرُ أثبتهـــا البرهـــانُ والتَّواتُـــرُ

والناظـم ـ انطلاقـاً مـن عقيدتـه الإماميـة ـ يعتبرها لطفاً مـن اللّه ـ واللطـف في عرف المتكلّميـن كلّ ما يقرّب من الطاعة ويبعد عن المعصية ولا يبلغ الإلجاء [1]. ويعمد إلى بيان شروطها، فيذكر أولها وهي العصمة التي تعني اختيار العبد الامتناع عن فعل القبيح [2].

تنـاول حسـن الدمسـتاني في أرجوزتـه المذكـورة المبدأ الخامـس، وهو المعـاد، فقال معرِّفاً إياه مبيِّناً طبيعته وحكمه:

إعـــادةُ الأرواحِ للأبـــدانِ بعـــد الفَنَـــا هـــو الوُجُـــودُ الثانـــي
حَتْـــمٌ علـــى اللّـــهِ بحكـــمِ العقْـــلِ بمُقْتَضَـــى حكمتِـــهِ والعَـــدْلِ

لقـد تطلّـب هذا اللـون من الشـعر الدينـي اطلاعـاً وإحاطـة بقضايا العقيـدة. وقد اسـتفاد أولئك الفقهـاء النظّامون مـن ثقافتهم الدينية فعوّلـوا علـى المتكلّمين الأقدمين ـ خاصة الشـيعة ـ يسـتمدّون منهم حججهم وبراهينهم، فصاغوا تلك الأراجيز والمنظومات. وفـي اعتقادنـا أنّهـم أصابـوا فـي تسـمياتهم تلـك، لأن هذا اللـون مـن النظم يعتمـد على العنصـر المعرفي أكثر من اعتماده على الخيـال والعاطفة، وإن كان بطبيعة الحال بحاجة إلـى إيمان عميق وعقيدة راسـخة. وهـذا النظم وإن لم يكن فيه شـيء من الجدّة إلا أنه صـورة حقيقيـة لثقافة عصـره واتجاهات أصحابه، هذا مع ما يتسـم به من جفاف بسـبب تغلّب العقـل على العاطفة.

---

(1) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت 1983، ج5 ص120.

(2) الشـريف المرتضـى، علي بن الحسـين، الأمالي، تحقيق حمد أبو الفضـل إبراهيـم، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت 1967، ج2 ص347.

القسم الثاني: الشعر المتعلّق بآل البيت:

تعريفه:

هو ما اصطلح على تسميته حديثاً بالمدائح النبوية، التي تعني ما قيل من قصيد في مدح الرسول وآله وفي رثائهم وما تخلّل ذلك من مفاهيم وقيم [1].

قِدمه:

مُعْرقٌ ولد في حياة الرسول ﷺ على لسان حسّان بن ثابت وكعب بن زهير وأَمثالهما. وقد أخذ في الاتساع والتجذّر بتعاقب المحن والأرزاء على آل الرسول ﷺ، خاصة على لسان الشعراء الشيعة، إذ أخذ يتبلور ويتّخذ أبعاداً جديدة أهمّها التفجّع، مع عناية بوصف المآسي الواقعة عليهم. فضلاً عن مناقشة مسألة الخلافة وأحقية العلويين بها، وإظهار الولاء والتعاطف. وقد برز العديد من الشعراء الذين اهتّموا بهذه الموضوعات ـ على امتداد العصور الإسلامية المختلفة ـ كالكميت بن زيد الأسدي والسيد الحميري ودعبل بن علي الخزاعي والشريف الرضي وغيرهم.

مكانته في شعر البحرين في الفترة المدروسة:

هو الغالب على شعر البحرين، إذ يحتلّ حيّزاً هامّاً، فقد غدا الموضوع المجبّب لدى الشعراء، فجالوا فيه وصالوا، مما أدّى إلى تضخّم حجمه بالقياس إلى الأغراض الأخرى.

وببحثنا وراء الأسباب الكامنة وراء الاهتمام به تبيّن لنا وجود عدة عوامل أبرزها:

1 ـ العنصر التاريخي: ونقصد الطبيعة الوحشية التي تميّزت بها الأحداث الواقعة على آل البيت عليهم السلام خاصّة موقعة الطّف التي استهين فيها بالمبادئ والمثل وأُبيحت فيها حرمات الرسول ولما يمضي على رحيله خمسون عاماً. فلم تراع فيها حرمة لشيخوخة ولا لطفولة ولا لامرأة [2]، ولا أيّ جانب إنساني، وكان الاعتبار الأساسي للمصلحة السياسية للسلطة الحاكمة وإن غُلِّفت بأغلفة مختلفة. وقد استاء أغلب المسلمين وتألّموا. ودأب

---

(1) نقول ذلك بناءً على ما أورده زكي مبارك في كتابه «المدائح النبوية» وما لاحظه من تطوّر، وهو يرى أن هذا الفن ابتدأ بمدح شخصية الرسول ﷺ ثم توسّع ليشمل تقريظ أهل بيته، ومثّل لذلك بميمية الفرزدق وهاشميات الكميت وما تلاها. يُراجع ص58 – 64 وص 68 وما بعدها، وفصول الكتاب الأخرى من الفصل الرابع وما بعده.

(2) كان الحسين بن علي عليه السلام شيخاً في الخامسة والخمسين أو التاسعة والخمسين عند قتله. يُراجع المسعودي، المروج، مصدر سابق ج3 ص71. وسندرس مآسي الطفولة والمرأة في فصولنا القادمة.

الشيعة منذ العصر العباسي على إحياء تلك المناسبات واستحضار أحداثها. وكان للشعراء دورهم الهام إذ قَصَّدوا المراثي التي تصوّر تلك الأحداث [1].

وعلى النسق نفسه سار الشعراء الشيعة في البحرين. فكانوا يستعدون لشهر محرّم بالقصائد المؤثرة، ويتسابقون في إلقائها في (المآتم) المنتشرة في المدن والقرى[2].

يقول «محمد بن أحمد العصفور» محدداً الزمن الذي نظم فيه قصيدته:

[طويل]

بِلا هَوَرٍ في عَشْرِ المُحَرَّمِ قُلْتُهَا فَأَعْجَبُ لا عيباً حَوَتْهُ ولا لَحْنَا[3]

وقد أدى تكرار الاحتفالات في كل عام، ومساهمة الشاعر في الموسم الواحد بأكثر من قصيدة ـ أحياناً ـ إلى تضخّم حجم هذا الشعر.

2 ـ الواقع المرير الذي كان يعيشه الشعراء: فقد تتابعت على البلاد محن وأحداث من احتلال برتغالي وغزو عماني وغيرها [4] جعلت أهلها شديدي الالتصاق بمشاعر الحزن والأسى.

وربما شكّل ذلك دافعاً قوياً إلى تمثّل الأحداث المؤلمة، ومن ثم عمدوا إلى التاريخ الإسلامي وخاصة مآسي آل البيت يتعزّون بذكرها ويستمدّون العبرة منها، لذا راحوا يرثونهم ويصفون فواجعهم ويعيدون ذلك ويكررونه ويسقطون عليها عبر ذلك آلامهم ومعاناتهم. وهكذا أفرغوا شحنات الحزن والألم الذي يملأ حياتهم ويهزّ كيانهم[5].

ونظراً لتقهقر المثل العليا والقيم الأخلاقية في حياتهم نتيجة اضطراب الحياة وعسفها بهم فقد كان تركيزهم على مدح آل البيت ورثائهم تعبيراً عن رغبة قوية وحاجة ماسّة لشخصيات تحقّق لهم المثل التي افتقدوها. ومعروف أن المديح والرثاء مجالان واسعان للتغنّي بالقيم والفضائل والصفات المثالية . وكانت شخصيات آل البيت عليهم السلام هي النماذج

---

(1) يُراجع على سبيل المثال ديوان الشريف الرضي، مصدر سابق، ج1 ص360 و364 و387، وديوان الشريف المرتضى، مصدر سابق، ج2 ص41، الرائية وص 53 و163.

(2) المآتم (الحسينيات) أماكن خاصة يتجمع فيها الشيعة لإحياء المناسبات المتعلقة بآل البيت، كالاحتفال بمواليد الأئمة ووفياتهم. وفيها تعقد المجالس وتلقى الخطب والأشعار التي تتغنى بمآثرهم وتستعرض فواجعهم، وما وقع عليهم من محن. وتتركّز تلك الاجتماعات على وجه الخصوص في العشرة الأيام الأولى من شهر محرم، وتمتد طوال هذا الشهر وفي شهر صفر ورمضان وغيرها. وكان هناك منشدون من ذوي الإلقاء الجيد والصوت الحسن يتولون مهمّة إلقاء الأشعار.

(3) التاجر، محمد علي، مسودّات منتظم الدرين، مصدر سابق، ترجمة 608.

(4) يُراجع فصل الحياة السياسية ص51 وما بعدها.

(5) سنتناول ذلك في موضوع «تفاعلات الواقع في شعر آل البيت» ص161 وما بعدها.

المثاليـة التي كانـوا يتوقون إلى تحقيـق صفاتها على صعيـد الواقع المؤلـم، فائتلاف عنصري الواقع والمثال في هذا اللون من الشعر ساعد على كثرة القول فيه.

3 ـ التوجـه العـام للعصر: يبدو أن شـعراء البحرين انسـاقوا وراء هذا التيـار لأنه يمثّل التوجـه العام في البيئات التي كانوا يتعاملون معهـا، خاصة العراق وإيران، وربّما كان للحكّام الصفويين دور في توجيه الشعراء نحو القول في آل البيت.

ويذكر أن شـاعراً إيرانياً مدح أحد الحكّام الصفويين بقصيدة، فما كان من ذلك الحاكم إلا أن انتقده وبيّن عدم رضاه باشـتغال الشـعراء بمدحه، لأن الواجب ـ في نظره ـ هو توجيه المدح للرسول وأبنائه من الأئمة الاثني عشر [1].

ونحن لا نقول: إن شـعراء البحرين امتثلوا لذلك التوجّه، لكنهم ربما انسـاقوا وراء هذا التيار العام.

4 ـ إن معظم الشعراء كانوا من الفقهاء أو ممّن تغلب عليهم روح التديّن، ومن ثم كان هـذا اللون من الشـعر الديني أنسـب الألوان الشـعرية. كمـا أن البيئة فـي إطارها العـام تتميّز بنـزعة تديّنية بارزة، ومن ثم كان هذا اللون هو المطلوب، وقد أدّى ذلك إلى تضخّم حجمه.

وبنـاءً علـى ما سـبق لعلّنـا لا نجانـب الصـواب إذا اعتبرنا أن مـا قيل من شـعر في آل البيت هو وليد التجربة الشـعرية لأنه مرتبط بالعقيدة، نابع من أعماق النفس المتعاطفة مع الحـدث، المندمجة فـي أبعد أغواره ودقائقه. ووظيفة الشـعر الحقيقية هـي «الغناء المطلق بما في النفس من مشـاعر وأحاسـيس وانفعالات. حين ترتفع هذه المشـاعر والأحاسيس عن الحياة العادية، وحين تصل هذه الانفعالات إلى درجة التوهّج والإشراق أو الرفرفة والانسياب على نحو من الأنحاء» [2].

تفاوت نسبته خلال الفترة المدروسة:

مـن الملاحظ تأرجـح كميته، إذ يزداد في بعض الفترات ويقلّ نسـبياً في بعضها الآخر. وفـي اعتقادنـا أن لقسـوة الأحـداث أثرهـا في تحديـد حجمـه. فيتوسّـع بتزايد المحـن ويقل بهدوئها؛ نرجّح ذلك بناء على ما وصلنا من شعر الفترة.

وعلى سـبيل المثال ففي القرن الحادي عشـر الهجري/السـابع عشر الميلادي وقبله أي إبان الحكم البرتغالي والإيراني وقبل اشـتداد المعاناة تراوحت نسـبته بين التساوي مع فنون الشعر الأخرى عند بعض الشعراء، والقلّة عند البعض الآخر.

---

(1) الشابي، علي، الشيعة في إيران، مصدر سابق، ص157.

(2) قطب، سيد، النقد الأدبي، ط2، دار الشروق، بيروت 1980، ص55.

وحسبما وصلنا من شعر داود بن أبي شافيز (ت 1012هـ/1603م) يظهر التساوي، أو تفوّق بسيط لشعر آل البيت[1].

بالنسبة لشعر الخطّي، وديوانه هو الديوان الوحيد الذي وصلنا من دواوين تلك الفترة نلحظ تقلّص نسبة هذا الشعر بالمقارنة مع الأغراض الأخرى، إذ لا يتعدى قصيدتين في الديوان كلّه. الأولى في رثاء الحسين، والثانية في مدح الإمام المهدي عليه السلام ـ الإمام الثاني عشر الغائب عند الإمامية ـ ويلاحظ أن الشاعر لم ينظم الأخيرة من تلقاء نفسه، وإنما بطلب من البهائي وذلك حين طلب منه مجاراة قصيدته في الموضوع نفسه [2].

وتجد الإشارة أن لـ «الخطي» فلسفة خاصة في ترك مدحه لآل البيت عليهم السلام، يوضّحها البيتان التاليان من القصيدة السابقة:

[طويل]

وألزمتني مَدْحَ امرئٍ لو مدحتُهُ ... بشعرِ بني حَوَّاءَ دَعْ عنكَ أشعاري
لَقَصَّرتُ عن مقدارِ ما يستحقُّهُ ... عُلَاهُ فإقلالي سواءٌ وإكثاري

أما «ماجد بن هاشم» ـ معاصر «الخطي» ـ فتبدو غلبة الموضوعات الدينية بمختلف اتجاهاتها ظاهرة على شعره. ولا غرابة في ذلك فقد كان فقيه البحرين وعالمها. ومن ثم كان هذا اللون من الشعر أنسبها له[3].

هكذا تراوح بين القلّة والتوسّط والكثرة عند شعراء هذه الفترة. ويحول ضياع دواوين هؤلاء الشعراء دون معرفة حجمه معرفة دقيقة.

وفي القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي أي في فترة الغزو العماني وما تخلّله من أطماع زاد التصاق الشعراء بموضوع آل البيت. والديوان الوحيد الذي تمكّنا من الحصول عليه هو ديوان «الدمستاني». وهو يختّص اختصاصاً تاماً في هذا اللون من الشعر. ومع اعتقادنا أن جامعه ربّما اقتصر على شعر آل البيت وأهمل الأغراض الأخرى، لكن نكاد نجزم أن هذا اللون هو الغالب آنذاك. ولا نستبعد أن تخصّص الديوان في هذه الموضوعات هو السبب في بقائه وبالتالي وصوله إلينا. وهو في ذات الوقت العلّة في ضياع الشعر الآخر

---

(1) يُراجع شعره عند ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص521 وما بعدها؛ والمحبي، محمد أمين فضل اللّه، النفحة، مصدر سابق، ج3 ص197 وما بعدها، والأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مصدر سابق، ج11 ص232 وشبر، جواد، شعراء الطف ج5 ص44.

(2) القصيدة الأولى في الديوان ص36 والثانية في ص63.

(3) ورد شعره عند ابن معصوم المدني، سلافة العصر، مصدر سابق، ص492؛ والمحبي، محمد أمين فضل الله، النفحة، مصدر سابق، ج3 ص202؛ وشبّر، جواد، أدب الطّف مصدر سابق، ج5 ص80.

نتيجة عدم العناية به سواء من الشاعر أو من جمهور العصر الذي كان يتجاوب مع هذا الشعر الحزين بسبب تتابع المحن عليه.

يقوّي زعمنا السابق قول صاحب الذريعة بشأن شاعرين من شعراء البحرين في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. فهو يقول عن «ديوان العلوي» لـ «إبراهيم بن علي البلادي»: إنه يشتمل على قصائد بعدد حروف المعجم كلّها في مناقب الإمام «عليّ». ووصف «لطف اللّه بن محمد البحراني» بأنه من الشعراء الراثين للحسين[1].

أما شعراء القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي فمن الواضح غلبة هذا اللون البكائي على شعرهم. هذا مع التفات ظاهر إلى فنون الشعر الأخرى. ففي شعر «خليل بن علوي» تبلغ نسبته حوالي 63% من مجموع شعره [2] وكذلك الحال بالنسبة لما وصلنا من شعر «أحمد بن صالح بن طعّان الستري» حيث يبرز هذا اللون.

وعلى النهج نفسه سار شعر الإمامية في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري/ الثلث الأول من القرن العشرين كـ «سلمان التاجر» و«طه العرادي».

خصائص الشعر البحراني المتعلّق بآل البيت:

اتسم هذا اللون من الشعر بالعديد من السمات، وتمثّل أبرزها في:

1 ـ التشابه بين شعراء الفترة المدروسة:

يظهر التشابه الواضح في المضمون الفكري. ويكاد شعراء الفترة يكررون المعاني نفسها. ويبدو أنهم وضعوا نصب أعينهم نماذج يحتذون حذوها. فالمراثي على سبيل المثال جميعها تعتني بتجسيد الحدث التاريخي، وتشيد بالمناقب، وتبرز فيها نزعة بكائية واضحة. هذا علاوة على إظهار معاني الولاء والحب والتعاطف. ويخيّل للدارس أنه بالإمكان الاكتفاء بقراءة جزء فيستغني عن الكل.

رغم ذلك التشابه، فمن الطبيعي أن يوجد اختلاف في المقدرة التعبيرية والمستوى الفني بسبب التفاوت في امتلاك الأدوات اللغوية، وكذلك التفاوت في العاطفة والخيال وما يتولّد عنهما من ظلال وصور.

وربما جاز لنا انطلاقاً من وجود روابط فكرية وتفاعل بين شعراء المنطقة أن نعمّم

(1) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، 9 ـ 3 ص736 وص944.

(2) اعتمدنا على عدد الأبيات لا عدد القصائد.

ظاهـرة التشـابه فـي تنـاول الموضـوع لا بين شـعراء الجزيرة وحسـب بـل حتى بينهـم وبين شعراء منطقة البحرين القديمة من جهة، وبينهم وبين شعراء العراق من جهة أخرى [1].

2 ـ جوانب التشابه والاختلاف بين شعراء الفترة والأقدمين:

نشـير ابتـداءً إلـى أن النتاج الشـعري فـي هـذا الموضوع هو فـي حقيقته امتـداد لما صاغـه الأسـلاف. وعلـى هذا لا بدّ من التسـليم جـدلاً بوجود جوانـب من الاتفـاق وأخرى من الاختلاف نتيجة اتساع الرقعة الزمنية بين الجانبين. وتتمثل أهم جوانب الاتفاق فيما يلي:

إن شـعراء الفترة سـاروا على نهج المتقدّمين في إعطاء العاطفة مكانـاً هاماً في فنّهم الشـعري. ومن ثم أتى الكثير من شـعرهم زاخراً بالمشاعر والعواطف التي تسري في شرايينه وتنبـت فـي أوصاله وثناياه، مما أضفى عليه حيوية وحياة. ولولا ذلك لكان شـعراً مكرراً مملاً. ومما لا شـك فيه أن الوجدان العميق والمشـاعر الصادقة من أهم مقوّمات الفن الشـعري بل دعامته الكبرى التي بدونها لا يعدّ القول شعراً.

ولقـد كانت نفوس الشـيعة ـ منذ العصور الإسـلامية الأولى ـ تزخـر بالحب والولاء لآل الرسـول ﷺ، وتمور حزناً لما قاسوه من محن ومصائب. واستتبع ذلك أن تفجّرت غضباً على مَنْ ظلمهم وأوقع بهم الفواجع، ومن ثَمَّ جاء شـعرهم تعاطفاً مع تلك المحن وإظهاراً للولاء. فكان منـزّهاً عن الأغراض والمصالح. وقد رفضوا ـ منذ البداية ـ أية مكافأة من العلويين على ذلك المديح. يُروى أن الفرزدق أنشد قصيدته:

[بسيط]

هـــذا الـــذي تعـــرفُ البطحـــاءُ وطأتَـــهُ والبيـــتُ يعرفُـــهُ والحِـــلُّ والحَـــرَمُ

رداً على «هشـام بن عبد الملك» عندما حاول تجهيل أهل الشام بـ«عليّ بن الحسين» ـ الإمـام الرابع عند الإمامية ـ عندما حجّ معه، فغضب «هشـام» على الشـاعر وحبسـه، فأنفذ إليه الممدوح اثني عشر ألف درهم فردّها قائلاً: «مدحته للّه تعالى لا للعطاء» [2].

ويُـروى أن «الكميت بـن زيـد الأسـدي» دخل علـى «محمد بن علـي» (الباقـر) الإمام

(1) نزعـم ذلك بناءً على النماذج الشـعرية التي أوردتها بعض المراجع المهتمّة بشـعر آل البيت ككتاب «رياض المـدح والرثـاء» لـ «حسـين بن علي البـلادي» الذي يعـدّ نموذجاً للتفاعل بيـن هذه المناطـق، فهو بحراني الأصـل قطيفي المسـكن تلقّـى تعليمه في «العـراق» وكتـاب الأميني، عبد الحسـين، الغدير، مصدر سـابق، ج11 ص211 ومـا بعدهـا. وكتـاب شـبّر، جـواد، أدب الطَّـف، مصـدر سـابق، ج5 و6. فجميـع القصائـد تكاد تسير على وتيرة واحدة.

(2) ابـن خلـكان، وفيات الأعيان، مصـدر سـابق، ج6 ص95، ومبارك، زكـي، المدائـح النبوية، دار الشـعب، د.ت. ص59 وما بعدها.

الخامس ـ فأعطاه ألف دينار وكسوة، فقال: «واللّه ما أحببتكم للدنيا ولو أردتُ الدنيا لأتيتُ من هي في يديه، ولكنّي أحببتكم للآخرة، فأمّا الثياب التي أصابت أجسامهم فأنا أقبلها لبركاتها، وأما المال فلا أقبله». وحين كافأته «فاطمة بنت الحسين» ببعض المال هملت عيناه وقال: «لا واللّه لا أقبلها، إنّي لم أحبكم للدنيا»[1].

لقد أشاع ذلك الحب الصادق والولاء العميق لوناً من التصوّف الروحي وتحوّل إلى نفثات عاطفية وتبتّل عند الشعراء الشيعة طوال العصور [2].

ولقد سار شعراء البحرين في ذات الدرب، فأبدعوا شعراً على قدر غير قليل من الروحانية والتصوّف في حب آل البيت، فجاء شعرهم شعراً عاطفياً وليد تجربة حقيقية عاشوها هذا رغم وجود ما يمكن اعتباره شعر مناسبات، والأدب في حقيقته لا يعدو أن يكون صياغة فنيّة لتجربة بشرية تقوم على دافعين متلازمين رغبة الفنان في التنفيس عن عاطفته، ثم رغبته في وضع هذا التنفيس في صورة تثير كل من يتلقّاها نظير عاطفته [3].

ويطول بنا المقام لو رحنا نفتش عن مظاهر النفثات الروحية والتبتّل في ذلك الشعر وسنكتفي بإيراد بعض النماذج.

تغنّى الشعراء بحبّهم لآل محمد ووصفوا صدقه وتغلغله وأصالته في نفوسهم، فقال «حسن الدمستاني»:

[كامل]

تاللّهِ ما حُبِّي لَكُمْ يا سادتي بتكلُّفٍ مِنِّي ولا مُسْتَجْلَبا
أُشرِبتُ في الدّرِّ اعتقادي فضلَكُمْ ورحيقَ حُبِّكُمُ الألَذَّ الأعذَبا[4]

---

(1) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن حسين، الأغاني، الدار التونسية للنشر 1983، ج16 ص347، ومبارك، زكي المدائح النبوية، مصدر سابق، ص99 وما بعدها.

(2) من الشعر الشيعي القديم المتّسم بالتصوّف الروحي في حب آل البيت ميمية «الفرزدق» المذكورة سابقاً. وقد أشرنا إلى مصدرها. وهاشميات «الكميت بن زيد الأسدي» وبائية «علي بن عبد اللّه بن وصيف» المعروف بالناشئ الصغير، وقد أشار إليها الحموي، شهاب الدين ياقوت في معجم الأدباء، ط3، دار الفكر، بيروت 1980، ج13 ص290؛ وابن خلكان في الوفيات ج3 ص369. وأوردها كاملة الأميني، عبد الحسين في الغدير، ط3، دار الفكر، بيروت 1980، ج4 ص25. ومن الدراسات الحديثة التي أشارت إلى هذه السمة مبارك، زكي، في المدائح النبوية، مصدر سابق، ص62 و82 و98 وغيرها وحميدة، عبد الحسيب طه، في «أدب الشيعة» ط2، مطبعة السعادة، مصر 1968، ص6 و70 وضيف، شوقي، في كتابه «الرثاء»، ص37 ونعمة، عبد اللّه، في الأدب في ظل التشيّع، دار التوجيه الإسلامي، بيروت 1980، ص60 و87 و94 و134.

(3) السعافين، إبراهيم، مدرسة الإحياء والتراث، مصدر سابق، ص12.

(4) الديوان ص125. وأراد الشاعر بلفظة «الدّر» فترة الرضاع من الأم على اعتبار أن الدّر صفة للبن.

فالشاعر ينفي عن حبه التصنّع والتقليد لغيره بتأثير خارجي، ويؤكد ذلك بالقسم «تاللَّه»، والتعبير عن أصالة اعتقاده بفضلهم تصوّر أنه شربه منذ عهد الرضاع.

ويقترب «سلمان التاجر» من المعاني السابقة مع إضافة تلوينات أخرى فيقول[1]:

[مجزوء الكامل]

فلقَـــــد كَرَعْـــــتُ بحُبِّهـــــمْ عَسَـــــلاً شـــــفاءً للعَلِيـــــلِ
مِثْـــــلُ الـــــزُّلالِ صفـــــاؤُهُ ومزاجُـــــهُ كالزَّنْجَبِيـــــلِ
فيـــــهِ دوا الـــــدَّاءِ العُضَـــــا لِ المُسْـــــتَطيلِ المُسْـــــتَحيلِ

فهو يجسّد لذّة حبّهم فيتصوّر أنه شربه بملء فيه. وتدل صفة العسل أنه فردوسي (من عسل مصفّى). وآيات الكتاب تشير إلى أن في العسل شفاءً «النحل: 69» فالصورة مستقاة من القرآن الكريم.

ويومئ «حسن الدمستاني» إلى الأسباب في ولاء آل البيت فيقول [2]:

[طويل]

وفـــي مُحْكَـــمِ التنـــزيلِ تبجيـــلُ شـــأنِهِمْ بتفصيـــلِ وَصْـــفٍ بالجَميـــلِ وإجْمَـــالِ
وإنّ لهـــم مَحْـــضَ الـــولاءِ علـــى الـــوَرَى وليـــسَ عليهـــم فـــي البَرِيَّـــةِ مِـــنْ وَالِ
وأوْصَـــى رســـولُ اللَّـــهِ فيهـــم بمثلِـــهِ وقـــالَ أيـــا قـــومُ احفظونِـــي فـــي آلـــي

فهو يشير في البيت الأول إلى الآيات الكريمة التي نوّهت بفضلهم كآية التطهير (الأحزاب: 33) وآية المباهلة (آل عمران: 61)، ويصل في البيت الثاني إلى أنه لا يمكن لأحد أن يتقدّمهم فهم الأولى بالأمر. ويتضمّن البيت الثالث إشارة إلى وصيّة الرسول بهم الواردة في الآية الكريمة ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [3].

لقد غدا ولاء آل البيت ومودّتهم لوناً من الوجد الصوفي. ويصف «إبراهيم آل نشرة» شدّة إكباره للإمام «علي» وشغفه به، فيقول:

[كامل]

لِـــي مِـــنْ وِدَادِي فيـــكَ يـــا كَهْـــفَ الـــوَرَى شَـــغَفٌ ينازِعُنـــي أكَادُ لَـــهُ أُجَـــنْ
وَرَســـيسُ شَـــوْقٍ لـــو تَقَسَّـــمَ بعضُـــهُ مَـــلأَ البســـيطةَ مِـــنْ دمشـــقَ إلـــى عَـــدَنْ

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص308.
(2) ديوانه ص74.
(3) سورة الشورى، الآية 23.

ويتجلّى التصوف على صعيد التغنّي بالصفات الروحية المميّزة التي اختصّ بها آل البيت دون سواهم. فيقول «سلمان التاجر»[1]:

[مجزوء الكامل]

ببيوتِكُـــــمْ يُتلَـــــى الكِتَـــــا بُ صُحـــــفُ موسَـــــى والخَليـــــلِ
وعليكُـــــمُ الأمـــــلاكُ تَنْـــــرَى بالبكـــــورِ وبالأصيـــــلِ

وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[2]. وهو تلميح إلى تشبّثهم بعبادة الخالق منذ القدم.

وتتجسّد الروحانية والتصوّف في اعتبار أضرحتهم أماكن مقدّسة بل جنان خلود. ويسائل «حسين الشاخوري» «كربلاء» مستفهماً عن حقيقتها، وكأنّها قد تداخلت في مخيلته مع بقعة الطور المقدّس، يقول [3]:

[بسيط]

أمربـــعُ الطَّـــفِّ ذا أم جانِـــبُ الطُّـــورِ حيّـــى الحَيَـــا مِنْـــكِ رَبْعـــاً غيـــرَ مَمْطُـــورِ
كـــم فيـــكِ روضـــةُ قُـــدْسٍ أعقبـــتْ أرَجـــاً كأنَّهـــا جَنَّـــةُ الوُلـــدانِ والحُـــورِ

ويشفّ الدعاء بالسقيا، وهو عادة قديمة بشدّة التعلّق والرغبة في بقاء تلك المرابع خصبة ممرعة، وتضفي صورة «الولدان والحور» التي أومأ الشاعر بها إلى المضطهدين بعد الوقعة من أولاد الحسين عليه السلام ونسائه لوناً من القداسة عليهم. فهم سيصبحون من قاطني الجنّة وسيغدون ولداناً مخلّدين وحوراً وكواعب أتراباً. والصور وظلالها تشي بعمق التبجيل الذي يقترب من التصوّف والعبادة.

ترتّب على ذلك أن تخشعوا لقبورهم وبسبب تمجيدهم لأصحابها وتأجّج عواطفهم لما نالهم من مصائب سيطرت عليهم نزعة من الأسى الشفيف، فتصوّروها رياضاً تفوق في قدسيتها جنان الخلد، يقول «حسن الدمستاني» محيّياً أرض «الطفوف» إثر وصوله ـ كما يبدو ـ [4] :

[كامل]

هَـــذِي الطُّفُـــوفُ وتلـــكَ شُـــمُّ قِبابِهَـــا فَاحْطُـــطْ رِحَالَـــكَ فـــي رحيـــبِ رحابِهَـــا
فـــي رَوْضَـــةٍ لـــم يخلـــقِ البـــاري لَهَـــا فيمـــا يـــراه مـــن الريـــاض مشـــابها
فاقَـــتْ علـــى وصْـــفِ الجِنـــانِ وكيـــف لا وأريجُهـــا مـــن زعفـــرانِ تُرابِهَـــا

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص308.
(2) سورة الأعلى، الآيتان 18 - 19.
(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص533.
(4) ديوانه ص1326.

فالأبيات تجسيد حقيقي لما يكنّه الشاعر من تعظيم لآل البيت، فها هو قد نال بغيته ووصل إلى كربلاء. تلك البقعة التي لا مثيل لها.، وهي في نظره تتفوّق حتى على الجنان لما حظيت به من دفن أبناء الرسول ﷺ الذين كنّى عن أجسادهم بزعفران الأرض. ولا جدال فالجنّة حياة خالدة لا موت فيها ولا موتى. وتسيطر على الشاعر نزعة من التبتّل والخضوع فيخاطب نفسه آمراً إيّاها بأمور تشي بعمق التصوّف فيقول:

فامشِ الهُوَيْنَى[1] قاصدَ القِبَبِ التي ... تتهافتُ الأملاكُ في أعتابِهَا
واجْهَدْ بنفسِكَ أَنْ تفوزَ بِلَثْمَةٍ ... منها فيا طُوبَى لِمَنْ يحظَى بِهَا

ووصل التصوّف الروحي إلى أن قصر الشعراء مديحهم على آل البيت. يقول «سلمان التاجر» معوّلاً على التكنية [2]:

[كامل]

يا ساكني نَجْدٍ إليَّ بنجدِكُمْ ... قلبٌ بغيرِ ودادِكُم لَمْ يُغْتَذِ
ما زالَ يقصِرُ مدحَهُ فيكُمْ فَمِي ... إذْ في المسامِعِ غيرُهُ لم يَلْذُذِ

فهو يومئ إلى الهاشميين بساكني نجد، وفي ذلك إشارة إلى أنهم من قريش البطاح الذين ينزلون الشعب بين أخشبي مكة وهو أكرم البطاح[3].

ويشير الشاعر نفسه إلى السبب في حصره المديح عليهم فيقول[4]:

[طويل]

فكلُّ مديحٍ في سواكُمْ فَعُرضةٌ ... إلى الذمِّ إلَّا فيكُمُ يا ذَوي العَزْمِ

فمديح غيرهم ـ في نظره ـ عرضة للعيب واللوم ـ ولعلّ في ذلك إشارة إلى ضرورة الالتزام بعنصر الصدق في المديح [5].

وتأخذ الشاعر البحراني نفحة صوفيّة فيجعل مديح الهاشميين اللذة الحقيقية والعذوبة المحبّبة. يقول الشاعر ذاته [6]:

---

(1) كتبت اللفظة (الهوينا) أي بالألف الممدودة.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص302.

(3) يُراجع: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، د.ت، مادّة «بطح» والقلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، مصدر سابق، ص364.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص298.

(5) ذهب «إبراهيم آل نشرة» إلى ما يقرب من ذلك، يُراجع قوله في البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص356 البيت 44.

(6) المصدر نفسه، ص308.

[مجزوء الكامل]

فمديحُهُـــــم فـــــي رقَّـــــة الســـــلـ ـــــــسالِ فـــــي ذَوْقِ الشّـــــمُولِ
فـــــي نَكْهَـــــةِ الرَّيْحـــــانِ فـــــي رَيَّـــــا القرنفـــــل للعليـــــلِ

ويـدل تتابـع الصـور من مرئيـة ومذوقة ومشـمومة على عمـق شـغفه بمديحهم. وقد ماثله بعناصر ذات قيمة جمالية وتأثير نفسي طيّب.

لقـد وصـل الوجد الصوفي بالشـاعر البحراني إلـى أن عدّ ذكر آل محمد تبتّـلاً إلى اللّه وتعبّداً، فقرنه بتراتيل كتب السماء، لـ «سلمان التاجر»[1]:

[كامل]

وكأنَّمـــــا لَهْـــــجُ اللِّسَـــــانِ بذكرهِـــــمْ عـــــن ســـــرِّ آيـــــاتِ الكتـــــابِ يُتَرْجِـــــمُ
وكأنَّمـــــا أنَّـــــاتُ نَاعيهـــــم لَنَـــــا نَغَمـــــاتُ داودٍ بهـــــا يُتَرَنَّـــــمُ
وكأنَّمـــــا راثيهُـــــمُ فـــــي نَظْمِـــــهِ مَنثُـــــورَ تَسْـــــبيحِ الإلـــــهِ يُنظِّـــــمُ

ويعـوّل الشـاعر مرة أخرى علـى تتابع الصور لتعينه على تجسـيد أحاسيسـه المتدفّقة فيعقـد علاقـة مشـابهة بيـن اللاهـج بذكرهم والمفسّـر لآيـات الكتـاب، وبيـن تفجّـع ناعيهم ومزاميـر سـيدنا «داود»، وبيـن نظم راثيهم والمسـبّح للخالق. وتشـفّ التشـبيهات بالتقديس والتبجيل.

ولئـن كان المـدح يزيّـن الممـدوح، فـإن آل البيت هـم الذين يزيّنـون المديـح. يقول الشاعر السابق مقرّظاً «الحسين بن علي» [2]:

[طويل]

إذَا غيـــــرُهُ بالمَـــــدْحِ زَانَ فإنَّـــــهُ بِـــــهِ تتباهـــــى مِدْحَـــــةُ النَّثْـــــرِ والنَّظْـــــمِ

لقـد غـدا النظـم فـي آل محمـد مدحـاً ورثـاءً وترنّمـاً بمناقبهـم هو مـا يـروق لأولئك الشعراء. يقول «أحمد بن الحاجي»:

[بسيط]

قَـــدْ رَاقَ لـــي فيكُـــمُ حســـنُ الرّثَـــاءِ كمـــا قـــد طَـــابَ فيكـــم لَـــدَيَّ المـــدحُ والغَـــزَلُ [3]

ورغـم كثـرة مـا قالـوه كانـوا يشـعرون بالتقصيـر فـي حـقّ أولئـك القـوم. يخاطـب «عبد الرؤوف بن أحمد الجدحفصي»[4] الإمام «علياً عليه السلام» قائلًا:

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص284.
(2) المصدر نفسه، ص296. وينظر أيضاً ص297 البيت 47.
(3) ديوان الدمستاني، ص371.
(4) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

[بسيط]

عُــذْراً إمامِــي فــلا أســطيعُ مَدْحَــكَ يــا تــاجَ الكَمَــالِ ألا اقبَــلْ ســيّدي عُــذْري

ويعلّل عجزه قائلاً:

مــا قــدرُ مدحــي وربُّ المادحيــن غــدا يُثنِــي عليــكَ بــآيِ الكهــفِ والزُّمْــرِ

والعاديــاتِ وعَــمَّ والنَّبَــا وسَــبَا والرَّعْــدِ والنَّحْــلِ والأعــرافِ والحُجْــرِ

فالشاعر يستصغر مديحه بالقياس إلى ثناء سور الكتاب عليه. وعمد إلى ذكر العديد منها بين يدي مديحه.

سلك «أحمد بن صالح بن طعّان» مسلكاً آخر لا يخلو من بعض الفلسفة، فهو يرى أن كثرة المديح موجبة لنقص الممدوح، وكأنه يرى التقريظ عملية تعويضية عن النقص[1]:

[بسيط]

قالــوا امدحــنَّ أميــرَ النَّحْــلِ[2] قلــتُ لهــم مَدْحــي لَــهُ موجِــبٌ نقصــاً لمعنَــاهُ

لأنَّ مدحــي لــه فــرعٌ بمعرفتــي بذاتِــهِ وهــي ســرٌّ صَانَــهُ اللَّــهُ

وهو ينطبق في تعليل فكرته من أن المدح يوجّه عادة إلى شخص تدرك الحواس صفاته، وما دام الإمام عليّ عليه السلام ذاتاً مغلّفة بالأسرار ـ كما يرى الشاعر ـ تعذّر بالتالي معرفتها ومديحها. وترتّب على ذلك أن تحرّز في وصفه. فهو في نظره ليس إنساناً عادياً ومساواته ببقيّة الناس ظلم له. وفي ذات الوقت هو لا يرغب في المبالغة وما تجرّه من مغالاة.

فــإن أَصِفْــهُ بأوصــافِ الأُنَــاسِ أكــنْ مُقَصِّــراً إذْ جميــعُ النــاسِ أشــباهُ

وإنْ أزدْ فــوق هــذا الوصــفِ خفــتُ بــأنْ أَتِيــهَ مثــلَ غُــلاةٍ فيــهِ قــد تَاهُــوا

وما دام الشاعر قد وضع الإمام «عليّاً عليه السلام» في مرتبة تسمو على مرتبة البشر العاديين على ألا يتجاوز حدّ الصفات الإنسانية النازعة نحو الكمال، كان من الطبيعي أن يقول: إن المديح مهما كثر وجلّ فهو قليل في حقّه، وأن غيره يكفيهم القليل، قال[3]:

---

(1) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص257.

(2) سمّي الإمام «علي عليه السلام» بأمير النحل لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه: «إنّك سيّد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجّلين ويعسوب الدين» رواه الطبري، محبّ الدين أحمد بن عبد الله، في «الرياض النضرة»، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت. ج3 ص138، وروى «الهيتمي» علي بن أبي بكر، في مجمع الزوائد، مؤسسة المعارف، بيروت 1981، ج9 ص105 حديثاً بالمعنى نفسه. واليعسوب: هو أمير النحل ورئيسه. يُراجع شرح النهج لـ«ابن أبي الحديد»، ج19 ص224 حيث يذكر أحاديث مماثلة ويفسّرها.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص129.

[كامل]

فَلِـــذَا جليـــلُ المـــدحِ فيـــهِ قليلـــهُ وقليلُـــــــهُ كافٍ إلـــــى الأضـــــدَادِ

هكـذا كان التصـوّف فـي آل البيـت عنـد شـعراء البحريـن. وفـي اعتقادنـا أنّهـم كانوا يمتحون الكثير من معانيهم من التراث الشـعري العربي، خاصة ما قيل في مدح الرسول وآله كالقصائـد «السـبع العلويات» لـ «ابن أبـي الحديد» الذي اقترب الشـعراء كثيـراً من قوله في مخاطبة الإمام «عليّ عليه السلام»:

[طويل]

تَعالَيـــتَ عـــن مَـــدْحٍ فأبلـــغُ خاطِـــبٍ بمدحِـــكَ بيـــنَ النـــاسِ أقْصَـــرُ قَاصِـــرِ

وقوله:

[كامل]

أنـــا فـــي مديحِـــكَ ألكـــنٌ لا أهتـــدي وأنـــا الخطيـــبُ الهبـــرزيُّ المصقِـــعُ [1]

جوانب الاختلاف بين شعراء الفترة والأقدمين:

وإذا كان الشعراء استمدّوا من أسلافهم روح هذا الشعر وجوهره، فإنهم اختلفوا عنهم ـ إلى حدٍّ ما ـ في طرحهم لبعض القضايا التي كان يلمّ بها الأقدمون إلماماً سريعاً أو يهملونها ـ ويمكن حوصلة أهم مظاهرها في:

أ ـ تقلّص النـزعة الجدليّة: فقد ظلّت هـذه الروح هاجساً عند العديد من الشـعراء القدامى ـ وإن بنسـب متفاوتـة ـ فكانـوا يطرحـون قضيـة أحقيّـة آل البيـت فـي الخلافـة ويسـندونها بالأدلـة والبراهين كـ «الكميت بن زيد الأسـدي» فـي هاشـمياته[2]، وبدرجة أقلّ «الشريف المرتضى»[3]، وغيرهما.

وقد خفّت هذه النـزعة في شـعر «البحرين»، هذا مع بقاء الإيمـان بأحقيّة العلويين راسـخاً قويـاً. ولعلّهـا ذابت في ثنايا الإشـادة بمناقبهم. فالشـعراء مـا فتئوا يتغنّـون بفضائلهم وقيمهم الأخلاقية.

ب ـ اتسـاع رقعـة بعـض المعانـي: قابـل ضمور الـروح الجدلية بـروزاً فـي العديد من

---

(1) الأسـدي، الكميت بن زيد، الروضة المختارة، شـرح القصائد الهاشـمية، وهي مطبوعة مع القصائد العلويات السـبع لابـن أبـي الحديـد، ط1، مؤسسـة الأعلمـي، بيـروت 1972، ص127 و141 ووقـع تصحيـف في لفظة «هبرزي» إذ قدّمت الزاي على الراء.

(2) يُراجع على وجه الخصوص هاشميته البائية ص15، البيتان 29 و30 والبيت 38 وما بعده والبيت 48 وما بعده.

(3) يُراجع ديوانه ج2 ص54، البيت 22 وما بعده على سبيل المثال.

قضايا المضمون الفكري. وقد غدا بعضها في اعتقادنا، زوايا متميّزة وإضافات طريفة في شعر الفترة المدروسة. ليس عند شعراء «البحرين» وحسب، بل لدى الشعراء الرثّائين لأهل البيت كافة [1]. وتتمثّل تلك الأبعاد الفكرية في التوسّع في استخدام التاريخ كعنصر له قيمته في المراثي الهاشمية. وكان الأقدمون يمسّونه مسّاً خفيفاً. وفي الالتفات الواضح لمحنة المرأة الهاشمية والتوفّر على إبراز مأساتها. ثم تجسيد معاناة الطفولة في فاجعة الطّف وما تعرّضت له من فواجع. ولاعتقادنا بتميّز هذه القضايا سنعرض لها بالدرس في الفصول القادمة.

(1) نزعم ذلك بناء على النماذج الشعرية الواردة عند البلادي، حسين بن علي، في رياض المدح والرثاء، وعند شبّر، جواد، أدب الطّف، مصدر سابق.

الفصل الثاني

التاريخ وتفاعلات الواقع في شعر آل البيت

نقصد بالتاريخ الاتجاه الذي غلب على شعراء المدائح النبوية بتركيز الاهتمام على مسارب الأحداث التاريخية المتعلّقة بآل البيت سواء في مدائحهم أو مراثيهم.

وقد بدا التاريخ عنصراً شديد البروز في شعر البحرين، واستخدم استخداماً مزدوجاً، الأول: أن الشعراء تعاملوا معه كعنصر مستقلّ مقصود لذاته لإبراز بشاعة ما وقع من ظلم وتقتيل للهاشميين، والثاني أنه استخدم كصورة بديلة للواقع، فأتى بعضه مغلّفاً بالدلالات الرمزية نتيجة ما وقع من تفاعلات بين الماضي والحاضر. وذلك حين عمد الشعراء إلى إسقاط محنهم على أحداثه وتغييب معاناتهم في ثناياها.

أولاً: التاريخ المحض:

شكّل التاريخ دعامة هامّة في شعر آل البيت. والشعراء وإن لم يبدعوا جديداً فيه إلا أنهم وسّعوا قاعدته، وسوّغوه كمقوّم فكري أغنوا به مضامينهم، فوظّفوا أحداثه عمق المآسي الهاشمية، واستغلوه أداة لتحريك الوجدان.

ونلمح إرهاصات النزعة التاريخية في شعر الأقدمين خاصّة ما صيغ في آل البيت، ثم في المدائح النبوية المتأخرة نوعاً ما. هذا مع وجود فروق في الحجم بينهما.

فالأقدمون يعرضون للأحداث التاريخية لماماً لا يتجاوز البضعة أبيات[1]، لكن

---

(1) برصدنا لبعض مراثي آل البيت القديمة نلمح أن أغلب المعاني تدور حول التفجّع والمناقب والنعي على الخصوم وما إليها. أما وصف الحدث - ونقصد الوصف التاريخي للحادث - فغالباً ما يكون محدوداً - وعلى سبيل المثال فمرثية «الدؤلي» في الإمام «علي» وعددها (13) بيتاً يشير بيت واحد منها فقط (السابع) إلى حادث الاغتيال (ابن شهرآشوب، رشيد الدين محمد بن علي، المناقب، المطبعة الحيدرية، النجف 1956، ج3 ص97). وفي هاشمية «الكميت» الميمية (تُراجع في القصائد الهاشميات ص4 وما بعدها) وهي 103 أبيات، بيتان في الإشارة إلى حادث قتل الإمام «عليّ عليه السلام» (60 و66) وبيت في الإشارة إلى حروبه (70)، وبيتان يشيران إلى واقعة «الطّف» (73 و74). وفي ديوان «الشريف الرضي» خمس قصائد في رثاء «الحسين عليه السلام» أكثرها تركيزاً على وصف الحدث، فقصيدته المقصورة (44/1) وعدّتها (62) بيتاً، تسعة أبيات منها في وصف الأحداث - الأبيات من 2 ـ 6 ومن 11 - 14. وأكثر مراثي «الشريف المرتضى» الحسينية اهتماماً بالحدث البائية (ديوانه 68/1) وهي (62) بيتاً وفيها حوالي (14) بيتاً في وصف الحادث التاريخي (الأبيات من 20 ـ 33) هذا مع ما يتخللها من معانٍ أخرى.

المتأخّرين مدّوا رقعته كـ «ابن أبي الحديد» في علوياته[1]، و«البوصيري» في همزيته النبوية[2].

وقبل خوضنا في دراسة هذا العنصر يجدر أن نتساءل كيف يمكن إدخال التاريخ وهو عنصر واقعي يرتبط بالفكر ضمن الشعر وهو عالم الوجدان والأحاسيس؟ والدراسات النقدية تبيح له ذلك الجوارْ بشرط أن يكون الفكر «مقنّعاً غير سافر، ملفّعاً بالمشاعر والتصوّرات والظلال، ذائباً في وهج الحس والانفعال، أو موشّى بالسبحات والسرحات. ليس له أن يلج هذا العالم ساكناً بارداً مجرّداً»[3].

وأقدم نصّ شعري بحراني يحتلّ فيه التاريخ رقعة بارزة قصيدة لـ «أحمد بن عبد اللّه بن المتوّج» (ت 820هـ/1417م) وهي تبلغ واحداً وثلاثين بيتاً منها خمسة عشر في وصف تفاصيل حادث «الطّف»[4].

وفي القرن العاشر تبرز قصائد طويلة ترتكز في بنائها الفكري على ما روته مصادر التاريخ الإسلامي من أخبار. فلـ «مفلح الصيمري» قصيدتان الأولى ميمية من اثنين وثمانين بيتاً يستغرق وصف الأحداث التاريخية فيها حوالي تسعة وأربعين بيتاً. والثانية عينية من اثنين وثمانين بيتاً أيضاً، يحتلُّ التاريخ فيها ثمانية وأربعين بيتاً تقريباً[5]، وربما دلّ هذا التقارب على أن الشاعر يضع أمامه مخطّطاً للقصيدة أثناء عملية النظم. والموضوع في القصيدة يكاد يكون واحداً، فهو يعرض ضمنها ما يعتقده من غصب الخلافة وما يترتّب عليها من نتائج، ثم عرض شبه تفصيلي لأحداث الطّف.

يبدو أنه في فترة تالية لـ «الصيمري» وربما منذ النصف الثاني من القرن العاشر ظهر اتجاه لنظم المطولات الشعرية التي تترجم لأحد الأئمة الاثني عشر من مولده حتى وفاته. ولعل أول من فتح هذا الباب هو «الحلبي الحائري»، فله منظومة رائية (طويل) تقارب الخمس مئة بيت قصّ فيها واقعة الطّف[6]. ويبدو أنه متأثر بـ «البوصيري» في همزيته التي تقارب الأربع مئة وخمسين بيتاً.

---

(1) عددها سبع وهي في مدح الرسول والإمام عليّ عليه السلام. تُراجع عند الأسدي، الكميت بن زيد، في الروضة المختارة، مصدر سابق، ص83 وما بعدها.

(2) ديوانه ص1 ـ 29.

(3) قطب، سيد، النقد الأدبي، مصدر سابق، ص56.

(4) الطريحي، المنتخب، مصدر سابق، ص153، الأبيات من 11 ـ 25. والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج3 ص15.

(5) المصدر الأول نفسه، الأولى في ص136، الأبيات من 16 – 64 والثانية في ص145 الأبيات من 18 – 65.

(6) لم نستطع العثور على ترجمة لـ «الحلبي الحائري». لكن يبدو أنه من شعراء القرن العاشر أو قبله، فقد ذكر الطهراني، آقا بزرك، في «الذريعة»، مصدر سابق، ج20 ص103 أن المجموعة التي تضمّنت منظومته المذكورة كتبت في حدود عام 1000هـ/1591م، يُراجع أيضاً شبّر، جواد، أدب الطّف، مصدر سابق، ج5 =

ويظهر أن منظومة «الحلبي الحائري» كانت معروفة في البحرين[1]، وقد انساق الشعراء للنسج على منوالها. ونعثر على عدّة منظومات في معارضتها، نذكر منها منظومة «سعيد بن يوسف المقابي» التي صاغ فيها أحداث حياة الإمام «عليّ عليه السلام» ومقتله وبلغت حوالي أربع مئة بيت[2]. ومنظومة «داود بن أبي شافيز». ويقال إنها تبلغ خمس مئة وثمانين بيتاً [3].

وفي الجملة غدت أحداث التاريخ وما وقع لآل البيت من نكبات وفواجع باعثاً على رثائهم والتفاعل مع مآسيهم. وقد استمر الشعراء خاصة الشيعة في تمثّل تلك الأحداث ووصفها وتفصيل أبعادها مستخدمين كل ما أمكن من أساليب تعبيرية لتجسيدها وإبرازها.

تفاعل الشعراء مع جلّ أحداث البيت الهاشمي، ابتداءً بما وقع لصاحب الرسالة «محمد صلى الله عليه وآله وسلم» وانتهاء بغيبة الإمام الثاني عشر.

وكان مما آلمهم بالنسبة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحيلولة بينه وبين الوصيّة، فيقول «سلمان التاجر»:

[طويل]

وهَمَّ بأنْ يُوصِي بثقلَيْهِ قَوْمَهُ ... وبالعكسِ هُمْ فيما يُريدُ بمرصدِ
وقالَ أنَاسٌ ظلَّ يهجرُ أحمدُ ... ونَجْمٌ هَوَى ما ضَلَّ بل وحيُ مُرشَدِ

واعتمد الشاعر على القسم القرآني: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾[4] لنفي تهمة الهذيان عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم [5].

= ص49. ويظهر من لقبه أنه عراقي لأن «الحائر» اسم يطلق على «كربلاء» وقبر الحسين كما يقول الحموي، شهاب الدين ياقوت، في معجم البلدان، مصدر سابق، ج2 ص208.

(1) يبدو ذلك من كثرة ورودها في المجاميع الخطية المتداولة في «البحرين».

(2) توجد كاملة في مجموعة (2). وقد ذكر «شبر» في «أدب الطّف»، مصدر سابق، ج5 ص50 مطلعها. ولم نعثر على معلومات ذات قيمة عن حياة الناظم، وذكر «التاجر، محمد علي، في «المنتظم»، مصدر سابق، ترجمته ورقمها (346) أخباراً عامة. وجلّ ما يمكن قوله أنه من شعراء القرن العاشر فقد ذكر «الطهراني، آقا بزرك، في الذريعة، مصدر سابق، ج20 ص103 أن منظومته ضمن مجموعة خطية كتبت في حدود عام 1000هـ/1591م. وهو يورد اسمه كاملاً. ونعتقد أن السبب في إهمال كتب التراجم لذكره أنه لم يكن من الفقهاء.

(3) الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مصدر سابق، ج11 ص233.

(4) سورة النجم، الآيتان 1 - 2.

(5) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص342. وعن الخبر السابق وهو الحيلولة بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والكتابة أثناء مرضه. يُراجع ابن سعد، الطبقات، مصدر سابق، ج2 ص242، والحلّي، الحسن بن يوسف المطهر، نهج الحق وكشف الصدق، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982، ص332.

وعرضوا لما تمحّض عنه حادث وفاة الرسول ﷺ من نتائج فورية وبعيدة. كبيعة «السقيفة» التي شرع فيها بأخذ البيعة والرسول مسجّى وبنو هاشم ما زالوا منهمكين في تجهيزه ودفنه. وقد اعتبرها الموالون أول استهانة بمكانة آل البيت، كما عدّوها إقصاءً متعمّداً لـ «علي بن أبي طالب»، وبداية نكبات هذا البيت. فيقول «أحمد بن طعّان» راثياً الرسول ﷺ ومعدّداً الفواجع الهاشمية ملقياً مسؤوليتها على السقيفة:

[طويل]

بهـا الحيـدرُ الكَـرَّارُ قِيـدَ مُلَبِّبـاً وشُـنَّتْ عليـهِ فـي الحيـاةِ حرائِبُـهْ
وَعمَّـمَ منـهُ الـرأسَ سـيفُ ابـنِ مَلْجَـمٍ فغـودِرَ فـي المحـرابِ والـدمُ خَاضِبُـهْ
بهـا الحسـنُ الزاكـي تقطَّـعَ قلبُـهُ بِسُـمٍّ فمنْـهُ الدِّيـنُ قُطِّـعَ جانِبُـهْ
ومنهـا طَمَـتْ فـي «كربـلا» لُجَّـةُ البَـلا علـى فُلْـكِ نـوحٍ وامتطَـى الكـربَ راكبُـهْ[1]

وعرض الشاعر نفسه لما تمخّض عن السقيفة من أحداث، فقال مثيراً قضيتين، في إحدى مراثيه للسيدة «فاطمة عليها السلام»:

[طويل]

علـى دارِهـا دارُوا بجـزلٍ لحرقِهَـا وكانـتْ بهـا الأمـلاكُ تلتمـسُ الإذْنَـا
وفـي بعلِهَـا الهـادي اسـتحلُّوا مُحَرَّمـاً كمـا حَرَموهـا نِحْلَـةَ المصطفـى ضِغْنـا

فهو يشير إلى تهديد القوم لـ «علي عليه السلام» بحرق داره لقسره على البيعة، مومئاً من خلال المقارنة إلى قداسة تلك الدار[2]. ويندّد بحرمان «فاطمة» من فدك، وهي قضية مثيرة للجدل، وقد منعها الخليفة «أبو بكر» عنها على اعتبار أنها ميراث وأن الأنبياء لا يورّثون. ويرى الشاعر أنها هبة من الرسول في حياته، فهي ملك صريح لها، وألحّ على ذلك شعراء آخرون، فقال «سلمان التاجر»:

[طويل]

ومِـنْ حَقِّهـا ابتـزُوا تُراثـاً ونِحلَـةً وردُّوا شُـهُوداً صوتُهَـا صَـوْتُ أحمـدِ[3]

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص127، وعن التهديد بحرق بيت فاطمة يراجع كتاب سليم بن قيس الكوفي «السقيفة» ص83 وما بعدها. وترد إشارات خاطفة لهذا الخبر عند ابن قتيبة في «الإمامة والسياسة» ج1 ص12 وابن عبد ربه «العقد الفريد» ج4 ص259.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص124. وعن السقيفة يُراجع تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج3 ص203، وابن عبد ربه الأندلسي، شهاب الدين محمد، العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت 1982، ج4 ص257، والشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الاختصاص، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1982، ص185.

(3) البلادي، حسين رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص342. وعن أبعاد قضية «فدك» يُراجع: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، ط2، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1983، ص90 وابن أبي الحديد: شرح النهج، =

وتفاعلوا مع الأحداث التاريخية في حياة الإمام «علي عليه السلام» المفرحة والمحزنة. فتغنّوا ببيعة «غدير خم» ونظموها قصيداً أنشدوه في احتفالاتهم. يقول «داود بن أبي شافيز»:

[طويل]

وَلَمَّا أَتَى نَحْوَ الغَدِيرِ بِرَحْلِهِ ... تَلَقَّاه «جبريلُ» الأمينُ يُبَشِّرُ
بِنَصْبِ «عليٍّ» والياً وخليفةً ... فذلكَ وحيُ اللَّهِ لا يتأخَّرُ
فَرَدَّ مِنْ القومِ الذينَ تَقَدَّموا ... وحَطَّ أُنَاسٌ رحلَهُمْ قد تأخَّرُوا

فالشاعر يفصّل دقائق الحدث ويشرح ظروفه وملابساته. ويعمد إلى التنويع بالمزاوجة بين السرد والحوار للإشارة إلى حديث الغدير، وتجسيد كيفية إبلاغ الرسول به، فيقول على لسانه صلى الله عليه وآله وسلم:

ألستُ بأَوْلَى مِنْكُمُ بنفوسِكُمْ ... فقالوا: نَعَمْ نَصٌّ مِنَ اللَّهِ يُذْكَرُ
فقالَ: ألا مَنْ كنتُ مَولاهُ منكُمُ ... فمولاهُ بعدي والخليفةُ حَيْدَرُ [1]

فالشاعر يلازم رواية الحديث، ويدقّق في بيان أبعاده وجزئياته.

آلم الشعراء حادث قتل الإمام «عليّ» عام 40هـ، فراحوا يصفون دقائقه. يقول «حسن الدمستاني» مصوّراً الحوار الدائر بين «قطام» و«عبد الرحمن بن ملجم» ـ قاتل «عليّ»[2] ـ فيقول:

[طويل]

تقولُ لَهُ لا كُفْوَ عندي لحيدرٍ ... سِوَاكَ وظَنِّي في عُلاكَ صَدُوقُ
أَرِقْ دَمَهُ فوقَ البَسيطَةِ واكفأً ... كفاءَ دَمٍ بالأمسِ كانَ يريقُ
فقالَ أَكُفْواً تطلبينَ لحيدرٍ؟ ... عَجِبْتُ لنفسٍ للمُحَالِ تتوقُ
هو الموتُ كلا ما هو الموتُ إنَّهُ ... وحقِّكِ قلبُ الموتِ منهُ خَفُوقُ[3]

= مصدر سابق، ج16 ص268 والهيثمي: مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج7 ص52 والمتقي الهندي، علاء الدين علي، كنز العمال، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت 1985، ج3 ص767.

(1) الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مصدر سابق، ج11 ص232. وحيدر من ألقاب الإمام عليّ عليه السلام. وعن حديث غدير خمّ يُراجع مسند الإمام ابن حنبل، أحمد، دار صادر، بيروت د.ت، ج1 ص118 و119 و152 وج4 ص368 والمحبّ الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى، مكتبة القدس، القاهرة 1356هـ، ص67 و87 و88 والهيثمي: مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج9 ص106 وما بعدها.

(2) «قطام» هي بنت الأخضر من بني تيم الرباب. وكانت من أجمل النساء. ويذكر أن علياً قتل أباها وأخاها في «النهروان»، فلمّا شغف بها «ابن ملجم» وخطبها، اشترطت عليه أن يكون من بين صداقها قتل «عليّ بن أبي طالب». يُراجع ابن أبي الحديد، شرح النهج، مصدر سابق، ج6 ص115.

(3) الديوان ص105 وعن الخبر يُراجع تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج5 ص143 وما بعدها، وابن أبي الحديد، شرح النهج مصدر سابق. الصفحة نفسها.

وخفّفت المحاورة من جفاف الأسلوب السردي، وجسّدت اتجاهات المتحاورَين وتصوّراتهما. وقد بدا الشاعر حريصاً على تتبع جزئيات الحدث فحدّد زمانه ومكانه، كما اعتنى بالكشف عن ملامح الشخصيات وأبعادها النفسيّة. ومما قاله عن ابن ملجم وهو يحيك ذيول مؤامرة القتل:

وباتَ يُرَاعي النجمَ هَمَّاً ومَكْرُهُ ... يكادُ بِهِ رَحْبُ الفضاءِ يضيقُ

ووصف شفافية نفس الإمام «عليّ عليه السلام» وخشوعها، فقال:

وجاءَ أميرُ المؤمنينَ ونورُهُ ... يُضيءُ ظَلامَ الليلِ وهو غَسُوقُ
وقامَ يُصلِّي فَرْضَهُ وهو خَاشِعٌ ... ومدمعُهُ في وَجْنَتَيْهِ دفيقُ [1]

ثم أتى لوصف عملية الاغتيال:

نَضَى صَارِماً للموتِ فوق فِرِنْدِهِ[2] ... دَبيبٌ وللسمِّ النقيعِ بريقُ
وأقبلَ كالصِّلِّ [3] النَّفُوثِ شِفَاتُهُ ... لها زَبَدٌ ما أسكتتهُ شُدُوقُ
وعَمَّمَهُ بالسيفِ ـ رُوحِي فداؤه ـ ... وغادَرَهُ والرأسُ منهُ شقيقُ
فَخَرَّ صريعاً في مُصَلاّهُ ساجداً ... لمولاهُ شكراً واللسانُ طَلِيقُ

وركّز الشاعر على وصف خطورة السيف المستعمل وشدّة تأثيره، كما جسّد خبث القاتل.

حادث الطَّف:

وهو أهم حادث أثار وجدان الشعراء، خاصة الشيعة خلال العصور[4]. وتناول شعراء البحرين هذا الحدث مكرّرين القول فيه ومعيدين. ولولا ما في شعرهم من نبضات عاطفية بثّت فيه الحياة لكان باهتاً ومملاً.

لقد وقفوا أمام هذا الحادث طويلاً، فتناولوه ملخّصاً كالأقدمين[5]، كما وصفوا

---

(1) تشير المصادر إلى دأب «عليّ عليه السلام» على البكاء. يُراجع وصف «ضرار بن ضمرة» له في زهر الآداب للحصري القيرواني، إبراهيم بن علي، تحقيق علي البجاوي، ط2، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1969، ج1 ص40 والمسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، المروج، مصدر سابق، ج2 ص433، وابن أبي الحديد، شرح النهج، مصدر سابق، ج18 ص224.

(2) الفِرِنْد: السيف وما يلمح في صفحته من ضوء متماوج.

(3) الصلّ: أخبث الحيّات.

(4) تُراجع النماذج الشعرية التي أوردها جواد شُبَّر في أدب الطّف، مصدر سابق. وهي تشتمل على نصوص من القرن الأول الهجري وحتى الوقت الراهن.

(5) يُراجع كتاب «المقتل» لحسين العصفور ص207، قصيدة محمد بن أحمد العصفور الأبيات من 15 ـ 17.

وبإسهاب، أدقّ تفصيلاته، وأفظع لحظاته، من خلال وجدان عاصف[1]. وعرض «سلمان التاجر» لدوافع «الحسين» للخروج فقال:

[كامل]

شَـــهْمٌ رأى آيَ الكتـــابِ تَبَدَّلَـــتْ أحكامُهـــا وحُدُودُهـــا لـــم تنفـــذِ
والديـــنُ مُنْهَـــدِمٌ فَقـــامَ مُبـــادِراً يَبنيـــهِ مِـــنْ عَزَماتِـــهِ بِمُشَـــحَّذِ[2]

فتشويه أحكام القرآن، وتزوير مبادئ الدين هي الحافز للثورة [3] في نظر الشاعر.

أمضّهم بالأسى تغرير أهل الكوفة بـ «الحسين»، فقال «ماجد بن هاشم»:

[بسيط]

لَهْفِـــي ومـــا ينفـــعُ الباكِـــي تلهّفُـــهُ علـــى أغَـــرَّ مِـــنَ الفتيـــانِ مَغْـــرُورِ
أَبْـــدُوا لـــهُ زُخْرفـــاً مِـــنْ زُبْـــرِجٍ كَذِبـــاً يُطْوَى على الخِلْفِ في الميثاقِ والزُّورِ

فالذي أثار حفيظة الشاعر وآلمه غدر تلك الفئة التي أظهرت له خلاف ما تبطن. وقد أدّى حرص الشاعر على التجنيس بين «أغرّ» و«مغرور» بمعنى مُغَرَّرٌ به إلى غموض المعنى وتعقيده[4].

أثنوا على دور أنصار «الحسين عليه السلام» الذين آزروه وآمنوا بصحّة مطلبه. يقول «عبد النبي بن مانع»:

[بسيط]

غَـــدَاةَ حَفَّـــتْ بـــهِ مـــن رهطِـــهِ نَفَـــرٌ شُـــمُّ الأُنُـــوفِ أنُـــوفِ العَـــزْمِ والشِّـــيَمِ
أقـــوامُ مَجْـــدٍ زَكَـــتْ أطـــرافُ مَحْتَدِهِـــمْ مِـــنْ هاشـــمٍ ورجـــالِ السَّـــيْفِ والكَـــرَمِ [5]

---

(1) تُراجع منظومة حسن الدمستاني التي فصّل فيها أحداث كربلاء في ديوانه ص193 وما بعدها وهي تتكوّن من 280 بيتاً.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص303 ويُراجع أيضاً ص548 قصيدة طه العرادي، الأبيات من 5 ـ 7.

(3) يُراجع ابن قتيبة الدينوري، عبد اللّه بن مسلم، الإمامة والسياسة، مطبعة البابي الحلبي، مصر 1969، ج1 ص180 – 189 وخطبة «الحسين» التي أوردها البلاذري في أنساب الأشراف، تحقيق محمد باقر المحمودي، ط1 دار التعارف، بيروت 1977، ج3 ص171 والطبري في تاريخه، ج5 ص403، وشرح النهج، ج3 ص240.

(4) ديوان الدمستاني ص364 والبلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، ص530، والأغرّ من الرجال: السيد الشريف أو من كرمت فعاله واتضحت. ولعلّ أصل «مغرور» مغدور، ووقع فيها تحريف من الناسخ.

(5) يُراجع البيتان عند البلادي حسين، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص511، وعند شبّر، جواد، أدب الطَّف، ج5 ص362. وعمد بعض الشعراء إلى تعديد أسماء أنصار الحسين كخليل بن علوي في ديوانه ورقة 194.

فالشاعر يكبر تضحياتهم وحسن بلائهم. ويجسّد إحاطتهم بالحسين حبّاً له وخوفاً عليه. ويدلّ وصفهم بالشمم على إبائهم للضيم، ويعلّل ذلك بطيب محتدهم.

عرض الشعراء لتخيير «الحسين عليه السلام» أصحابه بين الانصراف تحت جنح الظلام أو النصرة. ويرسم «حسين بن علي الشاخوري» صورة مخاطبة «الحسين» لأنصاره، فيقول:

[وافر]

وأنتم يا صِحَابي إنْ أردتُمْ رُجُوعاً فارجِعُوا لا ترقبوني
إذا انسدلَ الظلامُ عليكُمُ مِنْ إمامِكُمُ السلامُ فودِّعُوني
فهذي تُرْبتي ومحطُّ رحْلي وإنْ شِئْتُمُ جِوَارِي فانصُروني

والأبيات تجسّد النزعة الإنسانية للحسين، فبالرغم من صعوبة موقفه وقلّة أنصاره يعرض عليهم الانصراف ويشجعهم باللوذ بالظلام، وإن كان يرحّب في الوقت ذاته بنصرتهم[1].

ويرسم الشاعر السابق صورة لمعركة «الطّف» واصفاً بطولة أنصار «الحسين»، وصدق عزيمتهم وتضعضع موقفه بعد قتلهم:

[بسيط]

ما مركزُ السُّمْرِ إلَّا في الصُّدورِ ولا مَغَامِدُ البِيضِ إلاّ في المَنَاحيرِ
والناسُ في وَجَلٍ والخيلُ في زَجَلٍ قد أشبه اليوم فيهم نفخةُ الصُّورِ
وظَلَّ سِبْطُ رسولِ اللَّهِ بعدَهُمُ يلقَى الجيوشَ بقلبٍ غَيرِ مَذعُورِ
يكرُّ فَرْداً وهُم مِنْ بأسِهِ يئسُوا مِنَ السَّلامةِ جمَعاً بعد تكسيرِ
وأسهمُ الموتِ تَدْنُو نحوَهُ عَجَلاً محدّداتٍ بمحتُومِ المَقاديرِ

فالأبيات تجسّد ضراوة المعركة، فرماحهم لا تخطئ الصدور وجوّ المعركة رهيب حتى لنكاد نسمع همهمات الفزع وحمحمة الخيول. وقد زادت الصورة التي ماثلت الأصوات بنفخة الصور من هول المشهد وشدّته، وساعدت الموسيقى المنبعثة وملابسات الصور على تجسيد الأصوات المفزعة. وفي البيت الثالث يتكشّف وضع الحسين المأساوي، فبعد مصرع أنصاره لم ينذعر بل واصل الكرّ وملاقاة الجيوش برباطة جأش. وقد جعل الشاعر الجيش جيوشاً للدلالة على كثرته وتوسّل بصيغة (جمع وتكسير) لتجسيد معنى البسالة والقوّة التي

(1) مجموعة (1) ص82، وعن الإطار التاريخي للخبر يُراجع تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج5 ص418 و419. وابن الأثير، علي بن محمد الجزري، الكامل في التاريخ، ط4، دار الكتاب العربي، بيروت 1983، ج3 ص285.

جعلت جيشاً بأكمله ييأس من السلامة أمام فرد. بَيْدَ أن أسهم المنيّة التي سدّدتها يد القضاء المحتوم حسمت الموقف. وقد صوّر الشاعر حادث مصرع الحسين فقال:

حتَّـــى إذا أثخنُـــوهُ خَـــرَّ مُنعفـــراً للَّـــهِ عـــن ســـرجِهِ يدعـــو بتضويـــرِ
مثـلَ ابـنِ عمـرانَ مُوسَـى إذْ هَـوَى صَعِقـاً لمَّـــا تجلَّـــى إلـــهُ العـــرشِ للطُّـــورِ

وتنمّ مماثلة «الحسين» بـ«موسى» عن تبجيل الشاعر وتعظيمه، وقد اعتبر سقوطه لا موتاً، وإنّما هيبة وإجلالاً للخالق عندما تمثّلت له أنواره القدسية.

ويكمل الشاعر السياق التاريخي الذي أعقب حادث السقوط فيقول:

يُلقـــي الدمـــاءَ بِكَفَّيـــهِ ويرفعُهَـــا إلـــى السَّـــما شـــاكياً مـــن بعـــد تزفيـــرِ
وجـــاءَ مســـتقبلاً شـــمْراً وفـــي يَـــدِهِ مـــاضٍ علـــى الحَـــالِ فـــي جـــدٍّ وتَشْـــميرِ
فاحتَـــزَّ رأســـاً لـــه الســـبعُ الشِّـــدادُ بَكَـــتْ دَمـــاً عَبيطـــاً بتفطيـــرٍ وتقطيـــرِ

وتتآلف الحركة واللون والصوت مرة أخرى لتصوير الحدث التاريخي (الذبح). وتتجسّد الحركة واللون من خلال تلقّي الحسين لدمائه المتصبّبة ورفعها إلى السماء وهو يزفر أسى ويشكو. وتتضح لفظة «فاحتزّ» ببشاعة القطع. فالحروف تكاد تجسّد صوت السيف وهو يبري الأوداج. كما شفّ لفظا «تفطير وتقطير» عن عمق تفاعل السماء مع الحدث.

أثار لواعج الشاعر وعمق أساه بقاء جثمان «الحسين» عارياً في الصحراء ثلاثة أيام بدون دفن:

مُلقَـــى ثلاثـــاً ولا غُسْـــلٌ ولا كَفَـــنٌ ولا ســـريرٌ ولا قَبْـــرٌ بمحفُـــورِ
ورأسُـــهُ فـــوقَ رأسِ الرُّمْـــحِ مشـــتهرٌ والجسمُ في التُّرْبِ أضْحَى غيرَ مقبورِ

فهو ينوح ويتفجّع بسبب ذلك. وقد ساعد التقطيع المقترن بالعطف في البيت الأول بما أضفاه من موسيقى حزينة على تجسيد صوت التفجّع. كما أفاد التقسيم في البيت الثاني ـ علاوة على إشاعة جو جنائزي ـ على إبراز عمق المأساة، إذ فصل الرأس عن الجسد ورفع فوق رمح، طيف به البلدان، بينما ترك الجسد معفّراً بالتراب[1].

وعرضوا لحادث دوس الخيول جسد «الحسين عليه السلام»، فيقول «سلمان التاجر»:

[خفيف]

لَهْـــفَ نفســـي لِمَيْـــتٍ لـــن يُـــوَارَى طَحَنَـــتْ صَـــدْرَهُ نِعَـــالُ المذاكـــي[2]

(1) عن دور شمر بن ذي الجوشن يُراجع تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج5 ص450 وما بعدها.
(2) المذاكي: الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتين.

فحرقة الشاعر ولهفته شديدة بسبب تعذّر الدفن لتبضّع الجسد وترضيضه بوطئه بالخيول. وتنمّ لفظة «طَحَنَتْهُ» بقوّة الوطء التي أحالت العظام طحيناً[1].

وفي الجملة هال الشعراء ما وقع على العلويين من تقتيل فراحوا يرثونهم فرداً فرداً. ويفصّلون ما تعرّضوا له من محن. ويطول بنا المقام لو تتبعنا ما قالوه. وقد عبّر «حسن الدمستاني» عن كثرة ما وقع لهم من محن فقال:

[بسيط]

وكَـــمْ لآلِ رســـولِ اللَّـــهِ مـــن قَمَـــرٍ قـد غَـابَ منخسـفاً فـي الأرضِ مَرْمُوسَـا[2]

وتنضح لفظة «كم» بكثرة الرزايا وتتابعها، ولشدّة عطفهم عليهم راحوا يبحثون عن الأسباب. وعلّل الشاعر نفسه هذا الأمر بأنّ اللّه سبحانه وتعالى قد اختار الصفوة من خلقه ليبلوها ويمحّص قدرتها، وهو يشير إلى ابتلائه الأنبياء بشكل عام، فيقول:

[طويل]

فقـــد مُحِّصُـــوا بالنائبـــاتِ كَرَامَـــةً ويـا حَبَّـذا مَـسُّ الأَذَى فـي رِضَـى الـربّ

وضمن إطار هذا التعليل أدرج الرسول وآله:

وَمُحِّـــصَ خَتْـــمُ الأنبيـــاءِ وآلِـــهِ بأضعـافِ مـا ذَاقَ النبيُّـون فـي الحـبِّ[3]

وعلّل شعراء آخرون فواجع الهاشميين بتناسي السلطة وصيّة الرسول بأهله. يقول «محمد بن أحمد العصفور» مظهراً تشكّكه في وجودها بسبب عدم التقيّد بها وذلك في مرثية حسينية:

[طويل]

كَأَنَّ رســـولَ اللَّـــهِ لَـــمْ يُوصِهِـــمْ بِـــهِ كثيـــراً فلـــم تُجْـــدِ الوصيـــةَ والزجـــرُ[4]

والخلاصة: إن التاريخ غدا هاجساً قوياً في نفوس الشعراء، واستطاع الكثير منهم أن يصوغ أحداثه منصهرة بالوجدان ملتحمة بالعواطف والعقيدة. فكان عنصراً فاعلاً في تجسيد المآسي، وركيزة هامة في البناء الفكري.

وتوسّع أكثرهم في استخدام المادة التاريخية، ونظروا في تفصيلاتها، ووظّفوها توظيفاً فنياً حين سخّروها أداة لتحريك الوجدان وإثارة العواطف.

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، ص337. وعن انتداب عمر بن سعد عشرة رجال ليطأوا بأفراسهم جثمان الحسين عليه السلام يُراجع البلاذري، الأنساب، مصدر سابق، ج3 ص204.

(2) ديوانه ص81.

(3) الدمستاني، حسن، ص153 و154.

(4) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص333، وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى على لسان الرسول: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى: 23]..

ونظـرة فـي تلك المادة تكشـف أنهم نـادراً ما وصـل المضمون التاريخي في شـعرهم إلى مسـتوى أسـطوري. ففي الغالب تناولوه كما تشـير إليـه المصادر التاريخيـة على اختلاف اتجاهاتهـا. وقد توسّـع بعضهم في تلـك الأحداث مدخـلاً الخيال، وهو عنصر أصيـل في الفنّ الشـعري كمـا في تصويـر المعركـة وغيرها. كما عمـد البعض الآخـر إلى اسـتنباط العديد من المواقف المتصوّرة. وسيتضح ذلك في موضوع المرآة وغيرها في الفصول القادمة.

ثانياً: التاريخ وانعكاسات الواقع:

لـم يكن ما قيل من شـعر في آل البيت تاريخاً خالصاً أو منفصـلاً عن الواقع، بل هناك علاقة تفاعليّة وشيجة بين الماضي والحاضر.

فقد وعى الشـعراء أبعاد المآسـي الهاشمية، وكانت نفوسـهم ترزح تحت وطأة الظلم، فوقـع لـون من التشـابك والتلاحم بيـن العنصريـن. فتمثّلوا الماضي وأسـقطوه علـى الحاضر، وغدوا وهم يتحدّثون عن نكبات آل البيت يسـتحضرون واقعهـم. وقد تداخلت القضيتان في ضمائرهـم تداخلاً قويـاً، فتقلّصت الحواجـز الزمنية بينهمـا، وكادت الحدود أن تتلاشـى. حتى يتعـذّر في بعض الأحيان على قارئ شـعرهم معرفة المنكوب المتفجّع عليه أهو «الحسـين» أم الشاعر ومحيطه؟

ولقـد أفـرغ الشـعراء همـوم واقعهـم المؤلم فـي محـن آل البيـت. واتخـذوا من ذلك التاريخ متنفّسـاً يخفّفون خلاله من شحنات الأسـى وطاقات الحزن والكبت جرّاء الأوضاع غير المسـتقرة التـي عاشـوا فـي ظلّها. ومن ثـم جاء شـعرهم فـي العلويين صـورة معبّـرة، لا عن معتقداتهم الروحيّة وتاريخهم الماضي وحسـب، بل ضمّنوه أيضاً شذرات من واقعهم وآلامهم وطموحاتهـم فـي تحقق المثل العليا من عدل وأمن وسـلام. وغالباً ما كانـوا يدرجون ذلك في استهلالات قصائدهم أو في خواتيمها.

وبطبيعة الحال لا نتوقّع من الشـعراء إعلان كل الميول والنــزعات في صراحة تامة أو بشكل مباشـر باستمرار. فذلك قد يعرّضهم لغضب السـلطان وجوره. ومن ثمّ نراهم يعمدون إلـى تغييب مآسـي الواقع في محـن التاريخ وتذويبها في كيانـه. لذا أتى الواقـع مُقنّعاً مغلّفاً بالعديد من الأغلفة.

وتتبلور الصور التي مزج فيها الشعراء بين الواقع والتاريخ في شكلين:

الأول: الربط بين محن الواقع ونكبات آل البيت:

فقـد عقد الشـعراء علاقـة بين فواجعهـم وموالاتهـم لآل البيت مـن جهة، وبيـن رزايا

الهاشميين ونكباتهم الخاصّة من جهة أخرى. يقول «محمد بن أحمد العصفور» ملمّحاً إلى العلاقة بين التشيّع وما وقع عليهم من اضطهاد:

[طويل]

بنـي الوحـيِ جُرّعْنَـا بفاضـلِ صابِكُـمْ ونِلْنَـا العَنَـا لمَّـا بِكُـمْ سـادَتي لُذْنـا[1]

وذهب بعض الشعراء إلى الاعتقاد بتوحّد الباعث في النكبتين. يقول «أحمد بن حسن الدمستاني»[2]:

[بسيط]

ذُقْ شِـدَّةَ الوَجْـدِ تَعْـذُرْ كُلَّ مَـنْ وَجَـدَا فالخطـبُ أعظـمُ مـن أنْ يألَـفَ الجَلَـدَا
لُمْـتُ المصابيـنَ حتَّـى صِـرْتُ مثلَهُـمُ حِلْـفَ المصائِـبِ فاجـرعْ صَابَهَـا النَّكِـدَا
وَاهـاً لقلبِـيَ إنْ هَبَّـتْ نَسـيمُ صَبَـا أو أنَّ لامِـعَ بَـرْقِ الأبرقيـنَ بَـدَا
كُنَّـا علـى غَفلـةِ الدَّهْـرِ المولَّـعِ بالـ ـأحرارِ لا نعـرفُ التفريـقَ والبَـدَدَا
حتّـى تنبَّـهَ طـرفُ الدَّهـرِ فانبعثَـتْ بنُـوه فـي شَـتِّ شَـمْلِي بعدمـا انْتَضَـدَا
كفعلِـهِ ببنـي خَيـرِ البريَّـةِ بَـلْ أئمـةِ الخلـقِ بـل سُـفْنِ النجـاةِ غَـدَا

فالشاعر يعقد في إطار التخلّص لغرض القصيدة وهو الرثاء علاقة مماثلة بين محنته وأزراء الهاشميين. وحدّ خلالها الفاعل في القضيتين، ورمز إليه بالدهر، معتبراً الأولى امتداداً للثانية التي هي الأصل. والأبيات تعبير عن الموقف النفسي للشاعر إزاء أحداث الواقع، صوّر فيها معاناته، وما كابده وقومه من اضطهاد وظلم.

وقد جعل بعض الشعراء واقعة الطّف بداية الامتداد لمآسيهم المعاشة، ربما لأنها هي التي سنّت الظلم في نظرهم. يقول «ماجد بن أحمد الجدحفصي» رابطاً ربطاً وثيقاً بين محنته وفاجعة الطّف[3]:

[بسيط]

يـا مَرْبـعَ الطَّـفِّ طَوَّفْـتَ المصائـبَ بـي وصِـرْتَ مِنِّـي مَـكَانَ النَّـارِ للحَطَـبِ
يَهْوانِـيَ الـرزءُ حتَّـى قلـتُ مـن عَجَـبِ بينـي وبيـن الرزايـا أقـربُ النسـبِ
كـم قـد سَـقَاني مُدَامـاً مـن دَمِـي فغـدتْ لهـا الدمـوعُ الجَـوَاري أحسـنَ الحَبَـبِ

(1) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق ص218.

(2) ديوان الدمستاني، حسن، ص228.

(3) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة (748). والطف، ج5 ص86. ونسب المرجع الأخير القصيدة خطأ لماجد بن هاشم الجدحفصي الذي يشترك مع الشاعر المذكور في الاسم الأول واللقب.

فانفعال الشاعر وامتلاء نفسه بالأسى حدا به إلى استكناه الزمن وتلمسّ جذور المأساة، فألقى اللوم على واقعة الطف، وراح يخاطب مربعها متصوّراً إياها إنساناً أو عنصراً ذا فاعلية على اجتلاب الرزايا. وماثل فعلها بفعل النار في الحطب. ولملازمة المحن له تخيّل أن علاقة نسب حميم تربط بينهما. وقد انطلق من اعتقاد مؤدّاه أن ما يعانيه اليوم هو امتداد لفاجعة الطف واستمرار لها.

وتجسّد الربط بين التاريخ والواقع على صعيد المقدّمات الوجدانية الملتبسة بالغزل، والمشحونة بلوعة الفراق. فقد دأب الشعراء على استهلال الكثير من قصائدهم بالبكاء على الأحبّة، والنوح على أطلالهم. وهذا التصدير وإن كان سنّة أدبية انتهجوها، إلا أنه في تقديرنا تعبير عن واقع الهجرة التي كان أهل البحرين يضطرون إليها حين يشتدّ الغزو، ويزداد عسف الحياة. ومن ثم فهي توق إلى الاستقرار المفقود. وألمعنا إلى أن الشاعر البحراني كان يعيش في بيئة زراعية مستقرّة، فغدت الأحبة رمزاً للأرض والأهل النازحين. وقد أسهب بعض الشعراء في وصف الفراق وما يثيره في النفس من لوعة وأسى. يقول «محمد بن أحمد العصفور» في مقدّمة مرثية حسينية مخاطباً أحبّته[1]:

[طويل]

رحلتُمْ فجِسمي مُبْعدٌ ومُعَذَّبٌ ... عُقَيْبَكُمُ والقلبُ عندكُمُ رَهْنَا
سأذكركُمْ حتَّى أموتَ وإنَّني ... أحِنُّ إذا ما الليلُ في سَحَرٍ جَنَّا
رَحَلْتُم أحبَّائي وكنتُ بأُنْسِكُمْ ... أَنيساً أُقاسي المَوْتَ يا ليتني أَفْنَى
وقد سَاءَنِي لمَّا وقفتُ بدارِكُمْ ... أظنُّكُمُ فيها فأخلفتُمُ الظَّنَّا
فعاينتُهَا قَفْراً أَضَرَّ بها النَّوَى ... فَقُمْتُ بها أبكيكُمُ بدمٍ أفْنَى
فيا طولَ حُزْنِي بعدَكُمْ وصَبَابَتِي ... فَمَا عبرتي تَرْقَى ولا مُقْلَتِي وَسْنَا
كَفَى حَزَناً أنَّ الشرائعَ عُطِّلَتْ ... وأنَّ عُدَاةَ الشَّرْعِ أفنوكُمُ ضِغْنَا
بني الوَحْيِ عُودُوا للمساجِدِ والدُّعَا ... وقوموا بها بالذِّكْرِ في الليلةِ الدُّجْنَا

فشدة الانفعال وقسوة الموقف دفعت بالشاعر إلى المداخلة بين الأحبّة والهاشميين. فتعانقت في أعماقه محنتهما والتحمتا. ويشفّ البيت السابع عن هويّة الأحبّة المغادرين. ولعلّهم من الفقهاء حماة الدين. يوحي بذلك قوله بتعطّل الشرائع بغيابهم، وتبوح لفظة «أفنوكم» بقوّة التقتيل. وربما دلّ الانتقال المباشر لرثاء الهاشميين «بني الوحي» كما أسماهم على تداخل المحنتين. ولعلّ السبب الذي أدّى إلى تشابكهما في ذهنه هو تشابه الطائفتين في الدفاع عن الدين، وفيما وقع عليهم من تنكيل.

(1) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص217.

الثاني: ظاهرة التوق لتغيير الواقع:

في إطار هذا الشكل نلمح الشعراء يحاذون التاريخ ويستظلون به، لذا أتت أحداثه غائرة في بطون العديد من المعاني ، فهي تندسّ في ثنايا العقيدة، وقد تتخايل في التوق لتحقق المثل العليا خاصّة ذات العلاقة بالعدل والسيادة، وقد تتلفّع بالرمز الشعري الذي يتّخذ من أحداث التاريخ وشخوصه أدوات إسقاط تحمل العديد من المعاني. ومن ثم فملامح الواقع تبدو أكثر بروزاً في هذا الشكل.

عنصر العقيدة: اندفع الشعراء نتيجة لعسف الحياة وعنف الحاضر إلى الالتجاء إلى رموز العقيدة على اختلاف مستوياتها شاكين مستغيثين تارة، داعين متوسّلين تارة أخرى. ويأتي اللّه سبحانه وتعالى على رأس من شكوا إليه. يقول «حسين الشاخوري»:

[طويل]

إلى اللّهِ نشكو صَرْفَ دَهْرٍ كأنَّمَا ... له عندَنَا دونَ الأنام ذُحُولُ
أَبَى أنْ يُرِينَا وَجْهَ يوْمٍ ومَا لَنَا ... بِهِ رنّةٌ تبدُو لَنَا وعويلُ [1]

وشفّ التعبير بالرنين والعويل عن ردّة الفعل الناجمة عن الأحداث بقوتها وعنفها. فهي تتجاوز الكتمان والاحتمال.

وتوسّل «لطف اللّه بن محمد» بآل الرسول مشيراً إلى المعاناة فقال[2]:

[كامل]

يا آلَ أحمدَ أنتُمُ سُفُنُ النَّجَا ... لِمَن النَّجَا وَكَبَابِ حِطَّةَ للولِي
مُنُّوا فقد كَلِبَ الزمانُ وعزَّتِ الـ ... لأُخوانُ وامتزجَ الزلالُ بحنظَلِ

وعوّل الشاعر على الصفات التي وصفهم بها جدّهم الرسول ليدعوهم بها[3]، مصوّراً شدّة ضغط الزمان عليهم.

استنجدوا بالأئمة من آل البيت. ويأتي الإمام «المهدي» كأعظم من استغاثوا به. وهو يشكّل جزءاً من عقيدة الاثني عشرية لأنه الإمام الأخير الذي ينتظرون ظهوره ليملأ الدنيا

---

(1) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص282 والتاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 262. ومعنى الذحول الترة والتأثر.

(2) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(3) قال ﷺ: «إنَّمَا مَثَلُ أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق. وإنما مَثَل أهل بيتي فيكم مَثَل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر اللّه له» الهيثمي، مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج9 ص171. والمتّقي الهندي، كنز العمال، مصدر سابق، ج12 رقم 34170.

عدلاً وأمناً. وقد عوّل عليه الشعراء كأمل منتظر ورمز للخلاص. ومما قاله «محمد بن يوسف البلادي» في التوسّل إليه[1]:

[بسيط]

يا حُجَّةَ اللَّهِ يا بنَ العسكرِيّ تَرَى ... ما نحنُ فيهِ مَرارَاتٌ نكابِدُهَا
خَلِّصْ موَاليكَ يا بنَ المصطفى فلقد ... ضَاقَ الخِنَاقُ وَخَانَتْهَا مقاصِدُهَا

ونتيجة وطأة الأحداث وشدّتها أطلق «أحمد بن صالح بن طعّان» صرخة مدوية دعا فيها «المهدي» إلى الظهور. يقول:

[طويل]

فَقُمْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى وعَلا الرُّبا ... وصَادَ وقَادَ الأرنبُ الأَسَدَ الضاري[2]

واستند الشاعر على المثل المعروف «بلغ السيل الزبى» ليشير إلى وصول الوضع إلى ذروة تأزّمه.

معاني الرفعة: ظهر توقهم لتغيير الواقع من خلال طموحهم إلى معاني السيادة، ونتج عمّا تعرضوا له من اضطهاد وقهر واستلاب أن شعروا بامتهان العناصر المسيطرة واحتقارها فأعلنوا رفضهم القاطع للذلّ، يقول «ناصر بن أحمد الحسيني» في مرثية حسينية:

[بسيط]

ماذَا الذِي عن طِلابِ العزِّ يُقْعِدُنَا ... والخيلُ فينا وفينا السُّمْرُ واليَلَبُ
تَأْبَى عن الذلِّ أعراقٌ لنا طَهُرَتْ ... ولا تلمُّ على سَاحَاتِها الرِّيَبُ
كَفَاكَ في تَرْكِ عَيْشِ الذُّلِّ مَوْعِظَةً ... يومَ الطُّفُوفُ ففي أنبائِهِ العَجَبُ[3]

وتزخر الأبيات بنزعة احتجاجية قوية وروح ثائرة تأبى الذّل وترفض كل ما سلّط عليهم من قهر.

وكان من الطبيعي أن تنبعث في النفوس المعاني البديلة والمناقضة. فنجدهم يمجّدون العلياء ويطرون متعلّقاتها من مجد وعزّة. وقد غدت هذه المفاهيم حلماً يترنَّم به الشعراء في مطالع قصائدهم على وجه الخصوص، مجسّدين بذلك توقهم لمعاني العدل والسيادة وما إليها.

---

(1) شُبَّر، جواد، أدب الطَّف، مصدر سابق، ج5 ص205.

(2) الخاقاني، علي، شعراء الغري، مصدر سابق، ج1 ص266.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، ص451؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص201. والسُّمْر: الرماح. واليَلَب: الخوذ والدروع والتروس.

وتغنّى «حسن الدمستاني» في مرثية حسينية بالعلياء، وألمح إلى أسلوب اكتسابها فخاطب نفسه قائلاً[1]:

[طويل]

سَمَا بِكَ في العَلْيَاءِ جَدٌّ ووالدٌ وأنتَ عن المَجْدِ المُؤَثَّلِ قَاعِدُ
وما المَجْدُ بالآباءِ مجداً ولو عَنَتْ إلى ذلك المَجْدِ الأثيلِ الفراقِدُ

فالمجد الحقيقي هو ما يحقّقه الإنسان بعمله وكفاحه. ومع تقليدية المعنى فإنه ينضح بنفور الشاعر من الذلّ والخنوع والتوق لمعاني الرفعة. ودعا «سلمان التاجر» إلى طلب المجد ورسم الطريق الموصّل إليه فقال[2]:

[طويل]

هو المَجْدُ صَعْبٌ نيلُهُ لمؤمِّلِ ولكنْ بِبَذْلِ النفسِ سَهْلُ التَّنَاوُلِ
فإنَّ حياةَ المرءِ بالذلِّ مُرَّةٌ وبالعزِّ مُرُّ الحَتْفِ عذبُ المناهِلِ
وَجَاوِرْ دِيَارَ العزِّ حتى لو أنَّهَا شُذُوقُ الأفاعي فهي خيرُ المنازِلِ

ولئن كانت المعاني معروفة مطروقة إلا أنها بمثابة المبادئ الخالدة التي لا تفقد معانيها الثابتة بتوالي الدهور.

وفي العموم شكّلت معاني العلياء، ومتفرعاتها هاجساً قوياً تسرب في نفوس القوم وغاص في حناياهم فترجمته ألسنتهم.

الرمز: لقد كان الرمز تقيّة وأسلوباً فنياً سوّغه الشعراء لتفادي التصريح المباشر. فاتخذوا من بني أمية شعاراً للظلم ورمزاً لكلّ جائر. يقول «خليل بن علوي» مخاطباً إياهم:

[كامل]

أبني أمَيَّةَ ما الظُّبَا مغمودةٌ عن ثَارِ مَنْ بشبَا الظُّباةِ أُبِيدا
عمَّا قليلٍ يظهرُ «المهديُّ» مَنْ تُكْسَى بِهِ كُلُّ الأنامِ سُعُودا
ويبيدُ بالصَّمْصام قَوماً مثلما بِهُدَاهُ للإسلامِ كان مفيدا
بالذلِّ يكسوكُمْ كما يُكسَى الهُدَى ثوباً به عمرُ الزَّمَانِ جَدِيدَا [3]

فرغم المسافة الزمنية الشاسعة التي تفصل بينه وبينهم خاطبهم وكأنهم ماثلون أمامه، وعمد إلى التمويه جاعلاً الأمويين رمزاً لكل ظالم، والحسين عليه السلام رمزاً لكل مظلوم.

---

(1) ديوانه ص144.
(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق ص300.
(3) ديوانه ص23.

ولئن غلب على أساليبهم استعمال الرمز في وصف الواقع فإنّنا لا نعدم إشارات واضحة وصريحة تومئ إليه، وتتحدّث عن سلبياته بدون مواربة. يقول «أحمد بن علي المنوي» من مرثية حسينية[1]:

[بسيط]

أُفٍّ لدهرٍ لأهلِ المجدِ قد خَانَا ورايةُ الحَقِّ كُفَّتْ والهُدَى بَانَا
والجَوْرُ قد عمَّنَا من كلِّ ناحيةٍ وَصَيَّرَ الشملَ بعد الجمعِ وِحْدَانَا
حتَّى مَتَى نحنُ في ذُلٍّ وفي كَمَدٍ نُغْضِي على الضَّيْمِ ـ مرغومينَ ـ أَجْفَانَا

هكذا تعانق التاريخ مع الواقع في شعر البحرين، فغدا كلّ عنصر منهما وجهاً للعنصر الآخر. وكانا ينفصلان تارة ويتداخلان تارة أخرى. ومن ثم شكّل التاريخ متنفّساً أفرغ فيه الشعراء همومهم وصماماً خفّفوا به من معاناتهم. وقد أدّاهم التحديق المكثّف في نكبات الماضي والحاضر إلى تدقيق النظر في جميع الجوانب المأساوية. فالتفتوا إلى محنة المرأة والطفولة في واقعة «الطّف» فتناولوها بعناية.

(1) التاجر، محمد علي، مسودّات مستدرك المنتظم، مصدر سابق، ص30.

الفصل الثالث

محنة المرأة والطفولة في شعر آل البيت

مـن الثابـت تاريخيـاً اصطحاب الحسـين أفراد أسـرته فـي واقعـة الطّف رجالاً ونسـاءً وأطفـالاً. والثابـت أيضـاً أنه بعـد قتل جميـع الرجال تعـرَّض النسـاء والأطفال لقـدر كبير من العسف والمعاناة[1].

وقد اعتنى شعراء البحرين بإبراز مأساة هاتين الفئتين، ووصف أبعاد محنتهم وتصوير أحاسيسـهم وهم في ذروة التأزّم. فرسـموا لهم مشاهد مفعمة بالأسـى، زاخرة بالألم والحزن. واسـتثمروا ذلك كعنصر مأساوي يجسّد بشـاعة الحادث ووحشية مرتكبيه، كما استغلوه لإثارة عاطفة السامع.

أولاً: محنة المرأة:

عرض لها الشـعراء القدامى بشـكل سـريع[2]، أما شـعراء البحرين فتناولوهـا بالتفصيل وأنعموا النظر في دقائقها وجزئياتها.

فصوّر «حسـن الدمسـتاني» لحظـات الوداع الأخير بين «الحسـين» والنسـاء إثر مقتل جميع الرجال وقبل البروز إلى الميدان. وحاول الكشـف عمّا راود نفسه، كمسؤول عنهن، من عطف وقلق وما ساوره من مخاوف وهواجس بشأن مصيرهن بعد قتله، فقال[3]:

[طويل]

وَصَـــوَّبَ قصـــداً للنســـاءِ مَوَدِّعَـــاً ... وأنفاسُـــهُ مـــن أجلهـــنَّ صَوَاعِـــدُ
يـــردّدُ طرفـــاً فـــي الخيـــامِ فـــلا يَـــرَى ... ســـوى نســـوةٍ أصواتُهُـــنَّ خَوَامِـــدُ
وغَيْـــرَ عليـــلٍ ناحـــلِ الجســـمِ مُدْنَـــفٍ ... يســـاوِرُهُ جَهْـــداً مـــن الضُّـــرِّ جَاهِـــدُ
ولاحـــتْ علامـــاتُ الفـــراقِ وأنَّهـــا ... سَتُسْـــبَى إذا لـــم يبـــقَ عنهُـــنَّ ذَائِـــدُ
فكـــم يحمـــلُ القلـــبُ الشـــفيقُ إذَا رَأى ... أحبتَـــهُ يســـطُو عليهـــا المُعَانِـــدُ

---

(1) سنشير إلى هذا تباعاً.

(2) يُراجع على سـبيل المثال ديوان ديك الجنّ ص37 الأبيات من 36 – 39 وص 55. ديوان الشـريف الرضي ج1 ص44 البيتـان 3 و4 ومـن 18 ـ 22 وج2 ص188 الأبيات من 28 – 33. ديوان الشـريف المرتضى ج2 ص257 البيتان 27 و28.

(3) ديوانه ص145.

فـلا غَـرْوَ لـو تِلْـكَ النفـوسُ تصاعـدتْ دموعـــاً تهـــاوَى وهـــي دُرٌّ فرائِـــدُ

فالشاعر يرصد حركة النفس في حالة انفعالها. فتصاعد الأنفاس وترديد الطرف مظاهر خارجية لالتياع الوجدان. وينضح وصف القلب بالشـفيق وتسمية النساء بالأحبّة بقوّة التعلّق وشـدّة الحـدب والخشـية ممـا سـيقع لهن. ومـن ثم لـم يعجب الشـاعر مـن ذوبـان النفوس وتحوّلها إلى دموع دافقة بسبب صعوبة الموقف وقسوته.

وصـوّر «الدمسـتاني» نفسـه فـي قصيـدة أخـرى هلـع النسـوة وإمسـاكهن بأذيـال «الحسـين» وهو يهمّ بالخروج إلـى الحرب، وعرض خطابهن له، ومحاولتهـن لثنيه عن القتال، فقال[1]:

[طويل]

أمِثْلُـــهُ يبغـــي الجهَـــادَ وقـــد غَـــدَتْ أكـــفُّ النِّسَـــا فـــي ذَيلِـــهِ تتعلَّـــقُ
إلـــى أيـــنَ يـــا كهـــفَ اليتامـــى وعِزَّهُـــمْ وحافظَهُـــم ممَّـــا بِـــهِ الدهـــرُ يَطْـــرِقُ
أتتركُنَـــا فـــي عَرْصَـــةِ «الطَّـــف» مـــا لَنَـــا كفيـــلٌ وأنـــتَ الكَافِـــلُ المُتَشَـــقِقُ

وصـوّر تأثّـر الحسـين بمقالهن، وتأكيـده على عزمـه في مجابهـة مصيره، مـع محاولة إقناعهن بخروجه وطمأنتهن من منظور إسلامي:

فَـــرَقَّ لهـــا مُسْـــتعبِراً مـــن مقالِهَـــا وفَـــاضَ بِجَفْنَيْـــهِ الجُمَـــانُ المُرَقْـــرَقُ
وقـــال لهـــنَّ اصبِـــرْنَ يـــا خِيْـــرةَ النِّسَـــا فـــإنّ خِيَـــارَ النـــاسِ بالصبـــرِ أخلـــقُ
فقتلـــي بِـــلا جُـــرْمٍ وذبحـــي مـــن القَفَـــا وتضريـــجُ شـــيبي بالدمـــاءِ مُحقَّـــقُ
وكافلكـــنَّ اللَّـــهُ وهـــو خليفتـــي عليكـــنَّ نِعْـــمَ الكافـــلُ المترفِّـــقُ
وفارَقَهَـــا بالرغـــمِ منهـــا ورغمِـــهِ وكُلٌّ لـــكلٍّ بالكآبـــةِ محـــرقُ

والأبيـات تصويـر للحالـة النفسـية، والتياع الوجـدان لـكلا الطرفين في تلـك اللحظات الحاسمة بين الموت والحياة.

ووصف «خليل بن علوي» ذهول النسـوة وفزعهنّ حين رأين الحسـين مبضّع الأوصال وهو يجود بروحه، وجسّد تعلقهنّ فقال:

[طويل]

وَقَعْـــنَ عليـــهِ صَارخـــاتٍ ومعْجـــر الـــ ـــجَميع بقانـــي نَحْـــرِهِ مُتَبَلِّـــلُ
فواحـــدةٌ تُلْقِـــي أناملَـــهُ علـــى حَشَـــاها وأُخـــرى راحتَيْـــهِ تُقَبِّـــلُ

(1) ديوانه ص163.

وأُخْـــرى لـــه حُبّـــاً تضُـــمُّ بصدرِهـــا كضـــمِّ وَلُـــودٍ للوليـــدِ تُذَلِّـــلُ
وأُخْـــرى لـــه تبكـــي وأُخـــرى كآبـــةً لِدَهْشَـــتِها تحنُـــو عليـــهِ تُوَلْـــوِلُ
ومنهـــنَّ أخـــرى مَـــنْ تلـــوذُ مَخافَـــةً بـــهِ ولَـــهُ بالـــرُّدْنِ أخـــرى تُظَلِّـــلُ
وأخـــرَى عظِيـــمُ الـــرِّزْءِ أَذْهَلَهَـــا وقـــد دَهَـــى بغتـــةً والـــرزءُ يُدْهِـــي ويُذْهِـــلُ

فمسك النسوة تعبير عن عمق الحب وقوة الإحساس بالفقد لدى بنات الحسين وأخواته وزوجاته[1].

ووصف «داود بن أبي شافيز» ما تعرّضت له الهاشميات من عسف ووحشية وما نالهن من ذلّ ومهانة بعد مقتل وليّهن، فقال[2]:

[طويل]

ومَالُـــوا إلـــى حَـــرْقِ الخِيَـــامِ ونهبِهَـــا وسَـــبْيِ نســـاءٍ طَيِّبَـــاتٍ طَوَاهِـــرِ
فمســـلوبةٌ دِرْعـــاً ومنهوبـــةٌ رِدَا ومضروبـــةٌ بالسَّـــوْطِ مـــن يَـــدِ كَافِـــرِ[3]

وعرض إلى وصف انعكاسات المأساة على نفسها وما اعتراها من وجد فقال:

ومقروحـــةٌ جَفْنـــاً ومحروقـــةٌ حَشـــاً وبـــارزةٌ بالـــذلِّ فـــي ذَيْـــلِ عَاثِـــرِ
وصائحـــةٌ وجـــداً ونائحـــةٌ جَـــوَى وصارخـــةٌ حُزْنـــاً ومـــا بيـــن حَاسِـــرِ

ويجسّد البيتان انصهار قلوبها بالأسى وتصاعد الجوى النفسي الذي أطلق ألسنتها بالنواح والعويل.

ووصف الشاعر ترحيلهن وتسييرهن إلى الشام فقال:

وَنَـــادَى المُنَـــادِي بالرحيـــلِ فَرُكِّبُـــوا بـــلا وَطَـــأ بالـــذلِّ مـــن غيـــرِ سِـــاتِرِ
فبيـــنَ عَـــذَارى واضعـــاتٍ أَكُفَّهَـــا وبيـــنَ يتامَـــى صارِخـــاتٍ نَواشِـــرِ

والشاعر يشير إلى خبر إنفاذ «عبيد اللّه بن زياد» نساء «الحسين» وأطفاله أسارى موثّقين بالحبال مكشّفات على أقتاب الجمال[4] زيادة في إذلالهم وإهانتهم.

---

(1) تنظر بقية الأبيات في ديوانه ص176 و177.

(2) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(3) عن حرق فسطاط الحسين يُراجع تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج5 ص438؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج3 ص291 وابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد، الفتوح، دار الكتب العلمية، بيروت 1986، ج3 ص138. وعن سلب النساء يُراجع الأول ص453 والثاني ص295 والثالث ص138.

(4) ذكر ابن الأثير في الكامل، مصدر سابق ج3 ص298 الخبر باقتضاب وأشار إليه بشكل صريح ابن الجوزي في تذكرة الخواص، مؤسسة أهل البيت، بيروت 1981، ص236 و237 والداعي عماد الدين إدريس القرشي في عيون الأخبار، ط2، دار الأندلس، بيروت 1984، ج4 ص114 وما بعدها.

قابل الشعراء بين ما كانت عليه الهاشميّات من عزّ ومكانة سامية، وما آل إليه وضعهن من ذلّ وسبي، فقال «سلمان التاجر» [1]:

[خفيف]

قَبْلُ كانتْ محميّةً في خِبَاءٍ كلَّلتْهُ بهيبةِ العِزِّ صِيْدُ
حَجَبَتْهَا سُيُوفُ آلِ عليٍّ بجدارٍ تحمِي فِنَاهُ أُسُودُ
فغدتْ حُسَّراً سَبايا على النو قِ ترامَى بها قِفَارٌ وبِيْدُ
وَبِزَجْرٍ يسوقُهَا زَجرَ عُنْفٍ وإذا تستغيثُ فيه يزيدُ

وأتبع الشاعر مقارنته بين حاليها بالأمس واليوم بإبراز دور «زحر بن قيس الجعفي» ـ الذي كلّف بتوصيلهن إلى «يزيد» ـ وإجهازه على ما بقي لهن من كرامة بزجرهن وسوقهن بعنف. وعوّل على التورية باسمه ليطابق بين الاسم والفعل في شخصية هذا الرجل[2].

استبطن الشعراء نفسية المرأة الهاشمية، وما عرض لها من خطرات في اللحظات الدقيقة من حياتها. ومما قاله «عبد اللّه الذهبة» في وصف مشاعرهن إثر تعرضهن للكشف والإبراز بعد الحجب والخفارة[3]:

[سريع]

تَوَدُّ لو أنَّ الدُّجَى سَرْمَداً لَمَّا عن الرائِي لَهَا غَيَّبَا
وإنْ بَدَا الصبحُ دَعَتْ مِنْ أسَى يا صبحُ لا أهلاً ولا مَرْحَبَا
أبديتَ يا صبحُ لنا أوْجُهاً لها جلالُ اللَّهِ قد حَجَّبَا
تَرَاكَ قد هانتْ عليكَ التي عن شأنِهَا القرآنُ قد أَعْربا

ويعقّب الشاعر على محاورة النساء للصباح بعتاب يوجهه إليه ويستفسر عن السبب الذي يمنعه من التواري:

لِمْ لا تواريتَ بِحُجُبِ الخَفَا للبعثِ لما آن أنْ تُسْلَبا

ووصف الشعراء ما نال نساء «الحسين» من إهانة واستفزاز في مجلس «يزيد». فقال «حسن الدمستاني» على لسانهن في وصف ما وقع لهن هناك[4]:

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، ص281.

(2) عن دور زحر يُراجع الطبري، مصدر سابق، ج5 ص459 وابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج3 ص298، وابن الجوزي، تذكرة الخواص، مصدر سابق، ص234.

(3) شبّر، جواد، أدب الطَّفّ، مصدر سابق، ج7 ص100.

(4) ديوانه ص159.

[طويل]

وأعظـــمُ مـــا نِلْنَـــاهُ مـــن ذُلِّ مَوْقِـــفٍ لقـــاءُ «يزيـــدٍ» فـــي رداءٍ مـــن الكِبْـــرِ
يُصَعِّـــد فينـــا طرفَـــهُ لحـــظَ شَـــامِتٍ تَظَاهَـــرَ بالبغضـــاءِ فـــي النظَـــرِ الشَّـــرْرِ
وقـــد ظـــلَّ مِـــنْ طُغيانِـــهِ وعتـــوِّهِ يقـــدُّ ثنايـــا ثَغْـــرَ حامـــي حِمَـــى الثغـــرِ
ويدعـــو بثـــاراتِ «الوليـــد» و«عتبـــةٍ» و«شـــيبةَ» و«العـــاصِ» الصريـــعِ لَـــدَى بَـــدْرِ

فأشـدّ ما واجهنه غطرسـة يزيد وقدّه أسنان «الحسين» بقضيب في يده وهو في حالة مـن الزهو والتباهـي بالانتصار. وتذكـر المصـادر التاريخية أنه كان ينشـد أبياتاً تظهر تشـفّيه وانتقامـه لأسـلافه الذين حاربوا الإسـلام يـوم بدر. وكان المسـلمون قـد قتلوا خالـه الوليد بن عتبة وجدّه عتبة بن ربيعة وعمّه شيبة بن ربيعة[1].

ترتّب على اهتمام الشـعراء بوصف محنة المرأة العلوية أن اعتنوا بتصوير حالة الفقد لديها، وفي جميع الحالات؛ ونذكر منها:

رثاء الأمّ لولدها:

صـوّروا الأمومـة فـي حالـة الثـكل، وفـي إطـار تفجّعـي مغـرق فـي الحـزن. فتصـوّر «محمد بـن أحمد العصفور» السـيدة «فاطمـة» وقد أتت إلـى «كربلاء» زائـرة متلقية للعزاء بابنها «الحسين» في حالة من الأسى وتأجّج الوجدان:

[بسيط]

بَكُـــوا لَهَـــا إذْ أَتَـــتْ بالطَّـــفِ زائـــرةً مَـــعَ نسْـــوَةٍ ثُـــكَّلٍ كُلٌّ تُعزِّيهَـــا
تبكـــي علـــى نَجْلِهَـــا والشـــعرُ نَاشِـــرةٌ الجيـــبُ مازقـــةٌ تُنْشِـــي مَرَاثيهـــا

وتخيلها الشاعر وقد أخذت تخاطب وليدها القتيل وتتفجّع بأسى:

يـــا ســـاكنَ «الطَّـــفِّ» والغبـــراءِ مُرْتَهِنـــاً بالرغـــمِ فيـــكَ العِـــدَا أَمْضَـــتْ مَوَاضِيْهـــا[2]
أردَوْكَ يـــا ولـــدي مِـــنْ غيـــرِ مـــا سَـــبَبٍ وركّبـــوا رأسَـــكَ العالـــي مَوَاضِيْهَـــا
آهٍ عليـــكَ ولـــو وَافَـــاكَ حَيـــدرةٌ يَـــوْمَ الطُّفُـــوفِ لأفنَـــى كُلَّ مَـــنْ فِيهَـــا
يعـــزِزْ علـــى أُمِّكُـــمْ صنـــعُ العُـــداةِ بكـــم يـــا طَالَمَـــا سَـــهَرَتْ فيكـــم لياليهـــا

(1) ينظـر الخبـر في تاريـخ الطبري، مصدر سـابق، ج5 ص460 و467، وابن شهرآشـوب، المناقب، مصدر سـابق، ج3 ص260 ومـا بعدهـا؛ وابن الجوزي، تذكـرة الخواص، مصدر سـابق، ص235. وعن قتلى بني عبد شـمس فـي بـدر يُراجـع الواقـدي، محمـد بـن عمـر، المغـازي، عالـم الكتـب بيـروت، د.ت. ج1 ص148 والطبـري، تاريخه، مصدر سابق، ج2 ص445.

(2) رهن بالمكان: أقام فيه و«فيك» من متممات أمضى العدا (فيك) سيوفهم وفيها تقديم وتأخير.

يـــا غائبيـــنَ ومَـــنْ أبكَـــتْ مصائبُكُـــمْ عينـــي وصـــارتْ بكـــم جَرْحَـــى أماقيهـــا[1]

فالذي أمضّ الوالدة الفاقدة وأفجعها ذبح الابن دون سبب معقول، وقطع القتلة رأسه ورفعه على الرمح تشفياً وإغراقاً في الوحشية. وتكثّف لفظة التأوّه طاقات الحزن المحتبس في الأعماق، وقد التبس ذلك بتمنّي حضور الوالد ـ وهو رمز البطولة[2] ـ ذلك المصرع لينتقم ويحمي الابن. وللتعبير عن عمق المأساة أشار الشاعر إلى أثرها على شقيق القتيل وهو شبّر[3]. وتدلّ لفظة «يعزز» على صعوبة الأمر ومشقّته. ونمَّ تكرار نداء الأم الثكلى لرجالها الغائبين والمقتولين عن شدّة الحاجة إليهم. وبطبيعة الحال فالمشهد متخيّل لأن هناك فارقاً زمنياً بين وفاة السيدة فاطمة ومقتل ابنها الحسين، ولكنه طبيعي ومتوائم والطبيعة البشرية في مثل هذه الظروف.

ووصفوا على صعيد آخر قوة جَلَد الأم الثاكلة وصبرها العظيم. يقول «أحمد بن طعّان» مجسّداً ثبات والدة «القاسم بن الحسن» الذي قُتل في «الطَّف» ملمّحاً إلى قوتها وصلابتها:

[طويل]

وَلَـــمْ أَنْـــسَ تِلْـــكَ الأمَّ إذْ ثُكِلَـــتْ بِـــهِ وقـــد شَـــكَرَتْ مـــا حَـــازَهُ مِـــنْ مَغَانِـــمِ
تقـــولُ لقـــد بَيَّضْـــتَ وَجْهـــي لفاطِـــمٍ وإنْ ســـوّدَتْ دُنْيَـــايَ سُـــودُ القواصِـــمِ
بُنَـــيَّ لئِـــن جَـــلَّ المُصَـــابُ بمـــا جَـــرَى فقـــد فُـــزتَ فـــي العُقْبَـــى بأربَـــى الغنائِـــمِ
وَســـوَّغَنِي الذكـــرُ الجميـــلُ تجرُّعِـــي مـــن الثـــكلِ كاســـاتٍ كَسَـــمِّ الأَرَاقِـــمِ[4]

فالشاعر ينوّه بقوّة جنانها ويجعلها قادرة، وهي في ذروة تأزّمها على إدراك الوجهين المختلفين للشهادة. ومع إحساسها بلذّة ذلك، والمتولّدة عن الإحساس بتأدية الواجب، فقد ماثل مرارة الثكل بسمّ أخبث الحيات.

رثاء البنت لأبيها:

عمد الشعراء إلى استبطان مشاعر المرأة في حالة فقد الأب، فصوّروا أساها ولوعتها،

---

(1) مجموعة (1) ص29. وآماق جمع مأق وهو طرف العين مما يلي الأنف أي مجرى الدمع.

(2) استخدم لفظ حيدرة وهو من ألقاب الإمام علي عليه السلام وهو يعني الأسد الغليظ القوي الساعدين.

(3) يذكر الرواة أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سمّى الحسن شُبَّراً وسمّى الحسين شُبَيْراً بأمر من جبريل وعلى أسماء ولد هارون. يُراجع ابن الأثير، أسد الغابة، ج2 ص11 و19؛ والطبري، محبّ الدين أحمد بن عبد الله، الذخائر، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، ص120.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص135. والأراقم: جمع أرقم وهو ذكر الحيّات أو أخبثها.

يقـول «حسـن الدمسـتاني» متخيّلاً تفجع السـيدة «زينب» علـى أبيها «علي بـن أبي طالب» حين اغتيل[1]:

[طويل]

وزينـــبُ ذاتُ الصـــونِ ظاهـــرةُ الجَـــوَى لهـــا كَبِـــدٌ للحـــزنِ فـــي غَلَيَـــانِ
تقـــولُ أبـــي ـ رُوحـــي فـــداؤك ـ رَاعَنِـــي حِمَامُـــكَ يـــا ليـــتَ الحِمـــامَ عَرَانِـــي
قُـمِ الليـلَ واقنـتْ بالدعـا واكبـتِ العِـدَا وبِـلَّ الصَّـدَى مـن مُهْجَتـي وجِنَانِـي
- أَبـي لَوْعتـي ممـا دُهِيْـتُ وحرقتـي بقلبـي مَـدَى الأيّـامِ دائمتـانِ
وكلتاهمـا محصورتـان بأضلعـي لـذا عبرتـا عَينـيَ مُطْلَقَتَـانِ

وقد أضفت المزاوجة بين السـرد والحوار على الأسـلوب تدفّقاً، وصـوّرت حرارة العاطفة والتهابها. فرغم حفاظ السـيدة «زينب» لم يجد الشـاعر بأسـاً في إطلاق العنان لمشـاعر الفقد لديها وتصوير أساها على والدها القتيل. فالعاطفة ركن أساسي في حياة الإنسان وخاصة المرأة.

وعلـى صعيـد واقعـة «الطَّف» تبدو السـيدة «سـكينة بنت الحسـين» كأهمّ شـخصية تمثّـل عاطفـة فَقْد الأب. فقـد صـوّروا ندبها على أبيهـا وتفجّعها على مأسـاته. يقول «حسـن الدمستاني»[2]:

[كامل]

و«سُـكينةٌ» تدعـو أبَاهَـا يـا أبـي مَـنْ ذَا خلافُـك لـي يُعِيـنُ ويُرْشِـدُ
مَـنْ ذَا عَـضَّ الزمـانُ بنابِـهِ نَلْجَـا لظـلِّ جنابِـهِ فَنُؤيَّـدُ
مَـنْ ذَا يحـوطُ المسـلمينَ بسـيفِهِ يُكْلِـي الثغـورَ مـن العِـدَا ويُسَـدِّدُ
مَـنْ للكِتَـابِ وسُـنَّةِ الهـادي ومَـنْ يَحْمـي حِمَـى الديـنِ الحنيـفِ ويُعَضِّـدُ

وسـاعد التنويع بين الخبر والإنشـاء ثم التركيز على أسلوب المسـاءلة بما فيه من نبرة عالية على تجسـيد مشـاعر الفقد وحرارتها. كما أظهر قيمة المرثي على صعيد الحياة الخاصة بالابنة والحياة الإسلامية بعامّة.

رثاء الأخت لأخيها:

تأتي السـيدة «زينب» كأبرز شـخصية في هـذا الصدد. واعتنى الشـعراء بوصف ندبها على أخيها «الحسين» وتصوير حرقتها ولهفتها عليه. يقول «خليل بن علوي»[3]:

(1) ديوانه ص116.
(2) ديوانه ص152.
(3) ديوانه ص21 وما بعدها.

[كامل]

فهــوتْ عليــهِ زينــبٌ وَدَعَتْــهُ يــا سُــؤْلي وعِقْــدَ جُمَانِــيَ المنضُــودَا
أَتُــراكَ تعلــمُ بالــذي نِلْنَــا فَهَــلْ تُضْحِــي المُلُــوكُ إلــى العبيــدِ عبيــدَا
أَأُخــيَّ مَــنْ لبنيــكَ بعــدَكَ كَافِــلٌ يأويهُــمُ ولهــم يكــونُ وَدُودَا
هَــلْ مِــنْ ولــيٍّ للنسَــا لصلاحِهَــا مِــنْ بَعْــدِ عينِــكَ يبــذلُ المجهُــودَا؟
أَأَلَــذُّ بعــدكَ بالحيــاةِ ويغتــذي مَــاءُ الفُــرَاتِ إلــى فمــي مَــوْرُودَا
ويتــمُّ لــي أُنْسِــي ولــم تَــرَ مُؤْنِســاً إلا ضِبَاعــاً فــي الفــلاةِ وسِــيْدَا؟

والأبيات تطفح باللوعة والشكوى والإحساس الممضّ بالفقد كما تنضح بمعنى الضياع بعد قتل الكافل، وما انجرّ عنه من زهد بمظاهر الحياة، ورفض لملذاتها. ولإحساس الشاعر بقسوة الموقف على نفسها صوّر استنجادها بوالدها لينقذ من بقي من النسوة والأطفال، وجعلها تتخذ من الراكب المتّجه إلى «الغريّ» ـ حيث ضريح الوالد واسطة إبلاغ:

يــا راكبــاً مِــنْ فَــوْقِ كُــورِ مَطِيَّــةٍ مَجْدُولَــةٍ يُخْــدي بهــا تَوْخِيــدَا[1]
عُــجْ بالغــريِّ إلــى ضريــحٍ فيــهِ قــد دَفَنُــوا العُــلا والسُّــؤْدُدَ المفقُــودَا
قُــلْ يــا أميــرَ المؤمنيــنَ بَنُــوكَ قــد أَمْسُــوا عفيــراً بالدِّمَــا وَطَرِيْــدَا

وانطلاقاً من تأزّم وضعها صوّروا استغاثتها بوالدتها السيدة فاطمة، ونقلوا شكواها وتفجّعها على ما أصاب أخاها. يقول «محمد بن أحمد العصفور»[2]:

[طويل]

أَفاطــمُ يــا أُمَّــاهُ هَــل أنــتِ تعلمــي بحــالِ الــذي نَاغَــاهُ «جبريــلُ» فــي المَهْــدِ
«حسينُ» الــذي يَرْقَــى علــى ظَهْــرِ «أحمــدٍ» تَرِيــبُ المُحَيَّــا والجَبيــنِ علــى الوَهْــدِ[3]
تُكَسَّــرُ بالخَيــلِ الجِيَــادِ ضلوعُــهُ صَريعــاً وعَــارٍ بالطُّفــوفِ بِــلا لَحْــدِ[4]

فمكانة الأخ وقسوة ما وقع عليه من أرزاء أثارا مكامن الأسى في نفسها فطفقت

---

(1) الجَدْل: الصلابة والحسن، والتوخيد: الإسراع في المشي واتساع الخطى.

(2) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص195.

(3) عمّا قيل من مناغاة جبريل الحسين عليه السلام في مهده يُراجع ابن شهر آشوب، المناقب، مصدر سابق، ج3 ص116. وعن صعود الحسين على ظهر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ينظر ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، مصدر سابق، ج4 ص318 والمحبّ الطبري، ذخائر العقبى، مصدر سابق، ص131، والمتّقي الهندي، كنز العمال، مصدر سابق، ج13، حديث 37699.

(4) يذكر الطبري في تاريخه، ج5 ص415 أن «عبيد اللّه بن زياد» أمر قائده بالتمثيل بالحسين وأصحابه. ويذكر البلاذري في الأنساب، مصدر سابق، ج3 ص204 أن عمر بن سعد انتدب عشرة رجال ليطأوا جسد الحسين عليه السلام بأفراسهم. يُراجع أيضاً تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج5 ص455.

تتوجّع وتتلهف وتستنجد بكل أسلافها. ووسّع الشاعر دائرة شكواها لتمتدّ إلى جدّها العظيم الذي كان يحيط ذلك الأخ بكلّ حبّ ورعاية:

«محمّدُ» يا جَدَّاهُ سِبْطُكَ في الفَلا وما نَالَهُ غِسْلٌ وما ضُمَّ في لَحْدِ[1]

لقد تعاطف الشعراء مع محنة المرأة العلويّة وتوجّعوا لما أصابها مع ما هي عليه من مقام سام. يقول «طه العرادي»[2]:

[بسيط]

للّهِ رَبّةُ خِدْرٍ كَانَ يَحْجِبُهَا بيتُ الرسالةِ و«الزهرا» تُرَبِّيهَا
أمستْ لَدَى الأَسْرِ حَسْرَى بعد عِزَّتِهَا مُضَاعَةً بين قَاصِيها ودَانِيْهَا

فانقلاب أوضاعها، وما أوقع بها من مهانة آلم الشاعر فتوجّع واستنكر وقد استتبع ذلك أن استنفر الهاشميين ودعاهم إلى الانتقام فقال:

ما لي أرى للأُبَاةِ الضَّيْمِ قد قَعَدتْ عن ثَارِ مَنْ صَمَّ سمعُ الدهرِ نَاعِيْهَا
هُبُّوا على السَّابِحَاتِ العَادِيَاتِ إلى نَحْوِ الطفوفِ لثارٍ في أَعَادِيْهَا

هكذا صاغ الشعراء محنة المرأة الهاشمية، وصوّروا أبعادها وحاولوا استبطان مشاعرها والغوص في أعماقها لتجسيد التهاب عواطفها في حالات فقدها لرجالها وحماتها. ووظّفوا كل ذلك لتحريك الوجدان وتعميق الشعور بالمأساة بوضع المستمع إزاء أحرج مواقف الأحداث وزرعه في أكثر مراكزها حساسية. ودفعتهم تلك الغاية إلى النظر في جميع الجوانب المأساوية. فكان أن تفطّنوا إلى جانب دقيق آخر في فاجعة الطَّف وهو:

ثانياً: محنة الطفولة:

تشكّل الطفولة ـ بالإضافة إلى المرأة ـ الفئة التي عاشت تلك المحنة وعاينت وحشيتها وتعرّضت للكثير من البطش والقهر بعد قتل حماتها.

وقد اعتنى شعراء البحرين عناية واضحة بوصف محنة الطفولة وما تعرّض له أطفال «الحسين عليه السلام» من فواجع ورزايا. وهم وإن لم يبدعوا جديداً فيه، فقد كان موضوع الطفولة معاناتها أو رثائها من الموضوعات القليلة التناول في الشعر العربي نظراً لضيق الكلام فيه وقلّة الصفات كما يقول «ابن رشيق»[3].

---

(1) يذكر المحب الطبري في الذخائر، مصدر سابق، ص122 أن الرسول قبَّلَ الحسين وقال: «اللّهم إنّي أُحِبُه فأحَبُّه». يُراجع أيضاً المتقي الهندي، كنز العمال، مصدر سابق، ج13، حديث 37641 و37698 والهيثمي، مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج9 ص189.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص547.

(3) ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني، العمدة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، دار الجيل، =

ولقد ألمّ الشعراء القدامى الذين رثوا آل البيت إلماماً سريعاً بمأساة الطفولة في واقعة الطَّف[1]. أما شعراء «البحرين» فقد التفتوا إليها التفاتة واضحة، وعالجوها بأسلوبين:

الأول: عَرْض محنة الطفولة عرضاً عاماً في القصائد التي رُثِي بها «الحسين» وهو الغالب.

والثاني: التركيز على محنة أحد الأطفال؛ والطفلان اللذان استأثرا بالاهتمام هما «عبد اللَّه بن الحسين» (الرضيع) و«فاطمة بنت الحسين» (الصُّغْرَى)[2].

التناول العام لمحنة الطفولة:

اقتصر الشعراء في هذا الصدد على إشارات عامة لتجسيد محنة الأطفال في واقعة كربلاء وإبراز ما يتعلّق بهم من مواقف وقضايا. ومما عرضوا له مسألة حدب الأب عليهم وشدّة تعلقه بهم وهو يفارقهم الفراق الأخير. يصف «حسن الدمستاني» وداع «الحسين» لأطفاله وما رافق هذا الموقف من مشاعر أبوية فيّاضة، فيقول:

[كامل]

يدنُو إلى أطفالِهِ فيشمُّهُمْ ... كُلّاً على حِدَةٍ على استقصَاءِ
ويقولُ والزفراتُ تحبِسُ نطقَهُ ... وجفونُهُ كعوارضِ الأنوَاءِ
إنّي مُفَارِقُكُمْ وما هو عن قِلَى ... لكنْ لسبقِ مشيئةٍ وقَضَاءِ
اللَّهُ كافلُكُمْ ومُلْقِي كَلَّكُمْ ... نِعْمَ الكفيلُ وألطَفُ الخلفَاءِ[3]

ويجسّد الشاعر قوّة عاطفة الأب والتهابها من خلال ثلاثة مظاهر: كلمات الوداع المتقطّعة، والزفرات الملتهبة التي ألجمت اللسان، ثم الدموع التي ماثلها بالأمطار المنهمرة

= بيروت 1972، ج2 ص154 ومما قيل في وصف معاناة الأطفال بسبب حالة الفقد، الأبيات المذكورة في ن. م. ص156 ومقطوعة مويلك المزموم في الحماسة 2 ص902. وأشهر ما رثي به الأطفال مرثية ابن الرومي لابنه الأوسط.

(1) يُراجع على سبيل المثال قصيدة مهيار الديلمي أبو الحسن مرزويه في أدب الطفل، طبعة دار الكتب المصرية 1926، ج2 ص239 البيت (27). والبيت التالي من ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط2، مكتبة النهضة، بيروت 1974، ص262 والضمير يعود على الحسين:

فجعُوهُ من بعدِهِ برضيعٍ ... هل سمعتم بمرضعٍ مقتولِ

(2) يظهر أن هناك أطفالًا آخرين في معسكر الحسين عليه السلام علاوة على أطفاله. فالمؤرخون يذكرون أنه كان لمسلم بن عقيل بن أبي طالب غلامان صغيران فرّا من المعسكر أثناء مهاجمته وأُسرا ثم قُتلا. يُراجع الصدوق، أبو جعفر محمد بن بابويه القمي، الأمالي، ط5، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1980، المجلس 19، رقم 2 ص76. والمجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت 1983، ج45 ص100 وما بعدها.

(3) ديوانه ص117. والكلّ: الضعف.

مـن السـحاب العظيم.ويزخـر الدعاء الذي ختـم به الوالد وداعه بالمشـاعر وأمنيات السـلامة والإيمان العميق.

ولتأكيـد قـوّة عاطفـة الأبوّة عند «الحسـين» حرص الشـاعر علـى إبراز عنايته بسـلامة أطفاله ودرء الخطر عنهم حتّى بعد مصرعه فأوصاهم:

فـــإذا بـــرزتُ إلـــى ملاقـــاةِ العِـــدَا فتحصَّنُـــوا فـــي مِضْرَبـــي وخِبائِـــي
وإذا خَـــررتُ عـــن الجَـــوَادِ بطعنـــةٍ نجـــلاءَ نافـــذةٍ مـــن الأحشَـــاءِ
فهنالِـــكَ ادَّرِعُـــوا جميـــلَ الصبـــرِ كـــي لا تُحطَمُـــــوا بِسَـــــنَابِكِ الأَرْزَاءِ

كمـا تجلّـى تعلّقـه بهـم وحرصـه على سـلامتهم علـى صعيـد توصيتـه أختـه «زينب» برعايتهـم ـ فـي لحظات الـوداع الأخيرة ـ . وقـد صاغ «خليل بـن علوي» الموقـف فقال على لسان «الحسين»:

[مجزوء الرمل]

لاحظـــــــي الأطفـــــــالَ ألاَّ يقعُـــــوا فـــــوق الصعيـــــدْ
ســـــوفَ يضحُـــــون يتامـــــى بعدمـــــا أُضْحِـــــي فقيـــــدْ
واحفظيهـــم مـــن جميـــعِ الـ ضُّـــرِّ مـــا كَـــرَّ الجديـــدْ
أخـــتُ يـــا زينـــبُ لمِّـــي شَـــمْلَ أهلـــي والبنيـــنْ[1]

وتظهـر أفعال الأمـر الجوانب التي أوصى بهـا، وتنمّ لفظة «من جميـع» عن رغبته في حمايتهم التامّة من كل ما يضرّهم.

وانطلاقاً مما ذكره المؤرخون من مهاجمة الجيش لمخيم «الحسـين» لسـلب ما به[2]، صوّر «حسن الدمستاني» وضع الأطفال وما أصابهم من ذعر وخوف إبّان المداهمة فقال[3]:

[طويل]

وظَـــلَّ اليتامَـــى تســـتغيثُ بِـــهِ فَلَـــمْ يُجِبْهَـــا فظلَّـــتْ تســـتغيثُ بزينـــبِ
تحـــاوِلُ خـــوفَ السَّـــبْيِ والسَّـــلْبِ مَهْرَبـــاً وقـــد علمـــتْ أنْ لاتَ ســـاعةَ مَهْـــرَبِ

(1) ديوانـه ص13. ويظهـر من روايات المؤرخين أن السـيدة زينب أخت الحسـين عليها السلام كانت أهم شـخصية نسـائية فـي موقعة الطّف كما يشـيرون إلى أن الحسـين فـي الليلة الأخيـرة أوصى أهله. يُراجع على سـبيل المثـال تاريـخ الطبـري، مصـدر سـابق، ج5 ص416 و417 وابـن الأثير، الكامـل، مصدر سـابق، ج3 ص284 – 286.

(2) يُراجـع تاريـخ الطبري، مصدر سـابق، ج5 ص453 وابن الأثيـر، الكامل، مصدر سـابق، ج3 ص295 وابن أعثم، الفتوح، مصدر سابق، ج3 ص138.

(3) ديوانه ص122.

ويمثّل البيتان السلوك التلقائي للأطفال، وتصرفهم الذاهل والناجم عن هول المفاجأة وما رافق ذلك من محاولة للهرب بغية النجاة.

رصد الشعراء بخيالهم كل الأوضاع القاسية التي عاشها الأطفال بعد ذلك، فتصوّر «أحمد حسن الدمستاني» التفافهم حول السيدة «زينب» وما زخرت به نفوسهم من رهبة وفزع[1]:

[سريع]

وَحَوْلَهَا الأيتامُ مفجوعةٌ كُلٌّ تنادِي وَا أبي وَا أبي
قد ضَيَّقُوا في الأسْرِ أغلالَهَا وغَيَّرُوا بالضرْبِ أحْوَالَهَا
وزينبٌ تدعُو لِمَا نَالَهَا يا غيرةَ اللَّهِ لنا فاغضَبِي

والشاعر يُسمعنا صوت الأطفال وهم يندبون أباهم. وينمّ تكرار الندبة عن شدّة الحاجة وتصاعد الذعر. وزيادة في محنتهم أشار إلى تشديد القيود عليهم[2].

ومن منطلق الإحساس بالمسؤولية الملقاة على عاتق السيدة «زينب» صاغوا دورها في الدفاع عن الأطفال. فتصوّر «محمد الشاخوري» خطابها لحداة الظعن فقال[3]:

[طويل]

وفي الظعْنِ أطفالٌ صِغَارٌ سَوَاغِبٌ فلا تزعجُوهُمْ في المَسِيرِ وقيلُوا

وتنمّ الصفات المستخدمة عن شدّة العطف عليهم. ورصد الشاعر إحساسها باليأس والمرارة وما أعقبه من استنجادها بجدِّها الرسول ﷺ وآبائها الهاشميين بسبب عجزها عن مواجهة محنة الأطفال، فقال على لسانها:

وأيتامُكُمْ أضنَى فُؤادِي أنينُهَا وليسَ لَهَا بَرٌّ هُنَاكَ وَصُولُ
إذا كَظَّهَا الجُوعُ الشديدُ تناوحتْ وما لِيَ فيما تشتهيهِ سَبِيلُ
وإنْ جَدَّتِ المَسْرَى الحَوَادِي تواقَعَتْ بأقيادِها والجسمُ فيهِ نُحُولُ[4]

فالأبيات تفيض بالحزن. ويحاول الشاعر استبطان أعماق السيدة «زينب» وتجسيد ما يعتمل في داخلها من مشاعر الألم والخوف على الأطفال بسبب فقدها رجالها وضخامة

---

(1) ديوانه ص254.

(2) يذكر سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، مصدر سابق، ص236 أن النساء والصبية كانوا موثّقين بالحبال عرايا على أقتاب الجمال. يُراجع أيضاً عيون الأخبار للداعي إدريس عماد الدين القرشي، مصدر سابق، ج4 ص114.

(3) التاجر، محمد علي، مستدرك المنتظم، مصدر سابق، ص58.

(4) كظّ: بهظ وكرب.

الأعباء الملقاة على كاهلها وما تعرّض له الصغار من قهر، وقد زاد من مشاعرها الممضّة إحساسها بالعجز عن التخفيف من محنتهم التي أوصلها الشاعر إلى الذروة.

عنى الشعراء بنقل شكوى بقيّة النساء وما تعرّضن له من قسوة وهوان مع الأطفال. فقال «علي بن أحمد الجدحفصي»[1]:

[طويل]

أَيَا جَدُّ لو عاينتَ أَحْوَالَ هَذَهِ النساءِ السَّبَايَا واليتامَى الحَوَاسِرِ
لعاينتَ حالاً يُورِثُ العينَ والحَشَا دوامَ عَمَاءٍ وانشقاقَ المِرَائِرِ
يتيمٌ مَسُوقٌ خَلْفَ ثكلاءَ تشتكي إلى فاقداتٍ كُلَّ عَونٍ ونَاصِرِ

فالشكوى للجدّ مريرة ونداء الاستغاثة متصاعد. ولتعميق الإحساس بالفاجعة صوّر الطفل اليتيم وقد سيق وراء الثكلى الشاكية في موكب نسائي فاقد للمعين والناصر.

وضمن إطار شكوى النساء تخيّلوا سخط السيدة «فاطمة» على ما أصاب الأطفال من قهر، وتصوّروها وهي تستغيث في قبرها بوالدها. يقول «أحمد بن الحاجي»[2]:

[بسيط]

بالرغمِ مِنِّي أرَى الأيتامَ ضائِعَةً وأنتَ عن جِيْرَةِ الأَحْيَاءِ معتزِلُ

فممّا يثيرها ضياع الأطفال دون كفيل، ويعمّق أساها غياب والدهم وعدم قدرته على التخفيف من محنتهم.

وإذا كان الشعراء استندوا كثيراً في وصفهم فاجعة الأطفال على لسان المرأة لقوّة العلاقة بينهما، فإنهم عمدوا إلى تصويرها تصويراً مباشراً. يقول «حسن الدمستاني» مركّزاً على المظهر الخارجي للمأساة[3]:

[كامل]

لَهْفِي لأطفالِ «الحسينِ» صَوَارِخاً يبكُونَ في حُضْنِ الزكيَّةِ «زَيْنَبَا»
خُمْصَ البُطُونِ طَوَى حَيَارَى سُهَّماً ذُبْلَ الشفاهِ ظَمَا عطاشَى سُغَّبَا

فالشاعر يتعاطف مع محنتهم، ويتفجّع وهو يصف معاناتهم، واعتنى ابنه «أحمد حسن الدمستاني» بتجسيد الحالة النفسية الناجمة عن النكبة فقال[4]:

---

(1) ديوان الدمستاني ص345.
(2) المصدر نفسه، ص371.
(3) المصدر نفسه، ص125.
(4) المصدر نفسه، ص231.

[طويل]

وأطفالُــهُ مــن شِــدّةِ الحــزنِ والظَّمَــا بأكبادِهَــا مــن لاعــجِ الوَجْــدِ وَاقِــدُ

التركيز على محنة أحد الأطفال:

وإذا كان الشعراء عرضوا لمحنة الطفولة في إطارها العام، فقد ركّزوا من ناحية أخرى على إبراز مأساة طفلين من أطفال «الحسين عليه السلام» هما:

1 ـ «عبد اللّه بن الحسين»: والمؤرخون لا يحددون سنّه تحديداً دقيقاً[1]، وهو يعدّ أهمّ طفل عالج الشعراء محنته[2]، إذ نلمح رصداً تاماً وتسجيلًا كاملًا لمراحل مأساته. وتصوّر «محمد بن أحمد العصفور» هذا الصغير وقد أخذ يتوجّع من شدّة الظمأ فقال[3]:

[كامل]

وَاحســـــرتَاهُ لطفلِـــــهِ مُتَضَـــــوِّراً مُــذْ جَــفَّ ثَــدْيُ الأُمِّ مــن حَــرِّ الظَّمَــا

فالشاعر يجمع بين جوع الطفل، وعطش الأم، وجفاف ثديها وما نتج عنه من تضوّر.

وتصوّر «خليل بن علوي» محاورة دارت بين الأمّ والأب حول عطش الطفل أبرزت جزع الوالدة على مصير الصغير وفزعها إلى الأب كي يرويه:

[مجزوء الرمل]

فدعَــتْ بنــتُ امــرئِ القيــسِ أَبَــا الســجادِ مَــا
تأخــذُ الطفــلَ وتُسْــقِيهِ مــن الأعــداءِ مــا
فلقــد أَوْدَى بِنَــا يَــا سيّــدي حَــرُّ الظَّمَــا
ولقــد ضَــرَّ بِحَــالِ الطفــلِ مِــنْ دُونِ البنــينْ
قــال مولانَــا الحســينُ الطهــرُ هَاتيــهِ رَبَــابْ
فَعَسَــى أُطفِــي لَظَــى حَــرَّ ظَمَــاهُ بِشَــرَابْ

---

(1) يشير ابن أعثم الكوفي في الفتوح، مصدر سابق، ج3 ص131 وما بعدها إلى أنه كان رضيعاً حين قُتل. أمّا بقية المؤرخين فيذكرون أنه صغير، لكن يُفهَم من عباراتهم أنه كان رضيعاً بالفعل. فالطبري في تاريخه، مصدر سابق، ج5 ص389 و448 يشير إلى أن الحسين كان يضعه في حجره، وكذلك الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، في مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، ط2، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1987، ص94 وابن الأثير في الكامل، مصدر سابق، ج3 ص294. أما سبط ابن الجوزي في التذكرة، مصدر سابق، ص227 فيشير إلى أن أباه أخذه على يده وأنه قال حين قتل: «إن له مرضعاً في الجنّة».

(2) خصّه بعض الشعراء بمراثٍ خاصة، كسلمان التاجر. تُراجع مرثيته عند البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء ص321. وقد عرض أكثر الشعراء لمحنته وتناولوها ضمن مراثي أبيه.

(3) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

ويحرص الشاعر على وصف الأذى البالغ الذي لحق بالطفل لصغر سنّه وضعف قدرته على تحمّل العطش. ورغم إدراك الأب لقسوة الخصوم، تطغى مشاعر الأبوّة الرحيمة في قلبه فيأخذه ليسقيه[1].

وتصوّر «حسن الدمستاني» خطاب «الحسين» والمنطق الذي استخدمه لسقي الطفل[2]:

[طويل]

وأبـــرزَهُ نَحْـــوَ الطُّغَـــاةِ مُعَاتِبـــاً لَهُـمْ قَائِـلاً يـا ويلَكُـمْ رَاقِبـوا الحَقَّـا
أَوَحْـشُ الفَـلا فـي المَـاءِ تمـرحُ نُهَّـلاً وآلُ رَسُـولِ اللَّـهِ تُمْنَـعُ أَنْ تُسْـقَا؟

فهو يعاتبهم ويوبّخهم ويستنكر عليهم منعهم الماء. ووصف الشاعر الجواب الذي ردّ به القوم فقال:

فَمَـا كَلَّمَتْـهُ القَـوْمُ إلاّ بأَسْـهُمٍ كمثـلِ مَصَـابِّ القَطْـرِ ترشِـقُهُ رَشْـقَا
فغـودِرَ ذَاكَ الطفـلُ وهـو بكِّفـهِ بنبلـةِ رامٍ شَـكَّتِ النحْـرَ والحَلْقَـا

لقد كان ردّهم فعلة وحشية، فحين طلب له ماء سقوه وابلاً من السهام مزّقت نحره وحلقه. وصوّر «سلمان التاجر» ردّة الفعل للأب الثاكل والكاشفة لوجده وشكواه فقال[3]:

[طويل]

وظَـلَّ أبُـو الأرزاءِ يلقـفُ دَمَّـهُ ويقذِفُـهُ نحـوَ السَّـمَا بيـدِ المَجْـدِ
ويعلـنُ بالشَّـكْوَى إلـى اللَّـهِ نَاثـراً مِـنَ العيـنِ دُرَّ الدمـعِ مُنْتَثِـرَ العِقْـدِ
وَجَـاءَ بِـهِ نَحْـوَ الخِيَـامِ ولَوْنُـهُ كُسِـي مـن دِمَـاهُ صبغَـةُ الشـيحِ والرَّنْـدِ

وتنطوي تسمية «الحسين» بأبي الأرزاء على تتابع الفواجع والرزايا واستمرارها، وتتمثل عمق مأساته في تلقّفه دم الطفل ورميه نحو السماء وهو يجأر بالشكوى لخالقه من هول النائبة.

وتشكّل الدموع المنهمرة بدون انتظام المظهر الخارجي للنفس المأزومة التي هدّها الهمّ وزعزع كيانها الحادث. ولعمق العلاقة بين الطفولة والأمومة حرص الشاعر على بيان أثر الحادث على نفسية الأم فقال:

وأَلْـوَتْ عليـهِ أُمُّـهُ جِيْدَهَـا لكـي تُقَبِّـلُ منـهُ النحـرَ مـن شِـدَّةِ الوَجْـدِ

---

(1) يُراجع الديوان ص13. وأمّ الطفل هي الرباب بنت امرئ القيس، يُراجع تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج5 ص468، والأصفهاني، مقاتل الطالبيين، مصدر سابق، ص94. والسجّاد: لقب عليّ بن الحسين.

(2) ديوانه ص160.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص322.

فَيَـا لَيْـتَ كأسَ المَـوْتِ قبلَـكَ ذُقْتُـهُ ولا نظـرتْ عينـي اضطرابَـكَ فـي المَهْـدِ
وَيَـا لَيْـتَ أُمِّـي لـم تلدْنـي ولـم أكـنْ أَرَاكَ ذبيحـاً دَامِـيَ النَّحْـرِ والخَـدِّ
عُقَيبـكَ أَيَّامِـي بُنَـيَّ مَآتِـمٌ وعيـدي بِـلا أُنْـسٍ وعَيْشِـي بِـلا رَغْـدِ

فالشاعر يراوح بين السرد والحوار لتجسيد فاجعة الثكل، فعاطفة الأمومة وعمق المأساة دفعتها إلى الميل بعنقها نحو الطفل لتقبّل نحره المضرج بالدماء. وينقل لنا الشاعر مشهد الفقد وحالة الندب. ويعوّل على «ليت» ليشير إلى ما انبعث في نفسها من تمنّي الموت هروباً من قسوة الرزء، وللإيحاء بهوله أشار إلى أثره في حياتها.

وفي العموم كان تعاطف الشعراء كبيراً مع مأساة «عبد اللّه بن الحسين» فرثوه، وتفجّعوا عليه، وصوّروا فاجعته تصويراً دقيقاً[1].

2 ـ **«فاطمة بنت الحسين» (الصغرى):** ذكرتها بعض الروايات التاريخية[2]. وأشار إلى طفولتها بعض الشعراء القدامى[3].

وقد تناول شعراء البحرين مأساتها ضمن مراثي والدها. فقال «حسن الدمستاني» قاصّاً محنتها، راسماً ملامح شخصيتها مجسّداً شدّة تعلّق والدها بها[4]:

[كامل]

كان «الحسينُ» لَـهُ ابنـةٌ صُغْـرَى اسـمُهَا كاسـم «البَتُـولِ» الطُّهْـرِ أكـرمِ بِضْعَـةِ
كملـتْ ثـلاثَ سـنينَ لكـنْ عَقْلَهَـا عقـلُ الكَوَامِـلِ مـن خِيَـارِ العِتْـرَةِ
فَالسِّـبْطُ مَشْـغُوفٌ بِهَـا حُبّـاً وَمَـا زَالَـتْ لَدَيْـهِ يشـمُّهَا كالـوَرْدَةِ

فالشاعر ينوّه باكتمال عقلها ليسوّغ ما سيشير إليه من رصانتها[5]. وتجسّد الصورة في البيت الثالث قوّة الحبّ الذي يكنّه لها والدها.

---

(1) يُراجع على سبيل المثال ديوان حسن الدمستاني، ص97، الأبيات من 53 – 61 وديوان خليل بن علوي ص205، الأبيات من 22 – 28. وقد ذكرت المراجع التاريخية التي أشرنا إليها في موضوعه أخبار قتله. ويمكن أن نضيف إليها «عيون الأخبار» للداعي إدريس عماد الدين القرشي، مصدر سابق، ج4 ص99، والمجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج45 ص46 و47.

(2) لا يذكر المؤرّخون سنّها ويشير ابن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) في أماليه، مصدر سابق، ص140 أنّها كانت جارية صغيرة يوم الطَّف. ويطلق عليها المجلسي في البحار، مصدر سابق، ج45 ص60 اسم فاطمة الصغرى.

(3) تُراجع أبيات الناشئ الصغير، علي بن عبد اللّه بن الوصيف (ت 365هـ) عند ابن شهرآشوب في المناقب، مصدر سابق، ج3 ص266 خاصة البيتان 12 و13. وقد وردت القصيدة في البحار، مصدر سابق، ج45 ص248.

(4) الديوان ص131. وتستغرق قصتها الأبيات من 45 – 64.

(5) عن المقدرة العقلية للأطفال العلويين يُراجع أمالي المرتضى، مصدر سابق، ج1 ص151 و152 خبر أبي حنيفة النعمان وموسى بن جعفر.

ويشير الشاعر نفسه في أبيات أخرى إلى عاطفة الصغيرة تجاه أبيها وشدّة تعلّقها به، وورد ذلك على لسان «سكينة بنت الحسين» مناشدة أباها كي ينهض ويحمي أختها «فاطمة»[1]:

[خفيف]

يَا أَبِي «فاطمُ» الصغيرةُ لا تَقْوَى على الهَجْرِ مِنْكَ والإبْعَادِ
يا أبِي ضُمَّها إليكَ وصُنْهَا عن عُيُون النُّظَّارِ والرُّصَّادِ

فالبيتان يشيران إلى عجز الصغيرة عن السلوّ عن أبيها بسبب ما عوّدها عليه من حبّ وحنان.

وانطلاقاً من تلك العاطفة العميقة المتبادلة بين الطفلة وأبيها صوّروا قوّة الفاجعة على نفسها بعد قتله. فتخيّلوها وهي تندبه بلوعة وجزع ولهفة، فيقول «أحمد بن الحاجي»[2]:

[وافر]

و«فاطمةُ» الصغيرةُ في عَزَاهَا تحنُّ حنينَ فاختةٍ بِوِكْرِ
أبِي يا وَالِدِي أبكيتَ حَالِي وقد أسلمَتْنِي لِخُطُوبِ دَهْرِي
أَبِي عَوَّدتني سَهَرَ الليالِي وقد ضَيَّقتَ بالأحْزَانِ صَدْرِي
أَبِي مَنْ ذا يلمُّ شَتَاتَ شَمْلِي عُقَيْبَكَ أو يُعَدُّ لجبرِ كَسْرِي
أبِي مَنْ يَرِقُّ لِحَالِ يُتْمِي ويرحمُني ويرحمُ حَالَ صُغْرِي

فالشاعر يعوّل على أسلوب الخطاب لتجسيد مأساة الطفلة ويماثلها بالحمامة المتوجّعة. وينقل إلينا صورة لذلك التفجّع، ملمّحاً خلاله إلى أسبابه. والأبيات تجسّد نظرة البنت لأبيها باعتباره مصدر الأمان والحامي من النوائب. وفي ثنايا توجّعها جعلها الشاعر تشير إلى جانب آخر كان له أثره في تعميق الألم والحسرة في نفسها:

أبي يعزِزْ عَلَيَّ أَرَاكَ شِلْواً عَفِيرَ الخَدِّ مُلْقَى فَوْقَ صَخْرِ

فقد شقّ عليها رؤية والدها مقطّع الأشلاء معفّر الخدّ.

تصوّر الشعراء تأثّر النساء الهاشميات بفاجعتها وشدّة حنينها لفقد والدها، ومن ثم تخيّلوهنّ يشكون لجدهنّ ما أصابها وينقلن إليه استغاثتها وتوجّعها. يقول «العلوي المرتضى»[3]:

---

(1) الديوان ص149.
(2) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص196.
(3) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

[طويل]

ولــو عَايَنَــتْ يــا جَــدُّ عَيْنَــاكَ فاطمــاً مُقلّــدةً بالســوطِ فــوق المُقَلَّــدِ
تناديــكَ يــا حَامِــي حِمَاهَــا وقَلْبُهَــا مـن الخَـوْفِ يهـوي فـي جناحيـن بُرْجُـدِ[1]
أَيَـا جَـدُّ هـل لـي بَعْـدَ سِـبْطِكَ رَاحِـمٌ فيرحمُنــي مِمَّــا بِــهِ لــم أُعَــوَّدِ
وتصــرخُ حُزْنــاً واحســيناهُ والعِــدَا تجاذِبُهــا فَضْــلَ الــرِّدَا وهــي ترتــدي

وهـو يعـوّل على أسـلوب الخطـاب لتجسـيد تفاعلهن مـع النكبـة المزدوجـة للطفلة، والمتمثّلـة في عنف المعاملة التي لم تعتد عليها، وفقدهـا لوالدها الحاني الذي روّع جنانها. ويرسـم الشـاعر صـورة لفؤادهـا المذعـور فيضارعه بطيـر جريح وقع فـي حبالة يتعـذّر عليه الانفلات منها. ويزخر خطاب النساء والصغيرة بالكمد والوجد لفقد الوالي الشفيق.

صعّد الشعراء مأسـاتها وتزايد أزمتها، فتصوّر «حسن الدمسـتاني» إلحاحها في السؤال عن والدها الغائب والنهج الذي اتُّبِع لتهدئة روعها. معتمداً على أسلوب الحكاية فقال[2]:

[كامل]

قَالُــوا لَهَــا يأتــي غَــداً فَتَصَبَّــرَتْ واســتخبرَتْ مــن بَعْــدِ ثانــي مَــرَّةِ
مَــا زَالَ هــذا دَأْبُهُــمْ مَعَهَــا إلــى أنْ أبصرتْــهُ ليلــةً فــي هَجْعَــةِ
فتنبَّهَــتْ لا تســتفيقُ مــن البُــكَا تَدْعُــو بعمَّتِهَــا الزكيّــة عَمَّتِــي
أيــن «الحســينُ» أبــي وغايــةُ مَطْلَبِــي ومُقَبِّلــي ومُدَلِّلِــي ومُسَــكِّتِي؟

فشـدّة إلحاحها والخوف عليها دفع أهلها إلـى مخادعتها كما يخادع الأطفال ووعدوها بعودته. ولصغر سـنّها وبسـاطة تفكيرها انطلـى عليها القول، إلا أن رؤيتهـا لوالدها في المنام فجّـرت آلامها، وكأن الشـاعر يدرك أن الحلم من وسـائل النفس الإنسـانية لتحقيق رغباتها وما حرمـت منه فـي واقعهـا. فغرقت فـي موجة مـن البـكاء المتّصل، تخلّلهـا أسـئلة مفجعة عن الوالد الغائب، وتجسّـد الصفات التـي أضفتها عليه مكانته الكبيرة فهـو أقصى غاياتها وينبوع الحنـان المتدفّـق الـذي انقطـع في حياتهـا. ويصعّد الشـاعر المأسـاة واصـلاً بها إلـى الذروة، فيتصوّر موقف «يزيد» منها وردّة الفعل القاسية على نفسها:

قَــالَ اطْرَحُــوا رَأْسَ «الحســينِ» بِحِجْرِهَــا فَعَسَــى إذَا نظــرتْ إليــهِ تَسَــلَّتِ
قَالَــتْ فَمَــاذَا؟ قِيــلَ رأسُ أبيــكِ ذَا قَالَــتْ أمذبــوحٌ؟ أَلا واحســرتِي
مَــنْ حَــزَّ رَأْسَــكَ يــا أبِــي ومَــنْ ارتَقَــى مِــنْ فَــوقِ صــدرِكَ قابضــاً لِلُّمَــةِ

(1) البرجد: كساء مخطط غليظ يصلح للخباء وغيره.
(2) الديوان ص131.

فالأبيات تتدفّق بالعاطفة وتنبض بأقوى أحاسيس اللوعة والوجد. ويمثّل الموقف قسوة «يزيد» وشماتته وتشفّيه.. ويحاول الشاعر استبطان أعماق الطفلة والدخول في وجدانها فيصوّر ردّة الفعل العنيفة في تتابع أسئلتها التي تزخر بأعمق معاني الفقد المشوب بالذهول والمفاجأة والتشكّك في صحّة ما وقع. وقد أضفى التساؤل الممزوج بالنداء بُعداً تفجيعياً مغرقاً في الأسى وكثّف من طاقات الحزن في نفس الصغيرة. كما أن الأسلوب الحواري جسّد الموقف وأسبغ عليه حيوية وتدفقاً.

أنهى الشاعر المشهد المفجع للطفلة نهاية مأساوية، منتقلاً في سياقه القصصي من الأسلوب الحواري إلى الأسلوب السردي فقال:

وَغَدَتْ تُمَرِّغُ خَدَّهَا في نَحْرِهِ ... شَوقاً وتُمْزِجُ رشفةً في لَثْمَةِ
حَتَّى قَضَتْ فَمُهَا على فَمِهِ وقد ... خَرَّتْ عليه ولم تَزَلْ في سَكْرَةِ

ويجسّد البيت الأول تفاقم مأساتها المتمثّلة في شدّة لوعتها وما تولّد عنها من تصرّف عاطفي مؤثّر؛ تقليب خدّها على نحر الوالد المذبوح ومصّها لشفتيه وتقبيلهما ـ واستمرارها على تلك الحالة حتى أسلمت الروح.

ونظرة تحقيق فيما قاله «الدمستاني» بشأن «فاطمة الصغرى» تظهر أن ما صاغه فيها يختلف عمّا ذكرناه سابقاً سواء في موضوع المرأة أو أخبار «عبد اللّه بن الحسين» (الرضيع). فقد اعتمد الشعراء في ذينك الموضوعين اعتماداً يكاد يكون تاماً على ما رواه المؤرخون من أخبار. أما ما صاغه الدمستاني في فاطمة فربّما لا يدخل في عداد التاريخ الحقيقي. هذا مع التنويه بأن شخصيتها حقيقية[1]، وأنها شهدت «الطّف»، وأنها ربّما كانت صغيرة بالفعل[2]، وإن كنا لا نستطيع تحديد سنّها، فالمراجع التاريخية تهمل ذلك إما لكونها طفلة[3]، أو لكونها أنثى. وتفسيرنا لهذه المعالجة أن الشاعر ربما استقى أخبارها من روايات تاريخية نادرة وغريبة، أو أنه استوحاها من الخيال. وهو الأرجح، يقوّي ذلك أنها جاءت في إطار قصصي، وربما كان القصد منها خلق مشاهد غاية في الحزن لتعميق الإحساس بفاجعة الطّف وإبراز وحشيتها لإثارة عواطف المتلقي.

وفي العموم اعتنى الشعراء بموضوع الطفولة ووسّعوا دائرته بعد أن كان ضامر

---

(1) يذكرها المؤرخون حين يعددون أولاد الحسين. يُراجع على سبيل المثال ابن قتيبة، المعارف، مصدر سابق، ص213، وسبط ابن الجوزي، التذكرة، مصدر سابق، ص249.

(2) تُراجع الإحالة (1) الواردة في بداية الموضوع والذهبي، محمد بن أحمد، سير النبلاء، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت 1985، ج3 ص303 و903.

(3) يكاد المؤرخون يهملون أخبار الأطفال وأخبار عبد اللّه بن الحسين (الرضيع) تأتي على شكل ومضات سريعة.

الحجـم لابتعاد الشـعراء الأقدميـن عنه. وقد ظهـر حرصهم في إبراز مأسـاة أطفـال آل البيت وتجسـيد محنتهـم، متخّذين منه وسـيلة للدلالـة على شراسـة خصومهم ووحشـيتهم ولإظهار التعاطف معهم والأسـى عليهم. وقد أضفى على نتاجهم بُعداً إنسانياً ونزعة مأساوية بإحداثه صدمـة فـي الأسـماع ذات قدرة علـى إثارة النفـس وتوليد شـتّى الأحـزان، بنقـل المتلقي إلى صلب أكثر الأحداث تأزّماً، وزرعه في أعمقها حساسية ومأساوية.

الفصل الرابع

التفجّع في شعر آل البيت

أسبابه ـ مظاهره ـ أصداؤه

تسـلّلت آلام الماضـي البعيـد الممتزجـة بمعانـاة الواقـع وعسـف الحيـاة إلـى بواطن الشـعراء فانبعـث الأسـى هاجسـاً قويـاً يسـكن نفوسـهم، فتلبّسـهم وتلبّسـوه. وانطلـق علـى ألسـنتهم تفجّعـاً حاراً مرفوقـاً بالبكاء والعبرات فـي محاولة لإطلاق طاقات الحـزن والتخفيف من شحناته، متذّرعاً بمحن آل البيت.

والتفجُّـع مظهر مـن مظاهر النفـس المتألّمة الذاهلـة التي عصر أعماقها الأسـى وهدّ كيانهـا الحزن. وهو يخالف التأمّل الذي ينزع فيه الإنسـان إلى التروّي فتتاح له فرصة التفكير الهـادئ والرصين. ولعلّ الفـرق بينهما أن الأول ينطلق من تعامل المـرء مع الحدث من خلال قلبه ووجدانه، أما الثاني فيعتمد على التعامل مع المحنة من خلال التفكير العقلي المتأني.

ورغم وجود النزعتين في الشعر البحراني، فإن التفجُّع يظهر أكبر حجماً وأكثر بروزاً.

والتفجّـع المرفوق بالبـكاء عنصر متجذّر في بنية الشـعر العربي، خاصة عند الشـعراء الشيعة حين يرثون آل البيت. فقد بكوا محنهم وما تعرّضوا له من فواجع[1].

وسـار شـعراء «البحرين» علـى الدرب نفسـه، مع اختلاف، فقـد غدا شـعر التفجّع من أهمّ موضوعاتهم وأقربها إلى نفوسهم.

وإذا كان الشـعراء قـد صاغـوا مراثيهم أساسـاً لإظهـار التعاطـف مع آل البيـت والبكاء عليهم، فإنهم في بعض الأحيان يشيرون إلى المبررات الفعلية لذلك التفجّع.

أهم مبررات البكاء:

1 ـ البـكاء بقصـد نيـل الثـواب: وقد ذكـر الرواة الشـيعة أحاديـث شـريفة تبيّن ثواب البكاء على «الحسـين»، يروى أن الرسـول ﷺ قال: «يا «فاطمـة» كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكَتْ على مصاب «الحسـين» فإنّها ضاحكة مستبشـرة بنعيم الجنة»[2]. أُثر عن بعض

---

(1) تُراجـع علـى سـبيل المثـال تائيـة دعبل الخزاعـي في ديوانـه المجمـوع حديثـاً ص124 وما بعدهـا. وديوان الشـريف الرضـي، ج1، ص360، القصيـدة الداليـة وص364 الداليـة أيضـاً، وص487 القصيـدة الرائيـة وج2 ص187 القصيـدة اللاميـة. وأبيـات الشـاعر العباسـي الناشـئ الصغير عند شـبّر، جـواد، أدب الطـف، مصدر سـابق، ج2 ص102 الأبيـات العينيـة واللامية. ومن الدراسـات الحديثـة التي عرضت لذلك شـوقي ضيف في كتابـه «الرثاء»، يُراجع ص5 و37. وهناك دراسـة بعنوان «التفجّع في شـعر الشـريف الرضـي» لجليل منصور العُرَيّض، وهي موجودة في مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة التونسية.

(2) المجلسي، البحار، مصدر سابق، ج44 ص293.

أئمة الشيعة أقوال بالمعنى نفسه. يروي «محبّ الدين الطبري» ـ وهو شافعي ـ قول «الحسين»: «من دمعتْ عيناه دمعة أو قطرتْ عيناه فينا قطرة آتاه اللّه عزّ وجلّ الجنّة»[1].

ورغم تحبيذهم البكاء على «الحسين» كرهوا البكاء على غيره. قال «جعفر الصادق»: «كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على «الحسين عليه السلام»»[2]. ونظم «حسين الشاخوري» المعنى[3] فقال:

[بسيط]

الصبرُ يجمُلُ والأرزاءُ تُحْتَمَلُ إلا على فتيةٍ في الطَّف قد قُتِلُوا

2 ـ البكاء بدافع نزعة روحية سلكها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأولياء اللّه: ويشير «حسن الدمستاني» إلى بكاء الرسول على «الحسين» بقوله[4]:

[طويل]

أليسَ رسولُ اللّهِ قد آلف البُكَا على رزئِهِ بالسبطِ وهو جَنينُ
وكان كثيراً ما يقبّلُ نحرَهُ كئيباً لِمَا مِنْ أمرِهِ سيكونُ

فقد جعل الشاعر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ملازماً لعادة البكاء على رزء الحسين المتوقّع. وروى المحدّثون العديد من الأقوال والأخبار في هذا الصدد[5].

أشار الشاعر نفسه إلى ألفة أولياء اللّه للأسى فقال:

[بسيط]

أَلَا تَرَى أولياءَ اللّهِ كيفَ قَلَتْ طيبَ الكَرَى في الدياجِي منهُمُ المُقَلُ
يَدْعُونَ ربَّهُمُ في فَكِّ عُنْقِهُمُ مِنْ رِقِّ ذَنبِهُمُ والدمعُ ينهملُ
ولا يَسيلُ لهم دَمْعٌ على بَشَرٍ إلَّا على معشرٍ في «كربلا» قُتِلُوا

---

(1) المحب الطبري، ذخائر العقبى، مصدر سابق، ص19. يُراجع أيضاً ما أُثر عن الإمام علي بن موسى الرضا في البحار، مصدر سابق، ج44 ص200.

(2) المجلسي، البحار، مصدر سابق، ج44 ص280 و291.

(3) ديوان الدمستاني ص386.

(4) ديوانه ص190.

(5) عن بكاء الرسول وغمّه حين أخبره جبريل بمقتل الحسين يُراجع المتّقي الهندي، الكنز، مصدر سابق، ج12 الأحاديث رقم 34318 و34321 وج13 الحديث 37666 وما بعده. وكذلك الهيثمي، المجمع، مصدر سابق، ج9 ص190 وبعدها. وعن رؤية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أشعث أغبر يوم قتل الحسين، يُراجع تهذيب ابن عساكر، مصدر سابق، ج4 ص343 وابن الجوزي، التذكرة، مصدر سابق، ص241 والذهبي، أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج3 ص316. يُراجع أيضاً المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج44 ص247 وما بعدها.

فالأبيات تجسّد حالة الجزع والخشية التي يعيشها أولياء اللّه. والشاعر متأثر فيها بمقولة الإمام «عليّ» في وصف الشيعة[1]. وقد ضمّ، البيت الثالث القول المذكور «كلّ بكاء مكروه إلا البكاء على الحسين».

سيطرت عليهم جرّاء ذلك نزعة صوفية فاعتقدوا أن التفجُّع على الحسين سُنَّة ما دام الرسول ﷺ قد مارسه. يقول «حسن الدمستاني»[2]:

[طويل]

أمَا في رَسُولِ اللّهِ للناسِ أُسوَةٌ فقد كَانَ مَوْتُوراً بمقتلِهِ مُضْنَى

وقد اعتبر بعضهم بكاءه بمثابة المشاركة للرسول بمصابه الأليم بآله. يقول «محمد بن أحمد العصفور»[3]:

[كامل]

في آلِهِ يعزِزْ عليه بلاؤُهُمْ فالصبرُ مِنِّي عنهُمُ لا يُحْمَدُ

ويقول «حسن الدمستاني»:

[بسيط]

كيفَ السُّلُوُّ وأهلُ البيتِ في حُزْنٍ على «الحُسين» الشَّهيدِ السيّدِ الوَالِي[4]

وذهب الشاعر نفسه إلى اعتبار البكاء قضية ذات علاقة وشيجة بالتشيّع، ومظهراً من مظاهر الولاء الصادق لآل البيت، فقال[5]:

[طويل]

قضيّةُ مَحْضِ الودِّ أَنْ تُسْلَبَ العَزَا ويوجِبَ نوحٌ دَائِمٌ وحَنِينُ

فالودّ الخاص يقتضي من وجهة نظره تعذّر السلوى والتوجّع الدائم.

3 ـ البكاء عملية تعويضية: فما دامت المشاركة الفعلية في الطّف قد فاتتهم فلعلّ البكاء يعوّضهم ثوابها. يقول «حسن الدمستاني»[6]:

[طويل]

فلو أنّنا كُنَّا حُضُوراً بكربلا لَكُنَّا كما جَادُوا بأنفسِهِمْ جُدْنَا

---

(1) تُراجع الأبيات كاملة في الديوان ص166. والمقولة المذكورة أوردها ابن الأثير في الكامل، مصدر سابق، ج3 ص201 و202 والمتقي الهندي في الكنز، مصدر سابق، ج11 حديث رقم 31640.

(2) ديوانه ص186.

(3) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص60.

(4) الديوان ص171.

(5) ديوان الدمستاني، ص188.

(6) المصدر نفسه، ص185.

وحيــثُ تَدَانَــى حَظُّنَــا عــن حظوظِهِــمْ فَحَــقَّ لنــا مــن أجلِــهِ لــو تَأَسَّــفْنَا
فلســنَا نَنَــالُ الأجْــرَ إلَّا مــن البُــكَا وإلاّ فَمِــنْ كُلِّ المثوبــاتِ أَفْلَسْــنَا

فالشاعر شديد التأسّف لقصور حظّه عن المشاركة بالطّف. وذهب إلى الاعتقاد بأنّه لو لم يشارك بالبكاء وهو الأمر الوحيد المتاح لفاتته فرصة نيل كلّ المثوبات[1].

4 ـ البكاء يكون بسبب هول الخطب وفداحته: فقد عدّ الشعراء فاجعة الطّف حادثاً مريعاً فريداً من نوعه، فبكوا من فظاعته وهوله. يقول «حسين الشاخوري»[2]:

[طويل]

ويــا نكبــةً مــا أحــدث الدهــرُ مثلَهَــا ومِــنْ دونِهَــا كُلُّ الخُطُــوبِ تَهُــونُ
فَــأَيُّ فُــؤادٍ لا يــذُوبُ صَبَابَــةً وأَيُّ جُفُــونٍ للدمــوعِ تَصُــونُ

وظل «حسن الدمستاني» يتوجّع، ويذوب أسى كلما تذكّر فداحتها ووحشيتها، يقول[3]:

[وافر]

ذكــرتُ بكربــلا الخَطْــبَ المَهُــولَا فلــم أملــكْ لَــهُ الدمــعَ الهَمُــولَا
لقــد عَظُــمَ المُصَــابُ وجَــلَّ وَقْعــاً فــكانَ الصَّبْــرُ فيــهِ مُسْــتَحيلَا

وتشفّ المجانسة بين مهول وهمول عن العلاقة بين قوّة الحدث وشدّة انهمار الدموع.

ترتّب على ذلك أن اعتبر الشعراء البكاء على «الحسين» أمراً واجباً. فقال «خليل بن علوي»[4]:

[مجزوء الرمل]

فَمِــنَ الفَــرْضِ علــى مَــنْ أخلصُــوا مَحْــضَ الــوَلاءِ
لعلــيٍّ وبنيــهِ الـ ـغُــرِّ أَطْــوَادِ العــلاءِ
أن يواسُــوهُمْ ويبكُــوا مَــنْ قَضَــى فــي كربــلاءِ
وبأطــرافِ العَوَالِــي فــي الثَّــرَى أَمْــسَ طَعِينــنِ

فالشاعر يربط التشيّع والولاء لآل البيت بالبكاء عليهم كلون من المواساة.

---

(1) ربّما كان الشاعر متأثّراً بأبيات ابن الهبّارية التي رواها أبو الفرج ابن الجوزي وذكرها ابن شهرآشوب في المناقب، مصدر سابق، ج3 ص271 وسبط ابن الجوزي في التذكرة، مصدر سابق، ص245.

(2) ديوان حسن الدمستاني، ص390.

(3) المصدر نفسه، ص176.

(4) ديوان خليل بن علوي، ص12.

التفجّع والماء:

أثارت قضية حرمان «الحسين» من الماء وقتله عطشاناً أشجان الشعراء ولوعتهم منذ القدم، فبكوا منها وتفجّعوا. يقول «علي بن أحمد الكامل»[1]:

[بسيط]

وَحَرَّمُوا دونَهُ المَاءَ المُبَاحَ فيا للَّهِ أمرٌ عظِيمُ فَادِحٌ جَلَلُ

اعتنى الشعراء بهذه القضيّة وأبرزوها كعنصر مأساوي تجسّد بشاعة المحنة ووحشيتها. وعمدوا إلى تصوير أبعادها مضفين عليها العديد من التلوينات الفكرية. يقول «محمد بن أحمد العصفور» واصفاً عطش «الحسين» مصوّراً تسعّر كبده من الظمأ[2]:

[طويل]

وَحرُّ الظَّمَا أَضْنَى حُشَاشَةَ لُبِّهِ فَللشطِّ يرنُو بالتحسُّرِ من بُعْدِ

وأترع نفوسهم بالألم أنه قتل بالقرب من الماء، وأن أباه هو الساقي يوم القيامة، يقول الشاعر السابق:

[كامل]

أيموتُ عطشاناً حسينُ بغُصَّةٍ وبقربِهِ تجري المياهُ الزَاخِرَهْ
وأبُوهُ حيدرةُ التُّقَى مِنْ حوضِهِ يَسقِي ويمنعُ مَنْ يَشَا في الآخِرَهْ[3]

ويشير الشاعر في البيت الثاني إلى الحديث الشريف: «يا عليُّ معك يوم القيامة عصا من عصي الجنّة تذود بها المنافقين عن حوضي»[4]. ويضمنه تهديداً مبطّناً بحرمان الأعداء من السقاية يوم الحشر.

عمّق حزنهم أن الماء الذي منع عن الحسين مع جلالة قدره كان مباحاً لأدنى المخلوقات. يقول «ماجد بن هاشم»[5]:

[بسيط]

يقضي الحسينُ ولم تبردْ جَوَانِحُهُ والماءُ يكرعُ فيهِ كلُّ خنزيرِ

---

(1) ديوان الدمستاني، ص336.

(2) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص194.

(3) المصدر نفسه، ص105 ومجموعة (1) ص120 وهناك اختلاف يسير في رواية البيتين، وقد وردت لفظة (بقربه) (قريبة) في المرجعين. وأصلحناها بما اعتقدناه الأنسب لاستقامة الوزن.

(4) يُراجع الحديث عند المحبّ الطبري، ذخائر العقبى، مصدر سابق، ص91 والهيثمي، مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج9 ص138.

(5) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص530.

ولعلّ الشاعر رَمَزَ بالخنازير إلى بني أمية وجيوشهم.

أجّج وجدهم واستنكارهم تصوّرهم أنه في الوقت الذي ذبح «الحسين» عطشاناً رُوِّي السيف من دمه، وأنّه سقي عوض الماء دم نحره، يقول «حسن الدمستاني»[1]:

[بسيط]

أيذبحُ السِّبْطُ ظُلْماً من قفاهُ على حَرِّ الأورامِ بِغَضْبٍ منه رَيَّانِ
يُكَابِدُ الكَرْبَ ما ابتلَّتْ جَوَانِحُهُ بِبَارِدٍ بَلْ بِمَا فَاضَ الوَرِيْدَانِ

واستثمر الشاعر نفسه العطش والماء القريب لتعميق الإحساس بالمأساة وإثارة عاطفة الجمهور. فرسم صورة لمحاورة دارت بين الحسين وقاتليه، فقال[2]:

[طويل]

أَأُقْتَلُ مَظْلوماً بغيرِ جِنَايَةٍ وأَظْمَأُ والماءُ المُبَاحُ مَعِينُ؟
أَلَسْتُ من القَوْمِ الذينَ ودادُهُمْ أَمَانٌ وحصنٌ للأنامِ حَصِينُ؟
فَهَلْ أنتُمْ سَاقِيَّ ماءً عَسَى بِهِ يكونُ بقلبي للغليلِ سُكُونُ؟
فقالوا له هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ إنَّمَا نُسْقِيْكَ مِنْ حَتْفٍ وأنتَ مَهِيْنُ

وأضفى الحوار على المعنى بعض الحركية والتدفّق. وقد جعل الشاعر «الحسين» يتوسّل للأعداء بتذكيرهم بمكانة قومه، وفي ذلك إشارة إلى سورة المودّة (الشورى: 23) وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما مَثَلُ أهل بيتي فيكم كَمَثَل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق...»[3].

تألّموا لقضية تعطيش الهاشميين المرافقين للحسين، فقال «يوسف البحراني» متوجّعاً متفجّعاً[4]:

[كامل]

نَفْسِي لآلِ «مُحمّدٍ» في «كربلا» مَحْروقَةُ الأحشاءِ من كُرُبَاتِهَا
ترنُو الفراتَ بغُلَّةٍ لا تنطفي عَطَشاً وما ذاقتْ لطعمِ فُرَاتِهَا

نجم عن تأثّرهم بهذا الجانب من محنة الطّف وتأجّج عاطفته إزاءه أن أتوا ببعض

---

(1) ديوانه ص184.

(2) المصدر نفسه، ص189.

(3) الهيثمي، مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج9 ص171، والمتّقي الهندي، كنز العمال، مصدر سابق، ج12، رقم 34170.

(4) كشكوله ج2 ص376.

التلوينات الفكرية. فـ «الشاخوري» يتصوّر أن «الحسين» أوصى أخته «زينب» بتذكّره عند الشرب فقال[1]:

[وافر]

وقُولِي إِنْ شَرِبْتِ المَاءَ يَوْماً أَلَا وَالَهْفَ قلبي للحسينِ

لقد صار معنى العطش غرضاً محورياً طرقوه في شعرهم. ووسّع الشعراء وصيّة «الحسين» فاعتبروها شاملة للشيعة. يقول «حسن الدمستاني»[2]:

[كامل]

قُولُوا لشيعَتي الأطائِبِ جَدِّدُوا في كلِّ عاشورا عظيمَ عَزَائِي
وإذا شربتُمْ بَارِداً فتذكَّرُوا عَطَشِي ومنعي من مُبَاحِ المَاءِ

ولشدّة جزعهم على الحسين الظمآن لم يسيغوا بعده الماء. يقول «أحمد بن عبد الرؤوف»[3]:

[طويل]

نسيتُ الذي قد نَالَني من خُطُوبِهِ ولم تصفُ لي مهما حُيِيْتُ المَشَارِبُ
وكيفَ وسبطُ «المصطفى» وابنُ «حَيْدَرٍ» قَضَى ظَامِياً بالسيفِ فالماءُ نَاضِبُ

وحرّموه على أنفسهم. فقال «خليل بن علوي»[4]:

[كامل]

أَأَلَذُّ بعدَكَ بالحياةِ ويغتدِي مَاءُ الفُرَاتِ إلى فَمِي مَوْرُودَا؟

عمد الشعراء وهم يعالجون موضوع الماء إلى المقارنة بين موقف «عليّ» يوم «صفين» وموقف الأمويين من أبنائه يوم «الطّف». فقال «حسن الدمستاني»:

[طويل]

أُميَّةُ ما أنتُمْ بني عَمِّ هَاشِمٍ صَرِيحاً ولكنْ ألصقاءُ أَبَاعِدُ
«وصفّينُ» إذْ أحرزتُمُ الماءَ دونَهُ عِنَاداً وشَرُّ الظالمينَ المُعَانِدُ
وَجَادَ بِهِ من بَعْدِ ما ظَفَرَتْ بِهِ يَدَاهُ وخَيْرُ الظافرينَ الأجَاوِدُ
فهلاَّ صنعتُمْ في بَنِيهِ كَصُنْعِهِ أَبَى طبعُكُمْ هَلْ مَجَّ شَهْداً أَسَاوِدُ[5]

(1) المجموعة (1) ص84.
(2) ديوانه ص118.
(3) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.
(4) ديوانه ص22.
(5) ديوانه ص146.

فالشاعر يماثل نفسه وهو يطلب منهم طلبه بمن يتوقع من الأساود وهي أخبث الحيّات أن تجود بعسل نقيّ صافٍ[1].

لقد تتبع الشعراء أخبار الماء في موقعة الطّف. واستغلوها لرسم مشاهد مؤثرة تجسّد العطش وما رافقه من محاولات لسقي الظمأى. وتبرز شخصية «العباس بن علي» كرمز للإرواء. يشير الرواة إلى محاولته المستميتة لإحضار الماء حتى سُمّي بالسَّقَّاء[2]. ويشيد الشعراء بشهامته ونخوته حين شكت إليه النساء والأطفال عطشهم. يقول «أحمد بن طعّان»[3]:

[وافر]

فَأَوْجَسَتِ الظَّمَا خَفراتُ طَهَ ... وصِبْيتُهُ كَمُلْتَهِبِ الشَّعِيلِ
فوجَّهَتِ الشكايةَ نَحْوَ شَهْمٍ ... أبيٍّ مِنْ «أَبِي فضلِ» الفُضُولِ
فَهَلَّلَتِ الشجاعةُ مِنْهُ وَجْهاً ... يبشُّ لصدمةِ الجيشِ الحَفِيلِ
فَأَمَّ إلى الفُراتِ رَبيطَ جَأْشٍ ... كَطَالِبِ مَغْنَمٍ جَمٍّ جَزيلِ
بِيُمْنَاهُ ابنُ ذي يَزَنٍ إذَا ما ... رَأَتْهُ الشُّوسُ تسجدُ مِنْ ذُهُولِ

فالشاعر يضع الخطوط الأساسية كاملة للوحة الفنية. ويرسم ملامح الشخصية واستجابتها، ويتكئ على الكناية «ابن ذي يزن» واسمه «سيف» وهو بطل يماني للدلالة على آلة الحرب المستعملة، ويشير إلى عظم الشجاعة. ثم يعمد إلى تجسيدها على صعيد الواقع فيقول:

إلى أَنْ فَكَّ مُرْتَجَّ الجَآوَى ... وقد كانتْ كسدٍّ مستطيلِ[4]
وصَارَ الماءُ خُلْواً من رَقِيبٍ ... وفي أَحْشَاهُ مُضْطَرِمُ الغَلِيلِ
أَبَى مِنْهُ الإباءُ الشُّرْبَ إلاَّ ... مَعَ الأطفالِ والأَخِ والقَبِيلِ
فَشَدَّ مَزَادَهُ المملوءَ حَتَّى ... تَوَسَّطَ في كَتَائِبَ كالسُّيولِ

ويستند الشاعر على التصوير ليدّل على معانيه، فبعد لأي يصل الفارس إلى الماء

(1) عن خبر الماء في موقعة صفين يُراجع المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفّين، ط3، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة 1981، ص157، والكامل لابن الأثير، مصدر سابق، ج3 ص143، وشرح النهج لابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج1 ص23.

(2) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، مصدر سابق، ص89 و117، وابن شهرآشوب، المناقب، مصدر سابق، ج3 ص256، وعن دوره في واقعة الطّف يُراجع أيضاً البلاذري، الأنساب، مصدر سابق، ج3 ص201؛ وتاريخ الطبري، مصدر سابق، ج5 ص412 و416 و419 و446، وابن أعثم، الفتوح، مصدر سابق، ج3 ص129.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص157 – 162 والقصيدة في رثاء «العباس».

(4) الجآوى: مفردها جأواء وهي الكتيبة الكدراء اللون في حمرة وهو لون صدأ الحديد.

وتأبى عليه شهامته الشرب وحده، فيحمل القربة المملوءة إلى الأهل العطاشى، بَيْدَ أن الجيوش المتدافعة التي تسدّ الفضاء تأبى عليه ذلك وتقع المأساة:

فَجَذَّتْ يُمْنَى اليُمْنِ كَفٌّ حُسَامُ الدين (كُهِّمَ) بالفُلُولِ
وبانَت مِنْ يَدَيهِ يسارُ يُسْرٍ توشَّجَتِ النِّبَالُ على النبيلِ
وَزَمَّ المَاءَ بالأسنانِ حَتَّى توشّجَتِ النِّبَالُ على النبيلِ[1]
ولم يبرحْ يكِرُّ بهم إلى أَنْ هَوَى عَنْ مُهْرِهِ طامي الفَصُولِ

وتتمثل المأساة في الإحساس الشديد بالحاجة الماسّة للماء. وقد جعله ذلك شديد الحرص على سلامة القربة، فحين قطعت يمينه تناولها بشماله، وحين جُذّت هذه تمسّك بها بأسنانه. إلا أن الشجاعة والمبادئ لم تفلحا أمام ضراوة المعركة وشراسة العدوّ. فسقط الساقي صريعاً قبل تحقيق هدفه.

وشكّل الحرمان من الماء والقتل عطشاً عنصراً مأساوياً في نكبة «الطّف»، ومثّل مع العوامل السابقة دواعي البكاء والتفجّع. وقد تضخّمت هذه النزعة في الشعر الشيعي طوال العصور، حتى قيل في الأمثال:

أَرقُّ مِنْ دَمْعَةٍ شيعيةٍ تَبْكِي «عليَّ بنَ أبي طَالِبِ»[2]

ولئن تعمّق الحزن والتفجع وامتدّ، فإنه ارتبط بمناسبات خاصة وأوقات محدّدة.

مواسم التفجّع:

1 ـ شهر مُحَرَّم: ارتبط الحزن بشهر محرّم على وجه الخصوص، ففي اليوم العاشر منه (عاشوراء) قتل الحسين ورجاله، وفيه يزداد الوجد ويعلو التفجّع بإحياء الذكرى الأليمة واستحضار أحداثها. ولجلالة ما وقع فيه، وقف منه الشعراء موقفين مختلفين:

أ ـ تمجيده: فقد اكتسب مكانة روحيّة خاصة، لسموّ مكانة من قُتل فيه، وشراسة ما وقع من تقتيل، فغدا شهر الدموع والآهات، يقول «يوسف بن أحمد البحراني»[3]:

[كامل]

إنِّي إذَا هَلَّ المُحَرَّمُ هَاجَ لِي حُزنٌ يُذِيقُ النفسَ طَعْمَ مَمَاتِهَا
يا يومَ عاشوراءَ كَمْ لَكَ لَوْعَةٌ تتفتَّتُ الأكبادُ من صَدَمَاتِهَا

(1) تكرر العجز في البيتين وهو عيب عروضي ولعلّه وقع خطأ عند النسخ.
(2) الميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، ط2، دار الجيل، بيروت 1987، ج1 ص443.
(3) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج2 ص377.

فمحرّم في نظره شـهر مميّز لأنه شهر الأسى الممضّ، وليومه العاشر هزّة نفسية تمسّ شغاف النفس، وأضفى «حسن الدمستاني» صفات روحيّة أخرى فقال[1]:

[بسيط]

هَـلَّ المُحَـرَّمُ فاسـكبْ دمعَـكَ الغالـي وَمِـلْ عـن الشُّـغْلِ بالأهليـنَ والمَـالِ

فالدعـوة لترك مشـاغل الحياة هي فـي حقيقتها حثّ للتفـرّغ لتذكّر المصـاب وللبكاء والتفجّـع، الـذي أوشـك أن يكـون لونـاً من ألـوان العبـادة. واقترب «حسـين الشـاخوري» من تحريم النوم فيه فقال:

[كامل]

شَـهْرُ المُحَـرَّمِ فيـهِ قـد حُـرِّمَ الكَـرَى فَاشْـهَرْ بِـهِ سَـيْفَ الأَسَـى مُتَفَكِّـرا

وبطبيعـة الحـال فإن الشـاعر وإن لم يذهب إلـى التحريم الحقيقي للنـوم فإنه يقصد الإشارة إلى المكانة الروحية لهذا الشهر. وطلب استبداله بالأسى والتفكّر.

ب ـ ذمّـه: رغـم مكانـة محـرّم الخاصة لـم يجد الشـعراء حرجاً فـي ذمّـه والنعي على أيامه وأحداثها، وكأنه غدا نذير شؤم. يقول «لطف اللّه بن علي»:

[طويل]

فَـلَا كَانَ فـي عَـدِّ الشُّـهُورِ مُحَـرَّمُ ولا كَانَ فـي أيَّامِـهِ يـومَ عَاشِـرِ

فيَـا لَـكَ مـن شـهرٍ مَشـومٍ هِلالُـهُ أَهَـلَّ علَينَـا بالرّزَايـا الفَوَاقِـرِ[2]

فالشـاعر يودّ لو يسـلّ محرّم من الشـهور تفادياً لما وقع. واقترب «حسـن الدمستاني» من حدّ هجائه فقال:

[طويل]

محـرَّمُ لا أهـلاً بوجهِـكَ مـن شـهرِ ولَا بوركَـتْ أيَّـامُ عَشْـرِكَ فـي الدَّهْـرِ

ولا سـيَّمَا العَاشُـورُ مـن عَشْـرِكَ الـذي بـه غَـرَقَ الإسـلامُ فـي لُجَّـةِ الكُفْـرِ

فحُزن الشـاعر وتأثّره جعله يتصوّر أن شـهر محرّم هو السـبب في الفاجعة فدعا عليه وشـتمه. وعلّـل ذلك من خلال الصورة التي تخيّـل فيها الكفر بحراً طما وعلـت أمواجه مغرقة الإسلام في لججها، رامزاً إلى الكفر ببني أمية وإلى «الحسين: والهاشميين بالإسلام».

لقـد كان إحسـاس الشـعراء بفاجعـة الطّـف ممضّـاً مؤلماً ولشـدّة تعجبهم مـن هولها وفظاعتها شكوها للّه، فقال «حسين الشاخوري»[3]:

---

(1) الديوان ص170.

(2) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(3) مجموعة (1) ص76.

[بسيط]

اللَّـــه أكبـــرُ مـــا أَدْهَـــاكِ فادِحـــةً قـد خَـرَّ منـكِ عِمَـادُ الديـنِ وانْقَصَفَـا

2 ـ شـهر رمضـان: اقتـرن الحـزن بشـهر رمضـان ولكن علـى نطـاق ضيّق بالقيـاس إلى محرّم. ففي التاسع عشر منه اغتيل الإمام «عليّ». يقول «حسين الشاخوري»[1]:

[طويل]

سَـــحَابُ جُفُونِـــي بالدمـــوعِ هَوَامِـــي لـــرزءِ أميـــرِ المؤمنيـــنَ إِمَامِـــي
إذَا هَـلَّ شـهرُ الصـومِ هَلَّـتْ مَدَامِعِـي وقَـلَّ اصطبـاري واستـزَادَ غَرَامِـي

فـرزء الإمـام «علـيّ» وقتله في شـهر الصيام يترع نفس الشـاعر بالأسـى، فيربـط ربطاً وثيقاً بين هلال رمضان وانهمار الدموع.

وإذا كان الشـعراء قـد ربطـوا الحزن بمحـرّم أو برمضان حيناً، فإنّ بعضهم وسّـع رقعته وظلّ يبكي رزايا آل البيت طوال الدهر، يقول الشاعر السابق[2]:

[طويل]

ففـــي كلِّ يـــومٍ لـــي يجـــدَّدُ مَأْتَـــمٌ وفـــي كلِّ عُضْـــوٍ للبـــكاءِ عُيُـــونُ

فمأتم الشاعر متجدّد، ولتغلغل الأسى أشرك جميع أعضاء جسده في البكاء.

ورغـم كثـرة البـكاء وتزايـد الدمـوع كانـوا يشـعرون بالتقصيـر. يقـول «حسـين الشاخوري»[3]:

[طويل]

ولـــو أنّنـــي أتلفـــتُ نفســـي كآبـــةً فَـــذَاكَ لعمـــري فـــي المُصَـــابِ قَليـــلُ

كان مـن آثـار نزعتهم القويـة للحزن أن عوّلـوا على اسـتخدام كافة الأسـاليب المتاحة واسـتثمار كل طاقـات اللغـة للتعبيـر عـن تفجّعهـم وإظهار ميلهـم للبـكاء، فتنوّعـت بالتالي وسائلهم وتعدّدت أساليبهم.

صور البكاء:

ورغم تعدّد ألوانها تتفق في المضمون الفكري. وقد دأب الشـعراء على توجيه الدعوة إلى البكاء لأنفسهم تارة ولجمهورهم تارة أخرى. يقول «إبراهيم آل نشرة»:

---

(1) التاجر، محمد علي، المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 262.

(2) ديوان الدمستاني ص390.

(3) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص282.

[كامل]

يـا نفـسُ ذُوبِـي يـا جفونـي تَقَرَّحِـي يـا عيـنُ جُـودِي يـا مدامعـيَ اسـجمي

لمخاطبة الشاعر نفسه، ودعوة عينيه بجميع أجزائها للاستجابة للعبرات ينمّ عن رغبته في تأكيد هذه النزعة، وتعميقها في كيانه.

ويتوجّه «أحمد بن المتوج» إلى السامعين عامة فيقول:

[وافر]

أَلَا نُوحُـوا وضجُّـوا بالبُـكَاءِ علـى السـبطِ الشـهيدِ بكربـلاءِ
أَلَا نُوحُـوا بسـكبِ الدمـعِ حُزْنـاً عليـهِ وامزجُـوهُ بالدمـاءِ
أَلَا نُوحُـوا عَلـى مَـنْ قَـدْ بَـكَاهُ رَسُـولُ اللَّـهِ خيـرُ الأَنْبِيَـاءِ[1]

ويدلّ تكراره الطلب ضمن أحد عشر بيتاً على شدّة إلحاحه وتأكيده لطلبه. ويشرك «داود بن أبي شافيز» في الحضّ على البكاء نفسه وسامعيه، فيقول:

[وافر]

هَلُمّـوا نبكـي أصحـابَ العَبَـاءِ ونرثِـي سِـبْطَ خيـرِ الأنبيـاءِ
هَلُمّـوا نبكـي مقتـولاً بَكَتْـهُ ملائكـةُ الإلَـهِ مـن السـماءِ
هَلُمّـوا نبكـي مقتـولاً عليـه بَكَـى وَحْـشُ المهامـهِ فـي الفَـلاءِ[2]

ويعوّل الشاعر على تكرار الصيغ للإلحاح على دعوته والتشديد عليها.

واكب نزعة البكاء حَثٌّ على نبذ مظاهر السرور امتعاضاً للنوائب التي حدثت في محرّم، يقول «علي بن حسن البلادي»[3]:

[بسيط]

هَـلَّ المحـرَّمُ فاخْلَـعْ حُلَّـةَ الطَّـرَبِ والبـسْ بِـهِ حُلَـلَ الأرزاءِ والكـرَبِ
واحـرمْ وطُـفْ كَعْبَـةَ الأحـزانِ مُنْتَحِـراً هَـدْيَ السُّـرُورِ مَـدَى الآبَـادِ والحِقَـبِ
وعَـرِّف المِشْـعَرَ الأقصَـى جِمَـارَ جَـوَى وحَسِّـرِ القَلْـبَ بالتزفـارِ واللَّهَـبِ

(1) الطريحي، فخر الدين، المنتخب، مصدر سابق، ص153، تُراجع بقيّة الأبيات.

(2) المصدر نفسه، ص222. وفي البيت الأول إشارة إلى حديث الكساء، ومضمونه أن الرسول ﷺ جمع الحسن والحسين وفاطمة وعليّ تحت عباءته وتلا آية التطهير، ويذكر أنه قال إنهم أهل بيته ودعا إليهم. يُراجع الإمام مسلم بن الحجاج، صحيحه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت، ج4 ص44، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، ج6 ص296 و323، والمحبّ الطبري، ذخائر العقبى، مصدر سابق، ص21.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص408.

وبثّت المصطلحات الخاصة بالحجج ورموزه روحاً صوفية، باحت بما رمى إليه الشاعر من عقد لون من المماثلة تقرّب بين ما دعا إليه من طقوس ـ وهي نفسيّة ـ وبين طقوس الحجّ الحقيقية. وأوحت له بذلك ثقافته الدينية وإحساسه بقداسة الأمرين.

واكب الميل للبكاء نزعة تفجّعية جنحت بالشعراء إلى الاعتناء بوصف أسى النفس ولوعتها الناجمة عن هول الخطب وفظاعة الحادث. وأدّاهم ذلك إلى استثمار مختلف الأساليب التعبيرية لإظهار التفجّع. وهم قد يلجأون إلى التعبير الصريح والمباشر لوصف تهيّج وجدانهم، كقول «داود بن أبي شافيز» مخاطباً الهاشميين[1]:

[وافر]

وَهَدَّ قُوَايَ رزؤكُمُ وأَضْحَى ... نُحُولِي لا يزولُ ولا عَزَائِي
لقد أمسيتُ بَعْدَكُمُ حزيناً ... قريحَ الجَفْنِ مشغولاً بِدَائِي

كما أكثروا من استخدام التفجّع بالندب للتعبير عن جواهم القلبي. يقول «حسن الدمستاني»:

[طويل]

ويا لهفَ نفسي للحسينِ وقد هَوَى ... عَنِ السّرْجِ مكبوباً على وجهِهِ مُلْقَى
ويا حَرَّ قلبي حينَ حُزَّ كريمُهُ ... على ظَمَأٍ مِنْ فَيْضِ أوداجِهِ يُسْقَى
ويا عظمَ كَرْبي حينَ شِيلَ برأسِهِ ... على رأسِ رُمْحٍ نُورُهُ جَلَّلَ الأُفْقَا
ويا طولَ حُزْني للطَوَاهِرِ حُسَّراً ... على النِّيْبِ تدعُو جَدَّهَا الأطهرَ الأَنْقَى[2]

فقد عوّل الشاعر على تكثيف النداء الدال على الندبة للتعبير عن تفاعله مع الحدث. وأضفى ذلك جواً تفجعياً حزيناً.

استندوا على التصوير للتعبير عن أساهم وتسعّر جوانحهم. فتوسّل «أحمد بن الحاجي» بالعديد من الأدوات التصويرية، فقال[3]:

[وافر]

تَوَارَتْ بالحجابِ شُمُوسُ صبري ... وَجَرَّعَنِي المُصَابُ كؤوسَ دَهْرِي
وغارتْ أنجمُ السلوانِ لَمَّا ... تَبَلَّجَ نورُ إشراقي بفجري
وردتُ على الأَسَى فشربتُ مِنْهُ ... مَدَامِعَ هَيَّجَتْ زفراتِ صدري

(1) الطريحي، فخر الدين المنتخب، مصدر سابق، ص223.
(2) ديوانه ص161. والنِّيْب: جمع ناب وهي المسنّة من النوق.
(3) العصفور، حسين، المقتل مصدر سابق، ص92.

وفـي البيـت الأول تضمين قرآني[1] اسـتعاره الشـاعر للدلالة على اسـتحالة الصبر إزاء الفاجـع الرهيـب. ولتشـبّع نفسـه بالوجـد أحـسّ أن ألفـاظ اللغة بصورتهـا الجافة لا تسـعفه، فاسـتند علـى التصويـر يسـتعين بـه، فتخيّـل أن للصبـر شموسـاً غابـت واختفـى أوارهـا، وأن المصاب إنسان أتاه وسقاه الألم جرعات. وتصوّر أن للسلوان نجوماً زالت وذهبت في الأرض. وأدّاه تأجج الأسى إلى مضارعته بمورد الشرب الذي ورد إليه واستقى من دموعه.

دفعتهم قوة أحاسيسـهم وتصاعد الهموم في نفوسـهم إلى الاتكاء على كافة الأسـاليب مـن خبر وإنشـاء، وتعبيـر مباشـر، وتصوير، لتعينهـم على تجسـيد مشـاعرهم الملتهبة، فقال «محمد بن أحمد العصفور»:

[كامل]

أَلَـــمٌ أَلَـــمَّ ولوعـــةٌ لا تبـــردُ ولهيـــب وَجْـــدٍ فـــي الحَشَـــا لا يخمـــدُ
وكآبـــةٌ لا تنقضِـــي لَهَبَاتُهَـــا والعيـــنُ عَبْـــرُ (دمُوعِهَـــا)[2] لا يجمـــدُ
أَيَـــرُومُ أَنْ أَسْـــلُو العَـــذُولُ أمـــا دَرَى أنّـــي أُصِبْـــتُ بِمَـــا أُصِيْـــبَ مُحَمَّـــدُ؟
تِلْـــكَ المصائِـــبُ أَجَّجَـــتْ نـــارَ اللظَـــى فـــي باطنـــي وابْيَـــضَّ رأســـي الأَسْـــوَدُ
أســـفاً علـــى بيـــتِ الرســـالةِ قَـــدْ خَـــلَا مِـــنْ ذكرِهِـــمْ ومِـــنْ الصَّـــلاةِ المَسْـــجِدُ[3]

فالأبيـات تفيـض وجـداً وأسـى، وتمكّن الشـاعر بفضـل التنويع فـي الأسـاليب وتركيب بعضها مع بعض من تكثيف مشاعره، وتجسيد ما ازدحم به كيانه من وجد وكمد غائرين.

تفاقم الحزن والجنوح إلى المبالغة:

ترتّب على تشـبّع نفوس الشـعراء بالأسـى، وامتلائها بالوجد أن وصلوا فـي وصفهم لها إلـى أبعـد الحـدود، مقتربين من تخـوم المبالغات المسـتقبحة. فسـيطرة الشـجن على نفس «سعيد بن يوسف» حدا به إلى القول[4]:

[طويل]

ولـــي زفـــرةٌ لـــم يُطْفِهَـــا مَـــاءُ دجلـــةٍ ولا نيـــلُ مصـــرٍ والبحـــارُ والزَّوَاخِـــرُ

فعمق الأسـى دفعه إلى تخيّل أن مياه الأرض الزاخـرة تقصر عن إطفاء لهيبه. ورغم ما

(1) تُراجع سورة ص، الآيات 30 – 33.
(2) وردت في المخطوط «أدمعها». وفي اعتقادنا أن «دموعها» أكثر اتساقاً ومناسبة للوزن.
(3) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص260.
(4) المجموعة (1) ص201.

في الصورة من مبالغة بدت مقبولة. وخفّف «حسين الشاخوري» المبالغة بأفعال المقاربة، فقال في مرثية حسينية[1]:

[بسيط]

رَزِيَّةٌ لَبِسَ الدينُ القَويمُ لَهَا ... سُودَ الحِدَادِ بتذليلٍ وتحقيرِ
يكادُ في مدمعي عيني تسيلُ ولم ... تَمْسَسْهُ نارٌ لها نُورٌ على نُورِ
وكَادَ مِنْ زفرتي ينحلُّ مِنْ أَسَفِي ... مِنْ مُهْجَتي مَدْمَعٌ منها بتقطيرِ
لو أن في كلِّ عُضْوٍ مِنْ قُوَى جَسَدِي ... عَيْنٌ تَصُبُّ لِمَا جاوزتُ تقصيرِ

فالأبيات تنزع منزعاً صوفياً. ويصل الشاعر بالتهاب جوانحه إلى أبعد مدى. فتأجّج عبراته أوشك أن يصهر مقلته ويجريها سائلاً متدفّقاً. ونفى أن يكون ذلك بفعل نار حقيقية وانساب في البيت الأول تضمين قرآني (النور: 35) استعاره الشاعر ليجسّد تفاقم الوجد. ولشدة الأسف من الرزايا الهاشمية كادت أن تتفجّر في كيانه جارحة ثانية للبكاء، فقوّة حرارة أنفاسه أوشكت أن تحيل فؤاده إلى مصدر آخر للدموع. ووصل الوجد الصوفي إلى ذروته في البيت الأخير. فلو تحوّلت جميع أعضائه إلى عيون ذارفة لما كفى. وقد أبعدت أدوات المقاربة الشاعر عن الغلوّ فأتى المعنى مستساغاً زاخراً بالعواطف الجيّاشة.

أحسّ الشعراء بما تجرّه المبالغة في البكاء من لوم واستنقاص، ونفياً لذلك أشاروا إلى بخلهم بالدموع في مواقف الحياة المختلفة، يقول «أحمد بن حسن الدمستاني» مخاطباً آل البيت[2]:

[وافر]

سأسكُبُ مَدْمَعِي الهَتَّانَ فيكُمْ ... وكنتُ بِهِ لغيرِكُمُ بِخِيلا

وتأكيداً لنفي الاتهام بالمبالغة في النوح أنكروا بكاءهم على ما اعتاد الشعراء أو الناس البكاء من أجله، يقول «خليل بن علوي»[3]:

[طويل]

ولم يَشْجِ قَلبي فَقْدُ مَنْ قَدْ أَلِفْتُهُمْ ... صَغيراً ولا أَبْكَى جُفُونِيَ منزلُ
ولا كنتُ مِمَّنْ يسألُ الركبَ إِذْ نَأَى الـ ... أحبَّةُ عَنْ عَينيَّ أينَ ترحَلُوا
ولم أتعلّلْ بالأماني ولم أكُنْ ... برؤياهُمُ في الطّيفِ نفسي أُعَلِّلُ

(1) المجموعة (1) ص98، والبلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص534. وتختلف رواية البيتين في المصدرين اختلافاً يسيراً، وأخذنا بما اعتقدناه الأنسب للمعنى.
(2) ديوان حسن الدمستاني ص224.
(3) ديوانه ص172.

ولكـــنْ شَـــجتني مـــن لُـــؤيٍّ عِصَابَـــةٌ لنصـــرِ حســـينٍ قَاتَلُـــوا ثـــم قُتِّلُـــوا

فالشـاعر لا يشـجيه فقد أحبّته، ولا رحيلهم، ولا ما تثيره منازلهم من ذكريات، ولكن ما يؤلـم فؤاده تلك الجماعة من أبناء «لؤيّ» جدّ الرسـول ﷺ الذين ناصروا «الحسـين» وقُتّلوا تقتيلاً ذريعاً[1].

ونجم عن إحسـاس الشـعراء بثقل رزية الطّف أن عمدوا إلى مواسـاة الهاشميين رغبة في التخفيف عنهم أو إثارة نخوتهم.

التعزية والاستنفار:

التعزية مسـلك اجتماعي للتعبير عن المواسـاة ولإظهار المشـاركة فـي المصاب. يقول «أحمد بن طعّان» معزّياً الرسول ﷺ[2]:

[طويل]

أُعَزِّيـكَ يـا خيـرَ الـوَرَى فـي الـذي جَـرَى عَلَـى ابنِـكَ يَـوْمَ الطَّـفِّ والـرِّزْءُ أعْظَـمُ
رُزِئْـــتَ بِمَـــا لـــم يـــرزهِ مُرْسَـــلٌ ولا نَبِـــيٌّ ولا خَلْـــقٌ حَدِيـــثٌ وأَقْـــدَمُ
بِمَـــاذَا تُعَـــزَّى والمصائِـــبُ جَمَّـــةٌ لأَدْنَـــى رَزَايَاهَـــا الشِّـــدَادُ تُهَـــدَّمُ
أفـي ذَبْـحِ أَشْـيَاخٍ شَـبَابٌ لَـدَى الوَغَـى وشُـبَّانُ حُلْـمٍ عندهـا الشِّـيبُ تبكُـمُ

فالشـاعر يقـدّم تعزيته رغـم إدراكه أن الرزيـة أعظم من العـزاء، وأن لا عـزاء يكافئها. ولبيـان قوتها عمد إلى مقارنتها بمصائب الرسـل والخلق وأشـار إلى تفوّقها وتتابعها وشـدّتها، كما صوّر حلقاتها، ومدّ تعزيته إلى أفراد الأسرة العلويّة[3].

وخصّوا الإمام «عليّاً» بتعازيهم الحارّة بمصاب ابنه، فقال «حسن الدمستاني»[4]:

[مجزوء الرمل]

حَيْـــدَرٌ آجَـــرَكَ اللَّـــهُ بِعالـــي الرُّتَـــبِ أَدْرَكَ الأعـــداءُ فيـــهِ ثَـــارَ بَـــدْرٍ وحُنَيْـــنْ

فالشـاعر يضمّـن تعزيتـه دعـاءً بالمثوبـة علـى المصـاب الجليل. ويشـير إلـى أنّ قتل الحسين إنّما هو ثأر من هزيمة بدر، وأن الأمويين مستمرّون في عدائهم للرسول وآله[5].

---

(1) يُراجـع أيضـاً قـول حسـين الشـاخوري في ديـوان الدمسـتاني ص390، الأبيـات مـن 3 – 5، وما قاله سـلمان التاجر في الرياض ص321، الأبيات من 6 – 15.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص146.

(3) تُراجـع بقيـة الأبيـات في ص147 مـن 41 وما بعده، وهـي في تعزية السـيدة «فاطمة» و«الحسـن» والإمام «عليّ». وفي تعزية الرسول وابنته أيضاً يُراجع ديوان حسن الدمستاني ص121، الأبيات من 23 – 40.

(4) ديوانه ص201.

(5) تمثّـل يزيـد بأبيات جعل فيها قتل الحسـين مقابلاً للقتلـى الأمويين يوم بدر. تُراجع فـي «مقاتل الطالبيين» للأصفهاني، مصدر سـابق، ص119، ومناقب ابن شهرآشـوب، مصدر سـابق، ج3 ص261، وسـبط ابن الجوزي، =

أتبع بعض الشعراء تعازيهم باستنفار الهاشميين وإثارة نخوتهم كي يهبّوا للحفاظ على حفائظهم، يقول «خليل بن علوي»[1]:

[طويل]

وَمَنْ ذَا يُعَزِّي شَيْبَةَ الحَمْدِ وابنَهُ ... أَبَا طالبٍ قُطْبَ العُلا والمَفَاخِرِ
ويُزْعِجُ عدناناً وآلَ كنانةٍ ... بَنِي مُضَر الحمراءَ أهْلَ المَآثِرِ
وعبدَ مَنَافٍ من لؤيِّ بنِ غالبٍ ... وعَمْرِ العُلا ولينهضُوا بِالمَبَاتِرِ
عَسَى أنَّهُمْ يستنقِذُونَ حريمَهُمْ ... من السَّبْيِ من بعدِ الخِبَا والمَقَاصِرِ

وبطبيعة الحال فالشاعر لا يقصد النهوض للثأر القديم وحسب، فقد أقصي الأمر وتتالت القرون، والغالب أنّه غلّف بالرمز والتقية دعوته للثأر من حالتهم الراهنة.

انجرّ عن تعاطف الشعراء مع رزايا الهاشميين وذهولهم لفظاعتها أن عكسوا مشاعرهم على عناصر الكون. وتصوّروها وقد تفاعلت مع تلك المحن وشاركت نفوسهم تأثّرها. فبدت عناصر متجاوبة مندمجة في صميم تفاصيل الأحداث. ولا شك أن في ذلك مشاركة وتخفيفاً خلقه هذا التوحّد الإيجابي بين الإنسان ومكوّنات هذا الكون الواسع.

تفاعل الكون مع المحن الهاشمية:

ظاهرة مواساة الطبيعة ظاهرة أدبية عامة. فكثيراً ما كان الشعراء ـ على اختلاف اتجاهاتهم وأزمنتهم ـ يتخطّون حدود الحواجز والسدود ويعبرون إلى عالم الحياة الواسعة، فيخلعون مشاعرهم على عناصر الكون[2]. ولهذه الظاهرة جذور عميقة في الشعر العربي القديم خاصة في مجال الرثاء.

وقوّى هذه النزعة الأدبية الروح الأسطورية في التاريخ. وأخبار الخوارق التي ذكرها الرواة والمؤرخون في العديد من الأخبار. فهم يشيرون إلى مشاركة الملائكة في بعض الأحداث المتعلّقة بالرسول ﷺ وبعض الصحابة[3]. كما تنتشر أخبار عن حضور الجنّ

= تذكرة الخواص، مصدر سابق، ص235. وقد ردّد الشعراء الشيعة هذا المعنى. وتُراجع أبيات الناشئ اللاميّة (ت 366هـ) في كتاب المناقب المذكور في ج3 ص267 خاصة البيت الأخير.

(1) ديوانه ص194.

(2) قطب، سيد، النقد الأدبي، مصدر سابق، ص25 و56 و62 و63.

(3) يُراجع صحيح البخاري، مصدر سابق، ج4 ص133 – 141، باب ذكر الملائكة؛ وصحيح مسلم، ج4 ص1802، باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أُحُد؛ وابن أبي الحديد، شرح النهج، مصدر سابق، ج14 ص157 و15 ص10؛ والمحبّ الطبري، ذخائر العقبى، مصدر سابق، ص31 و32. وعن معجزات الرسول ﷺ يُراجع البنّا، أحمد، الفتح الرباني، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت مصورة عن الطبعة الأولى 1396هـ، ج22 ص42 – 67.

وبكائها في بعض المواقف المتعلّقة بشخصيات إسلامية مرموقة[1]. وقد رويت الكثير من الأخبار المشابهة ـ والتي يمكن عدّها من الخوارق والأخبار الأسطورية ـ في الأحداث العادية، وهي تدلّ على ما أصاب المسلمين من فزع وذهول بسبب بشاعتها. ويذكر في هذا الصدد أن الناس لبثوا شهرين أو ثلاثة بعدها كأنما الحوائط تلطّخ بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع[2]. وأن السماء أظلمت يومها حتى بدت الكواكب[3]. وأنها ـ أي السماء ـ لم تبك على أحد بعد يحيى بن زكريا إلا على الحسين، وأنها مطرت مطراً كالدم. وأنه ما رفع حجر بالشام يوم قتل «الحسين» إلا عن دم[4].

ويُرْوى أن الجنّ ناحت عليه، وسمع من ينشد رثاءً منهم فيه[5]. كما يُقال إن حول قبره سبعين ألف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة[6].

تساقط أثر هذه الأخبار إلى الشعر، فيروى أن السيدة «فاطمة» رثت أباها ﷺ فقالت[7]:

[كامل]

اغبـــرَّ آفـــاقُ السَّـــماءِ وكُـــوِّرَتْ شـــمسُ النَّهَـــارِ وأظْلَـــمَ العَصْـــرَانِ
فـــالأرضُ مِـــنْ بعـــدِ النبـــيِّ كئيبـــةٌ أَسَـــفاً عليـــهِ كثيـــرةُ الرَّجَفَـــانِ

وقد وصف الشاعر «ديك الجن» (ت 236هـ) يوم عاشوراء بقوله[8]:

---

(1) عن نَوح الجن على الخليفة عمر ينظر: طبقات ابن سعد، مصدر سابق، ج3 ص333، وابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد اللّه، الاستيعاب، مطبوع بهامش كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني دار إحياء التراث العربي، بيروت مصور عن الطبعة الأولى ج2 ص473 وما بعدها، وابن الأثير، أسد الغابة، مصدر سابق، ج4 ص175. وتُراجع أيضاً ترجمة الإمام علي المستلّة من تاريخ ابن عساكر، مصدر سابق، ج2 ص361، والترجمة مطبوعة مفردة وهي بتحقيق محمد باقر المحمود.

(2) البلاذري، الأنساب، مصدر سابق، ج3 ص209 و226. والطبري، الذخائر، مصدر سابق، ج5 ص393. وابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج3 ص301، والذهبي، سير النبلاء، مصدر سابق، ج3 ص312.

(3) البلاذري، الأنساب، مصدر سابق، ج3 ص209.

(4) المصدر نفسه، ج3 ص228، والذهبي، سير النبلاء، مصدر سابق، ج3 ص312 و314.

(5) يُراجع تهذيب ابن عساكر، مصدر سابق، ج4 ص344. وسبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، مصدر سابق، ص241. والمحبّ الطبري، الذخائر، مصدر سابق، ص150. والذهبي، سير النبلاء، مصدر سابق، ج3 ص316.

(6) المحبّ الطبري، الذخائر، مصدر سابق، ص151 وتشير المصادر الشيعية إلى ذلك بتبسّط أحياناً، يُراجع ابن شهرآشوب: المناقب، مصدر سابق، ج3 ص212. والقرشي، عيون الأخبار، مصدر سابق، ج4 ص130. والمجلسي، البحار، مصدر سابق، ج45 ص201 و229، ومن ص233 – 241.

(7) ابن رشيق، العمدة، مصدر سابق، ج2 ص153.

(8) ديوانه المجموع حديثاً ص37، تُراجع أيضاً أبيات دعبل الخزاعي في ديوانه المجموع حديثاً في ص149، البيتان 3 و4، وأبيات الإمام الشافعي في رثاء الحسين في مناقب ابن شهرآشوب، مصدر سابق، ج3 ص260 البيتان 5 و6، وقد خلت مراثي الشريفين الرضي والمرتضى في الحسين تقريباً من هذه الفكرة.

[منسرح]

يـــومٌ أَصَـــابَ الضُّحَـــى بظلمتِـــهِ وقَنَّـــعَ الشـــمسَ مِـــنْ دُجَـــى الغُهَـــبِ

كما افترض بعض الشعراء من قدامى ومحدثين فكرة تفاعل الكون مع الحدث، خاصة في مراثيهم لتجسيد هول الخطب ومكانة المرثي[1]. وفي الفترة المدروسة نلحظ اتساعاً في هذه الظاهرة لدى شعر «البحرين».

تجاوب الملائكة:

تردّد ذكر الملائكة في مدائح ومراثي آل البيت عند الشعراء الأقدمين[2]. وسار شعراء «البحرين» على النهج نفسه، فذكروا تعاطف الملائكة مع أحداث البيت العلوي.

يجسّد «حسن الدمستاني» نوحهم حين صُرع «الحسين» فيقول[3]:

[وافر]

فَـــذَاقَ مِـــنَ الشـــهادةِ أيَّ كَأْسٍ شَـــهيّاً عَذْبـــاً سَلْسَـــبِيلَا

فَضَجَّـــتْ عندَهَـــا الأمـــلَاكُ حُزْنـــاً وإعجابـــاً بمـــا بَهَـــرَ العُقُـــولَا

ووصف «سلمان التاجر» استقبالهم له حين سقط شهيداً فقال[4]:

[مجزوء الكامل]

والحُـــورُ تدعُـــوهُ إليـ نَـــا يابـــنَ فاطمـــةَ البَتُـــولِ

هَـــذِي الجِنَـــانُ تَزَيَّنَـــتْ للقـــاكَ يـــا سِـــبْطَ الرَّسُـــولِ

وعيّن بعض الشعراء الملائكة الذين تأثّروا بمقتل «الحسين» فأشرك «لطف اللّه بن محمد» جبريل في مأتمه فقال[5]:

[بسيط]

يَـــوْمٌ بِـــه الـــرُّوحُ فـــي الآفَـــاقِ مُنْتَحِـــبٌ تَخَـــالُ مَدْمَعَـــهُ مِمَّـــا جَـــرَى بَـــرَدَا

---

(1) يُراجع على سبيل المثال ديوان المتنبي، ج2 ص233. القصيدة الرائية، البيتان 6 و7.

(2) تنظر مديحة السيد «الحميري» في الإمام «عليّ»، الطَّف، ج1 ص204، ومديحة «الحسين بن الحجاج» في المصدر نفسه، ج2 ص157 البيتان 13 و14. ومديحة «ابن أبي الحديد» في الروضة المختارة، مصدر سابق، ص151. وعن تعاطف الملائكة مع وقعة الطَّف يُراجع ديوان «الصاحب بن عباد»، مصدر سابق، ص87، البيت 66 وص127 البيت 60 وص133 البيت 37 وص263 البيت 20.

(3) ديوانه ص177.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص311.

(5) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص320.

وجرّهم تصوّرهم السابق إلى تخيّل بكاء الرسل؛ ونسب «سلمان التاجر» البكاء إليهم وإلى الملائكة عند حلول شهر مُحَرَّم فقال:

[كامل]

وَافَى الهِلالُ ولكنْ كَاسِياً ثَوْبَ السَّقامِ بحزنِهِ مُتَلَفِّعا
وأَسَى بكتْ فيهِ الملائِكُ أدمعاً حُمْراً بِهِ وَجْهُ السماءِ تَقَنَّعَا
والرُّسلُ للأَحْزانِ شَادَتْ مَأتماً فيه تُعَزِّي «المُصْطفَى» و«الأَنْزَعَا»[1]

تعاطف الدين والأماكن المقدسة:

تصوّر «حسن الدمستاني» تزعزع قواعد الإسلام وانمحاء الهدى بمقتل «الحسين» فقال[2]:

[طويل]

تَضَعْضَعَ رُكْنُ الدينِ وانْطَمَسَ الهُدَى وكُسِّرَ من دَوْحِ الجَلالِ غُصُونُ

وخلع على البيت الحرام والمشاعر المقدّسة أحاسيس إنسانية فتخيّل تأثّرها بالحدث السابق فقال:

[كامل]

والبيتُ بَاتَ من الأَسَى وأَسَاسُهُ مُتَزَلْزِلٌ مُتَدارِكُ التقليبِ
وَغَدَا الحَطِيمُ له حَطِيماً والصَّفَا مُتَكَدِّراً مُتَنَكِّرَ الأُسْلُوبِ[3]

تعاطف الكون:

أسبغوا مشاعرهم على عناصر الكون. فصوّروا تعاطف الطبيعة بمكوّناتها المختلفة مع الفواجع الهاشمية، ووصفوا ما اعتراها من جنوح.

الطبيعة الجامدة:

هي أكثر عنصر اعتنوا بتصوير تجاوبه ورسم تأثّره، وجسّد «أحمد بن طعّان»: تفاعل العرش وما يتبعه من سماء وأرض مع واقعة الطَّف فقال[4]:

[طويل]

تَزَلْزَلَ عَرْشُ اللَّهِ وارتَجَّتِ السَّمَا عَشِيَّةَ صَدْرُ العِلْمِ بالخَيْلِ يُحْطَمُ

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص343. والأنزع: لقب للإمام «عليّ».
(2) الديوان ص190.
(3) الديوان ص93.
(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص145.

كَأَنَّ السَّـــماواتِ العُـــلَا الأرضَ طَابَقَـــتْ عَشِـــــيَّةَ بالنيـــــرانِ أَجَّ المُخَيَّـــــمُ

وصوّر «حسن الدمستاني» تجاوب أجزاء الطبيعة المختلفة فقال[1]:

[بسيط]

ولا كوقعـــةِ يـــومِ الطـــفِّ إنَّ لَهَـــا وَمَـــنْ أُصِيـــبَ شَـــأْناً مِـــنَ الشَّـــانِ
والأرضُ رَاجِفَـــةٌ بالدَّمْـــعِ وَاكِفَـــةٌ والشـــمسُ كَاسِـــفَةٌ والحَـــقُّ ظَلْمَـــانِ
والعَـــرْشُ يهتـــزُّ والكرســـيُّ مُضْطَـــرِبٌ لِهَوْلِهَـــا فَهُمَـــا دَأْبـــاً شَـــجِيَّانِ
كَادا يَصُـــكَّانِ وجـــهَ الأرضِ مِـــنْ جَـــزَعٍ ويهلـــكانِ أهاليهـــا بِطُوفَـــانِ

وخلعوا عواطف الحنّو والشفقة على الريح فاكتسبت أبعاداً إنسانية رقيقة. يقول «لطف اللّه بن علي» في رثاء الحسين[2]:

[بسيط]

حَاكَتْ لهُ الريحُ من سَافِي الثَّرَى حُلَلاً محكومةَ النسجِ طَابَتْ لُحْمَةً وسُدَى

فقد تخيّل التراب الذي غطّى جسم الحسين حللاً محكمة النسيج، حاكتها يد الرياح التي ماثلها بامرأة صناع ماهرة ولشدّة تعلّقه مدح الحلل المتصوّرة.

وبثّوا الإحساس في الطلّ، وتخيّلوا تعاطفه. يقول «حسين الشاخوري»[3]:

[بسيط]

يبـــلُّ أَجْسَـــادَهُم طـــلُّ الرُّبَـــا بَـــدَلاً عـــن الخَلِيطَيْـــنِ مـــن أدنَـــى مَثَاوِيهـــا

وأسبغوا عاطفة الفقد حتى على الجماد، فصوّروا تأثّره وحزنه. يقول «حسن الدمستاني» واصفاً أسى السيوف على صاحبها، وذلك على لسان السيدة «زينب ابنة عليّ» في تفجّعها على أبيها:

[طويل]

أَبِـــي لاحِـــظِ البِيْـــضَ الحِـــدَادَ فإنَّهـــا قريحـــاتُ أَجْفَـــانٍ إليـــكَ رَوَانِـــي
بَقيـــنَ كَلالاً فـــي حِـــدَادٍ ومَأتَـــمٍ فليـــسَ لهـــا مِـــنْ زينـــةٍ وتهانـــي[4]

ووصل بعض الشعراء إلى إضفاء التفاعل على الجدران. يقول «أحمد بن طعّان» واصفاً بكاء السيدة «فاطمة» على أبيها الرسول ﷺ عارضاً لتعاطف الجماد معها[5]:

---

(1) ديوانه ص179.

(2) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(3) المجموعة (1) ص13.

(4) الديوان ص116 وتُراجع أيضاً قصيدة «سلمان التاجر» في الرياض ص330، البيت 18.

(5) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص127.

[طويل]

فَتَبْكِيــــهِ والجـــدرانُ تبكـــي لِصَوْتِهَـــا فمـــا بقعـــةٌ إلا وعبرتُهَـــا سُـــخْنا

الطبيعة المتحرّكة:

أسبغوا ما تمور به أعماقهم من مشاعر الألم والعطف على الهاشميين على وحش الفلا. فتخيّلوا تجاوبها، وصوّر «حسين الشاخوري» هلع الحيوان من الدنو من جثث القتلى فقال:

[بسيط]

والوحـــشُ تَرْتَـــاعُ أن تَدْنُـــو لِمَصْرَعِهِـــمْ كمـــا تُـــرَاعُ ظُبَاهَـــا مـــن ضَوَارِيهَـــا[1]

ولعلّ ما أوقع من قتل ذريع وتمثيل بالقتلى جعل أجسادهم مخيفة فلم تجرؤ الوحوش من الدنوّ منهم. وربّما أومأ الشاعر إلى إدراك تلك الحيوانات لمكانة القتلى فلم يقتربوا منهم تبجيلاً واحتراماً. وقد أشار إلى ذلك «لطف اللّه بن علي» فقال[2]:

[بسيط]

تَـــزُورُهُ الوحْـــشُ وُفَّـــاداً وتســـألُهُ رَدَّ الجَـــوَابِ وتَسْـــتَهْديهِ نُـــورَ هُـــدَى

فقد جعلها تفد عليه وتزوره للاستهداء بعلمه وهداه.

ووقف الشعراء وقفة متأنية أمام فرس الحسين، وأضفوا عليه أرّق معاني التعاطف والوفاء إبّان محنة صاحبه. والحصان من الحيوانات الأثيرة عند العربي والقريبة إلى نفسه، فرسم «حسن الدمستاني» مشهداً مأساوياً للفرس بعد مقتل صاحبه. وألقى عليه ظلالاً إنسانية عميقة. فقال مصوّراً ما اعتراه من اضطراب وذعر ووجد[3]:

[مجزوء الكامل]

لَهْـــــفَ نفسِـــــي إذْ نَحَـــا أهـ ـــــلَ الفَسَـــــاطِيطِ الحِصَـــــانْ

ذَاهِـــــــــلاً مُـنْفَجِـعـــــــــاً يصهـــــلُ مَذْعُـــــورَ الجِنَـــــانْ

مَائِـــــلَ السُّـــــرجِ عَثُـــورَ الـ ـــخطوِ فـــي فَضْـــلِ العِنَـــانْ

خَاضِـــــبَ المِفْـــــرَقِ والخَـ ـــدَّيْنِ مـــن نَحْـــرِ الحسـيـنْ

أتبع الشاعر صورة الحصان المؤثرة بعقد محاورة متخيّلة بينهما. فخاطبه مسبغاً عليه صفات العاقل:

---

(1) مجموعة (1) ص72. وعن أمر عبيد اللّه بن زياد بالتمثيل بالحسين وأصحابه، يُراجع الطبري، الذخائر، مصدر سابق، ج5 ص415.

(2) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(3) ديوانه ص198.

أيُّـــــــهَا المُهْـــــــرُ تَوَقَّـــــــفْ لا تَحُـــــــمْ حَـــــــوْلَ الخِيَـــــــامْ
واتـــــــركِ الإعْـــــــوَالَ كيـــــــلا يســـــــمَعَ الآلُ الكِـــــــرَامْ
كيـــــــف تســـــــتقبلهُمْ تَعْـــــــثِرُ فـــــــي فَضْـــــــلِ اللِّجَـــــــامْ
وَهُـــــــمُ ينتظـــــــرون الـــــــآنَ إقبـــــــالَ الحُسَـــــــيْنْ

وجسّـد الشاعر ذهول الحصان وانفجاعه في اتخاذه سلوكاً مناقضاً لما طلبه منه خالعاً عليه العديد من الصفات الدالّة على التأثّر والذهول بسبب فظاعة الخطب:

مَـــــــرَقَ المُهْـــــــرُ وَجِيعـــــــاً عَالِيـــــــاً منـــــــهُ العَـــــــوِيـــــــلْ
يُـــــــخبرُ النســـــــوانَ إنَّ الـــــــ ـــــــسِّبْطَ فـــــــي البَوْغَـــــــا جَدِيـــــــلْ[1]
ودمُ المنْحَـــــــرِ جَـــــــارٍ خَاضِـــــــبُ الجِسْـــــــمِ يســـــــيلْ
نَابِـــــــعٌ مِـــــــنْ ثَغْـــــــرِهِ الطُّـــــــهْـــــــرِ كمـــــــا تنبـــــــعُ عَيـــــــنْ[2]

ومدَّ الشعراء دائرة الإحساس إلى الطير. فصوّر لطف اللّه بن علي حدبها على الحسين وشفقتها عليه فقال[3]:

[بسيط]

وظلَّـــــتِ الطَّيـــــرُ فـــــي البيـــــداءِ عاكفـــــةً عليـــــهِ كيمـــــا تَقِيـــــهِ الحـــــرَّ إن وَقَـــــدَا

لقـد كانت فكـرة تجاوب الكـون مع الحدث أثـراً من آثـار التفجّع والإحسـاس العميق بالمأسـاة. وقـد شـكّلت علـى المسـتوى الفنّـي ـ رغـم قدمهـا ـ نفحـة روحيـة عذبـة ورقيقة، فجعلـت مـن عناصر الطبيعة كائنات فاعلة مشـاركة للإنسـان في أحزانه ومآسـيه. وقد غَذَّتْها تلك الأخبار الأسطورية التي ذكرها الرواة. وهي وإن رفضها الفكر النقدي فهي تمثّل مبالغات شعرية لا تخلو من طرافة أحياناً.

هكـذا انغمـس الشـعراء بـكل كيانهم في لجـج الحـزن وغاصوا فـي أعماقـه، فاصطبغ شـعرهم بنبرة بكائية عالية ولّدت العديد من التفاعلات والرؤى المأسـاوية المفجعة، وسـاعد علـى تصاعـد الأسـى وتناميـه العقيـدة الصادقـة والواقـع المريـر. فتوحّـد في ضميرهم أسـى الماضـي والحاضـر. فانبعـث البـكاء وعـلا التفجّـع. وقد جـاء أغلب شـعرهم صـادق العاطفة ملتهب الوجدان.

---

(1) البوغاء: التراب الثائر.

(2) تُراجـع الأخبـار التـي ذكرها الرواة بشـأن فرس الحسـين عند ابـن أعثم، الفتـوح، مصدر سـابق، ج3 ص137. والمناقب لابن شهراشـوب، مصدر سـابق، ج3 ص215. والمجلسـي، بحـار الأنوار، مصدر سـابق، ج45 ص56 و57 و60.

(3) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

الفصل الخامس

المناقب في شعر آل البيت

خصص شعراء البحرين رقعة بارزة من مراثيهم ومدائحهم في آل البيت لتمجيد الأخلاق الحميدة والقيم الفاضلة. وقد ساعدهم اهتمامهم بالمضمون التاريخي بأبعاده المختلفة على تعميق هذا الحسّ. فتحوّلت الأحداث التي عرضوا إليها إلى رموز أخلاقية. فخروج «الحسين» واستشهاده ـ على سبيل المثال ـ غدا رمزاً للعديد من المعاني الأخلاقية كالبطولة والشجاعة والتضحية والفداء وإباء الضيم والدفاع عن المبدأ إلى غيرها من الفضائل. كما تغنّوا في تلك الأشعار بصفات الإيمان والتقوى والكرم.

لقد نظروا إلى العلويين كرموز إنسانية سامية. واعتبروهم النماذج العليا للقيم المطلوبة. وتتفق كتب الأدب على الإشادة بهذه الصفات[1]. فهم يرسمون لهم لوحات روحية تنبض في الكثير من الأحيان بالحيوية والتدفّق. وهم في غنائهم ذاك ربّما كانوا يعبّرون عن افتقارهم لتلك النماذج وتوقهم إليها.

والثناء على القيم الخلقية قديم قدم الشعر العربي نفسه. بل ربّما كان أساسه وأصله. ويذهب ابن رشيق إلى أن العرب لم تهتد لقول الشعر إلا حين احتاجت للتغنّي بمكارم الأخلاق وحسن الشيم[2].

وقد دأب الشعراء منذ الجاهلية على تمجيد القيم والإشادة بالمثل، واستمرّ ذلك طوال القرون[3]. ولا نستبعد أنه كلما ازداد تضعضع القيم وتقهقرها زاد التغنّي بها والتطلع إلى تحقيقها.

ولقد نهل شعراء البحرين من معين ذلك التراث الشعري الأخلاقي فقلدّوه حيناً وتمثّلوه حيناً آخر مستنبطين منه العديد من معانيهم وأساليبهم[4].

وبرصدنا لأنواع المناقب والقيم التي تغنّى بها شعراء «البحرين» تبيّن لنا أنها لونان:

---

(1) ينظر في فضلهم رسائل الجاحظ ص67 وهي بعنوان فضل بني هاشم. والحصري القيرواني، زهر الآداب، مصدر سابق، ج1 ص59. وشرح النهج، لابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج15 ص198 وما بعدها. ورسالتا المقريزي، «النزاع والتخاصم» و«فضل آل البيت».

(2) ابن رشيق، العمدة، مصدر سابق، ج1 ص20.

(3) نعتقد أننا لسنا بحاجة إلى تحديد مراجع بعينها. فالمعلقات الجاهلية، وقصائد المديح والرثاء على اختلاف العصور – كمدائح البوصيري للرسول ﷺ - تزخر بالإشادة بالمناقب والأخلاق الكريمة.

(4) سندرس تأثّر شعراء البحرين بشعر الأقدمين على صعيدي المضمون والشكل في فصل شعر «البحرين» بين المحافظة والتجديد. ص487 وما بعدها.

قيم روحيّة خاصة، وفضائل أخلاقية عامة

أولاً: القيم الروحيّة الخاصة:

وهي صفات نادرة ميّزت الهاشميين عن غيرهم بصفتهم أهل الرسول ﷺ وأسرته[1]. وقد أشاد بها الشعراء بإعجاب وانبهار يشبه العشق الصوفي. يقول «أحمد الدمستاني»[2]:

[طويل]

بَني المُصْطَفَى خَيْرُ الوَرَى عِصْمَةُ المَلَا ... بُنَاةُ العُلا محضُ الولاء لهُمُ حَقَّا
أُحِبّتُهُ الأدنين حُجَّتهُ على ... جَميعِ الوَرَى سُحْقاً لظالِمِهم سُحْقَا

ويتجسّد الإكبار الممزوج بعواطف العقيدة والوجد في المعاني التي تعتبر الهاشميين امتداداً للرسول ﷺ وأحبّائه الأقربين. وفي اعتبارهم صفوة الخلق وملجئهم.

نوّه الشعراء بعراقة أصلهم وطيب عنصرهم، فقال «سلمان التاجر»[3]:

[مجزوء الكامل]

طَابَتْ فُروعُهُمُ كَمَا ... طَابُوا بهاتِيكَ الأُصُولِ
خيرُ القبيلِ قبيلُهُمْ ... وانْعِمْ بذَيَّاكَ القَبيلِ
نَسَبٌ أَضَا سَنَا عُلَا ... هُ بِالذَّبيحِ وبالخَليلِ
نُورٌ تَشَعْشَعَ عن وصـ ... ـيٍّ أو أخي وَحْيٍ نَبيلِ
اللَّهُ شَرَّفَهُمْ وطَهَّرَهُمْ ... مِنَ الدَّنَسِ الوَبِيلِ

وتنضح الأبيات بتمجيد الشاعر وإشادته بقداسة نسبهم؛ فطيب الفروع منبثق عن طيب الأصول. وهم في هذا وذاك القمّة في العراقة؛ وفي البيت الأخير إشارة إلى آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[4]. ورغم تقريرية الأبيات وخلوّها من الخيال إلا أن ما فيها من عاطفة قوية وعقيدة صادقة أضفت عليها

---

(1) تناول الشعراء الشيعة القدامى أغلب هذه المعاني فاستلهمها منهم شعراء البحرين. يُراجع على سبيل المثال شعر دعبل الخزاعي خاصة تائيته ص124. وشعر الناشئ الصغير: علي عبد اللّه بن الوصيف في آل البيت. عند الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم الأدباء، مصدر سابق، ج13 ص280 وما بعدها، وعند ابن خلكان، فوات الوفيات، مصدر سابق، ج3 ص360. وتُراجع مدائحه ومراثيه في آل البيت خاصة بائيته عند الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مصدر سابق، ج4 ص24 وعند شبّر، جواد، أدب الطَّف، مصدر سابق، ج2 ص102.

(2) ديوان حسن الدمستاني ص264.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص309.

(4) سورة الأحزاب، الآية 33.

نفحة صوفية. وفي اعتقادنا أن هذه الأبيات كانت تتدافع على الشاعر بتلقائية وعفوية نتيجة استغراقه في تجربته الشعرية وتدفّق عاطفته، فلم تتح له فرصة إعمال الخيال واقتناص الصور.

ونوّه الشعراء بتروض العلويين أنفسهم على الفضائل غير مكتفين بعلوّ النسب وطيب الأصل. يقول «علي بن أحمد الكامل»[1]:

[طويل]

لقد رَاضَ كلٌّ نفسَهُ واجْتَنَى لَهَا خِيَارَ سَجَايَاهَا وعِزَّ النَّجَائِرِ

فحبّ الشاعر لهم جعله يماثلهم بقاطف الثمار الذي يتخيّر أحسنها. وتنمّ لفظة «رَاضَ» عن محاولتهم تذليل نفوسهم وتعويدها على الفضائل.

وانطلاقاً من العقيدة الإسلامية وصفوهم بأعمق الصفات الروحيّة، مشيدين بما ذكره القرآن في شأنهم. يقول «حسين الشاخوري»[2]:

[بسيط]

قَوْمٌ بِمَدْحِهِمُ كُتُبُ السَّمَا نَزَلَتْ أكْرِمْ بمدحٍ بكتبِ اللَّهِ مَذْكُورِ
ما فوق فَضْلِهِمُ فَضْلٌ فمدحُهُمُ في الذكرِ ما بينَ مطويٍّ ومَنْثُورِ
فَمَنْ عَنَاهُ بأهلِ البيتِ غيرهُمُ فَأَذْهَبَ الرِّجْسَ عنهم رَبُّ تَطْهِيرِ

وتتجلّى النفحة الصوفية في إكبار الشاعر لهم وتعظيمه لمكانتهم. وهو يستمدّ ذلك، مما ذكرته الكتب السماوية بشأنهم. ويشير في البيت الأخير إلى آية التطهير، وخفّفت العاطفة المتدفقة من جفاف الأسلوب التقريري[3].

تخطّى الشعراء الصفات النظرية ونوّهوا بفضائلهم الروحية المتجسّدة على صعيد الواقع. فوصفوا عمق إيمانهم وحسن تعبّدهم. يقول «لطف اللّه بن محمد»[4]:

[كامل]

المُصْطَفَى والمُرْتَضَى وَبَنُوهُمَا الـ أبرارُ خَيْرُ مُسَبِّحٍ ومُهَلِّلِ
ومُكَبِّرٍ ومُقَدِّسٍ ومُعَظِّمٍ ومُعَلِّمٍ ومُسَدِّدٍ ومُكَمِّلِ
أهلُ النُّبُوَّةِ والإمَامَةِ والكَرَا مَةِ والشَّهَامَةِ والمَقَامِ الأكمَلِ

(1) ديوان الدمستاني، ص343.
(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص533.
(3) تُراجع أيضاً أبيات عبد الرؤوف بن حسين في منتخب محفوظ، مصدر سابق، ص20 البيت 17 وما بعده.
(4) محفوظ، حسين، المنتخب، مصدر سابق، ص21.

فالشاعر يقيم لوناً من المفاضلة واضعاً الرسول ﷺ في القمّة ثم «عليّ» ثم ذريتهما كأفضل الممارسين للأمور التعبّدية. وربما نمّ تعديده لضروب التعبّد عن اعتقاده أنه ما من سلوك تعبّدي إلا مارسوه وتفوّقوا فيه.

أسهب الشعراء في الإشادة بإيمان آل البيت فأثنوا على قضائهم الليالي في العبادة والذكر. يقول «عبد الرؤوف بن الحسين»[1]:

[طويل]

لِرَبِّهِمُ عَافُوا الرقَادَ فأصبحَتْ جُنُوبُهُمُ تَأْبَى وِصَالَ المَضَاجِعِ

وعمد بعض الشعراء إلى تحديد نوع العبادة التي يمارسها الهاشميون ليلاً. يقول «حسن الدمستاني» في مدح الإمام «عليّ»[2]:

[طويل]

فَدَأْبُكَ إحياءُ الليالي تَعَبُّداً بأحسنِ تَرتيلٍ وخَيْرِ مَعَانِ

وإذا كانوا قد ملأوا ليلهم بذكر اللّه وتلاوة كتابه فإنهم قضوا أسحارهم في التهجّد بالأذكار. يقول «أحمد بن طعّان»[3]:

[وافر]

لَهُ الأَذْكَارُ والدعواتُ أَهْنَى وُرُودٍ في غُبُوقٍ واصْطِباحِ

ويلوح في البيت لون من مقارنتهم بالغير. فغبوق القوم وصبوحهم الخمر، أما هؤلاء فالذكر والترتيل.

ولاعتقادهم برسوخ مسلك التعبّد في نفوس الهاشميين وإعجابهم به تصوّروا أن المحاريب تأنس بهم. يقول «عبد المنعم بن محمد»[4]:

[طويل]

أُنَاسٌ بهم أُنْسُ المحارِيبِ في الدُّجَى وَهُمْ في الوَغَى أقذاءُ عَيْنِ المُحَارِبِ

أطرى الشعراء عكوف الهاشميين على الصيام أغلب أيّامهم. يقول «حسن الدمستاني»[5]:

---

(1) محفوظ، حسين، المنتخب، مصدر سابق، ص20.

(2) الديوان ص116.

(3) المصدر نفسه، ص162.

(4) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(5) ديوانه ص76.

[طويل]

خَمِيصُـــونَ صَوَّامُـــونَ أكثَـــرَ دَهْرِهِـــمْ مُنِيبُـــونَ قَوَّامُـــونَ جُنْـــحَ لَيَـــالِ

فهـو يصفهم بالخمص بمـا يعنيه من ضمور وجوع، ويردف الصفة بما يوحي بالسـبب وهـو كثـرة الصيـام. وأتبـع هـذا التوجـه بمقتضياته وهـو القيـام بالليـل. وللدلالة على شـدّة تعلّقهـم بهذه العبـادة وصفوا حالتهم النفسـية إبّان ممارسـتها. يقول «أحمد بـن طعّان» في مدح «عليّ بن الحسين»[1]:

[وافر]

لَـــهُ صَـــوْمُ الهَجِيـــرِ أَجَـــلُّ عِيْـــدٍ وَجُنْـــحُ الليـــلِ مِصْبـــاحُ الصَّبَـــاحِ

فهـو يختار أشـدّ الأيـام حـرارة فيصومهـا، وأحلك الظـلام فيقيم فيـه الصـلاة، فليله هو صباحه.

وجسّـدوا مظاهر شغفهم باللّه فوصفوهم بالخشـوع لذاته. يقول «سلمان التاجر» في وصف الإمام «عليّ»[2]:

[خفيف]

لـــو تَـــرَاهُ والليـــلُ دَاجٍ يُنَاجِـــي وَسْـــطَ مِحْرَابِـــهِ الفَخيـــمَ العَلِيَّـــا

يغســـلُ الأرضَ بالدمـــوعِ خُشُـــوعاً لـــو سَـــقَتْ مَيْـــتَ زَرْعِهَـــا قَـــامَ حَيَّـــا[3]

وإذا كان الولـوع بذكـر اللّه والخشـوع لعظمته من مؤشّـرات الإيمان النفسـي العميق فإنـه لا قيمـة لـه إن لم يكـن مصحوباً بالعمـل الإيجابـي والجادّ. ومن ثـمّ عمد الشـعراء إلى الإشـادة بدور الهاشـميين في بناء الدين وجهودهم الكبيرة في تدعيم أركانه. يقول «حسـين الشاخوري»[4]:

[بسيط]

قَـوْمٌ بِهِـمْ قَـد أُقِيـمَ الديـنُ وانْطَمَسَـتْ للشـــركِ ألويـــةُ الطُّغيـــانِ والجَـــوْرِ

وأطـروا دورهـم فـي بيـان تعاليـم الديـن وتفسـير أحكامـه. يقـول «عبد الرؤوف بـن الحسين»[5]:

[طويل]

بِهِـمْ أَشْـرَقَ الديـنُ الحنيفـيُّ غِـبَّ مَـا دَجَـا وتَجَلَّـتْ مُبْهَمَـاتُ الشـرائِعِ

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص162.

(2) المصدر نفسه، ص330.

(3) عن نزع عليّ للبكاء يُراجع قول ضرار الضبائي في شرح النهج، مصدر سابق، ج18 ص225.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص533.

(5) محفوظ، حسين، المنتخب، مصدر سابق، ص20.

ففـي الشـطر الأول إشـارة إلـى بـزوغ الإسـلام علـى أيديهم وقـد ماثلـه الشـاعر بالنور المشرق بعد الظلمة.

أثنوا على دور الإمام عليّ في تثبيت دعائم الإسلام. يقول «حسن الدمستاني»:

[طويل]

مُـرَوِّي غِـرَارَ السَّـيفِ مـن مُهَـجِ العِـدَى مُقَـوِّي عُـرَى الإسـلامِ بعـد خَبَـالِ
فكـم خَـرَّ كسـفٌ مـن صَوَاعِـقِ سَـيْفِهِ وصَـبَّ علـى الكفـارِ صَـوْبَ وَبَـالِ[1]

وتشـفّ صيغ الشـاعر وصوره بما تشـعّه من ظلال بإكباره لدور الممدوح وإعجابه بما قدّم من خدمات جليلة للإسلام.

ومـن منطلـق العقيـدة المدعومـة باعتقـاد أن آل البيت يمثّلـون الذروة فـي الصفات الروحيـة اعتبرهـم الشـعراء أهـل الحـق والصراط المسـتقيم ومـا يتبعهـا من مفاهيـم. يقول «أحمد بن طعّان»[2]:

[بسيط]

فـإنَّ أُسَّ مَنَـارِ الحـقِّ وفـقَ كتـا بِ اللَّـهِ والعتـرةِ الغَـرَّا فـإنّ هُـمُ
هُـمُ الصِّـراطُ ومنهـاجُ النَّجَـاةِ ومشـ ـكاةُ الرَّشَـادِ لِمَـنْ بالحـقِّ يعتصِـمُ
والحـقُّ مَعْهُـمْ وفيهِـمْ مِنْهُـمُ بِهِـمُ بـل كُلُّ خيـرٍ ففيهِـمْ مِنْهُـمُ لَهُـمُ

ويبدو أن حماس الشـاعر، واسـتغراقه في تجربته أدّى به إلى تكـرار الضمائر، منفصلة ومتصلة للتأكيد على معانيه.

ومن منطلق العقيدة الممزوجة بالإكبار أشـادوا بكون آل البيت هم السـبب في خلق اللَّه للكون. يقول «سلمان التاجر»[3]:

[كامل]

يـا مَـنْ هُـمُ عِلَـلُ الوُجُـودِ وفيهُـمُ وَعَلَيْهُـمُ نَـزَلَ الكِتَـابُ المُحْكَـمُ

والشـاعر يسـتمدّ قوله من حديث أنمى هـذه المنقبة لجدّهم الرسـول ﷺ[4]، ومن ثم عمّمها الشعراء على أهله.

---

(1) الديوان ص77. ومن معاني الخبال العناء. وقد وردت لفظة «العدى» بألف ممدودة في الأصل.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص118.

(3) المصدر نفسه، ص290.

(4) مضمـون الحديـث أن اللَّه أوحى إلى سـيدنا عيسـى أن يؤمـن بمحمد لأنه لـولاه ما خلق الكـون. والحديث مـن مرويات الحاكم النيسـابوري في مسـتدرك الصحيحيـن، ج2 ص672، دار الكتب العلميـة، بيروت 2009، والحسـيني، مرتضـى، «فضائـل الخمسـة من الصحـاح السـتة»، ط4، منشـورات الأعلمي، بيـروت 1982، ج1 =

وأشادوا بما حباهم به اللّه من كرامات، فقال «حسن الدمستاني» منوهاً بشفاعتهم لدى الخالق[1]:

[بسيط]

يا شَافِعِي الخَلْقِ عند اللّهِ جئتُكُمُ مُسْتَشْفِعاً فاشفعُوا في ذَنْبِ عَاصِيهِ

ويتكئ الشاعر على قول الرسول ﷺ: «الشفعاء خمسة: القرآن والرحم والأمانة ونبيّكم وأهل بيته»[2].

تغنّوا بما نسب للإمام عليّ من كرامات ومناقب. يقول «علي بن أحمد الكامل»[3]:

[متقارب]

لَدَيْكَ النعيمُ لَدَيْكَ الجحيمُ لَدَيْكَ السقايةُ والكَوْثَرُ

فالشاعر يشير في الشطر الأول إلى شفاعة «عليّ» يوم القيامة انطلاقاً من تخويل الرسول ﷺ له ذلك. ويشير في الشطر الثاني إلى سقاية الخلق من الحوض التي كلّفه بها النبي ﷺ[4]، ومن منطلق ذلك الإكبار أشاد بما ذكره الرواة من ردّ الشمس له:

ورُدَّتْ لَهُ بعدما كُوِّرَتْ فَصَلَّى أداءً وَهُمْ حُضَّرُ

ويشير المحدثون إلى وقوع ذلك استجابة لدعاء النبي ﷺ[5].

ثانياً: الفضائل الأخلاقية العامة:

أنمى الشعراء كلّ المعاني الأخلاقية الفاضلة إلى العلويين. ونظرة راصدة لتلك القيم تظهر أن الشجاعة تحتل المرتبة الأولى، ويليها الكرم، ثم بقيّة الصفات. وطبقاً لذلك سنرتّبها حسب الحجم والأهمية التي أعطاها لها الشعراء.

= ص62. وأشار إليه الشبلنجي، مؤمن بن حسن في «نور الأبصار»، ط1، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1985، ص40. كما وصف البوصيري الرسول ﷺ بهذه الصفة في ميميته. ديوانه ص192 البيت 33.

(1) ديوانه ص84.

(2) المتَّقي الهندي، كنز العمال، مصدر سابق، ج14، حديث 39041.

(3) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(4) في قول الرسول ﷺ أن عليّاً صاحب حوضه وساقيه والذائد عنه، يُراجع المحبّ الطبري: الرياض النضرة، مصدر سابق، ج3 ص174، والهيثمي، المجمع، مصدر سابق، ج9 ص133 و138، والمتقي الهندي، الكنز، مصدر سابق، ج13 الحديث 36455 و36479.

(5) يُراجع المحبّ الطبري، الرياض النضرة، ج3 ص140. والهيثمي، المجمع، مصدر سابق، ج8 ص300. والمتّقي الهندي، الكنز، مصدر سابق، ج12، الحديث 35353. وقد أشار إلى هذا الخبر وناقشه كل من المرتضى في أماليه، مصدر سابق، ج2 ص340 وسبط ابن الجوزي في التذكرة، مصدر سابق، ص53.

الشجاعة:

احتفلوا بها احتفالاً خاصاً، ومنحوها جلّ اهتمامهم ولا غرابة فهي الوسيلة إلى الحياة الكريمة والعزّة والرفعة. وما يجدر ملاحظته أن الشعراء في تناولهم لمعانيها قلّما يعرضون لها كقيمة مجرّدة أو مقطوعة عن سياق تصويري.

اعتنوا بوصف مظاهرها عند الهاشميين وأكثر الشخصيّات التي اهتموا بتصوير إقدامها وقوة بأسها الإمام «عليّ» وابنه «الحسين». ومما قاله «عبد الرؤوف بن الحسين» في وصف بسالة الإمام «عليّ»[1]:

[بسيط]

حُلْوُ الخِصَالِ ومِقْدَامُ الرجالِ هِزَبْـ ـرٌ بالمَجَالِ قويٌّ غيرُ مُنْكَسِرِ
مُفْنِي النفاقَ بحربٍ لا تطاقُ على الـ ـجُرْدِ العِتَاقِ بضربِ البِيْضِ والسُّمُرِ
مُرْدي الصُّفُوفِ ومُسْقيها الحُتُوفِ على رَغْمِ الأُنُوفِ بقلبٍ غيرِ مُنْذَعِرِ

فحماس الشاعر واستحسانه لشجاعة ممدوحه جعلاه يضعه في الذروة العليا منها. وعوّل على مختلف الأساليب التعبيرية لتجسيد بسالته في ميدان القتال.

وشغف الشعراء برسم مظاهر الشجاعة في واقعة «الطَّف» في لوحات تنبض بالحيوية في أكثر الأحيان. ومما قاله «طه العرادي» في تصوير بسالة أنصار «الحسين»[2]:

[كامل]

من كلِّ أَرْوَعَ قد أَعَارَ الأُسْدَ مِنْ سطواتِهِ بأساً أَبَى إرهاقَها
قد عَلَّمُوا بِيضَ الظُّبَا قطعَ الطُّلَا والسُّمْرَ في ثغرِ الكُلَى إغراقَها
ما لم تحاكِ الطعنةُ النجلَا لَهُمْ جيبَ القميصِ فلن يروا مِصْدَاقَها
صِيْدٌ عَبَاهِلُ لا يُجَارُ طريدُهَا ولو اسْتَكَنَّ من الربَى أنفاقَها
قد أنكحتْ أسيافُهَا نَفْسَ العِدَى قَسْراً وأنفذتِ المَنُونُ صَدَاقَهَا

ويستند الشاعر على التصوير وإيحاءات الألفاظ لتجسيد معانيه. وتنضح لفظة «أروع» بمتطلّبات الشجاعة النفسية، كالفؤاد الذكي اللمّاح الذي يشعر لحدّته بكل ما يرى ويسمع. ولاستحسانه لبسالتهم جعلهم أصل الشجاعة ومعلّميها. ودلّل على مصداقيتهم من خلال استيثاقهم من نفاذ ضرباتهم، وتصوّر هذا الخلق ميلاً طبيعياً فيهم يمارسونه بشغف واقتدار[3].

---

(1) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص543.

(3) تُراجع بقية الأبيات. وقد استغرق وصف الشجاعة عشرة أبيات.

اعتنى الشعراء بإبراز شجاعة الحسين وتصوير قوّة إقدامه. يقول «سلمان التاجر»:

[كامل]

وبَـــدَا عُقَيبَهُـــمُ «الحســـينُ» كأنَّـــهُ ... لَيْـــثُ الأَجَـــامِ علـــى الطغـــامِ يُدَمْـــدِمُ
لـــم تمنـــع الـــدرعُ الحصينـــةُ ســـيفَهُ ... ولـــه مـــن العَزَمَـــاتِ دِرْعٌ مُحْكَـــمُ
فانصـــاعَ يختطـــفُ الفـــوارِسَ بَاسِـــماً ... والســـيفُ يبكـــي والبـــكاءُ تبسُّـــمُ
مُتَقلِّـــــداً عَضْبـــــاً كأنَّ غِـــــرَارَهُ ... قَـــدَرٌ وبارقَـــةُ شِـــهابٌ يرجُـــمُ
وبكفِّـــهِ رمـــحٌ يُضِـــيءُ سِـــنانُهُ ... فـــي فِيـــهِ أرواحُ القَشَـــاعِمِ يقضـــمُ
لا الهضـــبُ هَضْـــبٌ يَـــوْمَ حملتِـــهِ ولا ... البطـــلُ الشـــجاعُ إذَا يَفِـــرُّ مُذَمَّـــمُ
نَسَـفَ النفيـسَ علـى الخسـيسِ وَدَاسَ فـي ... صَـدْرِ الخَميـسِ فَقُـلْ بخيـسٍ ضَيْغَـمُ[1]

فقـوّة أحاسـيس الشـاعر وتدفّقهـا جعلتـه يشـخّص معانيـه، ويبـث الحياة فـي العناصر الجامـدة، فأتت الصور متلاحقة متتابعـة ينبض الكثير منها بالصوت والحركـة واللون. وقد ماثل الحسـين بعد مقتل أصحابه بالأسـد الغاضب المُطْلِق للأصوات الهادرة لشـدّة هيجانه. وللتعبير عن قوة ضرباته وشـدّتها تصوّر سيفه ينفذ إلى أجسـاد الأعداء من خلال الدروع الحديدية التي يلبسـونها، وهي مع منعتها لا تمتنع على سـيفه. وجعله هو مسـتغنياً عن الدروع المادية، عدا التذرّع بالعزم. وأشـار إلى سـرعة سـلبه الأعـداء أرواحهم وابتهاجه بذلـك. واعتنى بوصف مضاء سـلاحه وفعاليته من سـيف ورمـح على اعتبار أنها الوسـائل الممثّلة للشـجاعة. وجسّـد انقلاب الموازيـن فـي حروبه حتى يتعذّر على الهضـاب ـ رغم صلابتها ـ الاحتفـاظ بثباتها، كما لا يعاب على البطل الفرار من أمامه. ويرسم البيت الأخير صورة أخرى لتزعزع الأوضاع وانقلابها الناجمة عن بسالة المرثي، فالأعلى غدا أسفل والشجاع صار كالجبان، حتى لو قيل إن أسداً حلّ بالمكان لكان صحيحاً. ويبدو أن لفظة «خيس» وهي موضع الأسد وضعت في غير مكانها إلا إذا اعتبرنا الهياج بسبب اقتحام أحد الأعداء لبيت الأسد. ولعلّ هذا أيضاً لا يتواءم والسياق[2].

وأشـاد الشـعراء بلون مميّز من ألوان الأقدام وهي البسـالة المؤيـدة بالإيمان العميق. فيقابـل الإنسـان الاستشـهاد في سـبيل المبـدأ بالرضا والشـكر. يقـول «أحمد بـن طعّان» من مرثية في الإمام «عليّ»[3]:

---

(1) البـلادي، حسـين بـن علي، ريـاض المدح والرثـاء، مصدر سـابق، ص287، واسـتغرق وصف الشـجاعة حوالي عشرين بيتاً. والقشعام: الضخم المسنّ من كل شيء.

(2) ربمـا وقـع تصحيف في لفظة «يكظم» ولعلّهـا كانت في الأصل «يخضم» أو «يقضـم» لأن الأرواح لا تكظم. وقد تكون من معنى «كظم السّـقاء أو مجرى الماء» إذا ملأه وسـدّ فاه. وعن شـجاعة الهاشميين يوم الطفّ يُراجع شرح النهج لابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج3 ص263 قول الشاهد الطفّ مع عمر بن سعد.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص129.

[كامل]

وَبَقـــــي ثلاثـــــاً مُدْنَفـــــاً لا شَـــــاكياً بـــــل شَـــــاكِراً إذْ حَـــــازَ خَيْـــــرَ مُفَـــــادِ
مُتبتّـــــــلاً ومُحَمْـــــــدِلاً ومُهَلِّـــــــلاً ومُكَبِّـــــراً قـــــد فُـــــزْتُ باستشـــــهادِ

فالجـراح البليغة ومكابدتها مدّة ثلاثة أيام لم تجعل المرثي يشـكو أو يتضجّر. ولتعلّق الشـاعر بالمرثـي عمد إلى تفصيل ألوان شـكره المنبثق مـن صلابة النفس التي تسـتمدّ قوتها من عمق الإيمان وتغلغله في حناياها.

ووسـم الشـعراء آل البيت بالبطولة. وهي أعلى وسـام يمنحه الشـجاع. يقول «سـلمان التاجر» من مرثية حسينية[1]:

[خفيف]

بَطَـــــلٌ هَـــــبَّ بالعـــــراقِ فهبَّـــــتْ زَعْـــــزَعٌ فـــــي الشَّـــــام تَدْعُـــــو ثُبُـــــورَا

فهـو يصـف المرثـي بالبطولـة ويعمد إلى تجسـيد أثرهـا في مقابلـة بيـن بطولة أهل «العراق» وفزع أهل «الشام».

وأشاروا إلى نفسية الشجاع وشغفه بالحرب وتسارعه إليها. يقول «طه العرادي»[2]:

[كامل]

حَتَّـــى إذَا مـــا شَـــمَّرَتْ عـــن سَـــاقِهَا الحـــربُ العَـــوَانُ وكَشَّـــرَتْ أشـــداقَهَا
أَهْـــوَى لهـــا قـــومٌ تراهـــا غَـــادَةً معشـــــوقةً وتراهُـــــمُ عُشَّـــــاقَهَا

فوجـه الحرب كريـه، ولكن القوم يحبّونها كما لو كانت غادة حسـناء، فيسـارعون إليها مولعين.

وأثنـى الشـعراء على الشـجاعة البعيدة عن التهـوّر، المدعّمة بمعانـي الرحمة والعفو. فقال «سلمان التاجر»[3]:

[خفيف]

وهُمَـــامٌ سَـــطَا وطَـــالَ علـــى القَـــو مِ بِمـــاضٍ مِـــنْ عَزْمِـــهِ قُرْضَـــابِ[4]
وعَفَـــا بَعْدَمَـــا عَفَـــى أثـــرُ الشِّـــرْ كِ عَـــنِ المُدْبريـــنَ والأَسْـــلَابِ
لـــم يُجهّـــزْ علـــى الجَريـــحِ ولَمَّـــا يَتْبَـــعُ الناكصيـــن للأعقـــابِ

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص347.
(2) المصدر نفسه، ص542.
(3) المصدر نفسه، ص283.
(4) القرضاب: الأسد. ومن السيوف القطّاع يقطع العظام.

فشجاعة الممدوح وقدرته الفائقة على الوصول إلى ما يريد وسموّ نفسه التي تدفعه إلى التضحية بالروح وهي أغلى ما يملك، تجعله رحيماً بالغير لا يكترث بحطام الدنيا فيصفح عند تحقّق الهدف، ويغض الطرف عن المدبر والجريح وما تخلّف من أسلاب.

واستحسن الشعراء توظيف الهاشميين جرأتهم لخدمة الدين ومثله العليا. يقول «إبراهيم آل نشرة» في مدح الإمام «عليّ»[1]:

[كامل]

شَيَّدْتَ دينَ الحقِّ مِنْكَ بصارِمٍ خَرَّتْ لَهُ شُمُّ الأُنُوفِ على الذِّقَنْ
وَبَضَعْتَ عِرْقَ الشِّركِ منكَ بِمبضَعٍ أَجْرَى النَّجيعَ ونبضُهُ المُؤْذِي سَكَنْ
ونسفتَ طَوْدَ الغَيِّ بعد شَبابِهِ حَتَّى عَفَى وكسرتَ ألويةَ الفِتَنْ

وتشف التعابير والصور باعتقاد الشاعر بأهمية الدور الذي لعبه الممدوح في إقامة الدين. وعلى النسق نفسه أثنوا على المبادئ التي من أجلها خرج «الحسين»[2].

مجَّد الشعراء في الشجاعة الهاشمية عراقتها، فهي تركة خلقيّة يتوارثها الخلف عن السلف. يقول «سلمان التاجر»[3]:

[مجزوء الكامل]

وَرَثَ الشجاعةَ مِنْ أَبيهِ وهَلْ يخُونُ الليثَ شبلُهْ؟

وصاغ الشاعر حجّته في شكل مثل، ولتوكيد هذا المبدأ في خلق الهاشميين وإعطائه بعداً عميقاً جعله الشعراء لباناً يُسقاه الفرد منهم منذ عهد الرضاع. يقول «حسين الشاخوري»[4]:

[بسيط]

ولا يُنَاغَى لهم طفلٌ بغيرِ صَدَى رَهْجِ الوَغَى وصَهيلٍ في المَضَامِيرِ
ولا لِصِبْيَتِهِمْ مَهْدٌ يُهَزُّ سِوَى هَزِّ السُّروجِ على الجُرْدِ المَخَاصِيرِ

ولاعتقاد الشاعر بأصالة هذه الصفة في نفوسهم تصوّر أنهم رضعوها منذ طفولتهم وشبّوا عليها. والمعنى تقليدي طرقه الشعراء الأقدمون[5].

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص356.
(2) المصدر نفسه، ص303، الأبيات من 11 – 13.
(3) المصدر نفسه، ص316.
(4) المصدر نفسه، ص532.
(5) يُراجع ديوان الشريف الرضي، مصدر سابق، ج1 ص363 البيت 36.

الجود والكرم:

غالباً ما يستتبع التحلّي بالشجاعة الاتّصاف بالجود، فمن جاد بالنفس لا غرو أن يجود بالمال. وقد جسّد الشعراء هذه الصفة في الهاشميين وصوّروا أبعادها. ومما قيل في الإيماء إلى الشرائح الاجتماعية التي يشملها معروفهم هذان البيتان لـ «سلمان التاجر»:

[مجزوء الكامل]

أَنْتُمْ سَحَابُ الجُودِ للـ ـعانِي بأزمنةِ المُحُولِ
أنتُمْ ثِمالُ الأرملا تِ وكهفُ أبناءِ السَّبيلِ[1]

فالشاعر ينوّه بغوثهم ويجسّده، فيماثلهم بالملجأ المنيع الذي يحمي الأرامل. وألمع «حسين الشاخوري» إلى فئات أخرى شملها معروفهم فقال[2]:

[بسيط]

أفدي ربيعَ اليَتَامَى والعُفَاةِ ومَنْ قد كَانَ للضارِعِ اللاجي بِهِ كَنَفَا

فهو يشيد بعطفهم على فئات اليتامى والفقراء واللاجئين من ذوي الحاجات. ويضارع رعايتهم إياهم بدور الربيع في الإحياء، وبالساتر أو الظلّ الواقي.

وأثنوا على عنايتهم بفئة أخرى وهي الضيوف. فقال «عبد المنعم بن محمد»[3]:

[طويل]

حُمَاةٌ مَتَى حَلَّ النزيلُ بربعِهِمْ يَبِتْ وهو في عِزٍّ وأمنعِ جَانِبِ

والنزيل قد يتضمّن معنى الضيف والطارق ليلاً والوافد وغيره، فهم يحمونهم ويذودون عنهم.

مجدّوا تزامن معروفهم مع أوقات الضيق. فهو يقع في وقت الجدب وندرة الطعام. يقول «سلمان التاجر»[4]:

[خفيف]

وبني هاشمَ الأُلَى هَشَمُوا للضـ ضيفِ مثرودةً لَدَى الإجْدَابِ
أمطرُوا النَّاسَ بالعَطَاءِ وقد شَحَّ سماءٌ بماءِ دَمْعِ السَّحابِ

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، ص308. والثمال: الملجأ والغياث.
(2) المجموعة (1) ص78.
(3) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق.
(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص285.

فالشاعر يضمّن قوله حادثة هشم جدّهم هاشم الثريد حين عمّ القحط[1]. ولا شك أن العطاء في المواقف الحرجة من أدلّ الدلائل على سماحة النفوس وسخائها.

وأثنى الشعراء على جدوى عطائهم وكثرته وغناه. فقال الشاعر السابق:

[طويل]

يمـــرُّ بهـــا الـــلاوِي خِفَافـــاً عِيَابَـــهُ ويرجـــعُ للأهليـــنَ بُجْـــرَ الحَقَائِـــبِ
بَنُـــو الطَّلِبيـــنَ الأُلـــى لســـتُ واجـــداً لهـم فـي عطـاءٍ أوْسَـطاً مِـنْ ضَرَائِـبِ[2]

وربّما عنى بـ«اللاوي» رقيق الحال أو المكثر من التمنّي باستخدام «لو«. وكنّى عن وفرة العطاء بامتلاء الحقائب. كما أبرزت المقارنة الضمنية في البيت الثاني تفوقهم في خلقي الجود والشجاعة.

واعتنوا بوصف استمرارية سخائهم وممارستهم له مهما زاد عدد القُصَّاد، فقال «أحمد بن طعّان»[3]:

[كامل]

مَـــنْ كَانَ عِنْـــدَ نِزَالِـــهِ ونَوَالِـــهِ لا فـــرقَ فـــي الآلاف والآحَـــادِ

وممّا أثنى به الشعراء على بذل الهاشميين خلوّه من الأغراض والمنافع. يقول «حسين الشاخوري»[4]:

[بسيط]

والمُطْعِمُـــونَ لِوَجْـــهِ اللَّـــهِ لا لِجَـــزَا ســـوى يتيـــمٍ ومســـكينٍ ومَأْسُـــورِ

ففي الشطر الأول تصريح بنزاهة العطاء، وفي الشطر الثاني ضرب من التوكيد له، لأن الشرائح المذكورة غير قادرة على ردّ الجزاء. ويورد «حسن الدمستاني» صورة أخرى لنزاهة عطائهم فيقول[5]:

[طويل]

مَبَاذِيـــلُ للمعـــروفِ غيـــرَ مُكَـــدَّرٍ بِمَـــنٍّ ولا مُسْـــتَجْلَبٍ بِسُـــؤَالِ

---

(1) يُراجع المحبّ الطبري، الرياض النضرة، مصدر سابق، ج2 ص251.
(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، ص291. ولعلّه أراد بـ «سطا» معنى «السطو« أي القهر بالبطش للدلالة على الشجاعة.
(3) المصدر نفسه، ص129.
(4) المصدر نفسه، ص533.
(5) ديوانه ص76.

فجودهم تلقائي خالص من جميع الشوائب. وانطلاقاً من ذلك نوهوا ببذل المعروف سراً[1].

لقد نظر الشعراء إلى الهاشميين على أنهم النجدة عند استحكام المعضلات فقال «سلمان التاجر»[2]:

[مجزوء الكامل]

أنتُمْ غِيَاثُ الخَلْقِ عندَ تطرُّقِ الخَطْبِ الجَليلِ

وتنبض لفظة «التطرّق» بتعسّر الأمور، وقد أضاف إليها الشاعر «الخطب الجليل» ليدّل على اشتداد النوازل واحتدام الموقف، وهي الظروف التي يمارس فيها الممدوحون جودهم.

ولمتسائل أن يتساءل: هل اكتفى الشعراء بتلك الإشارات العامة لجود الهاشميين وهي صفات مدحية تقليدية، أم استندوا إلى وقائع تثبت تطبّع القوم بهذا المبدأ. والحقيقة أنهم نظروا في أخبار الرواة، وتغنّوا بما رووه في هذا الصدد. يقول «علي بن أحمد الكامل» مشيداً بممارستهم السخاء في ظرف صعب حسّاس[3]:

[كامل]

جَادُوا بِقُوتِ فطورِهِمْ لثلاثةٍ مَعْ حُبِّهِ وطَوَوا ثَلَاثَ لَيَالِي

والبيت يتضمّن قصة من قصص الإيثار[4]، تدلّ على أن الجود حين يكون أصيلًا في النفس صادقاً فإن صاحبه يصل إلى نكران الذات، فيبذل للغير ما هو في أمسّ الحاجة إليه.

وإذا كان البذل يرتبط من بعض الوجوه بالشجاعة ـ كما ألمعنا ـ فإنه يرتبط، في

---

(1) تُراجع قصيدة أحمد بن طعّان الحائية عند البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص164 البيت 48.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص308.

(3) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر. يُراجع في المعنى نفسه ديوان الدمستاني ص74 البيت 30.

(4) يذكر أن الإمام علياً وأسرته نذروا صيام ثلاثة أيام لمرض ألمّ بالحسن والحسين. ولمّا تعافى الطفلان، لم يكن لديهم قُوتٌ يعينهم على الصيام، فاقترض الإمام عليّ ثلاثة أصوع شعيراً، لكل يوم صاعاً. وفي اليوم الأول من صيامهم جاءهم مسكين فتصدّقوا عليه بفطورهم المتواضع، وفي اليوم الثاني وقف عليهم يتيم فأعطوه طعامهم، وفي اليوم الثالث جاءهم أسير فآثروه بفطورهم. وباتوا ثلاثة أيام صائمين على الطوى، لم يذوقوا سوى الماء. فنزلت في ذلك آيات كريمة. يُراجع تفسير الفخر الرازي، محمد بن ضياء الدين، ط3، دار الفكر، بيروت 1985، سورة الإنسان: 7 و8 في ج30 ص241 – 244، وسبط ابن الجوزي: التذكرة، مصدر سابق، ص281 – 284، والمحبّ الطبري، الذخائر، مصدر سابق، ص89 و102، وابن أبي الحديد، شرح النهج، مصدر سابق، ج1 ص21، والعلاّمة الحلّي، نهج الحق، مصدر سابق، ص184.

اعتقادنا، كذلك بالتقوى والزهـد في الدنيا، فالخلقان يدفعان إلى الإعراض عن ماديّات الحياة وبهارجها الزائفة. فيبذل الإنسان أعزّ ما تملكه يداه طلباً للمثوبة. وقد أثنى الشعراء على تخلّق الهاشميين بهذه الصفات. فقال «علي بن عبد اللّه البوري»[1]:

[خفيف]

جَنَحُوا عَنْ منازِلِ الذُّلِّ جَزْماً كي يَنَالُوا بِها مقاماً رَحيبَا
عَشِقُوا غُلَّةً وخَشْنَ طَعَامٍ وخِمَاصاً وخِشيَةً وَنَحِيبَا

فهو يكبر إعراضهم عن الدنيا. ويكنّي عنها بمنازل الذلّ، ويؤكد ذلك بـ«جزماً»، ويومئ إلى السبب وهو نيل المنزلة الأرفع التي ربما عنى بها الجنّة. ويعرض لبعض مظاهر زهدهم فيها، فيذكر رضاهم بالعطش والجوع والطعام الخشن وخوف اللّه، وهو يقرن شغفهم بهذه المعاني بالعشق.

مناقب أخرى:

ونلمح علاوة على ما سبق: مناقب أخرى ترد بحجم أقلّ وأبرزها:

التقوى:

أطرى الشعراء تقوى الهاشميين، وجعلوها من المبادئ التي يتواصون بها. يقول «أحمد الدمستاني» على لسان «الحسين» موصياً أهله قبل فراقهم الأخير:

[طويل]

عليكُمْ بِتَقْوَى اللّهِ والصبرِ والرِّضَا فإنَّ بِتَقْوَى اللّهِ مُعْتَصِمُ العَبْدِ

وتكمن أهمية التقوى وما يتعلّق بها من خشية اللّه وامتثاله أوامره في أنها أولى القيم المُوْصَى بها. وتتمثّل أهميّتها وأثرها في مضارعتها بعروة الوعاء التي تحفظه من السقوط.

الصبر:

أشادوا بصبرهم وقوّة جلدهم في مواجهة نوازل الدهر. يقول «أحمد بن طعّان»[2]:

[وافر]

تَسَامَتْ فيهِ آلُ اللّهِ قُدْماً بِسَوْقِ النفسِ في سُوقِ الرَّبَاحِ
قد اختارُوهُ فاشتارُوهُ لَمَّا صَبَتْ عَنْهُ عزائِمُ بالجِمَاحِ

(1) التاجر، محمد علي، مستدرك المنتظم، مصدر سابق، ص62.
(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص162.

ففيهِـــمْ تُضْـــرَبُ الأمثـــالُ صَبْـــراً بـــه امتـــازَ المِـــراضُ مـــن الصِّحَـــاحِ

ولتمجيد الصبر، وتمسّك القوم بمبادئه اعتبره من أسباب سموّهم وعلّو مكانتهم. وقد دلّ المعنى على وصولهم إلى أرفع درجات الصبر. ويعوّل على المجاز ليومئ إلى صوره ونتائجه. فمن الأسباب التي تدفعهم إلى التخلّق به بيعهم نفوسهم للّه، لذا فهم لا يحلفون بها. وتخيّل الصبر عنصراً مادياً انتقاه الممدوحون واشتروه في الوقت الذي نفر الآخرون منه. ويلمّح البيت الثالث إلى النتيجة النهائية وهي الفوز والتفوّق على الغير، ولتجسيد أهمية هذا الخلق اعتبره من المعايير التي تقاس بها عقيدة الإنسان أو قوته: فيها يتميّز السقيم من الصحيح. وإذا كان الشاعر قد عمّمها في الهاشميين خلال الأبيات السابقة، فإنه خصّ بها «علي بن الحسين». فقال:

فَمَـــا يعقُـــوبُ مـــا أيّـــوبُ صَبْـــراً كزيـــنِ العابديـــنَ فَتَـــى الصَّـــلَاحِ
لـــه الصبـــرُ الجميـــلُ بـــكلِّ رزءٍ تطيـــشُ بـــه الحُلُـــومُ لَـــدَى الـــكلاحِ

ولتجسيد عظم صبره قارنه بأعلام هذا المبدأ، ونوّه بتميّزه عليهم. فذكر نبيّ اللّه يعقوب الذي صبر على فقد يوسف[1]، وأيّوب الذي ابتلى في ماله وجسمه[2]، وحدّد ظروف صبره العظيم فهو يقع عند اشتداد المحن واستحكام الخطوب[3].

الحلم:

ومدحوا في الهاشميين حلمهم وقدرة نفوسهم على التماسك. فقال «عبد اللّه الذهبة»[4]:

[طويل]

ومـــن رَاسِـــخٍ فـــي الحِلْـــمِ لـــو زَلْـــزَلَ البَـــلَا ثُبَيْـــراً وأُحْـــداً مـــا تقطَّـــبَ حَاجِبُـــهْ

فقد جعل الحلم خلقاً متجذّراً في سلوكهم. وجسّد قوته، فذكر أن الجبال ـ وحدّد منها ثُبَيْراً وأُحداً ـ يمكن أن تتضعضع وتتصدّع، أمّا هم فثابتون متماسكون لا تهزّهم نكبة، ولا يزعزع حلمهم خطب[5].

---

(1) تُراجع سورة يوسف.

(2) تُراجع سورة الأنبياء: 83 وسورة ص: 41.

(3) تُراجع أيضاً أبيات خليل بن علوي في ديوانه، ص7 و8 من البيت 80 – 88.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص446.

(5) من المواقف التي تبرز حلم الهاشميين الخبر الذي يرويه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، مصدر سابق، ص298، فهو يذكر أن ضيوفاً قدموا على عليّ بن الحسين، فاستعجل خادماً له، فأخرج شواءً من التنّور، وأقبل عجلاً وبيده السفّور وبين يدي عليّ ولد له صغير، فسقط السّفود عليه فصرخ ومات، =

العلم:

ومن منطلق الاعتقاد بما اشتهر به الهاشميون من علم غزير ومعرفة وصف «إبراهيم آل نشرة» الإمام «عليّاً» بقوله[1]:

[الكامل]

هـو عَيبـةُ العِلْـمِ الغَزِيـرِ الـذي مِـنْ بَعْـ ـضِهِ العِلْـمُ المُحِيـطُ بمـا اسْـتَبَانَ ومـا بَطَنْ

ويستظلّ في وصف اتساع علم الممدوح وامتداد معرفته بقول الرسول ﷺ: «عليٌّ عَيْبَةُ عِلْمِي»، وبقول الإمام «عليّ»: «علّمني رسولُ اللَّهِ ﷺ ألفَ بابٍ من العلم، واستنبطتُ من كلِّ بابٍ ألف باب»[2]، وطبقاً لذلك اعتبر الشعراء الهاشميين أصحاب اليد الطولى في حلّ المعضلات. يقول «خليل بن علوي»[3]:

[بسيط]

لَهُـمْ رَسَـتْ قَـدَمٌ فـي كُلِّ مُعْضِلَـةٍ كَانَـتْ لَدَيْهَـا الجِبَـالُ الشُّـمُّ تَضْطَـرِبُ

وتنبض الصورة «لهم رست قدم» بالتمكّن والقدرة الفائقة. فأكفأ الناس يتضعضع ويقصر إزاء المعضلات التي يحلّون مغاليقها.

وانطلاقاً من ذلك وصفوهم بالحكمة. يقول «سلمان التاجر»[4]:

[مجزوء الكامل]

يـا مُفْرِغـي الحِكَـمِ المفـا دَةِ عَـنْ وصـيٍّ أو رَسُـولِ

فهو يصف غزارتها وتدفّقها، ويضارعها بالشيء الذي يُصَبّ. ويشير إلى مصدرها فهي مستمدّة إمّا من رسول أو من وصيّ رسول.

العزيمة:

نوّهوا بعلوّ همّتهم وقوّة عزيمتهم. يقول «عبد اللَّه الذهبة»[5]:

[طويل]

أَخُـو هِمَّـةٍ لـو تبلـغُ الشَّـمْسُ شُـمَّهَا وعَـزْمٍ تقـلُّ الحَادِثَـاتُ ضَرَائِبُـهْ

= فاضطرب الخادم وفزع، فنظر إليه عليّ وقال: «أنت لم تتعمّد هذا، أنت حرّ لوجه اللَّه»، ثم أمر بمواراة الطفل. ينظر أيضاً خبره مع الرجل الذي سبّه في الصفحة نفسها.

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص356.

(2) الحديث الأول في كنز العمال، مصدر سابق، ج11، رقم 32911 وأورد المقولة الثانية الفخر الرازي في تفسيره الكبير، مصدر سابق، ج8 ص23.

(3) ديوانه ص49.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص308.

(5) المصدر نفسه، ص446.

وينـم اعتبار الشـاعر ممدوحه أخاً للهمّـة باعتقاده بقوّة هذا الخلق فيـه فهو مثيله أو معـادل لـه. ولتصوير مقدارهـا ورفعتهـا تخيّل أن الشـمس تعجز عـن الوصول إليها، وسـحب معنـى التعـادل علـى العزم من خـلال العطف، ولتجسـيد قوّتـه ونـدرة نوعيته أشـار إلى قلّة المماثل له خاصّة إبّان اشتداد الأهوال.

الإباء:

مجدّوا في الهاشـميين إباءهم وما ترتّب عليه من رفض للضيم والهوان. يقول «سلمان التاجر»[1]:

[بسيط]

حَاشَـا الحُسَـينَ بـأنْ يَعْنُـو ولـو نُسِـفَتْ مِـنْ تَحْتِـهِ الأرضُ أو تعْنُـو لَـهُ الرُّتَـبُ

فالشـاعر ينـزّه ممدوحه عن الرضوخ للذلّ ولتجسـيد مبلغ عزّة نفسـه نفى قبوله إحناء الهامة مهما قست الظروف. ولتأكيد ذلك تخيّل أنه لا يقبل بأقل من خضوع العليا له وهي أمر معنوي.

المجد:

استتبع ذلك أن وصفوا الهاشميين بالمجد. يقول «حسن الدمستاني»[2]:

[طويل]

مَشَـارِقُ شَـمْسُ المَجْـدِ أبـراجُ سَـعْدِهِ مُحِيْـطُ المَعَالِـي قُطْـبُ كُلِّ جَـلَالِ

فالشـاعر يجعلهـم أصل المجد ومصدره، ينـمّ عن ذلك تصوّره أن للمجد شمسـاً وأنهم يمتلكون شـروقها. ولتجسـيد علوّ كعبهم فيـه تخيّل أنهـم أبراجه، وقرن الأبراج بالسـعد ليدلّ علـى آثاره الحسـنة. ونظراً للعلاقـة الوطيدة بيـن المجد والمعالـي، إذ الثاني فرعهـا ووليدها فإنه جعلهم حدود المعالي ومركز الجلال والرفعة فيها. ووصل الشـعراء إلى وضع الهاشـميين في الذروة من العليا. يقول «إبراهيم آل نشرة» مخاطباً «الإمام عليّاً»[3]:

[كامل]

أصبحـتَ فـي العَلْيـاءِ غَيْـرَ مُزَاحـمٍ عَلَمـاً تُقَـادُ لـك المَعَالِـي بالرَّسَـنْ[4]

ونظـراً للارتبـاط الوثيـق فـي ضمائر الشـعراء بيـن المُثُـل الأخلاقيـة والهاشـميين، فقد تصوّروها قد غابت بغيابهم، وخلت، بعدهم، من مضامينها أو كادت. يقول «طه العرادي»[5]:

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،، ص350.

(2) الديوان ص76.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص356.

(4) والرَّسَن ما يوضع على أنف الدابة من أزمّة ونحوها.

(5) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص544.

[كامل]

مَـــــنْ للعُلُـــــومِ وللحُلُـــــومِ وللإبَـــــا مَـــــنْ ذَا يَكُـــونُ إلـــى العُـــلَا سَـــبَّاقَهَا
مَـــــنْ لِلْمَسَـــــائِلَ والوَسَـــــائِلِ والحُبَـــــا مَـــــنْ للغوائِـــــلِ راتِـــــقٌ إفتاقَهَـــــا
مَـــــنْ للرِّمَـــــاحِ الســـــمهريةِ والسُّـــــيُوفِ المشـــــرفيةِ كـــــي يَعِـــــلَّ رقاقَهَـــــا

ويحرص الشاعر على ذكر أكثر القيم الخلقية[1] ليشير إلى اتّصاف المرثى بها وحمايته لها. وينعى فقد هذه الصفات بموته[2].

وتلك هي أبرز الظواهر الفكرية في شعر آل البيت. ونلمح علاوة عليها ظواهر أخرى أتت محدودة الحجم، كظاهرة المقارنة التي يعمد فيها الشعراء في الغالب إلى الموازنة بين اتجاهات الهاشميين والأمويين لتصوير الاختلافات الجذرية في سلوك ومبادئ الطرفين. وهناك هجاء لظالمي آل البيت من أمويين وغيرهم. كما تبرز في بعض الأحيان المفاهيم والمصطلحات الخاصّة بالمذهب الاثني عشري. إلا أن هذه الظواهر ليس فيها أيّ جديد. فالشعراء ما انفكوا ينتهجون فيها آثار الأقدمين.

هذه هي أبرز المضامين الفكرية وأكثرها تميّزاً في شعر «البحرين» الخاص بالعقيدة الإسلامية والمذهبية، وهي وإن كانت ليست جديدة بالمعنى التام للجدّة، إلا أن الشعراء التفتوا إلى جوانب عديدة أتت ضيّقة الرقعة في أدبنا القديم. وهم وإن لم يبتكروها إلا أن لهم الفضل في توسيعها وتفتيق فروعها. وبطبيعة الحال لا نزعم أنّنا ألممنا بكل جوانبها إلماماً تاماً وشاملاً. ولكننا نعتقد أننا فتحنا باباً لموضوعات ربّما كان بعضها يستحق الدراسة. ونأمل أن نتمكّن نحن أو غيرنا من القيام بذلك في المستقبل[3].

---

(1) تُراجع الأبيات من 32 – 40.

(2) تُراجع أيضاً قصيدة أحمد بن طعّان في المرجع السابق ص164، الأبيات من 53 – 58 وفيها يصوّر تأثر القيم وبكائها.

(3) رغم وفرة الدواوين العراقية المطبوعة والمخطوطة الخاصّة بفترة دراستنا، والتي تتشابه تشابهاً واضحاً مع الشعر البحراني على صعيدي المضمون والشكل، إلا أن الدراسات القائمة عليها تندر ندرة واضحة. وقد عثرنا على دراستين لباحثين عراقيين تختصّان بالفترة المدروسة. الأولى لحمّود الحمّادي وعنوانها: «الشبيبي الكبير – حياته وشعره» وهي بحث نال به درجة الماجستير من جامعة عين شمس. والثانية لعبد الرحمن اللامي وعنوانها: «الأدب العربي في الأحواز – من مطلع القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي»، مصدر سابق، وقد عرّفنا بها في ص117 إحالة (3). ولكن الدراستين لم تمسّا الموضوعات التي عرضنا لها ولا حتى مسّاً خفيفاً. وإذا حدث ووضع أحد الباحثين يده على إحدى الظواهر المدروسة سرعان ما يتحوّل عنها، ومن ثم لم يتسنّ لنا الاستفادة منهما على الإطلاق.

الباب الثالث

الأغراض الشعرية العامة

يجـدر أن ننبّـه ابتـداءً أن توزيعنـا المضمـون الفكـري إلـى بابيـن لا يعنـي أن موضوعـات كل بـاب منبتـة الصلـة تمامـاً عـن البـاب الآخـر. فهنـاك علاقـة وشـيجة بينهمـا فـي الكثيـر مـن الأحيـان. وعلـى سـبيل المثـال نجـد مدائـح آل البيـت قـد تفتتـح بالغـزل الـذي قـد يطـول حتـى يمكـن اعتبـاره تجـاوزاً قصيـدة داخـل القصيـدة. كمـا قـد تسـتهل مراثيهـم بشـعر التأمّـل العقلـي الـذي قـد يتضخـم حجمـه. ونظـراً لمـا تتطلّبـه الدراسـة المنهجيـة مـن توزيـع وتفريـع، وملاحظـة التماثـل والاختـلاف رأينـا إدمـاج الموضوعـات ذات المضمـون الواحـد حتـى يتسـنى لنـا إيفاؤهـا حقّهـا مـن الـدرس.

ثـم إن أغلـب هـذه المضاميـن هـي اسـتمرار لمـا قيـل فـي مجالهـا فـي الشـعر العربـي. فقـد اسـتوعب شـعراء البحريـن التجـارب الشـعرية السـابقة لعصرهـم. وكان اتصالهـم بالمـوروث الثقافـي والأدبـي القديـم متينـاً. ممـا أتـاح لهـم الاطّـلاع العميـق علـى المكونـات الأساسـية للمضاميـن الشـعرية العربيـة.

وتتمثّـل الأغـراض البـارزة فـي شـعر «البحريـن» فـي الفصـول التاليـة، وقـد خصّصنـا كل فصـل منهـا لمضمـون مـن المضاميـن المطروقـة.

الفصل الأوّل

شعر التأمّل والحكمة

تبرز في شعر البحرين نزعة تأمليّة، وميل إلى سبر أغوار الحياة وتعمّقها، واستخلاص العبرة منها. وقد وجّهتهم هذه الوجهة عوامل عديدة أهمها:

1 ـ التراث الفكري والشعري العربي الذي كانوا ينطلقون منه. وقد شكّلت الحكمة عند زهير بن أبي سلمى وأبي تمّام والمتنبي والمعرّي وأضرابهم معيناً صافياً نهلوا منه وعلّوا[1].

2 ـ التجارب القاسية التي عاشها الشعراء فعركتهم وصهرت نفوسهم، ودفعتهم إلى تأمّل الحياة واستكناه أحداثها. وقد مثّلت تلك الحكم فلسفتهم، وشكّلت مواقفهم من صروف الزمان ومحنه. كما كشفت في الوقت ذاته عن الكثير من جوانب شخصياتهم ومكوّناتهم النفسية.

ونظرة في الشعر الحكمي تظهر أن التأمّل كثيراً ما يأتي في مقدمات قصائدهم خاصة مراثي آل البيت. وقد ينتشر في تضاعيفها.

وأهمّ المحاور التي تدور حولها الحكمة هي ميادين الحياة على اتساع مناحيها وجوانبها والسلوك الإنساني وما يرتبط به من علاقات اجتماعية.

وإذا ما اعتبرنا العقل مقوّماً هاماً في هذا الضرب من الشعر، فإننا نرى اتجاهاً لتبجيله وإحلاله المكانة اللائقة. يقول «أحمد بن طعّان»:

[بسيط]

فَفَازَ مَنْ حَكَّمَ العَقْلَ المُنيرَ كما ... هَوَى الأُلَى حَكَّمُوا شَرْعَ الهَوَى فَعَمُوا
فإنَّهُ حُجَّةٌ للَّهِ باطنةٌ ... عنِ الضلالِ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمُ
وللصَّوابِ دليلٌ بالهُدَى قَمِنٌ ... وليسَ بالغَيِّ مثلُ الوهمِ يُتَّهَمُ[2]

فقد اعتبر العقل وسيلة للفوز، ودعّم رأيه ببعض البراهين قصد تعميق الإحساس بهذا العنصر الحيوي في حياة الإنسان. ونظراً لانطلاق الشعراء من الرؤية الإسلامية الممجدّة

---

(1) عوضاً عن دراسة تأثّر شعراء «البحرين» بالأقدمين في كل غرض من الأغراض الشعرية، وتجنّباً للتكرار آثرنا تخصيص فصل لهذا الجانب. وسيأتي بعنوان «شعر البحرين بين المحافظة والتجديد» ص487 وما بعدها من هذا البحث.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص117. وقَمِنٌ خليق وجدير.

للعقـل قرنوا بينـه وبين التقوى. يقول «إبراهيـم الخليفة» ملمّحاً إلـى دور العقل في تجنيب الإنسان مهاوي الزلل:

[طويل]

إذَا لــم يكــنْ عقــلُ الفَتَــى عاقِــلاً لَــهُ علــى مَعْقــلِ التقــوَى فــلا حَبَّــذَا عقــلُ
نَهَــاكَ الــذي ينهــاكَ عــن كلِّ هفــوةٍ وحَجْــرُكَ مــا يحجُــرْكَ إنْ وَثَــبَ الجَهْــلُ
وهــل يتَّصــفُ بالعقــلِ إلاَّ مُهَــذَّبٌ أخــو ثقــةٍ يُنْهــي إلــى قولِــهِ الفَصْــلُ[1]

مجّـد الشـعراء كلّ ما يخدم العقل ويوسّـع من انطلاقتـه. فأثنوا على العلـم لما له من أثر في صقل العقل وهداية الإنسان. يقول «الوائلي»[2] :

[بسيط]

العِلْــمُ نُــورٌ فَخُــذْ مــن ضَوئِــهِ قَبَســاً يهديــكَ فــي هــذهِ الدنيــا إلــى السُّــبُلِ

(المحاور التي دار حولها شعر التأمّل):

وتركزت في محورين:

المحور الأول: الحياة وصروفها.

وتتعدّد الصيغ اللفظية التي يسـتخدمها الشعراء للتعبير عن هذا المفهوم. فقد يتحدّثون عن الزمان والدهر والدنيا وما أوقعته هذه العناصر من محن. وقد غلب على تصوّراتهم ومواقفهم تجاهها النـزعة التشاؤمية وما يكتنفها من وجل وشكّ. وتتشكّل أهم رؤاهم حيالها في:

1 ـ الشكوى من الزمان: ونلمح في شعرهم شكوى مريرة وتوجّعاً لمحاربة الدهر إياهم. وهي تأتي كشكوى عامة دون تحديد الجانب المتذمّر منه كقول «علي بن إبراهيم آل شبانة»:

[كامل]

ضَــاقَ النّطــاقُ وأُحْكِمَــتْ حلقاتُهــا فالنفــسُ لا تختــارُ طــولَ حَيَاتِهــا
بَلَــغَ الزُّبَــا ســيلُ الهمــومِ ولا أَرَى مَــنْ يزجِــرُ الأيّــامَ عَــنْ نَكَبَاتِهــا
فلــذاكَ خاطبــتُ الزمــانَ وأهلَــهُ بشــكايةِ الشــعراءِ فــي أبياتِهــا

---

(1) ديوانه ص87 ولعلّ استخدام «لم» بدل «هل» في مطلع البيت الأخير أكثر اتساقاً مع المعنى.

(2) ديوانـه ص13 والوائلـي لقب غلب على هذا الشـاعر واسـمه محمد بن عيسـى الخليفة وسنسـتخدم اللقب اختصـاراً. وقـد عاش هذا الشـاعر بيـن 1878 – 1964. فحياتـه امتدّت بعيداً عـن فترة دراسـتنا التي تتوقّف عنـد حدود 1930 تقريباً. وقد أدخلناه ضمن دراسـتنا على أسـاس ما ذكره مقدّم ديوانـه من معلومات. فقد أشـار في ص26 إلى أن الشـاعر كان في العقد الخامس من حياته عندما توفي والده – عيسـى بن علي عام 1930. وهـو يرجّـح أن هـذه الفتـرة من أخصـب فترات حياتـه الشـعرية. وأنه هجَـر القوافي في السـنوات الأخيرة من عمره. هذا مع محاولة تحرّي تاريخ القصائد المستشهد بها قدر الإمكان.

- (إنْ كانَ عنـــدكَ يـــا زمـــانُ بقيّـــةٌ مِمَّـــا تُهيـــنُ بِهـــا الكـــرامَ فهاتِهَـــا)[1]

فشدّة وطء الزمان على الشاعر دفعه إلى مخاطبته جاعلاً منه إنساناً يشعر ويعي، وذلك بدافع رغبة قوية وملحّة في وضع حدّ لتأزّمه والتخفيف من شدّة معاناته.

وحدّد بعض الشعراء شكواهم وبيّنوا أسبابها. فتألّم «ماجد بن هاشم» من عداوة الدهر وسطوته القاهرة وتعدّيه عليه فقال[2]:

[كامل]

مـــا لـــي وللأيّـــامِ أَسْـــتَعدي علـــى أحداثِهـــا أَوَ كُنْـــتُ مِـــنْ أعدائِهَـــا؟!
عَمَـــدَتْ لأعضائـــي تُقطِّعُهـــا فَهَـــلْ أعملـــتُ حَـــدَّ مُـــدايَ فـــي أعضائِهَـــا؟
هـــي أُسْـــرَتي عَـــاثَ الـــرَّدَى فيهـــا ولَـــمْ يمنعْـــهُ أنّ المجـــدَ مِـــلْءُ رِدَائِهَـــا
أَخَـــذَ الحِمَـــامُ كُهُولَهَـــا وَســـطَا علـــى شُـــبَّانِها وخَطَـــا إلـــى رُضَعَائِهَـــا

والأبيات تجسّد أسى الشاعر وتوجّعه واعتقاده بجبروت الدهر، وشعوره بالعجز إزاء اعتداءاته، فقد تخيّله عدوّاً لدوداً سطا على كافة أعضاء أسرته، واختطفهم فرداً فرداً رغم سموّ مكانتهم، ثم تركه وحيداً يستنجد بمن يعينه على ردّ العدوان المتصوّر.

وتذمّر «سليمان الماحوزي»: بحسرة من اختطاف المنون لأصحابه وقضائه المبرم عليهم، فقال[3]:

[بسيط]

مَـــنْ لـــي وقـــد عَفَـــتِ الأيّـــامُ آثـــاري واســـتأصلَ الدَّهْـــرُ خُلْصَائـــي وأنصـــاري
طَـــالَ الزمـــانُ علـــى صَحْبـــي مُجَاهَـــرَةً فاغتالَهُـــمْ بمَخَاليـــب وأَظْفَـــارِ

فقد تصوّر أنّ الدهر اجتثهم من جذورهم حتى لم يبق منهم باقيةً، وينمّ تطاوله عليهم مجاهرة واغتيالهم عن قوّة شراسته. فقد استخدم كل ما أمكن من وسائل البطش، ورمز إليها الشاعر بالمخاليب والأظفار.

ولتخيّل الشعراء أن الزمان غدا خصماً لهم تصوّروا أن عداءً أو صراعاً دار بينهم وبينه. يقول «حسن الدمستاني»[4]:

[طويل]

رَمَيْـــتُ زَمَانـــي بالقِلَـــى وَرَمَانِـــي ونافيتُـــهُ فـــي طَبْعِـــهِ فَنَفَانِـــي

---

(1) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص98 والبيت الأخير تضمين وهو للشاعر العباسي «مهيار الديلمي» يُراجع ديوانه، ج1 ص164.

(2) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى لمنتظم الدّرّين، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(3) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج3 ص45.

(4) ديوانه ص114.

فأصبحــتُ فــي شــأنٍ يُخالِــفُ شَــأْنَهُ وأصبــحَ فــي شــأنٍ يخالــفُ شــانِي

فهـو يقـرّر العـداوة ويشـير إلى السـبب وهـو التخالف فـي الطبـع. ويبرز مظهـراً من مظاهر التخالف في البيت الثالث.

2 ـ ذمّ الدنيـا والتزهيد فيها: ترتّب على تصوّرهـم عداء الدهر لهم أنْ نعوا على الدنيا وأسـهبوا فـي ذكـر عيوبهـا ونقائصهـا، مضفيـن عليهـا الصفـات الذميمـة. يقـول «خليل بـن علوي»[1]:

[طويل]

فَتُعْســاً لهــا مــن دارِ ذُلٍّ فَمَــا بِهَــا تُــرَى حُرْمَــةٌ مَخْفُــورةٌ وذِمَــامُ

وتَبّــاً لِمَــنْ فيهــا اطمــأَنَّ سَــفَاهَةً وظَــنَّ بِــأَنْ لا يعتريــهِ حِمَــامُ

ويتمثّل الذمّ في الدعاء عليها بالهلاك والتعثّر لما تشـتمل عليه من ذلّ وصغار. ووسّـع الشـاعر مـن دائرة الذم لتضـمّ الواثق بها داعياً عليه بالخسـران والانقطاع لسـفاهة رأيه وظنّه أنّها دار الخلود.

حذّر الشعراء من شرور الدهر ونبّهوا على مساوئه. يقول «محمد الشاخوري»[2]:

[طويل]

أَتخدعُــك الدُّنيــا بِرَيْــبِ غُرورِهــا وأنــتَ لثقــلِ الحادثــاتِ حَمُــولُ؟

وتســتعذبُ اللــذاتِ فيهــا وصفوهَــا قليــلٌ وأَمّــا خَطْبُهَــا فَجَلِيــلُ

فإيّــاكَ والدنيــا الغَــرورَ فَكَــمْ بِهــا لِعَمْــري عَزيــزٌ صــارَ وهــو ذَليــلُ

وقد ساق الشاعر بعض القرائن ليدعّم فكرته ويعطيها البعد التأثيري.

أسباب النعي على الدنيا:

وإذا كانـت الأبيـات السـابقة تضمّنت معنـى التضليل فإن الشـعراء أحصـوا الكثير من عيوبها. ويتمثل أبرزها في:

أ ـ الغدر: يرسـم «عبد الرؤوف بن الحسـين» صـوراً لتقلّب الدهـر وتلوّنه. وهي معان دالّة على الغدر. فيقول[3]:

[طويل]

هُــوَ الدهــرُ لا نُعْمَــى عليــهِ لِمُتْــرَفٍ تتــمُّ ولا للبُــؤسِ فيــه دَوَامُ

(1) ديوانه ص40.

(2) شبّر، جواد، أدب الطّف، مصدر سابق، ج6 ص24.

(3) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

فهـــذا زمـــانٌ يحـــرِمُ الضيغـــمَ العُـــلَا وتعلُـــو الذَّنَابَـــى والـــرؤوسُ تَنَـــامُ
غَـــدَا يســـتردُّ الدهـــرُ مـــا قـــد أَعارَكُـــمْ إِذَا هَـــبَّ مِـــنْ سُـــكْرٍ وزالَ هُيَـــامُ

وأومأ « أحمد بن طعّان» إلى خيانة الدهر وهي مظهر من مظاهر الغدر فقال[1]:

[طويل]

كَفَـــاكَ مـــن الدُّنيـــا الغَـــرورِ غُرورِهـــا قُرونـــاً أبادتْهـــا ولـــم تأتلِـــفْ قَرْنَـــا
تُعَوِّضُهُـــمْ بَعْـــدَ القُصُـــورِ قُبُورَهُـــمْ وبعـــد هَنَاهُـــمْ حَسْـــرةً لـــم تكـــنْ تَفْنَـــى

فإبدالها القبور بالقصور واتباعها الألم بالمسّرة صورة من صور غدرها وخيانتها.

ب ـ الفَنَـاء: ذمّ الشـعراء الدنيا لسـرعة انقلابها وزوالها. وجسّـد «حسـن الدمسـتاني» ذلك المعنى فقال[2]:

[وافر]

ومـــــا دُنْيَـــــاكَ إلاَّ مِثْـــــلُ ظِـــــلٍّ ومِـــــنْ شـــــأنِ الأظِلَّـــــةِ الانتِقَـــــالُ

وطرق «أحمد البلادي» ذات المعنى مع إضافة بعض الظلال[3]:

[بسيط]

دُنيـــــاكَ فانيـــــةٌ والحَـــــيُّ منتقـــــلٌ إلـــى التـــرابِ ويبقَـــى اللَّـــهُ والعَمَـــلُ
دَعِ المَقَـــامَ بـــدارٍ لا قـــرارَ بِهَـــا ولا بَقَـــاءَ وأنـــتَ الســـائِرُ العَجِـــلُ

وقد وظّف الشاعر فكرة فناء الدنيا وسرعة زوالها للدعوة إلى التعبّد والعمل الصالح.

ج ـ الخـداع: ويبـدو «حسـن الدمسـتاني» كأكثر الشـعراء وصفـاً لخداع الدنيـا وكذبها وتمويهها. ومما قاله:

[طويل]

تـــراءتْ لِـــيَ الدُّنْيَـــا برائِـــقِ قِشْـــرِهَا ولـــو كنـــتُ ذَا لُـــبٍّ تبيّنْتُهَـــا قِشْـــرَا
فَذُو اللُّـبِّ صافـي القِشْـرِ يَقْشـرُ قِشْـرَهَا فيبـدُو لَـهُ الخُبْـثُ الـذي تحتـه قَـرَّا
كَفَاسِـدَةِ البَيْـضِ التـي قـد تَعَفَّنَـتْ فقـد خَبُثَـتْ لُبّـاً كمـا حَسُـنَتْ قِشْـرَا
سَـقَتني عُقَـارَ الخِـدْعِ حتَّـى عملـتُ مِـنْ كثيـرِ الخَطَـا مـا يمـلأُ البَـرُّ والبَحْـرَا[4]

فالشـاعر يسـوق تجربته مع الدنيا ليضفي بُعداً تأثيرياً على كلامه. وقابل بين انخداعه

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، ص126.
(2) ديوانه ص168.
(3) شبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج5 ص173.
(4) ديوانه ص100.

وسلوك العاقل، وألمع في البيت الأخير إلى النتيجة التي أوصله إليها خداع الدنيا وهي تفاقم الذنوب وتضخّمها. ولشدّة استيائه منها تفنّن في وصف تمويهها[1].

د ـ القسوة والعنف: ذمّ الشعراء جبروت الدهر وطغيانه ومما قاله «أحمد بن طعّان»:

[طويل]

تولَّعَ بالسَّاداتِ في كلِّ كَرِيبَةٍ فما سَيِّدٌ إلاَّ رَحَتْهُ صوائبُهْ
فَلَمْ تمتنعْ منه حُصُونٌ مَنيعَةٌ ولا مَلِكٌ قد حَصَّنَتْهُ مَقَانِبُهْ
تولَّعَ بالساداتِ في كلِّ كَرِيبَةٍ فما سَيِّدٌ إلاَّ رَحَتْهُ صوائبُهْ
فَلَمْ تمتنعْ منه حُصُونٌ مَنيعَةٌ ولا مَلِكٌ قد حَصَّنَتْهُ مَقَانِبُهْ[2]

وتجسّد صيغة «رحته» قوة عركة لكرام القوم فقد طحنتهم مصائبه وفتّت في عضدهم. كما تمثّل جبروته وبطشه في عجز الحصون المنيعة عن الامتناع منه، وفي تجرئه على الملوك.

استتبع اعتقادهم بعنف الدهر أنْ وصفوا الدنيا بدار العناء والهموم. يقول «إبراهيم الخليفة»[3]:

[وافر]

هِيَ الدُّنْيا مَتَاعٌ ليس فِيْهِ هَنَاءٌ بل عَنَاءٌ وانخِدَاعُ
وكُلُّ الناسِ منها في بَلاءٍ وإنْ خَدَعَتْ ببهرجِها الطِّبَاعُ
ظُرُوفٌ حَشْوُها هَمٌّ وغَمٌّ وفيها الاجتماعُ لَنَا وَدَاعُ

فالشاعر يخلع على الدنيا كلّ الصفات المرذولة ويجعلها جماع المساوئ والبلايا.

واكب إمعانهم في ذمّ الدنيا أن أشاروا إلى التلازم بين العيش فيها وبين المحن، واستندوا على التاريخ ورموزه لإثبات صحّة آرائهم. يقول «حسن الدمستاني»[4]:

[بسيط]

أَضْحَى الخليلُ لُقًى في مَنْجَنيقِ لَظَى وفوقَ نمرود للسلطانِ إكليلُ

---

(1) كثيراً ما كان يماثل الدنيا في خداعها بالمرأة الجميلة المظهر السيئة المخبر. ينظر ديوانه ص92 من البيت 1 – 6 وص173 من 1 – 9. كما كان يقرنها بالحيّة الناعمة الملمس ص107 البيتان 2 و3.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص123. ومن معاني «القُنْب» الشراع العظيم والجراب أو الغطاء الذي يستر الشيء كجراب قضيب الدابة والغطاء يستر مخالب الأسد.

(3) ديوانه ص38.

(4) ديوانه ص108.

وأَمَّ «مَدْيـــنَ» موسَـــى خائفـــاً وَجِـــلاً وأَمْـــرُ «مصـــرَ» إلـــى فرعـــونَ مَوْكُـــولُ
والمصطفَـــى تـــارةً بالشِّـــعْبِ مُحْتَصَـــرٌ وتـــارةً بقـــرارِ الغَـــارِ مَخْـــذُولُ

فالشـاعر يتّخذ من مآسـي الرسل شـواهد للدلالة على ما يلقاه صفوة الخلق في الدنيا مـن أكـدار. ويعمد إلى ذكر مأسـاة كل منهم لإبـراز ما عانـوه، وللتدليل على العلاقـة المتينة بين الدنيا والمحن وما يواكب ذلك من زهد ونفور.

هـ ـ الدنيـا دار الآثام: وعلى الإنسـان أن يحـذر حلالها ويتجنّب حرامها. يقول الشـاعر السابق فيما يبدو خطاباً للنفس[1]:

[كامل]

إنّـــي أخـــافُ عليـــكَ إنْ وَافَقْتَهَـــا مِـــنْ مُعْضِلَيـــن إنْ اتقيـــتَ وَبَالَهَـــا
طـــولِ العَـــذَابِ إذَا أَصَبْـــتَ حَرَامَهَـــا وكـــذا الحِسَـــابَ إذَا جمعـــتَ حَلالَهَـــا

وقد تناول «خليل بن علوي» المعنى ذاته مع تغليب عنصر الإثم عليها فقال[2]:

[طويل]

فَيَـــا لَـــكِ مـــن دُنْيـــا يكـــونُ حلالُهـــا حِسَـــاباً كمـــا منهـــا الحـــرامُ أثَـــامُ
ولَذَّاتُهـــا تاللَّـــهِ فانيـــةٌ ومـــا بهـــا لِسِـــوَى الآثَـــامِ دَامَ دَوَامُ

فما أثار مخاوف الشـاعر من الدنيا أنّ حلالها مرهون بحسـاب، وحرامها متبوع بعذاب شـديد، وأن أثـر آثامهـا هو الباقـي والمتغلب. وربّمـا كان فـي المعنى الأخير لمحـة من الآية الكريمـة﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[3] التـي تصـف حـال الكفـار وضياع أعمالهم الحسنة في ثنايا أعمالهم السيئة.

و ـ الدنيـا دار الـذّل والصغـار: فهي ترفع الخسـيس وتحطّ الكريم. ومما نعاه الشـاعر السابق على الأيام جهلها بمراتب الناس:

[كامل]

لا غَـــروَ أنْ صَعَـــدَ الدخـــانُ إلـــى السَّـــمَا وانْحَـــطَّ مـــن تَحـــتِ التُّـــرابِ العَسْـــجَدُ
كَـــمْ مـــنْ جـــوادٍ مِـــنْ مُتَابَعَـــةِ السُّـــرَى تَعِـــبٌ وعِجْـــلٌ مُسْـــتَرَاحٌ يُعْبَـــدُ[4]

وجسّـد الشـاعر مفارقـات الدهـر مشـبّهاً الدنيء بالدخـان والعجـل المعبـود، ومماثلاً

(1) ديوانه، ص173.
(2) ديوانه ص40.
(3) سورة الفرقان، الآية 23.
(4) ديوانه ص198.

الكريـم بالذهب المدفون والفرس النجيب المرهق. وقد تناول «سـلمان التاجر» المعنى ذاته وبتعبير مباشر فقال[1]:

[بسيط]

فكـــم أَعَـــزَّ ذليـــلاً وهـــو مُتَّضِـــعٌ وكـــم أَذَلَّ عزيـــزاً بـــاذِخَ الحَسَـــبِ

المحور الثاني: السلوك الإنساني:

وتتنـوّع الصيـغ التي عبّـروا من خلالها عـن رؤاهـم وتصوّراتهم إزاء السـلوك الإنسـاني. ويمكن تمييز ضربين. فقد يعوّل الشاعر على أسلوب الوعظ المباشر، وقد يأتي على شكل نقد لبعـض أنواع هذا السـلوك. وعلى أيـة حال فالمحور الثانـي يقترب من المحـور الأول في صوره وتعابيره. ويحذّر «عبد اللّه بن علي الماحوزي» من الانخداع بالمظاهر البرّاقة فيقول[2]:

[رمل]

لا تَغُرَّنَّـــــكَ ثِيَـــــابٌ نُقِّيَـــــتْ فهـــي بالصابـــونِ والمـــاءِ نظيفَـــه
تُشْـــبِهُ البيضـــةَ لَمَّـــا فَسُـــدَتْ قِشْـــرُهَا أبيـــضُ والباطِـــنُ جيفَـــه

فهـو يندّد بسـوء الطويّـة والتظاهر بغيـر الحقيقة. وقد عمـد إلى تعرية هذا السـلوك والكشـف عـن زيفـه. ونبّـه «عبد الرؤوف بن الحسـين» إلى لون آخـر من الخـداع وهو تعبّد بعض مدعي الدين فقال[3]:

[كامل]

لا يخدَعَنَّـــكَ عابِـــدٌ فـــي ليلـــةٍ يبكـــي وكُـــنْ مـــن شَـــرِّهِ مُتَحَـــذِّرَا
لـــم يســـهرِ الليـــلَ البعـــوضُ ولـــم يَصِـــحْ فـــي جنحِـــهِ إلاّ لِشُـــرْبِ دَم الـــوَرَى

وتنـمّ مماثلة المتعبّد بالبعوض السـاهر الليل عن سـوء ظنَّ الشـاعر ببعض أفراد هذه الفئة، ورغبته في كشف زيفها وفضح نفاقها.

حـضّ الشـعراء علـى اتبـاع العديـد مـن أنـواع السـلوك والاتجاهـات الأخلاقيـة، وبيّنوا مواقفهـم حيالهـا. وقـد وصـل بعضها إلـى درجة التناقض بسـبب اختـلاف التجـارب ووجهات النظـر، فبينمـا يتراجـع «خليل بن علوي» عـن تقديم توجيهاته ونصائحه بسـبب مـا لقيه من عناء كما يوضحه قوله[4]:

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص304.
(2) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.
(3) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج3 ص173 وج7 ص459.
(4) ديوانه ص101.

[طويل]

نصحــتُ فلــم أُفلِــحْ وَخَانُــوا فَأَفْلَحُــوا وصَيَّرنـــي نُصْحِـــي لـــكلِّ هَـــوَانِ
فـإنْ عِشْـتُ لـم أنصَـحْ وإنْ مِـتُّ فالعنُـوا ذَوي النصــحِ مِــنْ بعــدي بــكلِّ لســانِ

فـإنّ «إبراهيم الخليفة» يحـثّ الناس على ضرورة الاستماع للنصيحة وخاصة المحتاج إليها:

[طويل]

إذا كُنْــتَ عــن تَدبيــرِ حالِــكَ عاجِــزاً ولــم تأتمِــرْ يــا ذا لِمَــنْ لَــكَ نَاصِــحُ
فــلا شَــكَّ أنَّ الرُّشْــدَ أَخْطَــاكَ نفعُــهُ وأَضْــدَادُهُ طبعــاً إليــكَ تُصَافِــحُ[1]

والشـاعران ينطلقان من نظرتين متخالفتين. وتبدو رؤية كل منهما مناسـبة لما يلائمها من مواقف.

صـاغ الشـعراء نظرتهم إلى المال، وعبّروا عن فلسـفتهم تجاه الـرزق وما يتعلّق به من إنفاق. يقول «حسـن الدمسـتاني» معبّراً عن تحقيره للمال وذلك في مخاطبة وعظيّة يوجّهها إلى الحريص على جمعه[2]:

[بسيط]

قُــلْ للفَخُــورِ بِجَمــعِ العَاجِــلِ الفَانــي للدَّهْــرِ فــي شَــتِّ مــا جَمَّعْــتَ كَفَّــانِ
وكيـــفَ يَدَّخِـــرُ الأمـــوالَ مالِكُهَـــا والنــاسُ فــي هَــذِهِ الدُّنْيــا كضِيفَــانِ؟
فــكلُّ جامــعِ مــالٍ فَهْــوَ جامعُــهُ لغيــرِهِ غيــرَ كافــورٍ وأكفــانِ
فــلا شــرافةَ فــي مــالٍ لداخــرِهِ ولــو تَمَكَّــنَ فــي عِــزٍّ وســلطانِ
إذَنْ لَفَــاقَ علــى أهــلِ النُّهَــى شــرفاً شُــذّاذُ عَــادٍ ونَمْــرودُ بــنُ كنعــانِ

ويبنـي الشـاعر تقليلـه من قيمـة المادة على فنـاء الإنسـان واقتصاره علـى احتياجات بسـيطة عند رحيله. ويصل من خلال قراءته إلى نتيجة يريد ترسـيخها وهو أن المال ليس من الأمور التي تسـمو بمكانة الإنسـان. ويدعّم نظرتـه بذكر عتاة التاريخ وطغاتـه الذين انحطّت أسماؤهم إلى أسفل الدرك مع ما كانوا عليه من سلطان عظيم.

وصاغ «خليل بن علوي» نظرته للرزق، وعلّل تسابق الناس عليه فقال[3]:

[بسيط]

كَانَ الســباقُ إلــى الأرزاقِ مُــذْ جُعِلَــتْ مطامــعُ النفــسِ لــلأرزاقِ مَيْدَانَــا

(1) ديوانه ص89.
(2) ديوانه ص178.
(3) ديوانه ص80.

بزعمِنـــــا[1] أنّ مَسْـــــعَانَا يبلِّغُنَـــــا غيـــرَ الـــذي قاســـمُ الأرزَاقِ أعطانَـــا
فَـــلَا القُعُـــودُ عـــن المقسُـــومِ أَبْعَدَنَـــا ولا القيـــامُ إلـــى الممنـــوعِ أَدْنَانَـــا

فهـو يعتبر الجري وراء المال والرزق سباقاً تنافسياً، ويشير إلى مصدره وهو مطامع النفس. ويأتي بتعليل لهذا السباق وهو الاعتقاد أن ليس للّه دور في توزيعه. ويعمد في البيت الثالث إلى هدم هذه الفكرة ويؤكد فسادها من خلال القرينة التي تضمّنها البيت، وهو ينطلق في نظرته من منظور تقليدي، ولعدم رضاه عن الأساس الذي يتم بموجبه توزيع المال حبّذ اعتماد العلم معياراً لتوزيع الثورة فقال:

تاللَّـــهِ لـــم تلحـــقِ الأيَّـــامَ لائِمَـــةً مِنَّـــا وعَتْـــبٌ وإنْ كَانَ الـــذي كانَـــا
لـــو أنّ أقربُنَـــا للجهـــلِ أَفقَرَنَـــا أو أنَّ أبعدنَـــا فـــي العلـــم أغنانَـــا

وانطلاقاً من اعتقاده بأن الخالق قد تكفّل برزق المخلوق تبنَّى القول بالتواكل وعدم إشغال النفس: يقول مشطّراً[2]:

[طويل]

(تكفَّـل رزقـي باسـطُ الـرزقِ مُضْغـةً) فَحَـقَّ بأنِّـي قَـطُّ لا أُشْـغِلُ النَّفْسَـا
بهـمٍّ وربّـي لا يـزالُ مُقَـدِّراً (إلـى حيـن ألقَـى مَـنْ يوسِّـدُني الرِّمْسَـا)
(ومـا ضَرَّنـي نسـيانُ مَـنْ كنـتُ راجيـاً) يُوَسِّـعُ لـي رزقـي ويُزّجِـي لـيَ الأُنْسَـا
فَخبْـتُ ولكـنْ لسـتُ بعـدُ مُؤَمِّـلاً (نَـدَاهُ وربِّـي لا يُضِـلُّ ولا يَنْسَـى)

فهـو يطـرح فكرته ليقـارن بين عطـاء الخالق المسـتمر والدائـم، غير المربـوط بزمن، وعطـاء المخلـوق المرنّـق بالخيبة والإحبـاط والمنّ ومـا إليها. وانطلاقـاً من اعتقاده بـأنّ اللّه أكرم الرازقين وأقدرهم، رفض التضرّع لغيره فقال مشطّراً[3]:

[بسيط]

(دَعِ الضراعـــةَ للمُحْتَـــاجِ مثلِـــكَ إذْ) خَـــابَ المُؤمِّـــلُ نَيْـــلاً مِـــنْ ذَوي الحَـــاجِ
واقطـعْ عـن النـاسِ فيمـا ترتجـي أَمَـلاً (مـا فـي البريـةِ طُـرّاً غيـرُ مُحْتَـاجِ)
(واضـرعْ إلـى سَـيِّدٍ تُغْنـي مَوَاهِبُـهُ) راجيـهِ والجـأْ لَـهُ تلقَـى حِمَـى اللاجـي

(1) كتبت في المخطوط «برغمنا» وفي اعتقادنا أنه وقع تصحيف من الناسخ لأن هذه اللفظة لا تتناسق مع معنى الفكرة.

(2) ديوانه ص119 والتشطير أن يعمد الشاعر إلى بيت من شعر غيره، فيقسّم البيت إلى شطرين ويضيف إلى كل منهما شطراً من نظمه. وسنعرض لهذا اللون في الباب الأخير. ينظر 589 وما بعدها، والأبيات الأصلية وضعناها بين قوسين.

(3) المصدر نفسه، ص76.

فهو يأبى التضرّع للمخلوق، لأنه هو نفسه محتاج للّه. ومن ثم يقتصر على الاستعانة بالخالق.

ويحدّد الشاعر نفسه الوظيفة الحقيقية للمال فيقول مشطّراً[1]:

[طويل]

(فما حاجتي في المَالِ أبغي وفورَهُ) ولم أرضَ بعضَ الدهرِ منهُ يدي صُفْرُ
ولكنْ إذا أنصفتَ ما المالُ نافعاً[2] (إذَا لم يصُنْ عِرْضي فلا وَفَرَ الوَفْرُ)

فالأبيات السابقة وما قبلها تظهر أن الشاعر تتنازعه نظرة ثنائية تجاه المادة، التقليل من قيمتها، مع الحرص على اقتناء قدر منها، لا لذاتها وإنما لحماية ما يحرص عليه من مقدّسات وحرمات. وهو متأثّر بمفاهيم بيئته وبما قاله الأقدمون[3].

ونظراً لانطلاق الشعراء من الرؤية العربية التقليدية للمال فقد دعوا إلى الإنفاق دون خشية. يقول «أحمد بن طعّان»[4]:

[بسيط]

يا فَاعِلَ الخيرِ والإحسانِ مجتهداً أَنْفِقْ ولا تخشَ مِنْ ذِي العرشِ إقتارَا
فاللّهُ يجزِيكَ أضعافاً مُضَاعَفَةً والرزقُ يأتيكَ أمثالاً وأبْكَارَا

فالشاعر يشير إلى وظيفة أخرى للمال وهي فعل الخير، ويدعو إلى الإنفاق في هذا الوجه دون حدود.

وبسبب صروف الزمان وقسوة الدهر سوّغوا لأنفسهم فلسفة قائمة على المواجهة المعنوية للشدائد. فحضّوا على الصبر ودعوا إلى التخلّق به. يقول «أحمد بن عبد اللّه العصفور»[5]:

[كامل]

صَبْراً على مَضَضِ الزمانِ فإنَّمَا شِيَمُ الزمانِ قطيعةُ الأمجادِ
نُصِبَت حَبَائِلُهُ لآلِ مُحَمَّدٍ فَاغْتالَهُم صَرْعَى بكُلِّ بِلَادِ

وليعمق الشاعر الإحساس بهذا الخلق ويقنع به، أردف دعوته بالتعليل والتمثيل. وعمد «حسن الدمستاني» إلى بيان مزايا المحن وما يعقبها من ثواب فقال[6]:

---

(1) ديوانه، ص201.
(2) وردت اللفظة مرفوعة.
(3) البيتان تشطير لبيت أبي فراس الحمداني يُراجع ديوانه ص160.
(4) البلادي، علي، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص258.
(5) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة (77).
(6) ديوانه ص138.

[طويل]

إِذَا اشـــتدَّتِ البَلْـــوَى تَضَاعَـــفَ أَجْرُهَـــا ومِـنْ ثَـمَّ فَاقَـتْ «كربـلاءُ» علـى «أُحْـدِ»

ويبدو الشاعر وكأنه ينظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[1].

وعنى الشاعر نفسه بضرب الأمثلة المادية ليقنع بالتحلّي بالصبر فقال[2]:

[طويل]

وكـــم مســـتفيدٍ بالبَـــلَاءِ جلالـــةً كمثـلِ حَدِيـدِ السـيفِ بالسـبكِ والضَّـرْبِ

واكب الحثّ على هذا الخلق دعوة لتحدّي الخطوب بأسلوب اللامبالاة المدعوم بالتمسّك بالإيمان بقدرة اللَّه. يقول «عبد الرؤوف بن الحسين»[3]:

[طويل]

ولا تكتـــرِثْ بالحَادِثَـــاتِ ووقعِهَـــا فمـــا فـــي ضَمَـــانِ اللَّـــهِ ليـــسَ بِضَائِـــعِ

إِذَا حَفِـــظَ الرحمـــنُ أو صَـــرَفَ الأَذَى كَسَـــا حَاسِـــراً مستســـلماً ثَـــوْبَ دَارِعِ

وفَـــوِّضْ لـــربِّ العَـــرْشِ أمـــرَكَ كُلَّـــهُ ووجِّـــهْ لـــمَا يوليكَـــهُ نَفْـــسَ قَانِـــعِ

ومع ما في النظرة من سلبية فإنه مما لا شكّ فيه أن الصبر والثبات أمام الخطوب والثقة برحمة اللَّه وحكمته لما يكسب النفس الإنسانية الاطمئنان والقوة.

شعر التوبة:

في إطار العقلية المؤمنة كان من الطبيعي أن ينبعث شعر التوبة والندم. يقول «عبد الرؤوف بن ماجد» مناجياً خالقه، مستغفراً تائباً مما فرط فيه[4]:

[مجزوء الرمل]

يـــــا حليمـــــاً ذَا أَنَـــــاةٍ واقتـــــدارٍ ليـــــس يَعْجَـــــلْ

عبـــــدُكَ المذنـــــبُ مِمَّـــــا قـــــد جَنَـــــاهُ يتنصَّـــــلْ

كَادَ أَنْ يقنـــــطَ لـــــولا سِـــــعَةَ الـــــرحمةِ يأمـــــلْ

مَلَّـــــتِ التوبـــــةُ مـــــن سَـــــوْ فَ ومـــــن ليـــــتَ ومـــــن عَـــــلْ

---

(1) سورة البقرة، الآية 155.

(2) ديوانه ص153.

(3) محفوظ، حسين، المنتخب، مصدر سابق، ص19 وشبّر، جواد، أدب الطّف، مصدر سابق، ج5 ص61.

(4) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص91؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج7 ص459.

فعلـــــــــى عفـــــــــــوِكَ لا الـــ أعمـــــــالِ يـــــــا ربُّ المُعَـــــــوَّل

وأهاب «حسـن الدمسـتاني» بالعاصي أن ينتبه ويصحو، وعمد إلى تذكيره بما ينتظره من عقاب، وكأنه يدفعه إلى طريق التوبة والندم. يقول[1]:

[بسيط]

يـا مُنْفِـقَ العُمْـرِ فـي عِصْيَـانِ خَالِقِـهِ أفِـقْ فإنَّـكَ مـن خَمْـرِ الهَـوَى ثَمِـلُ
تَعْصِيـهِ لا أنـتَ مـن عِصْيَانِـهِ وَجِـلٌ مِـنَ العقـابِ ولا مـن مَنِّـهِ خَجِـلُ[2]

الشيب:

عـرض الشـعراء لموضوع الشـيب وعالجـوا العديد من معانيـه منطلقين فيـه مما قاله الأقدمون. يقول «ماجد بن هاشم»:

[كامل]

طَلَعَـتْ عليـكَ المُنْـذِرَاتُ البِيْـضُ وابيـضَّ مِنْـكَ الفاحِـمُ المَمْحُـوضُ
صَرَّحْـنَ عِنْـدَكَ بالنـذارةِ بَعْـدَ مَـا لـم يُغْنِهـا الإيمـاءُ والتعريـضُ
وَافَـى المَشِـيبُ مُطَالِبـاً بِحُقُوقِـهِ وَعَلـيَّ مـن قِبَـلِ الشـبابِ فُـرُوضُ[3]

فالشـاعر يتمثّـل طلائع الشـيب نُذُراً أنذرنـه. ولكونه في منتصف العمـر على ما يظهر شعر بلون من الصراع بين مطالب الشباب والشيب.

وصوّر «سـليمان الماحوزي» الأثر النفسي للشيب، وما اعتراه من مشاعر الألم لانقضاء عهد الشباب فقال[4]:

[وافر]

لقـد هَجَـرَ الشَّـبَابُ وبـانَ عَنَّـا علـى رَغْـمٍ ولازَمَنَـا المَشِـيْبُ
فَبَـانَ ببَيْـنِ ذَلِـكَ سُـرُورُ نفسِـي وَزَادَ بوصـلٍ ذَا العَجَـبُ العَجِيـبُ
فَلِـي إنْ تَسْـأَلي لَيْـلٌ طويـلٌ ويـومٌ بَعْـدَ فِرْقَتِـهِ عَصِيـبُ
وقـد ناديتُـهُ أَنْ عُـدْ سَـرِيعاً رَعَـاكَ اللَّـهُ لكـنْ لا يُجِيـبُ

فهـو يقابـل بين أحاسـيس النفس فـي الفترتيـن. ويلـحّ على ملازمـة الكآبة له بسـبب المشيب وتنمّ مخاطبة الشباب بشدّة التعلّق.

---

(1) ديوانه ص166.

(2) تُراجع أيضاً أبيات محمد بن أحمد الشاخوري في كشكول البحراني، مصدر سابق، ج2 ص175.

(3) ابـن معصـوم المدنـي، علي خـان، سـلافة العصر، مصدر سـابق، ص494 واسـتخدم الشـاعر لفظـة «النذارة» بمعنى الإنذار وهو اشتقاق غريب لإقامة الوزن الشعري.

(4) البحراني، يوسف، الكشكول، ج3 ص135.

وخاطب «إبراهيم الخليفة» بواكير الشيب، ووصف ما راود نفسه من فزع فقال[1]:

[وافر]

أَرائِعَـــةَ المَشِـــيبِ لقـــد أَرَعْـــتِ فُـــؤادِي إذْ نَعَيْـــتِ لـــي شَـــبَابِي
فَـــكُلُّ العيـــشِ أصبـــحَ مِنْـــكِ رِتْقـــاً وكلُّ العمـــرِ أضْحَـــى فـــي انتهـــابِ

وتنبض لفظة «أرعتِ» بقوة الهلع الذي اعتراه. فقد اعتبره بمثابة النعي لعهد الشباب. وجسّد البيت الثاني ما سبّبه الشيب من تكدير وقلق.

وعرض الشعراء لمدلوله، وما يرمز إليه من معانٍ. والمشيب عند «محمد الشاخوري» هو بداية النهاية يقول[2]:

[طويل]

أمَـــا قـــد بَـــدَا شَـــيْبُ العِـــذَارِ وإنَّـــهُ لَعمـــري علـــى قُـــرْبِ الرحيـــلِ دَليْـــلُ

وقد ذهب «أحمد بن حسن الدمستاني» إلى ضرورة احترام المشيب والتصرّف بما يتناسب ووقاره[3]:

[طويل]

ومـــا للفتَـــى والبِيْـــضِ والـــراحِ بَعْـــدَ مَـــا غَـــدَا شـــائباً مِنْـــهُ عِـــذَارٌ ومَفْـــرِقُ
كَفَـــى مُنْـــذِراً للمـــرءِ بالمـــوتِ شَـــيْبُهُ فَمَـــا بَعْـــدَهُ إلاّ الفَنَـــاءُ المُحَقَّـــقُ
تَـــزَوَّدْ مِـــنَ التَّقْـــوَى فإنَّـــكَ راحِـــلٌ علـــى عَجَـــلٍ والوَقْـــتُ نَـــزْرٌ مُضَيَّـــقُ

فهو يستنكر التصابي وإتيان المستقبحات لتعارضها ومعنى الشيب المؤذن بالرحيل إلى دار الحساب، وفي البيت الأخير بيّن السلوك المناسب والمطلوب لعصر المشيب[4].

ووصف «ماجد بن هاشم» تأثير المشيب وتحكّمه في توجيه سلوكه فقال[5]:

[كامل]

قـد كنـتُ أَجْمَـحُ فـي العِنَـانِ فَسَاسَـني وَالٍ يُذَلِّـــلُ مَصْعَبـــي ويَـــرُوضُ

ويجسّد فعل المشيب بالشاعر صورة الفرس الصعب الجموح الذي أُخضِع وذُلِّل.

ومن منطلق الإحساس بالفروق العميقة بين فترة الشباب وما ينعم به الإنسان من

---

(1) ديوانه ص52.
(2) شبّر، جواد، أدب الطّف، مصدر سابق، ج6 ص24.
(3) ديوان حسن الدمستاني، ص234.
(4) تنظر بقية الأبيات.
(5) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص494.

جمال وصحّة، وبين الشيخوخة وما يلازمها من عجز وأسقام قارن «يوسف البحراني» بينهما وأبرز تلك الفروق فقال[1]:

[وافر]

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَصْرَ الشَّبَابِ وشُبَّاناً بِهِ كانتْ صِحَابِي
وَأَيَّامُ الصِّبَا إذْ كُنْتُ فيها أُحَاكي البَدْرَ مِنْ بينِ السَّحَابِ
بِنُضْرَةِ نِعْمَةٍ ونعيمِ عَيْشٍ وَبأْسٍ شَادَهُ ذُلُّ الرقَابِ
بما أصبحتُ فيهِ غَدَاةَ أضحتْ نَضَارةُ رَوْنَقي مثلَ السَّرَابِ
يجولُ السَّقْمُ في جسمي مداماً ويُسْقيني الرَّدَى كاساتِ صَابِ

ففي غمار الضعف وتراكم السقام غدت أيام الشباب واحة ظليلة ترتادها النفس لتنعم ببعض الراحة والسعادة، رغم ما يسبّبه تذكّرها من أسى. وفي ذلك منتهى التعلّق والانشداد.

المجد والعلا:

ألمعنا إلى توق شعراء البحرين إلى معاني المجد والرفعة وما إليها من معان ونضيف هنا بعض تصوّراتهم وتأمّلاتهم حول بعض جوانبه. وقد مثّلت تلك المبادئ هاجساً قوياً سمت إليه النفوس وحلّقت حوله. وقد بدا «حسن الدمستاني» أبرز شاعر أرّقه هذا الحس[2].

وتتعدّد صور تبجيل المجد والثناء عليه. ويمكن تحديد الزوايا التي تناولها الدمستاني في إطاره في: العناية بتحديد نوعيته. يقول[3]:

[سريع]

المَجْدُ كلُّ المجدِ ما يُكْتَسَبْ لا المُكْتَفَى فيهِ بمحضِ النَّسَبْ
لكنَّ آبائي سَعَوا للعُلا فأدركُوا المَوْروثَ والمُكْتَسَبْ
غُذُّوا مِنَ التَّقْوَى فَشَبُّوا على مَحَبَّةِ العِلْمِ وحُسْنِ الأدَبْ
وازَّيَّنُوا بالعَدْلِ خُلْقاً فَلَمْ يفارقُوهُ في الرِّضَا والغَضَبْ

فالمجد الحقيقي في نظره هو ما يحقّقه الإنسان بنفسه. ولأهميته قدّمه على الموروث دون أن يفرغ الأخير من قيمته. ومع تبنّيه هذا الموقف حبّذ المجد القائم على

(1) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج3 ص238.
(2) يُراجع على سبيل المثال ديوانه ص88 و99 و135 و138 و144 و160 و163.
(3) المصدر نفسه، ص88.

اللونيـن معاً، والمبني على أسـاس المُثل العليا التي أرسـاها الإسـلام، واعتزّ بتمسّـك آبائه بها. وأشار إلى ضرورة تحقّق معاني المجد على وجه الحقيقة لتكتسب المصداقية فقال[1]:

[طويل]

لعمــرَكَ ليــس المجــدُ بالمــدحِ والثَّنَــا ودَعْـوَى العُـلا مـن غيـرِ بـذلٍ لمجهـودِ

ولاعتقاده بصعوبة تحقيقه نبّه طالبيه لذلك فقال[2]:

[طويل]

بُغَــاةَ العُــلا إنَّ العُــلَا صَعْبَــةُ المَرْقَــى وَمَـنْ خَـافَ مـن ضَنْـكِ البَـلاءِ فـلا يَرْقَـى

ومــن يتمنَّــى المجــدَ عفــواً فطالمــا تمنَّــى الثُّريّــا زوجــةَ الكوكــبِ الخَرْقَــا

فالشـاعر يؤكد علـى التلازم بين المجد والمشّـقة، ويعمد إلى تجسـيد معنـاه بمماثلة طالـب الرفعة بغير جهد وعنـاء بالطامع في المسـتحيل، وكنّى عن معنى الاسـتحالة بمحاولة نيل كوكب الثريا البعيد المنال. ومع إدراكه لوعورة طريق المجد ألحّ على طلبه. قال[3]:

[طويل]

خُــضِ الهَــوْلَ واقتحِــمِ الوَعْــرَا وإنْ عَـضَّ نـابُ الخَطْـبِ فـادّرِعِ الصَّبْـرَا

وحُــثَّ قُــوَاكَ الوانيــاتِ علــى السُّــرَى إلـى المجـدِ إنَّ الصُّبْـحَ مَحْمَـدَةُ المَسْـرَى

وتعبِّـر أفعـال الطلب «خض، اقتحـم، ادّرع، حُـثّ» عن حماس الشـاعر للعلياء وشـدّة توقه لتحقيقها، وفي سياق تناوله علّل صعوبة نيل المجد[4]:

[طويل]

ولــولا وقــوعُ المجــدِ فــي مركــزِ البَــلَا لَــدَاسَ ذُرَاهُ أَخْمَــصُ الحُــرِّ والعَبْــدِ

ومــا امتــازتِ الأشــرافُ فــي طَبَقاتِهَــا مِــنَ الفضــلِ إلاّ بالتفــاوتِ فــي الجَــدِّ

فالمجـد فـي منظـور الشـاعر أسـلوب لاختبـار معـادن النـاس ومقياسـاً لقدرتهـم على التحمّل، ولولا ذاك لفقد مضمونه ومعناه. وغدا لقمة سائغة لكل أجناس البشر.

هكـذا صاغ شـعراء «البحريـن» تأمّلاتهم في الحيـاة. وعبّـروا عن انطباعاتهـم ورؤاهم تجـاه أحداثهـا. وقد نمّت تلك الآراء عـن مواقفهم من صروف الزمان، كما شـفّت عن جوانب مـن شـخصياتهم ومكونات نفسـياتهم. وقـد أتت أكثـر المعاني عامة مسـتهلكة يغلـب عليها

(1) ديوانه ص135.

(2) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص138.

(3) ديوانه ص99.

(4) ديوانه ص138.

الابتـذال، وهي تكاد تخلـو من النظرة الدقيقة والرؤية المتعمقـة خاصة فيما يتعلق بمصائب الدهر.

والخلاصة: إن العصر ليس عصر ابتكار وتجديد أو فلسفة متميّزة، بل فترة تقليد ونظر فيما قاله الأسلاف وتكرار له في بعض الأحوال.

ونظـرة في الصيغ الأسـلوبية التي صيغ فيها الشـعر العقلي تظهر أنـه اتخذ ثلاث صيغ تعبيرية:

1 ـ أسـلوب الموعظة والتوجيه المباشـر: وفيه يعوّل الشـاعر على الأسـاليب الإنشائية المختلفـة لبـثّ إرشـاداته وتعليـم مـا يرمي إليـه من أخـلاق ومُثُل. وقد اتسـم هذا الأسـلوب بالوضوح المكشوف والمعنى المباشر والتقريرية البارزة.

2 ـ أسـلوب الحكمـة: وهي وإن رمت إلـى التعليم إلا أنها كثيراً مـا تأتي مغلّفة بعيدة عن المعنى المباشـر المفضـوح. وهي تقوم على تكثيف تجارب الشـاعر وخبراته باسـتخلاص العبـرة وتقديمهـا للآخرين. وعادة ما تكون أرقـى فكراً وألطف تعبيراً وأقـدر تأثيراً من الوعظ المباشر.

3 ـ أسـلوب الملاحظات: وهو يعتمد على تسـجيل انطباعات الشاعر ورؤاه إزاء قضايا الإنسان والحياة.

وبطبيعة الحال تميّزت بالبسـاطة والبُعد عن التعقيد والغرابة. وكان بعضها منتزعاً من الواقـع أو مسـتوحى مـن تجارب الشـعراء أو مـن مخزونهـم الثقافي. أمـا بعضهـا الآخر فكان عموميات وبديهيات معروفة.

الفصل الثاني

شعر الغزل

طـرق شـعراء «البحريـن» شـعر الغزل. ويمكـن لدارس هـذا الغـرض أن يميّـز الملامح التالية:

1. إن هـذا المضمـون تـوزّع بيـن مقدمـات القصائـد علـى اختـلاف موضوعاتهـا، وبيـن قصائـد خصّصهـا الشـعراء للغـزل. وقـد كان الاتجـاه الأول هـو الغالـب، لتأثـر الشـعراء بقوالـب الشـعر القديـم. هـذا بالإضافـة إلـى أن معظـم شـعراء الفتـرة هـم مـن الفقهـاء أو مـن المحافظيـن الذيـن يقـوى فـي نفوسـهم الـوازع الدينـي. ومـن ثـم يغـدو تخصيـص قصائـد فـي الغـزل الخالـص غيـر لائـق بشـخصياتهم. كمـا أن البيئـة المحافظة كانت تنظر للمرأة باعتبارها حُرْمة، ولا يجوز التعرّض لها بالقول.

   ومـن الملاحـظ أنـه في الفتـرة المتأخرة من دراسـتنا برز اتجاه خصّ فيه الشـعراء الغزل بقصائد ومقطوعات قائمة بذاتها. وقد برز ذلك الاتجاه في شعر «الوائلي».

2. إن الفـروق لا تـكاد تلحـظ فـي إطـار المضمـون بيـن المقدمـة الغزليـة أي النسـيب الاسـتهلالي والغـزل الخالـص. فكلاهمـا يتنـاول وصـف محاسـن المـرأة ومعانـاة المحبّ وما إليها.

3. بالرغـم مـن أن المقدمة الغزلية كانت تقليداً سـار عليه الشـعراء إلا أن الكثير منها حين تفرد وتنتزع من سياقها تشكّل خطرات نفسية ألـحّت على وجدان الشاعر وتسلّلت إلى مطالعـه بفعـل محـن الواقع المؤلم الذي اكتوى بناره في إطاره حياته السياسـية، خاصة في الفترات التي اشـتدّ فيها الصراع بين القوى المختلفة الطامعة في الجزر، من إيرانية وعمانية وغيرها. فجاءت بعض تلك المطالع تعبيراً عن واقع النـزوح والتشتّت وظروف فراق الأحبة ولوعة البعد. هذا مع اتساقها في الوقت ذاته مع المطلع العاطفي التقليدي. وقد تميّز هذا الضرب بالطول النسبي[1].

4. إن ثمّـة فروقـاً داخليـة بيـن المقدمـة الغزليـة لقصيـدة الرثـاء وقصيـدة المـدح. فالغالـب علـى غـزل المدائـح سـيطرة جـو البهجـة. فالشـاعر وإن عانـى مـن الحرمـان

---

(1) تُراجـع علـى سـبيل المثـال المقدّمـات الوجدانيـة التـي اختارهـا حسـين محفـوظ فـي المنتخب مـن أدب البحريـن. خاصـة أبيـات حسـين الشـاخوري ص17، وأبيـات أحمد بـن عبد الـرؤوف ص18، وأبيـات عبد المنعم بن محمد ص21، وأبيات حسن بن ماجد ص22 وأيضاً ص24 و25.

أحياناً إلا أنه سعيد بحبيبته متفائل إزاءها. ومن ثم فهو يرسم لها لوحات تفيض حسناً ودلالاً بإضفاء كل التعابير الجمالية المرغوبة عليها[1].

أما غزل المراثي وهو اجتماع غريب لتباعد الموضوعين فيتميّز بمحدودية الحجم وسيطرة مشاعر الحزن. وقد يبتعد الشاعر عن ذكر الحبيبة وأوصافها ويعتني بوصف أطلال ربوعها متحسراً بألم ولوعة على الماضي السعيد المتقضي، ومن ثم فهو أشبه بالتأملات الحكمية والتفجّع من ضربات الدهر.

5. إن أغلب ما قيل من غزل لم ينطلق من تجارب عاطفية حقيقية. وذلك بسبب محافظة البيئة وتشدّدها واستنكارها لأية علاقة بين الرجل والمرأة خارج حدود الزواج. ولذلك بدا لبعض الدارسين أن مثل هذا الغزل لا يعكس أحاسيس صادقة وعميقة[2].

إلا أن ما يجدر ذكره أن أثر الحرمان من المرأة في تلك البيئة الصارمة، وهو عنصر هام، ربما عوّض تجارب الحبّ الحقيقية. فالتعبير عن عاطفة الحب وإن لم يكن حقيقي الوقوع في حياة الشعراء إلا أن ما يغلّفها بالصدق ويجعلها بمنأى عن الافتعال في بعض الأحيان أنها تعوض بالقول عن حرمان مكبوت خفق له قلب الشاعر، فحاصره في نفسه فتحوّل إلى حقيقة داخلية يلتذ بها ويعيشها في أحلامه، ويتغنّى بها كواقع ينعم فيه بما يتمنى. فاللقاء الذي يتصوره ما هو إلا توق. والحبيب الذي ينعم بلقياه إن هو إلا طيف يزور نفس الشاعر الولْهَى[3].

ولا نعني بذلك أن كل ما قاله شعراء «البحرين» من غزل يتّسم بالصدق أو الجودة الفنية العالية. ومن الطبيعي أن يكون هناك غزل جيد عبّر فيه الشعراء عن توقهم للمرأة وحرمانهم منها. هذا إلى جانب ما قيل من شعر هابط يخلو من صدق العاطفة والمشاعر.

الاتجاهات الغزلية:

برز في شعر البحرين اتجاها الغزل العربي القديم بلونيه العذري والحسي. ووُجِدَ

---

(1) تُراجع على سبيل المثال مطالع حسن الدمستاني في مدح الإمام علي عليه السلام ديوانه ص73 و75 و78. ومطلع قصيدة إبراهيم آل نشرة عند البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص354.

(2) تقول بذلك نورية الرومي في دراستها «الحركة الشعرية في الخليج العربي» تُراجع الصفحات 114 و121 و124 و135 وغيرها. وهي تعمّم هذه الظاهرة على جلّ غزل شعراء الخليج في الفترة المدروسة. والدراسة أطروحة دكتوراه قدّمت لجامعة عين شمس. ونظراً لاتساع الموضوع، فالدراسة تبحث في شعر دول الخليج كافة وبتياريه التقليدي والتجديدي، لم تتمكّن الباحثة من إعطاء شعر «البحرين» حقّه من الدرس. وكان تركيزها في دراسة التيار التقليدي منصبّاً على شعر «الأحساء» على وجه الخصوص. واهتمت في دراستها لتيار التجديد بشعر البحرين المعاصر والمسمّى بالشعر الحر.

(3) العريض، جليل، التفجّع في شعر الشريف الرضي، أطروحة دكتوراه، حلقة ثالثة في طور النشر، ص818.

مـن الشـعراء مـن قال فـي اللونين معـاً. وقد يصـل الأمر إلـى اختـلاط معانـي الاتجاهين في القصيدة الواحدة.

الغزل العذري وملامحه:

وهو اللون الغالب، وذلك بسـبب النــزعة الدينية التي غلبت على الشـعراء، فتحرّجوا بالتالـي مـن نظـم الغـزل الفاضـح. كمـا أن محافظـة البيئة ومـا أحيطت بـه المرأة مـن نظرة اجتماعية صارمة ربما جعلها ترفض كل ما يمس الأخلاق أو يخدش الشعور.

وتتجلى أهم ملامح الغزل العذري فيما يلي:

1 ـ الاقتصـار على حبيبة واحدة وتربّعها على القلـب دون منازع. يقول «عبد اللّه بن حسين»:

[طويل]

قَصَــرْتُ عليهــا مَحْــضَ وِدّي فلــم يكــنْ سِـوَاهَا لَـهُ فـي القلـبِ رَبْـعٌ ولا مَغْنَـى[1]

كما أن التوجه العذري جعل «إبراهيم آل نشـرة» يتمسّك بصاحبته مهما كلّفه هجرها وصدودها. يقول:

[كامل]

لــو ذُقْــتُ طَعْــمَ الصَّــابِ مِــنْ هِجْرَانِــهِ لا والــذي فَلَــقَ النَّــوَى مــا مِلْــتُ عَــنْ[2]

وحملت تلك المعاني الشـعراء على التصريح بوفائهم. يقـول «الوائلي»[3] مؤكداً على التزامه بالإخلاص:

[كامل]

يــا هنــدُ إنْ حَكَــمَ الزَّمــانُ ببعدِنَــا فثقــي بــأنَّ العَهْــدَ لَــنْ يَتَغَيَّــرَا

2. تجسـيد المعانـاة: وهـي ناحيـة اهتـمّ الشـعراء بوصفهـا وتصويرهـا بشـتى الصيـغ والتعابير. ولعل السـبب الذي فجّر الألم وأطلق الألسـنة الفراق الحقيقـي للأحبّة. وقد وصف شعراء البحرين جلّ أطوار الرحيل وخطواته.

يقول «محمد بن أحمد العصفور» مصوِّراً اللحظات الأخيرة قبل وقوع الفراق[4]:

---

(1) ابـن معصـوم المدنـي، علـي خـان، سـلافة العصـر، مصـدر سـابق، ص521 ووردت لفظـة «مغنـى» بالعيـن المهملة وربّما كان الصواب إعجامها.

(2) البـلادي، حسـين بن علي، رياض المـدح والرثاء، مصدر سـابق، ص354. وحذف الشـاعر الضمير المتصل في (عنه) لمناسبة الوزن والقافية.

(3) ديوانه ص48.

(4) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص217.

[طويل]

قِفُوا قبل وَشْكِ البَيْنِ يبعدُكُمْ عَنَّا نودِّعُكُم فالقلبُ مِنْ أجلِكُمْ مُضْنَى
قِفُوا نَسْكبُ الدمعَ المَصُونَ صَبَابَةً على صَبْوَةٍ نِلْنَا بها الأَرَبَ الأَهْنَى
هَلُمُّوا إلى العَهْدِ الذي كان بيننا قديماً فإنْ حِلْتُم فَوَاللَّهِ ما حِلْنَا

فشدّة التأثّر والمعاناة في تلك اللحظات الحاسمة في حياته جعلته يدعو أحبته إلى الوقوف للوداع ساكباً عواطفه المتأجّجة في تلك الدعوة، واصفاً تأثير الرحيل على نفسه.

ووصف «لطف اللّه بن عليّ» لحظة الفراق وصوّر قسوتها على نفسه فقال[1]:

[بسيط]

للَّهِ وقفةُ تَوْديعٍ ذُهِلْتُ لَهَا بِمَعْرَكِ البَيْنِ بينَ البَانَ والأَثَلِ
والحيُّ قد قَوَّضُوا للظعنِ وانتدبوا لِوَشْكِ بَيْنٍ وشُدَّتْ أَرْحُلُ الإِبِلِ
والوجدُ قد كادَ أن يقضي هناكَ على قُلُوبِ أهلِ الهَوَى مِنْ شدَّةِ الوَهَلِ
فبينَ بَاكٍ ومَلْهوفٍ وذي شَجَنٍ بَادِي الكآبةِ في توديعِ مُرْتَحِلِ
وربَّ فاتنةِ الألحاظِ ما نَظَرَتْ إلا لتقتُلني بالأَعْيُنِ النُّجُلِ
أَوْمَتْ إليَّ وقد جَدَّ الرحيلُ بها والرَّوعُ يخلطُ منها الدمعُ بالكُحُلِ

وتتضح استغاثة الشاعر بربّه بقسوة الموقف النفسي وصعوبة احتماله. فلحظة الفراق أصابته بالذهول. وقد خيّل إليه أنه في ميدان قتال يعارك الفراق. واعتنى بتصوير أجزاء الموقف بجانبيه الخارجي والداخلي. وليومئ إلى شدة تأثيره، وصف أحوال بقيّة المودعين وتصاعد انفعالهم حتى خشي أن يقضى عليهم.

ووصف «جعفر الخطّي» ما اعترى نفسه ونفوس المودّعين إثر اللحظات الأولى لوقوع الفراق فقال[2]:

[كامل]

رَحَلُوا وآراءُ البُكاةِ وراءهُمْ شَتَّى فَسَافِحُ عَبْرَةٍ ومُغَيِّضُ
أتبعتُهُمْ نَفَساً ودَمْعاً نارُ ذا تشوي الرياضَ وماءُ ذَاكَ تَرَوَّضُ
لي بالعقيقِ ـ سَقَى العقيقَ ـ حُشَاشَةٌ طَاحَتْ وَرَاءَ الرَّكْبِ سَاعَةَ قَوَّضُوا

(1) محفوظ، حسين، المنتخب، مصدر سابق، ص25؛ وشبّر، جواد، أدب الطّف، مصدر سابق، ج5 ص360.
(2) ديوانه ص71. تُراجع الأبيات من 1 – 9 وفيها تصوير حيّ للحظات الوداع. وقد أوردها الأمين، محسن، في أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج4 ص159 و168 مع اختلاف يسير في الرواية. وقد أخذنا بما اعتقدناه الأقرب للصحة.

لـــم تلـــوِ رَاجِعـــةً ولـــم تلحَـــقْ بِهِـــمْ حَتَّـــى وَهَـــتْ مِمَّـــا تطيـــحُ وتنهـــضُ
ردُّوهُ أحيـــــى بِـــــردِّهِ أو فَالحقُـــــوا كُلِّـــــي بِـــــهِ فالـــــكلُّ لا يَتَبَعَّـــــضُ

ولاندماج الشاعر بجميع حواسه في الموقف وتأثّره به رسم مشهداً كاملاً له فصنّف المودّعين إلى صنفين، وعني بوصف تأثير الوداع على نفسه. فصوّر ما أصاب حشاشته وهي بقية الروح في المريض ـ من وهن وضعف، ومع سماجة بعض الصور ـ النَّفَس يشوي الرياض ـ نمّ المشهد عن حالة الوجد التي عاناها الشاعر.

لقد وقف الشعراء طويلاً أمام لحظات الفراق. وقد ألمعنا إلى أن تلك المواقف ليست مجرد احتذاء بالأقدمين وحسب، بل كانت صدى لواقع الهجرة. فهي تجارب عاطفية خاضوها فانعكست في شعرهم، واتخذوا من المرأة والفنّ الغزلي أسلوباً للتعبير عنها. فالمرأة رمز الأحبّة المغادرين، والهيام بها وإن كان تعبيراً عن مشاعر الحب والتعلّق، إلا أن الإلحاح الشديد على وصف مشاهد الوداع ربما كان رمزاً وإشارة لمبارحة أقارب الشاعر وذوي ودّه الذين جرح فؤاده بعادهم. ولعلّ أبيات «حسين الشاخوري» التالية تكشف ذلك المعنى. يقول[1]:

[طويل]

سَـرَى الظَّعْـنُ مِـنْ قبـلِ الـوداعِ بأهلينـا فهـلْ بَعْـدَ هَـذا اليـومَ يُرْجَـى تلاقينـا
أيـا حـاديَ العِيْـسِ المُجِـدّ برحلِـهِ رويـداً ـ رَعَـاكَ اللَّـهُ ـ لِـم لا تُراعينَـا
عَسَـى وقفـةٌ تُشـفي غليـلَ صُدُورِنَـا ونقضـي قُبَيْـلَ المَـوْتِ بعـضَ أمانينَـا
لعمـرِكَ مـا أبقَـى لنـا الشـوقُ مُهْجَـةً ولا بعـدَ هَـذَا اليـومَ يُرْجَـى تَسَـلِّينَا
أيـا جيـرةً مـن بَعْـدِ شِـقّةِ بُعْدِهِـمْ تَكَـدَّرَ صافينـا وخَـابَ الرَّجَـا فِينَـا

وتستغرق المقدّمة خمسة عشر بيتاً يبكي فيها الشاعر ويتحسّر بلهفة ووجد، ويخاطب حادي العيس مستعطفاً إيّاه، ساكباً في صيغه وتعابيره مشاعره الزاخرة باللوعة. وربما كانت لفظتا «بأهلينا» و«أيا جيرة» تحدّدان هويّة القوم الذين أنهك الشاعر بعدهم وأثاره فراقهم.

وإذا كانت المرأة قد غدت في شعر الشعراء المقيمين في الوطن رمزاً للأحبّة المغادرين فإننا لا نستبعد تحوّلها بالمقابل في شعر أولئك النازحين إلى رمز للوطن والأهل الذين غدوا في ضمير الشاعر ذكرى تلهب النفس وتثير الوجدان. على أن جهلنا بالمكان الذي نظمت فيه جلّ القصائد يفوّت علينا معرفة ذلك بدقة.

لقد كان فراق الأحبّة حقيقة مُرَّة في حياة الشعراء. وقد ولّد ذلك الألم والشجى في

(1) المجموعة (1) ص61، والتاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 262، ومحفوظ، حسين، المنتخب، مصدر سابق، ص17، وشبّر، جواد، أدب الطّف، مصدر سابق، ج5 ص35.

نفوسهم. ولو تتبعنا ما قالوه في وصف لواعجهم وولههم لطال بنا الأمر. وما يجدر ذكره أن البكاء على فراق الأحبّة في إطاريه الحقيقي والتقليدي قد امتزجا وذابا في بعضهما خلال المقدمة الوجدانية، حتى يتعذّر أحياناً إدراك أيهما الواقعي وأيهما التقليدي. وربّما كانت الوسيلة الوحيدة للتفريق بينهما صدق العاطفة.

لقد زخر شعر البحرين الوجداني بوصف هموم النفس الناجمة عن فراق الأحبة. ويمكن أن نميّز بين لونين من حيث درجة التهاب العاطفة أو هدوئها.

أ ـ العاطفة المضطرمة التي أوقد حرّها الوجد وبرّحها الفراق فهي تكاد تشتعل كقول «عبد النبي بن مانع»[1]:

[طويل]

صَبْري على حُكْمِ الهَوَى وتَجَمُّلِي ... وتَحَمُّلِي منه الأَسَى لم يَجْمُلِ
مَا للْهَوَى ولمُغْرَمٍ ذي مُهْجَةٍ ... صِيبَتْ لعظمِ مُصَابِهِ بِتَجَلُّلِ
وحُشَاشَةٍ مَسْجُورةٍ وجَوانِحٍ ... منهَا وفيهَا كُلُّ وَجْدٍ تَصْطَلِي
ومدامع تجري على وجناتِهِ ... كالبَحْرِ أو كالغَيْثِ أو كالجَدْوَلِ
صَبٌّ يبيتُ مع السُّهَّادِ مُعَانِقاً ... كَمَداً وعن طِيْبِ الرُّقَادِ بمعزِلِ
يَرْعَى النجومَ كأنَّما أحداقُهُ ... ضَمِنَتْ برصدِ الجَدْيِ بَعْدَ الأعْزَلِ
رَيَّانُ مِنْ كَأْسِ المُصَابِ وبَالُهُ ... أَوْدَتْهُ أوْصَابُ الضَّنَى بِتَبَلْبُلِ

فتعابير الشاعر وصيغه وتتابع صوره تعبير عن حالة الاستلاب وشدّة المحنة والمعاناة. فهي أشبه بالصرخة التي أطلقتها نفس والهة سعّرها الألم وهدّها الأسى والوجد.

ب ـ عاطفة الحزن الشفيف: ونقصد ما يشيع في أقوال الشعراء من حزن صادق ولكنه هادئ كقول «إبراهيم الخليفة»[2]:

[كامل]

فَوَحَقِّكُمْ مُذْ غِبْتُ عنكم لم يَزَلْ ... مِنِّي الفُؤادُ عليكُمُ يتقطَّعُ
فالليلُ بالأشْوَاقِ يمضي والأسَى ... وبياضُ يَوْمِي كُلُّهُ أتوجَّعُ
مَلَكَ الغَرامُ حُشَاشَتي فيكُمْ فَلَا ... عَذْلُ العُذُولِ ولا مَلَامٌ ينجَعُ
هُتِكَتْ سُتُورُ تَصَبُّري عنكم ولي ... صَبْرٌ عليكم شَمْلُهُ مُتَجَمِّعُ

(1) محفوظ، حسين، المنتخب، مصدر سابق، ص27. والتاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(2) ديوانه ص49.

إنّـــي لأَعْجَـــبُ كيـــفَ بَعْـــدَ فِرَاقِكُـــمْ رُوحِـــي بِصُحْبَـــةِ جِسْـــمِهَا تتمتَّـــعُ

فالشـاعر قال قصيدتـه وهو بعيد عـن وطنه وقد أكسـبت لوعة الفـراق الأبيات صدقاً وتدفّقاً عاطفياً هادئاً[1].

وصوّر الشعراء أثر اللواعج النفسية وانعكاسها على الحالة الجسمية فقال «الوائلي»[2]:

[مجزوء الرمل]

حَـــالَ مِـــنْ بُعْـــدِكِ نَـوْمِـــي صِـــرْتُ لا أَهْـــوَى الرقَـــادَا
لا أسِـــيغُ المـــاءَ فـــي شـــربي ولا أُطْـعِـــمُ زَادَا
أمضـــغُ الأكـــلَ ولكـــنْ لا أَرَى فـــيهِ مُـــرَادَا

وإذا كنّا لمسـنا صدق المشـاعر وقوّتها في أشـعار كثيـرة فإننا نظفر بكثير من الشـعر الفاتر العاطفة الفاقد للحياة. كقول «ناصر بن علي بن نشرة» في وصف معاناته للحب[3]:

[بسيط]

فالـروحُ فـي عَطَـبٍ والقَلْـبُ فـي وَصَـبٍ والجِسْـمُ فـي تَعَـبٍ والعَقْـلُ فـي خَطَـلِ
والفِكْـرُ فـي قَلَـقٍ والعَيـنُ فـي أَرَقٍ والجفـنُ فـي هَـرَقٍ والدمـعُ فـي رُسُـلِي

فخفوت العاطفة وحرص الشاعر على الزخارف الشكلية وسمها بالتكلّف والزيف.

3. الأطلال وآثارها النفسـية: كان لرسـوم المغادرين وأطلالهم صداه في إثارة الأشجان والبـكاء عليهـا وهـو وإن كان في أساسـه احتـذاء بالأقدمين إلا أنـه غدا في شـعر العديد من الشـعراء حقيقـة واقعة بسـبب هجرة الكثيـر مـن البحرانيين بسـبب تتابع الغـزو. ومما قاله «لطـف اللّه بـن علي» في وصف مـا أصاب ربوع حبيبتـه من بلى وما أيقظته في نفسـه من ذكريات عزيزة ومؤلمة[4]:

[بسيط]

رَبْـــعٌ لِلَيْـــلايَ قـــد أقْـــوَتْ معالـــمُهُ وَرَاعَـــهُ البَيْـــنُ بعـــدَ الحَلْـــيِ بالعَطَـــلِ
أَغْـــرَى بـــه الدهـــرُ عـــن لُـــؤْمٍ نَوَازِلُـــهُ فَعَـــادَ خُلْـــواً مـــن النُّـــزَّالِ والنُّـــزُلِ
وكانَ بالحـــيِّ مأهـــولاً يطيـــبُ بِـــهِ مَـــرُّ النســـائِمِ بالأبـــكارِ والأُصُـــلِ
لقـــد تذكَّـــرْتُ والذِّكْـــرَى تُؤَرِّقُنِـــي مـــا مَـــرَّ لـــي فِيـــكَ مـــن أيّامِـــيَ الأُوَلِ

(1) تُراجع أيضاً أبيات حسين العصفور الرائية (كامل) في مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 270.
(2) ديوانه ص112.
(3) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 963.
(4) محفوظ، حسين، المنتخب، مصدر سابق، ص25.

كـم مَـرَّ لـي فيـكَ دَهْـرٌ قـد حَـلا وخَـلَا ظفـرتُ مِنْـهُ بِمَـا أَوْفَـى علـى الأَمَـلِ
فَحبَّـذَا غُـرَّ أيّامِـي التـي سَـلَفَتْ وليتهـا لـم تكـنْ ولَّـت علـى عَجَـلِ

فأسـى الشـاعر ووجده صبغـا لهجته بالحسـرة، ولتأثّـره راح يقابل بين حالـة الربع في الحاضـر والماضي، ويصوّر خلال ذلك ما أثاره في نفسـه من ذكريات مزدوجة، وترشـح صيغة الثناء «حبّذا» بانشداده لذلك الماضي وتوقه إليه.

قابل الحالة السـابقة المتولّدة عن الطلل والتي امتزج فيها الألم بالسعادة حالة أخرى. استسـلم فيها الشـاعر لعاطفة الحزن الغامرة. فسـيطرت عليه، مضفية على الأبيـات جواً كئيباً قاتماً. يقول «عبد المنعم بن محمد»[1]:

[طويل]

وَقَفْـتُ بِعُـوجِ اليَعْمُـلاتِ اللواغِـبِ مُعَنَّـى علـى أرجـاءِ تلـكَ الملاعِـبِ
وَقَفْـتُ ولـي لُـبٌّ مـن الوَجْـدِ ذَاهِـبٌ ونَيّـرُ رأيـي فـي دُجَـى الغَـمِّ غَـاربِ
وقـد لَعِبَـتْ أيـدي الصبابـةِ بالحشَـى كمـا لَعِبَـتْ بالغُصْـنِ أيـدي الجَنَائِـبِ
يُجَـاذِبُ حِلْمِـي فـرطُ شـوقي فينثنِـي لـه مقـودٌ سَـهْلٌ بأيـدي الجـواذِبِ
أُحَـاوِلُ كِتْمَـانَ الهَـوَى وهـو بَيِّـنٌ وأطلـبُ إخفـاءَ الأسَـى وهـو غالبـي
لِـيَ اللَّـهُ إذْ أرسـلتُ طرفِـيَ رائـداً بهـا فانثنـى يُبـدِي شـكايةَ خَائِـبِ

فوقوف الشـاعر على ديار أحبّته الخالية فجّر في نفسـه أسـى غامـراً. فتضعضع وعجز عـن تخطّـي حـدوده، وعمـد إلـى تجسـيد العناصـر المعنويـة لتعينـه علـى تصوير مشـاعره، ولسيطرة مشاعر الحزن لم يستطع حتى تذكّر ماضيه كما فعل الشاعر السابق، ومن الطبيعي اختلاف الاستجابة بين الأفراد.

ويتـراءى أن الشـاعر لـو لم يكـن عـاش تجربة الفـراق لحسـبناه يغالي فـي وصف أثر الطلل.

ولتعلّق الشـاعر بآثار الأحبّة دعوا لها بالسـقيا والتنعّم بمظاهر الارتواء ـ شأن الأقدمين ـ لتستمر الحياة سارية في جنباتها. يقول «علي بن محمد الصالحي»[2]:

[كامل]

رَبْـعَ الحَبيـبِ غَشَّـاكَ مُعْتَـلُّ الصَّبَـا وسَـقَى الحَيَـا مِنْـكَ المعاهِـدَ والرُّبَـى
وكسـتكَ أزْهَـارُ الربيـعِ مَدَارِعـاً خُضْـراً بهـا خُضْـرُ العَقيـقِ تَشَـرَّبا

(1) محفوظ، حسين، المنتخب، مصدر سابق، ص21.
(2) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

وتأرَّجَـــتْ مِسْـــكاً بِقَاعُـــكَ إذْ غـــدَتْ للخُـــرَّدِ البِيْـــضِ الكواعِـــبِ مَلْعَبَـــا

ومـع تقليديـة المعاني فربّمـا كان لهـا دلالتها على واقع الشـاعر والكشـف عن رغبته بعودة الحياة للديار المقفرة برجوع أهلها من ذوي ودّه.

4. الامتزاج بعناصر الطبيعة: من منطلق التأثر بالقديم أسـقط الشعراء عواطفهم على عناصـر الطبيعـة كوسـيلة لتجسـيد تجاوبهـا ومشـاركتها، وللتعبيـر عمـا يخالـج نفوسـهم من أحاسيس شتى.

وتتعـدد العناصـر الطبيعية التـي خلعوا مشـاعرهم عليهـا. وتأتي الطيـور كأهم عنصر تفاعلوا معه.

ويعقـد «علوي بـن إسـماعيل» مقارنـة بيـن حالتـه وحالـة طائـر القمـريّ فـي موقف وجداني، توسّل فيه بالحوار غير المباشر لتجسيد حالته. يقول[1]:

[وافر]

أَشِـــيمُ البـــرقَ وهـــو عَلَـــيَّ شُـــومُ ويُثنينـــي لَـــهُ الشَّـــغَفُ القَدِيـــمُ
وأَصبِـــرُ للهَـــوَى العـــذريِّ مـــا أنْ شَـــدَا القمـــريُّ أو هَـــبَّ النســـيمُ
رَعَـــاكَ اللَّـــهُ يـــا قمـــريَّ نَجْـــدٍ تنـــوحُ فـــلا تَنَـــامُ ولا تُنِيـــمُ
زَعمْـــتَ بـــأنَّ وَجْـــدَكَ فـــوقَ وَجْـــدِي وذَاكَ لأنَّنِـــي صَـــبٌّ كَتُـــومُ
أُعَـــرِّضُ إنْ بَكَيْـــتُ بذكـــرِ حَـــزْوَى ولا حَـــزْوَى عَنيـــتُ ولا الغَمِيـــمُ

فالشـاعر يتخيّل المحاورة مع القمريّ للإعراب عن وجده ووفور حظّه من الحزن. وهو يصـرّح فـي البيت الأخير بأن ما يقوله إن هو إلا تكنية ورمـزاً. ولعله قصد حبّ الأهل والوطن أو غير ذلك[2].

ناجى «الوائلي» البدر وجعله عنصراً فاعلاً في علاقته بحبيبته، ومما قاله[3]:

[رمل]

طَلَـــعَ البَـــدْرُ عَلَيْنَـــا وسَـــمَا يـــا رَعَـــاكَ اللَّـــهُ يـــا بَـــدْرَ السَّـــمَا
ليـــتَ لـــي مَسْـــرَاكَ فـــي جُنْـــحِ الدُّجَـــى لأَرَى مَـــرْآكَ فـــي ذَاكَ الحِمَـــى
أيُّهَـــا البَـــدْرُ إذَا أسْـــطَعْتَ فَقُـــلْ يـــا فَتَـــاةَ الحَـــيِّ عـــن حَالـــي أَمَـــا؟

ويتمثّل الدور الفاعل للبدر في تكليف الشاعر له لنقل عتابه لأحبّتـه.

---

(1) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص520.

(2) لحسـين الشـاخوري لوحـة عاطفية صاغها على شـكل محـاورة بينـه وبين حمامـة تُراجع فـي مجموعة (1) ص61 الأبيات من 8 ـ 12.

(3) ديوانه ص111.

5. استعطاف الحبيب: درج الشعراء ـ شأنهم شأن العذريين القدامى على استعطاف الحبيبة والتوسّل إليها بسبب صدودها وكثرة تمنّعها. يقول «علي الصالحي»[1]:

[كامل]

مَـا كَانَ قَلْبِـي منـكِ يـا سَـلْمَى سَـلِي إنْ كُنْـتِ مِمَّـا قلـتُ فـي شَـكٍّ سَـلِي
لَـمْ تصبَحِـي حَتَّـى عَدَلْـتِ عـن الوفـا بالعَهْـدِ لـي ونَسـيتِ عهـدَكِ أمْـسِ لـي
وبَعـدْتِ لَمَّـا أنْ قربـتُ تَطَـوُّلاً وعـزتِ لَمَّـا طَـالَ فيـكِ تذلُّلِـي
عَطْفـاً عَلَـيَّ بـزورةٍ أُطْفِـي بهـا نَـارَ الغـرامِ وكُلَّمَـا شـئتِ افعلـي

فحبّ الشاعر وتعلّقه حدا به إلى معاتبة الحبيبة ومقارنة موقفه مع موقفها، والتمس منها الزيارة ليطفي نار حبّه. وأدّى حرصه على استخدام الحلي اللفظية إلى التكلّف وضمور العاطفة.

وقد استعطف «حسن الدمستاني» ورقّ وهو يلتمس وصل الحبيب ورضاه. يقول[2]:

[طويل]

فَهَـلْ نظـرةٌ تُشـفِي الفُـؤادَ أَحِبَّتـي وإنْ لـم تكـنْ بالفِعْـلِ أكتـفِ بالوَعْـدِ
وإنْ لـم تجـودوا لـي بِوَعْـدٍ فإنَّنِـي أجُـودُ بأسْـنَى مـا يُحِيْـطُ بـه وَجْـدِي
وإنْ شـئتُمُ جُـودِي بنفسـي أجُـدْ بهـا وذلـك مـن أَسْـنَى مَوَاهِبِكُـم عنـدي

فالمعاني تعذب والشاعر يسعد من أحبّته بالوعد وإن لم يتحقّق. وفي ذلك سموٌّ عاطفي ونبل.

وقد وصل صدق عواطف الشعراء وقوة تشبّثهم أن تذلّل «الوائلي» لصاحبته وأجلّها فقال[3]:

[طويل]

يُمَثِّـلُ مَـنْ أَهْـوَى خيالـي لِمُقْلَتـي فأعطـفُ رأسـي فـي خُضُـوعٍ وإجْـلالِ
وإنْ هَـبَّ شَـرْقيُّ النسـيمِ وجدتنـي أُصافِحُـهُ مُسْتَنْشِـقاً نَشْـرَهُ الغالـي
بقَلْبِـي ومـا قَلبـي عَلَـيَّ بهيِّـنٍ زمـانٌ مَضَـى لـم يسـتقرّ عَلَـى حَـالِ

ويمثّل إحناء الرأس إجلالاً وتذلّلاً للطيف، ثم مصافحة عطره بالقلب أصفى المشاعر وأرقّها. وينمّ استعطاف الحبيب واسترضاؤه والتذلّل إليه عن معاني الحرمان، وهي من أبرز مظاهر الغزل العذري.

---

(1) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.
(2) ديوانه ص141
(3) ديوانه ص68.

الغزل الحسّي:

ويتميّز بابتعاده عن روح الغزل الفاضح. ويرد بحجم أقل من العذري، وتتجلّى أبرز مظاهره في:

- **وصف الجمال المادي للمرأة:** وقد تناول فيه الشعراء النواحي الجسدية للمرأة، مكرّرين ما قاله القدماء، مسبغين على حبيباتهم أعلى الصفات الجمالية. يقول «عبد الحسين بن محمد الكاتب» في وصف جمال حبيبته وما له من تأثير عليه[1]:

[كامل]

وَبِحُسنِهَا سَلْمَى لقلبِكَ أشغَلَتْ ... لَمَّا بَدَتْ كالبَدْرِ في أُفْقِ السَّمَا
والدُّرُّ شاقَكَ في الثُّغُورِ مُنَثَّراً ... أم في العُقُودِ لَدَى النُّحُورِ مُنظَّمَا
وبسِحْرِهَا نُجْلُ العيونِ وغُدْرِهَا ... تركَتْ وِثَاقَكَ في الصبابةِ مُحْكَمَا
والوردُ خَدّاً حينَ تنظرُ والقَنَا ... قَدّاً سَبَاكَ الحُلْمَ كلٌّ مِنْهُمَا
والليلةُ الظلماءُ جَنَّكَ جُنْحَهَا ... شَعْراً ترجَّلَ لِلْخَلاخِلِ أَفْحَمَا

فهو يجمل محاسنها في البيت الأول بمماثلتها بالبدر، ثم يأخذ في تفصيل أجزاء جمالها بعد ذلك.

ولإعجاب الشعراء بحبيباتهم وضعوهنّ في الذروة العليا من الجمال. وتصوروهنّ من جنس آخر غير البشر. يخاطب «الوائلي» حبيبته مندهشاً من عظم جمالها فيقول[2]:

[بسيط]

إنْسِيَّةٌ أنتِ أم للحُورِ مِنْ أَثَرٍ ... في الأرضِ فالنُّورُ أَعْشَانَا وأَغْرَاكِ
رأيتُ فيكِ صفاتِ الحُسْنِ أَجْمَعَهَا ... وَهَالَنِي نُورُ بَدْرٍ في مُحَيَّاكِ
الشَّهْدُ في فِيْكِ والسُّكَّرُ الحَلَالُ مَعاً ... والبرقُ يُومِضُ مِنْ صافي ثَنَايَاكِ

فاكتمال حسنها وشغفه بها جعله غير واثق من حقيقتها أهي من البشر أم من الملائكة؟

فتن الشعراء بجمال العيون، فعنوا بوصفها ورسم مشاهد لها. فـ«علوي بن إسماعيل» يجعلها ناعسة، مكحولة من غير كحل[3]:

---

(1) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(2) ديوانه ص116.

(3) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص519 والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص95.

[متقارب]

سـقيمُ اللحـواظِ مكحولُـهُ ولـم يعـرفِ الكُحْـلَ والإثْمِـدَا

ووصف «عليّ بن محمد الصالحي» فتنة عينيها فقال[1]:

[كامل]

مِـنْ كلِّ سَـاحِرَةِ العُيُـونِ كأنَّمَـا فـي طَرْفِهَـا للسِّـحْرِ طِلَّسـمٌ تلـي

أو أنّ فـي أَلْحَاظِهَـا سَـهْماً مَتَـى أوْمَـتْ بِـهِ لـم يخـطَ عُضْـوَ المقتـلِ

وحاول: «عبد الرؤوف بن الحسين» أن يعلّل قوة أسر عينيها وفتكهما فقال[2]:

[بسيط]

أظـنُ هـاروتَ كُلَّ السـحرِ عَلَّمَـهُ مَـا قابَـلَ الأُسْـدَ إلاّ فَـازَ بالظَّفَـرِ

أو أنّـه كانَ تلميـذاً لـه فَطَغَـى علـى الـوَرَى إذْ أَعَانَتْـهُ يَـدُ القَـدَرِ

فقـد ذهب ظنّـه إلـى أن عينيها تعلّمتا السحر من هـاروت ـ وهو مـن الملائكة ذوي العلاقة بالسحر[3]، لتعدّي أثرهما إلى أقوى الرجال.

عرضـوا لوصـف زينـة المـرأة. فذكروا مـا كانت تتحلّـى به من حلـيّ وملابـس وغيرها. يقول «جعفر الخطّي»:

[طويل]

بَسَـمْنَ فَأسْـبَلْنَ العُقُـودَ فَقَابَلَـتْ عُقُـودُ ثناياهـا العِـذَابَ عُقُـودَا

وحَلَّيْـنَ بالـوردِ الخُـدُودَ وإنَّمَـا وَلَعْـنَ بـأنْ تَلْقَـى الـورودُ وُرُودَا

وغَشَّـيْنَ بالوَشْـيِ الجُسُـومَ وإنَّمَـا سَـدَلْنَ علـى ذَوْبِ النُّضَـارِ بُـرُودَا

فالشـاعر يذكر عدداً من أدوات الزينة ويعقد لوناً مـن المزاوجة بينها كعناصر صناعية ومـا يقابلها من أجزاء طبيعية. فالعقود التـي زيّنت النحور تقابل ثنايا الفم المنظومة، وحمرة ورد الخـدود ـ وربّما عنى بها ما زيّنت به من صبغـة تجميلية تناظر الأزهار الطبيعية، كما أن الملابس الموشّـاة التي غطّت الجسـوم هي برود أسـدلت على ذائب الذهب الخالص كتكنية عـن الأجسـاد[4]. ووصـف «الوائلـي» مظاهـر الزينـة المحيطـة بالحبيبة وصفـاً عابقـاً بالترف والنعيم. فقال[5]:

---

(1) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(2) المصدر نفسه.

(3) ورد ذكره في سورة البقرة: 102.

(4) ديوانه ص41 وينظر أيضاً ص81 البيت الرابع عشر.

(5) ديوانه ص108.

[مجزوء الكامل]

وتمثَّلَـــــتْ لـــــي وهـــــي تخطِـــــرُ فـــــي الدِّمَقْـــــسِ وفـــــي النعيـــــمِ
جَـــــالَ الوِشَـــــاحُ بِخَصْرِهَـــــا مُتنقِّـــــــــــلاً لا يســـــــــــتقيمِ
البـــــــرقُ فـــــــي حَافَاتِـــــــهِ شُـــــعُلاً مـــــن الحَجَـــــرِ الكريـــــمِ
وَزَهَـــــا النُّضَـــــارُ علـــــى النِّطَـــــا قِ بذلـــــكَ الخَصْـــــرِ الهَضيـــــمِ
وتحيَّـــــــــرَ الخلخـــــــــالُ حـــــــــتَّى كَادَ أنْ يُضْحِـــــي فَصِيـــــمِ

وعنى الشعراء بوصف عطر المرأة وعبق رائحتها. يصف «جعفر الخطي» فوح عبيرها مشيراً إلى قدمه فيقول[1]:

[خفيف]

وإذَا اســـتقبلتْكَ أَجْدَتْـــكَ عطـــراً سَـــاطِعاً نَشْـــرُهُ ومِسْـــكاً ســـحيقَا
فِطْـــرَةٌ لا لِخَلْـــطِ طِيْـــبٍ وإنْ لـــم تخـــلُ منـــهُ وخِلْقَـــةٌ لا خُلُوقَـــا

وقد قصر الشاعر انتشار طيبها على موقف الإقبال، وجعله صفة طبيعية في خلقتها. ولعلّه حين أحسّ بالمبالغة أشار إلى أنها لا تخلو منه. ووصف «الوائلي» تميّز عطر صاحبته[2] فقال:

[طويل]

وإنْ أَنْـــسَ لا أنْسَـــى الـــدَّلالَ ومَوْقِفـــاً لَنَـــا وشَـــذَا رَيَّـــاكِ يهـــزأُ بالنِّـــدِّ

ويتمثّل تفرّده في تفوّق طيبه على رائحة الندّ.

ونتيجة لكون أغلب الشعراء من الشخصيات المرموقة والتي تعتبر نفسها أصلب وأقدر على المقاومة من غيرها، فقد اعتبرت افتتانها بالمرأة من قبيل تأثّر الأُسود بالجمال. يقول «حسين بن محمد العصفور»[3]:

[طويل]

مـــا كنـــتُ أَحْسَـــبُ قبـــلَ فَتْـــكِ لِحَاظِهَـــا أنَّ اللواحِـــــظَ للضَّراغِـــــمِ تأسِـــــرُ

ومن منطلق الإحساس بفتنة المرأة والتأثّر بالنظرة المحافظة، والممزوجة بالاستعطاف وربّما الغيرة، طلب «عبد الرؤوف بن الحسين» من صاحبته أن تتوارَى وتبرقع محاسنها[4]:

---

(1) الديوان ص82.
(2) ديوانه ص176.
(3) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 270.
(4) المصدر نفسه.

[بسيط]

مُنِّــي وجُــودِي علــى العُشَّــاقِ كُلّهُــمُ وبرقعيــه لخــوفٍ مــن لَظَــى سَــقَرِ
وخَمِّــرِي جُلَّنَــارَ الخَــدِّ واحتفظِــي الياقــوتَ والــدُّرَّ وارخيــهِ علــى القَمَــرِ
لتســتريحَ قُلُــوبُ العاشــقينَ مــن الـ نُّبْــلِ الــذي زُفَّ مِــنْ قَــوْسٍ بِــلَا وَتَــرِ
لُمِّــي عَلَــى خَصْــرِكِ الأكمــامَ إنَّ لَــهُ بالــرِّدْفِ شُــغْلاً أَرَانَــا المَــوْتَ فاعتَبِــري
رَاعِــي الضَّعِيــفَ تَــرَى أجْــراً ومكرمــةً وراقبــي وعلــى مــا قلــتُ فاقْتَصِــرِي

وتتداخل في الأبيات معاني الغزل المختلفة وتسيطر عليها نزعة دينية. فالشاعر يستعطف صاحبته في حجب جمالها رحمة بالعشّاق، وحماية لهم من النار، وترغيباً لها في الثواب.

ملامح اللقاء: عرض الشعراء للقاء الذي يمثّل ساعات الوصل والهناء عند المحبيّن وبأسلوب لا يختلف عن الأقدمين.

وتتشكل أهمّ ملامحه في:

أ ـ أنّه عابر وقصير. يقول «عبد الرضا بن عبد الصمد»[1]:

[رمل]

لَيْلَــــةٌ كانَــــتْ كإبــــهَامِ القَطَــــا أو كَرَجْــعِ الطَّــرْفِ قِصْــراً وانصِرَامَــا

وترشح الصورتان بسرعة تقضّي اللقاء وانصرامه بعجل.

ب ـ أنه ماض انتهى وآل إلى ذكرى تسترجعها النفس. يقول «إبراهيم الخليفة»[2]:

[طويل]

رَعَــى اللَّــهُ أيّامــاً مَضَــتْ ولياليَــا ثُغُــورٌ وفَــاهٌ فــي الهَــوَى لــي بَوَاسِــمُ
يُرَنِّــحُ غُصْــنُ الأُنْــسِ حُسْــنَ اجتماعِنَــا فتســجعُ منــه فــي الهَــوَى لــي حَمَائِــمُ

ج ـ أنه حلم في الغالب والحبيبة طيف خيال. وقد حقّق فيه الشعراء رغباتهم وعوّضوا بعض حرمانهم. يقول «عبد اللّه بن محمد الحسيني»:

[طويل]

بنفسَــي مَــنْ زارتنــي لَيْــلاً بِهِمَّــةٍ يُســايرُهَا مــن صُبْــحِ طلعتِهــا فَجْــرُ
فقالَــتْ ســلامٌ قلــتُ أهــلاً ومرحَبَــا بِمَــنْ زَارَ غِبّــاً بعدمــا نَفَــدَ الصَّبْــرُ

(1) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص517.
(2) ديوانه ص56.

وباتــــتْ لنـــا حَتّـــى الصبـــاحِ نديمـــةً إذا مـــا طَوَاهَـــا السُّـــكْرُ ضَـــاعَ لهـــا نَشْـــرُ
تديـــرُ علينـــا مـــن كـــؤوسِ حديثِهَـــا عتيـــقُ سُـــلافٍ رَاحَ يســـندُهُ الثَّغْـــرُ[1]

فقـد حقّـق الطيـف الزائر تـوق الشـاعر في الاجتمـاع بالحبيـب. وحقّق رغبتـه في أن يكون مطلوباً لا طالباً وحسب. فالحبيبة هي التي بادرت بالزيارة وأدّت دور النديم[2].

وفي العموم طرق شـعراء «البحرين» موضوع الغزل، وحبّذوه. فـ«علي بن إبراهيم آل شبانة» رغم تديّنه لا يجد غضاضة في مدح العشق وأهله. يقول[3]:

[كامل]

وَلَـــدَيَ إنّ حَيَـــاةَ مـــن لا يَرْتَـــوِي مـــن مَشْـــرعِ العُشَّـــاقِ بِئْـــسَ حيـــاةِ
ولينقُلـــوا أَهْـــلَ الغـــرامِ مَذَاهِبِـــي ولتـــروِ أهـــلُ العِشْـــقِ معتقداتِـــي
وَعَلَـــى الهَـــوَى ومتابعيـــهِ تحيَّتِـــي وجزيـــلُ تســـليمي مَعـــاً وصَلَاتِـــي

وقد مدحه «الوائلي» فقال[4]:

[طويل]

هـو الحُـبُّ ليـسَ الحـبُّ عَـاراً علـى الفَتَـى إذا كان عَـفَّ الكـفِّ عـن مَنْهَـجِ النُّكْـرِ

لقـد أطـرى شـعراء البحريـن الحـبّ وأثنـوا عليـه. ومـع ميلهم إليـه غلب علـى غزلهم التقليد ولم يتمكّنوا من إضافة أية خطوط جديدة أو ألوان واضحة إلى نسـيجه. على أن ذلك لا يمنـع مـن القول أن الكثيـر من نصوصهم لم تخل من شـيء من الحيويـة والتدفّق لما فيها من عاطفة. هذا إلى جانب ما اتسم به البعض الآخر من تكلّف وإسفاف كقول «الدمستاني» في وصف صاحبته:

[متقارب]

طَوِيـــلُ القِصَـــارِ قصيـــرُ الطِّـــوَال سَـــمِينُ النِّحَـــافِ نَحِيـــفُ السِّـــمَانْ
لـــــه مُقْبِـــــلاً عَكَـــــنٌ أَرْبَـــــعٌ وإنْ هـــو أَدْبَـــرَ صـــارتْ ثَمَـــانْ[5]

فالتراكيـب سـقيمة والوصف منفر. وقـد زاد الغموض والتصريع المفتعـل من التكلّف والضعف.

---

(1) ابـن معصـوم المدني، علي خان، سـلافة العصـر، مصدر سـابق، ص514. والغبّ من كلّ شـيء عاقبته وآخره. ومن معانيه أيضاً البعد.

(2) يُراجع أيضاً ديوان الدمستاني ص73 الأبيات من 1 – 13.

(3) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص99.

(4) ديوانه ص156.

(5) الديوان ص92. والعَكَن جمع عكنة وهي ما تطوى وتثنّى من لحم البطن.

الفصل الثالث

مضمون الوطن

تعلّق شعراء «البحرين» ببلادهم. وكان لنــزوحهم وكثرة تنقّلاتهم أثـر بارز في إيقاظ حسّـهم بالوطـن. فـازدادوا انشـداداً له، وغراماً به. وتبلـور ذلك فـي تغنيّهم بحبّـه، وافتتانهم بجماله، وتفاعلهم مع همومه وقضاياه. وقد تجسّدت المعاني الوطنية في عدّة صور.

1 ـ تمجيد الوطن:

أثنـى شـعراء «البحريـن» على وطنهـم ووضعوه فـي ذروة سـامقة بين البلـدان. يقول «سليمان الماحوزي» في مدح «البحرين» وبيان صفاتها لينفذ إلى تفصيلها:

[وافر]

هِـــيَ البَحريـــنُ قَنطـــرةُ المعالـــي ... ومعـــــراجُ المحاسِـــــنِ والكَمَـــــالِ
فـــلا تَلْحَـــقْ بهـــا أرضٌ سِـــوَاهَا ... فمـــــا مـــــاءٌ زُلالٌ مِثْـــــلُ آلِ
لقـــد طَوَّفْـــتُ فـــي الآفـــاقِ طُـــرّاً ... وَعَاشَـــرْتُ الأعاظـــمَ والـــمَوَالِي
ونِلـــتُ الـــمُرْتَجَى منهـــا ولَكِـــنْ ... أَبَـــتْ نفســـي سِـــوَى سُـــكْنَى «أَوَالِ»[1]

فقد ساق الشاعر بعض القرائن ليضفي على حكمه المصداقية.

وعبّر «خليل بن علوي» عن هيامه بها وبمن تضمّه مرابعها فقال[2]:

[بسيط]

تلكـــم أَوَالُ وتلـــكَ الـــخُرَّدُ العُـــرُبُ ... فكـــم لأهْـــلِ الهَـــوَى فـــي أرضِهَـــا أَرَبُ
بهـــا ومـــا بِسِـــوَاها قـــطُّ مـــن بَلَـــدٍ ... تاللَّـــهِ يُطفَـــئُ مـــن أحشـــائِيَ اللَّهَـــبُ
لقـــد تولَّعْـــتُ مـــن قبـــلِ الفِطَـــامِ بهَـــا ... لأنَّهَـــــا هِـــــيَ أُمٌّ للهَـــــوَى وأَبُ

فالصيغ والتعابير تنضح بشـغف الشـاعر واعتزازه، فقد غاص هواها في كيانه وتشـرّبه مـع الرضـاع، فتعـذّر عليـه بالتالـي تعويضهـا بغيرها مـن البلـدان. وعبّـر «الوائلي» عـن حبّه المقرون بالولاء فقال[3]:

---

(1) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج3 ص43. وأوال هو الاسم القديم لجزر «البحرين».
(2) ديوانه ص149.
(3) الديوان ص173.

[طويل]

أُحِـبُّ بـلادي وهـي أَسْـمَى مقاصِـدِي وصفـوةُ شَـوْقي بيـن تِلْـكَ المعالِـمِ
وإنْ قَـامَ كلٌّ ينتمـي لبـلادِهِ فإنّـي إلـى «البحريـن» أوالُ قَائِـمِ

وتجلّى التعلّق على صعيد التغنّي بجمالها والافتتان بسحر طبيعتها، يصف «جعفر الخطّي» جمال الربيع فيها فيقول[1]:

[كامل]

إن أَنْسَـى لا أَنْسَـى الربيـعَ بهـا ومـا يجلُـوهُ مـن نَـوّارِهِ والنُّـورِ
رَوْضٌ يـرقُّ عليـه ناجـمُ زَهْـرِهِ كالصُّحْـفِ بيـنَ فَوَاصِـلٍ وعُشُـورِ
يُلقِـي لـمُجْتَازِ النسـيمِ كَرامَـةً أَنْمَـاطَ دِيبَـاجٍ وفُـرْشَ حَرِيـرِ
أَمْلَـى السَّـحَابُ عليـهِ مـن إنشـائِهِ فأَتَـاكَ بالمنظـومِ والـمَنْثُورِ

ولإبراز بهجة الربيع أضفى على الطبيعة صفاتٍ إنسانية رقيقة، باثّاً فيها مسحة من الإحساس.

ووصف «عبد الجليل الطباطبائي» بساتين جزيرة «سترة» وما حوته من نخيل باسقة ومياه متدفّقة. فقال[2]:

[رجز]

حَتَّـى قَدِمْنَـا باعتجـالٍ سِـتْرَه والليـلُ مُسْـبِلٍ علينـا سِـتْرَه
تَـرَى بهـا النَّخِيـلَ باسـقاتٍ مـن كلِّ نـوعٍ لَـذَّ للجَنَّـاتِ
فيهـا ينابيـعُ المِيَـاهِ قـد جَـرَتْ فـي بَرِّهَـا وبَحْرِهـا تفجَّـرَتْ

وبسبب الارتباط وشدّة التعلّق رفض أبناؤها الاستعاضة عنها. يقول «جعفر الخطّي»:

[كامل]

لا تحسـبِ «البحريـن» أنّـي بَعْدَهَـا مسـتوطِنٌ دَاراً ولا أصحابَـا
مـا أصبحـتْ «شـيرازُ» وهـي حبيبـةٌ عنـدي بأبهـجَ مـن «أوالَ» جِنَابَـا
مـا كنـتُ بالـمُبْتَاعِ دَارَةَ سَـرْوِهَا يومـاً بـ «فَـارانَ» ولا بـ «مقابـا»[3]

وينمّ استعمال الشاعر لأدوات النفي في مطالع الأبيات الثلاثة عن إصراره ورفضه اتخاذ بديل لها.

---

(1) ديوانه ص52 والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج4 ص167 و168.
(2) الديوان ص198.
(3) ديوانه ص9 – وفاران ومقابا من قرى «البحرين».

2 ـ وصف مشاعر الغربة:

كان للروابط العاطفية وانشداد الشعراء لبلادهم أثره في انبعاث الإحساس بالغربة. وقد ألمعنا إلى مبارحة الكثير من السكّان أرضهم بسبب انعدام الأمن وما تتابع على البحرين من حكم أجنبي وغزو ابتداء بالحكم البرتغالي وما تلاه. وكان لتجربة البُعد عن الوطن والأهل وما واكبها من ضغط نفسي أصداؤها؛ فقد عملت على تدفّق قريحة الشعراء، فطفقوا يعبّرون عن هذا الموقف الشعري. يقول «محمد بن عبد اللّه الحسيني» واصفاً معاناته في الغربة، مشيراً إلى إقامته في «الهند» ومعدّداً البلاد التي تنقل بينها[1]:

[طويل]

إذَا جَنَّنِي الليلُ الطويلُ تفجَّرَتْ ... عَلَيَّ عيونُ الهَمِّ فيها إلى الفَجْرِ
تَفَرَّقَتِ الأهواءُ مِنِّي فبعضُهَا ... بـ «شيرازَ» دَارِ العِلْمِ والبعضُ في الفِكْرِ
وبـ «البصرةِ» الفَيْحَاءَ بعضٌ وبعضُهَا الـ ... ـالقويُّ بِبَيْتِ اللَّهِ «والركْنِ» و«الحِجْرِ»
فما لي إلى «الهندِ» التي مُذْ دَخَلْتُهَا ... مَحَتْ رَسْمَ طاعاتي سُيُولٌ من الوِزْرِ

فتفجّر عيون الهمّ ليلاً يطفح بتراكمها وتدفّقها واتساع مداها لكثرة التطواف وطول الغربة عن الأهل والأوطان. ولتأثّره تخيّل ذلك الوضع ضرباً من حروب الدهر. فكان أعزّ ما يطمح إليه هو العودة إلى وطنه «البحرين» وكنّى عنها بـ«هجر» وهي اسم من أسماء المنطقة:

مَضَتْ في حُرُوبِ الدَّهْرِ غايةُ قوَّتِي ... فأصبحتُ ذَا ضُعْفٍ عَنِ الكَرِّ والفَرِّ
وقد قنعَتْ نفسي بأوبةِ غَائِبٍ ... إلى أهْلِهِ يوماً ولو بيدٍ صُفْرِ
إذا لَمْ تكنْ في «الهِنْدِ» أصنافُ نِعْمَةٍ ... ففي «هَجَرٍ» أحْظَى بصنفٍ من التَّمْرِ

وقد برزت ذات النزعة عند «محمد بن علي آل شبانة» فقال[2]:

[وافر]

لقد سافرتُ عن وطَنِي وقومِي ... إلى أنْ مَلَّ أصحابي ذَهَابِي
وطفتُ على البِلادِ فَمَا تَرَاءَى ... إليَّ سِوَى ذِئَابٍ في ثِيَابِ
لقد ضاقَتْ عَلَيَّ الأرضُ حَتَّى ... رَضيتُ مِنَ الغنيمةِ بالإيَابِ

فالبُعد عن الوطن وكثرة التجوال بسبب انخرام الحالة الأمنية، والسعي لتحقيق الطموحات هدّ قوى الشاعر وأضنى فؤاده، وكأنّه اتفق مع الشاعر السابق على عقد صفقة مع الدهر يتنازلان فيها عن كل طموحاتهما مقابل الأوبة للوطن.

---

(1) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص499.

(2) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص101.

وألحّ الشعراء على وصف تجربة الغربة إلحاحاً شديداً لشدّة وطأتها النفسية وأذاها.

ويصف «حسن الدمستاني» مرارتها وما لقيه من إحباط عند تغرّبه في «كرمان» المدينة الإيرانية فيقول[1]:

[بسيط]

أصْبَحْتُ في «كرمانَ» اليومَ مَحْبُوسَا مُبَرَّحاً في بِحَارِ الغَمِّ مَغْمُوسَا
مُبلبلُ اللبِّ محشوَّ الحَشَا أَسَفاً مُوزِّعُ البالِ تثليثاً وتسديسَا
في القلبِ منِّي هُمُومٌ لا تطاقُ وقد جَالَتْ بمعتركٍ ضَنْكٍ كَرَادِيسَا
لم ألقَ في أرضِها شيئاً أُسَرُّ بِهِ ولا وَجَدْتُ بِهَا دَرْساً وتَدْريسَا
لقد رَمَتْني مَجَانِيقُ القضاءِ بها لأُمِّ رَأسِيَ تحليقاً وتَنْكِيْسَا

والعبارات والصور تهمس بأوجاع الشاعر وتزخر بأوضاعه الشاجية، وما ثوى في نفسه من يأس وخيبة أمل.

3 ـ الحنين إلى الوطن:

تحت تأثير الإحساس العميق بالغربة انبعث شعر الحنين قوياً وصادقاً محرّكاً للمشاعر، فجاءت أحاديث نفس تفيض بالحسرة والشوق. وقد شكّل الحنين رافداً خصباً أمدّ الشعراء وأثرى تجربتهم فصاغوا الكثير من الشعر حوله. يصف «محمد بن عبد الحسين آل شبانة» تأجّج الشوق وتسعّره باقتراب اللقاء، ويتوسل بالتضمين يستعين به على التعبير عن خلجاته فيقول:

[وافر]

ولمَّا أنْ تراءتْ مِنْ بعيدٍ خيامُكُمُ لِعَينِ المُسْتَهَامِ
تأجَّجَ وجدُهُ وَنَمَا جَوَاهُ وذَابَ القلبُ من فرطِ الغَرَامِ
(وأعظمُ ما يكونُ الشوقُ يوماً) إذَا دَنَتِ الخيامُ من الخيامِ)[2]

فدنو لحظات اللقاء صعّد الأشواق وألهب حرارتها حتى كاد الشاعر أن يخرج من إهابه.

وتوزّع الحنين فشمل الوطن وامتدّ إلى كل متعلّقاته. ويمكن بلورة ذلك في:

---

(1) ديوانه ص79 و80. وكرمان من مدن فارس.

(2) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص96 والبيت الأخير من تضمينات الشاعر، وورد هذا البيت في كتاب ابن أبي حجلة «ديوان الصبابة» ص22 وهو شاعر لم يذكر اسمه.

أ ـ الحنين إلى البحرين عامة: فـ«علي بن إبراهيم آل شبانة» تتسع أشواقه فيحنّ إلى «البحرين» بكل مشمولاتها. يقول[1]:

[كامل]

وإلـــى «أَوَالَ» تـــروَّعَ قلبـــي كُلَّمَـــا سَـــرَتِ الصَّبَـــا مـــن تلكُـــمُ السَّـــاحَاتِ
وإلـــى نواحـــي أرضِهَـــا وربوعِهَـــا ولِمَـــا بِهَـــا قـــد مَـــرَّ مـــن أوقـــاتِ
وعِرَاصِهَـــا الفُـــحِّ التـــي قـــد طُـــرِّزَتْ أطرافُهَـــا ببواسِـــقِ النَّخَـــلَاتِ

فتروّع قلب الشاعر ينبض بقوة الأشواق وشدّتها، ولتصاعدها في نفس الخطي تحوّلت إلى آهات وتوجّعات وذلك حين طالت إقامته في «إيران». يقول:

[كامل]

آهٍ وقَـــلَّ علـــى «أوالَ» تأوُّهِـــي فـــإذَا جُنِنْـــتُ بِهَـــا فغيـــرُ كَثيـــرِ
مـــا كنـــتُ مبتاعـــاً أزقَّـــةَ «فـــارسٍ» بالفيـــحِ مـــن عَرَصَاتِهَـــا والـــدُّورِ
هَيْهَـــاتُ مـــا «شـــيرازُ» وافيـــةٌ بِمَـــا فـــي تلـــكَ لـــي مـــن نِعْمَـــةٍ وحُبُـــورِ[2]

وقد حفّزه الشوق إلى المقارنة والتفضيل.

ب ـ الحنين إلى بقاع محددة في «البحرين»: وهي تلك التي عاش الشاعر في أحضانها وارتبط بها وجدانه. ويأتي «جعفر الخطّي» في طليعة من لهج بذكر بقاعها، دون أن يحصر حنينه في مسقط رأسه «الخط». فهو ما فتئ يذكر قراها ومدنها. ومما قاله في التشوّق إلى مدينة «جدحفص»[3]:

[طويل]

سَقَى «جِدَّ حَفْصَ» الغيثُ سَحّاً ولو سَمَا لهـا الدمـعُ أَغْنَاهَـا عـن الدمْـعِ راشِـحُهْ
بِـلادٌ أقَـامَ القلـبُ فيهـا فلـم يَـزَلْ وإنْ طَمَحَـتْ بالجِسْـمِ عنهـا طَوَامِحُـهْ
هَـلِ اللَّـهُ مُسْـتَبْقٍ ذِمَامـي بِعَـوْدَةٍ إليهـا يرينـي الدمـعَ قـد هَـشَّ كالِحُـهْ
ويصبـحُ هَـذَا النبـضُ قـد رِيْـضَ صَعْبُـهُ وأمكَـنَ مـن فضـلِ المَقَـادَةِ جامحُـهْ

وينضح البيتان الأولان بشدّة التعلّق، ويطفح الثالث بتوق الشاعر للعودة إلى ربوعها لتهدأ روحه ويستقرّ فؤاده.

---

(1) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص99.
(2) ديوانه ص52.
(3) ديوانه، ص23. وجدحفص من مدن «البحرين»، تُراجع خريطة (2) من ص559.

حنَّ الخطي لقرية أخرى هي (بوري) فهتف باسمها وتطّلع إليها. يقول[1]:

[كامل]

عُــجْ بالمطــيِّ علــى معالــم (بُــورِي) بِمَحــلٍّ لَذَّاتِــي وربــعِ سُــرُورِي
وأطــلْ بهــا عَنِّــي الوُقــوفَ فَمَــا أَرَى شَــوْقاً يُحَرِّكُنِــي لَهَــا بِقَصِيــرِ
واســتنشِ رَيَّاهَــا ففــي عَرَصَاتِهَــا عنــد العُبُــورِ بهــنَّ نشــرُ عَبِيــرِ
هَــلْ لــي إلــى تلــكَ المنــازِلِ عَــوْدَةٌ يَهْــدَا بهــا نَفَسِــي وفــرطُ زفيــري

ومع تقليدية المطلع بما فيه من وقوف على الأطلال ترشح دعوة الشاعر لصاحبه بإسراع الخطى بشدّة التعجّل والتعطّش لتلك القرية. وينمّ طلبه بإطالة الوقوف عندها عن رغبة في التملّي وشفاء الغليل ليكون بحجم أشواقه العريضة. ولتعلّقه تخيّلها مصدراً لكل ما يبهج النفس ويسرّها.

وأما «خلف بن عبد علي العصفور» فقد قاده شوقه إلى قرية «المُصَلَّى» فقال»:

[كامل]

قِــفْ بـ «الــمُصَلَّى» مــن رُبُــوعِ «أَوَالِ» فَهُنَــاكَ عِــزِّي ســابقاً ودَلالِــي[2]

ج ـ الحنيـن إلى الأهل: لا مراء في أنّ الوطن ومتعلّقاته من أهل ورفاق وديار حلقات متداخلة شديدة الالتحام ببعضها، فكان من الطبيعي في ثنايا الحنين إلى الوطن أن يتذكّر الشعراء أهلهم ويتوقوا إليهم. يقول «جعفر الخطّي» ضمن قصيدة يتشوّق فيها لأسرته في «البحرين»[3]:

[كامل]

إن تُصْبِنِــي ذِكْــرُ الديــارِ فإنَّــهُ لإنــاثِ أَصبيــةٍ بهــا وذُكُــورِ
وَجْــدِي الصغيــرُ بهــا لأصغــرِ صِبيتــي وكبيــرُ أشــواقي بهــا لكبيــري
وكريمــةِ الطَّرَفَيــنِ جُــرَّ علــى التُّقَــى والديــنِ فاضــلُ ذيلِهَــا الــمَجْرُورِ

ومع صدق العاطفة الأسرية وتصاعد الحنين بدا التكلّف في استعمال الشاعر صفات شعورية بقدر سنّ أطفاله. وديوان هذا الشاعر يزخر بقصائد الشوق المشحونة بالعواطف التي حبّرها للتعبير عما يعتمل في نفسه من حب وحنين لأسرته[4].

---

(1) ديوانه، ص51.

(2) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 302، تُراجع خريطة (2) ص559.

(3) ديوانه ص51.

(4) يُراجع على سبيل المثال ديوانه ص78 القصيدة القافية (كامل) وص86 المقطوعة اللامية (كامل) وص87 اللامية (رمل).

ووصف «الوائلي» شوقه لقومه وأسرته إبّان تواجده في «الهند» وأبرز أصداءها على نفسه فقال[1]:

[طويل]

إذَا نَـامَ خَالِـي البـالِ مِـلْءَ جُفُونِـهِ جَفَـتْ نَوْمِهَا واستصحبتْ جَانِبَ السُّهْدِ
ومَـا ذَاكَ مـن شَـوْقٍ لِدَعْـدٍ وإنْ دَنَـتْ ولا مِـنْ هَـوَى فـي وَصْلِ منظُومةِ العِقْدِ
ولكننـي أَشْـتاقُ قَوْمِـي وأُسْـرَتِي بُنَـاةَ الـمَعَالِي بالـمُثقَّفَةِ الـمُلْدِ

ففراق الأهل والأقارب أضنى قلبه وغدا مسهداً أرِقاً.

ووسّع «ماجد بن هاشم» حلقة أشواقه لتشمل قاطني «جدحفص» كافة، وهي المدينة التي شبّ في أحضانها. وقد تجلّى الميل والمودة في الدعاء الذي شملهم به. وإن كنا لا نستبعد أنه قصد أهله خاصة. يقول[2]:

[بسيط]

يـا سـاكني «جِـدَّ حَفْـصٍ» لا تَخَطَّفكُـمْ رَيْـبُ الـمَنُونِ ولا نالتكُـمُ الـمِحَنُ
ولا عَـدَتْ زَاهِـراتُ الخِصْـبِ واديَكُـمْ ولا أَغَـبَّ ثَـرَاهُ العَـارِضُ الهَتِـنُ
مـا الـدارُ عنـدي ولـو ألفيتُهَـا سَـكَناً يَرْضَـاهُ قَلبـيَ لـولا الإلـفُ والسـكَنُ
والدَّهْـرُ شَـاطَرَ مـا بينـي وبينكُـمُ ظُلْمـاً فَـكَانَ لكـم رُوحٌ ولـي بَـدَنُ

وتطفح الأبيات بمشاعر الوجد. فالبعد عن الوطن أمر اضطراري وهجرة الشاعر هجرة جسد وحسب لأن روحه بقيت في وطنه.

وسما الشوق بالشعراء إلى رفاق الصبا وصحب الشباب أولئك الذين قضوا معهم أهنأ الأوقات في رحاب الوطن والأهل. يقول «ياسين بن صلاح الدين»[3]:

[بسيط]

ليـسَ البِعَـادُ عـن الأهليـنَ والـدارِ وإنْ لَقيـتُ بهـا هَمّـاً بإضْـرَارِ
بـل عـن مُنَادَمـةِ الأحبـابِ وَيْحَـكَ مـا تَـرَى ضياعـي عـن الأهليـن والجَـارِ

فأكثر ما آذى نفس هذا الشاعر بُعده عن صحبه وندمائه. وإن كان فراق الأهل والديار أضرَّ به[4].

---

(1) الديوان ص161.

(2) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص493 والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص89.

(3) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص222.

(4) يُراجع أيضاً ديوان الخطي، ص34 البيتان الداليان بسيط.

وامتد الحنين إلى الوطن ليشمل المنازل والدور وهي أماكن حبيبة للنفس فهي ملاعب الطفولة، ومرابع الصبا والشباب. فحنّ إليها الشعراء والتذّوا بذكراها. ومما قاله «الوائلي»[1]:

[كامل]

سَقَتِ الغَوَادِي مَنْزِلاً قد بِتُّ في أَفْيائِهِ ونشأتُ في كِثْبَانِهِ
ولهوتُ في عَرَصَاتِهِ وقطفتُ مِنْ أثمارِهِ وشربتُ من ألبانِهِ

والبيتان يهمسان بالتعلّق الذي جسّده الدعاء بالسقيا الدالّ على الرغبة في الخصب واستمرار الحياة في جنبات تلك الدار.

4 ـ لوعة الذكرى وتوق الرجوع للوطن:

في ثنايا حنين النفس لأيامها الخوالي انبعث التذكّر قوياً لافحاً يلهب الجوانح ويؤجّج الوجدان، فكانت الذكرى هاجساً قوياً ألحّ على الشعراء وهيّج حسرتهم وأساهم. وتذكّر الأيام السعيدة في رحاب الوطن والأهل منبّه ذو حدّين فبقدر ما يبعثه في النفس من هناء وسعادة فيكون كالواحة الظليلة في الصحراء المقفرة فإنه عامل هام على بعث الألم والوجد. يعرض «يوسف البحراني» للجوانب التي تثيره ذكراها، ويصف ما يرافق ذلك التذكّر من أسى فيقول[2]:

[طويل]

إذَا جَالَ تذكارُ الدِّيَارِ بخاطِرِي وذكرُ أُهَيْلِ الحيِّ أَهْلِ المآثِرِ
وذِكْرُ اجتماعِ الشَّمْلِ مِنَّا ونحنُ في سُرُورِ نعيمٍ دَائمٍ وتفاخُرِ
يَكَادُ فُؤَادِي أَنْ يَذُوبَ صَبَابَةً ونفسيَ أنْ تَصْبُو لِسُكْنَى المَقَابِرِ

فلوعة الذكرى وقسوة وطأتها أذابت كيانه حتّى تمنّى الردى. ووصف «جعفر الخطي» مرارتها وقوّة أذاها على روحه فقال:

[كامل]

وتَذَكُّرٍ يَرْمِي الحَشَا بِأَسَاوِدٍ مَا مَنْ نَهَشْنَ يُفِيدُ فيه الرَّاقِي
شَوْقاً إلى القَوْمِ الذينَ مَحَلَّهُمْ قلبي وإنْ بَعَدُوا عَلَى أَحْدَاقِي[3]

والعبارات والصور تهمس بأوجاع الشاعر وأذى التذكّر، الذي قرنه لشدّة تأثيره وأذاه بضرر أخبث الحيّات.

---

(1) ديوانه ص30.
(2) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج2 ص407. الأبيات ضمن قصيدة صدّر بها الشاعر كتاباً لأخيه.
(3) ديوانه ص79 والأساود جمع أَسْوَد وهو العظيم من الحيّات وأخبثها وأنكاها.

وليصوّر «عليّ بن لطف اللّه» أثر الذكرى وما خلّفته في الوجدان من أذى بعيد الغور ماثلها بالجروح التي أصابت القلب يقول[1]:

[رمل]

ذِكْـــرُ أَيَّـــامِ التصابِـــي ضَرَّنِـــي وجَفَاكُـــمْ أَوْرَثَ القَلْـــبَ كِلَامَـــا
يـــا لَـــذَاذَاتٍ مَضَـــتْ قـــد بُدِّلَـــتْ بِهُمُـــومٍ تَحْـــرِقُ الجِسْـــمَ ضَرَامَـــا
آهٍ مِـــنْ صَـــرْفِ زَمَـــانٍ بَزَّنِـــي حُلَّـــةَ البِشْـــرِ بِفِرقاكُـــمْ دوامَـــا
ليـــتَ شـــعري هَـــلْ تَرَونِـــي والصَّفَـــا كالـــذي كَانَ وألقاكُـــمْ عَلَـــى مَـــا

فالكلوم التي ذكرها إن هي إلّا ما تراكم في حناياه من ألم البُعد ولوعة الفراق. وقد تحوّلت الذكرى إلى زفرات حَرَّى وآهات ملتاعة أترعت النفس. ورغم استغراق الشاعر في تلك الأحاسيس بزغ في البيت الأخير أمل ضعيف في العودة واللقاء. وقد برز ذلك من خلال خطابه لأهله المقيمين في الوطن.

وشكّلت الأوبة للوطن في ظلّ الاغتراب والحنين أقصى أماني الشعراء وأعزّها. ومما توجه به «محمد بن عبد اللّه آل شبانة» إلى ممدوحه في «الهند»[2] التي قصدها بحثاً عن لقمة العيش كما يظهر:

[طويل]

وإنّـــي لأرجُـــو مـــن جميلِـــكَ عَزْمَـــةً تبلِّغُنـــي الأوطـــانَ فـــي مُـــدَّةِ العُمْـــرِ
تُقِـــرُّ عُيونـــاً بالفـــراقِ سَـــخِينَةً وتبـــردُ أكبـــاداً أَحَـــرَّ مـــن الجَمْـــرِ
وتؤنِـــسُ أطفـــالاً صغَـــاراً تركتُهُـــمْ لِفِرقَتِهِـــمْ مـــا زَالَ دَمْعِـــيَ كالقَطْـــرِ
وعَيْشِـــي بِهِـــمْ قـــد كَانَ حُلْـــواً وبَعْدَهُـــمْ وجـــدتُ لَذِيـــذَ العَيْـــشِ كالعَلْقَـــمِ المُـــرِّ
ومـــا زلـــتُ مُشْـــتَاقاً إليهِـــمْ وعَاجِـــزاً كما اشتاقَ مَقْصُوصُ الجَنَاحِ إلى الوَكْرِ

فالشاعر يلتمس العون على الرجوع للوطن. ويستعطف ممدوحه متوسّلاً إليه بوصف الوضع المؤلم لأسرته. فيصوّر معاناته كأبٍ ويصف حرمان الأطفال علّه يثير نوازعه الإنسانية. ولشدّة توق «يوسف البحراني» ليوم اجتماع الشمل على تراب الوطن وميله الشديد له توسّل بالنذر من أجل تحققه. يقول[3]:

(1) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(2) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة، العصر، مصدر سابق، ص500. والممدوح هو الأمير أحمد الحسيني والد صاحب السلافة وسنعرض له في شعر المديح. ص313.

(3) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج2 ص407.

[طويل]

مَتَــى تصــدحُ الورقــاءُ يَوْمــاً بِقُرْبِنَــا وتُنْشَــرُ أعــلامُ الــهَنَا والبَشَــائِرِ
فللّــهِ يَــوْمٌ لا يُشَــقُّ غُبَــارُهُ ودَهْــرٌ كريــمٌ إنْ وَفَــى غَيْــرُ مَاكِــرِ
وللَّــهِ نَــذْرٌ إنْ رأيــتُ بَيَاضَــهُ لأســجدَ شــكراً ضَارِعــاً بِتَضَاغُــرِ

وتنضح فكرة النذر بقوة التروّع والرغبة الجامحة في العودة إلى الديار.

ولقد ظلّت البحرين في نظر أبنائها المغتربين أملاً حلواً وحلماً لذيذاً يراود النفوس. يقول «الوائلي»:

[طويل]

فيــومٌ أَرَى فيــهِ الديــارَ وأَهْلَهَــا مُــرَادِي مــن الدُّنْيَــا وقصــدي وآمالــي

ولا غرو فقد كانت في نظرهم جنّة الدنيا وقطب السعادة. يقول الشاعر السابق:

[طويل]

إِذَا كَانَ للنــاسِ اجتمــاعٌ وفرحَــةٌ وأُنــسٌ ففــي البحريــنِ أُنْسِــي وفرحتــي[1]

5 - الوطنية السلبيّة:

إنَّ مواكبة الروح الوطنية المتدفّقة يمكن اعتبارها ضرباً من الوطنية السلبية. ونقصد بها محاولة الهروب من الواقع والمتمثل في دعوة الشعراء أنفسهم للنزوح عن الوطن بسبب ما شاع فيه من ظلم وفساد[2]. من ذلك دعوة «سليمان الماحوزي» نفسه لمبارحة البلاد احتجاجاً على ظلم الحاكم الإيراني يقول[3]:

[كامل]

انْهَــضْ وحُــثَّ اليَعْمُــلاتِ علــى السُّــرَى واهجُــرْ مَحَــلَّ الخَسْــفِ يــا أَسَــدَ الشَّــرَى
فَــارِقْ كمــا فَعَــلَ ابــنُ ذي يــزنٍ فَمَــا أَجْــداهُ غَمــدانٌ فخلَّفَــهُ وَرَا
وتَدارَكَــنَّ بقيــةً أَشْــفَتْ عَلَــى تَلَــفٍ ولا تَضْجَــرْ وإنْ طَــالَ السُّــرَى

---

(1) الديوان، ص68 و50.

(2) يصف شاعر بحراني مجهول جور أحد حكام «البحرين» الإيرانيين ويؤرّخ لعام إبعاده فيقول: [كامل]

مهــدي قُلــي صَرَفُــوه عــن بحرينِنَــا عَــامَ الفُتُــورِ وحَكَّمُــوا قَزَّاغَــا
مــلَا الفجــاج ببغيِــهِ وفجــورِه فلــذا أتَــى تاريخُــهُ قــد زَاغَــا

النبهانـي، التحفـة النبهانيـة، مصدر سـابق، ص47 ويُراجع أيضاً هجاء سـليمان الماحوزي لحاكـم إيراني آخر حكـم «البحريـن» ورد عنـد البحراني، يوسـف، الكشـكول، مصدر سـابق، ج3 ص42 والأمين، محسـن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج7 ص305.

(3) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 361.

فالشاعر يشير إلى الأسباب صراحة. ويتّعظ بشخصيّة الملك اليماني «سيف بن ذي يزن»[1]. ولإدراكه مسبقاً قسوة الغربة وضجرها دعا نفسه إلى تقبّلها واحتمالها. وعلى النسق نفسه خاطب «الوائلي» وطنه وهو يغادره مبرّراً الهجرة فيما يشبه الاعتذار الملفّع بالحزن فقال[2]:

[كامل]

وَطَنِي العزيزَ لقد هَجَرْتُكَ مُكْرَهاً ... وهجرتُ فِيكَ مَطَارِحِي وَوِسَادِي
لَا عَنْ قِلَى مِنِّي ولا عَنْ رَغْبَةٍ ... في غيرِ أجْبَالِي وغيرِ وِهَادِي
لكنَّ نَفْساً حُرَّةً نشأتْ على ... سَنَنِ العُلا حجَبَتْ عَلَيَّ رُقَادِي

6 - تنامي النزعة الوطنية:

في مقابل النزعة الوطنية السلبية نلمح لا سيّما في المرحلة الأخيرة من فترتنا المدروسة تنامياً في التوجه الوطني. وقد ألمعنا في دراستنا السابقة لنزوع الشعراء إلى معاني المجد والرفعة[3]، وما ينطوي عليه هذا الميل من رغبة في التخلّص من الحكم الأجنبي يقول «سلمان التاجر»[4]:

[طويل]

مَنَالُ المَعَالِي بالعَوَالِي العَوَامِلِ ... ونيلُ الأمَانِي دُونَ حَزِّ المَفَاصِلِ
هُوَ المَجْدُ صَعْبٌ نَيْلُهُ لِمُؤَمِّلٍ ... ولكنْ ببذلِ النفسِ سَهْلُ التَّنَاوُلِ
فإنَّ حَيَاةَ المرءِ بالذلِّ مُرَّةٌ ... وبالعِزِّ مُرُّ الحَتْفِ عَذْبُ المَنَاهِلِ

وامتدّت تطلعات الوحدة في شعر «سلمان التاجر» لتشمل الطموح إلى توحّد المسلمين، متجاوزاً بذلك الحدود العرقية الضيّقة، محلّقاً في أجواء دينية فسيحة. قال[5]:

[بسيط]

أَهْوَى اتحادَ جَمِيعِ المسلمينَ ولا ... يَصِدُّنِي عَنْ هَوائي جَاهِلٌ جَلِفُ

هكذا تجلّت معاني الوطنية في شعر البحرين. وكانت تلك النزعة منبعاً ثرّاً غذّى

---

(1) يُراجع خبره عند ابن الأثير الكامل، مصدر سابق، ج1 ص263 وما بعدها وعن قصر غمدان ينظر ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة «غمد».

(2) ديوانه 184.

(3) يُراجع الباب الثاني فصل التاريخ وتفاعلات الواقع ص163 وما بعدها، والباب الثالث شعر التأمّل والحكمة ص255 وما بعدها.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص300.

(5) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 349.

الشـعر وأمدَّه بالخصب. وقد تنوّعت مضامينها متراوحة بين تعلّق بالوطن، وتغنٍّ به. واتسـع مفهومها في نهاية الفترة المدروسـة لتشـمل الأمة العربية، كما امتدّت إلى التطلّع إلى وحدة إسلامية كبرى. متجاوبة في ذلك مع كل قضايا الإصلاح والتحرّر في الوطن العربي.

علـى أن شـعر البحريـن وإن لم يكـن جديداً تـامّ الجدّة فـي هذا الموضـوع، فقد كان لبعض الشعراء تلويناتهم الشـخصية والطريفة المفعمة بالوجدان، لاسيّما حين نقيسه بالنتاج العربي قبل بواكير الفترة المدروسة أي القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

الفصل الرابع

شعر المديح

تأثّراً بشعر الأسلاف طرق شعر «البحرين» موضوع المديح. وقد ألمعنا إلى عنايتهم بمدح آل البيت. وذكرنا أنهم صاغوا ذلك الضرب من التقريظ تجاوباً مع عقيدتهم وتعبيراً عن مشاعر الحب والتعلّق. وبسبب ذلك خلا مديح العلويين من المصلحة الدنيوية، والمطامع المادية. فعبقت بعض جوانبه بنفحات صوفيّة[1].

ويتراءى لنا أن هذا التوجّه ساهم ـ وإلى حدٍّ ما ـ في عدم ابتذال المديح بوضعه في إطاره الصحيح.

فـ«عبد الرؤوف بن الحسين» لشعوره بعزّة نفسه وربما ترفّعاً عن النفاق والملق وما فيهما من امتهان أبى مدح الملوك، ورفض التكسّب بالشعر مهما عظمت الأعطيات ومما قاله[2]:

[طويل]

وما أنا بالمُهْدِي فُنُونَ مَدَائِحِي إلى مَلِكٍ أَرْجُو ضُرُوبَ الرغَائِبِ
ولو أنَّ ما تحتَ السماءِ جَوَائِزِي وما فوقَهَا إلاّ المَعَالِي مَوَاهِبِي

وتمسّكاً بالمبدأ ورغبة في توجيه المدح لمن يستحقه تسامى «جعفر الخطّي» عن اللئام، لما فيه من وضع الثناء في غير محلّه. يقول[3]:

[كامل]

فَأَنَا وإنْ عَضَّ الزمانُ بِغَارِبِي أو فَلَّتِ الأيَّامُ حَدَّ شُبَاتِي
لأصُونُ عن مَدْحِ اللِئَامِ ترَفُّعاً شعري وأُقْصِرُ دونهم خَطَوَاتِي

وقد ذهب «سلمان التاجر» إلى اعتبار مديح غير المستحق بمثابة استنقاص من الإنسان لنفسه[4]:

[بسيط]

ولا أَشُكُّ بأنَّ المدحَ مَنْقَصَةٌ في مَنْ بِهِ لا يزينُ المَدْحُ والوَصْفُ

---

(1) يُراجع موضوع خصائص الشعر البحراني المتعلّق بآل البيت ص150 وما بعدها.
(2) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.
(3) ديوانه ص17.
(4) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 349.

وبسبب ميل كثير من الشعراء لهذا المبدأ نلحظ تضاؤلاً في حجم المدح.

أبرز أسباب المديح:

1. المدح بدافع الحاجة: ويبرز على وجه الخصوص، وحسبما توفّر لنا من نصوص، في شعر الشعراء النازحين. يخاطب «حسين بن زعل البحراني» أحد ممدوحيه العراقيين، ويومئ إلى ضعف حاله لإثارة عطفه وجوده فيقول[1]:

[طويل]

أَبَا الفَضْلِ أنتَ اليومَ حِصْنٌ ومعقِلٌ ... إذَا أنْشَبَتْ فِينَا الليالي مَخَالِبَا
أنا اليومَ في أرضِ «العراق» وليسَ لِي ... مُعِينٌ إذَا ناديتُ لَبَّى مُجَاوِبَا
وإنّي لأرجو والرَّجَاءُ يقودُنِي ... إليكَ ولم أَعْهَدْ رجائيَ كاذِبَا
ولي شِيمَةٌ لا ترتضِي الذُّلَّ مَأْلَفَا ... وإنْ أدركتْ مِنِّي العداةُ مآرِبَا

ويبدو أن شدة العوز في الغربة دفعت الشاعر إلى التكسّب بالشعر، وإن لم تكن تلك غايته من الرحيل. ومما قاله «عبد اللّه بن محمد الحسيني» لممدوحه في ما يشبه الاستجداء بسبب ضغط الحاجة والغربة[2]:

[وافر]

واصْلِحْ فَاسِدَ الأَحْوَالِ مِنْهُ ... وابْدِلْهُ من الخَفْضِ انْتِصَابَا
وجِزْ بجميلِ فَضْلكَ مِنْه شكراً ... يفوقُ المِسْكَ نَشْراً وانتِسَابا
وعبدُكَ عَاجِزٌ كلّ ضَعِيفٌ ... أَسِيرٌ سَامَهُ الزمنُ اغترابَا

ويعوّل الشاعر على المصطلحات النحوية يستثمرها لمعانيه، فيستعمل الخفض للدلالة على رقّة الحال، والنصب للإشارة إلى يسر الوضع ورفاهة العيش.

2. المدح شكراً واعترافاً بالجميل: وعادة ما يأتي ذلك في أعقاب معروف أسداه شخص للشاعر. يصوّر «محمد بن عبد اللّه الحسيني» الأيادي البيضاء لممدوحه فيقول[3]:

---

(1) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج6 ص23 والممدوح هو مؤلف «نشوة السلافة» محمد علي بن بشارة آل موحي من علماء النجف وشعرائها (ت 1160هـ/1747م) ترجمته في المصدر نفسه، ج10 ص12 وفي أعلام الزركلي، مصدر سابق، ج6 ص295.

(2) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص513 والممدوح هو أحمد بن محمد معصوم الحسيني وزير السلطان عبد اللّه بن محمد قطب شاه ملك حيدر أباد. كان شاعراً وهو والد صاحب السلافة (ت 1086هـ/1675م) تُراجع ترجمته في المصدر نفسه، ص10، وفي خلاصة الأثر للمحبّي، محمد أمين، دار صادر، بيروت ، د.ت، ج3 ص349، وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج1 ص239.

(3) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص501. والممدوح هو الأمير أحمد بن معصوم السابق.

[وافر]

ولـــــمَّا أَنْ دَهَـــــتْ نُـــوَبُ الليالـــي وفَـــرَّقَ جَمْعَنَـــا الدهْـــرُ الشَّـــؤومُ
وَجَدْنَـــا مِـــنْ فواضِلِـــهِ نِظَامـــاً بَـــدَا فَتَفَرَّقَـــتْ عنَّـــا الهُمُـــومُ
وأَصْبَحْنَـــا بِنِعْمَتِـــهِ بِأَمْـــنٍ ولـــو أنَّ الأَنَـــامَ لَنَـــا خُصُـــومُ

وأردف الشاعر تنويهه بفضل الممدوح بأن ساق إليه آيات الشكر:

وكيـــف أطيـــقُ حَمْـــلَ كثيـــرِ فَضْـــلٍ ومـــا بقليلِـــهِ شـــكري يَقُـــومُ
وَسَـــاحِلُ شُـــكْرِكُمْ أَضْحـــى بعيـــداً لِمَـــنْ فـــي بَحْـــرِ نعمتِكُـــمْ يَعُـــومُ
ولكـــنْ جَوْهَـــرَ الإخـــلاصِ صَـــافٍ وَحَبْـــلُ الـــوُدِّ أحكمَـــهُ الحَكيـــمُ

وترشح تعابير الشاعر وصيغه بعمق الامتنان والشكر الممزوج بمشاعر التقدير والإخلاص والمودة.

ويعتبر «جعفر الخطّي» أهم شاعر مدّاح في فترة دراستنا، ربما لوصول ديوانه. وقد جسّد كل دوافع المديح في الشعر البحراني. ومما قاله اعترافاً بفضل أحد الأشراف واسمه «عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم»[1]:

[طويل]

وإنَّ يَـــداً أَوْلَيْتِنِيهَـــا وإنْ مَضَـــى بِهَـــا الدَّهْـــرُ بَـــاقٍ ذكْرُهَـــا بِبَقَائِـــي
أَرَاكَ بِعَينَـــيْ عَاجِـــزٍ عـــن جَزَائِهَـــا فيصـــرِفُ وَجْهِـــي عـــن لِقَـــاكَ حَيَائِـــي
فلســـتُ امـــرءاً إنْ غَـــابَ غـــاب وَفَـــاؤُهُ ولكنَّنِـــي إنْ أَنْـــأَ يَـــدْنُ وَفَائِـــي

ويتجلّى امتنان الشاعر وحفظه الإحسان من خلال اعترافه به مدى الحياة. كما يتمثّل في تصريحه بعجزه عن ردّه، وخجله من لقاء المحسن[2].

3. المدح طمعاً في النوال والغنى: وغالباً ما يأتي في مديح الشعراء للحكام أو الشخصيات المرموقة. ونلمح هذا المعنى وإن لم يصرح به الشاعر. من ذلك قصيدة مدح فيها «جعفر الخطي» ركن الدين محمود بن نور الدين» وزير «البحرين» الهرمزي وحليف البرتغاليين[3] قال:

[كامل]

ولأَخْبِطَـــنَّ حَشَـــا الظَّـــلَامِ مُيَّمِمـــاً مَلـــكاً بمـــا ملكـــتْ يَـــدَاهُ جَـــوَادا

(1) ديوانه ص3.
(2) يُراجع أيضاً الديوان ص27 القصيدة الدالية كامل وص55 الرائية خفيف.
(3) ديوانه ص44.

لا يَقْتَنِـــي غيـــرَ السَّـــوَابِغِ والقَنَـــا والبِيْـــضِ والخَيْـــلِ العِتَـــاقِ عَتَـــادا
ولـــه كمـــا حَـــلَّ الربيـــعُ نِطَاقَـــهُ سَـــيْبٌ يُبَخِّـــلُ صَوْبُـــهُ الأجْـــوَادا

فصفات البذل التي خلعها على الممدوح والتي وضعته في مكانة سامقة بالنسبة لهذا الخلق، وسخائه بكلّ شيء عدا أدوات الشجاعة إنْ هي إلا استدرار لسيبه وحثّ على العطاء المجزي.

الفئات الممدوحة:

من أهم الفئات الاجتماعية التي مدحها شعراء البحرين أصحاب الجاه والسلطان وفئة العلماء. ومع وجود معان مشتركة بين مدائح الفئتين نلحظ ثمة فروقاً بينهما. وستتضح أبعاد ذلك في دراستنا لما قيل من تقريظ فيهما.

الفئة الأولى: رجال الدولة والوجهاء:

مدح الشعراء الأمراء ورجال الحكم والوجهاء. ويعدّ ما وصلنا من هذا اللون محدود الحجم بالقياس إلى المضامين الأخرى.

وقد استمدّ الشعراء من الأقدمين معاني المديح ومعاييره. فأسبغوا على ممدوحيهم كل الصفات الأخلاقية المحبّبة من كرم وشجاعة وهمّة عالية وسمو مكانة وما إليها. وقد عرضنا نماذج منها في دراستنا للقيم الخلقية في المدائح المنظومة في آل البيت[1]. وهي لا تكاد تختلف عنها سوى أن مدائح العلويين أكثر سلاسة ونبضاً.

مدح الشعراء الحكّام المحليين. ولـ«جعفر الخطّي» أربع قصائد في مدح وزير البحرين «ركن الدين محمود بن نور الدين»[2]، وقد اعتنى الشاعر بإضفاء أعلى الصفات الأخلاقية عليه، وعوّل على مخزونه الثقافي يستمد منه الأشباه والنظائر وذلك خلال مقارنته له بأشهر رموز التاريخ القديم العربي وغير العربي. يقول:

[خفيف]

كِسْـــرَويُّ العَدَالَـــةِ اســـكندريُّ الـ ـــفَتْحِ والعَـــزْمِ رُسْـــتَمِيُّ الكِفَـــاحِ
أَسَـدُ الفَتْـكِ أَجْـدَلُ الخطـفِ ذيـبُ الـ ـــكَرِّ فَهْـــدُ الوُثُـــوبِ كَبْـــشُ النِّطَـــاحِ
أَحْنَـفُ الحُكْـمِ أكثـمُ الـرأْيِ زبيـرُ الـ ـــثأرِ قِـــسُّ البَيَـــانِ كَعْـــبُ السَّـــمَاحِ
مـــا شـــكَا الحَيْـــفَ عنـــدَهُ أَعْـــزَلُ النُّـ ـــضرَةِ إلاّ وَعَـــادَ شَـــاكِي السِّـــلَاحِ[3]

(1) يُراجع الباب الثاني فصل «المناقب في شعر آل البيت» ص229 وما بعدها.

(2) تُراجع في ديوانه ص19 و43 و72 وأوردها الأمين، محسن، صاحب أعيان الشيعة، مصدر سابق، في ج10 ص111 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ص20. وضاهاه في عدله بكسرَى ملك الفرس، وفي انتصاراته بالاسكندر المقدوني، وفي =

فالشاعر لم يكتف بحشد كل المعاني الخلقية والعقلية واللسانية المرغوبة وحسب، بل جعله في الذروة منها، محتذياً مفاهيم الأقدمين[1]. وامتدح عنايته بالرعية والسهر على توفير الأمن والطمأنينة لها فقال[2]:

[بسيط]

أَنَامَ سِرْبَ الرَّعَايَا في ذُرَاهُ فما تنفكُّ نَائِمَةً في ظِلِّ يَقْظَانِ
لم يرضَ أَنْ غَمَرَ الأحياءَ نَائِلُهُ حَتَّى كَسَا بالصنيعِ الهَالِكِ الفانِي

وللوصول بسببه إلى أبعد الحدود جعله يتعدّى الأحياء إلى أهل القبور.

مدح شعراء البحرين أمراء وحكّاماً من خارج بلادهم. وللخطّي قصيدة في مدح خلف بن عبد المطلب ـ ملك الدورق ـ من نواحي العراق[3]. وأخرى في مدح سلطان «صحار» من نواحي عمان. صاغها رعاية لجانب النسب ـ كما يقول مقدّم الديوان ـ وذلك حين علم بانتماء الممدوح لبني تغلب بن وائل وأنّه من نسل الشاعر عمرو بن كلثوم[4].

وألمحنا إلى مدح محمد بن عبد اللّه الحسيني أحمد بن محمد معصوم ـ من أمراء[5] الهند. ومما قاله في الإشادة بمآثره وبانتمائه إلى البيت العلوي:

[رجز]

أحمدُ مَنْ صَعَّدَ كَعْبَ أَحْمَدِ وذِرْوَةُ المَجْدِ وهَامُ السُّؤددِ
بالعِلْمِ والفَضْلِ وطِيْبِ المَحْتِدِ وهِمَّةٍ تدوسُ فَوْقَ الفَرْقَدِ
قد جَاءَنَا مِنْ دَوْحَةِ المَجْدِ التي ما بَرحَتْ أثمارُهَا كالعَسْجَدِ[6]

= قوته برستم القائد الفارسي. وقرنه في سلامة الحكم بالأحنف بن قيس، وفي صحة الرأي بأكثم بن صيفي وفي الفصاحة بقسّ بن ساعدة الأيادي، وفي السخاء بكعب بن مامة. وأما قوله «زبير الثأر» فلم نجد لهذا المثل وجوداً في المعاجم وكتب الأمثال. وورد في كتاب «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1978، ج2 ص94 قولهم: «أفرس من الزبير بن العوّام» ويقول المؤلف عن هذا المثل: إنه من باب ترك المشهور وضرب المثل بالأقل شهرة. وربما أراد الخطي لفظة «الزَّبْر» وهو القوي الشديد من الرجال. يُراجع مادة «زبير» في اللسان وتاج العروس.

(1) يبدو الشاعر متأثراً بمعايير النقاد الأقدمين كمقولة ابن طباطبا، محمد بن أحمد، في عيار الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1982، ص27 التي استحسن فيها التمثيل في المعاني والصفات بالمشهورين المقتدى بهم فيها. ومقاييس ابن رشيق في العمدة، مصدر سابق، ج2 ص129 و130 المتعلقة بمدح الملوك.

(2) ديوانه ص117.

(3) ديوانه ص59

(4) المصدر نفسه، ص75.

(5) أورد ابن معصوم المدني، علي خان صاحب سلافة العصر، وهو ابن الأمير المذكور ثلاث قصائد في مدح والده الأولى رائية طويل في ص499، والثانية ميمية وافر ص500، والثالثة دالية رجز ص502.

(6) المصدر نفسه، ص502 وأحمد المذكور أولًا في البيت الأول هو الممدوح وقصد بالثاني الرسول ﷺ.

كما مدح ابنه عبد اللّه بن محمد الحسيني الأمير ابن معصوم، ونوّه بمناقبه وأسبغ كلّ الخصال الحميدة عليه. وفي ثنايا المديحة تطرّق لوصف مكابدته للوصول إلى الممدوح ـ كما فعل الأقدمون. وصرح دون مواربة بما يحدوه من طموحات وآمال عراض. يقول[1]:

[وافر]

قصدتُ إليكَ من بَلَدٍ بعيدٍ ... وباعدتُ المنازِلَ والرِّحَابَا
وغادرتُ الأحِبَّةَ من فِرَاقٍ ... مواصلةً بكاءً وانتحابَا
لأُوْلَى من فواضِلِكُمْ نصيباً ... وأُعْطَى من فَوَاضِلِكُمْ نِصَابَا
وأجمعُ بين إثراءٍ وعِزٍّ ... وأُسْرِعُ نَحْوَ مَثْوَايَ انقلابَا
وأقضي للعُلَا قِبَلِي حُقُوقاً ... لبستُ بِمَطْلِهَا عَاراً وعَابَا

فالشاعر يأمل أن يكون العطاء المنتظر وفيراً بقدر المعاناة وبحجم الطموحات.

ومدح الشعراء عليّة القوم من رجال الدولة ووجهائها. وأفرغوا عليهم المعاني المدحية نفسها التي أضفوها على الأمراء. ومما قاله «الخطّي» في وصف الخواجة «إبراهيم بن محمد بن عبد اللّه» كاتب ديوان السلطنة بـ«البحرين»[2]:

[وافر]

تَفَرَّسَ نَاظِرُوهُ الخيرَ فيهِ ... وَليداً وهو في خِرَقٍ وَمَهْدِ
أَغَرُّ، عليه مُتَّكَلي إذَا ما ... تَحَامَتْني الوَرَى ولَهُ مَرَدِّي
كأنَّكَ تستضيءُ بِهِ هِلَالَا ... إذَا استقبلتُهُ أَوْ نَجْمَ سَعْدِ

فجميل الخصال فطرة في الممدوح، وملاحة المحيّا مظهر لجمال نفسه وحسن سجاياها من كرم ونجدة وغيرها.

وإذا كان مديح الأمراء والوجهاء قد اتّحدا في الغاية والهدف وهو الاستمناح، فهناك ثمة فرق بينهما وهو في أسلوب طلب الرفد. فالغالب على الشعراء في مديح الأمراء التحرّج من تحديد نوعية الرفد، هذا مع التصريح أو الإيماء أحياناً إلى المقدار المطلوب. أما في مديح الوجهاء، ونتيجة لتوطّد العلاقة بين طرفي المدح فالشعراء يكونون أكثر تبسّطاً وصراحة. فهم لا يجدون بأساً في طلب ما يريدون. وقد أدّى ذلك إلى تحوّل مديح الأعيان إلى لون من الاستجداء والمساجلات الإخوانية أو المطارحات الخفيفة. يقول «الخطّي» مستهدياً تمراً من أحد ممدوحيه:

---

(1) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص511.

(2) ديوانه ص23.

[طويل]

قُــلْ لأحْفَــى النــاسِ بــي وأبرِّهِــمْ وأرغبِهِــمْ فيمــا لَــديَّ مــن الشُّــكْرِ
أَخِــي الخُلُــقُ السّــهْلِ الــذي لَــوْ أَجَالَــهُ علـى الدَّهْـرِ لـم يشـكُ امـرؤٌ قسـوةَ الدَّهْـرِ
لَــكَ الخيْــرُ بيــتٌ أقفــرتْ حُجَراتُــهُ مــن التَّمْـر يَسْـتَهْدِيكَ شـيئاً مـن التّمْـرِ
فَبَــادِرْ بِــهِ فالوَقْــتُ كَادَ لقربِــهِ يُرِيــكَ علــى قِنْوَانِــهِ يَانِــعَ البُسْــرِ[1]

وقـد وصـل رفع الكلفة بيـن «خليل بن علوي» وأحـد ممدوحيه إلى مطالبته بالإسـراع بتنفيذ وعدٍ قطعه على نفسه يقول[2]:

[بسيط]

سَــامِي وجــودِكَ دَانَ العَالِمــونَ لَــهُ وَجُــودُكَ العــذْبُ زانَــتْ فيــهِ أَوْقَــاتُ
عَلَـى أيَادِيـكَ قـد عَـاشَ العُفَـاةُ مِـنَ الـ ـوَرَى جميعـاً وهُـمْ مـن قبـلُ أمْـوَاتُ
وعــدتَ جميــلاً فَمَــاذَا الآنَ فيــهِ تَــرَى يــا مَــنْ بِــهِ نُشِــرَتْ للمجــدِ رَايَــاتُ
جُــدْ لِــي فــإنَّ خيــارَ الــجُودِ عَاجِلُــهُ ولا تُؤخِّــرْ فللتأخيــرِ آفَــات

انجرّ عن رغبة الشـعراء في التزلّف للممدوحين وإرضائهم ونيل رفدهم بسـبب ضغط الحاجة حيناً، ولدواعي الطمع حيناً آخر إن انسـاقوا وراء المبالغات تأثّراً بالأقدمين. ومما قاله «عبد اللّه بن محمد الحسيني» مخاطباً ممدوحه «ابن معصوم»[3]:

[وافر]

وأنــتَ النــاسُ إنْ تغضَــبْ عَلَينَــا رَأَيْنَــا النــاسَ قاطبــةً غِضَابــا
وأُقْسِــمُ لــو غَضِبْــتَ علــى جِبَــالٍ لأَضْحَــتْ مِــنْ مخافَتِهَــا تُرَابــا
ولــو أوعــدتَ مــاءَ البَحْــرِ زَجْــراً لأَمْسَــتْ مِــنْ مهابتِــهِ سَــرَابا
أَمِنْــتُ مَكَابِــدَ الأيَّــامِ لــمَّا خدمــتُ علــى الــولاءِ لكــم جَنَابَــا

فالشـاعر يسـتقي فكرة المبالغة في البيـت الأول من بائية «جرير» التـي احتذاها وزناً وقافية. ثم انزلق وراء سلسـلة من المبالغات جسّد فيها هيبة الممدوح وسطوته وقدرته على التصدّي في مواجهة الأيام تزلّفاً والتماساً للرفد[4].

---

(1) ديوانه ص47. والقنوان عذق النخلة، والبُسْر التمر قبل أن ينضج.

(2) الديوان ص96.

(3) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص511.

(4) يُراجـع ديـوان الخطفـي، جرير بن عطية، شـرح محمد إسـماعيل الصـاوي، دار مكتبة الحياة، بيـروت، د.ت، ص64. وقد اقتبس الشاعر معناه من البيت التالي: [وافر]

إذا غضِبَــتْ عليــكَ بنــو تميــم حَسِــبْتَ النــاسَ كُلُّهُــمُ غِضَابَــا

تُراجع أيضاً مديحة الشاعر كاتب الوقائع لسلطان العجم في السلافة ص514.

ومـن مبالغات «الخطّي» جعله الجود خلقاً يمارسـه الممدوح منذ نعومة أظفاره. وقد وصل إلى اعتبار الناس عيالاً عليه في هذا السلوك. يقول:

[وافر]

فَتًـــى مـــا زَالَ مُـــذْ نِيْطَـــتْ عَلَيـــهِ تمائِمُـــــهُ يُعِيـــــدُ نَـــــدَى ويُبْـــــدِي
وإنْ كانَ الأنَـــــامُ بنـــــي نَـــــدَاهُ فَجَادِيهِـــمْ بمـــا يجديـــه يُجْـــدي[1]

لقد أشـاعت المبالغـات الممجوجة التكلّف في مدح رجال السـلطة. ومما رسّـخ هذه الـروح الهدف المـادي الذي انبنى عليه ذلك الشـعر. وضعـف الروابط العاطفيـة بين المادح والممدوح. فقد كانت في أغلبها روابط رسـمية تفتقر للإحسـاس بالودّ أو بالإعجاب أو غيرها مـن المشـاعر التي تضفي على الشـعر حيوية التدفّـق وتنأى به عن البـرودة والافتعال. ورغم شـيوع هـذه الروح نصـادف ـ وعلى قلّـة ـ مدائح أكثر انسـياباً وصدقاً بسـبب نوعيـة العلاقة القائمة بين الطرفين. من ذلك مديحة «الوائلي» في أبيه. ومما جاء فيها[2]:

[كامل]

يـــا أيُّهَـــا الـــمَلِكُ الأَجَـــلُّ ومَـــنْ لَـــهُ مِنَـــنٌ قـــد انتشَـــرَتْ بأهـــلِ زَمَانِـــهِ
خُـــذْ مـــن ثَنائِـــي نفثـــةً مـــن صـــادِقٍ أَقْصَـــاهُ الدَّهْـــرُ عـــن أَوْطَانِـــهِ
أعْطَـــاكَ ربُّـــكَ مـــا تريـــدُ مـــن العُـــلَا وحَمَـــاكَ بالتنـــزيلِ مـــن قرآنِـــهِ

فالمشـاعر تبـدو دافئة والدعـاء صادق وعبـارات التبجيـل لا تخلو من العاطفـة. ومردّ ذلك إعجاب الشاعر وتقديره والمودة العميقة التي يكنّها للممدوح.

الفئة الثانية: الشخصيات العلمية:

نظراً لكون أغلب الشـعراء فقهاء، وانطلاقاً من رؤية تقديرية للعلم وأهله مدح شـعراء البحرين العلماء لاسـيّما من ارتبطـوا بهم بعلاقات فكرية. فنوّهـوا بجهودهم ودورهم الفعّال فـي خدمـة العلم. ولم يقتصر مدحهم علـى علماء بلادهم. بل امتدّ ليشـمل مَنْ توطّدت بهم علاقتهم العلمية إبّان اغترابهم خارج الوطن.

ويظهـر أن فقهـاء «العـراق» أكثـر من نال حظـوة عندهم. فقـد مدحوا العديـد منهم. وألمحنا إلى الروابط الثقافية المتينة بين البلدين[3].

---

(1) ديوانـه ص23. وعـن تحبيـذ الأقدمين للمبالغـة يُراجع: ابـن جعفر، قدامة، نقد الشـعر، تحقيـق محمد عبد المنعـم خفاجـي، ط1، مكتبـة الكليـات الأزهريـة، 1928، ص141، وابـن رشـيق، العمدة، مصدر سـابق، ج2 ص53، وابن سنان، عبد اللّه بن محمد، سر الفصاحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1982، ص271.

(2) ديوانه ص31.

(3) يُراجع فصل الحياة الثقافية ص90 و101.

وبتفحّصنا لطبيعة مديح العلماء نجد أنها تتشابه في الكثير من جوانبها مع المدائح الأخرى. فالشعراء ما فتئوا يخلعون على العلماء كل الفضائل الخلقية العالية من كرم وشجاعة وما إليها. هذا مع عناية بإبراز الصفات العلمية على مستوى الكمّ والكيف. ولعلّ من المناسب أن نلقي بعض الضوء على هذا الجانب لنرى كيف تناولوه. يقول «علي بن عبد اللّه الستري» في تقريظ «ناصر بن أحمد» ووصف اتساع علومه[1]:

[طويل]

وَعَى قَلْبُهُ أسرارَ كلَّ حقيقةٍ من العلمِ واضطمتْ عليها جَوَانِحُهْ

فلفظة «كلَّ» تعبّر عن المعنى الشمولي لمعارف الممدوح، ويدلّ وعي قلبه للحقائق وانضمام جوانحه عليها على معنى التسرّب والتغلغل.

وجسّد «خليل بن علوي» ما تميّز به الفقيه العراقي «محمد شفيع» من غزارة علم، فقال[2]:

[كامل]

بَحْرٌ يفوقُ البَحْرَ في هَيَجَانِهِ عِلْماً وأضحَى بالمكارِمِ مُزْبِدا
بل لا يقاسُ البحرُ فيهِ لأنَّهُ ملحٌ وذَا عَذْبٌ فراتٌ مَوْرِدا

ونوّه الشاعر نفسه بالفيض العلمي المدعوم بصحة الرأي للعالم البحراني «محمد العصفور» فتصوّر علومه إلهاماً من اللّه لا تعلُّماً[3]:

[وافر]

كأنَّ علومَهُ تاللَّهِ كانتْ بإلهامٍ ولم تكُ باكْتِسَابِ

وأشاد «الخطّي» في قصيدة قرّظ فيها صديقه الفقيه «ماجد بن هاشم» وأسبغ عليه كل الصفات الفكرية المطلوبة للعلماء. ومما قاله في وصف ذكائه وملكاته العقلية[4]:

[خفيف]

وذكاءٌ وفطنةٌ مثلُ ما تعـ ـبثُ ريحُ الصَّبَا بِذَاكي الجَمْرِ

وأشاد بقدرته على الفتْيَا والتضلّع فيها فقال:

وفتاوٍ مُسْتنبَطاتٍ تُغَانِي عن رجوعٍ فيها لزَيدٍ وعمرو
كافلٌ في الجَوَابِ أنْ ليسَ يبقَى رَيْبُ نَفْسٍ ولا حَرَاجَةُ صَدْرِ

(1) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.
(2) الديوان ص104 واكتفى المصدر بذكر الاسم الأول الممدوح.
(3) المصدر نفسه، ص188.
(4) ديوانه ص55.

وأثنى على عدله في القضاء وردّه الخصمين راضيين:

وقضـــــاءٌ فَصْـــــلٌ يَـــــرِدُّ الغَرِيميـــــنِ حَلَيفَـــــي رِضَـــــى عليـــــهِ وشُـــــكْرِ

ونوّه بالوسائل المعينة على العدل في الأحكام:

مســـــتنيرُ البرهَـــــانِ تَلْقَـــــى عليـــــهِ مسْـــحَةً مـــن قَضَـــاءِ قَاتِـــلِ عَمْـــرو[1]

فقـد أضفـى عليه صفـة العدالة فـي القضاء وجعلهـا أثراً من آثـار عدل الإمـام «عليّ» الذي ينتسب إليه الممدوح.

كما أشاد بمهارته في أساليب الجدال وإفحام الخصوم:

واحتجـــاجٍ يلقَـــى الخُصُـــومَ بمـــا قـــا بَـــلَ بِـــهِ مُوسَـــى رجـــالَ السِّـــحْرِ

عرض الشعراء لبيان الدور الاجتماعي للعلماء. ومما قاله «خليل بن علوي»[2]:

[بسيط]

وزاخـــرُ العلـــم لـــولا علمُـــهُ لَجَـــرَتْ زَوَاخِـــرُ الجَهْـــلِ فـــي الدنيـــا مـــن البَشَـــرِ

فقد ربط بين غزارة علم الممدوح وأثره في القضاء على الجهل المتمكّن. ووسّع ذلك الأثر ليعمّ الدنيا والبشر. وفي ذلك مبالغة وإسراف.

أثنى الشعراء على دور الفقهاء في خدمة الدين. ومما قاله الشاعر السابق في الإشادة بأحد العلماء وبيان أثره في أحكام الشرع وتوطئة تعاليمه[3]:

[كامل]

زانَـــتْ بِـــهِ الأيّـــامُ واتضحـــتْ بِـــهِ الـــ ـــأحكامُ والديـــنُ الحنيـــفُ تَمَهَّـــدا

ومجّدوا فصاحة الفقهاء وقدراتهم البيانية. فقال «حسين بن زعل»:

[طويل]

فَسَـــحْبَانُ بيـــن القـــوم إنْ رحـــتَ نَاظِمَـــا وقِـــسٌّ أمَـــامَ النـــاسِ إنْ رحـــتَ خَاطِبَـــا[4]

نوّهـوا بقـدرة بعـض العلماء علـى القريظ، وأطـروا فنّهم الشـعري. ومما قالـه «جعفر الخطّي» في مضاهاة ممدوحه بفحول الشعر العربي[5]:

---

(1) كنّـي عـن الإمام علـيّ بقاتل عمرو لمناسـبة القافية وعمـرو وهو ابن عبـد ودّ العامري قتله الإمـام عليه في غزوة الأحزاب.

(2) ديوانه ص107.

(3) المصدر نفسه، ص104.

(4) الأميـن، محسـن، أعيـان الشـيعة، مصـدر سـابق، ج6 ص23 وضاهـى الشـاعر فصاحـة النظـم عنـد ممدوحه بفصاحة سحبان وائل وماثله في مقدرته الخطابية بمقدرة قسّ بن ساعدة الأيادي.

(5) ديوانه ص56.

[خفيف]

وقريـــضٌ لـــو اجتـــلاهُ امـــرؤُ القيـــسِ تَمنَّـــــاهُ والـــــداً دونَ حِجْـــــرِ
دَقَّ معنـــىً فشـــفَّ عـــن غلـــظِ أَلْفَـــا ظٍ مِتَـــانِ القُـــوَى شِـــدَادِ الأَسْـــرِ
غَـــزَلٌ يَسْـــتثيرُ مـــا عَفَـــتِ الأ يّـــامُ مـــن أَرْسُـــمِ الغَـــرَامِ العُـــذْرِي
ومَـــرَاثٍ تجـــدُّ مـــا كَانَ أَبْلَتْـــهُ الليالـــي مـــن حُـــزْنِ خنســـاءَ صَخْـــرِ

وقرّظوا الآثار العلمية. وغالباً ما يمدح الشاعر مؤلفات أستاذه أو من هو في مقامه وإن كان من السابقين عليه. يقول «سليمان الماحوزي» في الثناء على كتاب «التجريد» لـ «نصير الدين الطوسي»[1]:

[كامل]

كُتُـــبُ الـــكلامِ إذَا تَأَمَّـــلَ مُنْصِـــفٌ فـــي جَنْـــبِ «تجريـــدِ العَقَائِـــدِ» كالهِبـــا
أبحاثُـــــهُ مَنْظُومَـــــةٌ كَفَرائِـــــدٍ غُـــرٍّ وتلـــكَ تفَرَّقَـــتْ أيـــدي سَـــبا
لا غـــروَ فالطوســـيُّ طَـــرَّزَ نظمَـــهُ ببنـــانِ فكـــرٍ فـــي الحقائِـــقِ أَغْرَبـــا

فالشاعر يردف إطراءه بالتعليل وذكر أسباب الإعجاب[2]. ومما قاله «عبد اللطيف بن محمود آل محمود» في تقريظ كتاب «الوسيلة المرعية في معرفة الأوقات الشرعية» لأستاذه «خليفة بن حمد النبهاني»:

[طويل]

رســـالةُ حُسْـــنٍ بـــرّزت فـــي فُنُونِـــهِ وشـــاهدُها إيضاحُهـــا فـــي العِبَـــارةِ
بهـــا اتّضَحَـــتْ أوقـــاتُ عُمْـــدَةِ دينِنَـــا وَدَلَّـــتْ علـــى سَـــمْتٍ هَدَانَـــا لقبلـــةِ
ولِـــم لا ومُنْشِـــيها يتيمـــةُ عَصْـــرِهِ ســـلالةُ نبهـــانٍ سُـــمّي بخليفـــةِ[3]

فالشاعر يعلّل ثناءه وهو مُحْتَوَى الكتاب أسلوباً ومادة ولعلّ السبب الحقيقي هو الإعجاب بشخصية المؤلف شيخ الناظم وأستاذ درسه.

هذه نماذج من مدائح العلماء الكثيرة الورود في شعر البحرين. وهي وإن اتسم بعضها بالتكلّف والمبالغة إلا أنها في عمومها أكثر صدقاً وتدفّقاً من مديح رجال السلطة

(1) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج3 ص44 والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج7 ص306، وسبق تعريف الطوسي في المدخل العام ص42.

(2) يُراجع أيضاً مدحه لكتاب «شرح الهياكل» في الكشكول، مصدر سابق، في ج3 ص43 وأعيان الشيعة، مصدر سابق، في ج7 ص305.

(3) النبهاني، محمد، التحفة النبهانية، مصدر سابق، ص144 والشطر الأخير مكسور وربما كان صوابه «سلالة نبهان تسمّى خليفة».

والمـال. ومـردّ ذلـك فـي ظننـا أن الكثيـر منهـا لم ينظـم لأغـراض ماديـة. فالرجال فـي غالب الأحيـان لم يكونـوا من أصحاب الجاه والسـلطان وقد كان هـدف الكثير من الشـعراء التعبير عن الإعجاب بشـخصية الممدوح وتقديراً لدوره الفاعل فـي خدمة الدين وعلومه، وما يترتّب على ذلك من آثار اجتماعية.

والخلاصة أن شـعر المديح ـ حسـبما توفّر لدينا ـ محدود الحجم، وعدد الشعراء الذين ارتادوا مجاله قليل، وكان «جعفر الخطّي» هو المبرّز فيه.

وقـد غلـب علـى أكثـره التكلّـف والتقليديـة الطاغيـة. فمعانيـه معـادة مبتذلـة لاكهـا الشـعراء، وقـد خلا مـن أية تلوينـات فكرية فضلاً عـن التجديد. أما مـا كان منبعثـاً عن علاقة صادقة فلم يخلُ من شيء من التدفّق.

الفصل الخامس

شعر الرثاء

ألمعنا إلى ميل شعراء البحرين إلى الرثاء وعنايتهم بالتفجّع على آل البيت. فكان طبيعياً أن يتفاعلوا مع فاجع الموت في حياتهم ويبكوا من قضى نحبه من أهلهم وذوي ودّهم وتقديرهم.

الفئات المرثية:

1 ـ فئة الفقهاء وعلماء الدين:

وتشكّل أهم شريحة اجتماعية بكاها الشعراء. وقد رثوهم وفاءً لهم وتنويهاً بفضلهم ومآثرهم، وتمجيداً لدورهم في الحياة الفكرية والدينية.

وعرضوا ضمن رثائهم العلماء للخسارة الناجمة للعلم والدين عن فقدهم، ومما قاله «ماجد بن هاشم» في رثاء السيد «عبد اللّه القاروني»[1]:

[كامل]

رَثَّتْ لفقدِكَ بِزَّةُ الفَضْلِ ... وفَشَتْ خِلَافَكَ آفةُ الجَهْلِ
وتنكَّبَتْ سُبْلُ الهُدى عِصَبٌ ... قد كُنْتَ هَادِيها إلى السُّبْلِ
اليَوْمَ سُدَّ الحقُّ واحْتُكِمَتْ ... رِتَجٌ على التوحيدِ والعَدْلِ
قد كُنْتَ فَاتِحَ كُلِّ مُغْلَقَةٍ ... منْهِنَّ قَبْلَ العَبْثِ بالعَقْلِ
تفري أَدِيْمَ شُكُوكِهَا قِطَعاً ... بقواطعٍ أَمِنَتْ مِنَ الفَلِّ

والأبيات تشيد بجهوده في خدمة العلم والدين. وما اعتراهما من تقهقهر واستغلال. فالحق قد أغلقت منافذه، والدين أوصدت عليه الأبواب، وكنّى عنه بالتوحيد والعدل وهما من مبادئ أصول الدين عند الإمامية. وفي البيتين الأخيرين إشارة إلى بعض سجاياه العلمية.

ولتعلّق «خليل بن علوي» بالفقيه البحراني «محمد بن أحمد العصفور» وإحساسه بفداحة الخسارة النازلة بالدين لفقده قال[2]:

---

(1) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر. وتُراجع ترجمة المرثي عند الماحوزي، سليمان بن عبد اللّه، فهرست علماء البحرين، منشورات مكتبة آية اللّه المرعشي، النجف، قم 1404هـ ص72 وعند البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص84.

(2) ديوانه ص202. وكان المرثي يتولّى منصب الإمام والقضاء. وله ما يربو على الأربعين مصنّفاً وتوفي في =

[كامل]

الدِّيْـــنُ مَـــادَ دِعَامُـــهُ مِـــنْ بَعْـــدِهِ وَقَواعـــــدُ الإيمـــــانِ لـــــم تتقعَّـــــدِ
وبفقـــدِهِ انْطَمَسَـــتْ شـــريعَةُ أحْمَـــدٍ وبغيـــــرهِ للنـــــاسِ لـــــم تتمهَّـــــدِ

وتشـفّ المبالغـة عـن تقديـره الكبيـر لمكانـة المرثـي، وتمجيـده لجهوده فـي خدمة الشريعة المحمدية.

وعـرض الشـعراء للجانـب الذاتـي ونقصد وصف أثـر الحادث علـى النفـس، ومما قاله «الخطّـي» في مرثيته للفقيـه «أحمد بن عبد الصمد الموسـوي» (ت 1021هـ/1612م) مصوّراً وقع الفاجعة على نفسه وشدّة تأثره بها[1]:

[طويل]

وَرَاءَكُمَـــــا إنّ الـــــمُصَابَ جَلِيـــــلُ وإنَّ البُـــــكَا فـــــي مِثْلِـــــهِ لَقَليـــــلُ
ألَا فاتركَانـــــي والبُـــــكَاءَ ولـــــو غَـــــدَتْ لِذَلِـــكَ رُوْحـــي فـــي الدّمُـــوعِ تَسِـــيلُ
فأيســـرُ مَـــا يُقْضَـــى بِـــهِ حَـــقُّ هَالِـــكٍ دُمُوعُـــكَ لـــو يُطْفَـــى بِهِـــنَّ غَلِيْـــلُ

فتفجّع الشـاعر عميق وإحساسـه بالفقد عظيم، والبكاء مهما تزايـد فهو أقلّ ما يمكن أن يعبّـر بـه الإنسـان عـن لوعـة حزنـه وأسـاه. وقـد بكـى «خليل بـن علـوي» فـي مرثيتـه لـ «محمد بـن أحمد العصفور» وتوجّع بلهفة ولوعة وهو يعدّد مآثره العلمية وقدراته الكبيرة التي قهرها الموت[2]:

[كامل]

هَيْهَـــاتَ شَـــطَّ تصبُّـــري وتَجَلُّـــدِي لَمَّـــا نَعَـــى النَّاعِـــي بِمَـــوْتِ مُحَمَّـــدِ
نَشَـــبَتْ بِـــهِ أَيْـــدِي المَنُـــونِ أَمَـــا دَرَتْ فـــي كلِّ عِلْـــمٍ غامـــضٍ هُـــوَ ذُو يَـــدِ؟
والـــوِرْقُ نَاحَـــتْ فـــي الغُصُـــونِ لَـــهُ وقـــد كانـــتْ لَـــهُ مُـــذْ كَانَ ذَاتَ تَغَـــرُّدِ

فالشاعر قد عيل صبره وتعذّر جلده وشاركته عناصر الكون في أحزانه.

ووصف الشـعراء رزية فقـد العلماء على الصعيد العام. فصوّروا حـزن الناس وحيرتهم، وأسفهم من جرّاء الخسارة الفادحة. يخاطب «الخطّي» الرزية فيقول:

[بسيط]

أَيُّ امـــرِئٍ وَيْـــكِ أَفْجَعْـــتِ الزَّمَـــانَ بِـــهِ فَاسْتَشْـــعَرُوا بَعْـــدَهُ التِّزْفَـــارَ والأَلَمـــا

= 1274هـ/1857م، تُراجـع ترجمتـه والمرثيـة المذكـورة عنـد التاجـر، محمد علـي، مسـودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 788.

(1) ديوانه ص89 وترجمة المرثي عند الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج2 ص625.

(2) ديوانه ص202.

كُلٌّ يُزِيْـــــــرُ ثَنَايَـــــــاهُ أَنَامِلَـــــــهُ حُزْنـــاً عَلَيـــهِ ويُدْمِيْهَـــا بِهَـــا نَدَمـــا
وينثِـــرُونَ وسِـــلْكُ الحُـــزْنِ يَنْظِمُهُـــمْ عَلَـى الخُـدُودِ عقيـقَ الدمـعِ مُنْسَـجِما[1]

وتجسّـد صـورة وضـع النـاس أصابعهـم بيـن ثناياهـم وإدماؤهـم إياهـا شـدّة حزنهـم وأسـفهم. ولإكمال صورة الحـزن تخيّل دموعهم منثـورة على الخدود وقد احمـرّ لونها وغدت دَماً من شدّة التأثّر.

وصـوّر «الخطـي» اتسـاع الحزن وشـموله الناس كافـة وهو يعـزّي والد العالـم الفقيد. ومما قاله:

[طويل]

أَوالِـدَهُ مـا أنـتَ فـي الثَّـكْلِ وَاحِـدٌ شـــريكُكَ فيـــهِ عَالِـــمٌ وجَهُـــولُ
فـإنْ قُلْـتَ قـد أودَى سَـلِيلي فإنَّـهُ لِسَـائِرِ هَـذَا العَالَمِيـنَ سَـلِيلُ[2]

فقد جعل الإحسـاس بالفقد عامّاً، والخسـارة شـاملة للتخفيف من هـول فاجعة الوالد وبيان قيمة المرثي.

وبيّن «خليل بن علوي» أثر موت أحد العلماء على البلاد فقال:

[كامل]

عَـدَتِ الخُطُـوبُ علـى «أَوَالَ» وَمَـنْ بِهَـا حَتَّـى غَـدَتْ ذَا اليَـوْمَ نُهْبَـةَ مُعْتَـدِي[3]

فـي إطار رثاء العلماء رثى الشـعراء شـيوخ درسـهم اعترافاً بما لهم مـن فضل وجميل، وإكبـاراً وتقديـراً لما بينهـم من علاقة روحية متينـة. كما بكوا ما تمتّعوا به من سـجايا علمية. وقد اتسـمت أكثر مراثي الشـعراء لشـيوخهم بالفيض العاطفي وتدفّق المشـاعر. وغلب على بعضها تفوّق الجانب الذاتي بتصوير أحاسـيس الشاعر الخاصة على جانب الموضوع، وإن لم يبخسوا المرثيين حقّهم في الثناء. يقول «صالح بن طعّان» في رثاء أستاذه «حسن العصفور»، مصوّراً ألمه:

[بسيط]

أَقْـذَى مُصَابُـكَ عَينِـي والدُّمُـوعُ غَـدَتْ حَمْـــرَاءَ والقلـــبُ أَصـــلَاهُ الأَسَـــى لَهَبـــا
يَـــا حَامِلِيـــهِ علـــى الأكتـــافِ وَيحَكُـــمُ كيـــف اجترأتُـــمْ علـــى ذَا الأمـــرِ وَاعَجَبـــا
حملتُـــمُ بَـــدْرَ تَـــمٍّ فـــوقَ أَظْهِرِكُـــمْ لتدفنُـــوهُ ولـــمّا توجســـوا رُعبـــا؟

(1) الديـوان ص113.ويزيـر: يضغط ويشـدّ مـن «الزيار» وهو حبل أو سَـيْرٌ يوضـع في فم الدابة إذا اسـتصعبت لتنقاد وتذلّ. وهو أيضاً كل ما كان صلاحاً وعصمة للشيء مادّة «زير» اللسان.

(2) ديوانه ص90.

(3) ديوانه ص203.

دفنتُـمُ العِلْـمَ والتقـوى وكنـزَ سَـخَا لَهْفـاً عليـهِ وضعتُـمْ فَوْقَـهُ تُرُبـا
سـمعتُ نَاعِيـهِ يرثـي فَأَرَّقَنِـي وَظِلْـتُ مـن أَسَـفٍ أَبكيـهِ مُنْتَدِبـا[1]

ولـ «سـلمان التاجر» مرثية في أسـتاذه «سـلمان بن أحمد العصفور» تفجّـع فيها ونوّه بإكبـار بمناقبه الخلقية والعلميـة. ومما قاله في وصف وقوع النبأ المفاجئ على نفسـه وهو بعيد[2]:

[خفيف]

عَقَـدَتْ أَدْمُعِـي عَلَـى الخَـدِّ مَرْجَـا نـاً دَوَاهٍ دُهِـي بهـا الإسْـلَامُ
يَـوْمَ جَـاءَ البريـدُ يَحْمِـلُ لكـنْ نبـأً فِيـهِ طَاشَـتِ الأحْـلَامُ
يَـوْمَ نَـادَتْ بالثَّـكْلِ شِـرْعَةُ طَـهَ وتَدَاعَـى مـن الرَّشَـادِ دِعَـامُ
بَحْـرُ عِلْـمٍ عَـذْبُ الـمَجَاجَةِ يُطْفَـى فيـهِ للشَّـاربينَ مِنْـهُ أُوَامُ
ومُطَـاعٌ لَـو السُّـيُوفُ عَصَتْـهُ حَارَبَتْهَـا بِعَزْمِـهِ الأقْـلَامُ

فانفعال الشـاعر وشـدّة تأثـره جعله يعتبر الحـادث دواهي لا داهيـة واحدة، وقد ظل الشـاعر فـي أكثر أبيـات القصيـدة يدور في إطـاري الـذات وأسـاها وانعكاس الحـدث عليها. وإطـار الموضـوع بالثنـاء على الفقيد وسـجاياه، رابطـاً بينهما. وممـا قاله في تجسـيد مكانته وذكر قدراته الكبيرة:

يـا نِظَـامَ العليـاءِ بعـدكَ مـا للـ ـعِلْمِ والعَـدْلِ والقضـاءِ نِظَـامُ
إنَّ حُزْنِـي عَلَيْـكَ حُـزْنٌ طَوِيـلٌ فيـهِ تَفْنَـى الشُّـهُورُ والأعْـوَامُ

ورثـى شـعراء البحرين فقهـاء المنطقة الذيـن ارتبطوا معهـم بعلاقة صداقـة. وما قاله «خليل بن علوي» راثياً «حسن جوهر» من علماء العراق، مخاطباً قبره مبرزاً صفاته[3]:

[كامل]

يـا قبـرُ غَـاضَ البَـدْرُ فيـكَ فَـلَا تَكُـنْ مِـنْ بَعْـدِهِ إلاّ مُنِيـرَ الـمَطْلَعِ
يـا قبـرُ غَـاضَ البحـرُ فِيـكَ ولـم تَـدَعْ للنـاسِ إلاّ غُلَّـةً لـم تنفَـعِ
لَا غَـرْوَ إنْ حُـزْتَ الهِدَايَـةَ والهُـدَى والدِّيْـنَ والدُّنْيَـا ولـم تتصَـدَّعِ
ضَاقَـتْ بِـكَ الدُّنْيـا فَعِفْـتَ جِوَارَهَـا ونزعْـتَ نَحْـوَ الـخُلْدِ أكـرمَ مَنْـزَعِ

---

(1) التاجـر، محمـد علـي، مسـودّات المنتظـم، مصـدر سـابق، ترجمـة (387) ومنتدبـاً مـن الندب وهـو تعديد محاسن الميت.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص623.

(3) ديوانـه ص113. وللشـاعر قصيـدة أخرى فـي المرثي نفسـه يُراجـع البلادي، حسـين بن علي، ريـاض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص115.

وتطفح الأبيات بتقدير الشاعر وإكباره للمرثي.

رثى «طه بن إبراهيم العرادي» «محمد حسين آل بوخميس» ـ من فقهاء «الأحساء»[1] ـ ومما قاله[2]:

[وافر]

أَلَا قـــد بَكَّـــرَ النَّاعِـــي فَـــأَوْرَى زِنَـــاداً فـــي حَشَـــى الأيّـــامِ وَصْبَـــا
دَهَـــى رَوْضَ الهُـــدَى رَيْـــبٌ فَأَضْحَـــى مَحِيـــلاً بعدمـــا قـــد كَانَ خِصْبَـــا
فَلَـــوْ يَـــدْرِي الثَّـــرَى مَـــاذَا تَـــوَارَى بِـــهِ مِـــن جُـــلِّ فَخْـــرٍ تَـــاهَ عُجْبَـــا
لعمـري لـم يَمُـتْ فـي الدَّهْـرِ شَـخْصٌ بخيـرِ الذِّكْـرِ طـولَ الدهـرِ يُحْبَـى

والأبيات تشيد بمكانة المرثي، وتصوّر حزن بعض العناصر الطبيعية أكثر مما تصور حزن الشاعر. وإن كانت لا تخلو من رنّة إعجاب وإكبار وأسف[3].

2. رثاء الأهل والأقارب:

رثى الشعراء أهلهم وأقاربهم. ويعدّ الأب أهم شخصية أسرية بكوها. فقد أطلق فقده ألسنتهم فأنّوا وندبوا. يقول «إبراهيم الخليفة» متفجّعاً على والده، مخاطباً صروف الدهر[4]:

[وافر]

هَلُمِّـــي يـــا مُلَمَّـــاتِ الليالِـــي فمـــا فـــي الكـــفِّ بَعْـــدَ الزِنْـــدِ بَـــاعُ
وشِـــنِّي غَـــارَةً فـــي مَـــنْ تركـــتِ فمـــا فـــي العَيـــشِ بَعْـــدَ أبـــي انتِفَـــاعُ

ويفرغ الشاعر في الأساليب والصور كل ما اضطرم في وجدانه من يأس وإحباط من الحياة. ولحاجته للتماسك نزع نحو العقل يستمدّ منه القدرة على التجلّد، فيسلّم بقدرة المنون، وعجز البشر عن مقاومتها:

قَضَـــاءٌ مُحْكَـــمٌ لا يســـتَطَاعُ تَلَافِيْـــهِ ولا عَنْـــهُ امتنـــاعُ
وأَمْـــرٌ مُبْـــرَمٌ قَهَـــرَ البَرَايَـــا فـــلا أحـــداً لـــهُ عنـــه انْدِفَـــاعُ

ويدرج مصاب أبيه ضمن هذه الحقيقة الأبدية العامة فيقول:

وقـــد قضَـــى القَضَـــاءُ عَلَيْـــكَ لَمَّـــا مَضَـــى الأجَـــلُ الـــذي فيـــه اتِّسَـــاعُ

---

(1) (توفي في 1316هـ/1898م) وترجمته في أنوار البدرين، مصدر سابق، ص414.

(2) مستلّة من شعره المسمَّى «في رثاء الحسين» ورقة 12.

(3) لسلمان التاجر قصيدة نونية في رثاء الفقيه الأحسائي محمد بن عيثان. وردت في مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة (850).

(4) ديوانه ص35.

وفَارقْـــــتَ الحـــــيَاةَ وكلُّ حَـــــيٍّ سـيُفْطَمُ حِيـــنَ ينتهـــيَ الرضَـــاعُ
هِـــيَ الدُّنْيَـــا مَتَـــاعٌ ليـــسَ فِيْـــهِ هَنَـــاءٌ بـــل عَنَـــاءٌ وانْخِـــدَاعُ

فالشاعر يحاول تعزية نفسه بتذكيرها بالحقيقة الأزلية أن كل حيّ مصيره الزوال، وأن كل مرضع لا بُدَّ أن يفطم يوماً. ورغبة في التماسك والتجلّد ذكر مساوئ الدنيا وما يكتنفها من عيوب ليومئ إلى ما في الموت من راحة.

و«للوائلي» مرثية في والده ابتعد فيها عن تصوير مشاعر الحزن واعتنى بتعديد مناقب المرثي والثناء عليها فقال:

[كامل]

قُـــمْ وادْعُ بالصَّـــوْتِ الرفيـــعِ وَنَـــادِ لِرِثَـــاءِ مَـــنْ حَمَلُـــوا عَلَـــى الأَعْـــوَادِ
حَمَلُـــوا الشـــهامَةَ والكرامـــةَ والتُّقَـــى والفضـــلَ والـــخُلُقَ الكريـــمَ البَـــادِي

وعرض لسجاياه في الحكم فقال:

مَلَـــكَ الـــجَزِيرَةَ والشـــعوبُ تَنُوشُـــهَا فَبَـــدا بهـــا دَاعِـــي السُّـــمُوِّ يُنَـــادِي
حَكَـــمَ الرعيَّـــةَ بالشـــريعَةِ مُعْلِنـــاً بالـــحَقِّ فـــي الإصْـــدَارِ والإيْـــرَادِ[1]

وللأقارب الآخرين من ذوي الرحم مكانتهم في رثاء شعراء الفترة. فقد رثى «ماجد بن هاشم» ابن خاله «عبد القاهر بن عبد الرؤوف» بقصيدة بلغ عدد أبياتها مئة وبيتين. ويبدو أنه نظمها بعيداً عن «البحرين». فبكى فيها وتفجّع وتأمّل. كما أسهب في ذكر مناقب قومه عامة والفقيد خاصة. واستهلّها بقوله:

[كامل]

أَمَّـــا العُيُـــونُ فَحَـــلَّ وَعْـــدُ بُكَائِهَـــا لطُـــرُوقِ خَطْـــبٍ حَـــلَّ عَقْـــدَ وِكَائِهَـــا[2]

وقد اعتنى بتصوير عمق الصلة الرابطة بينه وبين المرثي، والباعثة على الإحساس المتجذّر بالفقد:

عِصَبِـــي الـــذي إمّـــا سَـــلَلْتُ تَخَاذَلَـــتْ عَنِّـــي العِـــدَا وتُراجعَـــتْ لِوَرَائِهَـــا
سَـــهْمِي الـــذي يُضمِـــي الرميَّـــةَ نَافِـــذاً فيهـــا إذَا ســـددتُهُ بإزائِهَـــا

(1) ديوانه ص97 والجزيرة لفظ يطلق على البحرين من باب تسمية الشيء بأصله وحكم عيسى بن علي والد الشاعر – البلاد ما يربو على الخمسين عاماً – حاول فيها أن يحلّ الكثير من المشكلات الخطيرة، يُراجع مخطّط حكّام البحرين من آل خليفة ص57.

(2) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر. والوكاء: خيط تشدّ به الصرّة أو الكيس ونحوهما.

والعبارات والصور تجسّد عمق العلاقة المؤدّية إلى تفجّر أحاسيس الحزن والأسى. ولتدفّق عاطفته ساءله:

كيــفَ انتجعْــتَ مَحَلَّــةً سَــاوَى البِلَــى فــي الــمَحْلِ بَيْــنَ ربيعِهَــا وشــتَائِهَا؟
لا تســتقلُّ بِخِصْبِهَــا يَــدُكَ التــي لا نَــوْءَ أَخْصَــبُ قَــطُّ مــن أنوائِهَــا

والاستفهام يستنكر سكناه القفار المجدبة بعد أن كان جوده ينعش الصحاري.

ولتصوير الإحساس بالفقد كان الشاعر يعاود البكاء والندب وإرسال العبرات:

فلأبْكِيَنَّــكْ مــا أطقْــتُ بِمُقْلَــةٍ سَــوْدَاءَ تُنْفِــقُ فيــكَ مــن بيضائِهَــا
حَتَّــى إذَا ذَهَبَــتْ بَكَيْــتُ بِمُقْلَــةٍ بيضــاءَ تُنْفِــقُ فيــكَ مــن حَمْرائِهَــا
مــا أنصفتــكَ العَيْــنُ إنْ هِــيَ كافَــأَتْ بِيْــضَ الأيــادي مِنْــكَ حُمْــرُ دِمَائِهَــا

فهو يقرّر مواصلة البكاء وسحّ العبرات الساخنة. ونظراً لعناية الشاعر بالصور البديعية تغلّب الجانب الفني على الجانب العاطفي. وتعبيراً عن الوفاء والتعلّق خاطب من واروه الثرى قائلاً:

يــا دَافِنَيْــهِ بحفــرةٍ لــو أُودِعَــتْ قلبِــي لكنــتُ وَفَيْــتُ حَــقَّ وَفَائِهَــا

ورثى «إبراهيم الخليفة» ابن عمّه «عيسى بن علي» ـ حاكم «البحرين» ـ ومما قاله في وصف الألفة وما يجمع بينهما من روابط عاطفية وأثر ذلك في تعميق الإحساس بالفقد[1]:

[وافر]

أَلِفْتُــكَ أُلْفَــةً مَلَكَــتْ فُــؤادِي فكيــفَ يُطِيــقُ عنــكَ القَلْــبُ صَبْــرا
وكيــفَ الصبــرُ عَنْــكَ وكلُّ شَــيءٍ أَرَاهُ مُجَــدِّداً لــي عنــكَ ذِكْــرَى
وكنــتُ أرَى الغِنَــى إذْ كنــتَ حَيّــاً وهَــا أَنَــذَا أَخَــافُ اليــومَ فَقْــرا
ومــا خَوْفِــي عَلَــى نَفْسِــي ولكــنْ علــى قَوْمِــي أَخَــافُ عَنَــاً وعُسْــرا

فالأبيات تعبير عن الحزن والإكبار لسجايا الفقيد وحدبه على ذوي رحمه ورعايته لهم.

3. رثاء الأصدقاء:

رثى الشعراء أصدقاءهم استجابة لداعي الوفاء. ويظهر «جعفر الخطّي» كأبرز شاعر

(1) ديوانه ص30.

بحرانـي رثـى أصدقـاءه وأقاربه. وممـا قاله في رثـاء «ناصر بـن عبد الجبار الحسـيني» واصفاً وقع النبأ على نفسه. مشيراً إلى عمق الصداقة بينهما:

[كامل]

نَبــأٌ أَلَــمَّ فَمَــا تقشَّــعَ غَيْمُــهُ إلاّ وفــي الأحْشَــاءِ مِنْــهُ غُمُــومُ
أَخَــوَانِ كَانَــا لِــيْ فــأودَى منهُمَــا مَــنْ كَانَ ألصــقَ بــي وذَاكَ عَظِيــمُ[1]

فالحـادث غرس الهموم في كيانه باختطافه أقرب الأصدقـاء إليه وألصقهم بروحه، وقد خاطب الفقيد منوّهاً بعلاقة الودّ الصادق فقال:

أَأَخِــــــي لا لأبٍ ولا أُمٍّ سِــــــوَى وِدٍّ لأيدينَــــا عَلَيْــــهِ ضُمُــــومُ
أَثْرَيْــتُ بَعْــدَكَ مــن عِــدَايَ وإنّنِــي بِخِــلافِ ذَاكَ مــن الصديــقِ عَدِيْــمِ
فكأنّمــا الأيَّــامُ آلَــى صرفُهَــا أنّ لا يــدومَ علــى الزَّمَــانِ كَرِيــمُ
يــا قَاتَــلَ اللَّــهُ الحِمَــامَ بمثلِــهِ وجَــرَى عَلَيــهِ قَضَــاؤُهُ الــمَحْتُومُ

ويشـفّ مناداة المرثي بلفظ أخي عن اعتزاز الشـاعر بالصداقة القائمة. وبسـبب تأثره دعـا على المـوت بالموت. وعمد إلى تأمّـل الموت وعكوفه على إفنـاء الخلق فيما يقرب من ثمانية عشـر بيتـاً في محاولة للتصبّر وإقناع النفس بحقيقته المرّة، ثـم عاود التألّم لكثرة رثاء الأحبّة:

أرثِــي الحَمِيــمَ فمــا تتــمُّ قَصِيــدَةً يُرْثَــى بهــا حَتَّــى يَمُــوتَ حَمِيــمُ

وعقّب بالدعاء لأهل الفقيد بالبقاء، وخصّ بالخطاب جعفراً شقيق المرثي:

أَرِجَالَــهُ وأخــصُّ منكُــمْ جَعْفَــراً ولشــأنِكُمْ ولشــأنِهِ التَّعْظِيــمُ
لا جَــدَّدَتْ لَكُــمُ الليالــي تِرْحَــةً وانفــضَّ جَيْــشُ الحُــزْنِ فهــو هَزيــمُ
حَاجَاتُنَــا فــي الدَّهْــرِ أَنْ تَبْقَــوا لَنَــا فابقَــوا بَقَــاءَ النيِّــراتِ ودُومُــوا

ويبـدو أن «الخطّي» كان صديقاً حميماً لهذه الأسـرة. فقد رثى عـدداً من أفرادها. فله قصيـدة في رثـاء «عبد الرؤوف بن الحسـين»[2]، وهـو عمّ المرثي السـابق على مـا يظهر[3]. وأخـرى في رثاء «عبد القاهر بن عبد الرؤوف». وقد وسّـع الدائرة فرثـى بناتها فاتحاً باباً لرثاء المـرأة فـي تلـك البيئـة المحافظـة. ولـ «لخطّـي» قصيدتـان فـي رثـاء امرأتيـن مـن بنـات

(1) ديوانه ص101 ويبدو أن المرثي كان من أعيان البحرين.
(2) الديوان ص39.
(3) نقـول ذلك بناء على توحّد الاسـم الثالـث واللقب لجعفر بن عبد الجبار شـقيق المرثـي الأول والمذكور في الديوان ص81. وهو الذي استنسخ ديوان الشاعر.

«عبد الرؤوف بن الحسين»، وحاول من خلال القصيدتين مواساة أهلهما وإظهار تعاطفه مع حزنهم. ومما قاله في رثاء الشريفة «مُلُوك بنت عبد الرؤوف» مقابلاً بين ما أشاعته من بهجة متخيّلة بين أهل القبور، وما خلّفته من وحشة وحسرة بين أهلها وفي ربوعها[1]:

[طويل]

ولا كالتي أَمْسَى بها التُّرْبُ آنِساً وأوحَشَ منها مَنْزِلٌ ومَقِيلُ
وأَهْدَتْ إلى أَهْلِ القُبُورِ مَسَرَّةً وسَاءَ خَلِيلٌ بَعْدَهَا وسَلِيلُ

وقد أدى استخدام الشاعر للمقابلة إلى إضفاء لون من الحيوية على المعاني. فقد أسبغ على التراب والمنزل صفات إنسانية فغدت تكتئب. كما أضفى الحياة على الموتى فسعدوا بقدومها الذي ضارعه بالهديّة المهداة. وقد ماتت عند رجوعها من الحجّ فقابل الشاعر بين الاستبشار المنتظر بالحجّ المبرور ومفاجأة النعي:

وعَائِدَةٍ من حَجِّها لم يكنْ لَهَا على غَيْرِ أَصْحَابِ القُبُورِ نُزُولُ
وَمَا قَابَلَ البِشْرَ النعيُّ وقَبَّحَتْ يَدُ الحُزْنِ وَجْهَ البِشْرِ وهو جَمِيلُ

وأثنى على أخلاقها وحسن سجاياها:

وإحدَى النِّسَاءِ اللائي هُنَّ لفرطِ ما كَسَبْنَ من أخلاقِ البُعُولِ بُعُولُ
عَفَايِفُ ما زُرَّتْ لَهُنَّ على الخَنَا جُيُوبٌ ولا جَرَّتْ عَلَيْهِ ذُيُولُ
وأَثْرَيْنَ من هَدْيِ البَتُولِ وِرَاثَةً فَمَنْ شِئْتَهَا مِنهنَّ فهي بَتُولُ[2]

والشاعر يقترب كثيراً في البيت الأول من قول المتنبي في رثاء والدة سيف الدولة:

[وافر]

ولو كَانَ النساءُ كَمَنْ فَقَدْنَا لَفُضِّلَتِ النساءُ على الرجَالِ[3]

وهو يعتبر عفّة الفقيدة وأخلاقها أثراً من آثار الوراثة عن جدّتها السيدة فاطمة. ويختم المرثية بتعزية زوجها صديقه «ماجد بن هاشم»:

ويا أصبرَ النَّاسِ الذينَ نَرَاهُمُ وأحملَهُمْ للعِبءِ وهو ثَقِيْلُ
عَزَاءً ولا أرضَاهُ لكنْ مَقَالَةً بها أَبَداً يُوصِي الخَلِيلَ خَلِيلُ
فإنَّ أَسَاكَ اليومَ يستأصِلُ العُرَى ويتركُ رَبْعَ الصَّبْرِ وهو مَحِيلُ

(1) الديوان ص92.

(2) من معاني البعل المالك والرئيس، والبتول هي المتفرّغة لعبادة خالقها. وهو من ألقاب السيدة فاطمة الزهراء.

(3) ديوان المتنبي، مصدر سابق، ج3 ص149.

فقـد صاغ الشـاعر أبياته لتكون وصيّة يهمـس بها في أذن صديقه. فذكّـره بالصبر رغم إدراكه شدّة تمسّكه به، وعزّاه مع اعتقاده بتعذّر العزاء.

وصف المنون:

يُعـدّ رحيـل الأهـل والأصدقـاء تجربة قاسـية فـي حياة البشـر. ونظـراً لما بيـن الموت والرثـاء مـن علاقة تلازمية فقد انسـابت في مراثي الشـعراء وعلى اختـلاف اتجاهاتهم خواطر عديـدة حول الموت فنظروا في حقيقته وما يتّسـم به من قهر وسـطوة وغموض، في محاولة لتعزيـة النفـس وإقناعهـا بحتميـة هـذا الأمـر، ودفعها نحو التماسـك وإفـراغ شـحنات الحزن الممضّ بالتخلّق بالصبر والجلد. وصف «جعفر الخطّي» شـدّة بأسه وسطوته القاهرة للإنسان فقال[1]:

[بسيط]

فمـــا يشـــدَّ علـــى شَـــخْصٍ فَيَعْصِمُـــهُ إنْ يمتـــطِ العِيـــسَ أو يســـتبطن الفَلَـــكا

وعـرض «ماجد بن هاشـم» لمبدأ تسـاوي الجميع أمامـه، وعدم تفريق يـده بين قويّ وضعيف أو فاضل ومفضول:

[كامل]

هَيْهَـــاتَ تلـــكَ يَـــدٌ تَسَـــاوَى عندَهَـــا آســـادُ بيشـــتِهَا وسِـــرْبُ ظبائِهَـــا
شَـــدَّتْ علـــى شَـــدَّادِها وعَـــدَتْ عَلَـــى عَـــادٍ ودارَتْ فـــي حِمَـــى دَارِائهـــا[2]

وتكشف التعابير والصيغ والأمثلة المستقاة من التاريخ عن قوّة الفتك وعدم التمييز.

وعـرض «الخطّـي» لعبـث الموت، وسـاق ما يشـبه القرائـن للدلالـة على لعبـه بأقدار البشر[3]:

[بسيط]

عَـــاثَ الحِمَـــامُ فَمَـــا أبقَـــى ومـــا تـــركَا ولـــم يَـــدَعْ سُـــوقَةً ولا مَلِـــكا
فمـــا ســـألتُ امـــرءاً يومـــاً بصاحِبِـــهِ والعهـــدُ لـــم يَنْـــأ إلاّ قَـــالَ قـــد هَلَـــكا
تُـــرَاهُ أقســـمَ لا يُبْقِـــي علـــى بَشَـــرٍ ولا يُغَـــادِرُ إنســـاناً ولا مَلَـــكا؟

وتجسّـد لفظة «عاث» مبلغ الإفسـاد الذي ألحقه بالناس. فهـو واقع نزق يقتنص أرواح البشر بكل طبقاتها، دون مراعاة لمقام أحد.

---

(1) ديوانه ص84.

(2) التاجر، محمد علي، المسـودّات الأولى للمنتظم، مصدر سـابق، ترجمة الشـاعر. وبيشـة اسم موضع و«دارا» من ملوك الفرس.

(3) ديوانه ص84.

وصوّر «ماجد بن هاشم» نهم الموت وتعطّشه لالتهام أرواح الخلق فقال:

[كامل]

أَحْدَاثُهَـــا غرثَـــى البطُـــونِ كَوَافِـــرٌ أَكَّالـــةٌ فـــي السـبعِ مـــن أمعَائِهَـــا
شَـــرَّابةُ الأعمـــارِ تَسْـــعَى الـــخَلْقُ فـــي إروائِهَـــا فَيَزيـــدُ فـــي إظمَائِهَـــا[1]

فقد تخيّله حيواناً مفترساً يزداد جوعه كلّما أكل أرواح البشر ويشتدّ ظمؤه كلما شرب منها.

ووصف «حسن الدمستاني» عجز الإنسان وتسليمه للأقدار تتصرّف فيه كما تشاء فقال[2]:

[بسيط]

إنَّ الأَنَـــامَ مَطَـــى الأيّـــامِ تَحْمِلُهُـــمْ إلـــى الحِمَـــامِ وإنْ حَلُّـــوا أو ارتَحَلُـــوا
لا يُولَـــدُ المـــرءُ إلا فَـــوْقَ غَارِبِهَـــا يَحْـــدُو بِـــهِ للمنَايَـــا سَـــائِقٌ عَجِـــلُ

فقد قرنه في سلبيته وسوقه بالدابّة المسلمة القياد، وجعل الأيام هي القائد والهدف هو السير نحو المنية. وعرض الشاعر نفسه لجهل الإنسان بموعد رداه فقال[3]:

[وافر]

ومَـــنْ يَجْهَـــلْ مواقيـــتَ الـــمَنَايَا فـــإنَّ وثوقَـــهُ بِغَـــدٍ ضَـــلالُ

والبيت يتضمّن تنديداً بغفلة الإنسان عن الموت الحتمي، وجريه وراء الدنيا وكأنّها له دائمة. وقد أدّى ذلك إلى الخوف من المستقبل وعدم الثقة بالأيام، مما جعل أحمد البلادي يذكّر بذلك، ويبدي أسفه على انتهاء الحياة بالموت في إطار الاعتقاد بحتميته يقول[4]:

[بسيط]

فالمـــوتُ آتِيـــكَ لا مندوحَـــةٌ أبَـــداً عنـــهُ ولكـــن إلـــى أنْ ينقضـــي الأجَـــلُ
مـــا أطيـــبَ العَيْـــشَ فـــي الدُّنْيَـــا وأعذبَـــهُ لَـــوْ لَـــمْ يكـــنْ للمنَايَـــا فيـــه مُرْتَحَـــلُ

فإدراكه لتلك الحقيقة وتسليمه بها نغّص عليه متعة الحياة ورونقها.

لقد كان واقع الموت هاجساً قوياً نبض في نفوس الشعراء وتجربة إنسانية ممضة،

---

(1) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر. والكافر الوادي العظيم أو النهر العظيم.

(2) ديوانه ص166.

(3) المصدر نفسه، ص168.

(4) شبّر، جواد، أدب الطفّ، مصدر سابق، ج5 ص173.

ومـن الطبيعـي أن تـؤدي حقيقتـه إلـى تعكيـر صفـو عيشـهم، وحرمـان الكثيريـن منهـم من الإحسـاس بلـذة الحياة. ومـع ذلك أتت أفكارهـم مغرقة فـي التقليديـة، ومضامينهم مطروقة مسـتهلكة. فقد اسـتقوا جلّ معانيهم من الرصيد الأدبي لأسـلافهم. كما أن حرص أكثرهم على الصنعة وزخرفة الأسلوب وسم شعرهم بضحالة العاطفة وبرودها.

الفصل السادس

الشعر القصصي

فـي ثنايـا ما جمعناه مـن مخطوطات تخصّ فترة دراسـتنا عثرنا علـى مجموعة لا بأس بها من الشـعر القصصي. وجدناها متناثرة هنا وهناك. بعضها يكاد يكون كاملاً وبعضها ناقصاً والبعض الآخر لم نعثر إلا على عنوانه أو بعض الإشارات التي تذكر عدد أبياته.

ونظراً لندرة الشـعر القصصي أو انعدامه في الشـعر العربي القديم فقد وقف مؤرخو الأدب في العصر الحديث إزاءه موقفين مختلفين: فريق أثبت وجوده. والثاني أنكره[1].

وقـد ذهب الباحثـون الذين ركّزوا على دراسـة الشـعر القصصـي وتابعوا مسـيرته إلى اعتبـار الربـع الأخير من القرن التاسـع عشـر أو قبيله بقليل فجـر القصة الشـعرية العربية[2] هـذا مع وجود بعض القصائـد القديمة التي تتجلّى فيها بعض ملامح القصة وسـماتها وإن لم تؤلّف بالأسلوب القصصي الحديث[3].

وقد عدّت تلك الدراسـة ظهور القصة الشعرية حدثاً مهماً على مستوى الأدب العربي. إذ خطت بالشعر العربي خطوات واسعة أكسبته مرونة وزادته اتساعاً وخصباً[4].

ملاحظات عامة:

أ ـ يمكـن اعتبـار القـرن الثامـن عشـر فترة نشـاط هـذا الفن فـي «البحريـن». فأغلـب من نظم شعراً فيه هم من أبناء هذا القرن وربّما عاصر بعضهم مطلع القرن التاسع عشر.

ب ـ إن تلـك القصـص الشـعرية تختـص بمنظومـات بعينهـا وتشـكّل الموضـوع الرئيسـي فيهـا. وهـي قـد تطـول طـولاً واضحـاً. ويتـراوح عـدد أبياتهـا بيـن المئـة والسـبع مئـة. هـذا إلـى جانـب مـا نلاحظـه مـن أقاصيـص ـ قليلـة ـ تأتـي عرضـاً ضمـن مراثـي آل البيـت وتمثـل جزئية من جزئياتها[5].

---

(1) مريدن، عزيزة، القصة الشعرية في العصر الحديث، ط1، دار الفكر، دمشق 1984، ص27.

(2) المصدر نفسه، ص5 و6 و474.

(3) المصدر نفسه، ص31.

(4) المصدر نفسه، ص480.

(5) تبـرز ظاهـرة الأقاصيـص – وهي ظاهرة قديمة في الشـعر العربي (يُراجع السـابق ص27) في شـعر حسـن الدمسـتاني علـى وجـه الخصـوص. وقـد استشـهدنا بقصة فاطمـة الصغرى فـي موضـوع الطفولـة 192 وما بعدهـا. وقـد أتـت الأقصوصـة ضمـن مرثيـة فـي الحسـين. يُراجـع أيضـاً ديوانـه ص119 قصة إحـدى بنات الحسين وهي تمتد من البيت الثالث والأربعين إلى البيت الستين من القصيدة.

ج ـ إن المستوى الفني لأكثر المنظومات الشعرية الطويلة لم يكن راقياً بدرجة كبيرة. ربما لطول نفسها الشعري وتضعضع مقدرة الشاعر إزاء ذلك. أو رغبة منه في تبسيطها لتتناسب ومستوى الجمهور المستمع المكوّن من عامة الناس.

د ـ إن جلّ المنظومات القصصية كانت تدور حول محورين. الأول هو التاريخ الحقيقي وما تولّد عنه من أساطير وقصص بطولية وهو ما يمكن تسميته تجاوزاً بالتاريخ الأسطوري. أما المحور الثاني فهو الخيال المنبثق عن أحداث الواقع والرامز إليها في ذات الوقت.

النوع الأول: الشعر القصصي التاريخي

1- التاريخ الحقيقي:

يجدر أن ننبّه ابتداءً أن تسميتنا لبعض منظومات هذا اللون قصة فيها الكثير من التجاوز لأنها ليست ذات بنية قصصية فنية مكتملة العناصر. ولعل أقصى ما فيها أنها بدايات تنزع منزعاً قصصياً. ومن ثم فهي مرحلة وسطى بين الاستعراض التاريخي والقصة الشعرية. وهذا ما جعلنا نهتم بها في هذا المجال وقد استمر الشعراء في نظم هذا اللون حتى الربع الأول من القرن العشرين.

ويمكن أن نميّز بين ضربين من الشعر القصصي التاريخي:

الضرب الأول وهو ما بُني على حادثة معينة كالمطوّلات التي نظمت لوصف واقعة الطف أو غيرها.

أما الضرب الثاني فهو الذي خصّصت فيه المنظومة للتاريخ لشخصية معينة وهو يشبه إلى حدٍّ ما الترجمة الشخصية أو السيرة. ونظراً لضعف الملامح القصصية في هذا اللون رأينا استبعاده من الدراسة.

وأوضح الأمثلة على الضرب الأول مطوّلة «حسن الدمستاني»[1]. وقد وصف في أبياتها المئتين والثمانين أحداث واقعة الطّف. واعتبرها مقدّم الديوان أول ملحمة في هذا الموضوع[2]. وفي اعتقادنا أنها لون من الشعر التاريخي الذي عوّل فيه الشاعر على عرض الأحداث بأسلوب شعري مع اهتمام بوصف الشخصيات وإن لم يكن مقصوداً على ما يبدو. وحرص على تصوير انعكاسها على نفسه وإظهار تعاطفه معها. فاقترب بذلك من الشعر

(1) ديوانه ص193.

(2) المصدر نفسه، ص50.

القصصي. لكن لا يمكن اعتبار هذا العمل ملحمة بأي حال من الأحوال. فمع توفّر بعض العناصر الملحمية كتمجيد معاني البطولة وتجسيد بعض الخوارق ـ دور جواد الحسين وتجاوب الكون ـ إلا أنها تفتقر للمقوّمات الأخرى للملحمة، كالطول المفرط وتواري شخصية الشاعر وعواطفه وما إلى ذلك[1]. وقد ضاهاها اثنان من شعراء البحرين الأول «محمد بن طعّان» بمطوّلة تقارب الأربع مئة بيت. والثاني «خليل بن علوي» بما ينوف على المئتي بيت[2].

ونظراً لاستخدامنا شواهد من هذه المطولات في شعر آل البيت[3]، سنركز دراستنا على منظومة: «قصة أحد» لـ «قاسم الإصبعي»[4].

تتكوّن هذه المنظومة من ثلاث مئة وثمانين بيتاً تقريباً. وقد سقطت بعض الأشطر والأبيات منها. وهي من بحر الرجز[5] وتتخللها مقاطع من بحور مختلفة تأتي كمداخلات من الشخصيات، أو أقوال لها.

وكثرت مخاطبة الشاعر للجمهور وهذا يعني أنها تُلْقَى شفاهاً. ويبدو الهدف التعليمي واضحاً فيها. يعرّف الناظم أُحْداً فيقول:

فـ «أُحْـــدُ» أيضـــاً جَبَـــلٌ عَظِيـــمُ بِقُـــرْبِ «طَيْبَـــة» كَـــذَا مَعْلُـــومُ

وحسبما يظهر فقد تراجع عنصر الفن والجمالية وغدا هدفاً ثانوياً.

العرض التاريخي ومظاهر البنية القصصية:

بعد تقديم الناظم بالحمد والثناء والصلاة على الرسول ﷺ وآله أخذ في عرض الأحداث فحدّد المكان والزمان والسبب ثم فصّل الحوادث.

واعتمد على أسلوب السرد الممزوج بمقاطع حوارية. وكان المنطق الذي يحكم الأحداث هو تتبعها واستعراضها حسب النظام الذي سلكه المؤرخون، فقد ولج الناظم في الموضوع واستمر في قصّ الوقائع معتنياً بالمواقف الثانوية التي تشكّل في مجموعها الموقف العام ولحمة النص. وترك الأحداث تتنامى من خلال ذلك حسب التدرج التاريخي.

---

(1) عن مقوّمات الفن الملحمي يُراجع فانس، نظرية الأنواع الأدبية، تعريب حسن عون، منشأة المعارف، الإسكندرية 1977، ص88 – 130 والطاهر، علي جواد، مقدّمة في النقد والأدب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1979، ص94 وما بعدها.

(2) الأولى في الرياض، مصدر سابق، ص135 وما بعدها والثانية في ديوان الشاعر ص12.

(3) يُراجع على سبيل المثال الباب الثاني. الأبيات التي يخاطب فيها الدمستاني مهر الحسين ص227 وما بعدها، ومحاورة الرباب الحسين حول عطش الطفل ص196 وما بعدها.

(4) مجموعة (2) ص33 – 41.

(5) جلّ القصص الشعرية من هذا البحر.

وبدأ بوصف استعدادات قريش للثأر لقتلاها في بدر. ومما قاله:

فاجتمعَـــــتْ ســـــاداتُهُمْ ونَزَلُـــــوا بـ «مَكَّـــــة» تَشَـــــاوَرُوا وبَذَلُـــــوا
أموالَهُـــــمْ علـــــى جميـــــعِ العَـــــرَبِ وقصدِهِـــــمْ قتـــــلَ النبـــــيِّ الأنْجَـــــبِ
وبعـــــدَ هَـــــذَا يَخْرِبُـــــوا «الـــــمَدِينَه» مِـــــنْ بَعْـــــدِ قتـــــل صَاحِـــــبِ الســـــكينه
وجَيَّشُـــــوا الجُيـــــوشَ للمُخْتَـــــارِ ثـــــم أتـــــوا بـــــآلِ «عبدِ الـــــدارِ»
لأنَّهـــــم عُـــــدُّوا مـــــن الشـــــجعانِ إذَا أَتَـــــوا للحَـــــرْبِ والطِّعَـــــانِ

أشار بعد ذلك إلى تهديد القرشيين للرسول، وتهيؤ المسلمين للقتال، وتوزيع المقاتلين، ومخالفتهم أوامر النبي أثناء القتال وظهور بوادر النصر، ومعاودة قريش الهجوم انتهازاً للثغرة، اضطراب المسلمين، جرح الرسول ومقتل عدد من أصحابه، كرّهم ثانية واستبسالهم حتى حقّقوا الانتصار بعد أن قتل عدد منهم. هذا مع وصف استشهاد «الحمزة بن عبد المطلب».

لقد عوّض هذا التسلسل التاريخي الناظم عمّا اعتبر حديثاً من مقومات القصة أي العرض والعقدة والحل. فكانت الأحداث تتطوّر حتى تصل إلى النهاية. ويلاحظ بشكل عام تتابعها بسلاسة. هذا مع إطالة الاستعراض لبعض المواقف تارة، واختصاره لبعضها الآخر تارة أخرى، ربّما حسب أهميتها في نظره.

وقد قام الناظم بدور الراوي. فكان يسرد الأحداث. بَيْدَ أنه لم يستطع التواري عن الأنظار فكان يخاطب الحضور ويحاورهم ربما لتنبيههم أو خلق نوع من التجارب معهم. يقول بعد انتهائه من المقدمة:

وَبَعْـــدَ ذَا فاســـتَمِعُوا يـــا مَـــنْ حَضَـــرْ فـــي زَمَـــنِ المبعُـــوثِ مِـــنْ آلِ مُضَـــرْ

وحدّد الشطر الثاني الزمن الذي تدور فيه الأحداث. وكان يظهر تعاطفه مع بعض المواقف.

وعمد إلى المزاوجة بين السرد والحوار لتسيير دفّة الأحداث وتطوّرها. وكان للسرد النصيب الأوفى.

الشخصيات:

تبرز ثلاث شخصيات رئيسية في الجناح الإسلامي وهي: الرسول ﷺ، و«علي بن أبي طالب»، و«الحمزة بن عبد المطلب».

في الفريق القرشي ذكر الفروع القرشية المشاركة وهي: بنو «حرب بن أمية»،

وزعيمهم «أبو سفيان»، وآل «عبد الدار» وبطلهم «حيّي بن أخطب». كما عرض لشخصيات فرعية أخرى كـ«هند بنت عتبة» و«وحشي» وغيرهم.

اهتمّ الناظم ببيان صفات تلك الشخصيات واتجاهاتها وهي جوانب نفسية بطبيعة الحال. ومن أهم الشخصيات التي اهتم برسم شجاعتها وحرصها على حماية الرسول وتنفيذ أوامره «علي بن أبي طالب» و«الحمزة».

حدّد سن «عليّ» فقال:

وكان عُمْـــرُ الـــمُرْتَضَى الإمَـــامِ فـــي ذلـــك الآنِ مـــن الأَغْـــوَامِ
تســـعاً وعشـــرينَ لَـــهُ قَـــدْ نُقِـــلا وقـــد فَنَـــى بســـيفِهِ الأرَاذِلا

ووصف تعلّق الرسول به واعتماده عليه في المواقف الحرجة فقال بعد تصوير قوة القرشيين وضخامة عددهم وعدّتهم:

لَمَّـــا رآهُـــمُ النَّبِـــيُّ الـــمُخْتَارُ نَـــادَى ألَا أيـــنَ الفتَـــى الكَـــرَّارُ؟
أَيْـــنَ ابـــنُ عَمِّـــي أيـــنَ قَاضِـــي الدَّيْـــنِ أيـــن ابـــنُ عَمِّـــي وَالِـــدُ الســـبطينِ؟

وأشار إلى بسالة «الحمزة» وحسن بلائه فقال:

و«حمـــزةُ» لَمَّـــا بَـــرَزْ نحـــو العِـــدَا بَدَّدَهُـــمْ بِسَـــيْفِهِ وشَـــرَّدَا
مَيْمَنَـــةً مزدَجِـــراً ومَيْسَـــرَه مُجَـــزِّراً للكُفْـــرِ أَعْظَـــمْ مَجْـــزَرَه
لـــم تَـــرَ إلاّ فَارِســـاً جَدِيْـــلا علـــى الثَّـــرَى بِدَمِـــهِ غَسِـــيلا

على صعيد الشخصيات القرشية عرض للعديد من صفاتها فوصف شجاعتها وحسن استعدادها. كما حرص على تجسيد رغبتها في الانتقام من المسلمين لقتلاها في «بدر». يقول على لسان «حيّي بن أخطب» مخاطباً «أبا سفيان بن حرب»:

لآخـــذُ الثَّـــأْرَ إلَيـــكَ مـــن عَلِـــيّ ومـــن مُحَمَّـــدٍ بِعَضْـــبٍ صَيْقَـــلِ
وأُخْـــرِبُ المدينـــةَ الغَـــرَّاءَ وآسِـــرُ الأطفـــالَ والنسَـــاءَ

ويجسّد نزعة هند بنت عتبة وميلها الشديد للأخذ بالثأر ووضعها كل ما تملك كإغراءات للانتقام لقتلاها. يقول متصوّراً خطابها لأبي جحش ـ رئيس حيّ من العرب:

قالـــتْ لَـــهُ أَدْعُـــوكَ فـــي ذَا الآنِ تَمضِـــي إلـــى مُحمّـــدِ العَدْنَانِـــي
تقتُلُـــهُ ثـــم تُبَـــرِّدْ غِلَّتِـــي ثـــم «عَلِيّـــاً» مَـــنْ فَنَـــى لِعِزْوَتِـــي
و«حمـــزةَ» الليـــثَ ابـــنَ عبد الـــمُطَّلِبْ تقتلُـــهُ فتفتخـــرْ بَيْـــنَ العَـــرَبْ
وخُـــذْ مِـــنَ الـــمَالِ لِمَـــا يَكْفِيـــكا ومـــا الـــذي تَهْـــوَى بـــأنْ أُعْطِيـــكا

ويلاحظ على الناظم في بعض المواقف ونتيجة لتعاطفه مع بعض الشخصيات أنه ينسى مهمّته كقاص فيسهب في الثناء وكيل المدائح فينقطع الحدث عن التدفّق، كحديثه عن دور «عليّ» في حماية الرسول بعد جرحه. فقد أطال في التقريظ مشيراً إلى ما نوّه به «جبريل» والرواة بشأنه. وقد استغرق ذلك حوالي سبعة عشر بيتاً[1]. وحين شعر بضرورة ربط دوره بدور «الحمزة» في إحراز النصر عمد إلى أسلوب ساذج ومباشر لتنبيه المستمع إلى الانتقال فقال:

ونُرْجِعُ الكَلَامَ يا إخوانِي مُذْ رَجَعُوا صَحْبَ النَّبِي العَدْنَانِي
وقَامَ سُوقُ الحَرْبِ والنِّزَالِ واشتدَّ هَوْلُ الضربِ في القتالِ
وقَامَ فيهِمْ الفتَى زَاكِي النَّسَبْ «حمزةُ»عَمُّ الهاشميِّ المُنْتَجَبْ

وهذا الأسلوب في ربط الأحداث والمواقف يفتقر إلى المهارة الفنية والمقدرة القصصية.

ولقد اعتمد الناظم على اللغة الإخبارية في وصف دور الشخصيات وانسياب الحوادث بحيث طغت اللَّهجة الخطابية والأسلوب التقريري. ومع ذلك كان يميل في بعض الأحيان إلى تجسيد ذلك تجسيداً مرئياً لا يخلو من بعض الحيوية. يقول في وداع الرسول لعليّ وتجهيزه للمعركة:

وضَمَّهُ النبيُّ ضَمَّ الشفقه وعَيْنُهُ من الدُّمُوعِ مُغْرَقَه
وشَدَّ مِنْهُ وَسْطَهُ ومِنْطَقَهْ ثم دَعَا بسيفِهِ والدَّرَقَه
ودِرْعِهِ الفَاضِلِ يا إخوانِي وَبَعدَ ذَا استَوى عَلَى الحِصَانِ
فاستبشرَ الكَرَّارُ ثم كَبَّرَا وهَزَّ لِلَّوَاءِ ثم ازْدَجَرَا
بِشِعْرِهِ مفتخراً يقول مُجَرِّداً فِقَارَهُ يصُولُ
أَنَا الذي سَمَّتْنِي أُمِّي «حَيْدَرَهْ» عَبْلَ الذراعَينِ شَدِيدَ الكَبْكَرَه
كليثِ غاباتٍ شديدٍ قَسْوَرَهْ أُكِيلُكُمْ بالسيفِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ[2]

وتُبرِز الأبيات شخصية «الإصبعي» الشاعر جنباً إلى جنب مع شخصيته كمؤرخ. فقد التقط في الأبيات الأولى مشاهد إنسانية تزخر بالعاطفة المتمثلة في وداع الرسول لابن عمّه وتجهيزه لخوض المعركة وخوفه عليه وشفقته عليه من مواجهة شجعان قريش. كما

(1) تُراجع الأبيات من 272 – 289.

(2) الدرقة ترس من جلد، وعبل ضخم، القسورة الأسد أو الشديد الغالب، السندرة مكيال ضخم. ولم نجد لفظة «كبكرة» في المعاجم. وهي إما من توليد الشاعر لمناسبة الروي أو أنها لفظ وقع فيه تحريف من الناسخ.

جسّـد زهو «عليّ» بلقاء أولئك الكماة. فأنطق الشـخصية وأسـمعنا صوت «عليّ» وهو يرتجز مفتخراً بقوته[1].

وقـد لطّف الحوار من الموقف وبثّ فيه الحيوية بالتنويع بين الخبر والإنشـاء، وأقامه الناظـم على النهـي وما قابله مـن ردّة الفعل. وقد بنيـت أغلب المشـاهد الحوارية على هذا الأسلوب أو ما قاربه كالأمر[2]. وقد يعتمد بدرجة أقل على الاستفهام[3].

هكـذا اتـكأ الناظـم علـى عنصـري السـرد والحـوار وزاوج بينهمـا، لرسـم الشـخصيات وتجسيد الأحداث وتنشيطها والوصول بها إلى قمّة تأزّمها مع الانحدار إلى الحل.

ونظـرة فيما ورد من أخبـار وأعلام تظهـر أن «الإصبعي» تقيّد بمـا رواه المؤرخون إلى حـدٍّ كبيـر. هـذا مـع تداخل فـي المواقـف التاريخيـة. كنقـل البيتين اللذيـن قالهمـا عليّ في «خيبـر» إلـى «أُحُد». ومـا اقتضته طبيعـة عمله الأدبي من تصـوّر المواقـف الوجدانية كوداع الرسول لابن عمه وتجهيزه. فضلاً عن التركيز على دور «علي بن أبي طالب».

ملاحظات لغوية:

أ ـ انحدر الناظم باللغة انحداراً ظاهراً ربما ليجعلها تتناسـب والجمهور العام، ومن ثم أتت لغة وسطى بين الدارجة والفصحى.

ب ـ غلب اسـتعمال الفعل الماضي على الأسـلوب واستخدم عدّة أساليب للدلالة على تتابع الأحداث فاسـتعمل الحـرف «ثم» الدّال على العطف والتراخـي، والظروف كصيغة «من بعد ذا» و«مذ» و«من بعدما» للإشارة إلى الزمن.

ج ـ استعمل الحروف المتقاربة بدل المتوحّدة فقال:

قـــد حَجَـــبَ اللَّـــهُ لأبصـــارِ العِـــدَا عَـــنِ النبـــيِّ الـــمُصْطَفَى رَووا كَـــذَا

فقافية الشطر الأول الدال وقافية الثاني الذال.

د ـ استخدام بعض الصيغ القريبة من الدارجة:

قَالُـــوا لَـــهُ سَـــمْعاً وأَلْـــفَ طَاعَـــه للَّـــهِ ولـــك يـــا صاحـــبَ الشَّـــفَاعَه

(1) ينسـب البيتـان الأخيـران للإمـام علـيّ عليه السلام وقـد قالهما فـي غـزوة خيبـر ردّاً على أبيـات مرحـب اليهودي، يُراجعـان فـي تاريخ الطبـري، مصدر سـابق، ج3 ص13، وفي الكامل لابـن الأثير، مصدر سـابق، ج2 ص149. وقد حوّر فيهما الناظم بعض التحوير.

(2) يُراجع على سبيل المثال الأبيات 106 وما بعده 204 وما بعده 244 وما بعده 268 وما بعده.

(3) مثاله الأبيات 119 وما بعده.

فعبارة «ألف طاعة» من اللَّهجة الشعبية، والشطر الثاني مكسور.

هـ ـ أتت الصور البلاغية قليلة رغم حرص الناظم على تجسيد المشاهد المرئية والمسموعة. وأكثر الصور البلاغية استخداماً التشبيه. هذا علاوة على اضطراب الأوزان الذي شاع في الكثير من المواضع.

2. قصص التاريخ الأسطوري:

وهي القصص الشعرية الطويلة التي استلهم الشعراء موضوعاتها من التاريخ الإسلامي وأخبار الفروسية العربية والبطولات النادرة التي أبداها المسلمون الأوائل، خاصة إبّان نشر الدعوة.

وقد استقى الشعراء جذور أفكارهم من تلك الأخبار وأضافوا إليها نكهة أسطورية أفرزها خيالهم، وما كان متداولاً بينهم من قصص التراث الشعبي.

تطالعنا في هذا الصدد عدّة منظومات. منها لـ «لطف اللَّه بن عليّ» قصة «الغزالة والذئب وطموّ البحر على الكوفة»[1]. وتشتمل على مئة وعشرة أبيات. وللشاعر نفسه مطولة شعرية في معاجز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تتكوّن من أربع مئة وخمسين بيتاً. ومع تحفظنا الشديد من اعتبار المعاجز أساطير إلا أننا نعتقد أن الشاعر أعمل خياله فيها. ولا نستبعد أنها شكّلت أحد منطلقاته خاصة أن هذه المنظومة لم تتوفر لنا[2].

ولـ «محمد بن علي الجدحفصي» منظومة من سبعمئة بيت تحكي قصة رجل يدعى المهلهل وما جرى له مع الإمام عليّ[3].

ونظراً لتعذّر الحصول على هذه القصص الشعرية رأينا أن تنصب دراستنا على قصة «طوق بن الصباح» لأنها الوحيدة التي توفّرت بين أيدينا من هذا اللون الشعري.

---

(1) نلحظ تشابك الحقيقة بالخيال في هذه القصة من خلال ما جاء في الخطبة (13) من خطب نهج البلاغة التي توقّع فيها الإمام عليّ عليه السلام غرق البصرة عقاباً لها. ويشير ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج1 ص253 إلى وقوع ذلك مرتين. ويبدو أن الخيال الشعبي نقل ذلك الخبر إلى الكوفة فتصوّر غرقها. ويذكر البلاذري في «فتوح البلدان»، دار الكتب العلمية، بيروت 1976، ص391 أن المنطقة الواقعة بين الكوفة والحيرة تسمى «الملطاط» أي ساحل البحر. ينظر حديث علي عليه السلام في اللسان مادة «ملط».

(2) استقينا أخبار هاتين القصتين من مسودّات منتظم الدرين ويبدو أن المؤلف قد اطلع عليهما. فقد ذكر عدد أبيات كل منهما. وذكر ثمانية أبيات من كلتاهما أربعة من المقدمة وأربعة من الخاتمة، وذلك في ترجمة الشاعر.

(3) ذكر ذلك التاجر، محمد علي في مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر وذكر خمسة أبيات من مقدمتها وسبعة من خاتمتها فقط.

قصة «طوق بن الصباح» لـ «قاسم الإصبعي»[1]:

يبلغ عدد الأبيات التي عثرنا عليها من هذه المنظومة خمس مئة وعشرين بيتاً. وهي ناقصة في الأول والآخر. وقد صيغت على بحر الرجز تتخلّلها أبيات من بحور أخرى كمداخلات وتعقيبات من شخصيات القصة.

عناصر القصة:

الزمان: القصة مستوحاة من الأحداث التي جرت في حياة الرسول ﷺ.

المكان: تنطلق القصة من مضارب قبيلة آل عبس ثم تمتد إلى أماكن عديدة.

أبطال القصة: في القصة بطلان رئيسيان تدور في فلكهما الشخصيات الأخرى وهما:

1. «عليّ بن أبي طالب» ويظهر كبطل إسلامي ونائب للرسول في الدعوة إلى الإسلام ومن أبرز أصحابه «عمّار بن ياسر».

2. «طوق بن الصباح» زعيم آل عبس الوثنيين وهو الشخصية المحورية في فريقه. ويظهر إلى جانبه عدد من العبسيين: والده ووالدته، وابنة عمه «نُعْم» التي يحبها، وابن عمّه «العَمَرَّدْ» والذي يدلّ اسمه على القوة والبطش[2]. هذا إلى جانب شخصيات فرعية أخرى.

الحبكة: اعتمد الناظم على الحبكة المركّبة. فقد بناها على أساس تتابع مجموعة من الأفكار وتوالدها وإن كانت تتمحور حول فكرة رئيسية هي تجسيد الفروسية العربية وما أبداه المسلمون الأوائل من بطولات لنشر تعاليم الدين.

ويبتدئ الجزء الذي عثرنا عليه بما يبدو ضياع جماعة من المسلمين يرافقهم الرسول ﷺ في الصحراء واشتداد العطش بهم، دعوة الرسول لهم بالانطلاق في الشعاب مع الدعاء لهم بالارتواء، وصول «عليّ بن أبي طالب» و«عمّار بن ياسر» إلى شِعْب في جبل، فيعثران على ماء متدفّق وإذا هو ديار آل «عبس» الوثنيين.

وتتطوّر الأحداث تطوراً سريعاً فيسير الرجلان وكان «عليّ» ينشد الأشعار ويهدّد الكفار، فتسمعه جارية عبسية فتفزع وتستغيث بقومها فيهبّ لنجدتها عشرون ألف عبسي يشتبكون مع «عليّ» فيهزمهم بمفرده.

يهرعون لزعيمهم «طوق» فيستفسر عن سبب ذعرهم ويسألهم عن عدد الجيش المهاجم فيخبرونه أنه لا يتعدّى الشخصين فيأخذ في لومهم وتقريعهم:

---

(1) المجموعة (2) الصفحات من 42 – 52.

(2) تُراجع مادة «عَمَرَّد» في لسان العرب وتاج العروس.

قَــالَ لَهُــمْ يــا ويلكــم مَــاذَا الهَلَــعْ قــد خَــابَ مَــنْ أَنْتُــمْ لَــهُ اليَــوْمَ تَبَــعْ
كَأنّكُــــمْ رُعَــــاةُ إبْــــلِ الــــوَادِي ليــــسَ علَيكُــــمْ سِــــيمَةُ الأمَجَــــادِ

تأخـذ الأحـداث فـي التدفّق والتشـابك ويأخـذ بعضها شـكلاً سـريعاً فتمـر متتالية في سـرعتها بحيث لا تكاد تتجاوز مقدار سـاعة من الزمان في غالبهـا، وإن كنّا نرى بعضها يبطئ ممتـداً عبر فترة زمنية طويلة نسـبياً، فيسـتغرق أياماً عديدة وربما شـهوراً. فقـد دعا «طوق» أصحابـه إلـى مقاتلـة العـدوّ فتصـادم الطرفـان عـدّة صدامـات. واعتنـى الناظـم بوصـف الاسـتعدادات المتخـذة وأشـار إلـى ضخامة عـدد العبسـيين، وصور شراسـة القتال وما سـاور النفوس من وجل وذعر حيناً، وزهو ومباهاة حيناً آخر.

أدخـل الناظـم أحداثـاً فرعية غذّت الحادث الرئيسـي ونمّتـه، كبروز أبنـاء عم «طوق» الأشـدّاء مثل «أسـامة» الذي قتله «عليّ»، وأخيه «ظالم» أو «غاشـم» فالناظم يذكر الاسـمين للشخص نفسه، وقد جعله يسلم على يدي «عليّ» بإيعاز من «عمّار». اشتدّ غضب العبسيين فاصطرعـوا مع «علـيّ» وتقهقروا، فأنّبهـم «طوق» ولامهم لوماً شـديداً، فظهـر «طارق» الذي لقـي الطوارق ـ كما يقـول الناظم ـ في حروبه ضدّ المسـلمين، في «بـدر» و«أُحُد» و«خيبر» و«حنيـن»، وأخذ يحذّر زعيمه من سـطوة «عليّ» وقوة بطشـه. وصـوّر الإصبعي وقع التحذير على نفس «طوق» وغضبه، مزاوجاً بين السرد والحوار فقال:

فاحمــــرَّتِ الأحــــداقُ مــــن أجفانِــــهِ ثــــم اســــتَطَارَ الشَّــــرُّ[1] مــــن آذَانِــــهِ
وقَــــال قــــد أغضبْــــتَ للأصْنَــــامِ يــــا «طــــارقٌ» فاقْصِــــرْ عَــــنِ الــــكَلَامِ
إنّــــي علــــى حَــــرْبِ الفَتَــــى قديــــرُ وإنّنــــــي بِخَدْعِــــــهِ خَبِيــــــرُ

قابل «طوق» «عليّاً» وحاوره مستفسـراً عن السـبب الذي أقدمـه. فعرض «عليّ» عليه السـلام أو الحـرب. لجأ «طوق» إلـى المخادعة فأغـرى «عليّاً» بالمال والأنعـام مقابل رجوعه. وهنا اسـتند الشـاعر على الخيال الأسـطوري ليومئ إلى سـخرية «عليّ» من إغـراءات خصمه الماديـة. فقـد عمد إلى مـاء جارٍ ودعاه إلـى التحوّل إلى ذَهَـب. وإذا بالأمـر يتحقّق فينذهل «طـوق». ثم أعاده «عليّ» إلى حالتـه الأولى. وانتهى الموقف بدعـوة «عليّ» الرجل للدخول في الإسـلام والدعاء له بالهداية. رفض «طوق» بإصرار فخاض البطلان معركة شرسـة، اضطرب خلالها العبسي وضنّ «عليّ» بقتله، وعرض عليه الإسلام ثانية مرفوقاً بالتهديد:

قَــالَ لَــهُ يــا «طَــوْقُ» إنْ لــم تُسْــلِمِ أذقتُــــكَ المــــوتَ بِطَعْــــمِ العَلْقَــــمِ

(1) وردت فـي الأصل «الشـيخ» وفـي اعتقادنا أنه ربما وقع تحريف من الناسـخ. ولعلّ الشـاعر تأثـر فيها بقوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان:7].

انتهى المشهد بإسلام «طوق» وزيارته الرسول ﷺ رفقة «عليّ» وصحبه ومدحه الإسلام والنبي شعراً وإقامته معهم ليتفقّه في الدِّين.

تتلاحق الأحداث بعد ذلك وتتزاحم المواقف وتزداد سرعتها عمّا قبل. إذ يفتقد «الصباح» ابنه «طوق» ويستفسر عنه ويذهب في إثره. يصل إلى حضرة الرسول ﷺ فيعرض عليه الإسلام، وبينما هو يفكّر في الأمر يدخل «طوق»، فيبادر إلى خطابه:

فَقَالَ: أَسْلِمْ مُسْرِعاً يا أبتِي لتخلصَنَّ مِنْ عَظِيمِ مِحْنَتِي
أو يَعْلُونَّ رأسَكَ البَتَّارُ مِنَّا وتُصليكَ غَدَاةَ النَّارُ

يُسلم الأب ويحسن إسلام الرجلين ثم يستأذنان في الرجوع، وينشران الدين بين قومهم.

يدخل الناظم حدثاً تشويقياً عاطفياً فيستفسر «طوق» أمه عن «نعم» زوجته وابنة عمّه فتبادر بإخباره:

قَالَتْ: نَزَلْ بِحَيِّنَا ابنُ عَمِّكا عَمَرَّدٌ وقد مَضَى بأهلِكا

اغتمّ «طوق» وصمّم على استرجاعها فحذره أبوه من بطش ابن عمه وجبروته، وفزعت والدته. وحين استخبر عنها علم أنها ستزفّ لـ «لعَمَرَّد» بعد ثلاثة أيام. سار إلى مضاربها وحين وصل كانت الأفراح مقامة احتفالاً بالزفاف، فتحيّن فرصة انشغال القوم باللَّهو والغناء فهاجمهم ففرّوا هاربين. استولى على هودج «نعم» وردفها على جواده وقفل راجعاً وهو يتغنّى بأناشيد الحب والانتصار. هاجمه في الطريق جيش سدّ البرّ من كثرته يقوده «العَمَرَّد»، وكان رجاله ينشدون:

إنّ سَارَ «طَوْقٌ» صَاعِدَ السَّمَاءِ أو ضَمَّهُ صَوَاعِقُ الهَوَاءِ
لا بُدَّ أن نأتِي بِهِ أَسِيْرَا نترُكُهُ عَلَى الثَّرَى عَفِيْرَا

يعقد الشاعر محاورة كلامية بين الشخصيتين، ويهدّد كل منهما الآخر. فيطلب «طوق» من خصمه ومرافقيه أن يقرّوا بالإسلام أو يقتلهم، فيردّ «العَمَرَّد»:

قَالَ لَهُ وحَقِّ دِينِ الهُبَلِ لَقَلْعِيَ الأرضَ وحَمْلِيْ الجَبَلِ
أَهْوَنُ مِنْ أَنْ أَصْبُو لدينِ السَّاحِرِ أو أنْ أُقَطَّعْ بالحُسَامِ الباتِرِ

اشتبك الطرفان وانتهى الموقف بقتل «طوق» لـ «هشام» أخي «العمرّد». وهو نهاية الجزء الذي عثرنا عليه. ويدلّ سياق الأحداث ومنطقها على انتصار «طوق» على «العمرّد». وربما كان قتل هشام بداية النهاية.

الشخصيات: اعتنى الشاعر بتصويرها وتجسيد صفاتها المادية والمعنوية. وأكثر صفة اهتمّ بإبرازها هي الفروسية وما يرافقها من شجاعة، فجميع الشخصيات تقريباً هم من الأبطال وذوي الجلد في الحروب. ويصف بسالة «عليّ بن أبي طالب» ويجسّد مظاهرها فيقول:

هَـــذَا ومولَانَـــا الإمـــامُ البَطَـــلُ حيـــدرةٌ عـــن حَرْبِهِـــمْ لـــم يجفـــلُ
حَتَّـــى إذا مـــا قَـــارَبَ الطُّهْـــرُ حَمَـــلْ فـــي حَوْمَـــةِ الـــمَيْدَانِ والرمْـــحُ اعتقَـــلْ
ثُـــمَّ زَعَـــقْ زَعْقتَـــهُ الـــمَعْرُوفَه وَحَمـــلَ حَمْلَتَـــهُ الـــمَوْصُوفَه
فَـــرُدَّتِ الـــخَيْلُ علـــى أعقابِهَـــا خَالِيـــةَ الـــرُّكَابِ مـــن أربَابِهَـــا

وتظهر شجاعة «طوق» من خلال وصف أصحابه له بالضرغام[1] ومن خلال استعداده الجيّد للقتال. وقد وصفه الشاعر فقال:

وأَفْـــرَغَ الـــدرعَ عليـــهِ ونَصَـــبْ بَيْضَتَـــهُ بالـــرأْسِ مـــن عِظْـــمِ الغَضَـــبْ
مِـــنْ نَسْـــجِ دَاوُدَ بِـــلَا مَـــراءِ ثـــم ارتـــدَى بِحُلَّـــةٍ حَمْـــرَاءِ
ثـــم اســـتوَى فَـــوْراً علـــى الـــجَوَادِ مُعَـــوَّدَاً فـــي الكَـــرِّ والجِـــلَادِ
مُعْتَقِـــلاً لسَـــيْفِهِ اليَمَانِـــي والذَّابِـــلِ الخِطِّـــي والسِّـــنَانِ

كما تبدو بسالة الشخصيات في مباهاتها وزهوها بقدرتها القتالية[2]. ويلاحظ أنه حتى الشخصيات الفرعية من الرجال تتّسم بهذه الصفة أيضاً.

اهتمّ الشاعر برسم الملامح العامة لبعض شخصياته. فحدّد سنّ «طوق» ونوّه بحسنه:

وَكَانَ ذَا وَجْـــهٍ مَليـــحِ القَـــدِّ كَحِيـــلِ طَـــرْفٍ بـــل أَسِـــيلِ الخَـــدِّ[3]

ووصف ملاحة «نُعْم» فقال:

فَلَـــوْ تَـــرَى مِنْهَـــا جَمَـــالَ الغُـــرهْ رَأَيْـــتَ بَـــدْراً نَيِّـــراً ودُرَّهْ
وخَصْرُهَـــا مختصـــرٌ نَحِيـــلُ والطـــرفُ مِنْهـــا سَـــاحِرٌ كَحِيـــلُ
وشـــعرُها غَطَّـــى علـــى الـــمَتْنَيْنِ وطولُـــهُ امتـــدَّ إلـــى الكَعْبَيْـــنِ
والجمـــرةُ الحمـــراءُ فـــوقَ الخَـــدِّ كفِضَّـــةٍ قـــد زُيِّنَـــتْ بالـــوَرْدِ

وصوّر مشاعرها وحبّها ووفاءها من خلال دعائها:

---

(1) يُراجع البيت 38.
(2) تُراجع أقوال طوق الأبيات 87 – 89 و196 وما بعدها وأقوال عليّ عليه السلام الأبيات 104 – 108 و163 – 165.
(3) تُراجع أيضاً الأبيات من 202 – 206 و319 و320.

[بسيط]

يـــا ربُّ إنّـــي علـــى فِرْقَـــاهُ فـــي سَـــقَمٍ لا أبتغِـــي بَعْـــدَهُ إنســـاً ولا جَانَـــا
يـــا ربُّ فَارْفِـــقْ بِـــهِ وارفـــقْ بغربتِـــهِ واجمـــعْ لَنَـــا شَـــمْلَنَا وارفـــعْ لَنَـــا الشَّـــانَا

وبشـكل عام كانت الشخصيات بسيطة. وقد حافظت الرئيسية منها على الحركة طوال القصة. ونلحظ لونين من الشـخصيات: الشـخصية الثابتـة التي لم تتغيّر اتجاهاتها كشـخصية «علـيّ». والشـخصية المتغيـرة وغالبـاً ما تتحـوّل مـن الكفر إلـى الإيمان. كشـخصية «طوق» ووالده.

وقد كشفت الشخصيات عن صفاتها وأبعادها الباطنية من خلال تعبيرها عن عواطفها وأفكارها. كما ساعد حوارها مع الشخصيات الأخرى على الكشف عن ذلك.

الشخصيات الفرعية كانت عابرة لم يتضح وجودها كشخصية «عمّار بن ياسر».

الأماكـن فـي القصة كانت متجـددة فمن صحراء قاحلـة إلى مياه متدفّقـة إلى ميادين قتال، وكان لهذا المكان الحظ الأوفر، هذا إلى جانب مشاهد احتفالية وأفراح وما إليها.

وإذا كانت أغلب أحداث القصة تتسـق في طبيعتها مع أخبار البطولات الإسلامية لأنها مسـتوحاة منها فإن فيها نزعة أسـطورية تتمثّل في انتصار «عليّ» بمفرده أو مع «عمّار» على جيش العبسيين الذي يضمّ عشرين ألف مقاتل.

كمـا تظهر في تحوّل الماء إلى ذهب ثم رجوعه إلى أصله بكلمة من «عليّ». على أنه وإن كان الحـدث مرفوضـاً بالنسـبة للعقـل المتحضّـر إلا أنـه ربمـا كان مقبـولاً لدى الإنسـان البسـيط الساذج الذي تبهره مثل هذه الخوارق. وهو الجمهور الذي من أجله كان يكتب مثل هذا الشـعر. وقد مثّلت هذه الخيالات عناصر تشـويقية في مثل هـذه الأعمال، ونقاط جذب شدّت ذلك الجمهور الساذج.

وبشـكل عام يلاحظ أن الحكاية في النص بسـيطة خالية من التعقيدات. كما أن بناءها الفكري متسلسل وإن كان يفتقر إلى المهارة الفنية في الإحكام.

وقـد اعتنى الشـاعر بالأوصـاف المرئية المحسوسـة وتخلـل الأحداث مواقف إنسـانية متنوعـة تنمّ عما يصطرع داخل النفس الإنسـانية من خيرٍ وشـرّ، وشـجاعة وتقهقـر. هذا إلى غيرها من الميول والنـزعات.

والقصـة وإن لـم تصلنا مكتملـة إلا أننا نتوقع فـي نهايتها انتصار الحـق والخير الصادر عـن نزعـة تفاؤليـة. وهـذه النهاية قد تبـدو منطقية فـي الفكر الواقـع تحت الاضطهـاد الذي يبحث عن المثالية في مجتمع مغلوب على أمره، كالمجتمع الذي كتبت فيه.

وقد احتلّ الحوار مكاناً بارزاً في القصة وأتى متفاوتاً بين القوة والضعف وبحسب الشخصيات ومواقفها ودورها بالنسبة للأحداث.

ومن الملاحظ أن المشاهد الحوارية تطول أحياناً فيغلب عليها السرد بلغته الإخبارية التقريرية خاصة حين يقحم الشاعر آراءه ويفرض نفسه على المواقف[1]. هذا فيما عدا المواقف التي تأتي عفوية، فيصوّر فيها وبطريقة غير مباشرة مشاعر بعض الشخصيات.

وأكثر المشاهد الحوارية أتت مبينة على الأساليب الإنشائية.

ومع بساطة الأسلوب وتدنّيه في بعض المواضع نلحظ ميلاً من الشاعر لتجسيد معانيه بالصور البلاغية. وكان للتشبيه الحظ الأوفر. من ذلك قوله مصوّراً ضخامة الجيش وكثرة أعداده:

فَقَالَ «عَمَّارُ» أَيَا خَيْرَ البَشَرْ جَيْشٌ أَتَانَا كالجَرَادِ المنتشِرْ
كأنَّهُ السُّحْبُ إذَا تَرَاكَمَا أو جُنْحُ لَيْلٍ فاحمٍ قد أظْلَمَا

وقد استخدم الشاعر بعض الاشتقاقات الغريبة كقوله:

فاقتلعَ الكَافِرَ من حِصَانِهِ وَصَارَ كالأُكْرةِ في بَنَانِهِ

فالأكرة اشتقاق غريب استعمله الشاعر بدل الكرة لمناسبة الوزن.

النوع الثاني: القصص الخيالي الرمزي:

وهي قصص ترمز للواقع الفعلي الذي عاشته «البحرين» في القرن الثامن عشر حين اشتد الصراع بين القوى المختلفة عليها. وقد انكوى البحرانيون بنيران الحرب، فعبّر الشعراء في هذا اللون من القصص عن تجربة عاشوها. وعوّلوا في صياغتها على القالب الشعري القصصي. ولأسباب سياسية وفنية فضّلوا أسلوب الرمز والإيحاء على التصريح. وعمدوا إلى إسقاط واقعهم ومعاناتهم على عناصر طبيعية. فكان أبطالهم من الحيوان كالسمك، أو النبات كالرطب أو غيرها. وتمثّل هذه النماذج الجانب الرمزي في تلك الأعمال.

تطالعنا في هذا الصدد ثلاث قصص. اثنتان منهم لـ «القاسم بن علي الإصبعي». وهما «قصة الرطب» وتتكون من مئتين واثنين وثمانين بيتاً. و«قصة التتن» أي التبغ، وعدد أبياتها مئة وواحد وخمسون بيتاً. أما الثالثة فهي لـ «حسن المليلي» وهي «حرب السمك» وهي النموذج الذي نركز عليه دراستنا.

---

(1) تُراجع على سبيل المثال الأبيات من ص175 – 192.

حرب السمك: لـ «حسن المليلي»[1]:

عـدد أبياتها مئـة واثنان وتسـعون بيتاً. وهي منظومـة على بحر الرجـز. مربّعة أي كل أربعـة أشـطر تشـكّل مقطعـاً. وتتنـوّع قوافي الأشـطر الثلاثـة الأولى مـع توحّد قافية الشـطر الرابع في جميع المنظومة أي أنها من الشعر المسمّط.

المـكان: البحر. والناظـم يحدّد بعض المناطـق البحرية ذات العلاقـة بالأحداث فيذكر «يليول» و«شَتِيًّا»[2].

الزمـان: ليـس محـدّداً فهو يوم من الأيـام. وقد حـرص الناظم على تحديـد وقت بعض الأحـداث صبحـاً أو ليـلاً أو ضحـى. والمتفحّـص لزمان القصـة يدرك أنهـا تمثّل عصر الشـاعر. ولعله القرن الثامن عشر[3].

الشخصيات: هي أنواع السمك المختلف. وقد قسّمها الناظم إلى فريقين:

الفريـق الأول: السـمك الحلال، أي ما يجوز أكلـه. وهو ذو القشـور. وعمد إلى تعديد جـلّ أسـمائه. فذكـر الهامـور، الكنعـد، الكـردوس، الحاقول، القِـدّ وغيرهـا. وهو يمثـل المالك الفعلـي لـلأرض الذي يقـع الصراع حولهـا. والابن الشـرعي لها. وقـد تعرّض لاعتداءات شرسـة للاستيلاء على موطنه.

الفريـق الثانـي: السـمك الحـرام أي مـا لا يجوز أكلـه وهو الخالـي تماماً من القشـور. وذكـر الناظـم من أنواعـه: الكَمْـهْ، الجرجور، الدُّحْـس، واللخـم[4]. وصوّر الناظم هذا السـمك الحرام بأنه دخيل معتد يعمد إلى الاستيلاء على أرض غيره بالقوة[5].

---

(1) تُراجع في المجموعة 2 – ص53 – 57.

(2) يُراجع البيتان 87 – و101.

(3) ليـس بيـن يدينـا ترجمـة كاملة لهـذا الشـاعر. ويرجّـح التاجـر، محمد علي فـي مسـودّات المنتظـم، مصدر سـابق، ترجمة 727 – أنه من أهل القرن الثالث عشـر الهجري/التاسـع عشـر الميلادي. وفي اعتقادنا أنه من أبنـاء القـرن الثانـي عشـر الهجري/الثامن عشـر الميـلادي ولعلّه عاصر مطلـع القـرن التالي. ونبنـي اعتقادنا على أمرين: الأول أنه لو كان من أبناء القرن التاسـع عشـر لربما سَـهُل على التاجر أن يحصل على معلومات عنـه ولو بسـيطة لقرب العهـد بينهما. فعدم الحصول علـى أيّ خبر عنه يشـير إلى بُعد الزمـن بينهما بما لا يقـل عـن قرنيـن. أما الأمـر الثاني فهـو موضـوع المنظومة نفسـه الذي يمثـل الصراع بيـن السـمك، والرامز وفـي اعتقادنـا إلى واقع الشـاعر ومـا عاناه وقومه من صـراع القوى المختلفـة. وقد مثّل القرن الثامن عشـر ذروة ذلـك الصـراع. خاصة بين إيـران وعُمان. كمـا أن أبناء ذلك القـرن ربّما ما زالوا قريبي عهد بالاسـتعمار البرتغالي، وأن أخبار ذلك الغزو ما زالت تتساقط إليهم. يُراجع فصل الحياة السياسية ص51 وما بعدها.

(4) أكثـر هـذه الأسـماء ما زالـت متداولـة ومعروفة في بيئـة الخليـج. والدحس هـو الدلفين واللخم هو سـمك القرش، عن المعجم الوسيط، ج1 ص274 و2 ص820.

(5) تحليـل الأنـواع المذكورة وتحريمها يمثّل وجهة نظر شـيعية تُراجع رسـائل الشـريف المرتضـى، ج1 ص248 المسألة 67. وربما يعود تحريم أكثر الأنواع المذكورة إلى أن أنثاها تلد ولا تبيض.

وما يجدر ذكره أن السمك الحرام تميز عن السمك الحلال بشكل عام بضخامة حجمه وقوته، وقدرة الكثير من أنواعه على الافتراس.

الحبكة القصصية: تبتدئ الأحداث بخصومة على المرعى بين «الهامور» صاحب الأرض، وهو من السمك الحلال، وبين «الكَمْه» وهو المعتدي ومن النوع الحرام:

قَالُوا أَتَى الهَامُورُ يوماً يرتَعِي ... ما بينَ صَفْوٍ وحَشِيشٍ مَمْرِعِي
فَجَاءَهُ الكَمْهُ بِقَولٍ مُرْدِعِي ... هَذَا مَكانِي وَلَكَ التَأْخِيرُ

وتعبّر لفظة «مردعي» عن أسلوب القوة والردع الذي استعمله الكمه في زحزحة الهامور عن بقعته. كما يصوّر مضمون القول منطق القوة وفرض السيادة لنفسه.

يصف الشاعر ردّة فعل «الهامور» ورفضه واحتجاجه الشديد، ومقابلة الكمه ذلك بالتهديد والزجر الذي تطوّر إلى اشتباك دموي انتصر فيه الكمه المُعْتدِي.

تتدفّق الأحداث بتنامي الصراع واتساع رقعته. وقد شهد «الكردوس» الاشتباك، ومن ثم أسرع لمعشر الحوت الحلال يخبرها بالأمر ويثير حمّيتها ويشرح لها ما وقع بتفصيل، وأنهى كلامه بقوله:

فنأخُذُ الثَّارَ مِنَ العُدْوَانِ ... ونَكْشِفُ العَارَ بِلَا تَوَانِي
فَاتَّفِقُوا مَعَاشِرَ الحِيْتَانِ ... وانتصفُوا لِجَارِكُمْ وجيرُوا

ومع استصوابهم لرأي «الكردوس» إلا أنهم تخاذلوا لشعورهم بضعفهم، وعدم تكافؤ قوتهم مع القوة الغازية. وقد أخذوا يقلّبون الأمر بتعقّل. فرفضوا هذا الرأي وسفّهوه.

عارض «الحاقول» رأيهم ولجأ إلى أسلوبين للتأثير فيهم. فقد قرّعهم وهددهم قصد دفعهم إلى القتال. فقال:

تَاللَّهِ إنْ لم تخرجُوا أَطْوَارا ... وتُشْعِلُوا نَارَ الوَغَى جِهَارَا
حَتَّى تَؤُوبُوا آخِذِينَ الثَّارَا ... ليظفرَ اليومَ بِكُمْ ظَفِيرُ

كما عوّل على أسلوب العقل والملاينة وما يقتضيه من أدلة وبراهين لإقناعهم بالحرب. وقد وظّف الشاعر الحكمة لتؤدي هذا الغرض:

لَئِنْ سلمتم من عَدُوِّ البَحْرِ ... فما سلمتُمْ من عَدُوِّ البَرِّ
وربّما الخَيرُ ببطنِ الشَّرِّ ... والعُسْرُ في أطرافِهِ التَّيْسِيْرُ

انقسموا قسمين فقسم حبّذ القتال. والقسم الآخر مال إلى الترحال.

تتنامى الأحداث فينظّمون أمورهم، ويولون «الكنعد» إمارتهم، فيختار «الحاقول» نائباً له ويكلّفه باستدعاء جميع أنواع السمك الحلال. وقد استثمر الشاعر هذا الموقف ليستعرض أنواعها ويذكر أسماءها:

فقال: أَيْنَ «الحُفُّ و«الكَرْدُوسُ» و«الصَافِيُ» المعرُوفُ و«الجِنِّيْسُ»
و«السِّلْسُ» و«البِيَاحُ» والكَسْكوسُ و«القُرْقُفَانُ» قِيلَ هُمْ حُضُورُ

يشتبك الطرفان ويطلب كل منهما مدداً.

وإلى جانب القوّة المادية تدخل أساليب الخداع والاحتيال كسلاح في المعركة.

يتأزّم الموقف وتستمر الحرب سجالاً ويحتدم أوارها. ويعتني الشاعر بوصف حدّتها وصفاً مرئياً محسوساً فيقول:

واشتدَّ ما بينَهُمَا الطِّعَانُ والتفَّتِ الفرسَانُ والفُرْسَانُ
وأُحْضِرَ المَدْيُونُ والدَّيَّانُ وأُسْقِطَ المَعْسُورُ والمَيْسُورُ
واختلَطَ البَحْرَ دَماً وسَفَطَا والشَّوكُ بالشَّوكِ التَقَى واخْتَلَطَا
والجَيْشُ بالجَيْشِ التقَى وانبَسَطَا وانْكَشَفَتْ بينَهُمَا السُّتُورُ

بمجرد أن يشعر كل طرف بضعفه يلجأ إلى الاستنفار، ويأتيه المدد فتزداد المعركة التهاباً وضراوة.

يتأزم الموقف بالسمك الحلال وتشتدّ محنته حين يشعر بالضعف، فيبادر إلى الخداع موهماً الخصم بالتُراجع نحو البرّ فتنطلي الحيلة، إذ يقفو «الدخس» و«الجرجور» إثر المتُراجعين فيصلون قرب الساحل فيأخذهم الإعياء، ويدركون الحيلة. فيولي الكبار منهم الإدبار، ويغدو الصغار لقمة سائغة للسمك الحلال الذي يحرز النصر.

تميّزت الحبكة بالتنقّل من بساطة الحدث إلى الوصول به إلى ذروة التأزم ثم الانحدار نحو الانفراج.

وقد اتّسم البناء الفكري في القصة بالخلو من التعقيد. فتتابعت الحوادث بسلاسة لا تخلو من مهارة في الإحكام وربط المواقف.

وحرص الشاعر على وصف الأحداث، كما رأينا في تجسيده للمعركة، واعتنى ببيان انعكاساتها على النفس في العديد من المواقف. فيصف لحظة الوداع وما يكتنفها من لوعة فيخلع على السمك صفات إنسانية فيقول:

فَأَمَرَ الأميرُ بالرُّكُوبِ فودَّعَ المَحْبُوبُ للمَحْبُوبِ

واشـــــتغلُوا بالنَّـــــوحِ والنَّحِيـــــبِ والدمـــــعُ مـــــن أجفانِهِـــــمْ يَفُـــــورُ

كمـا أضفى عليها الكثير مما يعتري النفس البشـرية من ميول خيّرة وشـريرة، كالخوف والجـزع والإقبـال على الأمـور والإدبار عنهـا. ونزعتها إلى الاحتيـال أحياناً حين يتـأزم موقفها، إلى غير ذلك من أنواع السلوك البشري.

ومع اعتماد الشـاعر علـى اللَّهجة الإخباريـة التقريرية في الكثير مـن المواضع، اعتنى بالمقاطـع الحواريـة، فأتـى عنصر الحـوار واضحاً فـي البناء القصصـي. وكان أغلبـه مبنياً على الاستفهام والأمر[1].

مع تصريح الشـاعر بأنه نظمها اسـتجابة لسـائل[2] يبرز فيها هـدف الإمتاع. كما تظهر الغايـة التعليمية من خلال تحديد الناظم لأكثر أنواع السـمك الحـلال والحرام. كما أن الهدف السياسـي واضح. فقد رمى الشـاعر إلى الحثّ علـى مقاومة المعتدي الدخيـل. وغلّف دعوته بغـلاف رمـزي يشـفّ ولا يفضـح. يؤكـد ذلـك الإشـارات العديـدة التـي تأتـي عرضـاً فـي ثنايا المنظومة، فقد ألمح إلى تعدّد أجناس الغزاة الذين توالوا على البحرين فقال:

ونحـــــنُ مِنَّـــــا كُلُّهُـــــمْ يَصْطَـــــادُوا مســـــلمُهُمْ كَـــــذاكَ والكَفُـــــورُ

كمـا أومأ إلى ما ترتّب على الغزو من نتائج كميل البعض إلى المقاومة وجنوح البعض الآخر إلى النـزوح[3].

وتفصـح النهاية وهو انتصار السـمك الحـلال عن تطلعات الشـاعر وأمانيه في الانتصار على العدوّ وتمنّي إجلائه ودحره رغم إدراكه صعوبة ذلك.

ومـع طرافـة المنظومـة حفلت بالعديـد من النواقـص وجوانـب القصور. وتميّـز البناء الفنّـي بالبسـاطة والتلقائيـة فكانـت الأحداث تتنامى بسـذاجة فـي الكثير مـن المواضع. كما بـدت بعـض الشـخصيات مسـطّحة. وقد عمـد الناظم إلـى اسـتعمال العديد من الاشـتقاقات الغريبة والصيغ الدارجة. إضافة إلى ما اعترى العديد من الأبيات من ثقل موسيقي.

من خلال دراستنا للشعر القصصي البحراني نخلص إلى بعض الملاحظات:

1. إن هذا اللون الأدبي وليد شـرعي للشـعر التاريخي الذي جال شـعراء البحرين كثيراً فـي ردهاته. ولـد بين يديه وترعرع فـي أحضانه حتى تمكّـن من الوقوف علـى رجليه، فاتحاً لنفسه آفاقاً أرحب بتعويله على الخيال والرمز.

---

(1) ممـا بنـي على الاسـتفهام المقطع المبتدئ بالبيـت 14 والبيت 29 والبيت 95. ومما بنـي على الأمر المقطع المبتدئ بالبيت 77 والبيت 131.

(2) يُراجع البيتان 9 و10.

(3) يُراجع البيتان 71 و72 والأبيات من 85 – 88.

2. وباعتمادنا على الدراسات المعاصرة الراصدة لحركة الشعر القصصي والتي تحدّد انطلاقته بنهايات القرن التاسع عشر نجد أن شعراء البحرين ربما سبقوا شعراء الأقطار العربية الأخرى في نظم القصص الشعري خاصة الطويل منه، بما يقارب القرن من الزمان وعلى ذلك ربما جاز لنا اعتبار الشاعر البحراني المعاصر «إبراهيم العريض» امتداداً لشعراء الفترة المدروسة. وقد اعتبره الدارسون المحدثون من روّاد الشعر الملحمي في الخليج العربي، وأنضج شعراء هذا اللون تجربة. كما عدّه البعض نقله أدبية مع غيره من الشعراء في تطوّر الأسلوب الحواري الذي هو أحد المقوّمات الفنية للشعر القصصي[1].

3. رغم ما في هذا اللون من طرافة فكرية لم تصل نماذجه إلى مستوى فني رفيع. فقد شابها العديد من السلبيات والسذاجة. ولعلّ العذر لأصحابها أنهم كانوا ينسجون على غير مثال. فلم يكن أمامهم نماذج عليا أو جذور راسخة يحتذونها بسبب خلو الأدب العربي من هذا اللون أو ندرته. علاوة على أنهم لم يلمّوا بداهة بمقوّمات الفن القصصي ومصطلحاته التي هي من وضع النقّاد المحدثين.

وفي نظرنا أن تلك التجارب الأدبية تعد بمثابة المحاولات الأولى التي تمثّل طفولة هذا الفن وسذاجته. وفيها كل ما يميّز التجارب الأولى من قصور ونقائص. وجرت تلك الأشعار القصصية مجرى الأناشيد الشعبية. فكانت بلغتها في مرتبة وسطى بين الفصحى والدارجة.

وقد أدّى الفتور الذي أصاب الحياة الفكرية ابتداء بالقرن التاسع عشر إلى وأد هذا اللون والقضاء عليه قبل أن ينضج أو يشتدّ عوده.

سمات المضمون الفكري في شعر البحرين:

نستخلص من دراستنا للمضامين الفكرية على اختلاف اتجاهاتها وتياراتها أن الجو الشعري العربي القديم هو المحيط الذي كان يتنفس فيه شعراء البحرين ومنه يمتحون؛ فقد: نظروا للمحتوى والهياكل الموروثة باعتبارها المظهر الحقيقي للأصالة. وساعد على ترسيخ تلك النظرة أن الحركة الفكرية التي انتعشت آنذاك والتي كان النشاط الشعري أحد إشعاعاتها اتسمت هي الأخرى بالتقليدية. ومن ثم غلبت هذه الروح على الفنّ الشعري.

وكان من الممكن للشعر البحراني أن يأخذ طريقاً أكثر تطوّراً وإشراقاً لو استمرت

(1) يُراجع الطائي، عبد اللّه، الأدب المعاصر في الخليج، مصدر سابق، ص214 وآل مبارك، عبد اللّه، الأدب العربي المعاصر في الجزيرة العربية، مصدر سابق، ج1 ص44، وفهمي، ماهر، تطوّر الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1981، ص154 و155.

مسيرته أو أتيحت له ظروف الاستقرار. ورغم ذلك نعتقد أنه برزت فيه بعض الجوانب المميزة والإيجابية بالقياس إلى الشعر العربي في الفترة المدروسة التي تقهقرت فيها الحياة العربية على جميع أصعدتها، وكان الشعر أحد جوانبها المتأثرة. ولعل أهم سمة أنه مثّل حياة أصحابه إلى حدٍّ كبير. فكان مرآة صادقة لأوضاعهم سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. وعلى ذلك فقد تراوح بين التقليد وبين بروز بعض الجوانب الطريفة. ويمكن أن نصنّف الشعر البحراني من حيث محتواه ومضامينه انطلاقاً من ذلك إلى ثلاثة أصناف:

1 ـ صنف تقليدي لم يكد الشعراء فيه يتجاوزون نماذج الأولين، بل وتدنى مستوى الكثير منهم خاصة ما قيل في الفنون المعروفة كالغزل والمديح. هذا مع ما كان لبعضهم من تلوينات فكرية.

2 ـ صنف قديم وسّعه الشعراء وشقّوا فيه روافد تكاد تكون جديدة. وهي الظواهر التي التفت إليها الشعراء في مراثيهم لآل البيت. كشعر المرأة والطفولة. فقد حوت مع تقليديتها ومضات فكرية طريفة نأت بها عن الإغراق في التقليدية المفرطة.

3 ـ لون يتسم بالجدة والطرافة. وهو محدود الحجم كالشعر القصصي.

وعلى ذلك يمكننا أن نعدّ شعر البحرين لوناً وسطاً تراوح بين الجمود والانحدار من ناحية وبين النزوع إلى بعض التطوّر والتجديد من ناحية أخرى. فنماذجه إن لم تكن قويّة نابضة بالحيوية والجدّة فهي لم تكن شديدة الهزال.

الباب الرابع
دراسة الشكل

يشـكّل الأسـلوب الدعامـة الأساسـية الثانيـة فـي البنـاء الشـعري بالإضافـة إلـى المضمـون الفكـري. فبواسـطته يتوصّـل الشـاعر إلـى التعبيـر عـن تجربتـه الشـعرية ومـا تزخـر بـه نفسـه مـن عواطـف وأفـكار، ومـا يتمخّـض عنـه خيالـه مـن صـور ومعـانٍ.

وممـا لا شـكّ فيـه أن دراسـة الأسـلوب تعيـن علـى الكشـف عـن أصالـة الشـعر ومسـتوى الأداء الفنـي ومـا يتميـز بـه الشـعراء مـن سـمات فكريـة ونفسـية. كمـا تكشـف عمـا تتسـم بـه تعبيراتهـم اللغويـة والبلاغيـة مـن خصائـص ومميـزات.

وقـد كان للكثيـر مـن هـذه العناصـر الأسـلوبية قيمتهـا فـي خلـق الجـوّ الشـعري وإثـراء النصـوص وزيـادة شـعريتها، خاصـة حيـن كانـت تسـتعمل باعتـدال ودون تكلّـف.

ولاعتبـارات عديـدة وعلـى رأسـها طبيعـة الموضـوع المتمثلـة فـي محاولـة الاقتصـار علـى تلمّـس الملامـح العامـة لشـعر البحريـن فـي الفتـرة المدروسـة وعلـى صعيـدي المحتـوى الفكـري والهيـاكل الشـكلية، سـنركز فـي دراسـتنا وضمـن فصـول هـذا البـاب علـى أهـم دعائـم الأسـلوب وهـي الصـورة الشـعرية، والموسـيقى، وفنـون البديـع، والأسـلوب الإنشـائي. مرجئيـن النظـرة الدقيقـة والمتعمّقـة لدراسـات أخـرى قادمـة بـإذن اللّـه.

الفصل الأول

دراسة الصورة الشعرية

الخيـال ركيـزة هامـة في بنـاء الفن الشـعري. وكلّمـا زادت قدرة الشـاعر علـى التخيّل واستجلاب الصور الموائمة زاد حظّه من الجودة الفنية والإبداع.

والتصوير أسـلوب فني يُمكّن الشـاعر من هزّ الكلمة وتوسـيع آفاقهـا، وتوظيفه كمنبّه ومثيـر لخدمـة النـص ومعانيه. وهو عنصـر فعّال في تجسـيد مختلف العواطـف والانفعالات بأبسـط وسيلة وأقل جهد. وقد يلجأ إليه الشاعر حين يشعر بعجز الألفاظ في معناها الأصلي عـن اسـتيعاب تجاربـه النفسـية، ومـا تجيـش بـه أعماقـه مـن مختلـف المشـاعر المعقّـدة والانفعالات العميقة.

وقد حـدّد الأقدمون مجـالات النظر التـي تتولد عنها أبـرز الصور الخياليـة. واصطلحوا على تسميتها بعلم البيان. وعلى هذه الفنون ستنصب دراستنا للصور.

التشبيه وأنواعه:

التشـبيه فـنّ يمكّـن الشـاعر مـن تشـكيل المعانـي الذهنيـة والشـعورية فـي صـورة محسوسة. وهو يقوم على ملكة يستشرف الإنسان من خلالها التأليف بين العناصر المختلفة، فتتدانى وتتعانق في انسجام وألفة. ولهذه العملية دورها في إيقاظ النفس وإثارة الفكر.

وكثُـر التشـبيه فـي شـعر «البحرين». ولعل السـبب فـي كثـرة دورانه أنه أبسـط أنواع التصوير. ونوّه النقاد الأقدمون بشرفه وفضله، وحدّدوا وظيفته[1].

وتبـرز في شـعر الشـعراء ضروب التشـبيه المختلفة باعتبـار وجود عناصـره الأربعة أو حذف بعضها. وباعتبار بنية ترتيبها. وسنرتّب صنوفها حسب درجة تواترها.

التشبيه المفصّل:

يرد بكثرة في شـعر «البحرين». ولعل مزيته تكمن في قيمته الإخبارية. فتوفر عناصره الأربعة تتيح له الوضوح وبيان الدلالة[2].

---

(1) يُراجـع: العسـكري، أبـو هـلال الحسـن بـن عبـد اللّـه، كتـاب الصناعتيـن، ط1، دار إحيـاء الكتـب العربيـة، 1371هـ، ص240؛ وابن رشيق، العمدة، مصدر سابق، ج1 ص287.

(2) تُراجـع أمثلـة الخطيـب القزوينـي، محمـد بـن عبـد الرحمـن، فـي الإيضاح فـي علـوم البلاغـة، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة 1984، ج4 ص89، والطرابلسـي، محمد الهادي، خصائص الأسـلوب في الشوقيات، =

ولا يتخذ ترتيب أجزاء التشبيه شكلاً واحداً فقد يعتري الأجزاء تغييرات في مراتبها مع تنوّع الأداة. وتنحصر أهم أشكالها في:

الترتيب الأصلي: وهو الذي يحتلّ فيه المشبّه المرتبة الأولى، تليه الأداة فالمشبّه به، وأخيراً وجه الشبه. مثاله قول «علي بن حسن البلادي»[1]:

[رمل]

وإِذَا الأَقْـــــدَامُ خَفَّـــــتْ ثَبَتُـــــوا كالجِبَـــالِ الشُّـــمِّ ثِقْـــلاً وصِـــلَادَا

فالشاعر استخدم الكاف للربط اللفظي بين طرفي التشبيه وهي الأصل في أدوات التشبيه.

واستخدموا الأداة «كأنّ» بقدر يكاد يكون مساوياً للكاف في الترتيب الأصلي كقول «علي بن أحمد الكامل» مشبّهاً الجيش الجرّار بالسحاب المتراكم القاذف للموت[2]:

[طويل]

رَمَـــوهُ بِجَـــرَّارِ الـــخَمِيسِ كأَنَّـــهُ رُكَامُ ســحابٍ وَابِــلِ الـــمَوْتِ مَاطِــرِ

ولعلّ السبب في كثرة استخدامها دلالتها الأقوى في التشبيه لكونها مركّبة من كاف التشبيه و«إنّ» المؤكدة[3].

يخرج التشبيه في الترتيب الأصلي بروابط لفظية أخرى كالفعل «يحكي» و«يماثل» وغيرها.

التقليبات الأخرى:

مال الشعراء في التشبيه المفصّل إلى إحلال وجه الشبه في المرتبة الثانية. ومنه قول «علي بن الحسين البلادي» في وصف معاناة النساء الهاشميات[4]:

[بسيط]

مُحَمَّـــلاتٍ عَلَـــى الأَنْضَـــا بِـــلَا وَطَـــأٍ والدمـــعُ مـــن عينِهَـــا ينهَـــلُّ كالسُّـــحُبِ

وغالباً ما يتمحّض هذا اللون لوصف الكيفية.

= منشورات الجامعة التونسية 1981، ص143.

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص404.

(2) ديوان الدمستاني ص343.

(3) المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة وزميله، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983، ص568.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص410.

قد يقدّم الشعراء الأداة وأكثر ما يرد هذا اللون في وصف بطولة الهاشميين، والأغلب استعمال الأداة «كأن» يقول «سلمان التاجر»:

[كامل]

وكأنَّمَـــا الأعـــدا بُغَـــاثٌ وُقَّـــعٌ قـــد حَلَّقَـــتْ فيهـــا نُسُـــورٌ حُـــوَّمُ[1]

وعادة ما يتلو الأداة المشبّه فالمشبّه به فوجه الشبه.

يرد تقدّم وجه الشبه بدرجة أقلّ من السابق. كقول «علي الصالحي»:

[كامل]

يَحْلُـــو شَـــهِيُّ رُضَابِهَـــا فكأنَّـــهُ ضَـــرَبٌ تَمَـــازَجَ بالرَّحيـــقِ السَّلْسَـــلِ[2]

هذه أهم صور التشبيه المفصّل في شعر «البحرين». ومع ما لهذا الضرب من قيمة توضيحية يكاد يخلو من العمق[3]. فقيمته الإيحائية متدنّية، وفيه تظلّ الحواجز بارزة بين المشبّه والمشبّه به. كما يبقى المشبّه به متفوقاً في الصفة على المشبّه.

التشبيه المجمل:

يرد بكثرة نسبياً ربما لقدرته على إشراك المستمعين وتحريك خيالهم وعاطفتهم، نظراً لما يتطلبه من ثقافة ولو محدودة، وقدرة على فهم إطار الكلام تمكّن من إدراك المغزى. كما أن تجرّده من وجه الشبه يجعله أعلى بلاغة من المفصّل[4].

ويكاد جلّ الشعراء يتقيدون فيه بالترتيب الأصلي، مع التنويع في الأدوات، والإكثار من استعمال «كأن» حتى تبدو وكأنها تحتل المرتبة الأولى، ولعل ذلك عائد إلى ما فيها من معنى التأكيد. يقول «أحمد بن طعّان» [5]:

[وافر]

فَشَـــدَّ مَـــزَادَهُ المملـــوءَ حَتَّـــى توسَّـــطَ فـــي كَتَائِـــبَ كالسُّـــيُولِ

ويميل الشعراء في استعمالهم «كأنّ» إلى تقديمها على عناصر التشبيه، كقول

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص287.

(2) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشعر. والضّرَب العسل الأبيض الغليظ.

(3) اعتبره علماء البلاغة أضعف مراتب التشبيه, يُراجع السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1983، ص355، والخطيب القزويني، الإيضاح، مصدر سابق، ج4 ص129.

(4) الخطيب القزويني، الإيضاح، مصدر سابق، ج4 ص129، الطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، مصدر سابق، ص147.

(5) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص159.

«سلمان التاجر» في وصف شغف الهاشميين بالحرب وإقبالهم عليها متخيلاً الرماح قدود الغيد والدماء المتصبّبة خمراً:

[سريع]

كأنَّمـــا السُّـــمْرُ قُـــدُودُ الدُّمَـــى لديهـــمُ والـــرَّاحُ قَطْـــرُ الحِـــدَادْ[1]

ترد «مثل» أقل من الأداتين السابقتين. كقول «علي بن أحمد الكامل» مشبّهاً أجساد المرثيين لكثرة تعبّدهم بالعرجون[2]:

[بسيط]

مِـــنْ كُلِّ أَرْوَعَ لا تخبُـــو زِنَـــادُ قِـــرَى لـــه وَقَـــوَّامِ لَيـــلٍ مِثْـــل عُرْجُـــونِ

واستعملوا بنسبة قليلة جداً أفعال التشابه، كقول «لطف اللّه بن محمد» مشبّهاً دموع النساء الثكلى بالسحب[3]:

[طويل]

تُنادِيـــهِ وَجْـــداً والأَسَـــى حَشْـــوُ صَدْرِهَـــا وأَدْمُعُهَـــا تحكـــي دُمُـــوعَ السَّـــحَائِبِ

التشبيه البليغ:

هو أعلى مراتب التشبيه في قوّة المبالغة، ويأتي في شعر «البحرين» كثيراً ولكنه يبدو أقل وروداً من المفصّل والمجمل.

وتتغير المواقع التي يحتلها المشبّه به في الجملة النحوية وأكثر ما يأتي خبراً لمبتدأ أو لناسخ، كقول «علي بن أحمد الكامل» [4]:

[متقارب]

وغصـــنُ النَّقَـــا هِـــي إنْ أقبلَـــتْ وحِقْـــفُ الكثيـــبِ إذَا تَدْبُـــرُ

أو مفعولاً كقول «سلمان التاجر» مشبّهاً المرثي بالأسد [5]:

[كامل]

وتـــراهُ لَيْثـــاً مُلبِـــداً فـــي دِرْعِـــهِ اتَخَـــذَ القَنَـــا غَابـــاً إليـــهِ ومَخْدَعَـــا

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص314 والحِدَاد صفة للسيوف كنّى بها عنها.

(2) ديوان الدمستاني ص339.

(3) المجموعة (1) ص293.

(4) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(5) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص344.

وقد يُبنَى التشبيه على أسلوب الحصر، كقول «لطف اللّه بن محمد» مجسّداً شجاعة الهاشميين وقدرتهم الخارقة على تقطيع الدروع [1]:

[طويل]

فَمَا سَابِغَاتُ السَّرْدِ حينَ تَنَالُها ... سيوفُهُمُ إلاّ نَسيجُ العَنَاكِبِ

تشبيه التمثيل:

وهو شائع في شعر «البحرين»، وأكثر وروده في مراثي آل البيت. يصوّر «أحمد الدمستاني» شجاعة «الحسين» فيضارعه في سطوته على الأعداء بالأسد المهاجم لسرب الأغنام:

[بسيط]

يكرُّ فيهم فينثالُونَ مِنْ جَزَعٍ ... مثلَ الغَضَنْفَرِ في سَرْبٍ مِنَ الضَّانِ[2]

فالشاعر انتزع صورة الكرّ من متعدّد: الأسد وقطيع الضأن في حالة معينة.

وفي مجال تصوير العواطف شبّه «الخطّي» قلبه عند رحيل أحبّته بصغار القطا التي خطفتها النسور، أو الظباء العرجى حين تهاجمها السباع[3]:

[وافر]

كأنَّ قلوبَنَا لَمَّا استقلَّتْ ... ركائِبُكُمْ ضُحَى وَدَنَا الوداعُ

فِراخُ قَطَا تخطَّفَهَا بُزَاةٌ ... وعُرْجُ ظُبَا تَعَاوَرَهَا سِبَاعُ

وأغلب ما ورد من تشبيه التمثيل مثبت الأداة.

التشبيه المؤكَّد:

يقلّ شيوعه في شعر «البحرين» ربما لقلة حظّه من الإثارة. والغالب على استعماله تقيّد الشعراء بالترتيب الأصلي. من ذلك قول «إبراهيم الخليفة»[4]:

[وافر]

فأنتَ الغيثُ في كَرَمٍ وجُودٍ ... وأنتَ الليثُ لا بَلْ أنتَ أَجْرَا

وفي حالات قليلة يتوسّط وجه الشبه بين الطرفين كقول «الوائلي»[5]:

---

(1) المجموعة (1) 292.

(2) ديوان حسن الدمستاني ص255.

(3) ديوانه ص74.

(4) ديوانه ص31.

(5) ديوانه ص104.

[كامل]

مـــا للدمـــوعِ تســـيلُ سَـــيْلَ الـــوادي أحَـــدَا بركـــبِ العَامِرَيـــةِ حَـــادِ؟

وقد يتقدّمهما كقول «سلمان التاجر»[1]:

[كامل]

وفِجَاجُهَـــا أظلمـــنَ بَعْـــدَ مَصَابِـــحٍ كانـــتْ تُضِـــيءُ بأوجـــهٍ هِـــيَ أَنْجُـــمُ

ويتميّز هذا النوع نظراً لتجرّده من الأداة بإدناء المسافة بين المتشابهين حتى يكادان يلتحمان. كما يتسم بالوضوح الظاهر بسبب التصريح بوجه الشبه[2].

التشبيه الضمني:

غلب على استعمال الشعراء بناؤه على الحِكَم أو حقائق خرجت مخرجها. ومنه صور تبنى على أشكال أخرى[3]. وفيه يخرج المشبّه والمشبّه به عن إطارهما المعروف ويُكتَفى بالتلميح إليهما.

ومما أُخرج مخرج الحكمة قول «حسن الدمستاني» مشبّهاً الساعي للمجد وما يشعر به من راحة بعد المشقّة بالساري ليلاً[4]:

[طويل]

وحُـــثَّ قُـــوَاكَ الوَانِيَـــاتِ علـــى السُّـــرَى إلـى الـمَجْدِ إنّ الصُّبْحَ مَحْمَدَةُ الـمَسْرَى

فالشاعر في هذه العملية التصويرية لم يصرّح بالتشبيه بل أوحى به. وقد ثوى المثل «عند الصباح يُحْمَد السُّرَى» في إطار الأمر. ومما صيغ في أسلوب الاستفهام قول «سلمان التاجر» وقد اعتبر الشجاعة وراثة الممدوح من أبيه[5]:

[مجزوء الكامل]

وَرَثَ الشَّـــــجَاعَةَ مـــــن أبيـــــهِ وَهَـــــلْ يخُـــــونُ الليـــــثَ شِـــــبْلُهُ؟

والغالب على صور التشبيه الضمني بناؤها على التشكّك، وعلى الأخص في مجال الغزل. ومنه قول «علي بن أحمد الكامل»[6]:

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص286.

(2) يُراجع في التعريف عنه عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة، بيروت 1970، ص79، والطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، مصدر سابق، ص149.

(3) المصدران نفسهما، الأول ص101 والثاني ص153.

(4) ديوانه ص99.

(5) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص316.

(6) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق.

[متقارب]

غَـــزَالٌ مـــن الحـــيِّ أَمْ جُـــؤْذُرٌ بَـــدَا أم بَـــدَا قمـــرٌ نَيِّـــرُ

فاكتمال الصفات الجمالية جعل الشاعر يتشكّك هل هي صاحبته فعلاً أم العناصر الأصلية المجسّدة لتلك الصفات؟ وقد اختفت معالم التشبيه ولم يبق إلا عنصراه الأساسيان المشبّه والمشبّه به.

ويعمد الشعراء إلى إخفاء معالم التشبيه في أساليب تصويرية متعددة نذكر منها قول «التاجر» مشبّهاً «كربلاء» بـ«الطور» و«الحسين» بالنبي «موسى» وذلك حين أوشك على السقوط[1]:

[مجزوء الكامل]

حَتَّـــى إِذَا نُـــودِي بِـــذَاكَ الـ ـــوادي مـــن «طُـــورِ» القَبُـــولِ
أَنْ يـــا «حســـينُ» اخلـــعْ نعالَـــكَ والبسْـــنَ حِلَـــلَ الرحيـــلِ

والتشبيه الضمني مظهر من مظاهر التفنّن يحتاج إلى مهارة ونظر عميق في صميم الأشياء وتغلغل في بواطنها. كما أن خفاء عناصر التشبيه يجعله بليغاً مؤثراً يثير السامع ويحرّك خياله.

التشبيه المقلوب:

يقلّ وروده في شعر «البحرين». وهو ضرب من التصوير يقصد به المطابقة بين الطرفين. ونظراً لما يتطلبه من جعل المشبّه مشبّهاً به بادعاء أن الشبه أقوى في المشبّه[2]، فمن تحصيل الحاصل أن يأتي المشبّه به أولاً ويتلوه المشبّه.

وقد يرد خالياً من الأداة والوجه معاً فيقوى الالتحام بين الطرفين ويزداد اندماجهما. ومنه قول «سلمان التاجر» مصوّراً بأس ممدوحه جاعلاً نفخة الصور جزءاً من نفخته[3]:

[مجزوء الكامل]

مـــا الصُّـــورُ إلاّ نَفْخَـــةً منـــهُ علـــى هَـــامِ الذَّليـــلِ

ويرد أحياناً خلوّاً من الأداة فتقوى اللحمة كقول «محمد بن أحمد العصفور»[4]:

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص311.

(2) يُراجع في التعريف عنه عتيق، عبد العزيز، علم البيان، مصدر سابق، ص94، والطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، مصدر سابق، ص152.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص311.

(4) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص217.

[طويل]

فمـــا الليـــلُ إلاّ مـــن بَيَـــاضِ مَفَارِقِـــي ومـــا الـــوُرْقُ إلاّ مِـــنْ حنينـــي إذَا حَنَّـــا

وقد تذكر الأداة فيتطابق الطرفان كقول «الوائلي»[1]:

[رمل]

هَـــذِهِ الشـــمسُ تُحَاكِيهـــا وَقَـــدْ لَبَسَـــتْ فـــي الأرضِ ثوبـــاً ذَهَبِيـــا

وأَرَى البَـــدْرَ مُنيـــراً سَـــاطِعاً يَسْـــتَمِدُّ النُّـــورَ مِـــنْ ذَاكَ الـــمُحَيَّا

ويـرد فـي صـور أخرى وبالخصـوص حين يرمـي الشـاعر إلى زيـادة المبالغة فـي إبراز الصفات المادية والمعنوية. كقول «الخطّي» في المرأة[2]:

[خفيف]

وَأَعَـــارَتْ مَهَـــا الفَـــلَا النَّظَـــرَ الفَـــا تِـــرَ والجيْـــدَ أتحفَتْـــهُ الغَـــزَالَا

وأخرج الشـاعر الصورة في جملة فعليـة ذات مفعولين. وجعل صاحبته مصدراً لجمال العين والجيد بحيث أفاضت ببعضهما على كل من المها والغزالة.

تراكم التشبيهات في السياقات الشعرية:

توسّـع الشـعراء في اسـتخدام التشـبيه فبنوا عليه سـياقات وصفية طويلة نسـبياً. وقد أدى ذلـك لا إلـى مجرد اسـتقصاء الأوصاف وحسـب بـل إلى ضرب مـن التفصيـل الرامي إلى تحليل المعنى. وقد اتخذ ذلك صورتين:

الأولـى تتمثّـل في تعدُّد التشـبيهات فـي إطـار البيت الواحـد، كقـول «علي بن أحمد الكامل» واصفاً هول الحرب وما يواكبها من انقلاب الأوضاع[3]:

[كامل]

وَحَكَـــى النهـــارُ الليـــلَ والأرضُ السَّـــمَا والـــمَشْرَفيةُ فـــي العَرِيكـــةِ أَنْجُمَـــا

فالبيت يشتمل على ثلاثة تشبيهات. وهو مقتبس من قول «بشار بن برد»:

[طويل]

كَأنَّ مَثَـــارَ النقـــعِ فَـــوقَ رؤوسِـــنَا وأســـيافُنَا لَيْـــلٌ تَهَـــاوَى كَواكِبُـــهْ

وتتمثّـل الصـورة الثانيـة في بناء مشـاهد وصفيـة تمتد عبر عـدة أبيـات. وتتواتر فيها

(1) ديوانه ص120.

(2) ديوانه ص99.

(3) شعر الدمستاني ص346.

سلسلة من التشبيهات، وتكثر في مجال الوصف، كوصف الشجاعة. يقول «داود بن أبي شافيز» مجسّداً بسالة أنصار «الحسين»:

[كامل]

فَتَرَى الرُّؤوسَ سَوَاقِطاً بسيوفِهِمْ ... حَبَّ الحَصِيدِ وقِطْرَ جَوْنٍ أَسْحَمَا
فَكَأَنَّما وقعُ السيوفِ صواعِقٌ ... نزلَتْ على الأَقْوَامِ مِنْ رَبِّ السَّمَا
وكأنَّما سُمْرُ القَنَا بأكفِّهِمْ ... مصبوغةٌ بِدَمِ الفَوَارِسِ عَنْدَمَا
وكأنَّهُمْ حَوْلَ «الحسينِ» كواكبٌ ... حَفَّتْ ببدرٍ في السعودِ مُتَمِّمَا
وتراهُمُ يتسابقُونَ إلى الوَغَى ... مِثْلَ الليُوثِ غَشَمْشَماً فغشمشَمَا[1]

فإعجاب الشاعر بالممدوحين وتعلّقه بهم جعله يكثّف الصور فتدفّقت بشكل متتابع. وهناك الكثير من المشاهد الوصفية المبنية على التشبيه في مجال الغزال[2].

التشبيهات المادية والمعنوية:

تتنازع صور التشبيه في شعر «البحرين» ـ وكما هو الحال في الشعر العربي القديم ـ نزعتان: الأولى تجنح به نحو مادية الطرفين، وهي الشائعة. والأخرى تميل نحو تجريدية الجزأين. وهناك مستوى وسط مال فيه الشعراء إلى تنويع الطرفين بجعل أحدهما مجرّداً والآخر مادياً. وهذه نماذج منه حسب درجة شيوعه.

تشبيه المادي بالمادي:

وفيه يتقابل الموصوف بما يماثله مجسّداً للحواس. ويبدو لنا أن أكثر التشبيهات من المرئيات التي تدرك بالبصر. من ذلك قول «سلمان التاجر» مشبّهاً الديار وهي تعج بأهلها بالجارية الحسناء السعيدة[3]:

[كامل]

مَاذَا عَرَاهَا بَعْدَمَا كانتْ بِهِمْ ... كالخُودِ ترفلُ في السُّرُورِ وتَبْسِمُ

ومع مادية الطرفين تنضح الصورة بمشاعر البهجة والسعادة وقد انتقلت الأحاسيس من الإنسان إلى الجماد.

---

(1) المجموعة (1) ص283 والغشمشم الجريء الماضي والذي لا يثنيه شيء عما يريد لشجاعته.

(2) تُراجع على سبيل المثال أبيات عبد اللّه بن حسين في السلافة ص521 ومحفوظ، حسين، المنتخب، مصدر سابق، ص15 البيت 2 – 6. وأبيات علي الكامل في ديوان الدمستاني ص347 من البيت 23 – 31.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص286.

مال الشعراء إلى تجسيد الألوان. فشبّه «الخطي» الخضرة وقد كست أرض الحديقة بالرداء السندسي[1]:

[كامل]

رَوْضٌ كمـــا فُرِشَـــتْ مَطَـــارِفُ سُـــنْدُسٍ تذكُـــو عَلَيـــهِ نَوَاجِـــمُ الزَّهَـــرَاتِ

وعرضوا للأصوات وجسّدوها. من ذلك قول «أحمد بن الحاجي» مضارعاً تعالي أصوات النساء الهاشميات عند اقتحام الجيش معسكرهن بأصوات حجّاج بيت اللّه[2]:

[متقارب]

لَهُـــنَّ ضجيـــجٌ كَضَـــجِّ الحجيـــجْ ينـــالُ صَفَـــا الصخـــرِ منهـــا انفطَـــارُ

والصورة توحي باختلاط الأصوات وكثرتها وقداستها. وقد ساعد تكرار بعض الحروف على تمثيل قوة الصوت.

وصوّروا المذوقات، وليوحي «خليل بن علوي» بشجاعة ممدوحيه وشغفهم بالحرب شبّه لظى الوغى عندهم بالرحيق الممزوج بالعسل[3]:

[طويل]

لَدَيْهِـمْ كـؤوسُ المـوتِ شَـهْداً وعندَهُـمْ حريـقُ الوَغَـى ذَاكَ الرَّحيِـقُ الـمُعَسَّلُ

ومن المشمومات قول «علي الصالحي» متخيلاً أن للتراب رائحة تشبه المسك[4]:

[كامل]

وَادٍ إِذَا اسْتَنشـــقْتَ عَابِـــقَ تُرْبِـــهِ ألفيـــتَ مِسْـــكاً تُـــرْبَ ذَاكَ الـــوَادي

لقد غلبت مادية الطرفين على تشبيهات الشعراء مع ما فيها من سطحية. فالشاعر يشخص أمام الظاهرة ويستخلص الشبه، ولا يتجاوز حدود التفرّس. فنظرته لا تتعمق في الأشياء ولا تغوص في دقائقها. وغاية الأمر أنه يلم بها إلماماً عاماً. ومع سطحيتها وتقليديتها لم تخل من قيمة توضيحية.

تشبيه المعنوي بالمادي:

وإذا كان الضرب الأول يعتمد على أسلوب منطقي حسّي فإن تشكيل المجرّدات في

(1) ديوانه ص15. والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج4 ص168.
(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص450.
(3) ديوانه ص173 والرحيق الشراب الذي لا غشّ فيه ومن الخمر أعتقها وأفضلها وهو خمر الجنّة.
(4) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

صـور محسوسـة يحتاج إلى رؤيـة أعمق في طبيعة الأشـياء، وقـدرة على النفاذ إلـى بواطنها، وقـدر من التأثّر النفسـي. وقد عمد الشـعراء إلى المقارنـة بين فكرة أو معنى مجرّد ومشـهد حسّـي أو صـورة مادية. وعادة ما يكـون ذلك الأمر المجرّد متعلقاً بالإنسـان. وأهم عنصر نزع الشـعراء إلى تشـخيصه في هذا السـياق الأخلاق لتعلّقهم بها. وقد قرنوها بمشـبّهات محبّبة. يقـول «محمد بـن عبد اللّه الحسـيني» مادحاً أخـلاق ممدوحه مشـبّهاً طيبها برائحة المسـك الفوّاح وذلك في مجال الدعاء بدوام أريحيته[1]:

[وافر]

ولا زَالَـــتْ صفاتُـــكَ فـــي البَرَايَـــا تَضُـــوعُ كأنَّهَـــا الـــمِسْكُ الشَّـــمِيمُ

وجسّـدوا القيم الأخلاقية وخصالها وصوّروها تصويراً مادياً. فشـبّه «محمد بن عبد اللّه الحسيني» الإحسان بالقيد المكبّل[2]:

[رجز]

قَيَّدَنِـــــي إحْسَـــــانُهُ وَمَـــــا أَرَى للحُـــــرِّ كالإحْسَـــــانِ مـــــن مُقَيِّـــــدِ

ومـع ما يوحي به معنى القيد من نفور. فإن التشـبيه ينمّ عـن اعتراف عميق بالجميل لا يستطيع الشاعر نسيانه لامتداده واتساع مداه.

وصـوّروا معنى الحياة والموت ومتعلّقاتهما، فشـبّه «حسـن الدمسـتاني» الدنيا بالظل الزائل[3]:

[وافر]

وَمَـــا دُنْيَـــاكَ إلاّ مثـــلُ ظِـــلٍّ ومـــن شـــأنِ الأَظِلَّـــةِ الانتِقَـــالُ

وماثل «جعفر الخطّي» الموت بالبعير الثقيل الوزن الجاثم:

[كامل]

جَـــاثٍ علـــى حَـــدِّ الفـــراتِ كَبَـــازِلٍ سِـــيْمَ البُـــرُوكَ وظهـــرُهُ مَعْكُـــومُ
وَجَثَـــى علـــى حَيَـــيْ نـــزارٍ ويعـــربٍ عَـــرْكاً كمـــا سِـــيْمَ الدبـــاغُ أَدِيْـــمُ[4]

واعتنى الشـاعر بوصف سـمات المشـبّه به ـ الجمـل ـ فجعله ملازماً للبـروك، وللإيحاء بقـوّة جثومه تصوّر ظهره مثقـلاً بالمتاع. وضارعه وهو جاثم على النـاس نازعاً منهم ما يريده بالدَّبَّاغ الذي يحكّ الجلود ويزيل زوائدها ونتوءاتها.

---

(1) ابن معصوم، المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص502.

(2) المصدر نفسه، ص503.

(3) المصدر نفسه، ص168.

(4) ديوانـه ص102 والبـازل: البعيـر طلـع نابه وذلك في السـنة الثامنـة أو التاسـعة. والعكام: ما يشـدّ به المتاع من حبل أو خيط. وعرك: حكّه حتّى محاه.

وجسّدوا الزمن فماثل «الوائلي» الأيّام السعيدة المتقضّية وما خلّفته من أثر نفسي طيّب بالسحابة المخصبة[1]:

[كامل]

سُقْياً لأيّامٍ مَضَتْ كسحابةٍ أَلْقَتْ على البطحاءِ ثوباً أَخْضَرَا

وصفوا الكلام فماثلوا عذوبته بالخمرة المعتّقة. يقول «عبد اللّه بن محمد»[2]:

[طويل]

تُدِيرُ علينَا من كُؤُوسِ حَدِيثِهَا عَتِيقَ سُلافٍ رَاحَ يُسْنِدُهُ الثَّغْرُ

تشبيه المادي بالمعنوي:

يرد بنسبة قليلة. ويأتي أغلبه في مجال المدح، لوصف بعض الصفات الإنسانية مادية أو نفسية. ومن الأول قول «إبراهيم الخليفة» مصوّراً فتنة عين محبوبته متخيّلاً أن بها «هاروت» ينفث سحره:

[طويل]

تعشَّقْتُ أَحْوَى أَسْمَرَ اللونِ عينُهُ كأنَّ بها «هَارُوتَ» ينفثُ بالسِّحْرِ[3]

ومن الثاني قول «خليل بن علوي» مشبّهاً ممدوحه في سطوته وقوة مضائه بالموت بالنسبة للموت[4]:

[طويل]

فكيفَ تَغَشَّاكَ المماتُ أَمَا دَرَى بأنَّكَ مَوْتٌ للمَمَاتِ زُؤَامُ؟

وقد يرد لوصف بعض متعلّقات الإنسان المادية. كقول «عبد الرؤوف بن الحسين» في تشبيه مضاء سيف الإمام «عليّ» وقوّة قطعه بالقضاء والقدر:

[بسيط]

نُورُ الهُدَى قَاتِلُ الأَعْدَا بمُنْصَلِتِ الـ حَدّينِ شِبْهُ القَضَا في القَطْعِ والقَدَرِ[5]

وقد أفادت مقابلة المادي بالمعنوي المبالغة في المعاني وتضخيم الصفات، وهي تمثّل محاولة لإيجاد علاقة شبه وتلاقٍ بين أمور متباعدة ومتخالفة جنساً وطبيعة بتفتيت

---

(1) ديوانه ص47.

(2) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص514.

(3) ديوانه ص55. وربما وقع تصحيف في لفظة «هاروت» فقد وردت «هارون».

(4) ديوانه، ص43.

(5) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق.

الحـدود وكشـف الروابـط وقـرن الأشـياء بعضهـا إلى بعـض. وفـي ذلك هـزّ للخيـال وتحريك للعواطف.

تشبيه المعنوي بالمعنوي:

وهـو قليل جـداً. ويأتـي لوصـف الصفات المجـرّدة، ومنـه قـول «محمد بـن عبد اللّه الحسـيني» في وصف فطنة الممدوح وقدرته الكبيرة على الفهم والرد، فتصوّر أنه ينطق عن وحي[1]:

[وافر]

لَـــــهُ فَهْـــــمٌ كأنَّ الوحـــــيَ يُلْقَـــــى إليـــــهِ وعنـــــدَهُ مَلَـــــكٌ كَرِيـــــمُ

ومن هذا الضرب قول «حسـين الشـاخوري» متصوّراً ثواء العلا في منازل الممدوحين، مشبّهاً إيّاه بالنوم الذي لا يستقر إلا في الجفون:

[بسيط]

وليـــــسَ تـــــأوِي العُـــــلَا إلاّ مَنَازِلَهُـــــمْ كالنـــومِ لَـــمْ يَـــأْوِ إلَّا فـــي الـــمَحَاجِيرِ[2]

وقد حاول «الحسـيني» أن يعيّن سبب الفطنة. أما «الشـاخوري» فقد رمى إلى تحديد مـكان العليـاء وهـي أمـر مجرّد لا يحـدّد بمـكان، جاعلاً ارتبـاط المجـد بهم واقتصـاره عليهم مماثلاً لارتباط النوم بالمحاجير.

الاسـتعارة:

هـي ضـرب من التشـبيه الأكثر توغـلاً والأرقى خيـالاً. وفيهـا تنتقل الصـورة من حواس الشاعر إلى نفسه وضميره، فيتخطّى حدود الظاهرة الخارجية متطلّعاً إلى ما ورائها.

ونظـراً لكونها اسـتعمال الكلمة فـي غير ما وضعت لـه في الأصل لعلاقة مشـابهة بين المعنـى الحقيقـي والمعنى المجـازي[3]. فهي بالتالي إحسـاس جديد بالأشـياء ورؤية جديدة إليها.

والاستعارة بلونيها المكنّى والتصريحي كثيرة الدوران في شعر «البحرين».

---

(1) ابن معصوم المدني، علي خان سلافة العصر، مصدر سابق، ص501.

(2) البـلادي، حسـين بن علي رياض المدح والرثاء، مصدر سـابق، ص533. والـمَحْجَر ما أحـاط بالعين، وجمعها محاجر، وجَمَعَها الشاعر على محاجير لإقامة الوزن.

(3) يُراجـع تعريفهـا عند ابن رشـيق العمدة، مصـدر سـابق، ج1 ص271، وعبد العزيز عتيق، علـم البيان، مصدر سابق، ص172.

الاستعارة المكنية:

ترد بنسبة تكاد تكون متساوية مع التصريحية وتتسم الصورة فيها بالتوغّل والعمق بسبب انصهارها وذوبانها في كيان العبارة، نظراً لحذف لفظ المستعار والاكتفاء بالإشارة إليه بشيء من لوازمه. وقد تتطلّب من المستمع إنعام النظر للوقوع على المشبّه به. ولعل من أجل تدقيقها والإيحاء بها استعملوها مرشّحة في الغالب فذكروا ما يلائم المستعار. مثالها قول «إبراهيم الخليفة» مستعيراً صورة المحارب المسلّح للأرزاء[1]:

[طويل]

أَلَسْتَ تَرَى الأرزَاءَ فينا مُقِيمَةً وأسيافُها في مَنْ نُحِبُّ قَوَاطِعُ

فهو يماثل الرزء بالمقاتل المقيم، ويرمز له ببعض متعّلقاته فيذكر منها السيف والقطع وقد استعملها ضد أحبّة الشاعر. وقال «الوائلي»[2]:

[طويل]

مَضَى الليلُ واستحلَى الكَرَى كُلّ نَائِمٍ وبتُّ بِتَيَّارِ الأَسَى شِبْهَ عَائِمِ

أَغطُّ وأطفُو لَحْظَةً بعدَ لحظَةٍ فَمَنْ مُنْقِذِي من مَوْجِهِ المتلاطِمِ؟

فهو يتخيّل الأسى الذي يراود نفسه في الليل بحراً زاخراً. فيحذفه ويعمد إلى ذكر العديد من متعلّقاته من أمواج وعوم وما إليها.

لقد برزت الأشياء في الاستعارة في غير صورها الحقيقية وتحوّلت معانيها المألوفة إلى معانٍ جديدة لإحساس الشعراء بأن قوة المشابهة جعلت الشيئين شيئاً واحداً.

واستخدم الشعراء الاستعارة المكنية مجرّدة فذكروا ما يلائم المستعار له وبدرجة أقل من المرشحة. ومنها قول «خليل بن علوي» مستعيراً صفة العشق لصوارم الممدوح (سيوفه) للدلالة على شغفه بالحرب وشجاعته[3]:

[كامل]

عَشِقَتْ صَوَارِمُهُ العُلَا إِذْ لَا تَرَى غِمداً لَهَا إلاّ طُلًى وَوَرِيدَا

فالشاعر ذكر ملاءمات المستعار له (الصوارم) فأشار إلى الغمد وما يقطعه من رقاب وأوردة.

مالوا إلى استعمال الاستعارة المكنية مطلقة، خالية من ملاءمات الطرفين، كقول

---

(1) ديوانه ص34.

(2) ديوانه ص171.

(3) ديوانه ص21.

«علي بن أحمد الكامل» مستعيراً للزمان صورة الإنسان الواهب لبنيه أحلى ما لديه، والجائد للشاعر بالمحن[1]:

[بسيط]

أَقْــرَى الزَّمَــانُ بنيــهِ مــا حَــلَا وَمَتَــى اســـتقريتُهُ ظَـــلَّ بـــالأرزاءِ يُقْرِينِـــي

وكثيراً ما تمحّضت الاستعارة المكنية لتجسيد النزعات النفسية المختلفة للشعرا ء، فقد استندوا عليها لتصوير ما يعتلج في أعماقهم من مشاعر الفرح والبهجة أو الحزن والأسى. ومن الأول قول «خليل بن علوي» في وصف الطبيعة[2]:

[كامل]

زَهَـــتِ الريـــاضُ وأشـــرقَتْ أنوارُهَـــا وعلـــى الروابـــي أَغْدَقَـــتْ أَنْهَارُهَـــا
وتبسَّـــمَتْ أَزْهَارُهَـــا وَبِهَـــا الـــحَيَا أَدْرَى الدمـــوعَ وغَـــرَّدَتْ أطيارُهَـــا

فالشاعر يخلع على الرياض صفات إنسانية، فقد غدت شخصاً يزهو بجماله ويختال ويوزّع الهبات. وتخيّل الأزهار إنساناً سعيداً يبتسم، والمطر دموعاً متساقطة. فالمشاهد الخارجية توحّدت من خلال الاستعارة بالتأثير النفسي في وجدان الشاعر، فتولّد مشهد جديد له واقع الطبيعة وملامح الإنسان. فتأثّر الشاعر بما رأى جعله ينتقل من مجرّد التحديق إلى الانغماس في المشهد فغدا حالة داخلية.

ومن المشاهد التي استند فيها الشعراء على الاستعارة لتجسيد مشاعر الأسى النفسي قول «عبد المنعم بن محمد» في تصوير أثر ربع الأحبّة[3]:

[طويل]

وقفــتُ ولــي لُــبٌّ مــن الوَجْــدِ ذَاهِــبٌ ونَيّــرٌ رأيــي فــي دُجَــى الغَــمِّ غَــارِبِ
وقــد لعبــتْ أيــدي الصَّبَابَــةِ بالــحَشَا كمــا لَعِبَــتْ بالغُصــنِ أيــدي الــجَنَائِبِ
يُجَــاذِبُ حِلْمِــي فِــرْطَ شَــوْقي فَيَنْثَنِــي لَــهُ مِقَــوَدٌ سَــهْلٌ بأيــدي الجــواذبِ

فالشاعر يشخّص أحاسيسه، فالعقل غدا بفعل الوجد شيئاً مادياً ذهب بعيداً. والغمّ أصبح ظلاماً دامساً غرب فيه رأيه وصوابه. والصبابة أصبحت إنساناً عبثت يده بنفس الشاعر كما وغدت تماثل الرياح حين تلعب بالغصون. وتضعضع حلمه وأصبح كالحيوان السهل الانقياد لفرط الأشواق التي سلبت إرادته. وقد غلب الوصف الوجداني على الأبيات. فالشاعر

(1) ديوان الدمستاني ص339. وردت لفظة «ظلّ» بالضاد.
(2) ديوانه ص124.
(3) محفوظ، حسين، المنتخب من شعر البحرين، مصدر سابق، ص21.

أفاض بذاته على الأشياء فصارت تطالعنا بملامح إنسانية. ولا غرابة فالشاعر يصف ذاته من خلال الأشياء.

والخلاصة: إنّ الاستعارة استخدمت وسيلة فنّية نفذ فيها الشعراء مما يرى إلى ما يتراءى فتولّدت الأشياء بواقع فنّي جديد.

الاستعارة التصريحية:

وهي أبسط مظهراً وأقرب متناولاً بسبب ذكر المستعار. وكثيراً ما ترد مرشحة، فتزداد وضوحاً. مثالها قول «الخطّي» مستعيراً للرزايا صورة الخيل يمتطيها فرسان منصورون يحاربون الخلق[1]:

[طويل]

وَخَيْلُ الرَّزَايا ما تزالُ مُعَدَّةً تقاتِلُنَا فُرسَانُها وَلَهَا النَّصْرُ

فالشاعر يقرن الرزايا بالخيل ويذكر من ملاءماتها القتال والفرسان والنصر. واستعار «إبراهيم الخليفة» للمرثي صورة الجبل الشامخ الذي تداعت لسقوطه القلاع[2]:

[وافر]

وَيَا طَوْدَ المَعَالِي طِبْتَ مَثْوَى تَهَاوَتْ عِنْدَ مَصْرَعِكَ القِلَاعُ

الاستعارة التصريحية المطلقة:

وترد بدرجة قليلة نسبياً. ومنها قول «ماجد بن هاشم» مستعيراً للمرثي صورة الدرّة التي رجعت إلى أصلها، والناقة الغريبة التي عادت إلى قطيعها. وعمد إلى ذكر ملاءمات المستعارين[3]:

[كامل]

هُوَ دُرَّةٌ رُدَّتْ إلى صَدَفٍ وغَرِيبَةٌ رَجَعَتْ إلى الأَهْلِ

وتتضح الصورة بإكبار الشاعر وإحساسه بقيمة المرثي، وعنى بذكر ملاءمات الاستعارتين. واستعار «سلمان التاجر» للعلا صورة الدثار الذي يلبس وأضفاها على المرثي. يقول[4]:

[طويل]

قَضَى ابنُ عَلِيٍّ والعلاءُ دِثَارُهُ تصَلِّي عَلَيهِ ألسنُ النَّثْرِ والنَّظْمِ

---

(1) ديوانه ص49.

(2) ديوانه ص40.

(3) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص297.

الاستعارة التصريحية المجردة:

وترد بنسبة قليلة. ومنها قول «خليل بن علوي» مستعيراً للهاشميين صورة الأُسُود[1]:

[بسيط]

آسَـــادُ غِيـــلٍ نَمَاهُـــمْ للعُـــلَا نَسَـــبٌ أنقَـى مـن الـدُّرِّ صَـافٍ مـا بِـهِ نَشَـبُ

فقـد اكتفى بذكر المسـتعار دون ذكر شـيء مـن متعلّقاتـه. واسـتعار «علي بن أحمد الكامل» صورة الظبية للمرأة ودقّقها بذكر ملابسها يقول[2]:

[متقارب]

وقـــد طَارَحَتْنِـــي الهَـــوَى ظَبْيَـــةٌ مَلَابِسُـــها السـنـدُس الأَخْضَـرُ

الاستعارة التمثيلية:

وهي تركيب اسـتعمل اسـتعمالاً مجازياً، أي في غير ما وضع لـه[3]. ومنها قول «أحمد الدمستاني»[4]:

[طويل]

إِذَا لَـمْ يَـرُمَّ المـرءُ مِرْبَـعَ مَجْـدِهِ تَهَـدَّمَ مـا عَـلَّاهُ جَـدٌّ وَوَالِـدُ

فهـلْ نفعَـتْ نَـارُ اللظَـى حيـثُ خَلَّفَـتْ رَمَـاداً وَضِيعـاً خَلَّفَتْـهُ المَـوَاقِدُ؟

وأشـار الشـاعر في البيت الأول إلى الإنسـان يتقاعس عن صون حياضه، فيَذَلّ ويُدَاس، ودعّـم المعنـى بالصورة في البيت الثاني، فضـرب مثلاً بالنار التي ترهـب للظاها وحرّها، فإذا خمدت وانطفأ لهيبها خلّفت رماداً حقيراً. ومما قاله «خليل بن علوي»[5]:

[كامل]

كـم مـن جَـوَادٍ مِـنْ مُتَابَعَـةِ السُّـرَى تَعِـبٌ وعِجْـلٍ مُسْـتَراحٍ يُعْبَـدُ

فقـد ضـارع الإنسـان الكريم ترهقـه الدنيا بالجـواد الأصيـل المرهق، والخامـل الخاوي بالعجـل المسـتريح الـذي عُبِـد ورُفـع إلى أسـمى الدرجـات. والاسـتعارة الأخيرة مسـتقاة من القرآن الكريم[6].

---

(1) ديوانه ص47.

(2) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(3) عتيـق، علـم البيان، مصدر سـابق، ص192. والطرابلسـي، محمـد الهادي، خصائص الأسـلوب في الشـوقيات، مصدر سابق، ص213.

(4) ديوان حسن الدمستاني ص231.

(5) ديوانه ص198.

(6) تُراجع سورة البقرة: 51 و54 و92 و93.

وفي الواقع كانت الاستعارة أسلوباً فنياً صاغ فيه الشعراء عواطفهم ورؤاهم فشكّلوا الأشياء تشكيلاً جديداً تعانقت فيه بأرواحهم فأخرجوها مما ارتبط بها من إطار مادي، وأناطوا بها ذاتاً إنسانية، فحرّكها الشعور وبثّ فيها الحياة ونزع عنها غلافها الجامد[1].

الكناية:

عملية تصويرية يتم خلالها الانتقال من أفق الكلمة الظاهر إلى المعنى الباطن المقصود، فهي تلميح، والتلميح أبلغ من التصريح لما يتطلبه من إعمال الفكر.

والكناية فن شائع في شعر «البحرين» بصنوفها المختلفة. كناية الصفة، وكناية الموصوف، وكناية النسبة[2]. وأغلب ما وجدناه منها يتّسم بالتقليدية.

كناية الصفة:

هي الأكثر شيوعاً. ومزيتها في أن الصفات المعنوية المطلوبة تأتي متوارية وراء مظهر محسوس. وتتنوّع كنايات الصفة، وهي قد تتمحّض لتجسيد مظهر ما، كقول «الخطّي» مكنّياً عن عمق الأسى العام إثر وفاة المرثي[3]:

[بسيط]

كلٌّ يُزِيرُ ثناياهُ أَنَامِلَهُ حُزناً عَلَيهِ ويُدْمِيْهَا بها نَدَمَا

والكناية تبرز المشاعر الداخلية بصورة مرئية. فإدخال الأنامل في الفم والعضّ عليها مظهر خارجي أورده الشاعر كمعنى أول يرشد للثاني المقصود وهو الأسى المنبعث في الأعماق. وقد أتت الصورة لتكون قرينة للمعنى.

ومما جسّد المظهر الخارجي أيضاً قول «الوائلي» مكنّياً عن الحيرة والهمّ بسبب قسوة الحبيبة[4]:

[طويل]

حَبِيبَةَ قلبي هَلْ بقلبِكِ رَحْمَةٌ أَلَمْ تشفقي من وَضْعِ كَفِّي على خَدِّي؟

فوضع الكفّ على الخدّ وصف خارجي دالّ على معاني الوجد والتبلبل.

---

(1) الحاوي، إيليا، فنّ الوصف، ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1980، ص14.

(2) يُراجع الخطيب القزويني، الإيضاح، مصدر سابق، ج5 ص158. وعتيق، عبد العزيز، علم البيان، مصدر سابق، ص201.

(3) ديوانه ص113.

(4) ديوانه ص72.

وتخرج كناية الصفة للإيماء إلى نتيجة حالة أو معنى. كقول «سلمان التاجر» مكنّياً عن بطولة الممدوح[1]:

[خفيف]

بَطَلٌ هَبَّ بـ«العراقِ» فَهَبَّتْ زعزعٌ في «الشَّامِ» تدعُو ثُبُورَا

فصيحة البطل في «العراق» وعبّر عنها بالهبوب، كان لها أصداؤها بـ«الشام». وكنّى عن حدّتها وبُعد أثرها بهيجان الريح القوية المزلزلة للكيان، والمؤذنة بالهلاك. وكان للكناية فضل تجسيد المعنى وإخراجه في صورة محسوسة زاخرة بالحركة. وفي الواقع ساعدت الكناية الشعراء على الابتعاد عن الدلالة المباشرة، وعلى الاكتفاء بالإيماء إلى المعنى المقصود، وإتاحة الفرصة لخيال المتلقّي ليشقق المعنى ويفتّق إشاراته. وفي ذلك لذّة ومتعة عقلية.

وقد يخرج الشعراء في كناية الصفة إلى الإيماء إلى سبب المعنى المقصود فيوحون به أو يشخّصونه، كشكوى «جعفر الخطّي» مكنّياً عن قسوة الدهر بقوله[2]:

[طويل]

وأشكُو لَكَ الدَّهْرُ الذي عضَّ جَاهِداً فَأَدْمَى وَسَامَ العَظْمَ نَازِلَةَ الكَسْرِ

وساعدت الصورة على تشخيص المعنى وتهويل القسوة، كما قررت معناها في النفس وأقنعت الخاطر والوجدان بها. ومن الكناية التي ألمحت إلى السبب قول «الوائلي» مصوّراً امتلاء ساق صاحبته[3]:

[مجزوء الكامل]

وَتَحَيَّرَ الخِلْخَالُ حتَّى كَادَ أنْ يُضْحِي فَصِيْمْ

فالمعنى مطوي في العبارة، فالامتلاء سبب تحيّر الخلخال ووشوكه على التصدّع والانكسار. ومزية الصورة هنا في إثارتها الخيال وتمكينها السامع من اكتشاف المعنى فهي تقوم على التلميح لا التصريح.

كناية الموصوف:

ترد في شعر «البحرين» بدرجة قليلة نسبياً. وهي تتنوّع في بيان مقاصدها، فقد تستثمر للدلالة على صفة بارزة ملموسة، كقول «الخطّي» مكنّياً عن الأسنان في حالة الابتسام بالدرّ الصافي وعن الرّيق بأعذب من ماء الغمام[4]:

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص347.

(2) ديوانه ص60.

(3) ديوانه ص109.

(4) ديوانه ص25.

[طويل]

ويبســـمُ عَـــنْ أَصْفَـــى مـــن الـــدُّرِّ كَارِعٍ بأعـــذبَ مِـــنْ مَـــاءِ الغَمَـــامِ وأَبْـــرَدِ

ومـن كنايات الموصـوف الدالة على صفات مميـزة للمُكنَّى عنه قول «علي بن حسـن البلادي» داعياً السيف أو السلاح القاتل بـ«ذي شعب»[1]:

[بسيط]

وَافَـــاهُ ذُو شِـــعَبٍ فـــي قلبِـــهِ فَهَـــوَتْ شَـمْسُ العُـلَا مُـذْ هَوَى الـمَوْلَى عَلَـى التُّرُبِ

وقد يعوّل الشـعراء في كنايات الموصوف على الإيماء إلى المصدر كقول «إبراهيم آل نشرة» في دعائه للديار بالسقيا[2]:

[كامل]

وافْتَـــرَّ ثَغْـــرُ البـــرقِ فـــي أَرْجَائِهَـــا فرحـــاً بِدَمْـــعِ الـــمُعْصِرَاتِ إذَا هَتَـــنْ

فقد كنّى عن المطر بدمع السحاب لكونها مصدره. وهيّأ الشاعر السياق ليعزّز الكناية بالانتقال من الأفق الأول للمعنى إلى الثاني المقصود.

ويعمد الشعراء أحياناً إلى الاتكاء على بعض الوظائف المعنوية للموصوف التي ترشد إليه، كما في قول «حسن الدمستاني»[3]:

[سريع]

فَفَلَّـــقَ الهَـــامَ وقَـــطَّ الطُّلَـــى وشَـــكَّ باللّـــدْنِ مَحَـــلَّ الرِّيَـــبْ

فمن وظائف القلب المعنوية التشكّك واليقين.

وقـد يلجـأون إلى بيان آلـة الموصـوف للدلالة علـى معناه كقـول «أحمد بـن طعّان» مكنّياً عن خطّة القضاء التي ثكلت المرثي[4]:

[كامل]

يـــا كَافِـــلَ الأيتَـــامِ أيتَمْـــتَ الهُـــدَى والدِّيْـــنَ والدنيـــا وأَعْـــوَادَ القَضَـــا

كناية النسبة:

وهي قليلة في شـعر «البحرين» وتتهيّأ عادة لتخصيـص الصفة للموصوف، بجعلها في

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص410.

(2) المصدر نفسه، ص354.

(3) ديوانه ص89.

(4) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص259.

شـيء من مشـمولاته أو ممـا يلتبس بـه. ويعـوّل الشـعراء على عناصـر عديدة لنسـبة الصفة المـرادة للموصـوف. وغالباً ما ينسـبونها لملابسـه للدلالة على نسـبتها إليه. كقـول «الخطّي» نافياً الزلل عن بُرْد المرثي[1]:

[طويل]

عفيــفٌ مُــلَاثُ البُــرْدِ عــن كُلِّ زَلَّــةٍ وفــي أُذْنِــهِ عــن كلِّ فَاحِشَــةٍ وَقْــرُ

ففـي الشـطر الأول تضميـن للكنايـة المعروفـة «وثوبـي طاهـر» وفـي الشـطر الثاني تضمين للقول «وأُذْني عن الفحشـاء صمّاء». وكنّي «سلمان التاجر» عن لزوم المرثي للفضائل وحرصه على التحلّي بها بنسبتها إلى جيبه[2]:

[طويل]

أَطَــنَّ الظُّبَــا فــوقَ الــجَمَاجِمِ والطُّلَــى وَرَاحَ مَلِيئــــاً جَيْبُــــهُ بِالفَضَائِــــلِ

وسّـع الشـعراء دائـرة كنايـة النسـبة فنسـبوا مـا أرادوه مـن شـمائل إلى بعـض أعضاء الممدوح كقول «ماجد بن هاشم» ناسباً العلا للمرثي من خلال نسبته إلى يديه[3]:

[كامل]

لَــوْلَا عُــلَا عَلَقَــتْ يَــدَاكَ بِــهِ لــم تُغْــنِ نَجَابَــةُ الأَصْــلِ

فاليـد مـن مشـمولات الممدوح وقـد دلّت علـى اكتسـابه المجد وحرصه علـى تدعيم الموروث منه.

وعوّلـوا علـى نسـب الصفـة إلـى مسـكن الموصـوف للدلالـة على نسـبتها إليـه كقول «علي بن حسن البلادي»[4]:

[بسيط]

وَصَفْــوَةٌ مــن كِــرَامِ النَّــاسِ قــد ضَرَبُــوا علــى الــمَعَالِي قِبَــابَ الــمَجْدِ بالطُّنُــبِ

فكـون المعالي والمجد مضروبين في قبّة الممدوحين إشـارة إلـى كونها فيهم، فجعل ضرب القباب واسـطة لنقـل المعاني. والصفات مذكـورة بألفاظها ووقعت الكناية في نسـبتها فقط.

وغلـب علـى كنايـات شـعراء «البحريـن» التقليديـة واتسـم أكثرهـا بالوضـوح. وكانت

(1) ديوانه ص50.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص301.

(3) البـلادي، علـي بـن حسـن، أنـوار البدريـن مصـدر سـابق، ص85؛ والتاجـر، محمـد علـي، المسـودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص409.

أسـلوباً فنياً اسـتندوا عليه لهزّ النفوس وإثارة الخيال باكتشـاف ما يثوي وراء الصور والعبارات مـن معـانٍ ومقاصد. وقد أضفـت على الأسـلوب ضرباً من العمـق لخصوبة بعضهـا، وإفعامها بالدلالات.

مصادر التصوير:

اسـتمد شـعراء «البحرين» صورهـم من مصـادر عديـدة. ويمكن حصرها فـي مصدرين رئيسـيين هما الطبيعة في مفهومها الواسـع، والثقافة بأبعادها المختلفة. وتتيح لنا دراسة هذه المصـادر التعـرّف علـى المنابع التي شـكّلت نظرة الشـعراء إلى الحيـاة، وأمدّتهم بمعـانٍ وقيم اعتبروها بمثابة المثل العليا، فغذت خيالهم واعتمدوها نماذج ومعايير يقيسون عليها.

أولاً: الطبيعة:

تشـكّل الطبيعـة بمعناهـا الواسـع منبعـاً ثـرّاً غذّى خيـال الشـعراء منذ أقـدم العصور. وظلّـت ظواهرهـا المختلفـة ـ وعلـى امتـداد الزمـن ـ معيناً اسـتقى منـه الشـعراء الكثير من صورهم. وعمد شـعراء «البحرين» إلى عناصرها يسـتمدّون منها النظائر لمواصفاتهم مقيمين علاقـات وروابـط بيـن أنواعٍ من تلـك العناصر وبيـن معانيهم التـي يعالجونها. ومـع ما اعترى تلـك الصـور من تكرار وابتـذال فقد ظلّـت محافظة على مكانتهـا كمصدر هام يحتـل المرتبة الأولى. ورغم اتساع آفاق هذا العنصر يمكن بلورته في محورين:

1 ـ ظواهر السماء:

اسـتوحى الشـعراء مختلـف ظواهـر السـماء واتخذوهـا مُثُلاً عليـا يقدّرون بهـا حقائق الأشـياء وقيمتهـا. وتناولـوا في صورهم جـلّ مظاهرها المرئية والمسـموعة مسـتغلين ما علق من دلالاتها وإيحاءاتها في العقلية العربية منذ القدم، وكما فعل الشعراء منذ الجاهلية.

وتتصدّر الشـمس والقمر، بمعانيهما المختلفة من جمال ونـور وحرارة، وملحقاتها من كواكب ونجوم عناصر الطبيعة، فقد اسـتخدموهما كصيـغ جمالية مادية ومعنوية. ومن الأول قول «الوائلي» مماثلاً صاحبته بالشمس في ضيائها وبهائها[1]:

[رمل]

بَـــرَزَتْ كالشَّـــمْسِ بيـــنَ السُّـــحُبِ فـــي قَمِيـــصٍ مُعْلَـــمٍ بالذَّهَـــبِ

واسـتغلّ «سـلمان التاجر» الشـمس كعنصر معنـوي، فقرن الهاشـميين بهـا، باعتبارهم مصدر نور وهداية. يقول[2]:

---

(1) ديوانه ص89.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص308.

[مجزوء الكامل]

أنتُـــمْ شُـــمُوسُ الدِّيْـــنِ والدُّنْيَـــا ذَوُو الشَّـــــــرَفِ الأصِيـــــــلِ

وأدخلوا النجوم في تشبيهاتهم. فقد ماثل «لطف اللّه بن محمد» الهاشميين في تساقطهم في المعركة وغيابهم بالنجوم الهاوية التي انطفأ بريقها[1]:

[طويل]

وَمُـذْ أحْـرَزُوا فَـرْضَ الجِهَـادِ تَسَـاقَطُوا كمـا سَـقَطَتْ عنـد الصَّبَـاحِ الفَرَاقِـدُ

ووجدوا في الكواكب[2] والظواهر الطبيعية المتولّدة عن حركتها كالليل والنهار صوراً واصفة للعديد من المعاني. كقول «علي الصالحي» مماثلاً وضاءة غرّة صاحبته بالصباح وشعرها بالليل[3]:

[كامل]

يَنْجَـابُ حَالِـكُ فَرْعِهَـا عـن غُـرَّةٍ كالصُّبْـحِ يكشِـفُ جُنْـحَ ليـلٍ أَلْيَـلِ

وقول «خليل بن علوي» موظّفاً عنصري الليل والنهار لتجسيد هول الحرب، وتصوير انقلاب الأوضاع فيها بتخيّل ليلها ونهاراً لشدّة بريق الأسلحة ونهارها ليلاً لكثرة ما أثير من غبار[4]:

[طويل]

فَلَيْـلُ الوَغَـا أَمْسَـى نَهَـاراً ويومُـهُ دُجَـى مِنْـهُ نَـالَ السـماءَ قَتَـامُ

استلهموا الظواهر المناخية، ووظّفوا إيحاءاتها لخدمة معانيهم، كقول «طه العرادي» مصوّراً شجاعة الممدوح قارناً صوت سيفه بالرعود، ولمعانه بالبرق[5]:

[كامل]

بِمُهَنَّـدٍ يَحْكِـي الرُّعُـودَ صَلِيلُـهُ فـي بِيْضِهَـا وبريقُـهُ إِبْرَاقهَـا

وماثل «داود بن أبي شافيز» ضربات سيف ممدوحه بالصواعق الواقعة من السماء[6]:

[كامل]

فَكَأَنَّمَـا وَقْـعُ السُّـيُوفِ صَوَاعِـقٌ نَزَلَـتْ علـى الأَقْـوَامِ مـن ربِّ السَّـمَا

---

(1) المجموعة (1) ص307.

(2) يُراجع البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص294، البيت 38 قصيدة سلمان التاجر.

(3) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(4) ديوانه ص43.

(5) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص543.

(6) المجموعة (1) ص283.

وحاكى «إبراهيم الخليفة» في إطار الجود عطايا الممدوح بالغيث وهو المطر المنهمر بعد انحباس[1]:

[وافر]

فأنتَ الغَيْثُ في كَرَمٍ وجُودٍ وأنتَ الليثُ لَا بَلْ أَنْتَ أَجْرَا

واستثمر «سلمان التاجر» الريح والسيول المنحدرة للإيحاء بفروسية الممدوح وقوة اندفاع حصانه يقول[2]:

[مجزوء الكامل]

كالريحِ إلاّ أنَّهُ كَصَفَاةِ مُنْحدرِ السُّيُولِ

وتجسّد الصورة الأولى خفّة الحركة والثانية قوة الأثر. واستغل الشاعر نفسه ريح السموم الشديدة اللَّهيب للإيحاء بقوة بأس الممدوحين يقول[3]:

[رمل]

بَأْسُهَا يَوْمَ الوَغَى رِيْحُ السَّمُومْ تَلْفَحُ الأعدا بِبَطْشِ السَّاعِدَيْنْ

2 ـ ظواهر الأرض:

وجد الشعراء في ظواهرها صوراً واصفة لمعانيهم وأهم عنصرين استأثرا باهتمامهم البحر والجبال. هذا مع تقلّص الصور الخاصة بالصحراء رغم وجود العديد من متعلّقاتها. ونفسّر ذلك بتأثير البيئة في خيال الشعراء. فكون البحرين مجموعة من الجزر جعل أهلها على صلة وثيقة بالبحر وجعل صفاته وعناصره ماثلة لأذهانهم. ولعلّ طبيعة بلادهم الزراعية جعل منظر الصحراء بمعانيها المختلفة بعيداً عن أنظارهم، إلى حدٍّ ما، رغم وجودها على مقربة منهم.

صورة البحر: تنتشر انتشاراً واضحاً إلا أن أغلبها تقليدية. وغالباً ما يستخدم لتجسيد خلق الجود أو في وصف غزارة العلم[4]. وما يدلّ عليه من معنى الكثرة.

ومن صور البحر الدالة على الضخامة قول «عبد النبي بن مانع» في وصف الجيش الجرّار المتدافع الذي أحاط بالمرثي[5]:

---

(1) ديوانه ص31.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، ص311.

(3) المصدر نفسه، ص334.

(4) في تشبيه النَّدَى بالبحر يُراجع ديوان الخطي ص20 الأبيات من 34 – 36 وابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص508 البيت 27. وفي تشبيه غزارة العلم بتدفّق البحر يُراجع الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج8 ص281 الأبيات التائية البيت 7.

(5) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق ص511.

[بسيط]

غَـــدَاةَ فَاضَـــتْ عَلَيـــهِ كُلُّ مَشْـــرَعَةٍ بـــكلِّ جَيْـــشٍ كَمَـــوْجِ البَحْـــرِ مُلْتَطِـــمِ

ومن الأوصاف التي خرجت للتهويل والإيماء بالخطورة قول «أحمد الدمستاني»[1]:

[بسيط]

والعِشْـــقُ بَحْـــرٌ عَمِيـــقٌ فيـــهِ قـــد زَلَقَـــتْ قـــومٌ كثيـــرٌ وَتَاهَـــتْ عَـــنْ مَرَاسِـــيْهِ

واستثمر الشاعر نفسه موج البحر للدلالة على سرعة اندفاع فرس المرثي[2]:

[بسيط]

عَلَـــى سَـــبُوحٍ كَمَـــوْجِ البَحْـــرِ عَـــوَّدَهُ خَـــوْضَ الـــمَنَايَا لَـــدَى كَـــرٍّ وإقْبَـــالِ

واستخدم «عبد اللَّه بن محمد الحسيني» البحر لتصوير مهابة ممدوحه وشدّة الفروق منه. يقول[3]:

[وافر]

وَلَـــوْ أَوْعَـــدْتَ مَـــاءَ البَحْـــرِ زَجْـــراً لأَمْسَـــتْ مِـــنْ مَهَابَتِـــهِ سَـــرَابَا

فامتناع الممدوح عن تهديد ماء البحر حال دون تحوّله إلى سراب وفي ذلك مبالغة ووصول بالمهابة إلى الذروة.

برزت متعلّقات البحر كظواهر وصفية للعديد من الموصوفات. ويكاد اللؤلؤ يحتل المرتبة الأولى بينهما. فقد اتخذت العقود المصنوعة منه صورة تماثل الدموع في تسلسلها كقول «ماجد بن أحمد»:

[بسيط]

لَا كَانَ جِيْـــدُ مُصَابِـــي عَاطِـــلاً ولَـــهُ مـــن الدُّمُـــوعِ عُقُـــودُ اللؤلـــؤِ الرَّطِـــبِ[4]

كما جُعِل نموذجاً يُشبّه به حديث المرأة في نفاسته وجماله يقول «عبد اللَّه بن محمد»[5]:

[طويل]

أَوَجْهُـــــكِ أَمْ برقٌ تَأَلَّـــــقَ أم بَدْرُ ولَفْظُـــــكِ أم دُرٌّ تنَاثَرَ أَمْ سِـــــحْرُ

---

(1) ديوان الدمستاني، ص207.

(2) المصدر نفسه، ص217.

(3) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص511.

(4) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر. وتُراجع أيضاً قصيدة طه العرادي عند البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص548 البيت 46. وقصيدة التاجر في ص346 البيت 4.

(5) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص514.

وفي العموم استخدم اللؤلؤ كعنصر جمالي فوصفت به أسنان المرأة ووجهها وما إلى ذلك[1]. ومع التصاقهم بهذا العنصر وكثرة معايشتهم له ظلّت صوره عندهم تقليدية تدور في أطر الأقدمين ولم يبتكروا جديداً.

الجبال: ترد صورها بوفرة ولعلّ خلوّ البلاد منها جعلها مثيرة فأكثروا من ذكرها كتعويض عن غيابها. وقد استعملها الشعراء للدلالة على معانٍ عديدة لا تكاد تتخطّى استعمالات الأقدمين. فقد استخدمت للدلالة على معنى الثبات كقول «عبد النبي بن مانع»[2]:

[بسيط]

كأنَّهُ حِيْنَ ينقضُّ الجَوَادُ بِهِ طَوْدٌ يَمرُّ بِهِ سَيْلٌ من العَرِمِ

وتتسم الصورة ببعض الحيوية لقدرة الجبل ـ رمز الممدوح ـ على الصمود والمواجهة وسط جو عاصف شديد الاضطراب والتدافع.

وجعلها «طه العرادي» نموذجاً للقوة والصلابة النفسية، فقال في وصف مأساة النساء الهاشميات[3]:

[بسيط]

لَهُنَّ نَدْبٌ مُذِيبٌ لَوْ تَحَمَّلَهُ شُمُّ الرِّعَانِ لَخَرَّتْ مِنْ أَعَالِيْهَا

واستعمل في بيت آخر المعنى ذاته مع تحديد جبل بعينه يقول:

[طويل]

فلو أنّ ما فيهنّ من لاعِجِ الجَوَى أَنَاخَ بـ«رَضْوَى» سَاخَ منه شِمَامُهَا[4]

وضمّنها «عبد اللّه الذهبة» معنى العلوّ والرفعة:

[سريع]

أينَ الفَخَارُ المُشْمَخِرُ الذي نَاطَحَ مِنْهُ الأخْمَصُ الكَوْكَبَا[5]

فالشاعر تصوّر الفخار جبلاً شامخاً، وللمبالغة جعل باطن قدميه يناطح السماء.

---

(1) تُراجع على سبيل المثال قصيدة أحمد حاجي البلادي في شعر الدمستاني ص381 البيت 49، وقصيدة علي الصالحي في مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر البيت 16.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص511.

(3) المصدر نفسه، ص547.

(4) المصدر نفسه، ص551. ورَضْوَى جبل بالمدينة المنوّرة.

(5) شبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج7 ص89 ويُراجع أيضاً البيت 3.

وحمل «خليل بن علوي» الصفوان الأملس معنى نفاد ما باليدين وخلّوهما. يقول إثر سفر طويل مضنٍ[1]:

[طويل]

وَلَمْ يُبْقِ لِيَ دَهْرِي المَشُومُ بَقِيَّةً فَصِرْتُ كَصَفْوَانِ صَلِيدٍ مِنَ القَطْرِ

عالم الحيوان:

عوّل شعراء «البحرين» على عالم الحيوان يستقون منه الصور ويضمّنونه العديد من المعاني المتعلّقة بطباعه، كصفات القوة، والضعف، والمعايير الجمالية الكامنة في العقلية العربية وفي الموروث الشعري.

ويحتل الأسد مكانة خاصة ولا غرو فهو يرمز في مفهوم العرب إلى قيم أخلاقية عديدة كالشجاعة والقوة والسيادة والأنفة وما إليها من معانٍ.

وترد في سياق النصوص الشعرية جلّ تسمياته من أسد وليث وضيغم وضرغام وحيدر وقسورة وغضنفر وغيرها.

وأكثر صوره تأتي في إطار الإشادة بالبطولة والإقدام. فترتبط بالتالي بميدان القتال. يشبّه «سلمان التاجر» ممدوحه في حالة الهيجان إبّان الحرب بالأسد فيقول:

[بسيط]

يَهُبُّ لِلحَرْبِ مُغْتَاظاً كَقَسْوَرَةٍ يُخْشَى عَلَى المَوْتِ مِنْهُ الرَّهْبُ والهَرَبُ[2]

وتشي الظلال المضافة للصورة في الشطر الثاني بشدّة إعجاب الشاعر ورفعه الممدوح إلى قمّة سامقة في البطولة.

ويلتقط «ناصر بن أحمد» من الأسد معنى المهابة والإجلال ليخلعها على المرثي فيقول[3]:

[بسيط]

لَيْثٌ تَظَلُّ لَهُ الأَسَادُ مُطْرِقَةً وعن ذِرَاعَيْهِ أُسْدُ الغَابِ تَنْتَكِب

(1) ديوانه ص84.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص350 يُراجع أيضاً لنفس الشاعر ص305 البيت 31 وص344 البيت 29.

(3) المصدر نفسه، ص452 والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص202.

ويرسم «أحمد بن طعّان» مشهداً يخلع فيه على المرثي صورة الأسد، ويتطرق لذكر الكثير من متعلقاته يقول:

[مجزوء الكامل]

يَحْمِي العَرِينَ بعَزْمَةٍ تُوْهِيْ أَدَانِيْهَا الأَخَاشِبْ
مَهْمَا وَعَى الأَشْبَالَ تَزْ أَرُ ضَائِرَاتٍ غَارَ غَاضِبْ
فيصولُ في أُجُمِ الضَّوَارِي وهي تَعْسِلُ كالثَّعَالِبْ
في فتيةٍ آسَادُ غِيْلٍ بِيْضُهُمْ عِوَضُ المَخَالِبْ[1]

فقد تخيّل حماه عريناً وأولاده أشبالاً وأصواتهم زئيراً وأصحابه أُسُوداً وسيوفهم مخالب وخصومه حيوانات ضارية شاردة والميدان أجمة. فالصورة بكل أبعادها مستقاة من عالم الحيوانات المفترسة.

الحيوانات عامة:

للحيوانات ذات المفهوم الجمالي في العرف العربي من ظباء ورئام ومهاة وغزلان رصيد وافر. فعلاوة على اتخاذها نموذجاً للحسن[2] حُمِّلَت معنى الضعف والخوف الأنثوي، كقول «حسين الشاخوري» في فرار الوحوش من جثث الهاشميين[3]:

[بسيط]

والوَحْشُ تَرْتَاعُ أنْ تَدْنُو لمصرعِهِمْ كما تُرَاعُ ظُبَاهَا مِنْ ضَوَارِيْهَا

واتخذوا من النعاج مثالاً للخوف. فقال «أحمد الدمستاني» مصوّراً بطولة الممدوح مشبّهاً إياه بالأسد والأعداء بالنعاج[4]:

[كامل]

فتفرَّقُوا مِنْ خَوْفِ شِدَّةِ بَأْسِهِ مِثْلَ النِّعَاجِ إِذَا بَصَرْنَ الضَّيْغَمَا

جعلوا من الجياد رمزاً للخيلاء والنجابة. فقال «الخطّي» مخاطباً المنيّة مستعيراً للمرثي صورة المُهْر السابق في الطراد[5]:

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص154. والأخشب كل جبل خشن غليظ، والخشيب من السيوف الصقيل.

(2) تُراجع على سبيل المثال أبيات عبد اللّه بن محمد الدالية في السلافة ص508 البيت 5 وأبيات علوي بن إسماعيل في المصدر نفسه ص519 الأبيات 1 ـ 3. وديوان الخطّي ص43 القصيدة الدالية كامل البيت2.

(3) المجموعة (1) ص72.

(4) ديوان حسن الدمستاني ص241.

(5) ديوانه ص39.

[كامل]

وَكَفَفْـــتِ عـــن غَلْـــوَاءِ مُهْـــرٍ طَالَمَـــا بَـــذَّ الجِيَـــادَ بـــكلِّ يَـــوْم طِـــرَادِ

وتخيّروا بعض حالات الإبل ووصفوا بها. كقول «الخطّي» مشبّهاً وضع الناس بعد الفقيد بالإبل المهملة الضائعة[1]:

[بسيط]

يَـا مَـنْ مَضَـى وَبَقِينَـا بَعْـدَهُ هُمُـلاً لـو أَنْصَـفَ الدَّهْـرُ أَفْنَانَـا وخَلَّـدَكَا

الطيور:

استحضر الشعراء العديد من أنواعها واتكأوا عليها كمصدر خيالي مستخدمينها كرمز للعديد من السجايا. وهم قد يذكرونها في شكلها العمومي دونما تحديد، كقول «لطف اللّه بن محمد» مشبّهاً النساء العلويات بعد مقتل رجالهن بسرب الطير الخائف[2]:

[طويل]

بَـرَزْنَ كَسِـرْبِ الطَّيْـرِ تبكِـي مُرَوَّعَـةً كَمَـا رَاعَ غِـزْلَانَ الصَّرِيمَـةِ صَائِـدُ

وذكروا القطا واتخذوها مثالاً للضعف والخوف. يقول «أحمد بن عبد الرؤوف» مشبّهاً بها أعداء الممدوح الفارّين[3]:

[كامل]

إنْ كَـرَّ فَـرَّ القَـومُ عَنْـهُ كَأَنَّهُـمْ سِـرْبُ القَطَـا رِيْعَـتْ بِصَقْـرٍ كَاسِـرِ

أما الممدوح نفسه فقد شبّهه الشاعر بالصقر. ومن الطيور الجارحة التي وصفوا بها، العقاب الذي رُمز به إلى القوة، فقد ماثل «عبد النبي بن مانع» به الهاشميين في حربهم يقول[4]:

[بسيط]

يَعْـدُونَ بَيْـنَ العَـوَادِي غَيْـرَ خَافِقَـةٍ قُلُوبهـمْ عَـدْوَ عُقْبَـانٍ عَلَـى رُخُـمِ

الحشرات:

التقطوا صور الكثير منها وحمّلوها العديد من المعاني. يقول «خليل بن علوي» مقارناً الجيوش المتدافعة بالجراد المتطاير[5]:

---

(1) ديوانه ص85.

(2) المجموعة (1) ص308.

(3) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص511.

(5) ديوانه ص191.

[طويل]

وَضَـاقَ بِهِـمْ وسـعُ الفَضَـا حيـثُ أَنَّهُـمْ كَمِثْـلِ جَـرَادٍ فـي الفَضَـا مُتَطَايِـرِ

واستحضروا صورة العناكب وجعلوها مثالاً للضعف. يقول «لطف اللّه بن محمد» ملمّحاً إلى بطولة ممدوحيه[1]:

[طويل]

فَمَـا سَـابِغَاتُ السَّـرْدِ حِيْـنَ تَنَالُهَـا سُـيُوفُهُمُ إلاّ نَسِـيجُ العَنَاكِـبِ

وعرضوا للحَيَّات كثيراً، واتخذوها رمزاً للخطر والأذى. ونسجوا حولها صوراً لا يخلو بعضها من طرافة. يقرن «جعفر الخطّي» أذى الحنين للأهل والأوطان بسمّ الأساود وهي أخطر الحيّات فيقول[2]:

[كامل]

وَتَذَكُّـرٍ يَرْمِـي الـحَشَا بِأَسَـاوِدٍ مَـا مَـنْ نَهَشْـنَ يُفِيـدُ فِيـهِ الرَّاقِـي

والصورة تنمّ عن قوّة العواطف وتعاظم الشوق وعُمق أثره، تنضح بذلك الصورة الواصفة صورة الحيّات ذات الخطر العظيم والضرر الشديد التي يتعذّر مداواة نهشها. ويصوّر «خليل بن علوي» الأثر السيّئ والفعّال لرمح الممدوح في العدو فيضارعه بالصِّل فيقول:

[طويل]

وَرُمْـح كَصِّـلِ الرَّمْـلِ لَـمْ يـرضَ مَنْـزِلاً سِـوَى القَلْـبُ مـن أعدائِـهِ والـحَنَاجِرِ[3]

فالصِّل أخبث الحيّات. وينمّ استعمالها صورة واصفة للرمح بأنها من النوع المستقيم والمنتصب كالقناة، كما إن استقرارها في القلب والحناجر مما يزيد من أثرها ويضاعفه فيجعله عاجلاً شديد المضاء قاضياً.

وكما يظهر من الشاهدين استعملت الحيّات لوصف عناصر معنوية وأخرى مادية.

يبدو مما سبق أن جلّ الحيوانات المستخدمة هي من البيئة العربية. ولما كان الشعراء يعيشون في بيئة حضارية عامرة فمصادر خيالهم تقليدية مروية محفوظة.

عالم النبات:

تقلّ تلويناته عن عالم الحيوان بيد أنه لا يخلو من تنويع:

---

(1) المجموعة (1) ص292.

(2) ديوانه ص79.

(3) ديوانه ص191.

فصيلة الزهور:

ذكـروا العديد مـن صنوفها واتخذوها صوراً جمالية، وصفوا بهـا المرأة في مجال الغزل غالبـاً. وهم قد يركّـزون على ألوانها كعنصر واصـف. ومن الزهور التي ذكروهـا الورد ووصفوا به خدّ الحبيبة: يخاطب «عبد الرؤوف بن الحسين» صاحبته فيقول[1]:

[بسيط]

وَرْدِيَّـــةَ الخَـــدِّ يـــا مِسْـــكِيَّةَ الشَّـــعَرِ دُرِّيَّـــةَ الثَّغْـــرِ يـــا مَكْحُولـــةَ البَصَـــرِ

ذكروا الجلّنار وقرنوا لونه بخدّ المرأة. يقول «خليل بن علوي»[2]:

[رجز]

حَالِـــــكُ لَيْـــــلٍ جَعْـــــدُهُ وجُلَّنَـــــا رِ خَـــــدُّهُ والقَـــــدُّ لَـــــدْنٌ أَمْلَـــــدُ

وخلعوا صورة الأقحوان على المبسم. فقال الشاعر نفسه[3]:

[كامل]

ذُو مَبْسِـــــمٍ كالأُقْحُـــــوَانِ وَوَجْنَـــــةٍ كالأُرْجُـــوانِ ذُرَى الـــهَوَى مُتَبَسِّـــمَا

واسـتحضروا مـا تنشـره البسـاتين مـن روائـح فوّاحـة فقرنوهـا بالسـلام المُهْـدَى إلـى الأصحاب. يقول «الخطّي»[4]:

[طويل]

سَـــلَامٌ كمـــا افْتَـــرَّتْ مَبَاسِـــمُ رَوْضَـــةٍ فَجَـــاءَ بِرَيَّاهَـــا نســـيمُ قبُـــولِ

وعرجـوا على النباتات خاصّة الصحراوية ووظّفوها لمعانيهم. ونظراً لتعدّدها سـنقتصر على بعضها فقط.

ذكروا الشـيح والعَنم واستغلوهما كمظهر جمالي. يتصوّر «علي الصالحي» ديار الأحبة متزينة ببرد مزخرف بذينك النباتين[5]:

[بسيط]

مَعَاهِـــد طَالَمَـــا الوَسْـــمِيُّ أَلْبَسَـــهَا بُـــرْداً تَوشَّـــتْ بِوَشْـــيِ الشِّـــيحِ والعَنَـــمِ

---

(1) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(2) ديوانه ص33.

(3) المصدر نفسه ص108.

(4) ديوانه ص98.

(5) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

واستلهم «عبد النبي بن مانع» غصون الطلح والسلم المبعثرة ليضارع بها القتلى الهاشميين[1]:

[بسيط]

أفناهُمُ السَّيْفُ حَتَّى أَصْبَحُوا مَثَلاً عَلَى الثَّرَى كَغُصُونِ الطَّلْحِ والسَّلَمِ

والتقط «أحمد بن طعّان» شوك القتاد ووظّفه للدلالة على الألم وصعوبة التحمّل، فقرن السكوت على الضيم بالنوم فوق القتاد[2]:

[وافر]

فَدَعْ يَا لائِمي لَوْمِيْ فَنَوْمِي على ضَيْمِي كَنَومِي في القَتَادِ

ووجد «علي بن أحمد الكامل» في غصن النقا صورة وصف بها قدّ الحبيبة. يقول[3]:

[متقارب]

وَغُصْنُ النَّقَا هِيَ إنْ أَقْبَلَتْ وَحِقْفُ الكثيبِ إِذَا تَدْبُرُ

وتأخذ النخلة أبعاداً بارزة في شعر «البحرين». فكونها المحصول الفلاحي الأوّل جعلها شديدة الالتصاق بخيالهم. ولتعلّقهم بها اتخذوا صفاتها وملامحها نموذجاً صوّروا به الكثير من معانيهم.

وتناولوا أجزاءها فماثل «علي بن أحمد الكامل» انحناءة جسد المتعبِّد بالعرجون[4]:

[بسيط]

مِنْ كُلِّ أَروَعَ لا تَخْبُو زِنَادُ قِرَى لَهُ وقَوَّامُ لَيْلٍ مِثْلُ عُرْجُونِ

واستوحى «خليل بن علوي» السعف فتصوّر طائراً حلّق فوق سعفة فاضطرب وارتعش ليضارع به قلب السيدة «زينب» عند خطابها أخيها «الحسين» بعد قتله[5]:

[كامل]

أَخِي إِنَّ قَلْبِي مِثْلُ طَيْرٍ بِسَعْفَةٍ ولكنْ لَهُ فِرْطَ الكَآبَةِ صَائِدُ

وعوّلوا على صفاتها يستمدّون منها صورهم. يقول «جعفر الخطّي» ناقلاً صورة أعجاز النخيل وما تعنيه من موات إلى الأبطال الذين جدلهم الممدوح[6]:

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص512.

(2) المصدر نفسه، ص149.

(3) التاجر، محمد علي، المسودّات للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(4) ديوان حسن الدمستاني ص339.

(5) ديوانه ص30.

(6) ديوانه ص73.

[كامل]

التَّـــارِكُ الأَبطَـــالَ صَرْعَـــى فـــي الوَغَـــى فكأنَّهُـــــمْ أَعْجَـــــازُ نَخْـــــلٍ مُنْقَـــــعِ

وفي الصورة تضمين قرآني من قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾[1] وغيّر اللفظة الأخيرة بما يتناسب والقافية.

ويلتقط «علي بن أحمد الكامل» صورة النخلة الطويلة (السَّحُوق) التي زلزلتها الرياح العاتية ليخلعها على «مرحب» اليهودي حين فتك به الإمام «عليّ»[2]:

[متقارب]

وَجَـــدَّلَ «مَرْحَبـــاً» مِثْـــلَ السَّـــحُوقِ مِـــــنَ النَّخْـــــلِ زَلْزَلَهَـــــا صَرَصَـــــرُ

وقد ذهب «حسن الدمستاني» إلى تشبيه «عمرو بن عبد ودّ العامري» بالفُحَّال ـ ذكر النخيل ـ حين بطش به الإمام «عليّ» يقول[3]:

[سريع]

فَانتَاشَـــــهُ الكَـــــرَّارُ فـــــي ضَرْبَـــــةٍ بَـــرَى بِهَـــا سَـــاقَيهِ بَـــرْيَ القَصَـــبْ

فَطَـــاحَ كالفُحَّـــالِ عَـــاري الـــذُّرَى مَـــــرَّتْ بِـــــهِ صَاعِقَـــــةٌ فَانْقَلَـــــبْ

وتوحي صورة الفُحَّال بالقوة والضخامة. واستوحى «الخطّي» صورة النخلة المفردة عن أمثالها ليماثل بها وحدته بعد اختطاف المنون أهله وأصحابه[4]:

[كامل]

وَبَقِيـــــتُ بَعْدَهُـــــمُ كَأَنِّـــــي نَخْلَـــــةٌ قـــد أَفْرَدُوهَـــا بَعْـــدُ عـــن أَصْنَائِهَـــا

لقد برزت الحياة النباتية إقليمية ومحلّية في شعر البحرين. واحتلّت النخلة مكانة هامة. فكانت البيئة الطبيعية مصدراً استلهمه الشعراء. فاقتبسوا بعضه وابتكروا بعضه الآخر. ولا مراء في أن الطبيعة بأبعادها وزواياها معين لا ينضب وملك للخيال الإنساني في جميع عصوره وأجياله شريطة ألا تبتذل أو تجمد عناصرها. وغلب على صور الشعراء استعمالات الأقدمين فأتت تقليدية مطروقة وكان حظّ صور الطبيعة المبتكرة قليلاً.

ثانياً: التراث الثقافي:

تشكّل الثقافة بمختلف مستوياتها وأبعادها معيناً خصباً أمدّ الشعراء بالكثير من

(1) سورة القمر، الآية 20.

(2) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(3) ديوانه ص90.

(4) ديوانه ص5.

الصور والأخيلة. فقد عمدوا إلى عناصرها المختلفة يستخرجون منها النظائر والأشباه. ويمكن حصر صنوف الثقافة التي استلهموها في ثلاثة أصناف: الثقافة الدينية، والثقافة التاريخية، والثقافة الأدبية. وكان دورها في تشكيل صور الشعراء أقلّ من دور الطبيعة.

1. الثقافة الدينية: شكّلت صور القرآن الكريم معيناً هاماً غَذَّى أخيلة الشعراء. فقد عمدوا إلى تضمين شعرهم الكثير منها تارة، وإلى الاقتباس منها تارة أخرى، ومرّ بنا العديد منها. وقد أتت صور الحديث الشريف في مرتبة تالية وبحجم أقلّ كثيراً، ومن الصور المقتبسة من آي الذكر الحكيم قول «الدمستاني» مشيراً إلى عدم جدوى خطاب الحسين للجيش المحارب متصوّراً أن آذانهم سُدَّت بأقفال[1]:

[بسيط]

فَلَمْ يُفِدْهُمْ بَلِيغُ النُّصْحِ فَائِدَةً كأنَّ أسماعَهُمْ سُدَّتْ بأَقْفَالِ

والتشبيه مستقى من قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[2].

وقول «سلمان التاجر» مشيداً ببطولة الهاشميين مصوّراً شدّة تعلّقهم بالحرب[3]:

[خفيف]

فكأنَّ الظُّبَا خُدُودُ غَوَانٍ والعَوَالِي كواعبُ الأَتْرَابِ

والصورة في الشطر الثاني مستقاة من الآية الكريمة: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۞ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۞ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾[4].

تأثّروا بصور الحديث الشريف وأخذوا ما يناسب معانيهم. يخاطب «أحمد الدمستاني» الهاشميين فيقول[5]:

[سريع]

فإنَّكُمْ سُفْنُ نَجَاةٍ غَداً وأنتُم أَعْلامُ طُرْقِ الهُدَى

والصورة مستقاة من قوله ﷺ: «مَثَلُ أَهلِ بيتي كمَثَلِ سفينةِ نوح مَنْ رَكبهَا نَجَا...»[6]. وكقول «أحمد بن طعّان» في التنويه بالهاشميين[7]:

---

(1) ديوان حسن الدمستاني ص216.

(2) سورة محمد، الآية 24.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص283.

(4) سورة النبأ، الآيات 31 - 33.

(5) ديوان حسن الدمستاني ص256.

(6) المحبّ الطبري، ذخائر العقبى، مصدر سابق، ص20.

(7) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص119.

[بسيط]

والـــحَقُّ مَعَهُـــمْ وفيهِـــمْ مِنْهُـــمُ بِهِـــمُ بـــل كُلُّ خَيْـــرٍ ففيهـــم منهُـــمُ لَهُـــمُ

فتشخيص الحقّ وجعله بمعيّة الممدوحين مأخوذ من قوله ﷺ: «عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ حيث كان...»[1].

استندوا إلى بعض مفاهيم العقيدة واستخدموها نظائر لموصوفاتهم. وهي تتنوّع بين شخصيات ذات مدلول سامٍ كمصطلح «نبيّ» بمعناها العام، ومنها قول «خليل بن علوي» قارناً ممدوحه في كماله بنبيّ، وشعره بالآيات[2]:

[خفيف]

إنَّمَـــا أنـــتَ للكَمَـــالِ نَبِـــيٌّ وَمِـــنَ الشِّـــعْرِ جِئْـــتَ بالآيَـــاتِ

وبين معانٍ لها صلة بحياة الآخرة، كتشبيه الأماكن ذات المكانة الخاصة بالجنّة. ومنه قول «سلمان التاجر» مخاطباً «كربلاء»[3]:

[مجزوء الكامل]

مَـــا أنـــتِ إلاّ جَنَّـــةُ الـ فِـــرْدَوْسِ أو بَيْـــتُ «الخَلِيـــلِ»

والصورة الأخيرة كناية عن القدس الشريف.

وعوّلوا على متعلّقات الجنّة من ملائكة وحور فاستخدموها نظائر. يقول «الوائلي» متعجّباً من فتنة صاحبته[4]:

[رمل]

أَمَـــلَاكٌ أمْ مِـــنَ الحُـــورِ أَتَـــتْ عَجَبِـــي مِـــن مُقْلَتَيْهَـــا عَجَبَـــي

كما وجدوا في الجحيم نموذجاً للعذاب فاستخدموه في صورهم. يقول «أحمد الدمستاني» قارناً به العشق[5]:

[بسيط]

هُـــوَ الجَحِيـــمُ فـــإنْ يُمسِسْـــكَ لَاهِبُهَـــا فـــلا تُصَـــدِّقْ بِـــأَنَّ البَحْـــرَ يُطْفِيـــهِ

الثقافة التاريخية:

وهي شديدة الارتباط بالثقافة الدينية، لأن الكثير من أجزائها مستمد من القصص القرآني أو المصادر المرتبطة بها.

---

(1) الهيثمي: مجمع الزوائد، مصدر سابق، ج7 ص238.

(2) ديوانه ص100.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص312.

(4) ديوانه ص89.

(5) ديوان حسن الدمستاني ص207.

ولشخصيات الأنبياء السابقين للإسلام وأخبارهم بروز واضح خاصة في الشعر المذهبي. ومن الأنبياء الذين تردّد ذكرهم موسى عليه السلام فقد ظهر كشخصية مقدّسة، خاصة موقف هويّه حين تجلّى له نور الخالق. فشبهوا به «الحسين» حين سقط شهيداً. يقول «سلمان التاجر»[1]:

[كامل]

فَدَعَاهُ بالوَادِي المُقَدَّسِ رَبُّهُ فَهَوَى كَـ «مُوسَى» للإلَهِ يُعَظِّمُ

فأرض «الطفّ» غدت في منظور الشاعر بمثابة الوادي المقدس «طوى»، و«الحسين» غدا يضارع «موسى»، والسقوط ليس موتاً وإنما خشية لشدّة الإجلال والتعظيم.

ونوّه «أحمد بن طعّان» بما أظهره المرثي في ساحة الوغى من بطولة فماثله بعصا «موسى» في إبطالها مفعول السحرة[2]:

[كامل]

فَانْسَابَ ثُعْبَانُ الوَغَى كَعَصَا النَّبِي مُوسَى تَلَقَّفُ صُنْعَةَ السَّحَّارِ

ووجد «لطف اللّه بن محمد» فيما شهر به أنبياء اللّه «يعقوب» و«يوسف» و«أيوب» من أحزان صورة معبّرة عن الألم والصبر. فخلعها على النساء الهاشميات بعد قتل أوليائهن. قال[3]:

[طويل]

لَهُنَّ عَلَى فَقْدِ الأحبَّةِ رنَّةٌ تَذُوبُ لها شُمُّ الجِبَالِ الأَخَاشِبِ
بِأحْزَانِ يعقوبٍ ولِيْعَةِ يُوسفٍ وضَرَّاءِ أَيُّوبٍ ونَوْحِ النَّوَادِبِ

وتمثّل الشخصيات المذكورة رموز الحزن التي يضرب بها المثل.

واستثمر «جعفر الخطّي» التراتيل الدينية التي يرددها قرّاء الإنجيل والزبور فشبّه بها صوت البلابل في الربيع[4]:

[كامل]

تَتْلُو بَلابِلُهُ عَليكَ وَوِرْقُهُ أَسْفَارَ إنْجيلٍ وَصُحْفَ زَبُورِ

وعرج الشعراء على أحداث التاريخ القديم خصوصاً العربي يستلهمونها ويعقدون

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص288.
(2) المصدر نفسه، ص166.
(3) المجموعة (1) ص293.
(4) ديوانه ص53.

روابط بينها وبين ما طرقوه من معانٍ. ومما عرضوا له من أحداث، الأخبار المرويّة عن عَاد وتُبَّع. فقرن «خليل بن علوي» بعض المهجوّين ببقاياهم، يقول[1]:

[خفيف]

رُؤَسَاؤُهُمْ رَاشُوا الضَّلالَ كَأَنَّمَا هُمْ مِنْ بَقَايَا تُبَّعٍ أَو عَادِ

وكرر هذا الشاعر أخبار محنة عاد وصرصرها. ومما قاله في مضارعة فتك سيف المرثي بها:

[كامل]

فَتَخَالُ صَرْصَرَ عَادٍ قَائِمَ سَيْفِهِ في «كربلا» عَصَفَتْ على الأعْدَاءِ[2]

والتفتوا للأحداث ذات العلاقة بتاريخ «البحرين» القديم. فشبّه «حسين الشاخوري» النساء الهاشميات الأسيرات وهنّ على النوق الهزال بأسرى يوم «سابور» حيث انتقم هذا الملك الفارسي انتقاماً وحشياً من أهل «البحرين» وحلفائهم يقول:

[بسيط]

وكم رَبِيبَةِ خِدْرٍ كَالهِلالِ على عُجْفِ الجِمَالِ كَأَسْرَى يَومِ سَابُورِ[3]

وعوّل «خليل بن علوي» على حادث اعتداء الزنج على «البحرين» ـ رغم وضاعتهم ـ كما يرى ـ ليحاكيه بتطفّل مدّعي العلم والشعر يقول[4]:

[طويل]

وبالشعراءِ الغُرِّ تزرِي أَرَاذِلٌ كما الزنجُ للبحرينِ أضحَتْ تُطَاوِلُ

الثقافة الأدبية:

عوّل الشعراء على ثقافتهم الأدبية يستمدون منها مثلهم، ويخلعون ما عرف من معانيها على موصوفاتهم. خاصة في مجال فنون القول. فقرن «جعفر الخطّي» في فنّ القريض بين ممدوحه وبين أعلى رموز الشعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام. قال[5]:

[خفيف]

وَقَرِيضٍ لَو اجْتَلاهُ «امرُؤ القيسِ» تمنَّاهُ والداً دُونَ «حُجْرِ»

---

(1) ديوانه ص90.

(2) ديوانه ص6 ويُراجع أيضاً ص192 البيت 49.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، ص537 وعن أخبار سابور ذي الأكتاف وعنفه يُراجع الطبري، تاريخه، مصدر سابق، ج2 ص55 – 58 وابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج1 ص229 وما بعدها.

(4) ديوانه ص160.

(5) ديوانه ص56.

غَـــزَلٌ يَسْـــتَثِيرُ مـــا عَفَـــتِ الأيـ ـــامِ مـــن أرســـمِ الغَـــرَامِ العُـــذْرِي
وَمَـــراثٍ تُجِـــدُّ مـــا كَانَ أَبْلَتْـــهُ الـ ليالـــي مِـــنْ حُـــزْنِ «خَنْسَـــاءَ» «صَخْـــرِ»

واتخـذ «خليل بن علـوي» من «قسّ الإيـادي» ـ مثـال الفصاحة عند العـرب ـ نموذجاً ضارع به ممدوحه. قال:

[بسيط]

فَـــلَا يُجَارِيـــهِ «قِـــسٌّ» فـــي فَصَاحَتِـــهِ كلاًّ ولا «حَاتِـــمٌ» بِالنَّائِـــلِ العَـــذْبِ[1]

وقرنه في الشطر الثاني بـ«حاتم الطائي» ـ نموذج الكرم في المفهوم العربي ـ وجعله يتفوّق عليهما.

اتخـذ «الوائلـي» مـن «سـحبان وائـل» ـ رمز الفصاحـة العربيـة الآخر ـ مثـالاً ضارع به صاحبته فقال[2]:

[كامل]

فَنَّانَـــــةٌ إنْ أَقْبَلَـــــتْ وإِذَا رَنَـــــتْ وَتَكَلَّمَـــتْ فالنطـــق مـــن «سَـــحْبَانِ»

وفي إطار العيّ تمثّلوا بـ«باقل»، فقرنه «خليل بن علوي» بأحد المهجوّين. يقول[3]:

[طويل]

فَـــذَاكَ الـــذي فـــي جُـــودِهِ هُـــوَ «مَـــادِرٌ» وَجَاحِـــظُ مـــرآهُ وفـــي العِلْـــمِ بَاقِـــلُ

وفي الشطر الأول ذكر «مادر» والعرب تقول «أبخل من مادر»[4].

كمـا عوّلـوا على الأمثال العربية يسـتمدّون منها قيمهم التصويرية. يقـول «إبراهيم آل نشرة» في مدح الإمام «عليّ»[5]:

[كامل]

قُـــلْ للـــذِي نَظَـــمَ الـــمَدِيحَ لِغَيْـــرِهِ مُتَمَثِّـــلاً بالصيـــفِ ضَيَّعـــتِ اللبـــنْ

فالشطر الثاني تضمّن مثلاً تضربه العرب لمن يطلب شيئاً فَوَّته على نفسه[6].

وعمـد «عبد اللّه الذهبة» إلى المثل المعروف «ذهبوا أيدي سـبأ، وتفرّقوا أيدي سـبأ»

---

(1) ديوانه ص123.
(2) ديوانه ص24.
(3) ديوانه ص160.
(4) تُراجع مادة «مدر» في أساس البلاغة وفي تاج العروس.
(5) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص356.
(6) الميداني، مجمع الأمثال، مصدر سابق، ج2 ص43.

الـذي يُقـال لمن تفرقوا فراقاً لا اجتماع معه، وضارع به حال الهاشـميين فـي محنة «الطفّ»، قال مستنفراً جدّهم:

[سريع]

اللَّـــهُ يـــا هَاشِـــمُ فـــي شَـــمْلِكُمْ فقـــد غَـــدَا فـــي النـــاسِ أيـــدي سَـــبَا[1]

لقـد كان التصويـر أسـلوباً فنيـاً اتـكأ عليه الشـعراء لما له مـن تأثير عاطفـي وجمالي. ولعـب دوراً فعـالاً في إقامة علاقـة حميمة بيـن الجانبين الفكـري والخيالي. ونظـراً لتقليدية ثقافة الشـعراء ونظرتهم وموضوعاتهم فقد اصطبغت صورهم بطابع الأقدمين فجاءت مكررة مطروقة. ومع مواءمة الكثير منها لمعانيها وسـياقها كان حظّهم في استجلاب صور جديدة أو توليد مشاهد مبتكرة محدوداً.

ومـا تجـدر الإشـارة إليـه أن المسـتمع لذلك الشـعر ـ خاصـة المذهبي ـ لـم يكن على اطلاع واسـع على الموروث الشـعري الذي استقى منه الشـعراء صورهم، ومن ثم لم تكن في نظـره ـ على الأقـل ـ مبتذلة بالقدر الذي نراه، لذلك لا نسـتبعد تفاعله وتجاوب نفسـه معها. عـلاوة علـى أن المفاهيم المطروقة وما يحيط بها من أُطر خياليـة وفنيّة هي القيم المطلوبة والتي يستسيغها الجمهور ويتجاوب معها.

ولقد حاولنا خلال دراسـتنا التي تربو على الثلاثـة قرون أن نرصد ما طرأ من تطوّر إلى أسـلوب الشـعر فـي التصوير. إلا أننـا لم نجد شـعراء المرحلة الأخيـرة يتميزون بأيـة مميزات ملموسـة على شـعراء المرحلة الأولى. ولعلّ السـبب أن الجميع يسـتقون من معين واحد هو التراث الشعري العربي الذي مجّدوه، واتخذوه معياراً ونموذجاً ينسجون على منواله.

(1) البـلادي، حسـين بـن علي، ريـاض المـدح والرثاء، مصدر سـابق، ص443؛ وشـبّر، جـواد، أدب الطـفّ، مصدر سابق، ج7 ص98 ويُراجع المثل عند الميداني، مجمع الأمثال، مصدر سابق، ج2 ص4.

الفصل الثاني

موسيقى الأوزان والقوافي

الإيقـاع النغمـي عنصر هام وأصيل في التعبير الشـعري، يتوسّـل إليه الشـاعر بالعديد من الأشـكال والتراكيب لزيادة شعرية النص. وتشكّل الأوزان والقوافي ـ على وجه الخصوص ـ بمـا لهمـا مـن تأثير خـلاّب ـ الدعامـة الأساسـية والفاعلـة فـي البنيـة الإيقاعية فـي القصيدة العموديـة. ولأهميـة هذيـن العنصريـن سـندرس سـمات كل منهمـا علـى حـدة فـي شـعر «البحرين».

أولاً: الأوزان:

تعـدّ الموسـيقى المتولّدة عـن الأوزان أبرز أنواع الإيقـاع، نظراً لما تحويه من تناسـب صوتـي، وتآلف منبعث مـن تتابع الحركات والسـكنات. فتهز الأعطاف، وتثيـر البهجة، وتوقظ فـي نفس السـامع الإحسـاس بالجمـال. وبديهي أن الإيقـاع المتوازن المنسـجم يشـدّ النفس، ويهيئها لتتقبل الفن القولي.

ويبيّن الجدول المرفق[1] البحور التي نظم عليها شـعراء «البحرين»[2]. وسنعتمد عليه للتعرّف على نسبة استخدامها على الصعيد العام والخاص. وقد رتبناها حسب درجة شيوعها، مبتدئيـن بأعلاهـا. كما أننا سـنعوّل عليه في اسـتخلاص النتائـج دون الحاجة إلى الإشـارة إليه في دراسة كل بحر.

---

(1) ينظر الصفحة 402.

(2) اخترنـا سـبعة شـعراء اعتبرناهم النمـوذج العام الذي يمثّـل الاتجاهـات العروضية في شـعر «البحرين». ولا يعنـي ذلـك أنهـم يمثّلـون أعلـى القيم الفنيـة، وإنمـا اختيارنـا لهم نابـع مـن اعتبـارات زمنية فهـم ينتمون لمراحـل زمنيـة مختلفـة في الفتـرة المدروسـة. ورتّبناهـم ترتيباً تاريخيـاً. أما السـبب الآخـر لاختيارهم فهو توفّر كمية كبيرة من أشـعارهم. وبعضهـم له دواوين مطبوعة أو مخطوطـة. وكان المفروض أن نعتمد على إحصائيـات د.علـوي الهاشـمي في دراسـته «تجربة الشـعر المعاصـر في البحريـن» وهي أطروحـة دكتوراه دولـة مقدّمـة للجامعـة التونسـية. خاصة أننا نلتقـي معه في ثلاثة شـعراء. وآثرنـا إجراء إحصائيـات جديدة لأننـا حصلنا على إضافات هامة بالنسـبة لشـعر كل من سـلمان التاجـر والوائلي. فقد صـدرت للأخير طبعة جديـدة لديوانه أضيفت إليها قصائد خلا منها الديوان السـابق. كما آثرنا القيام بإحصائيات جديدة بالنسـبة لشـعر إبراهيم الخليفة لأننا وجدنا مجموع الأبيات التي ذكرها الباحث بالنسـبة للأوزان والقوافي والمجرى لا تتطابق.

جدول (1)

البحور مرتبة حسب النسبة المئوية لمجموع الأوزان

الشعراء مرتبون زمنياً	الطويل	الكامل	البسيط	الخفيف	الوافر	الرمل	السريع	الرجز	المتدارك	المتقارب	المجتث	المنسرح	الهزج
جعفر الخطّي	%29	25,13	11,85	16,42	10,92	3,6	0,62	0,25	-	2,34	-	,75	-
حسن الدمستاني	35,86	17,72	13,56	3,91	3,60	9,62	3,74	6,35	2,98	2,610	-	-	-
أحمد الدمستاني	26,75	16,8	34,49	-	5,06	-	16,88	-	-	-	-	-	-
خليل بن علوي	33,86	25,78	12,70	8,58	3,05	9,96	0,53	2,70	-	,92	,50	,25	-
سلمان التاجر	22,54	19,37	11,22	33,04	,36	2,53	4,12	-	3,66	,58	2,53	-	-
إبراهيم الخليفة	57,14	9,44	4,14	6,-	21,42	,92	-	-	-	-	-	-	,92
الوائلي	23,95	32,52	20,35	2,48	3,33	13,59	2,59	0,21	-	0,95	-	-	-
المجموع	229,10	147,76	108,31	70,53	47,78	40,22	28,48	9,51	6,64	6,40	3,03	1	,92
المعدّل	32,72	21,10	15,47	10,07	5,82	5,74	4,06	1,35	,95	,91	,43	,14	,13

الطويل:

هـو أكثر البحـور اسـتعمالاً. وتذكـر الدراسـات الحديثة أن مـا يقارب من ثلث الشـعر العربي القديم نظم على وزنه[1]. ويكاد شـعر «البحرين» يضارعه في هذه النسبة. فقد صيغ 32,72% تقريباً من شـعر الشـعراء النموذج عليه. واحتل المرتبة الأولى في شعر أربعة منهم. هذا مع اختلاف في النسـبة. فشكّل 57,14% من شـعر «إبراهيم الخليفة» وهي أعلى نسبة. كمـا شـكّل 35,86 % تقريبـاً مـن شـعر «حسـن الدمسـتاني»، و33,86% تقريبـاً مـن شـعر «خليل بن علوي»، وحوالي 29% من شعر «جعفر الخطّي».

واحتـل المرتبـة الثانيـة في شـعر الثلاثـة الآخرين. فشـكّل حوالـي 26,75% من شـعر «أحمد بـن حسـن الدمسـتاني»، و23,95% تقريبـاً من شـعر «الوائلي»، و22,54% من شـعر «سـلمان التاجـر». فأعلى نسـبة فاقـت النصف بقليـل عند «إبراهيـم الخليفـة»، وأدناها عند «سلمان التاجر» وهي أقل من الربع بقليل.

تميل أشـعار هذا البحر إلى طول النفس عامة. فلـ «حسـن الدمستاني» 1044 بيتاً من الطويـل موزّعـة على تسـع عشـرة قصيـدة أي بمعـدل 54,94 بيتاً للقصيـدة الواحـدة، ولابنه «حسـن الدمسـتاني» 301 بيتـاً موزّعـة علـى 5 قصائد بمعـدل 60,2 بيتـاً للقصيـدة الواحدة، ولـ «سلمان التاجر» 498 بيتاً موزعة على 14 قصيدة وقطعة أي بمعدل 35,57 بيتاً.

أما الشعراء الأربعة الباقون فنـزعوا إلى المراوحة بين طول النفس وقصره في شعرهم مـن الطويـل. فلـ « جعفـر الخطّي» 699 بيتـاً ينتظمهـا 33 قصيدة وقطعـة أي بمعدل 12,18 بيتـاً. ووصل معدّل قصيدة الطويل عند «خليل بن علوي» إلى 14,20 بيتاً، و«الوائلي» بمعدل 14,61 بيتـاً. أمـا «إبراهيـم الخليفـة»، وهو صاحب أعلى نسـبة فـي هذا البحـر فوصل معدل القصيدة الواحدة إلى 8,55 بيتاً.

وبربطنـا طول النَّفَس بالأغراض الشـعرية فـي الطويل نجد أن أغلـب القصائد الطويلة تمحّضـت للرثـاء، خاصـة رثـاء آل البيـت. أما الأقصـر نَفَسـاً فتوزّعت علـى الأغراض الشـعرية الأخـرى. وفـي العمـوم احتضـن هـذا البحـر الموضوعـات الجـادة. فكثـرة المقاطـع وتعـدّد التفعيلات أتاح للشـعراء التعبير عن تجاربهم وما يخالج نفوسـهم من مشـاعر كالرثاء والمدح القائم على روابط روحية صادقة.

الكامل:

تعدّه الدراسـات من بحـور المرتبة الثانية في الشـعر العربي[2]. وهو كذلك في شـعر

(1) أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ط4، دار القلم، بيروت 1972، ص69، 210.

(2) المصدر نفسه، ص73. وتشمل بحور المرتبة الثانية عنده الكامل والبسيط والوافر والخفيف.

«البحريـن» إذ يحتـلّ المرتبـة الثانيـة، وتبلـغ نسـبته ما يقـارب 21,10% واسـتعمله الشـعراء بوجهيه التام والمجزوء.

ويحتلّ هذا البحر المرتبة الأولى في شـعر «الوائلي». فنظم عليه بنسـبة 32,52% من مجمـوع أشـعاره. واحتـل المرتبـة الثانية في شـعر كل من «جعفـر الخطّي» بنسـبة 25,13% تقريباً، و«خليل بن علوي» 26,78%. وأقل الشـعراء السـبعة صياغة عليه «إبراهيم الخليفة»، فلم تتعد نسبته 9,44% تقريباً.

وتتـراوح قصائـد الكامـل بين طـول النفس وتوسّـطه. وغلـب الطول علـى قصائد ثلاثة شـعراء مـن السـبعة. هـم «أحمـد الدمسـتاني»، ومتوسّـط قصيدته مـن هـذا البحـر 63 بيتاً، و«حسـن الدمسـتاني» حوالي 57,33 بيتاً، و«سـلمان التاجـر» 53,5 بيتاً. أمـا الأربعة الآخرون فغلـب علـى قصيدهـم توسّـط النفـس. فمعـدل قصيـدة «خليل بـن علـوي» 17,83 بيتـاً، و«الوائلـي» 15,76 بيتـاً و«إبراهيم الخليفـة» 13,66 بيتاً. وتراوحت هذه الأشـعار بين قصائد طويلة نسبياً ومقطوعات ونتف.

وتنــزع قصائـد الكامـل نحـو الموضوعـات الجـادّة. واختصّـت القصائد الطويلـة منها بالرثـاء وأتاحـت مقاطعـه للشـعراء التعبير عـن عواطفهـم وانفعالاتهم. واسـتخدمه الشـعراء الثلاثة ذوو النفس المتوسّط ليعبّر عن مختلف الأغراض الشعرية.

البسيط:

يحتـلّ المرتبة الثالثة في شـعر «البحرين». وتبلغ نسـبتها ما يعـادل 15,47%. وتصنّفه الدراسـات في بحور المرتبة الثانية بالنسـبة للشـعر العربي القديم[1]. ولم يستعمل في شعر «البحرين» إلا تامّاً حسبما توفر بين أيدينا منه.

أكثر الشـعراء النموذج نظماً عليه «أحمد بن حسـن الدمستاني». واحتل عنده المرتبة الأولى في حدود ما عثرنا عليه من شـعره، ووصلت نسـبته إلى 34,49%. وأقلهم استخداماً له «إبراهيم الخليفة»، ولم تتعدّ نسـبة النظم عليه 4,14%. أما الخمسـة الباقون فتقرب النسـبة عندهم من النسبة العامة.

تتـراوح قصائـد البسـيط بين طـول النفـس وتوسّـطه. ومعدل القصيـدة الواحـدة عند «أحمد الدمستاني» 64,66 بيتاً. وعند أبيه «حسن الدمستاني» 56,42 بيتاً.

يتوسّـط النفس عند «سـلمان التاجر»، فمعدّل قصيدته 27,55 بيتاً، و«الوائلي» 12,83

(1) أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مصدر سابق، ص81، 210.

بيتاً. أما «إبراهيم الخليفة» فله قصيدة واحدة فقط صيغت على البسيط مجموع أبياتها 18 بيتاً. وأدنى الشعراء السبعة نفساً «جعفر الخطّي»، ومعدل قصيدته 10,14 بيتاً. بعضها قصائد طويلة وبعضها مقطوعات أو نتف.

وبربطنا حجم القصائد بالمضامين نجد أن الشاعِرَين الدمستانيين الأب والابن. وهما من ذوي النفس الطويل، اختصّت قصائدهما من البسيط بالرثاء. وساعدتهما مقاطعه، وتنوّع تفاعيله ـ فهو مزدوج التفعيلة ـ على التعبير عن عواطفهما، وصبّها في قالب وجداني. واكتسب هذا البحر مرونة في شعر الشعراء الخمسة الآخرين. فقد صاغا عليه قصائد ذات أغراض منوعة من غزل ومدح وما إليها.

الخفيف:

تصنّفه الدراسات الحديثة في المرتبة الثانية بالنسبة للشعر العربي القديم[1]. ويكاد يرد بنفس الحجم في شعر الشعراء السبعة. فنظم عليه ما يقرب من 10,07% من شعرهم. مع تفاوت واضح في الصياغة عليه.

وأكثرهم استخداماً له «سلمان التاجر»، في حدود ما عثرنا عليه من شعره، فهو يحتلّ المرتبة الأولى عنده. ونظم عليه ما يقارب 33,04% من شعره. ويليه «جعفر الخطّي»، فصاغ عليه ما يقرب من 16,42% من أشعاره. وصاغ «خليل بن علوي» 8,68% من قصيده عليه. ونظم عليه بقلّة كلّ من «حسن الدمستاني» بنسبة 3,91%، و«إبراهيم الخليفة» بنسبة 6%، و«الوائلي» بنسبة 3,31 تقريباً، ولم نجد لـ «أحمد الدمستاني» شيئاً من هذا البحر.

أطول الشعراء نفساً فيه «حسن الدمستاني»، ومعدّل القصيدة يقارب 57 بيتاً. هذا مع قلّة في الاتجاه إليه، فلم نجد له سوى قصيدتين فقط. أما «سلمان التاجر» فمع كثرة الاتجاه، وله ما يقارب العشرين بين قصيدة ومقطوعة ونتفة فإن معدل الواحد منها يقارب 45,62 بيتاً.

وكان «الخطّي» متوسط النفس، ومعدل قصيدته 28,14 بيتاً. والثلاثة الآخرون يكادون يتقاربون في معدّل الطول، فيصل متوسّط القصيدة عند «خليل بن علوي» 12,2 بيتاً، و«الوائلي» 11,75 بيتاً، و«إبراهيم الخليفة» 8,66 بيتاً.

نجد هناك نوعاً من العلاقة بين طول النفس ومضمون القصائد. وأكثر قصائد الخفيف طولاً اختصّت بفني الرثاء والمدح. واكتست الأخرى مرونة فاتسعت للعديد من الأغراض.

(1) أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مصدر سابق، ص88 و210.

الوافـر:

من بحور المرتبة الثانية في الشعر العربي القديم[1]. وورد في شعر الشعراء النموذج بنسـبة 6,82% وأكثرهـم نظماً عليـه «إبراهيم الخليفـة»، وبلغت نسـبته 21,4% تقريباً. يليه «جعفـر الخطّـي» بنسـبة تقـارب 10,92%. وأدناهـم نظمـاً عليه «سـلمان التاجـر» فلم تتعد نسبته 0.36%.

تتفاوت نسـبة طول النفس في هذا البحر من شـاعر إلى آخر، وحسـب المضمون إلى حدٍّ ما. ونلحظ صلة بين قلّة الاتجاه وطول النفس. وعلى سـبيل المثال فـ«حسن الدمستاني» ذو اتجـاه قليـل للوافر، له قصيدتـان فقط، إلا أن معـدل الواحد يبلغ 52,5 بيتـاً تقريباً. كذلك ابنـه «أحمد الدمسـتاني» لم نجد له سـوى قصيدة واحـدة تبلغ 57 بيتاً. كما يقترب «سـلمان التاجر» من هذا المعدّل[2].

فـي مقابـل ذلك وبالنسـبة للشـعراء الأربعـة الآخريـن نلاحظ زيـادة في الاتجـاه نحو الوافـر مع تقاصر النفس. فلـ «إبراهيم الخليفة» 93 بيتاً موزعة على خمس قصائد أي بمعدل 18,6 بيتاً، وللـ «خطّي» 262 بيتاً ينتظمها 14 قصيدة أي بمعدل 18,71 بيتاً، ولـ «الوائلي» 63 بيتـاً موزعة على سـت قصائد وقطـع أي بمعدل 10,5 بيتـاً، وأدناهم نفسـاً «خليل بن علوي» فله 87 بيتاً ينتظمها 13 قصيدة وقطعة أي بمعدل 6,69 بيتاً.

وعـن الصلة بيـن طول النفـس والمضمون نلاحظ أنـه يطول نفس قصيـدة الوافر كلما تمحّضـت للرثاء أو المدح، كمـا هو الحال عند «الدمسـتاني» و«إبراهيم الخليفة» و«سـلمان التاجر». ويكاد يقصر النفس كلما اتجه الشعراء نحو الأغراض الأخرى.

الرمل:

نظـم عليه شـعراء «البحرين» بشـكليه التام والمجزوء. وورد بنسـبة 5,74% في شـعر الشـعراء النمـوذج. ويـكاد يتسـاوى فـي درجـة اسـتخدامه عندهـم مـع الأقدميـن. وتعتبـره الدراسات الحديثة من بحور المرتبة الثالثة عند العرب[3].

أكثر الشـعراء السـبعة نظمـاً عليه «الوائلـي»، فقد نظم عليـه ما يقـارب 13,59% من

---

(1) أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مصدر سابق، ص86 و210.

(2) حصلنـا علـى ثمانيـة أبيـات فقط لـه صيغت علـى الوافر وهـي التـي أثبتناها فـي الإحصائية، ويذكـر مبارك الخاطـر في «المنتدى الإسـلامي»، ط1، مركز الوثائـق التاريخية، البحريـن 1981، ص120، الإحالة أن الأبيات من قصيدة طويلة ونرجّح أنّها في حدود الستين بيتاً.

(3) أنيـس، إبراهيـم، موسـيقى الشـعر، مصـدر سـابق، ص93 و210, وبحـور المرتبـة الثالثـة عنـده هـي الرمـل المتقارب والسريع.

مجموع شعره. ويتلوه كلّ من «خليل بن علوي» بنسبة 9,96% و«حسن الدمستاني» بنسبة 9,62%. وتقلّ نسبة النظم عليه عند الشعراء الآخرين. فـ«جعفر الخطّي» لم تتعد نسبة الصياغة عليه 3,6%، و«سلمان التاجر» 2,53%، و«إبراهيم الخليفة» 0,47% فقط. ولم نعثر على أي شعر لـ «أحمد الدمستاني» من هذا البحر.

يتفاوت طول النفس تفاوتاً واضحاً من شاعر إلى آخر وكذلك من غرض إلى آخر. وأطول الشعراء نفساً في الرمل «حسن الدمستاني». هذا مع ندرة في الاتجاه إليه. فله مطوّلة واحدة نُظِمَت عليه وبلغ عدد أبياتها 280 بيتاً.

يليه في طول النفس «خليل بن علوي» فصاغ 280 بيتاً موزعة على ست قصائد أي بمعدل 46,66 بيتاً.

يتقارب ثلاثة من الشعراء في طول النفس. فمعدّل قصيدة «التاجر» 18,66 بيتاً تقريباً. و«الخطّي» 14,33 بيتاً، و«الوائلي» 14,27 بيتاً. هذا مع اختلاف بينهم في نسبة الاتجاه.

وأقلّ الشعراء نفساً في النظم عليه «إبراهيم الخليفة». إذ لم يصلنا سوى بيتين.

هناك علاقة بين طول النفس وبعض الأغراض. فالقصيدة يطول نفسها كلما اتجهت للرثاء، وتقصر في بقية الأغراض. واكتسى هذا البحر مرونة، فقد نظم عليه العديد من المضامين.

السريع:

نظم عليه الشعراء السبعة بنسبة تقدر بـ 4,06% من مجموع أشعارهم ويعدّ «أحمد الدمستاني» أعلاهم معدّلاً في الصياغة عليه، وتبلغ النسبة عنده 16,88%. يليه «سلمان التاجر» الذي صاغ عليه بما يقدّر بـ 5,12% ثم كلٌّ من «حسن الدمستاني» 3,74%، و«الوائلي» 2,59%.

ألمّ به إلماماً قليلاً كلٌّ من «الخطّي» الذي استخدمه بنسبة 0,62%، و«خليل بن علوي» بنسبة 0,53% تقريباً. أما «إبراهيم الخليفة» فلم نجد له شيئاً على السريع.

رافق قلّة الاتجاه طول في النفس غالباً. فـ«لأحمد الدمستاني» 190 بيتاً انتظمتها قصيدتان أي بمعدل 95 بيتاً. ولـ «حسن الدمستاني» 109 أبيات احتضنتها قصيدتان أي 54,5 بيتاً للقصيدة الواحدة. ولـ «سلمان التاجر» 91 بيتاً احتوتها ثلاث قصائد أي بمعدل 30,33 بيتاً.

وتميّز كلٌّ من «الخطي» و«خليل بن علوي» بندرة الاتجاه وقصر النفس فللأول قصيدة واحدة لم تتجاوز 15 بيتاً. وللثاني 15 بيتاً انتظمتها ثلاث قصائد أو مقطوعات أي بمعدل 5 أبيات.

وهنـاك ارتبـاط بين طول النفـس ومضمون الرثـاء كما عنـد «الدمسـتاني» و«التاجر». ويقصر نفس الشعر كلما اتجه لأغراض أخرى.

الرجـز:

أكثر ما يسـتخدم شـعراء العربية هذا البحر في الأغراض التعليمية أو في الارتجال، لذا لـم يتجـاوز حظـه عنـد الشـعراء النمـوذج 1,35%، وأعلاهـم نسـبة فـي النظم عليه «حسـن الدمسـتاني» 6,35%، وأدناهم «الوائلي» 0,21%، أما «أحمد الدمسـتاني» و«سـلمان التاجر» و«إبراهيم الخليفة» فلم نعثر لهم على أيّ نظم فيه.

ويلاحـظ أيضـاً ـ من ناحيـة أولى ـ قلّـة الاتجـاه إليه، فـ«حسـن الدمسـتاني» منظومة واحـدة فقط عدد أبياتهـا 185 بيتاً. وهي ذات مضمون عقلي تعليمـي. ولـ «خليل بن علوي» ثـلاث بيـن قصائد وقطـع مجموعها 76 بيتـاً أي بمعـدل 25,33 بيتاً للواحـدة، وأطولها قصيدة مـن 65 بيتاً وهي فـي المديح الممـزوج بالرثاء. والأخريـان مقطوعتان إحداهمـا في الوصف والثانيـة في الهجاء. ولـ «الخطّـي» أرجوزة واحدة وهي في الوصـف. فالملاحظ أن الرجز من البحور القليلة الاستخدام عند الشعراء السبعة.

ومـن الناحيـة الثانية أن الرجـز، وإن ابتعد ـ فـي الغالب ـ عن الموضوعـات الجادة أو العاطفيـة إلّا أنه اسـتخدم في المنظومات خاصـة الدينية. كما تهيّأ لاحتضـان فنّ يكاد جديداً هو أراجيز الشعر القصصي وهي من المطوّلات.

ومـع انكمـاش حجمه عند الشـعراء السـبعة نلحـظ بـروز نَظَّاميـن كادوا يختصّون به، وربما جاز لنا تسميتهم بالرُّجَّاز وعلى رأسهم «قاسم الإصبعي» و«حسن المليلي».

البحور النادرة الاستعمال:

اسـتعمل الشـعراء النمـوذج بقيـة البحـور بندرة واضحـة، أي بأقـلّ من نسـبة 1% من أشعارهم. وأهمّها:

المتدارك: واسـتعملوه بنسـبة 0,95% ونظم عليه شـاعران فقط هما «سـلمان التاجر» بنسـبة تقـرب من 3.66% وصـاغ عليه قصيدة في المـدح من 81 بيتاً. كما نظم عليه «حسـن الدمسـتاني» منظومة واحـدة فقط عدد أبياتها 87 بيتـاً. وهي تنحو منحى عقليـاً. فمع تدني الاتجاه إليه يلاحظ طول النفس على أشعاره.

المتقـارب: لا تتعـدى نسـبة اسـتعماله 0,91% وقـد نظـم عليـه خمسـة شـعراء وهم «حسن الدمستاني» فله 76 بيتاً موزعين على قصيدتين أي بمعدل 38 بيتاً، وهما في المديح

وتتصدرهما مقدمة غزلية[1]. و«الخطّي» بنسبة 1,34%. ونظم عليه 32 بيتاً ضمن قصيدة بلغت أبياتها 30 بيتاً وهي في الحنين، ونتفة من بيتين في الوصف. واستخدمه «الوائلي» بنسبة 0,95% و«خليل بن علوي» بنسبة 0,92%، ونظم عليه «التاجر» بنسبة 0,58%.

تتفاوت أشعار المتقارب بين طول النفس ومحدوديته. ولكنه يكتسي مرونة باحتضانه العديد من المضامين الشعرية.

المجتث: لا يتجاوز ما صيغ عليه 0.43% ونظم عليه شاعران فقط، وهما «سلمان التاجر» صاغ عليه قصيدة واحدة في المدح من 56 بيتاً، و«خليل بن علوي» 14 بيتاً موزعة على ثلاث مقطوعات أي بمعدل 4.66% بيتاً. فالاتجاه إليه قليل والنفس فيه محدود.

المنسرح: استخدم بنسبة بسيطة جداً تقارب 0.14%، ونظم عليه شاعران فقط من السبعة هما «الخطّي» واستعمله بنسبة 0,75%، وصاغ عليه 18 بيتاً موزعة على أربع قطع أو نتف. أي بمعدل 4,5 بيتاً للواحدة. ونظم عليه «خليل بن علوي» مقطوعة واحدة من سبعة أبيات. وعلى ذلك فالاتجاه إليه متدنٍ، والنفس فيه محدود.

الهزج: أقل البحور استخداماً، فلم تتعد نسبته 0,13%. واستخدمه شاعر واحد فقط من السبعة هو «إبراهيم الخليفة» بنسبة 0,92%، وهي عبارة عن مقطوعة من أربعة أبيات.

ظواهر عروضية بارزة ومقارنات:

النهوض بمجزوءات البحور:

مع غلبة التام من البحور على شعر الشعراء النموذج نلحظ التفاتاً واضحاً للمجزوءات، خاصة بحري الكامل والرمل.

وبالنسبة للكامل نجد لـ «سلمان التاجر» 428 بيتاً منه. صاغ 236 بيتاً منها على مجزوئه، أي بنسبة 55,14% تقريباً، ولـ «الوائلي» 535 بيتاً من الكامل. نظم 69 بيتاً منها على مجزوئه أي بنسبة 12,9% تقريباً.

ويلاحظ طول النفس على مجزوءات الكامل. فـ«لسلمان التاجر» ثلاث قصائد معدل الواحدة 78,66 بيتاً. وبدا «الوائلي» أقصر نفساً، فله 5 قصائد أي بمعدل 13,8 بيتاً للواحدة.

وبتأملنا للرمل نجد أن أكثر استخدامه مجزوء، هذا مع الاقتران غالباً بطول النفس. فـ«حسن الدمستاني» ـ مثلاً ـ لم يستخدمه إلَّا مجزوءاً في حدود ما وصلنا من شعره. فله مطولة واحدة تبلغ 280 بيتاً وهي أطول قصائده على الإطلاق.

(1) الأولى في ديوانه ص85 وعدد أبياتها 62 بيتاً، والثانية في ص91 ولم يذكر منها إلا 14 بيتاً فقط، ويبدو أنها طويلة.

وعارضها «خليل بن علوي» بقصيدة طويلة جعلت 54,5% مما نظمه على الرمل من مجزوئه. كما عارضها «أحمد بن طعّان» بمطوّلة بلغ عدد أبياتها 388 بيتاً. وطول النفس واضح في مجزوء الرمل.

وإذا قارنّا هذه الحصيلة بما يذكره الدارسون من أن اعتماد مجزوء البحور كان قليلاً في القديم بصفة عامة[1]. وأن بعض شعراء العربية في القرن العشرين نهضوا به[2]. نجد أن شعراء البحرين أسبق المحدثين للالتفات للمجزوءات واستغلال ما فيها من طاقات فنية.

خصائص استخدام البحور:

يكاد يتوافق الاتجاه العام للشعراء النموذج مع الاتجاه العربي القديم في النظم على البحور. هذا مع ظهور اتجاهات مخالفة محدودة.

ورتّب «حازم القرطاجني» الأوزان حسب تواترها عند الأقدمين فقال: «الافتتان في بعضها أعمّ من بعض. فأعلاها درجة في ذلك الطويل والبسيط. ويتلوهما الوافر والكامل. ومجال الشاعر في الكامل أفسح منه في غيره. ويتلو الوافر والكامل عند بعض الناس الخفيف. فأما المديد والرمل ففيهما لين وضعف... إلخ»[3].

ونظرة في جدول رقم (1) تظهر أن الطويل احتفظ بمكانته الأولى ووقع تبادل بين مرتبتي الكامل والبسيط. فتقدم الكامل بفارق يبلغ 6% وهي نسبة ليست قليلة.

ووقع تبادل بين مرتبتي الوافر والخفيف. ونجد أن الخفيف بدأ يتقدم، واحتل المرتبة الأولى في شعر «سلمان التاجر». وتراجع الوافر. فبعد أن كان من بحور المرتبة الثانية ويكاد يعادل الكامل كما يرى «القرطاجني» وغيره[4]، نرى شعراء البحرين يبتعدون عنه بشكل عام، ويكاد أن يوازن نسبة الرمل. (الوافر استخدم بنسبة 6,64% والرمل 5,5% في شعر الشعراء السبعة).

ومع انكماش حجم الرجز عند أولئك السبعة نراه يزدهر وينهض على يد شعراء الفن القصصي، فقد اختصّوا به وكادوا يقتصرون عليه، خاصة «حسن المليلي» و«قاسم الإصبعي».

واقترن الفن القصصي الرجزي ـ وهو اتجاه شعري شبه جديد في مضمونه ـ بظاهرة

---

(1) أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ص119.

(2) الطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، مصدر سابق، ص36. ويصل إلى أن 16,2%من أشعار شوقي هي من المجزوءات ص35.

(3) القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، ص268.

(4) المصدر نفسه الصفحة نفسها، وأنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مصدر سابق، ص73 و81.

موسيقية طريفة وهي التنويع في البحور، ونعتقد أن ذلك التوجّه يستحق منا وقفة ولو قصيرة.

ظاهرة تنويع البحور في القصص الشعرية:

وإذا كان شعراء الموشحات عمدوا إلى تنويع البحور في إطار الموشحة الواحدة، فإن هذه الظاهرة ترتبط في شعر «البحرين»، بـ«قاسم الإصبعي» على وجه الخصوص[1]، وبغرض معين هو الشعر القصصي، وببحر خاص هو الرجز. وغالباً ما تأتي المطوّلة منوّعة القوافي مصرّعة الأبيات كما هو مطرّد في هذا البحر.

وبتأملنا ظاهرة تنويع البحور عند هذا الراجز، لاحظنا أنه ينتحي منحيين:

الأول: إنه يطعّم مطولاته ببحر واحد ويقتصر عليه. ونزع هذا المنزع في قصته (التتن) التبغ الأخضر والأصفر. ومجموع أبيات القصة حوالي 151 بيتاً من الرجز، وطعّمها بسبعة مقاطع من الطويل، يحتوي كل مقطع على ثلاثة أبيات، يلتزم فيها بوحدة الرويّ. وعادة ما تكون المقاطع تدخلات كمقولة أو حوار وقد تكون توجيهاً أو تهديداً أو دعاءً أو ما شابهها. مثال ذلك المشهد التالي وآثرنا أن ننقل جزءاً طويلاً نسبياً لتتضح الصورة. يقول واصفاً إحدى المعارك:

فَعِنْـــدَ ذَلِـــكْ بَـــرَزَ الـــمُنَدَّى[2] وَسَـــيْفُهُ يَضْـــرِبُ فيهِـــمْ قَـــدَّا
وَجَـــالَ بالعَضْـــبِ علـــى الأبْطَـــالِ والسَّـــهْمِ والخِطِّيَّـــةِ العَسَّـــالِ
ثُـــمَّ بَقَـــى بِسَـــيْفِهِ يَصُـــولُ عَلَـــى العِـــدَا بِشِـــعْرِهِ يَقُـــولُ
أَلَا فَابْلُـــغِ الأقْـــوامَ عَنِّـــي فإنَّنـــي أَصُـــولُ علـــى الأَعْـــدَا بِحَـــدٍّ يَمَانِـــي
والخَيْـــلُ تَعْـــرِفُ فـــي التَّصَـــادُمِ أَهْلَهَـــا فَوَيْـــلٌ لِهَـــذَا (الخِشْـــكِ)[3] حِيـــنَ يَرَانِـــي
وإنِّـــي أَنَـــا مِـــنْ نَسْـــلِ آسَـــادِ رَبْـــوَةٍ ولـــم يخطِفُونِـــي مِـــنْ بِـــلَادِ عُمَانِـــي[4]
أَتَـــى إلَيْـــهِ (الخِشْـــكُ) لَمَّـــا سَـــمِعَا وناشـــداً بِشِـــعْرِهِ مُرَجِّعَـــا

وحسبما وصلنا من شعر الإصبعي فقد اقتصر على التطعيم ببحر واحد فقط في هذه القصة وحدها.

---

(1) رجّحنا أنه من شعراء القرن الثامن عشر الميلادي. ولم يتح لنا التأكد هل هو أول من استخدم هذه الظاهرة أم هناك من سبقه.

(2) صنف من التبغ يدخّن رطباً بعد بلّه بالماء.

(3) لفظة دارجة تعني التبغ الذي يدخّن جافاً.

(4) تصوّر القصة صراعاً بين التبغ الأخضر (وهو عماني) والأصفر (أصفهاني) وربما تضمنت القصة رمزاً إلى الصراع السياسي العسكري الذي دار بين عمان وإيران على البحرين في القرن الثامن عشر وما بعده.

المنحـى الثاني: وفيه نجد الإصبعي يطعّم مطوّلاته بالعديـد من البحور. وهو المنحى الأكثـر شـيوعاً. وسـلكه فـي قصصـه الثلاث «قصـة الرطـب» و«قصة أحـد» و«قصـة طوق بن الصباح».

وتتمثل تنويعاته في «قصة الرطب» على النحو التالي:

- اسـتخدم 9 مقاطع من الطويل. سـبعة منها مكونة من ثلاثة أبيات وواحد من أربعة، وواحد من بيتين.

- مقطع من البسيط من بيتين.

- مقطع من المتقارب من بيتين.

- مقطعان من الوافر يحتوي كل مقطع على ثلاثة أبيات.

وتنويـع الأوزان فـي المطولات القصصية أضفـى طرافة بتعدد النغمـات الإيقاعية، كما خفّف القيود على الناظم بإلزام نفسه النظم على بحر واحد.

البند:

تزامـن مع ظاهـرة التنويع في البحور في الأراجيز القصصية ظهـور فن البند. بل إن ما وصلنـا مـن نصوصه أسـبق بما يزيـد على المئـة عام. ومن ثـم نرجّـح أن ظاهـرة التنويع في البحـور ربمـا كانـت خطـوة تمهيديـة ومهيـأة لظهـوره. وأنهـا ربمـا كانت أسـبق وجـوداً من «الإصبعي»، وأن نصوصها الأولى لم تصلنا.

ويـرى دارسـو البند ومنظّروه أنـه لون أدبـي ذو خاصيتين: الأولى أنـه يُبْنَى على جمل شـعرية، ويقـوم إيقاعه على أسـاس التفعيلة الواحـدة المتكـررة بحريّة تامـة[1]. وترى «نازك الملائكـة» ـ أن الحريـة فيـه تتيـح للشـاعر اختيار عـدد التفعيلات. فيجـيء الشـطر طويلاً أو قصيراً بحسـب رغبة الشـاعر وحاجة معانيـه[2]. وتذهب إلى أنه كلما تنوعت أطوال الأشـطر كان البند أكثر موسيقية وأصالة[3].

الخاصيـة الثانيـة: أنـه يُبْنَـى علـى أسـاس بَحْرَيـن همـا الهـزج والرمـل منفصليـن أو متداخلين[4].

وتعـذّر علـى المهتمين بدراسـة البنـد والمؤرخين لنشـأته تحديد زمن ظهـوره تحديداً

(1) جمال الدين، مصطفى، الإيقاع في الشعر العربي، مطبعة النعمان، النجف 1970، ص225.

(2) الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، دار الآداب، بيروت 1962، ص169.

(3) المصدر نفسه، ص177.

(4) المصدر نفسه، ص171 وما بعدها. وجمال الدين، مصطفى، الإيقاع في الشعر العربي، مصدر سابق، ص226.

دقيقاً. وأقدم ما عثروا عليه من بنود ناضجة، تنتمي للقرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي[1]. ووجد هذا الفن في جنوب «العراق» و«الأحواز» وفي «البحرين». ولم تعرفه البلاد العربية الأخرى[2].

تعذّر كذلك التعرّف على ظروف نشأته وأسباب ظهوره[3]. ويرجّح دارسوه ارتباطه في نشأته الأولى بالأغراض الدينية خاصة في مجالات الأذكار ومجالس المآتم. ثم اتسع بعد ذلك ليشمل أغراض الشعر العربي القديم من مدح وهجاء ورثاء وغزل وتصوّف وما إليها[4].

وجلّ ما عثرنا عليه من بنود لشعراء بحرانيين يكاد يقتصر على المدائح الدينية وقد تتصدّرها مقدمات غزلية.

وخلصت بعض الآراء إلى اعتباره من الناحية الفنية حلقة وسطى بين النظم والنثر، اقتضته شريعة التطوّر، وأوجده عامل الزمن الذي أوجد الموشّح والرباعيات وما شاكلها. كما اعتُبِر انتفاضة وثورة ضد عمود الشعر التقليدي[5]. وعدّه البعض الآخر أسلوباً شعرياً طريفاً أقام فيه الشاعر الوزن على أساس التفعيلية دون الشطر. واعتبروه نمواً من بحور الشعر العربي يضيف إليها جديداً ولا يخرج عنها في شيء[6]. ونظروا إليه على أنه أقرب أشكال الشعر العربي إلى الشعر الحر[7].

وفي اعتقادنا أن البند لا يرقى أن يكون انتفاضة أو ثورة شعرية، وهو لا يتعدّى كونه لوناً من التفنّن الشعري ربما أوحت به التجربة السابقة التي حاول فيها الشعراء النظم على عدة بحور ضمن إطار القصيدة الواحدة. هذا مع إبقاء الوحدات الإيقاعية لكل بحر منفصلة عن بعضها بعضاً.. وأعقب ذلك محاولة كسر الرتابة الإيقاعية الناتجة عن النظم على بحر واحد ذي وحدات إيقاعية متساوية، فتصرّفوا في عدد الوحدات طولاً وقصراً، حسب ذوق الشاعر وحاجة معانيه.

ولا نستبعد أن تجربة النظم على عدة بحور أظهرت لهم ما ينطوي عليه إدماج بعض البحور من طاقات. وأنهم ربما اكتشفوا ما تتضمنه تفعيلات بحري الهزج والرمل بالذات من

---

(1) الدجيلي، عبد الكريم، البند في الأدب العربي، مطبعة المعارف، بغداد 1959، المقدمة ص (خ) وص3، وجمال الدين، مصطفى، الإيقاع في الشعر العربي، مصدر سابق، ص224.

(2) المصدران نفسهما الأول ص(ض) والثاني ص224 والأحواز من مدن خوزستان.

(3) تُراجع عند الدجيلي، عبد الكريم، البند في الأدب العربي، مصدر سابق، ص(ث).

(4) المصدر نفسه، ص(ت).

(5) المصدر نفسه، المقدمة ص(ف) و(ش) و(ض).

(6) الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، مصدر سابق، ص169.

(7) المصدر نفسه، ص167 و173 و178.

حيويـة موسـيقية، وهما من البحـور الموحّـدة التفعيلة، وينتميـان لدائرة المجتلـب[1] ثم ما يتولّد عن المزاوجة بينهما من عذوبة نغمية مما ترتّب عليه مولد البند[2].

وترتبـط مـا عثرنـا عليـه مـن بنـود بحرانيـة بأسـرة معينـة هـي أسـرة «عبد الـرؤوف الجدحفصي» فجميع ما وقع بأيدينا منها لشعراء ينتمون لأجيال مختلفة من هذه الأسرة.

وتتراوح تلك البنود بين ثلاثة ألوان. فهي قد تكون من :

1. الهـزج الخالـص ومثالـه: قـول «خليل بن علـوي» من مقدّمـة غزلية لبنـد في مدح الإمام «عليّ»:

لَهُ خَدٌّ شَقِيقِيٌّ

لَهُ رِيقٌ رَحِيقِيٌّ

لَهُ قَدٌّ رَشِيقِيٌّ

وَلَحْظٌ ناعِسُ الطَّرْفِ

مَليحٌ كامِلُ الوَصْفِ

لَمَاه مثلُ صَهْبَا

بِهِ هَامَ الألِبَّا

وشَعْرٌ حَالِكُ اللونِ كَدَيْجُورِ

على صُبْحِ جَبِينٍ مُشْرِقِ النُّورِ

وفي حَاجِبِهِ الزَّجِّ

فُوَيْقَ الأعينِ الدُّعْجِ

فَلَا لَوْمَ على الصَّبِّ

إِذَا مَا صَارَ يَهْوَاهُ

---

(1) عـن التشـابه بينهما يُراجـع الملائكة، نـازك، قضايا الشـعر المعاصـر، مصدر سـابق، ص171؛ وجمـال الدين، مصطفى، الإيقاع في الشعر العربي، مصدر سابق، ص242.

(2) لـم نجد دارسـي البند ومنظّريه العراقييـن يلتفتون إلى أثر المزاوجة بين البحور في نشـأة هـذا الفن، رغم أن نـازك الملائكة في «قضايا الشـعر المعاصر» ص171 لا تشـك أن أول شـاعر كتب البنـد كان على علم بخاصية الجمـع بيـن بحري الهـزج والرمل وهمـا البحران الرئيسـيان فيـه. ولعل السـبب أن العديد من جوانب الشـعر العراقـي ما زالـت غيـر مدروسـة وأن نصوصـه التي تـزاوج بيـن البحور فـي القصيدة لم تكتشـف بعـد. ولعلّ ظاهرة وجودها في شعر «البحرين» يدل على وجودها في شعرهم لما بين البلدين من تأثير وتأثّر.

وقد مَاتَ لِفرقَاهُ

فإنَّ الميْتَ في الحُبِّ

شَهِيدٌ مَا لَهُ ذَنْبُ...[1]

فتفاعيل البند هي على وزن مفاعيلن وهي الوحدات الإيقاعية لبحر الهزج. ودخل الكثير منها الزحافات والعلل الشائعة في استعمالات هذا البحر.

2. ومن الرمل الخالص: هذا المقطع لـ «عبد الرؤوف الجدحفصي» في مدح الرسول ﷺ:

إِنَّمَا أشرفُ خَلْقٍ وَطَأَ الأرضَ مِنَ الخَلْقِ

لَنَبِيٌّ عَرَبِيٌّ

قرَشِيٌّ مَدَنِيٌّ

ورسولٌ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ الرُّسلَ. وقد زَادَ عليهم

وهو الأوّلُ بالفَضْلِ على كُلِّ نبيٍّ

وهو الآخرُ بالبعثِ إلى الأبيضِ والأسْوَدِ والشافعُ في الخاصِّ

وهو في العامِّ جَمِيعاً.

وهو المُبْرِئُ للأكْمَهِ والأبْرَصِ والأزمَنِ باللمْس[2]

فالأشطر كلها موقعة على وزن (فعلاتن) وهي تفعيلة بحر الرمل مع دخول بعض رحافاته عليها. وقد زاد التفاوت الواضح في أطوال الأشطر من موسيقية المقطع.

3. بنود يغلب عليها ازدواجية البحور: يحدث أحياناً أن يزاوج الشاعر بين وحدات بحري الهزج والرمل كقول «عبد الرؤوف الجدحفصي»:

---

(1) ديوانه ص69 والبند مكتوب في الأصل بطريقة النثر. ينظر أيضاً المثالان اللذان استشهد بهما مصطفى جمال الدين في الإيقاع في الشعر العربي، ص230 و233 وهما لعبد الرؤوف الجدحفصي.

(2) عثرنا في ثنايا المجموعات الخطّيّة وضمن مسودات المنتظم على عدّة بنود تنسب لعبد الرؤوف بن الحسين الجدحفصي. ويرجّح محمد علي التاجر أن بعضها من نظم الجدّ لا الحفيد. وحسبما يظهر فهناك ثلاثة أشخاص مختلفو الأجيال من الأسرة نفسها يحملون الاسم نفسه. وإذا صح ترجيح التاجر فإن أول بند مكتمل وصل إلينا هو من نظم عبد الرؤوف الجدحفصي، (ت 1006هـ/1597م) لا بند ابن معتوق (ت 1087هـ/1676م) كما يذكر الدجيلي في كتابه البند ص3.

1. (أَلَا يَا أَيُّهَا الحَادِي

2. ترفَّقْ بِفؤادِي)

3. (واحبِس الركْبْ)

4. (ولو حَلَّ عِقَالِ، فكليمُ الشَّوْقِ قد آنسَ بَرْقَ القُرْبْ.

منْ نَحْوِ حِمَى الحبّ

فَظَنَّ النُّورَ في الطُّورِ بجُنْحِ الليلِ نَارَا)

5. (فَغَدَا يقتبسُ النَّارَ كما ظَنَّ بنعلَيْهِ فَنُودي:

اخْلَعِ النَّعْلَ فَهَذَا رَبْعُ لَيْلَى

فانثَنَى مِنْ شِدَّةِ الدَّهْشَةِ حَيْرَان)[1]

فالشطر الأول من الهزج ضربه (مفاعيلن)، والشطر الثاني لم يتقيّد فيه الشاعر بتفاعل البحرين المذكورّين فجاء على وزن فعولن فعلاتن، والشطر الثالث رمل، وعقّب بالهزج وهكذا[2].

وقد لاحظ العروضيون أن تصوّر الازدواجية بين بحري الهزج والرمل في مثل البند السابق ناشئ من توزيع الفقرات إلى أشطر متخالفة الطول، مع الوقوف على سجعات اعتبرت بمثابة القوافي. وبإعادة الكتابة على وقفات أخرى أو تحريك أماكن الوقف تغدو القطعة السابقة من الهزج الخالص. يوضح ذلك ما يلي:

ألا يا أيْـ	يُّهَا الحَادِي	تـرفَّقْ بِـ فُؤادِي واحـ	
بِسِ الركَب	ولـو حَلَّ	عِقَالٍ فَـ ـكَلِيمُ الشَّوْ	
قِ قَـدْ آنَـ	سَ بَرْقَ القر	بِ مِنْ نَحْوِ	حِمَى الحُـبّ
فظنَّ النـو	رَ في الطُّورِ	بجُنْحِ الليـ	ـلِ نَارَا فَـ
ـغَدَا يقتـ	ـبُس النارَ	.....	

(1) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج3 ص218؛ والدجيلي، عبد الكريم، البند في الأدب العربي، مصدر سابق، ص10؛ وجمال الدين، مصطفى، الإيقاع في الشعر العربي، مصدر سابق، ص238.

(2) يُراجع جمال الدين، مصطفى، الإيقاع في الشعر العربي، مصدر سابق، ص238.

فالنظر إلى البند كقطعة واحدة دون الأخذ بالأشطر والقوافي يجعلها من الهزج الخالص[1].

بقيت للبند ميزة يجدر ذكرها وهي أن له قافية واحدة في نهايته أو في نهاية بعض مقاطعه. وعادة ما تكون مفتوحة وأشهر بنود عبد الرؤوف الجدحفصي انتهت مقاطعها بميم مشالة. فمقطع الأول «مراما» والثاني «لزاما» والثالث «ترامى» والرابع «حساما» والخامس «الخزامى» والسادس «ضراما»[2]. وقد وجدناها جلّها مقتضية للفتحة فهي إما في حالة نصب أو منتهية بألف مقصورة.

أما أشطر البند فقد تلتزم قافية موحّدة أو مزدوجة أو حرّة، وقد لا تلزم قافية أصلاً[3].

وفي واقع الأمر كان البند وليد محاولات استثمار البنية الإيقاعية التقليدية بابتكار تشكيلات نغمية جديدة وتوليد أنماط موسيقية طريفة. ولا يمكن عدّه خروجاً أو ثورة على ذلك الصرح المتجذّر والأصيل من تقاليد وقيم فنية موروثة. وأقصى ما فيه أنه إضافة لمسات مبتكرة ترسّخ ذلك التراث وتعمّق جذوره وتكشف ثراءه وقدرته على التطوّر دون المساس بأخص خصائصه وهو الوزن والتفعيلات. وقد اقتضى ذلك تغيّر الحس الشعري، والرغبة في الإضافة والتجديد.

واعتبر بعض الدارسين النقّاد البند أقرب أشكال الشعر العربي إلى الشعر الحرّ[4]. وعدّ البعض الآخر الشعر الحر الوليد الشرعي للبند. هذا مع اقتصار الأخير على بحري الرمل والهزج، وانفتاح دائرة إيقاع الشعر الحر على جميع بحور التفعيلة الواحدة المتكررة[5].

ومما لا شك فيه أن لفن البند أثراً واضحاً في حركة الشعر الحرّ العربية والمعاصرة وعلى الخصوص في «العراق» و«البحرين»[6].

---

(1) لمزيد من التفصيل في تصوّر الأسباب الموحية بالمزاوجة بين بحري الهزج والرمل يُراجع جمال الدين، مصطفى، الإيقاع في الشعر العربي، مصدر سابق، ص242 وما بعدها.

(2) يُراجع الدجيلي، عبد الكريم، البند في الأدب العربي، مصدر سابق، ص11 – 16.

(3) جمال الدين، مصطفى، الإيقاع في الشعر العربي، مصدر سابق، ص255.

(4) الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، مصدر سابق، ص167 و178.

(5) جمال الدين، مصطفى، الإيقاع في الشعر العربي، مصدر سابق، ص257.

(6) نشطت في البحرين تجربة الشعر الحرّ خاصة في الستينات ودرس د.علوي الهاشمي أبعادها وخصائصها في بحث تقدّم به لنيل درجة دكتوراه الدولة من الجامعة التونسية وهو بعنوان (تجربة الشعر المعاصر في البحرين).

ثانياً: القوافي:

القافيـة عنصـر حيوي فـي إيقاعية الفن الشـعري بما تضفيـه من رنين موسـيقي أخّاذ علـى جو النـص. ويقصد بها في أبسـط معانيها الأصـوات المتكررة التي يلتزم بها الشـاعر في أواخر الأشطر والأبيات[1].

حروف الروي:

اسـتخدم شـعراء «البحرين» الذين اعتبرناهـم النموذج جلّ حـروف المعجم تقريباً رويّاً لأشـعارهم. العذب منها والنافر. الشـائعة الاسـتعمال والنادرة، حيناً لما لها من جمال صوتـي أو وفـرة فـي اللغـة، وحينـاً لإظهـار المقـدرة اللغويـة. ويبيّـن الجـدول (2) نسـبة استخدامها[2].

وكما هو واضح فإن الشعراء استخدموا الحروف بنسب متفاوتة.

حروف المرتبة الأولى:

وهي الشـائعة الاسـتعمال. ويأتي على رأسـها الدال، يليهـا اللام، فالباء، فالـراء، فالنون، فالميـم. وبالمقارنـة بين أعلاها اسـتعمالاً وأدناها نلاحظ أن الدال اسـتخدم بما يعادل ضعف الميم.

ولعـلّ السـبب فـي شـيوع تلـك الحـروف كثـرة ورودها فـي أواخـر الكلمـات. وما تتضمّنـه مـن قيم جماليـة ومؤثـرات صوتية عذبة. وهـي تتسـم بالوضوح السـمعي، وأنها أصـوات أغلبهـا شـديدة؛ كالبـاء والـدال[3]، أو تتراوح بيـن الشـدة والرخاوة كالـلام والراء والنون[4].

حروف المرتبة الثانية:

وهـي متوسـطة الاسـتخدام. ويأتي فـي مقدّمتها الهمـزة يليها القـاف، فالعيـن، فالتاء، فاليـاء، فالـكاف. وتكشـف المقارنة الداخلية فيما بينهـا أن رويّ الكاف اسـتخدم بمقدار ثلث رويّ الهمزة تقريباً.

---

(1) أنيس، إبراهيم، موسـيقى الشعر، مصدر سـابق، ص273. والطرابلسـي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، مصدر سابق، ص38.

(2) في الصفحة 419.

(3) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط2، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة 1981، ص45 و48.

(4) المصدر نفسه، ص64 و66.

جدول (2) حروف الروي مرتبة حسب عدد الأبيات في شعر الشعراء النموذج

حروف المرتبة الأولى			حروف المرتبة الثانية		
الحرف	عدد الأبيات	الترتيب	الحرف	عدد الأبيات	الترتيب
الدال	2275	1	الهمزة	615	7
اللام	1852	2	القاف	607	8
الياء	1516	3	العين	541	9
الراء	1483	4	التاء	397	10
النون	1219	5	الياء	317	11
الميم	1143	6	الكاف	218	12

حروف المرتبة الثالثة			حروف المرتبة الرابعة		
الحرف	عدد الأبيات	الترتيب	الحرف	عدد الأبيات	الترتيب
الحاء	197	13	الضاد	53	18
السين	121	14	الشين	40	19
الهاء	115	15	الذال	31	20
الفاء	90	16	الخاء	23	21
الألف المقصورة	81	17	الزاي	23	22
			الجيم	22	23
			الثاء	18	24
			الطاء	8	25
			الصاد	4	26
			الواو	4	26

حروف المرتبة الثالثة:

وهـي القليلة الاسـتخدام. ويمثلهـا على التوالي الحاء، والسـين، والهـاء، والفاء، والألف المقصورة. واستخدمت الألف المقصورة رويّاً بنسبة تقلّ عن النصف بالنسبة لرويّ الحاء.

حروف المرتبة الرابعة:

وهي النادرة الاسـتعمال. وتتشكّل من الضاد، فالشـين، فالذال، والخاء، والزاي، والجيم، والثاء، والطاء، والصاد، والواو.

ولعلّ السـبب في نـدرة التعويل عليها كـرويّ أنها حروف نافرة عصيّة الاسـتخدام لقلّة ورودهـا في أواخـر الكلمات، وربما لفجاجة أصواتها. ونحسـب أن أكثر الشـعراء نظموا عليها إظهاراً للبراعة وتدليلاً على المقدرة اللغوية.

والحرفان الوحيدان اللذان لم نجد أي نظم عليهما إطلاقاً هما الظاء والغين.

حركة الرويّ:

مـن الجوانـب ذات التأثيـر الإيقاعي وضع الرويّ مـن حيث الحركة والسـكون، وهو ما اصطلح على تسميته بالقوافي المطلقة والمقيّدة.

ولا يختلـف «شـعر البحريـن» عـن الاتجـاه العـام للشـعر العربـي فـي تفـوّق القوافـي المطلقة[1]، ويبين جدول القوافي رقم (3) نوعية القوافي ونسبتها في شعر الشعراء النموذج[2].

القوافي المطلقة:

ويتضـح تفوّقهـا علـى المقيّدة، بشـكل واضح ويبـرز تفوّق بعـض أنـواع المجرى على البعض الآخر.

فمجـرى الكسـرة يتقـدّم غيـره. وبلغ معـدل النظـم عليـه 41,7%، أي أكثر مـن الثلث واحتـل الترتيـب الأول في شـعر أربعة شـعراء من السـبعة وهـم «جعفر الخطّي»، و«حسـن الدمستاني»، و«الوائلي».

مجـرى الضمّـة: ويأتي في المرتبة الثانية. وبلغ معدل النظـم عليه حوالي 29,16% أي مـا يقـارب الثلث. ومـع تأخره في الاتجـاه العـام، إلا أنه يحتـل المرتبة الأولى في شـعر ثلاثة شـعراء. هـم «خليل بـن علـوي»، و«سـلمان التاجـر»، و«إبراهيـم الخليفـة». واحتـل المرتبـة

(1) أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مصدر سابق، ص289.

(2) يراجع الجدول 2 ص 419.

الأخيرة في شعر «الوائلي»، ولم يستخدمه سوى بنسبة 3,45% أي إنه أقل حتى من مجرى السكون.

ومع تفوق مجرى الكسرة في التوجه العام، إلا أنها تظل تتعارض مع مجرى الضمة في المرتبة كما رأينا في شعر الثلاثة الأخيرين. وكان هذا الاتجاه هو الغالب على شعر الأقدمين[1]. ولعلّ تعليل ذلك هو ما للكسرة والضمة من قوة. فمخرجهما من أقصى الحلق. وذهب بعض الدارسين إلى تعليل ما في هذين المجريين من قيمة جمالية ومؤثرات نغمية[2].

مجرى الفتحة: استخدم بنسبة 19,81% أي بمعدل الخمس. وهذه النسبة تكاد تتفق واتجاهات الأقدمين[3]. ويحتل مجرى الفتحة المرتبة الثالثة في شعر ستة من الشعراء السبعة. وقد تفرّد «الوائلي» في تقدّم مجرى الفتحة عنده على الضمة، فجاء 20,11% من شعره عليها. فاحتل بذلك المرتبة الثانية. وإذا كان الشعراء الستة يغلب عليهم منزع القدماء، فإن «الوائلي» يغلب عليه منزع المحدثين[4]. هذا مع ملاحظة أن «حسن الدمستاني» قد تقارب عنده مجريا الفتحة والضمة.

وعلى أية حال يبدو أن مستوى تواتر مجرى الحركات الثلاث متلائم مع قوتها. فأقوى الحركات هي الكسرة تليها الضمة فالفتحة. ولا جدال في أن التزام حركة الرويّ في كامل القصيدة وتكرار حرف بعينه يضفي إيقاعاً موسيقياً محبباً، ومؤثرات صوتية جميلة.

القوافي المقيّدة:

ضئيلة الحجم بالقياس إلى المطلقة. وتبلغ نسبة النظم عليها كمجرى عند الشعراء النموذج 9% تقريباً. وهي تقترب من نسبتها عند الأقدمين التي قُدِّرت بـ 10%[5].

ويتفاوت معدّلها عند الشعراء السبعة. وأعلى معدّل لها هو 18 % في شعر «حسن الدمستاني». وأدناه 0.92 % عند «إبراهيم الخليفة».

---

(1) يذكر شكري عيّاد في «موسيقى الشعر العربي»، ط1، دار المعرفة، مصر 1968 ص112 أنه تتبع القوافي المطلقة في كل من اللزوميات وديوان البحتري، فوجد القوافي التي أجريت على الفتحة تقارب نصف التي أجريت على الضمة والكسرة.

(2) يُراجع رأي عبد اللّه الطائي وتعليل شكري عيّاد عليه في المصدر نفسه، ص112 و113.

(3) يُراجع بالإضافة إلى المرجع السابق ص112 الطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، مصدر سابق، ص40 إحصائيات ابن الشيخ.

(4) يشير الطرابلسي في خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص40 إلى تقدّم المجرى المفتوح عند أحمد شوقي ويُراجع المجرى المضموم وهذا على خلاف الأقدمين – كما رأينا – والوائلي من شعراء المرحلة الأخيرة في الفترة المدروسة.

(5) أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مصدر سابق، ص289.

وبتأملنا لأسلوب استعمالها عند «حسن الدمستاني» نلاحظ:

- أن الشاعر استخدمها في ستّ قصائد مجموع أبياتها 524 بيتاً. أي أن معدل القصيدة الواحدة 87.33 بيتاً فهي طويلة.
- أن أكثر استخدامها مع رويّ النون (قصيدتان)، ومع أوزان قصيرة نسبياً (المتقارب ومجزوء الرمل).

جدول رقم (3)

جدول القوافي المطلقة والمقيّدة في شعر الشعراء

النموذج مرتّب حسب النسبة المئوية في شعر كل منهم

		الرويّ المطلق			الرويّ المقيد
الرقم	**الشاعر**	**مجرى الكسرة**	**مجرى الضمة**	**مجرى الفتحة**	**مجرى السكون**
1	جعفر الخطي	53.04	24.01	18.10	4.85
2	حسن الدمستاني	45.31	15.9	14.46	18
3	أحمد الدمستاني	32.71	31.55	26.13	9.6
4	خليل بن علوي	32.5	43.01	13.6	10.9
5	سلمان التاجر	31	39	23.5	6.7
6	إبراهيم الخليفة	29.03	47.23	22.81	0.92
7	الوائلي	68.31	3.45	20.11	8.11
	المجموع	291.9	204.15	138.71	59.08
	المعدّل	41.7	29.16	19.81	8.44

بجبر الكسور وجمع مجرى الحركات يظهر أن:

مجموع الرويّ المطلق يساوي 91 % تقريباً.

مجموع الرويّ المقيّد يساوي 9 % تقريباً.

- جنح الشاعر إلى تعويض مجرى السكون بالردف. واستخدم الألف ردفاً في قصيدتين[1]، والباء ردفاً في اثنتين أيضاً[2]. الأولى قافيّة والثانية نونيّة، والتزم في الأخيرة علاوة على الردف بفتح ما قبله.
- استعمل التوجيه مرة واحدة فالتزم بتحريك ما قبل الرويّ بفتحة، وسبقها بحركة نوّعها بين الفتحة والكسرة والضمة، وذلك طوال القصيدة[3].
- عوّل على الوصل والخروج لتعويض سكون الرويّ. فأتبعه بالهاء المكسورة[4] وهو ما يسمى بالنفاذ.

كما أن «إبراهيم الخليفة» ـ وهو أقل الشعراء استعمالاً للقافية المقيّدة ـ عمد إلى التأسيس والرسّ، فحرّك ما قبل ألف التأسيس لتعويض سكون الرويّ[5].

وفي العموم اعتنى الشعراء بإضفاء كل ما من شأنه إشاعة الحيوية والفاعلية على الرويّ المقيّد.

ثراء القافية:

مع مجيء الكثير من القوافي مجرّدة بالاكتفاء بتكرار حرف الرويّ ومجراه نرى في الوقت ذاته ميلاً واضحاً لدى الشعراء بإضافة ذيول تثرى إيقاع القافية وتزيد من غناها فاستخدموا:

- الردف وأكثروا من الألف على وجه الخصوص.

من ذلك قول «الوائلي»:

[خفيف]

صَافِحِ السَّعْدَ في رِضَا الأحْبَابِ وارشفِ الشَّهْدَ من رَحيقِ الرضَابِ[6]

ومما ورد فيه الردف واو أو ياء بالتقارض ـ وهذا أمر يجيزه العرضيون ـ قول «حسن الدمستاني»:

---

(1) تُراجعان في ديوانه ص85 و91.
(2) تُراجعان في المصدر نفسه، ص78 و193.
(3) تنظر قصيدته البائية (سريع) في ديوانه ص88.
(4) تنظر قصيدته البائية (بسيط) ص82.
(5) يُراجع ديوانه ص67 رقم 18.
(6) ديوانه ص147 يُراجع أيضاً ص152 و168 و179 المقطوعة (هـ) و180 (ز) و180، وديوان حسن الدمستاني ص73 و75 و111 و114، وشعر أحمد الدمستاني ن. م ص225، وشعر التاجر في الرياض ص282 و335.

[طويل]

مَتَــى لاحَ مــن نَحْــوِ الغَمِيــمِ بُــرُوقُ عَرَانِــيَ فِكْــرٌ بالغُمُــومِ طَــرُوقُ
وإنْ عَــنَّ لــي مَــنْ بِالعَقيــقِ وحَاجِــرٍ جَــرَى مــن أَمَاقِــي الــمُقْلَتَيْنِ عَقِيــقُ[1]

وقـد يجمع الشـعراء إلى الردف الوصـل فيزداد الإيقـاع وتثرى الموسـيقى، ومما جمع بين الردف والوصل بالهاء قول «الوائلي» من قافية الراء:

[طويل]

حَــوَى حُسْــنُهَا لُبِّــي فَمَــاذَا يُضِيرُهَــا إِذَا اقتربَــتْ مِنِّــي وَفَــاحَ عَبِيرُهَــا[2]

وعوّلوا على التأسيس كقول «إبراهيم الخليفة»:

[طويل]

أَشَــاقَكَ مــن أُفْــقِ العِــرَاقِ لَوَامِــعُ بُــرُوقٌ تَعَالَــتْ أو نُجُــومٌ طَوَالِــعُ[3]

وأرفقـوه بالوصـل فـي الكثيـر مـن الأحيـان. ومـن الموصـول بالكسـرة المشـبعة قول «الوائلي»:

[طويل]

نعــم لا تُلَاحِينــي فلســتُ بِصَابِــرٍ وقـد قَـلَّ أَنْصَـارِي فكـنْ أنـتَ نَاصِـرِي[4]

ومن التأسيس الموصول بالهاء قول «إبراهيم الخليفة»:

[طويل]

عَلَـى الدهـرِ لـي عَتْـبٌ فَهَـلْ هُـوَ زَائِلُـهْ ولــي عِنــدَهُ حَــقّ فَهَــلْ أَنَــا نَائِلُــهْ؟[5]

عيوب القافية:

مع تمكّن الشـعراء النسـبي من فنّهم الشـعري والتزامهم بقوانين القافية وقع بعضهم في عيوبها. وأبرزها:

الإيطـاء: فقـد كرّر «حسـن الدمسـتاني» لفظـة القافية خلال سـبعة أبيـات وهو الحد المسموح به[6] كما قلّص هذه المسافة في قصيدة تتسم بالطول[7].

---

(1) ديوانه ص105 يُراجع أيضاً ص107 و135، وشـعر التاجر فـي الرياض ص278 و338، وديوان إبراهيم الخليفة ص81.

(2) ديوانه ص181. يُراجع أيضاً ديوان حسن الدمستاني ص97 و126.

(3) ديوانـه ص34 ويُراجـع أيضـاً ص50 و54 و56 وكذلـك ديـوان حسـن الدمسـتاني ص133 و144، وشـعر ابنـه حسن الدمستاني ن. م ص231.

(4) ديوانه ص57 يُراجع أيضاً ص192.

(5) ديوانه ص41.

(6) ديوانه ص193 البيت 6 و12.

(7) يُراجع البيتان 24 و28 وكذلك البيتان 36 و40.

الإكفاء: يحدث في أحيان قليلة «أن يدرج الشاعر حرفاً متقارباً في المخرج مع رويّ القصيدة وغالباً ما يقع ذلك بين حرفي الذال والدال»[1].

الإقواء: يحرّك الشاعر المجرى بحركتين مختلفتين. فقد أدرج «عبد المنعم بن محمد» رويّاً مضموم المجرى ضمن قصيدة مكسورة الرويّ[2]. ولعلّه جرّ خبر المبتدأ ـ وهو قافية ـ للضرورة الشعرية، وهو تجاوز مباح لقواعد النحو العربي.

التنويع في القوافي:

تنويع القوافي ظاهرة قديمة ظهرت بعض أشكالها على استيحاء ـ منذ العصر العباسي أو قبله[3]. وظلّ الشعراء يتفنّنون في ألوانها وإن ظلّت محدودة الحجم بالقياس إلى الشعر الموحد القافية.

ونهض شعراء «البحرين» ـ ومنذ مطلع الفترة المدروسة ـ بهذا اللون الشعري نهضة واضحة[4] مستغلين ما فيه من طاقات فنية ومرونة للعديد من الأغراض. كما عوّلوا عليه كلون من التفنّن النغمي لكسر الرتابة الناجمة عن النغم المتشابه والمتولّد عن القافية الموحدة.

ويلاحظ أن ظاهرة التنويع في القوافي انحصرت في الغالب بقصائد تتسم بأنها ذات موضوع تعليمي أو مقارب له كالشعر التاريخي والقصصي. وهي تتميز بوحدة الموضوع. وأكثرها استخدم أوزاناً قصيرة نسبياً كمجزوء الرمل والسريع والرجز. كما تتسم بطول النفس وأغلبها مطوّلات.

وزادت القوافي المنوعة من موسيقية الشعر في بعض الأحيان، وخفّفت على الشاعر من قيود القافية الموحدة.

وتتمثل أبرز أشكال القوافي المنوعة[5] في شعر «البحرين» في:

---

(1) تُراجع على سبيل المثال قصيدة علي البلادي في الرياض ص405 البيت 32، والمقتل ص260 البيت 12، وقصيدة التاجر في الرياض ص303 البيت 21، وديوان الوائلي ص104 البيت الثالث.

(2) محفوظ، حسين، المنتخب من أدب البحرين، مصدر سابق، ص21 يُراجع البيت الثاني.

(3) ابن رشيق، العمدة، مصدر سابق ج1 ص178 وما بعدها. يُراجع المسمّط والمخمّس. وأنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مصدر سابق، ص332.

(4) اعتبر عبد اللّه الطائي في كتابه «الأدب المعاصر في الخليج العربي»، مصدر سابق، ص43 هذا النمط الشعري من تجديد شعراء مطلع القرن العشرين، وأن شعراء الخليج العربي أخذوه من الشعراء المشارقة والدعوات التجديدية التي نادت بها الصحف العربية آنذاك. وعوّل على هذا الرأي ماهر فهمي في كتابه «تطوّر الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج» مصدر سابق، ص53 مع التوسّع شيئاً في ذكر من نادى بتلك الدعوات. ونعتقد أننا لسنا بحاجة إلى تأكيد قدم هذه الظاهرة، أو أن شعراء البحرين وربما غيرهم أحيوها قبل مطلع القرن العشرين.

(5) ذكر أنيس، إبراهيم في كتابه «موسيقى الشعر»، مصدر سابق، ص331 مسمياتها وضروبها.

المزدوج:

وفيه يقترن تنويع القوافي بتصريع الأبيات وانحصر النظم فيها على بحر الرجز.

وقد استثمر الشعراء ما فيها من مرونة لنظم المتون التعليمية ـ الطويلة. كأرجوزة المعارف الخمس لـ «حسن الدمستاني» والمسماة بـ«تحفة الباحثين في أصول الدين». وأرجوزة «شارحة الصدور» لـ «حسين العصفور» وهما في مباحث العقيدة[1].

كما استغلّت سهولتها ويسرها لنظم الشعر القصصي. وعليها صاغ «قاسم الإصبعي» قصصه الأربع الرجزية.

المسمّطات أو القصائد المربّعة:

ويمكن اعتبارها حداً وسطاً بين نزعة التحرّر من القافية الموحّدة والالتزام بها. فقد أتت كل ثلاثة أشطر مصرّعة القوافي مختلفتها من مقطع إلى آخر مع تقيّد الشاعر بتوحيد قافية الشطر الرابع طوال القصيدة. وعلى هذا الأساس فهي ذات قافية رئيسية موحّدة مع تعدد القوافي الفرعية، وهي بالتالي تشبه المسمّط والموشّح.

واستثمر الشعراء ما في هذا الضرب من طاقة فنية، ومرونة في صياغة مراثٍ طويلة في الهاشميين. تناولوا فيها الأحداث التاريخية المأساوية بإسهاب.

ولعل أقدم ما عثرنا عليه من قصائد مربعة وأشهرها، مطولة «حسن الدمستاني» التي نظم فيها واقعة «الطّف»، وسُمّيت بالمقتل[2]. وهي من مجزوء الرمل ومطلعها:

أَحْـرَمَ الحُجَّـاجُ عـن لَذَّاتِهِـمْ بَعْـضَ الشُّـهُورْ وَأَنَـا المُحْـرِمُ عـن لَذَّاتِـهِ كُلَّ العُصُـورْ
كيـفَ لا أُحْـرِمُ دأبـاً نَاحِـراً هَـدْيَ السُّـرُورْ وَأَنَـا فـي مِشْـعَرِ الحُـزْنِ علـى رزءِ الحُسَـيْنْ

والتزم الشاعر بتكرار قافية النون المردوفة بالياء طوال القصيدة البالغة 280 بيتاً.

وتجلّى إعجاب الشعراء بها من خلال مجاراة الكثير منهم لها. ونذكر منهم «خليل بن علوي»[3] و«أحمد بن طعّان»، و«سلمان التاجر»[4].

---

(1) ذكرنا شواهد منها في شعر العقيدة. يُراجع ص141 وما بعدها. وتُراجع الأولى في ديوان الدمستاني ص54.

(2) اصطلحت المصادر والمراجع التي ذكرتها على تسميتها بالمربّعة. يُراجع البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص218 والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج5 ص261، وما ذكره مقدّم الديوان بشأنها في ص49 وقد وردت في ص193 منه.

(3) يُراجع ديوانه ص12.

(4) يُراجع على التوالي البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص135 و333. ولأحمد =

كما استثمر شعراء الفن القصصي مرونة هذا الشكل، وطاقاته الفنية فصاغوا عليه بعض قصصهم. كقصة «حرب السمك» لـ«حسن المليلي».

المخمّسات:

وتتشابه مع المربّعة في تنوّع قوافي الأشطر. وتخالفها في مجيء القافية الرئيسية الموحدة كل أربعة أشطر. ويكثر هذا النمط في شعر «البحرين». وعادة ما تكون الأشطر الثلاثة الأولى من نظم الشاعر، والشطران الأخيران من نظم شاعر آخر. وجعلها الناظم أصلاً، لتعلّقه وإعجابه بالأبيات الأصلية.

وقد ساعد التحرر من قيود القافية الموحدّة على إطالة نفس القصيدة وصياغة مطوّلات تنوف على الألف بيت. وأطول تخميس عثرنا عليه هو لـ«سلمان التاجر». فقد خمّس قصيدة معاصره الشاعر البحراني «طه العرادي» وهي في مدح الرسول ﷺ والإمام «عليّ». وزاد عدد أبياتها على الألف ومئتي بيت. واستعرض خلالها أهم الأحداث التاريخية التي عاشاها، وتغنّى بفضائلهما وانتصاراتهما ومطلعها:

[خفيف]

شَمْسُ حُسْنٍ يُسْبِي العُقُولَ بَهَاهَا مَلأَ الكَوْنَ نُورُهَا وَسَنَاهَا
لو تبدَّتْ لنا ضُحًى من خِبَاهَا (عَبقَ الحَيُّ من عبيرِ شَذَاهَا
وَأَضَا الأُفْقُ من بَهَاءِ ضِيَاهَا)[1]

وأضفى تنوّع القوافي والمدّ خصوصاً جوّاً موسيقياً له رنين جذّاب.

وإذا كانت الأنماط السابقة تكشف عن رميل للتحرّر من قيود القافية فهناك اتجاه لترسيخها وتعميق أبعادها وإن كان في نطاق ضيّق صنع «حسن الدمستاني» في إلزام نفسه بالياء ردفاً للرويّ في إحدى قصائده، وتجنّب استخدام الواو مع جواز ذلك[2].

وألزم «عليّ بن حمّاد البرباري» نفسه بتصريع جميع الأبيات برويّ واحد للضرب ورويّ آخر للعروض. فقال[3]:

[بسيط]

للّهِ قومٌ إِذَا ما الليلُ جَنَّهُمُ قَامُوا مِنَ الفُرْشِ للرحمنِ عُبَّادَا

= الدمستاني قصيدة مربعة من السريع بنَى قافيتها الرئيسية على روي الباء تُراجع في ديوان حسن الدمستاني ص250.

(1) البيت المضمّن هو الذي بين القوسين.

(2) ديوانه ص78.

(3) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 627.

ويركبـــــــونَ مَطَايَـــــــا لا تَمَلَّهُـــــــمُ إذا هُـــمُ بمنـــادِي الصبـــحِ قـــد نَـــادَى

ولعـلّ الشـاعرين التزمـا بذلـك لما فيهما مـن مؤثرات نغمية وانسـجام بعيـد ناتج عن توحّد الأصوات، وإما إظهاراً للمقدرة الفنية.

كانـت تلـك أهـم ملامـح موسـيقى الأوزان والقوافـي. وعـلاوة عليهـا اعتنـى شـعراء «البحرين» بموسـيقى الحشـو. تلك التـي اصطلح علماء البلاغة على تسـميتها بفنـون البديع. ولاعتبـارات منهجيـة وموضوعية ـ على رأسـها التعرّف على مدى ميل الشـعراء إلى اسـتخدام تلـك الفنـون ـ ارتأينـا إفرادهـا بباب خـاص، على أن يلي هـذا الباب مباشـرة رغبة فـي إيجاد شيء من الاتصال.

الفصل الثالث

فنـون البـديـع

تحـوّل الشـعر العربي فـي العصر المسـمّى بالانحطـاط ـ الـذي تقع فترتنا المدروسـة ضمن حدوده ـ إلى زخارف شكلية تخلو من المضامين الفكرية الرفيعة بسبب تركيز الشعراء اهتمامهـم علـى تزييـن البنيـة الخارجيـة للنـص. وعمـد الشـعراء في عصـر الانبعـاث إلى ردّ الاعتبار إليه، فوجهوا عنايتهم للمضمون مع عدم إهمال الشكل.

وقد انعكست تلك الظاهرة على شعر «البحرين». ومع ذلك التأثّر كان لهم خصائصهم. ولعـلّ الانطبـاع الأول الـذي يخـرج به قارئ ذلـك الشـعر أن أصحابه مـع اهتمامهـم بالناحية التزيينية اعتنوا أيضاً بالمعنى وبالقدر نفسـه. وهم بأخذهم بالتوجه الزخرفي لم يسـرفوا فيه إسـرافاً واسـعاً. وقد اسـتخدموا أكثر فنون البديـع في أشـعارهم ولغايات جماليـة، وفيما يلي دراسة لأبرز صنوفه، ومميزات ذلك الاستعمال.

الجناس:

برصدنـا لنتـاج شـعراء «البحريـن» نجـد الكثيـر منهـم اعتنـى بزخرفـة فنّهم الشـعري بأشـكاله المختلفة[1]. وأضفى استعماله باعتدال ومهارة جرساً موسيقياً أثرى الجانب الصوتي. وخـدم الكثيـر منه جانـب المعنى بإضافتـه أبعاداً فكرية. علـى أن بعضه الآخر لم يسـلم من الاعتساف فجاء مقحماً مفتعلاً.

الجناس التامّ:

وردّت جلّ ضروبه تقريباً في شعر «البحرين»، فاستخدموا منه:

أ ـ المماثـل: وأغلبـه ممـا صيغ على اسـمين كقول «حسـن الدمسـتاني» واصفـاً حالة النساء الهاشميات[2]:

[طويل]

هَوَاجِـــرُ غَمـــضٍ بالهَوَاجِـــرِ والدُّجَـــى تَجَافَـــى عَـــنِ الإغفـــا لَهُـــنَّ جُفُـــونُ

(1) تُراجـع عند ابـن المعتز، عبد اللّـه، «البديع» ط3، دار المسـيرة، بيروت 1982، ص25. وابن رشـيق، العمدة، مصدر سـابق، ج1 ص321. والخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مصدر سـابق، ج6 ص90. وعتيق، عبد العزيز، علم البديع، مصدر سابق، ص186.

(2) ديوانه ص190.

واستثمر الشاعر الجناس لبيان تدهور الحالة النفسية وما تعرضن له من أرق وسهد في الأوقات التي يحلو فيها النوم القيلولة والليل، فأفاد المعنى.

وقد ورد جناس المماثلة المبني على فعلين قليلاً ومنه قول «علي بن أحمد الكامل»[1]:

[كامل]

وبَغَوا عَلَيهِ إذْ بَغوهُ مُبَايِعاً لِيَزيدَ أو للسيفِ يُصبِحُ مَطْعَمَا

ب ـ الجناس المستوفى: وقلّ حظّه من الاستعمال. وأكثره وروداً ما كان أحد طرفيه اسماً والآخر فعلاً كقول «حسين الشاخوري» مخاطباً الهاشميين[2]:

[وافر]

وأرجُو شَفَاعَتَكُمْ بِيَوْمٍ يَقِينِي فيكُمُ حَقّاً يَقِينِي

وكشف الجناس عن عمق عقيدة الشاعر، واعتقاده بقدرة الإيمان ـ وهو أمر معنوي ـ على الحماية من العذاب المادي فخدم بذلك المعنى.

ج ـ جناس التركيب: وورد بندرة واضحة:

وقد يكون متشابهاً. أي تتماثل فيه الكلمة المفردة والأخرى المركّبة لفظاً وخطّاً. وأغلب ما وجدناه يُبْنَى على الأفعال كقول «الوائلي»[3]:

[بسيط]

لَاحَ الجَمَالُ فَصَافَى دَهْرُنَا وَصَفَا صِفْ مَا تَرَاهُ وكُنْ لي خَيْرَ مَنْ وَصَفَا

فالأولى مركّبة من حرف العطف والفعل، والثانية من فعل فقط.

وقد يقع بين الأسماء كقول «حسن الدمستاني»[4]:

[كامل]

أَسَدٌ تَخَافُ الأُسْدُ مِنْ وثباتِهِ وَثَبَاتِهِ بينَ النِّضَالِ وترعدُ

فاللفظة الأولى اسم، والثانية مركّبة من حرف عطف واسم.

الجناس غير التامّ:

مع تدنّي طاقته النغمية بالقياس للتام، نجد حظّه من الاستعمال أكبر. ووردت أشكال متعددة منه، أبرزها:

---

(1) ديوانه ص346.

(2) المجموعة (1) ص87.

(3) ديوانه ص86.

(4) ديوانه ص151.

المُضَارِع: وقد يأتي الحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف متقارِبَيْنِ في المخرج، كقول «لطف اللّه بن محمد» مجانساً بين فعلين في خطاب وعظي للغافل[1]:

[طويل]

أَمَـــا آنَ أن تَـــدْرِي وَتـــذْري مَدَامِعـــاً بِتَشْـــييعِ فُحْـــشٍ أو لتضييـــعِ وَاجِـــبِ

وكقول «الوائلي» وقد أتى بحر في الاختلاف في أول اللفظ [2]:

[مجزوء الكامل]

هِـــــيَ جَلْســـــةٌ أو خِلْسَـــــةٌ فمَـــــنْ الـــــذي مِثْلِـــــي حَـــــوَى

الجناس اللاحق:

وقد يأتي الحرفان المختلفان متباعِدَين في المخرج. وهو أكثر أشكال الجناس وروداً وتنوّعاً. وقد يقع الحرفان في أول اللفظ كما في الاسمين الواردين في قول «طه العرادي»:

[كامل]

بَعَثَـــتْ لَـــهُ كُتُـــبَ النِّفَـــاقِ وأظهَـــرَتْ فيهـــا الوِفَـــاقَ وحَسَّـــنَتْ أنماقَهَـــا[3]

وأدّى الجناس دور التضاد الدال على تناقض الموقف، فأضفى بعداً على المعنى.

وقد يقع الحرفان المختلفان المتباعدان وسط الكلمة كما في الفعل في قول «إبراهيم الخليفة»[4]:

[كامل]

حُكْـــمُ الصَّبَابَـــةِ أَنَّ شَـــأْنَ صَرِيعِهـــا فـــي الـــحُبِّ يَخْشَـــعُ للحَبيـــبِ ويخضَـــعُ

وفي الاسم كما في قول «الوائلي»[5]:

[وافر]

تَـــرَى فـــي جُمْلَـــةِ الألْحَـــاظِ لَحْظـــاً يبـــثُّ الرُّعْـــبَ مـــن نُـــورٍ وَنَـــارِ

وبين المتجانسين نوع من التكامل فأحدهما مسبّب للآخر.

---

(1) المجموعة (1) ص291.

(2) ديوانه ص21.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص542. وعن الحرفين المختلفين في جناس الفعل يُراجع ديوان الوائلي ص63 البيت 7.

(4) ديوانه ص48.

(5) ديوانه ص140.

ومـن الجناس اللاحـق الذي وقع فيه الحرفـان المختلفان في آخـر الكلمة وبين فعلين قول «الدمستاني»[1]:

[طويل]

يفيـــضُ نَجِيعـــاً والسُّـــمُومُ رَوَاسِـــبٌ فَيُغْمَـــى عَلَيْـــهِ تـــارةً ويَفِيـــقُ

وأدّى تباعد اللفظين إلى إضعاف الرنين الموسيقي إلى حدّ ما.

وفي الاسمين قول «إبراهيم الخليفة»[2]:

[طويل]

فَإِنَّـــكَ أدنَـــى النَّـــاسِ للحـــزمِ نِسْـــبَةً وَذُو الحَـــزْمِ دَاعِـــي الحُـــزْنِ مِنْـــهُ يَهَـــابُ

الجناس الناقص:

ما اختلف لفظاه في أعداد الحروف واستعمله الشعراء بضربيه:

أ ـ مـا زاد أحـد اللفظيـن بحرف واحـد. وقد يقع هـذا الحرف فـي أول الكلمة كما في قول «إبراهيم الخليفة»[3]:

[طويل]

أَيَـا مَاجِـدٌ قـد جَـدَّ بِـي الوَجْـدُ حَسْـرَةً وَوَجْـدِي لوَجْـدٍ قَـدْ عَـرَاكَ صَـوَابُ

وأفـاد الجناس علاوة على الرنيـن الإيقاعي لوناً من العلاقة السـببية بين الوجد وتجدّد الحسرة. وفي البيت مجانسة بالجيم خمس مرات.

وقد يقع الحرفان في وسط الكلمة كقول «حسن الدمستاني»[4]:

[طويل]

وَمِـنْ بَعْـدِ جَهْـدٍ خَـرَّ والـجَدُّ صَاعِـدٌ صَرِيعـاً برغـمِ الـجَدِّ مُنْعَفِـرَ الـخَدِّ

ومـع مـا يحمله الجناس مـن علاقة بين بذل الجهـد وصعود الحظّ، ففـي البيت تكلّف واضح بسبب تزاحم ألوان البديع من جناس وطباق:

ومما وقع فيه الحرف الزائد في آخر الكلمة قول «الوائلي»[5]:

---

(1) ديوانه ص107.

(2) ديوانه ص64.

(3) المصدر نفسه.

(4) ديوانه ص143.

(5) ديوانه ص57.

[طويل]

وَيَـا هَاجِـري مِـنْ بَعْـدِ وَصْـلٍ وأُلْفَـةٍ تَرَفَّـقْ **بَشَـاكٍ** فـي الهَـوَى مِنْـكَ **شَـاكِرِ**

وأفاد الجناس لوناً من التضاد من كون الشاكي شاكراً في ذات الوقت.

ب ـ وقد تكون الزيادة في أحد اللفظين بأكثر من حرف واحد. ومما وقع في أول اللفظ ـ وهو قليل ـ قول «حسين الشاخوري»[1]:

[وافر]

فَـرِزؤُكَ قَاطِـعُ الأَوْصَـالِ صَـالٍ لِجِسْـمِي مَـا حُيِيْـتُ إلـى الـمَمَاتِ

وأضفى الجناس نغماً ترنيمياً حزيناً في البيت.

ومما وقعت فيه الزيادة في الوسط قول «حسن الدمستاني»:

[طويل]

يُفَـرِّقُ مـا بيـنَ الـمَنَاكِبِ والطُّلَـى ويَجْمَـعُ مـا بَيْـنَ التَّرَائِـبِ والتُّـرْبِ[2]

ويتضمّن الجناس علاقة تقابلية بين عنصر يرمز إلى الرفعة وعنصر يرمز إلى الانحطاط.

وقد تقع الزيادة في آخر اللفظة فيسمّى المذيّل ـ وهو أكثر وروداً ـ كقول «سلمان التاجر»:

[طويل]

سَـرَاةٌ كأمْثَـالِ الجِبَـالِ حُلُومُهُـمْ يُحَيُّـونَ رَحبـاً بالقَنَـا والقَنَابِـلِ[3]

ويعبّر الجناس عن التكامل بين عناصر القوة الحربية.

الجناس المُحرَّف:

استعمله الشعراء بقلّة، فتخيّروا لفظين يتفقان في عدد الحروف وترتيبها، ويختلفان في الحركات فقط. وأغلب ما وجدناه بين اسمين كقول «طه العرادي»:

[كامل]

مَـنْ تَرْقُـبُ الأبْطَـالُ بَعْـدَكَ فـي الوَغَـى للبَيْـضِ بالبِيـضِ الظُّبَـا فَلاَّقَهَـا[4] ؟

---

(1) المجموعة (1) ص102.

(2) ديوانه ص155 والترائب عظام الصدر مما يلي الترقوتين.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص300. والقنابل جمع «قنبل» وهي الطائفة من الناس أو الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

(4) المصدر نفسه، ص544 والبَيْض جمع بَيْضَة وهي الخوذة، والبِيْض صفة للسيوف.

ونـمّ الجناس عـن التكامل بيـن عناصر النوع الواحد وهو السـلاح. وقد يأتي بين اسـم وفعل كقول «حسن الدمستاني» على لسان النساء الهاشميات يتفجّعن على حالهن وإركابهن النوق الهزال:

[طويل]

أَأَبْدانُنَـــا تَقْـــوَى علـــى سَـــيْرِ بُدْنِهِـــمْ؟ فيـــا ليتنـــا بِدْنَـــا ولـــم نركـــبِ البُدْنَـــا[1]

وقد أوجد الشـاعر من خلال الجناس لوناً من العلاقة بين حالة الضعف وما يعقبها من مواتٍ وتلاشٍ فأفاد المعنى.

الجناس المُصَحَّف:

وفيـه عمد الشـعراء إلـى المخالفة بين المتجانسـين في النقط فقط. وهـو أقل حجماً من السابق. وجلّ ما وجدناه بين اسمين كقول «سلمان التاجر»[2]:

[كامل]

وكأنَّمَـــا الصَّهـــواتُ أفـــلاكٌ وَهُـــمْ للَّـــهِ كالأمـــلاكِ فيهـــا عَظَّمُـــوا

ويوحي الجناس بالتكامل بين عناصر الكون المختلفة.

جناس القلب:

اسـتعمل الشـعراء لفظين يشـتملان على الحروف نفسـها ويتخالفان في الترتيب، وقد يكـون أحدهما عكـس الآخر في الترتيب، وهو مـا يعرف بقلب الكلّ، وورد هـذا الضرب بقلّة واضحة. ومنه قول «سلمان التاجر»[3]:

[بسيط]

لَـــفَّ الـــجُمُوعَ وفَـــلَّ البِيْـــضَ مُتَّقِـــداً فـي عَزْمِـهِ الضَّـرْبُ يَذْكُـو الـحَرْبَ لا اللَّهَـبِ

واللفظان المتجانسان يعبّران عن تكامل الحركة في الميدان.

وأكثـر أنواع جناس القلب اسـتعمالاً عندهم ما يُعرف بقلـب البعض أي ما اختلف فيه اللفظان في ترتيب بعض الحروف. ومنه قول «حسن الدمستاني» مخاطباً آل الرسول[4]:

[طويل]

شَـــرِبْتُ رَحِيـــقَ الـــحُبِّ فيكُـــمْ مُمَسَّـــكاً فـــلا يُرهقَنّـــي فـــي الـــمَعَادِ حَرِيـــقُ

(1) الديوان ص187. والبُدْن النوق المسنّة الضعيفة وباد يبيد هلك.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص287.

(3) المصدر نفسه، ص350.

(4) الديوان ص107.

وبيـن المتجانسـين علاقـة تقابليـة مبنية علـى التضاد، فالرحيـق يمثّل اللـذة والحريق يمثّل الألم.

هـذه أبرز صنـوف الجناس في شـعر «البحرين». وكما يبـدو فإن بعضها تعـدّى الغايات الجماليـة وخدم المعنى. فأضاف إليه أبعاداً عمّقته وكشـفت عن بعض جوانبـه حتّى بدا أحياناً وكأنه من مقتضياته، وكان البعض الآخر معتسفاً سمجاً غير موفّق كقول «حسن الدمستاني»[1]:

[طويل]

أَرَى مَـا لَنَـا مِـنْ كَالـئٍ مِـنْ نَـكَالِ مَـنْ يَرَانَـا بِوَجْـهٍ حَالِـكِ اللَّـوْنِ كَالِـحِ
وليـسَ لَنَـا مـن ناصـبِ الـحَرْبِ نَاصِـرٌ سِـوَى صَاحِـبٍ ذَيْـلُ الشَّـمَاتَةِ مَـارِحِ

فحرص الشاعر على استخدام الجناس وتكثيفه أتخم الأسلوب وغيّم المعنى[2].

لواحق الجناس:

يمكـن إدراج العديد من الأنواع البلاغية تحت قائمة الجناس. وجلّها محسـنات لفظية، ذات وظيفة جمالية إيقاعية، وأبرزها في شعر «البحرين» التصدير والتكرار.

التصدير:

ضـرب نغمـي خـاصّ باللفظ الـذي يختتـم بـه البيت الشـعري. ولـه دور هام في شـدّ الانتباه إلى القافية بما يحدثه من موسـيقى مميزة قائمة علـى إعادة لفظة من ألفاظ البيت، فـي آخِـر البيت مرة، وفـي موضع آخـر ضمنه مرة أخـرى. وسـمّاه الأقدمـون ردّ الإعجاز على الصدور. وهو لون من الإرصاد للقافية تتيح للسـامع ـ في الكثير من الأحيان ـ التنبؤ بالقافية، بذكر لفظة تمهّد لها، سواء كانت القافية تكراراً لها أو صيغة أخرى من صيغها[3].

وإذا كان مقـام اللفـظ الثانـي قـاراً وهـو آخـر ألفـاظ البيت فـإن اللفـظ الأول يختلف موضعه. لذلك سنصنّف أشكال التصدير تبعاً لمرتبة اللفظ الأول.

التصدير بالجناس:

كثيراً ما صاغ الشـعراء تصديرهم على الجناس فأثرى الجـرس الإيقاعي. وقد اتخذ عدة أشكال:

---

(1) الديوان، ص135.

(2) من الأمثلة غير الموفّقة يُراجع على سبيل المثال مجموعة (1) ص102 الأبيات من 88 – 91.

(3) يُراجـع ابـن المعتز، عبـد اللّـه، البديع، مصدر سـابق، ص47. وابن رشـيق، العمـدة، مصدر سـابق، ج2 ص3. والخطيـب القزوينـي، الإيضـاح، مصـدر سـابق، ج6 ص102. وعتيـق، علـم البديـع، مصـدر سـابق، ص215. والطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، مصدر سابق، ص87.

- التصدير بالتصريع أي أن يختم الصدر باللفظ الأول. وهو الأكثر وروداً ومثاله قول «سلمان التاجر» مخاطباً الهاشميين باسم جدّهم «فهر»:

[خفيف]

فِهْـرُ يـا مَـنْ سَـمَتْ سَـنَامَ السِّـمَاكِ أُكْسِـفَتْ فـي الطُّفُـوفِ شَـمْسُ سَـمَاكِ[1]

وعبّر لفظا الجناس المنتزعان من مكوّنات الأفق العلوي عن معنى الرفعة، ومما جاء في غير الطالع قول «أحمد الدمستاني» من مرثية هاشمية:

[سريع]

مَـا مِنْهُـمُ إلاّ مُصَـابٌ بِـذِي كفـرٍ شَـدِيدٍ ولسـانٍ بَـذِي[2]

واللفظان المتجانسان يبرزان النهج الأخلاقي الذي يرادف الكفر.

- **اللفظ الأول في أول الصدر:** ويرد بحجم أقل من السابق ومثاله قول «عبد الرضا بن عبد الصمد»:

[رمل]

يَـا حَمَامـاً نَـاحَ فـي أَيْكَتِـهِ صَادِحـاً مـا كُنْـتَ لـي إلاّ حِمَامَـا[3]

وبين المتجانسين لون من التقابل المتضمّن لمعنى التفاعل بين المرئي وغير المرئي.

- **اللفظ الأول في أول العجز:** كقول «ماجد بن هاشم»:

[كامل]

لا تسـتقلُّ بِخَصْبِهَـا يَـدُكَ التـي لا نَـوْءَ أخصـبُ مِـنْ أَنْوَائِهَـا

وخدم المتجانسان الفكرة بقرنه بين العطاءين عطاء اليد وعطاء السماء بجامع الفائدة بينهما[4].

- **اللفظ الأول في حشو البيت:** وقد يأتي في حشو الصدر كقول «خليل بن علوي»:

[رمل]

والتقَـوا شَـدَّاتَ أبطـالِ الوَغَـى بنفـوسٍ شـأنُهَا كَشْـفُ الشِّـدَادِ[5]

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص335 ويُراجع أيضاً ديوان الدمستاني ص78.

(2) ديوان الدمستاني، ص250 ويُراجع أيضاً ص348 البيت 43.

(3) ابن معصوم المدني، علي خان سلافة العصر، مصدر سابق، ص517.

(4) التاجر، محمد علي، مسودات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر. ويُراجع أيضاً ديوان حسن الدمستاني ص114 البيت 4، وديوان الوائلي ص89 البيت 6.

(5) ديوانه ص38.

ويشفّ المتجانسان عن لون من التقابل المؤدي إلى التكامل بين القوة الجسمية التي تجسّدها ملاقاة «شدّات» أي هجمات الأبطال والقوة النفسية القادرة على كشف «الشداد» وما تعنيه من محن وأزمات[1].

ومما جاء في حشو العجز قول أحمد بن طعّان:

[وافر]

كأنَّ القلبَ مِنْهُ وهو فَرْدٌ حَدِيدٌ غَيْرُ صَادٍ وهو صَادِي

وكثّف الجناس المعنى وعبّر عن رغبة الشاعر في تجسيد البطولة بسبب الإعجاب والتعلّق[2].

التصدير بأشباه الجناس:

ونقصد به إعادة اللفظين اللذين تجمعهما صيغ صرفية واحدة كالاشتقاق أو شبهه وكذلك اللفظين المتفقين في اللفظ والمعنى أو ما نزع الشاعر إلى تحميله معنى إضافياً.

وسنصنّفه حسب مرتبة اللفظ الأول أيضاً لأن منزلة الثاني قارّة وهي خاتمة البيت.

- **اللفظ الأول في أول الصدر:** ومما جاء لفظاه يجمعهما الاشتقاق قول الخطّي:

[كامل]

يا مُنْتَقِي الأخلاقِ أيُّ وسيلةٍ أُدْلِي بِهَا بعد الكَلَامِ المُنْتَقَى[3]

وأدّى لفظا الجناس دور التقارب بين عناصر عملية الانتقاء اسم الفاعل واسم المفعول[4]. ومما تكرّر فيه اللفظان قول «خليل بن علوي» مخاطباً بني أمية:

[كامل]

كَفَّاكِ حَارَبَتِ النبيَّ وآلَهُ في كربلا غَدَرَتْ بِهِمْ كَفَّاكِ

وقد تهيأ اللفظ الثاني لملء البيت كما كثّف معنى تهيئة القوة ووسائلها لحرب الرسول كما يرى الشاعر[5].

---

(1) يُراجع أيضاً ديوان الدمستاني ص137 البيت 43.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص150 وأيضاً البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج2 ص256 البيت 7.

(3) ديوانه ص80.

(4) يُراجع أيضاً ابن معصوم المدني، علي خان سلافة العصر، مصدر سابق، ص503 البيت 38.

(5) ديوانه ص26 وينظر كذلك ديوان الوائلي ص86 البيت 7.

- **اللفظ الأول في نهاية الصدر:** ومما جاء فيه اللفظان مشتقين أو شبيهين بالمشتقين قول «أحمد الدمستاني»[1]:

[كامل]

وَدَعَـــوْتَ للسُّـــلْوَانِ صَبّـــاً قَطَّعَـــتْ مَضَـــضُ المصائِـــبِ قلبَـــهُ تَقْطِيعَـــا

وأدّى استخدام المفعول المطلق وظيفة التوكيد وعزّز المعنى.

ومما صيغ على التكرار قول «عبد الرضا بن عبد الصمد» في مناجاة الخالق:

[مجتث]

قَـــــومٌ لَهُـــــمْ بِـــــكَ شُـــــغْلُ ولا لَهُـــــمْ عَنْـــــكَ شـــــغْلُ

ورسّخ التكرار معنى الشغل[2].

- **اللفظ الأول في أول العجز:** ومثال المشتقين قول «داود بن أبي شافيز»:

[طويل]

وإنْ كَـرَّ قُلْـتَ الليـثَ فـي حُمْـرٍ سَـطَا فتنفـــرُ منـــه كالنعـــامِ النَّوَافِـــرِ

وأكد اللفظان معنى الجبن[3].

ومما بُنِي على التكرار قول «خليل بن علوي»:

[طويل]

وَكَانُـــوا لَـــهُ عَوْنـــاً فأصبـــحَ بَعْدَهُـــمْ يُكَابِـــدُ مـــن كَيْـــدِ العِـــدَى مـــا يُكَابِـــدُ

ودلّ التكرار على معنى المبالغة وتصاعد المعاناة[4].

- **اللفظ الأول في الحشو:** ومن المشتقين أو شبههما قول «ماجد بن هاشم»:

[كامل]

لَا خَيْـــرَ بَعْـــدَكَ فـــي الـــحَيَاةِ وإنَّمَـــا كانَـــتْ حياتُـــكَ زينـــةَ الأحْيَـــاءِ

وبين المتجانسين تقارب لكونهما من عناصر النظام الواحد[5].

---

(1) ديوان الدمستاني ص243.

(2) ابن معصوم المدني، علي خان سلافة العصر، مصدر سابق، ص518.

(3) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر. ويُراجع أيضاً ديوان الخطّي ص40 البيت 20.

(4) ديوانه ص29. وينظر كذلك البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص167 البيت 55.

(5) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر. ويُراجع أيضاً ديوان خليل بن علوي ص163 البيت 33.

ومن هذا المجرى مكرراً «قول جعفر الخطّي»:

[كامل]

إنْ تُكْسِبِ الألقابُ مَنْ يُدْعَى بِهَا شَرَفاً فقد شَرَّفْتُمُ الألْقَابَا

ويشفّ المتجانسان عن لون من التقابل بين العام والخاص[1].

وقد يأتي المشتقان في حشو العجز فيزداد الجرس الموسيقي المتولّد كقول «سلمان التاجر»:

[سريع]

مَنْ للهُدَى والدِّيْنِ بعدَ العِمَادْ وللندَى والجُودِ بَعْدَ الجَوَادْ

واللفظان يعكسان العلاقة بين الأصل والفرع وتكاملهما[2].

ومن التكرار اللفظي في العجز قول «محمد أحمد العصفور»:

[كامل]

رأوا المَمَاتَ حياتَهُمْ فَتَسَابَقُوا لِلِقَا الحِمَامِ مُكَرَّماً فمُكَرَّمَا

وأفاد التكرار معنى التسلسل والتتابع[3].

يعمد بعض الشعراء إلى تعميق موسيقى التصدير وإثراء إيقاعها باعتماد ثلاثة ألفاظ متجانسة أو شبيهة بالجناس، من ذلك قول «الخطّي» في إحدى مراثيه[4]:

[كامل]

نَضُبَتْ مَوَارِدُ كَلِّ خيْرٍ بَعْدَهُ فالوِرْدُ مُعْتَلٌّ على الوُرَّادِ

وكثّف التكرار المعنى وأكده مع جنوح إلى المبالغة.

تزيّد بعض الشعراء فأتخموا أبياتهم بالجناس ولواحقه فأتى متكلفاً منفراً كقول «حسن الدمستاني»[5]:

[طويل]

لقد بَرَّحَ التبريحُ عَنْ رَحْبِ خَاطِرِي بَرَاحاً وما التَّبْرِيْحُ عَنْهُ بِبَارِحِ

(1) ديوانه ص7. ويُراجع أيضاً البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص196 البيت 16.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص313 وينظر كذلك ديوان حسن الدمستاني ص137 البيت 30.

(3) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر. ويُراجع كذلك ديوان الخطّي ص87 البيت 6.

(4) ديوانه ص40.

(5) ديوانه ص134.

لقد لعب التصدير دوراً هاماً في تعزيز موسيقى الشعر فقوّى من إيقاع الأوزان والقوافي وجاوز في الكثير من الأحيان وظيفته الجمالية فطفح بالعديد من المعاني، وأضاف أبعاداً ودلالات جديدة. واستخدم الشعراء أكثره باعتدال. وجنح آخرون في بعض الحالات إلى الإسراف في استعماله والإكثار منه فأثقلوا أبياتهم، محوّلين الأدب إلى لون من الألاعيب اللفظية أسفَّت به وانحدرت بمستواه إلى أسفل الدرك.

التكرار:

واكب تكرار الألفاظ في شكلها الأفقي، سواءً كانت جناساً أو ما شابهها تكراراً رأسياً، تمثّل في تكرار وحدات نغمية تتكون من الألفاظ ذاتها، وكان لهذا اللون الفنّي دور في إحداث موسيقى متميزة. وأغلب ما وجدناه تهيّأ لوصف المواقف الوجدانية. واستغلّ الشعراء إمكاناته الفنية منذ الجاهلية خاصة في مجال الرثاء[1] لمواءمته في التعبير عن شحنات الحزن المتدافعة في أعماق النفس، ودوره في خلق أجواء تفجعية مفعمة بالتوجع والأنغام الحزينة.

وما يجدر ملاحظته أن التكرار اللفظي غالباً ما يحتل مرتبة شبه قارة تتمثل في وقوعه في صدارة البيت.

وتختلف أشكاله مدى وعمقاً، ويمكن تصنيفها في عدّة أشكال:

- **تكرار مفردة واحدة بعينها.** وهي قد تكون اسماً أو فعلاً أو حرفاً. ويرد هذا الشكل بكثرة. مثال تكرار الفعل قول «لطف اللّه بن محمد»[2]:

[بسيط]

غَابُوا فَوَا وِحْشَةُ الدنيا لِغَيْبَتِهِمْ ... فاليومَ لا يُرْتَجَى منهُمْ لِقَا وَغَدَا
غَابُوا فيا كَبِدِي ذُوبِي لبَيْنِهِمُ ... شوقاً ولا أحدٌ لِيْ باللقَا وَعَدَا
غَابُوا فَوَا حُزْنِي مِنْ بَعْدِ بُعْدِهُمُ ... وخَلَّفُونَا أَسَارَى في وِثَاقِ عِدَا

وأدّى التكرار وظيفة فنية بإشاعته نغماً حزيناً متساوقاً مع أسى الحزن.

- **وتزداد حدّة الرنين كلما اتسع نطاق التكرار.** وقد مدّ الشعراء نطاق صيغهم المكررة حتى أنها احتلّت ما يقارب نصف مساحة الصدر. كقول «محمد بن أحمد العصفور»:

[طويل]

بَنِي الوَحْيِ عُودوا للمَسَاجِدِ والدُّعَا ... وقُومُوا بها بالذِّكْرِ في الليلةِ الدُّجْنَا

(1) تُراجع أمالي المرتضى، مصدر سابق، ج1 ص123 – 126.
(2) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص322. ووقع التكرار في أربعة أبيات.

بَنِـي الوَحْـيِ عُـودُوا للمـدارسِ أصْبَحَـتْ دَوَارِسَ فيهـا البُـومُ بعدكُـمُ سـكنَا
بَنـي الوَحْـيِ عُـودُوا للمَنَابِـرِ وانظُـرُوا عَلَيْهَـا العِـدَا تهديكُـمُ السَّـبَّ واللعْنَـا[1]

وهذا التكرار المتوسّع يخلق أجواءً تفجعية مغرفة في الحزن.

علـى أن أعمق صور التكرار وأقربها إلى الندب الملفّع بالأسـى، وأعمق معاني الألم ما تكررت فيه وحدات الصدر بأكملها. وقد اسـتعمله الأقدمون في مجال الرثاء منذ الجاهلية[2]. وورد بحجم ضئيل بالقياس إلى الشكلين السابقين. ومثاله قول «ماجد بن هاشم»[3]:

[بسيط]

مَـنْ مُبلِغَـنَّ قريشـاً أنَّ سـيِّدَهَا ثَـاوٍ إلـى جَنْـبِ مَطْعُـونٍ وَمَنْحُـورِ
مَـنْ مُبلِغَـنَّ قريشـاً أنَّ سـيِّدَهَا يُسْـفِي علـى جِسْـمِهِ سَـافِي الأَعَاصِيـرِ
مَـنْ مُبلِغَـنَّ قريشـاً أنَّ سـيِّدَهَا تَسْـدُو لَـهُ الريـحُ ثَوْبـاً غيـرَ مَـزْرُورِ
مَـنْ مُبلِغَـنَّ قريشـاً أنَّ سـيِّدَهَا تَنْحُـوهُ فـي القَفْـرِ زُوَّارُ اليَعَافِيـرِ

والتكـرار اللفظي للصدر بأكملـه له رنينه الصاخب المتوائم وحالـة الوجد الغامر الذي يهزّ النفس ويفقدها قدرتها على التفكير المتّزن. فتضطرب وتكرّر العبارات.

يعمـد بعـض الشـعراء ـ في حالات نـادرة ـ إلـى التدرج في مسـتوى التكـرار. فيبدأون بتكرار ضيّق المدى نوعاً ثم يأخذون في توسيعه. كقول «ابن المتوّج»[4]:

[وافر]

أَلَا نُوحُـوا وضحُّـوا بالبـكاءِ عَلَـى السِّـبْطِ الشـهيدِ بِكربـلاءِ
أَلَا نُوحُـوا بسـكبِ الدمـعِ حُزْنـاً عليـه وامزِجُـوهُ بالدِّمَـاءِ
أَلَا نُوحُـوا علـى مَـنْ قـد بَـكَاهُ رسـولُ اللَّـهِ خيـرُ الأنبيـاءِ
أَلَا نُوحُـوا علـى مـن قـد بَـكَاهُ عَلِـيُّ الطُّهْـرِ خيـرُ الأوْصِيَـاءِ
أَلَا نُوحُـوا علـى قَمَـرٍ مُنيـرٍ عَـرَاهُ الـخَسْفُ مِـنْ بَعْـدِ الضِّيَـاءِ
أَلَا نُوحُـوا علـى غُصـنٍ رَطيـبٍ ذَوَى بعـد النضـارةِ والبَهَـاءِ

فموسـيقى التكرار أشبه بخط بياني، بدأ منخفضاً ثم علا وازداد وبعدها عاد للانخفاض حتى تلاشى.

---

(1) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص218 وأتى التكرار في أربعة أبيات.

(2) تُراجـع أبيـات مهلهل بـن ربيعة التي رثـى فيها أخاه كليبـاً في أمالـي المرتضى، مصدر سـابق، ج11 ص123 وما بعدها.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص531.

(4) الطريحي، فخر الدين، المنتخب، مصدر سابق، ص153.

وظائف التكرار:

تجاوز التكرار الوظيفة الجمالية والجرس الموسيقي فاحتوى على العديد من الدلالات الضمنية التي خدمت المعنى، وأضافت إليه العديد من الظلال والأبعاد، ويتمثّل أبرزها في:

1. التفصيل وبيان الجزئيات كقول «سلمان التاجر»[1]:

[طويل]

كأنَّ ظُبَاهُـــمْ فـــي رُؤُوسِ عِدَاتِهِـــمْ بَـــوَارِقُ تبـــدُو بَيْـــنَ سُـــحْبٍ هَوَايِـــلِ
كأنَّ السِّـــهَامَ الـــوَارِدَاتِ إليهـــمُ رَسَـــائِلُ شَـــوْقٍ أو رَسَـــائِلُ آمِـــلِ
كأنَّ حُـــدُودَ البِيْـــضِ ريَّانَـــةً دَمـــاً خُـدُودُ الحِسَـانِ البِيْـضِ حُمْـرُ الغَلائِـلِ
لقـد زَوَّجُـوا الـحَرْبَ العُـوَانَ مـن الـرَّدَى ومـــا أَمْهَرُوهَـــا دُونَ عَضْـــبٍ وَذَابِـــلِ
كَأنَّ الوَغَـــى خَـــوْدٌ وَهَـــامُ العِـــدَى لهـــا نِثَـــارٌ وقَانِيهَـــا خِضَـــابُ الأَنَامِـــلِ

فقد ساعد تكرار «كأن» على وصف جزئيات المعركة وجنّب الشاعر السرد المملّ للحادث المتعلق بتجسيد البطولة.

- **وصف المواقف والحالات:** استغلّ الشعراء ما في التكرار من إمكانيات فنية فوقفوا موقف المتأمل الراصد لأدق المشاهد وأحرجها. يصف «داود بن أبي شافيز» وضع الهاشميين بعد مقتل الحسين فيقول[2]:

[طويل]

فَبَيْـــنَ عَـــذَارَى وَاضِعَـــاتٍ أكفَّهَـــا وبيـــنَ يَتَامَـــى صَارِخَـــاتٍ نَوَاشِـــرِ
وبَيْـــنَ أَسَـــارَى فـــي القُيُـــودِ حَوَاسِـــرِ وبيـــنَ حَيَـــارَى فـــي الذُّيُـــولِ عَوَاثِـــرِ
وبيـــنَ رُؤوسٍ حـــولَ رأْسِ أَمِيرِهَـــا مُشَـــهَّرَةً تُهْـــدَى إلـــى نَحْـــوِ فَاجِـــرِ

فقد أتاح التكرار تصوير الشخصيات وتتبّع الموقف ورسم جوانب المأساة.

2. التفجع: هي أهم الوظائف التي أداها أسلوب التكرار. فقد استغل كأداة فنية فعالة لإبراز الحس المأساوي خاصة عند المرأة، وسُوِّغ لتصوير أكثر مشاعرها التهاباً في حالات الفقد، فقد الابن أو الأخ أو غيرهما، فشكّل جزءاً من شعائر الحزن، اتسق مع أصوات الندب والتوجّع. ومما قاله «أحمد بن عبد الرؤوف» مصوّراً تفجّع إحدى بنات الحسين عليه[3]:

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص300.
(2) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم مصدر سابق، ترجمة الشاعر.
(3) المصدر نفسه.

[طويل]

أَيَـــا وَالِـــدِي مَـــا لِـــي أَرَاكَ مُرَمَّـــلاً وشَـــيْبُكَ مـــن أَوْدَاجِ نَحْـــرِكَ خَاضِـــبُ
أَيَـا وَالِـدِي مـا كُنـتُ أحسـبُ أَنْ أَرَى عَلَـى صَـدْرِكَ العَالِـي تَجُـولُ النَّجائِـبُ
أيـا وَالِـدِي قـد هُـدَّ ركـنُ تَصَبُّـري وحَلَّـتْ وِكَاءَ الدَّمـع منّـي الـمَصَائِبُ
أيـا والـدي مَـا للفَوَاطِـمِ ناصِـرُ فَهُـنَّ كَمَـا شَـاءَ العَـدُوُّ نَهَائِـبُ

وتعبّر نغمات الأسى المتصاعدة والمتولّدة عن التكرار عن أعمق درجات الوجد، وتجسّد مشاعر الفقد الغائر في الأعماق فهي أشبه بصيحات النواح[1].

وفي مجرى التفجّع نفسه استثمر الشعراء التكرار لإظهار تعاطفهم مع الفواجع الهاشمية وما رافق ذلك المعنى من استنكار. يقول «يوسف البحراني»[2]:

[كامل]

يـا للرِجَـالِ لوقعـةٍ مـا مثلُهَـا أَذْكَـتْ بِقَلْـبِ الـمُصْطَفَى جذواتِهَـا
يـا للرجَـالِ لِعِصْبَـةٍ عَلَويَّـةٍ تَبَعَـتْ أُمَيَّـةَ بَعْـدَ فَقْـدِ حُماتِهَـا

فالتكرار جسّد تجاوب الشاعر وأساه ومدى استفظاعه لتقتيل الهاشميين.

3. الاستنفار: اتخذ الشعراء التكرار أداة لاستنفار الهاشميين، وإثارة نخوتهم للانتقام من الظلمة. كالاستغاثة التي أطلقها «لطف اللّه بن محمد» في قوله[3]:

[طويل]

فَأَيـنَ حُمَـاةُ الـجَارِ مِـنْ آلِ هَاشِـمِ وأَيْـنَ أُبَـاةُ الضَّيْـمِ مِـنْ آلِ غَالِـبِ؟
أَلَيْـسَ رئيـسُ القَـومِ فـي التُّـرْبِ عَارِيـاً بِـلَا كَفَـنٍ إلاّ تُـرَابَ السَّبَاسِـبِ
أَلَيْـسَ رئيـسُ القَـوْمِ حُـزَّ كَرِيمُـهُ وتلـكَ لعمـرِ اللَّـهِ إحْـدَى العَجَائِـبِ

فالشاعر أردف استنفاره المبني على الاستفهام المكرر بتكرار آخر «أليس رئيس القوم» لتبيان المبررات فوصف الخطب ليقنع بالهبوب والنجدة.

واستخدم التكرار في مجال الرثاء العام فمثّل بكاءً وتوجعاً. يقول «الوائلي» في مرثية لوالده[4]:

---

(1) من التكرار الذي عبّر عن تفجع الأخت على أخيها يُراجع ما قاله حسين الشاخوري في المجموعة (1) ص69 الأبيات 42 – 47.

(2) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج2 ص377.

(3) المجموعة (1) ص295.

(4) ديوانه ص97.

[كامل]

قُـــمْ وادْعُ بالصَّـــوتِ الرفيـــعِ وَنَـــادِ لِرِثَـــاءِ مَـــنْ حَمَلُـــوا علـــى الأَعْـــوَادِ
حَمَلُـــوا الشَّـــهَامَةَ والكَرَامَـــةَ والتُّقَـــى والفَضْـــلَ والخُلْـــقَ الكريـــمَ البـــادِي
حَمَلُـــوا النَّجَابَـــةَ والشَّـــجَاعَةَ والنُّهَـــى والصـــدقَ فـــي وَعْـــدٍ وفـــي إيعَـــادِ

وأشاع التكرار في اللفظ وفي الاستعارة وفي تعداد المناقب نغماً حزيناً.

وورد هـذا اللـون فـي أغـراض الشـعر الأخـرى. بقـدر محـدود، ولـم يتعـد المواقـف الوجدانيـة فـي الغالب. وممـا قاله «يوسـف البحراني» في التعبير عن تشـوّقه وشـدّة تعجله ليوم اللقاء بالأهل والأحبة[1]:

[طويل]

فللَّـــــهِ يَـــــوْمٌ لا يُشَـــــقُّ غُبَـــــارُهُ وَدَهْـــرٌ كَرِيـــمٌ إنْ وَفَـــى غَيـــرَ مَاكِـــرِ
وللَّـــــهِ نَـــــذْرٌ إنْ رَأَيـــــتُ بَيَاضَـــــهُ لأَسْـــجُدَ شـــكراً ضَارِعـــاً بِتَصَاغـــرِ

وأضفى التكرار نفحة زاخرة بالإحسـاس والعواطف، وجسّد توق الشاعر وشدّة إلحاحه على قرب التلاقي.

واسـتثمر للترنّـم بالقيـم الأخلاقية والسـجايا الحميدة كقول «سـلمان التاجـر» مخاطباً الهاشميين:

[مجزوء الكامل]

أَنْتُـــمْ صِـــرَاطُ اللَّـــهِ فاهْـــدُو نَـــا إلـــى نَهْـــجِ الســـبيلِ
أنتـــم غِيَـــاثُ الخَلْـــقِ عنـ ـــد تَطَـــرُّقِ الخَطْـــبِ الجليـــلِ
أنتـــم سَـــحَابُ الجُـــودِ للعَانِـــي بِأزمنَـــةِ الـــمُحُولِ...[2]

والأبيـات تعبيرٌ عـن تمجيـد الشـاعر للممدوحين، وترنيمة بحسـن سـجاياهم وجميل صفاتهم.

وفـي الواقـع كان التكـرار أحـد الأدوات الفنيـة التـي خدمـت جانبي الشـكل والمعنى فعـلاوة علـى وظيفتـه الجمالية لعـب دوراً فعالاً في تعميق المضمون وتوسـيع أبعـاده. ودلّ فـي الكثيـر مـن الأحيان علـى إلحاح الشـاعر علـى المعنـى المراد، وشـدّ انتبـاه السـامع إليه فأكسـب الجانب الدلالي طاقـة خلاّقة. وورد أكثـره باعتدال. وقد حاد عن هـذا الهدف أحياناً

(1) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج2 ص407.
(2) البـلادي، حسـين بـن علـي، رياض المـدح والرثـاء، مصـدر سـابق، ص308 وتكررت لفظـة «أنتم» في سـبعة أبيات.

فتحوّل إلى مجرد ألاعيب لفظية فاتسم بالتكلّف والافتعال. من ذلك قول «خليل بن علوي»[1]:

[بسيط]

الطَّاهِـرُ النَّسَـبِ ابـنُ الطَّاهِـرِ النَّسَـبِ ابـــــنُ الطَّاهِـــــرِ النَّسَـــــبِ

وورد هذا الضرب من التكرار عند بعض الأقدمين[2].

ومما جاء على شكل تكرار القلب قول «خليل بن علوي» نفسه[3]:

[وافر]

كريـــمُ الكَـــفِّ ذُو فَضْـــلٍ جَزِيـــلِ جَزِيـــلُ الفَضْـــلِ ذُو الكَـــفِّ الكريـــمِ

عَمِيـــمُ الجُـــودِ خُلـــقٍ حَميـــدِ حَمِيـــدُ الخُلـــقِ ذُو الجُـــودِ العَمِيـــمِ

فالأبيات جعجعة لفظية، ولا يضيف التكرار أي معنى جديد.

التقطيع:

لون بديعي ذو وظيفة جمالية، يبنى على تكرار وحدات صوتية فيؤدي إيقاعاً جميلاً، ويزداد حظّه من الموسيقى كلما زادت تقطيعاته وأتى عفوياً وبقدر معقول. وأبرز أنواعه:

التقطيع الثنائي:

وهو ما اصطلح على تسميته بالموازنة[4]. ويُبنى على وحدتين صوتيتين، تتناظر فيهما مفردات الشطرين. وغالباً ما يؤدي ـ علاوة على ما له من جرس ـ بعض الدلالات. ونذكر منها:

أ ـ الموازنة القائمة على التناسب بين الأجزاء كقول «عبد الرؤوف الجدحفصي»[5]:

[بسيط]

وَرْدِيَّـــةَ الخَـــدِّ يـــا مِسْـــكِيَّةَ الشَّـــعرِ دُرِّيـــةَ الثغْـــرِ يـــا مكحولَـــةَ البَصَـــرِ

فكل شطر يمثّل وحدة صوتية وقد تناسبت أجزاء كل شطر منهما.

---

(1) ديوانه ص123.

(2) يُراجع ديوان المتنبي، أحمد بن الحسين، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت 1979، ج4 ص348.

(3) ديوانه ص184.

(4) ابن رشيق، العمدة، مصدر سابق، ج2 ص19، وعتيق، عبد العزيز، علم البديع، مصدر سابق، ص230، والطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، مصدر سابق، ص77.

(5) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

ومما بني على التناسب بين المعاني قول «ناصر بن أحمد»[1]:

[بسيط]

الضَّارِبِـــي الهَـــامَ لا يُـــوُدَى قتيلُهُـــمُ والسَّالِـــبِيّ الشُّـــوسَ لا يُرْتَـــدُّ مـــا سَـــلَبُوا

فكل وحدة تتضمن معنى محدداً يتناسب في الوقت ذاته مع الأخرى.

ب ـ الموازنة المبنية على المقابلة كقول «يوسف البحراني» في ذمّ الزمان[2]:

[طويل]

نَوَائِبُـــهُ تَتْـــرَى علـــى كُلِّ فاضِـــلٍ وأَفْضَالُـــهُ تُهْـــدَى إلـــى كُلِّ فَاجِـــرِ

فالموازنة وضّحت التقابل بين الجزأين. وقد وصل إلى حدِّ التناقض.

ج ـ الموازنة المبنية على الازدواج: وهي تمكّن الشاعر من التقريب بين معنى التركيبين فتنحو الصورة إلى الاكتمال. ومنها قول «حسن الدمستاني»[3]:

[خفيف]

بَاكِيَـــاتٌ جُفُونُهـــنَّ هَـــوَام حَائِمَـــاتٌ قلوبُهُـــنَّ صَـــوَادِ

فالازدواج في وصف كل من العيون والقلوب، أي المظهر الخارجي والداخلي.

التقطيع الرباعي:

وهو ما اصطلح على تسميته بالتقسيم أو التقطيع[4]. وفيه ينقسم البيت الشعري إلى أربع وحدات صوتية. وهو أكثر أنواع التقطيع اطّراداً في شعر «البحرين».

وينزع هذا اللون ـ في أغلب حالاته ـ إلى التفصيل والاستقصاء أو إلى التأكيد؛ ويتخذ أشكالاً عديدة:

- ما تكون فيه الوحدات الأربع متناظرة صوتياً ـ وهو قليل ـ كقول «محمد بن أحمد العصفور»[5]:

[طويل]

فيـــا عبرتـــي سُـــحِّي/ويا لَوْعَتِـــي ازدَدِي ويـــا مُهْجَتـــي ذُوبِي/وحُزْنِـــيَ فَاكْتَنَّـــا

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص452. والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص201.

(2) البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج2 ص407.

(3) ديوانه ص150.

(4) ابن رشيق، العمدة، مصدر سابق، ج2 ص20، والخطيب، القزويني، الإيضاح، مصدر سابق، ج6 ص47 – 54.

(5) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص219.

أما الغالب فتأتي فيه الوحدات الأربع قريبة من التناظر فيخفّ الرنين، كقول «علي بن أحمد الكامل» وقد خالف بين جرس الوحدات[1]:

[كامل]

مَـأْوَى اليَتِيـمِ / وثـروةُ المحتـاجِ / والـ مَجْـدُ الـمُؤثِّلِ / والهُـدَى للضَّـالِّ

وقد تأتي الوحدة الأولى متناظرة مع الثالثة والثانية مع الرابعة كقول «حسن الدمستاني»[2]:

[طويل]

خَمِيصُونَ/صَوَّامُـونَ أكثـرَ دهرِهِـمْ مُنِيبـونَ/ قَوَّامُـونَ جُنْـحَ لَيَـالِ

فـ«خميصون» تضارع «منيبون» و«صوّامون...» تناسب «قوَّامون...».

وكثيراً ما يقترن التقطيع الرباعي بالترصيع فيزداد التناسب، وتثرى الموسيقى، وتتشكّل ما يشبه القوافي الداخلية.

وقد يأتي الترصيع في الوحدات الثلاث الأولى كقول «الوائلي»[3]:

[بسيط]

سَـهْلُ الـخَلِيقَةِ / فَصَّـالُ الوَهِيقَـةِ/ قَـوَّالُ الحَقِيقَـةِ / فـي عُسْـرٍ وفـي يُسْـرِ

وقد يرد الترصيع بين الوحدتين الأولى والثالثة. وهو أقل استعمالاً من السابق. ومنه قول «علي بن أحمد الكامل»[4]:

[طويل]

بأحـزانِ يَعْقُوبٍ/وعَبْـرَةِ يُوشَـعٍ وَضَـرَّاءِ أَيُّـوبٍ/ وَذِلَّـةِ صَاغِـرِ

فلفظتا يعقوب وأيوب تتفقان وزناً وقافية.

وقد يقع بين الوحدتين الأولى والثانية ـ وهو قليل ـ كقول «خليل بن علوي» وقد جعل الجيم قافية داخلية لهما[5]:

[بسيط]

الدِّيـنُ فـي هَـرَجٍ / والشَّـرْعُ فـي مَـرَجٍ والنـاسُ فـي دَهَـشٍ / والـخَلْقُ مَذْعُـورُ

(1) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(2) ديوانه ص76.

(3) ديوانه ص178. يُراجع أيضاً ديوان الخطّي ص84 البيت 16.

(4) ديوان الدمستاني ص344.

(5) ديوانه ص18.

وأندرها جميعاً ترصيع الوحدات الأربع كقول «حسن الدمستاني»[1]:

[طويل]

عَفِيــراً علــى وَعْــرٍ/ طَعِينــاً بِأَسْــمَرٍ/ سَــلِيباً بِــلا سِــتْرٍ / طَرِيحــاً بِــلا قَبْــرِ

ففواصله الأربع جميعها صيغت على الراء.

التقطيع السداسي:

وفيه يصاغ البيت الشعري على ست وحدات صوتية، فيزداد الوقع النغمي ثراءً وعمقاً. ويرد بنسبة أقل من الرباعي. مثاله قول «طه العرادي»[2]:

[كامل]

مَــنْ كَالِــئٌ / لثُغُورِهَــا / مَــنْ مَانِــعٌ/ لِنَكِيرِهَــا / مَــنْ قَامِــعٌ / فُسَّــاقَهَا

ووقع تناسب بين الوحدات الأولى والثالثة والخامسة، وشبه تناسب بين الثانية والرابعة والسادسة[3]. ويمكننا اعتبار الشاهد نفسه نموذجاً للتقطيع ذي الثلاث وحدات.

وقد يقترن بالترصيع فيقوى الجرس ويزداد الإطراب ـ وهو قليل ـ مثاله قول «الوائلي»[4]:

[بسيط]

جَــمٌّ / المــكارِمِ / مَنَّــاعُ / الــمَحَارِمِ/ خَوَّاضُ/الــمَلَاحِمِ/إنْ شَــدُّوا علــى الأُزْرِ

ففواصل الوحدات الثلاث انتهت بحرف الميم. وأفاد على صعيد الدلالة لوناً من التفصيل والتناسب[5].

التقطيع الثماني:

ويقوم فيه البيت على ثماني وحدات صوتية صغرى. وهو قليل الورود. وغالباً ما يوظّف للاستقصاء البعيد:

وقد تتخالف وحدات الشطر الواحد صوتياً ولكنها تتوافق مع مثيلاتها في الشطر الثاني، كقول «حسن الدمستاني»[6]:

---

(1) ديوانه ص159.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص544.

(3) يُراجع أيضاً ديوان الوائلي ص81 البيت 5.

(4) ديوانه ص178.

(5) يُراجع أيضاً ديوان الدمستاني ص341 قصيدة علي الكامل البيت 46.

(6) ديوانه ص125.

[كامل]

خُمْـصُ البُطُـونِ/ طَـوَى/ حَيَـارَى/ سُـهَّمَا ذُبْـلُ الشِّـفَا/ ظَمـاً/ عَطَاشَـى/ سُـغَّبَا

وقد تتماثل جميع الوحدات صوتياً كقول «خليل بن علوي»[1]:

[طويل]

شُـجَاعٌ مُطَـاعٌ لُوْذَعِـيٌّ سَـمَيْدَعٌ عَلِيـمٌ حَلِيـمٌ طَاهِـرُ الـذَّاتِ عَـادِلُ

وفي حالات نادرة ينـزع الشعراء إلى ترصيع بعض الوحدات كقول «حسن الدمستاني» متغزلاً[2]:

[متقارب]

خَفِيـفٌ لَطِيـفٌ أَبِـيٌّ أَلِيْـفْ عَفِيـفٌ ظَرِيـفٌ جَـرِيءٌ جَبَـانْ

فقد وردت خمس وحدات مسجوعة بحرف الفاء، واضطر الشاعر بسبب حرصه على الزخرفة إلى ذكر صفتين متناقضتين هما الجرأة والجبن.

تعدّى الشعراء ـ وفي حالات نادرة ـ حاجز الثماني وحدات فأقاموا البيت على عشر وحدات متوافقة كقول «حسن الشاخوري» على لسان السيدة «زينب» في تفجّعها على أخيها «الحسين»[3]:

[بسيط]

سُـؤْلِي مُغِيثِـي مُعِينِـي غَايَتِـي أَمَلِـي رُكْنِـي عِمَـادِي عَمِيـدِي عِصْمَتِـي نُـورِي

ويجسّد التقطيع تدافع العواطف وتدفّقها بسبب فاجعة الفقد.

أنواع أخرى من التقطيع:

إلى جانب الأشكال السابقة والمتوازنة نجد ضروباً أقل توازناً، ولا يمكن إخضاعها لنظام معيّن نذكر منها:

- ما كانت بعض وحداته تتكون من أجزاء مختلفة العدد. كقول «داود بن أبي شافيز»[4]:

[كامل]

فَجَـوادُهُ فَلَـكٌ / وَغُـرَّةُ وَجْهِـهِ قَمَـرٌ / وَصَارِمُـهُ شِـهَابٌ أُضْرَمَـا

(1) ديوانه ص165.

(2) ديوانه ص92.

(3) المجموعة (1) ص94؛ والبلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص537.

(4) المجموعة (1) ص284.

فالوحـدة الأولـى تتكون مـن جزأيـن، والثانية والثالثة مـن ثلاثة أجزاء. وكقول «حسـن الدمستاني»[1]:

[بسيط]

فَذَلِـــكَ الـــرزءُ أَوْهَـــى قُوَّتِـــي وَبَـــرَى عَظْمِـــي وأَوْرَى بِبَالـــي نَـــارَ بِلْبَـــالِ

فالوحدات منوعة، وأجزاؤها متخالفة.

وقـد يقتصر التقطيع على الصدر فيخفّ الرنين كقول «لطف اللّه بن محمد» وقد بناه على ست وحدات[2]:

[كامل]

أُخـذَتْ سِـبىً حرَقَـتْ خِبـاً شُـتِمَتْ أبَـا مَـــا كَانَ أَهْـــلاً أَنْ تُسَـــبَّ وتُشْـــتَمَا

وكقول «خليل بن علوي» وقد بناه على أربع وحدات[3]:

[طويل]

جَلِيـــلٌ نَبِيـــلٌ فَاضِـــلٌ مُتَطَـــوِّلُ حَمِيـدُ الـمَعَالِي فـي الـمَلَا شَـائِعُ الذِّكْـرِ

وقـد يقتصـر التقطيـع على العجز فقـط. وأغلب ما وجدنـاه بُني على وحـدات لا تقل على الأربع كقول «إبراهيم آل نشرة»[4]:

[كامل]

هَـذَا الـذي شَـمَلَ الـوَرَى مِـنْ فَضْلِـهِ جُـــودٌ ومَعْـــرُوفٌ وأَلْطَـــافٌ وَمَـــنّ

وكقول «الوائلي»[5]:

[بسيط]

فقلـــتُ أَهْـــوَاكِ والأحْـــوَالُ شَـــاهِدَةٌ سُـــهْدِي وَوَجـــدِي وآهَاتِـــي وتِحْنَانِـــي

خصائص التقطيع:

مـال الكثيـر مـن الشـعراء إلـى اسـتخدامه، وأغلبهـم أورده باعتـدال واسـتثمر لخدمة الجانبين الجمالي والدلالي. ورغم ما يكتنف الإسـراف فيه من تكلّف وعسـف فقد اسـتخدمه

(1) ديوانه ص171.

(2) شبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج5 ص256.

(3) ديوانه ص116.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، ص356.

(5) ديوانه ص153.

بعضهم بمهارة، خاصة في مجال الوصف المفعّم بالعاطفة كقول «علي بن أحمد الكامل» في وصف مشهد تفصيلي لاحتدام معركة «الطف»[1]:

[كامل]

وَعَلَتْ على الخَيْلِ المَلَا وتكنَّفَ ... المَوْتُ الوَرَى واشْتَدَّ بالنَّاسِ الظَّمَا
وحَكَى النهارُ الليلَ والأرْضُ السَّمَا ... والمشرفيةُ في العَرِيكَةِ أَنْجُمَا
والخَيْلُ تَرْدِي والفَوَارِسُ شُخَّصٌ ... والسَّيْفُ يَضْحَكُ والطُّلَا يبكِي دَمَا
وَوَهَتْ من الجُنْدِ القُوَى وَدَعَاهُ ... دَاعٍ لِلنَّوَى وسَقَاهُ كأْساً عَلْقَمَا
فالراشِدُونَ إلى الجِنَانِ مصيرُهُمْ ... والمُغْتَوُونَ مصيرُهُمْ لِجَهَنَّمَا

فأبيات المشهد جميعها تقريباً مبنية على التقطيع بمستوياته المختلفة. وقد أتت إيقاعاته متوائمة ومنسجمة، وهي تكاد تضارع الضجيج الصاخب المنبعث من أتون الحرب وتداخل الأصوات فيها، وتماثل أنفاس الشاعر الصاعدة والهابطة وهو يصف بانفعال المشهد المذكور.

على أن الإسراف في استخدام التقطيع والتعويل عليه في مقاطع طويلة متصلة أو منفصلة يسمها بالتكلّف والعسف في الكثير من الأحيان. فتغدو جعجعة تصمّ أصواتها الصاخبة الآذان. كما أن شدة العناية بها يؤدي إلى إغفال الشاعر لمعانيه فتأتي الأفكار هزيلة منهكة يشوبها الافتعال[2].

وقد أدى الحرص على استخدام التقطيع إلى المعاضلة في المعنى وتعقيده. كقول «علي بن أحمد الكامل»[3]:

[بسيط]

خِصْبٌ حَيَاةٌ مَمَاتٌ عِلَّةٌ ظَهَرَتْ ... للجَدْبِ والجُودِ و/ الإنْجَادِ والكَوْنِ

فلعلّ الشاعر قابل كل لفظة في الصدر بما يناسبها ويكمّلها في العجز.

وفي العموم اتسم شعراء «البحرين» بحسن استخدامهم للتقطيع فزخرفوا به أشعارهم عدا حالات أفرطوا في إيراده فأفسدوه.

---

(1) ديوان الدمستاني ص346.

(2) مثال ذلك قصيدة لعبد الرؤوف الجدحفصي فقد صاغ ما ينوف على العشرة أبيات منها على التقطيع وذكرنا شواهد منها في الباب الثاني ص264. وقصيدة لداود بن أبي شافيز صيغت أبيات كثيرة منها عليه. تُراجع أبيات منها في الباب الثاني ص198.

(3) ديوان الدمستاني ص340.

المقابلة:

المقابلة لون بديعي، له وظيفة دلالية لا تخلو من جمال. وفي إطارها نجمع المطابقة علـى اعتبـار أنها جزء أصيل متفـرع عنهـا. والمقابلة طاقـة تعبيرية لها مسـاهمة إيجابية في توضيح المعنى، وتجلية الأفكار بما تكشـفه من ضد وضد الضـد، وما تبرزه من متقابلات، وما تخلفه من صلات وعلاقات بين الألفاظ وبين المعاني[1].

والمقابلة في شعر «البحرين» وفيرة متعددة الألوان، وأبرزها:

المقابلة بالتضادّ:

وفيها يجمع الشـاعر بين لفظين يتقابلان في معناهما القاموسي. ولهذا النوع النصيب الأوفى في الاستعمال.

وتتنـوّع المتقابلات في هـذا اللون تنويعاً واضحاً. وهي في عمومها تتسـم بالانسـجام فـي الألفـاظ، والائتلاف فـي المباني. فقد عمد الشـعراء إلـى المقابلة بين كلمـات من جنس واحد. اسماً أو فعلاً أو حرفاً.

ومما أتت المقابلة بين فعلين ماضيين قول «ماجد بن هاشم»[2]:

[كامل]

بِـــأخٍ صَفَـــتْ أخلاقُـــهُ وإخَـــاؤُهُ إنْ كَـــدَّرَ الإخْـــوَانُ صَفْـــوَ إخَائِهَـــا

فالفعلان مشـتقان من الثلاثي المجرد، ووردت المقابلة في سياق مقارنة تفاضلية بين مفرد (أخ) وجمع «إخوان» لصالح الأول، كما جسّدت في الوقت نفسه خصوصيته.

ومما اختلف فيه زمان الفعلين قول «أحمد بن طعّان»:

[وافر]

مُـــذْ اشـــتَعَلَتْ شَـــوَاظُ الحَـــرْبِ أَطْفَـــوا ضِـــرامَ شَـــوَاظِهَا بِظُبَـــا حِـــدَادِ

والمقابلة تعبّر عن التعاقب المقيّد، وقد صيغت بأسلوب تصويري اقترن فيه الاشتعال بالإطفاء[3].

---

(1) يُراجـع تعريفهـا عنـد ابن رشـيق، العمدة، مصـدر سـابق، ج2 ص5 – 20. وعتيق، عبـد العزيز، علـم البديع، مصـدر سـابق، ص66 ومـا بعدهـا. والطرابلسـي، محمد الهـادي، خصائص الأسـلوب فـي الشـوقيات، مصدر سابق، ص95 وما بعدها.

(2) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص150.

مقابلة الاسم بالاسم: التزم الشعراء ـ في الغالب ـ بمقابلة اللفظ بما يماثله اشتقاقاً. ومما ورد فيه اللفظان جمعاً وبالصيغة نفسها قول «سلمان التاجر»:

[مجزوء الكامل]

طَابَتْ فُرُوعُهُمُ كَمَا طَابُوا بِهَا تِيْكَ الأُصُولِ[1]

وتنضح المقابلة بمعنى النجابة وحركتها المسترسلة عبر توالد الأجيال.

ويرد ـ وبدرجة قليلة ـ لَفْظَا اسم الفاعل بصيغتين مختلفتين كقول «الوائلي»[2]:

[بسيط]

أَنَا الذي جُبْتُ أَقْطَاراً رَأَيْتُ بِهَا أبناءَ حَوَّاءَ مِنْ حَافٍ ومُنْتَعِلِ

والمقابلة تؤدي معنى حركة استقطاب وشمول مستويات البشر وأنواعهم.

المتقابلان اسم جامد: وقد يردان بأوزان مختلفة كقول «محمد بن عبد اللّه الحسيني» مخاطباً ممدوحه[3]:

[رجز]

عفواً فقد قَابلتُ دُرّاً بِحَصَى وبَحْرَ نظمِ شِعْرِكُمْ بالإِثمدِ

وتعبّر المقابلة عن مقارنة تفاضلية ويظهر البون الشاسع بين عنصريها من خلال الصورة الكنائية التي شبّه فيها الشاعر نظم الممدوح بالدُّرّ ونظمه هو بالحصى. ولتأكيد المفاضلة أتى بمقابلة ثانية تصويرية جسّدت الفرق الهائل بين ضخامة البحر وعظمته، والإثمد هو الماء القليل المتجمّع في حوض أو نحوه.

اللفظان من جنس مختلف: ويرد بنسبة قليلة. وقد يكون أحدهما فعلاً والآخر اسماً كقول «الخطّي»[4]:

[كامل]

فَإِذَا غَلِيلُ الحُزْنِ أَعْطَشَ مُهْجَةً فَعَلَى دُمُوعِ العَيْنِ رَيٌّ ظِمائِهَا

وقرن الشاعر المقابلة بالتصوير فتخيّل الحزن يعطش الفؤاد، وأن عبرات العين ترويه، فنضحت المقابلة بمعنى التعويض.

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص309. ينظر كذلك مجموعة (1) ص304 البيت الثاني. وفيه ورد المتقابلان اسمي فاعل وبصيغة واحدة.

(2) ديوانه ص14.

(3) ابن معصوم المدني، علي خان سلافة العصر، مصدر سابق، ص504.

(4) ديوانه ص4.

وفي العموم تتسم مقابلة التضاد بالانسجام في أنواع الكلمات غالباً.

المقابلة بشبه التضاد:

تأتي في مرتبة تالية في الاطراد بعد السابقة. وتتميز بأن الشاعر فيها لا يعتمد على رصيده اللغوي بقدر ما يعتمد على قدرته على التفنن والإبداع. فهو يستعمل أزواجاً من الألفاظ ليست ضداً لبعضها في أصل الوضع اللغوي، وإنما هي مقاربة لذلك. مثالها قول «أحمد بن طعّان» في وصف غدر الدنيا[1]:

[طويل]

تُعَوِّضُهُمْ بعد القُصُورِ قُبُورَهُمْ وَبَعْدَ هَنَاهُمْ حَسْرَةً لم تكن تَفْنَى

فالقصور لا تقابل القبور في الوضع اللغوي، وإنما القصور مظهر الحياة الدنيا ونعيمها وترفها. والقبور رمز الموت والزهد في ماديات الحياة، وهكذا غدا اللفظان متقابلين في أبعاد الدلالة، وكذلك الحال في لفظي الهناء والحسرة، لا يتقابل اللفظان، ولكن الحسرة قد تغدو سبباً للشقاء فاعتبرها الشاعر نقيضاً للهناء[2].

يتضاءل حجم التناسب بين الألفاظ في هذا الضرب من المقابلة بالقياس إلى النوع السابق. ويلاحظ أنه حتى لو اتفق المتقابلان في نوع الكلمة فإن الاختلاف يظهر في الوزن أو في طبيعتها من حيث الجمود والاشتقاق. ومما اختلّ فيه الانسجام اللفظي قول «إبراهيم الخليفة[3]:

[طويل]

يُعَامِلُني بالسُّوءِ مَنْ أَنَا مُحْسِنٌ إليهِ بِمَحْضِ الودِّ في القُرْبِ والبُعْدِ

فقد قابل بين «السوء» وهو مصدر و«محسن» وهو اسم فاعل واللفظان متباينان وزناً. ومما قوبل فيه بين مصدرين مختلفي الوزن قول «عبد اللّه بن محمد» مخاطباً ممدوحه[4]:

[وافر]

أَقِلْني عَثْرَةً كدتُ أَقْضِي بها أسفاً وَهَبْنيهَا مَثَابَا

وقد يكون الاختلاف أبعد كقول «الخطّي» متأسّياً على فقد أحبَّته[5]:

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص126.

(2) يُراجع أيضاً ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص500 البيت 27.

(3) ديوانه ص43.

(4) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص513.

(5) ديوانه ص60.

[طويل]

وتَثْـــرَى بِهِـــمْ أهـــلُ القُبُـــورِ وإنَّنِـــي أرُوحُ وأغـــدُو منهُـــمُ بيـــدٍ صُفْـــرِ

فقـد قابـل بين لفـظ وهو الفعـل «تثرى» وعبـارة «بيد صفـر» التي كنّى بهـا عن فراغ اليد وخلّوها قارناً المقابلة بالتصوير.

أتاح هذا اللون مجال التفنّن في إخراج أزواج من المقابلات لا تخلو من بعض الابتكار كقول «الخطّي»[1]:

[طويل]

فيـــا لَـــكَ يَوْمـــاً لَـــوْ أَشَـــارَ بِيُمْنِـــهِ لأيَّـــامِ عَـــادٍ لانْقَلَبْـــنَ سُـــعُودَا

فأيـام عـاد حـادث تاريخـي قديم رمز بها الشـاعر إلـى معنـى النحوس وجعلهـا مقابلاً للفظة السعود.

المقابلة بالسلب:

والغالب عليهما مقابلة فعل منفي بفعل موجب أو العكس. كقول «حسن الدمستاني» مخاطباً أحبته[2]:

[طويل]

وإنْ لـــم تَجُـــودُوا لـــي بِوَعْـــدٍ فَإنَّنِـــي أَجُـــودُ بِأسْـــنَى مـــا يُحِيـــطُ بـــه وَجْـــدِي

والمقابلة تتضمن معنى التعويض.

وقد تكون بين اسم مثبت وآخر منفي ـ وهو قليل ـ كقول «خليل بن علوي»[3]:

[طويل]

أَبَـا الفَضْـلِ قـد جَاهَدْتَهُـمْ رَاغِبـاً إلـى الـ جِنَـانِ وعـن خيـرِ الـوَرَى غَيْـرَ رَاغِـبِ

وقد يأتي اللفظان متباينين في نوعهما ـ وهو قليل أيضاً ـ كقول السابق[4]:

[طويل]

أَبَـــا الفَضْـــلِ سُـــلِّبْتَ العِمَامَـــةِ والـــرِّدَا وكُنـــتَ لمـــن أرديتَـــهُ غيـــرَ سَـــالِبِ

---

(1) ديوانه ص42.

(2) ديوانه ص141.

(3) ديوانه ص57.

(4) ديوانه ص58.

المقابلة المركّبة:

وهـي نادرة. وفيهـا يبنى جـزآن متقابلان على عنصريـن متقابلين أساسـاً. أو أن تتفرّع ثانيـة عن مقابلة أولى أصلية لغاية تفصيلية أو توضيحية. مثال الأولى قول «أحمد بن طعّان» ضمن مرثية[1]:

[كامل]

ولقـــد تَسَـــابَقَتِ السَّـــمَاءُ وأرضُهَـــا فـــي ضَـــمِّ شـــخصِكَ مَجْمَـــعُ التَّبْيِيـــنِ

فَقَسَـــمْتَ بينهمـــا فروحُـــكَ فـــي السَّـــمَا والجِسْـــــمُ للأرضيـــــن للتحصيـــــنِ

فقابـل الشـاعر بيـن السـماء والأرض أولاً ثم صـاغ أخرى: الروح والجسـم، تتبـع الأولى وتوضّحها ويتوزع طرفاها على شقّي الأولى.

ومن المقابلة التي بنيت فيها الثانية على أساس الشقّ الثاني من الأولى قول «علي بن حسن البلادي»[2]:

[رمل]

فَتَرَاهُـــمْ فـــي مَضِيـــقِ الكَـــرْبِ فـــي غَايَـــةِ البُشْـــرَى وُجُوهـــاً وفُـــؤادَا

فقـد قابـل بيـن الكـرب والبُشْـرى، ولبيان مظاهـر الشـق الثانـي ـ البُشْـرى ـ قابل بين «وجوهـاً وفـؤاداً» ليعبّر بها عن البشـر الخارجـي والداخلي، وقـد ربط التركيـب (المقابلتين) فغدتـا وحـدة واحـدة رغـم ثنائيتهمـا. وسـاهمت المقابلتان فـي تعميـق الدلالـة بتفصيل أو توضيح.

موقع المتقابلين في إطار البيت:

1. توزيع المتقابلين في مقابلة المفرد:

تتبايـن مواضـع لَفْظَـي المقابلـة فـي إطـار البيت الشـعري. بَيْـدَ أننـا نلحظ ميـلاً إلى إيرادهمـا متجاوريـن أو قريبيـن مـن المتجاوريـن. وعلى ذلك فقـد فاق مجيئهمـا في العجز وحـده أو الصـدر وحـده توزّعهما على شـطري البيـت الواحد. كمـا فاق ورودهمـا في العجز مجيئهما في الصدر. وهذه هي الأشكال التي توزّع ضمنها شقّا المقابلة مرتبة حسب تواترها.

- **لفظـا المقابلة يضمّهما العجز.** والغالب ورودهما متتالين متعاطفين في آخر البيت، كقول «الوائلي»:

---

(1) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص261.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص404.

[كامل]

وَتَبَـــوَّأَ الـــمُلْكَ الرفيـــعَ مُنَادِيـــاً بالعَـــدْلِ بيـــن حَوَاضِـــرٍ وَبَـــوَادِ[1]

وقد يردان مفصولين، وبحجم أقلّ من السابق، كما في قول «ماجد بن هاشم»:

[بسيط]

الدَّهْـــرُ شَـــاطَرَ مـــا بَينِـــي وبينكُـــمُ ظُلْمـــاً فَـــكانَ لكـــم رُوحٌ ولـــي بَـــدَنُ[2]

- **اللفظان يحتضنهما الصدر:** ويأتيان بنسبة أقلّ من ورودهما في العجز وأقلّ تنوعاً. وهما قد يتجاوران كقول «الوائلي»[3]:

[بسيط]

تَرْضـــى وتغضـــبُ مـــا أَحْلَـــى تَدَلُّلِهَـــا وتصـــرفُ الطَّـــرْفَ عنِّـــي ثـــم تَرْعَانِـــي

وقد ينفصلان كقول «أحمد بن طعّان»[4]:

[كامل]

مُحْيِـــي دُرُوسَ العِلْـــمِ بعـــد دُرُوسِـــهَا وكـــذا الأَنَـــامُ بعلمِـــهِ الـــمَيْمُونِ

ومما ترسّخ فيه استعمال المقابلة بإيراد متقابلين متجاورين في كل من الصدر والعجز قول «الخطّي»:

[بسيط]

يَـــا مَـــنْ مَضَـــى وبَقِينَـــا بَعْـــدَهُ هُمْـــلاً لـــو أنصـــفَ الدَّهْـــرُ أَفْنَانَـــا وخَلَّـــدَكا[5]

- **تـوزّع المتقابلين على شطري البيت:** ويأتي بنسبة أقلّ من السابقين ويتخذ فيه اللفظان عدّة منازل منها:

- **اللفظان موزعان في حشو الشطرين** كقول «سلمان التاجر»[6]:

[كامل]

يـــا بَحْـــرَ جُـــودٍ بالدِّمَـــا أَرْوَى الظُّبَـــا وَمَضَـــى ومِـــنْ ظَمَـــأٍ حَشَـــاهُ يَضْـــرِمُ

---

(1) ديوانه ص35. يُراجع أيضاً ديوانه حسن الدمستاني ص211 البيت 21.

(2) ابـن معصـوم المدنـي، علـي خان، سـلافة العصـر، مصـدر سـابق، ص493 وينظر كذلـك البلادي، حسـين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص162 البيت7.

(3) ديوانه ص134.

(4) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص260.

(5) ديوانه ص85. ويُراجع أيضاً ص113 البيت13.

(6) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص289.

اللفظ الأول في نهاية الصدر والثاني في نهاية العجز كقول «الخطّي»[1]:

[طويل]

إِذَا أَنَــا لــم أُكــسِ الرِّجَــالَ مَدَائِحِــي فلســتُ بِكَاسِــيهِمْ ـ كَرُمْــتَ ـ مَثَالِبِــي

2. توزيع المتقابلين في مقابلة التراكيب:

تتباين الأشكال التي تصاغ فيها مقابلة التراكيب. ويعمل الشعراء أحياناً إلى إخراجها منسجمة الأجزاء متوازنة التوزيع على كامل عناصر الشطرين. إلا أن غالبية الشعراء يميلون إلى التحرّر من قيود شكل معيّن مع الالتزام في الوقت نفسه بشكل من أشكال التناسق. وتتمثل أبرز الأشكال التي أخرجت بها في:

- **مقابلة تنزع إلى تناسب الأجزاء وانتظام التوزيع.** وهي قد تكون شاملة لكل أجزاء الشطرين أو بعضها. ويتّسم هذا النوع بالحيوية وثراء الإيقاع الموسيقي وجلاء المعنى. مثاله قول «حسن الدمستاني»[2]:

[بسيط]

غَطَّــى الشَّــبَابُ علــى عَقْلِــي فَأَضْحَكَنِــي وأَسْــفَرَ الشَّــيْبُ عَــنْ جَهْلِــي فَأَبْكَانِــي

فقد قابل الشاعر بين كل مفردة في الشطرين وأخرجها في أسلوب تقطيعي متوازن.

- **مقابلة ذات تناسب جزئي:** وفيها مال الشعراء إلى التخفيف من التناسب الكلّي المحكم واكتفوا بدرجة أدنى من التناسق بين التراكيب المتقابلة. ومن ذلك قول «ماجد بن هاشم» وقد بنى المقابلة على تركيبين ورد الأول في بداية الصدر والثاني في نهاية العجز:

[كامل]

والليــــلُ مَحْبُــــوبٌ لِــــكُلِّ ضَجِيعَــــةٍ تَهْــوَى عِنَاقَــكَ والصَّبَــاحُ بَغِيــضُ[3]

- مقابلة غير مقيّدة بأي تناسب وتمتد بين الشطرين وفيها يساير الشاعر المعنى دون الالتزام بترتيب معيّن لعناصر المقابلة كقول «حسن الدمستاني»[4]:

[بسيط]

فَــكَانَ (مَهْبِطُــهُ فــي التُّــرْبِ) (مَصْعَــدَهُ فــي القُــدْسِ) فاعجبْ لَــهُ مــن هَابِــطٍ عَــالِ

(1) ديوانه ص7.
(2) المصدر نفسه، ص182.
(3) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص494.
(4) ديوانه ص171.

فقد وزّع المقابلة. وكقول «أحمد بن طعّان» وقد كان أكثر تصرّفاً إذ اعتمد على المقابلة بين المعاني أكثر من المقابلة بين الألفاظ:

[بسيط]

فَفَازَ مَنْ حَكَّمَ العقلَ المُنِيرَ كَمَا هَوَى الأُلَى حَكَّمُوا شَرْعَ الهَوَى فَعَمُوا[1]

ويتّسم هذا اللون الدلالي بجانب من التلقائية والخلوّ من الزخارف الشكلية.

- **المقابلة المحصورة في أحد الشطرين:** وفيها تفوّق قليل على المحصورة في العجز كقول «حسن الدمستاني» في وصف الدنيا[2]:

[طويل]

كَفَاسِدَةِ البَيْضِ التي قد تَعَفَّنَتْ فقد (خَبُثَتْ لُبّاً) كما (حَسُنَتْ قِشْرَا)

ومن المقابلة المحصورة في الصدر قول «خليل بن علوي»:

[طويل]

(نَصَحْتُ فلم أُفْلِحْ) (وَخَانُوا فَأَفْلَحُوا) وصَيَّرني نُصْحي لِكُلِّ هَوَانِ[3]

لقد كانت المقابلة أسلوباً من أساليب التوصيل وبيان أبعاد الدلالة، وأدّت في الوقت نفسه وظيفة جمالية، خاصة حين كانت تقترن بتوزيع منسجم بين شقّيها. وقد استعملت في شعر «البحرين» باعتدال ودون تعسّف في غالب الأحيان.

التورية:

ندرس فيها الألفاظ ذات المعنيين والتي أقام الشاعر ضمنها علاقة تفاعلية، خاصة بين المعنى اللغوي الأصلي والمعنى المشتق منه والمضاف، بموجب رابطة أنشأها من خلال الاستعمال. جاعلاً إيّاها تشعّ بوجهين من المعاني. واستخدم الشعراء نوعين من التورية:

1. التورية باسم العلم: وهو الأكثر اطّراداً. وفيها وظّفت أسماء الأعلام الدالّة على شخصية ما، لإثراء المضمون باستثمار ما تشتمل عليه من معانٍ.

ومن الألفاظ التي استغلّ فيها اللقب الشخصي قول «الدمستاني»[4]:

---

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص117، ويُراجع أيضاً ديوان خليل بن علوي ص43 البيت47.

(2) ديوان ص100.

(3) ديوانه ص101 وينظر كذلك ص16 البيت8.

(4) ديوانه ص101.

[طويل]

فَيَـــا عَجَبـــاً للجَـــرْوِ يقتـــلُ حَيْـــدَراً ويـــا عَجَبـــاً للصَّعْـــوِ يفتـــرِسُ الصَّقْـــرَا

فحيدر لقب للإمام عليّ، وهو في الوقت ذاته اسم من أسماء الأسد مظهر الشجاعة في المفهوم العربي. وليؤكد الشاعر تعجّبه من تمكّن الأضعف من الأقوى أتى بسلسلة من أسماء الحيوان رمز بها لمعانٍ قصدها. فورّى بالجرو والصعو ـ وهو طائر صغير [1] ـ وبما يدلاّن عليه من معنى الصغار والهوان عن قاتل الإمام «عليّ». وورّى بالأسد والصقر عنه.

واستثمر «سلمان التاجر» معاني العديد من أسماء الأعلام في شريط من الأبيات حشاه بالتورية حشواً. ومما قاله[2]:

[خفيف]

هَـــذِي (فَرَســـي) خَبَبـــاً سَـــلَكَتْ بَحْـــــراً عَذْبـــــاً مســـــتوردُهُ

(حُصَـــرِي) فـــي الغربـــةِ أَفْرَشَـــهَا «يـــا ليـــلُ الصَّـــبِّ مَتَـــى غَـــدُهُ

(شـــوْقي) قـــد زَادَ تَوَجُّـــدُهُ «وَبَـــكَاهُ ورحَّـــمَ عُـــوَّدُهُ

(صبـــري) أعيـــاه تجلّـــدُهُ «هَـــلْ مِـــنْ آسٍ يتعهَّـــدُهُ

فقد ورّى بالفرس عن قصيدته. ثم ذكر عدداً من الشعراء قدامى ومعاصرين. فورّى بـ «حصري» عن الشاعر «إبراهيم بن علي الصحري القيرواني» (ت453هـ). وضمّن البيت الثالث تورية عن الشاعر «أحمد شوقي» (ت1932). وفي الرابع تورية عن الشاعر المصري «إسماعيل صبري» (ت1923). وعمد إلى ذكر بعض لوازم المورّى به (تورية مرشحة). كما ذكر مطالع قصائد المورّى عنهم. والأبيات لا تخلو من تعسّف. ومما وظّفت فيه أسماء المذاهب والفرق الفقهية وفيه الكثير من الافتعال قول «لطف اللّه بن علي» من مقدمة غزلية[3]:

[بسيط]

أَيَّـــامَ أرفـــضُ عُذَّالـــي وَتَرفِضُنِـــي ومَالِكِـــي شـــافِعِي والهـــمُّ معتزلـــي

2. التورية بلفظ عام: وهي أقلّ حجماً من السابقة. ومما استخدمت فيه مصطلحات الفقه قول «ماجد بن هاشم» في مجال البكاء على الشباب[4]:

[كامل]

أَيقـــومُ أقـــوامٌ بِمســـنُونِ الصِّبَـــا مُسْـــتَوْفِراً ويفوتُنِـــي المَفْـــرُوضُ

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة «صعو«».

(2) شعره ص18.

(3) محفوظ، حسين، المنتخب، مصدر سابق، ص25؛ وشُبَّر، جواد، أدب الطّف مصدر سابق، ج5 ص360.

(4) ابن معصوم المدني، علي خان سلافة العصر، مصدر سابق، ص494.

فقد ورّى بلفظي «مسنون» و«مفروض» عن معنى المستحبّ والواجب.

ومن الأبيات التي استعمل فيها الشاعر نوعي التورية قول «عبد اللّه بن محمد»، وأتت التورية في صدر البيت الثاني[1]:

[وافر]

وَلَولَا ما عهِدتُ لكم قَدِيماً مِنَ البِرِّ الذي مَلَكَ الرِّقَابَا
لَما واصلتُ بعدَ القطعِ هِنْداً ولا قَاطَعْتُ سَلْمَى والرَّبَابَا

فقد ورّى بلفظة «القطع» أي الجفاء عن معنى عبور المسافات الطويلة، وورّى باسم العلم «هند» عن بلاد الممدوح.

هذه أبرز فنون البديع التي شاع استعمالها في شعر «البحرين» في الفترة المدروسة. وهي كما يظهر تتميّز بتفوق فنون البديع اللفظي على البديع المعنوي. على أن البديع اللفظي وإن كان خاصاً بزخرفة الشكل فإنه غذّى في الكثير من الأحيان الدلالة وأثراها وعمّق أبعادها.

ولقد لمسنا خلال ذلك عناية الشعراء بتزيين فنّهم بصنوف البديع. ونحن نفسّر هذه الظاهرة بعاملين:

الأول: إن هذا الاتجاه صدى لتوجّه عام سلكه الأدب العربي في تلك الفترة التي اعتنى فيها الشعراء عناية فائقة بزخرفة فنّهم، فلم يستطع شعراء البحرين الإفلات منه.

الثاني: إن فنون البديع المذكورة ـ وأغلبها يتميّز بإيقاعه الموسيقي وجرسه الرنّان ـ تتناسب والظروف التي يتداول فيها الشعر البحراني. ونظراً إلى أن الجزء الأكبر منه ينظم ليُلْقَى شفاهاً وينشد على أسماع الجمهور، فكان من الطبيعي أن يعوّل الشعراء على كل ما من شأنه أن يشدّ الأسماع ويوقظ النفوس. وقد شكّلت فنون البديع المختلفة عناصر مهمة اعتنوا بها لتحقيق ذلك. فأدخلوها في أشعارهم وحرصوا على بثّها في ثناياها مستخدمين الجناس ولواحقه من تصدير وتكرار وتقطيع وما إليها لاستثمار ما فيه من طاقات فنية وأجراس موسيقية رنّانة. وكما تبيّن لنا فإن عنايتهم بما سمّي بالبديع اللفظي قد فاقت عنايتهم بما سمّي بالبديع المعنوي. وما ذلك إلا لتناسبه مع ذلك الغرض.

ومما يلاحظ على استعمالات الشعراء أنهم رغم اهتمامهم بجانب الشكل فإنهم لم يعطوه المقام الأول. وبالتالي لم يولعوا بحشد المحسنات إلا في القليل النادر. ووزّعوا عنايتهم على صعيدي المعنى والمبنى، فغلب على استعمالهم الاعتدال.

ولعلّ طبيعة المضامين التي عالجوها حدّت ـ نسبياً من الإفراط المشطّ في استخدام

(1) ابن معصوم المدني، علي خان سلافة العصر، مصدر سابق، ص511.

البديـع. فالتركيز على شـعر الرثاء، والتعبير عن هموم البيئة ومعاناتها يسـتدعي ـ في الغالب ـ انسـياب التجربة الشـعرية وعـدم تقيّدها بما يعـوق انطلاقتها أو يحدّ مـن تدفّقها. ومن ثم كان الاعتدال.

الفصل الرابع

الأساليب الإنشائية[1]

(1) السبب في تركيزنا عليها دون الأساليب الخبرية ما تولّد عنها من بروز ظاهرة الحوار التي أخذت حجماً واضحاً في شعر البحرين كما سنوضح في هذا الفصل.

نـدرس في هذا الفصل الأسـاليب الإنشـائية التي خرجت عن غاياتهـا الأصلية ووضعت في سـياقات جديدة أغنت النصّ ومكّنت الشاعر من بلورة ما دقّ من معانٍ وخواطر وأتاحت له التنفيس عما انطوت عليه جوانحه من رؤى وأحاسيس.

ونظـراً لمـا لهذه الأسـاليب من قيمة فنيـة وتأثير، حرص الشـعراء ـ منـذ القديم ـ على استهلال قصائدهم بلون من ألوانها. رغبة في تحريك عواطف المستمع وإثارة انتباهه.

ويطّـرد اسـتعمالها فـي شـعر «البحريـن» اطّراداً واضحـاً. وقـد أدّت لما لها مـن نبرات صوتية عالية دوراً في تنشـيط السـياق الشـعري، وإضفاء قدر من الحيويـة والتدفّق. وخلقت مشـاركة وجدانيـة فعالـة بين الشـاعر والمتلقّي. ومما زاد فـي قيمتها أنّ جـزءاً كبيراً من ذلك الشعر كان يلقى شفاهاً.

الاستفهام:

أُفرِغ الاسـتفهام ـ في الكثير من الحالات ـ من مضمون المسـاءلة ووظّف ليؤدي غرضاً بلاغيـاً معيّنـاً. وكثُـر رصيده فـي مطلـع القصائد وفـي صلبهـا، متركزاً فـي بيت واحـد حيناً أو متتابعاً في العديد من الأبيات وبشكل تراكمي في الكثير من الأحيان.

ومن الاستفهام الذي استفتح به وانحصر في بيت واحد قول «الوائلي»[1]:

[كامل]

هَجَـــعَ الـــوَرَى ليـــلاً فأيـــنَ هُجُوعِـــي أَأَنَـــامُ والأشـــواقُ حَشْـــوُ ضُلُوعِـــي؟

فالشـاعر يشـكو السـهاد، وقد أضفى الاسـتفهام معنـى تعذّر النوم واسـتحالته بسـبب تصاعد الحنين.

وقد يكثّف الشـعراء الاسـتفهام في مطالعهم ويصبّونه في مجموعة أبيات يتوالى فيها التساؤل كقول «أحمد الدمستاني»[2]:

[طويل]

أيـــدرِكُ أَهْـــلُ الـــمَجْدِ مَـــنْ هُـــوَ قَاعِـــدُ وينفـــقُ فـــي الغَالِيـــنَ مَـــنْ هُـــوَ كَاسِـــدُ؟

---

(1) ديوانه ص195.

(2) ديوان حسن الدمستاني ص231.

إذا لــم يــرمَّ المــرءُ مربَــعَ مَجْــدِهِ تَهَــدَّمَ مــا عَــلاَّهُ جَــدٌّ وَوَالِــدُ
فَهَـلْ نَفَعَـتْ نَـارُ اللظَـى حيـثُ خَلَّفَـتْ رَمَــاداً وَضِيعــاً خَلَّفَتْــهُ الــمَوَاقِدُ؟
وَهَــلْ نَفَــعَ العَضْــبَ اليَمَانِــيَّ جَوْهَــرٌ إذَا لــم تَنَــلْ مِــنْ صَفْحَتَيــهِ الــمَبَارِدُ؟

فالاستفهام ورد بمعنى النفي تأكيداً للحضّ على طلب المجد بسبب تقديس الشاعر له.

ويميل الشعراء في صلب قصائدهم إلى الإكثار من السياقات الاستفهامية فتتشكّل مشاهد يتراكم فيها التساؤل. وهم يميلون إلى الالتزام بأداة واحدة في معنى واحد في أغلب الأحوال. كقول «حسن الدمستاني» في معنى الاستنكار:

[بسيط]

وكيــفَ أنشــقُ رَيْحَانــاً وقــد تُرِكَــتْ رَيْحَانــةُ المصطفَــى تَنْتَاشُــها الأَسَــلُ؟
أم كيــفَ أشــربُ مــاءً لا أغــصُّ بِــهِ والسِّــبْطُ صَــادٍ تُسْــقيهِ الــرَّدَى الذُّبُــلُ؟
أو كيــف أفــرِشُ فُرْشــاً وهــو مُنْجَــدِلٌ بِجَنْــدَلٍ قــد عَــلا عَلْبَــاءَهُ عَبِــلُ؟[1]

وينضح الاستفهام بالندب والأسى ورفض الشاعر التمتع بالمظاهر التي حرم منها المرثي. ومع رتابة الحركة المنبعثة من الاستفهام بسبب التركيز على أداة واحدة تمكّن الشاعر من تأمّل أبعاد الموقف ووصف المأساة.

وينوع الشعراء أحياناً في أدوات الاستفهام في السياقات الطويلة نسبياً فيتأهّل الأسلوب إذ ذاك للكشف عن نزعة الشاعر إلى الاستقصاء من ذلك قول «خليل بن علوي»[2]:

[بسيط]

أَبَعْــدَ سَــلْمَى مِــنَ البحريــنِ ترتَقِــبُ هَــوىً فَهَــلْ تُنْقَــلُ الأطْــوَادُ والهِضَــبُ؟
فكيــف ترقُــبُ مــا قــد فَــاتَ مِنْــكَ ولا عُتْبَــى عليــكَ بِــذَا كلاَّ ولا عَتَــبُ
فأيــنَ أنــتَ وأرضُ الخِــطِّ وَيْــكَ وإنْ لأرضِهَــا بِــكَ يومــاً زُمَّــتِ النُّجُــبُ
كيــف الوصــولُ إلــى قــوْمٍ خِيَامُهُــمُ أَطْنَابُهــا السُّــمْرُ والهِنْدِيَّــةُ القُضُــبُ

فالشاعر يبدو كأنه يعاتب نفسه ويريد استقصاء حالته وأسباب ما يعانيه من موقف يائس.

معاني الاستفهام:

لم يكن الاستفهام لوناً من ألوان الحوار أو استنطاق النفس قصد تحريكها وإثارتها

(1) ديوانه ص167 وقد تواصل الاستفهام في خمسة أبيات والعَبْل والضخم من كلّ شيء.
(2) ديوانه ص46.

للتأمّل والتدبّر وحسب، بل نبض الكثير منه بعديد المعاني والدلالات. فشفّ عنها وإن لم يذكرها أو يصرّح بها. ومن المعاني التي أدّاها:

التفجّع:

زخرت قصائد الرثاء بالحزن واتخذ الشعراء من الاستفهام وسيلة إفراغ يخفّفون بها أساهم ويتفجّعون بها. من ذلك قول «عبد اللّه الذهبة»[1]:

[طويل]

فَمَنْ لِلْهُدَى هَادٍ سِوَاكَ وللنَّدَى ... كَفيلٌ إِذَا ما الغَيْثُ ضَنَّتْ سَحَائِبُهْ
وَمَنْ لِلْعَوادِي والعَوَالِي والظُّبَى ... سِوَاكَ ومَنْ للخَطْبِ إنْ شَبَّ لاهِبُهْ
فَمَنْ ذَا يُقيمُ العَالَمِينَ على السِّوَا ... وإنْ ضَاقَ ذَرْعاً بالثقالِ مَذَاهِبُهْ

فالاستفهام أفاد التيئيس وعوّض أصوات الندب وعبّر عن وجد الشاعر. كما أن تكرار «مَنْ» أثرى الإيقاع ودلّ على تمجيد المرثي وتعذّر إمكانية ملء الفراغ الذي خلّفه رحيله.

التأمّل والاتّعاظ:

تهيّأ الاستفهام للتعبير عمّا راود نفوس الشعراء من حيرة وتساؤلات إزاء مصائر البشر وفنائهم، خاصة تلك الفئة العالية الشأن. يقول «أحمد بن طعّان» مستفسراً:

[مجزوء الكامل]

أينَ النبِيُّونَ الأُلَى ... وَضُحَتْ بِهِمْ سبلُ المَذَاهِبْ؟
أينَ المُلُوكُ المَالِكُونَ ... مِنَ المَشَارِقِ للمَغَارِبْ؟
أينَ الفلاسفةُ الأُلَى ... في النَّيِّرَاتِ لهم غَرَائِبْ؟[2]

فالأبيات تنضح بتشاؤم الشاعر واعتقاده بشمولية الفناء، وعدم تفريق الموت بين البشر.

واستغرب «خليل بن علوي» من خيانة الدهر وعبثه بمقدرات خيار الناس فساءله عن السبب في معاداتهم قائلاً[3]:

[وافر]

أَلَا يا دَهْرُ كَمْ هَذَا التَّعَدِّي ... على أَهْلِ العُلَا من غَيرِ قَصْدِ

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص447.
(2) المصدر نفسه، ص153.
(3) ديوانه ص117.

كأنَّـــكَ تطلـــبُ الأمْجَـــادَ وِتْـــراً فتقصـــدُ فقدَهُـــمْ مـــن غَيْـــرِ رَدِّ
إلـــى مَ تُرِيـــشُ وَيْـــكَ سِـــهَامَ غَـــدْرٍ وَتَرمِيهـــنَّ عَـــنْ غِـــلٍّ وحِقْـــدِ
وحتَّـــى مَ الأكارِمُ فيـــكَ تَلْقَـــى علـــى رَغْـــمِ الـــمَكَارِمِ كُلَّ جَهْـــدِ

فالأبيات تنضح باستياء الشاعر وتعجّبه من موقف الدهر. ولتأثره أفاض عليه صفات إنسانية فخاطبه وساءله واستنكر عليه أفعاله.

اللوم والتوبيخ:

طفح الاستفهام بمعاني اللوم والتقريع. ومما قاله «حسن الدمستاني» في توبيخ بني أمية[1]:

[طويل]

أُميَّـــةُ مـــا أنتـــمْ بَنِـــي عَـــمِّ هَاشِـــمٍ صَرِيحـــاً ولكـــنْ ألصقـــاءُ أَبَاعِـــدُ
أَمَـــا شِـــيمَةُ الأحْـــرارِ أَنْ يَخْفِـــرُوا النِّسَـــا حِفَاظـــاً فـــلا يؤذيـــنَ حَتَّـــى الوَلائِـــدُ
فَمَـــا بالُكُـــمْ مـــن هَتْكِكُـــمُ الخِيَـــمَ التـــي بِهَـــا الطَّاهِـــراتُ الـــمُحْصَنَاتُ الخَرَائِـــدُ
أَمَـــا كَانَ يـــومَ الفتـــحِ نُصْـــبَ عُيُونِكُـــمْ ومـــا يَوْمُـــهُ عَـــنْ يَومِكُـــمْ متَبَاعِـــدُ؟
فَأَعتقكُـــمْ عَتْـــقَ الكريـــمِ عَبِيـــدَهُ سَـــمَاحاً وبالمعـــروفِ تُشْـــرَى الـــمَحَامِدُ
فَهَـــلاَّ صنعتُـــمْ فـــي بَنِيـــهِ كَصُنْعِـــهِ أَبَـــى طبعُكُـــمْ هَـــلْ مَـــجَّ شَـــهْداً أَسَـــاوِدُ

فالاستفهام مشحون بمعاني اللوم والتقريع، وقد تصاعد حتى غدا هجاء، وقوته المقارنة التي عقدها الشاعر بين تسامح الرسول ﷺ يوم الفتح وتقتيلهم أبناءه يوم الطف.

واستخدم الشعراء الاستفهام التوبيخي في مجال القيم الأخلاقية فذمّوا الصفات السيئة ونعوا عليها[2].

الدعوة للنهوض واستثارة الهمم:

وظّف الشعراء الاستفهام للحثّ على النهوض وإثارة الوعي للعمل والعلم. ومما قاله «الوائلي» مذكّراً العرب بماضيهم المجيد :

[بسيط]

أَلَسْـــتُمُ ذُرْوَةً فـــي الـــمَجْدِ قَـــامَ لَهَـــا صَـــرْحُ العَدَالَـــةِ وَضَّاحـــاً علـــى القُلَـــلِ

(1) ديوانه ص146.
(2) يُراجع ديوانه ص163 البيتان الأول والثاني.

ضَيَّعْتُـــمُ الدِّيْـــنَ والدنيـــا مَعـــاً فَمَتَـــى يَعُـــودُ مـــا فَـــاتَ مـــن أَيّامِنَـــا الأُوَلِ؟[1]

ومما قاله «عبد اللّه الذهبة» في إثارة نخوة الهاشميين واستنفارهم:

[سريع]

أَيْـــنَ الإِبَـــا هَاشِـــمٌ أيـــنَ الإِبَـــا مـــا للعُـــلا لـــم تلـــفِ منكـــم نَبَـــا؟
هَـــذَا لِـــوَا العَلْيَـــا بِـــلَا حَامِـــلِ أكلكُّـــمْ عَـــنْ حَمْلِـــهِ قَـــدْ أَبَـــى؟[2]

التحسّر:

ورد هـذا المعنـى في السـياقات العاطفيـة في مجال الغـزل والحنيـن ونحوهما. ومنه قول «عبد الرؤوف بن الحسين» متحسّراً على ماضيه السعيد المتقضّي[3]:

[سريع]

أَحْبَابَنَـــا هَـــلْ لليالـــي التـــي مَضَـــتْ قِصَـــاراً بِكُـــمُ مِـــنْ رُجُـــوعْ؟
وَهـــلْ لِمـــاءٍ كُنْـــتُ وَرَّادَهُ بالشُّـــعْبِ مـــن قَبـــلِ مَمَاتِـــي شُـــرُوعْ؟
وَهَـــلْ لأقمـــارٍ بِهَـــا يَهْتَـــدِي الـــ سَّـــارُونَ مـــن بعـــدِ غُـــرُوبٍ طُلُـــوعْ؟

وفي الأبيات تلتبس الحسرة بمعاني التشوّق والتمنّي لعودة الماضي السعيد[4].

أساليب إنشائية أخرى:

الأمر:

نجمـع الأمر والنهي على صعيد واحد على اعتبار أنهما ينبعان من مصدر واحد. ويكاد رصيد اسـتخدامهما يتوازى مع رصيد الاسـتفهام. وقد ورد الأمر بوفرة متخذاً شكلاً مفرّقاً حيناً، ومكثّفاً حيناً آخر.

ويرد الأمر في الطالع كثيراً. ويوظّف عادة لإثارة المسـتمع وهزّ وجدانه وتنبيهه وذلك من خلال نبرته العالية التي تضفي على الكلام إيقاعاً يولّد نشاطاً وتدفّقاً.

وغالباً ما يأتي الأمر في صدارة الطالع فيلفت الاهتمام كقول «أحمد الدمستاني»[5]:

(1) ديوانه ص15. والقلل جمع «قلة» وهي قمة الشيء وأعلاه.
(2) شُبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج7 ص98. تنظر الأبيات اللاحقة أيضاً.
(3) التاجر، محمد علي، مسودات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.
(4) يُراجع أيضاً ديوان الوائلي ص81 البيتان 5 و6.
(5) ديوان حسن الدمستاني ص228.

[بسيط]

ذُقْ شِـدَّةَ الوَجْـدِ تَعْـذُرْ كُلَّ مَـنْ وَجَـدَا فالخَطْـبُ أَعْظَـمُ مِـنْ أنْ يألـفَ الجَلَـدَا

واسـتَمْطِرِ العَيـنَ مُحْمَـرَّ الدِّمَـا وأَذِبْ دَمْـعَ العُيُـونِ بِنَـارِ الـحُزْنِ إنْ جَمَـدَا

ولأنّ المخاطب غير معيّن تعييناً دقيقاً يغدو الخطاب صالحاً لتوجيهه للذات الشاعرة أو للمستمع.

ويغلب على استخدام الأمر مخاطبة المفرد المذكّر ـ كما هو الشأن في الأبيات السابقة. وقد يتوجه الشعراء ـ وبدرجة أقل ـ إلى مخاطبة المثنى. من ذلك قول «خليل بن علوي»:

[رمل]

خَلِّيَانِـي إذْ جَفَـا جَفْنِـي رُقَـادِي مِثْلَمَـا قـد وَاصَلَـتْ عَيْنِـي سُـهَادِي

وَدَعَانِـي واذْهَبَـا عَنِّـي أَلَـمْ تَعْلَمَـا بِـي أَنَّ هَمِّـي فـي ازْدِيَـادِ؟[1]

والمخاطبان غير محدّدين، ولعلهما صاحبا الشاعر جرّدهما وخاطبهما جرياً على عادة الأقدمين.

وأسند الأمر إلى المؤنث ولكن باستحياء كقول «سلمان التاجر»[2]:

[خفيف]

أقصـري عَـنْ مَلامَتِـي وعِتَابِـي لَسْـتِ تَدْرِيـنَ يـا أُمَيْـمُ بِمَـا بِـي

وعادة ما يرد هذا النوع في مجال الغزل[3].

ويتضح مما سبق أن المسند إليه عادة ما يكون شخصاً غير محدّد.

مواضع استخدام الأمر:

ورد الأمر في العديد من المواضع أبرزها:

- السياقات الوعظية نظراً لأن الكثير من الشعراء هم من علماء الدين فلم يستطيعوا التخلّص من النزعة الوعظية. وتتنوع اتجاهات المواعظ. ويبدو أن بعضها قصد الشاعر قصرها على نفسه كقول «خليل بن علوي» فيما يشبه التوجّه الصوفي، وقد ساوق فيها بين الأمر والنهي[4]:

---

(1) ديوانه ص36، يُراجع أيضاً ص22 البيت الأول، وص67 البيت الأول.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص324.

(3) يُراجع ديوان الوائلي ص116.

(4) ديوانه ص162.

[طويل]

وَيَـا مُهْجَتِـي إنْ ذُبْـتِ وَجْـداً فَجَامِلِـي فَمَـا خَـابَ مِمَّـا يَرْتَجِيـهِ الـمُجَامِلُ
ولا تَجْزَعِـي إذْ لَسْـتِ أَوّلَ عَاشِـقٍ كَوَاهِلُـهُ للنائِبَـاتِ حَوَامِـلُ
وَدُومِي عَلَى حَمْلِ الأَسَى واصبري فَذُو الـ تَصَبُّـرِ فـي الـلأوا بـه يُتَفَاضَـلُ
وإنْ خَانَـكِ الصَّبْـرَ الـجَمِيلَ أو القُـوَى فـلا تيأسِـي فالحُـبُّ بَـرٌّ مُوَاصِـلُ

ومما بدا نصحاً عاماً وقد تعاور فيه الأمر والنهي قول «سلمان التاجر»:

[بسيط]

فاحْصِـنْ لِسَـانَكَ ولا تَشْـطُطْ بِـهِ فَتَـرَى منـه عَجَائِـبَ تُلْقِـي الـمَرْءَ للنُـوَبِ
وَدَعْ مُصَاحَبَـةَ الغَـدَّارِ فَهْـوَ وإنْ وَفَـى فَـلَا خَيْـرَ فـي دَاءٍ وإنْ يَطِـبِ
لا تَفْخَـرَنَّ بِمَـالٍ قـد كَسَـبْتَ لَـهُ فَلَيْـسَ فَخْـرُ الفَتَـى في المَـالِ والنَّشَـبِ[1]

- وورد هـذا الأسـلوب بوفرة في سـياق الشـعر التاريخي فـي إطار توصية «الحسـين» لأهله بالتقوى والصبر وما إليها[2].

- خـرج الأمـر ليـدلّ على الدعـاء وذلك حيـن يتوجه المرء إلـى قوى ذات قـدرة. يقول «أحمد بن طعّان» داعياً الإمام الثاني عشر ـ المهدي ـ إلى الظهور لتخليصهم من معاناتهم[3]:

[كامل]

فَانْهَـضْ إِمَـامَ العَصْـرِ قَـدْ عَظُـمَ البَـلَا وَعَظِيـمُ بُعْـدِكَ قَلْبَنَـا قَـدْ أَمْرَضَـا
وَتَلافِنَـا قبـلَ التَّـلافِ وثُـرْ عَلَـى أَهْـلِ الخِـلافِ بمثـلِ مـا مِنْهُـمْ مَضَـى

ويوجّه الأمر ليدلّ على التفجع كقول «سلمان التاجر»:

[سريع]

يـا نفـسُ ذُوبِـي فـي زَفيـرٍ أَسَـى عَلَيْهِـمُ واحْتَرِقَـنْ يـا فُـؤَادْ
وأنـتِ يـا عَيْـنُ دَمـاً دَائِمـاً بَكِّيهُـمُ واسْـلَيْ لِطِيـبِ الرُّقَـادْ[4]

وقد يعبّر عن التوبيخ كقول «الوائلي»[5]:

---

(1) البـلادي، حسـين بـن علـي، ريـاض المـدح والرثـاء، مصـدر سـابق،ص304 ينظر مـا بعدهـا. والنشـب المال والعقار.

(2) يُراجع على سبيل المثال ديوان حسن الدمستاني ص214 الأبيات 23 – 25.

(3) البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص259.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص315 ويُراجع أيضاً ص550 البيتان 47 و48.

(5) ديوانه ص255.

[رمل]

لَائِمـــي فـــي حُبِّهَـــا كُـــفَّ الـــمَلَامْ إنَّ هَـــــذَا اللـــــومَ لا يُشْـــــفِي الأَوَامْ

النداء:

تهيّأ النداء ليدلّ على أفق في الدلالة غير الأفق الذي وضع له أصلاً. وتختلف مراتبه في القصيدة. فهو يأتي في الطالع وفي غير الطالع. وقد يرد في أبيات مفردة أو متفرقة. وقد يتجمع مشكّلاً مجموعات يتراكم فيها.

يحرّك هذا الأسلوب إذا أتى في طالع القصائد الطويلة المتلقّي ويثير انتباهه بما يتضمّنه من خصائص صوتية قوية. ويلاحظ أنه عادة ما يأتي محذوف الأداة.

وأغلب وروده في صلب القصائد في السياقات العاطفية المشحونة بالأسى والمفعمة بأحاسيس الثكل. وقد وظّف بالخصوص لتجسيد هذه الحالة عند المرأة، كالمشهد التالي الذي صوّره «حسن الدمستاني» للسيدة «زينب» وهي تتفجّع على رجالها[1]:

[كامل]

والطُّهْـرُ زينـبُ تَنْـدبُ القَتْلَـى جَـوَىً وَدُمُوعُهَـــا تَهْمِـــي كَوَاكِـــفِ مُزْنَـــةِ
يـــا قَاسِـــمُ يـــا عَـــوْنُ يـــا عَبَّـــاسُ يـــا يَحْيَـــى ومَـــنْ يَحيَـــى عُقَيْـــبَ أَحِبَّتِـــي
يَـــا طِفْلِـــيَ الـــمَفْطُومَ قبـــل فِطَامِـــهِ مِـــنْ نَصْـــلِ سَـــهْمٍ ثَابِـــتٍ فـــي اللبَّـــةِ
وَامِحْنَتِـــــي وَاضَيْعَتِـــــي وَاغُرْبَتِـــــي وَاوِحْشَـــتِي مِـــنْ بَعْدِكُـــمْ يـــا إِخْوَتِـــي

وأبرز النداء التهاب العواطف وتسعّر الجوانح، وأدّى دور استبطان هواجس النفس في أحرج اللحظات. واستثمر كأداة فعالة ومؤثرة لتصوير فاجعة الأمومة بثكل الابن؛ وصوّر «سلمان التاجر» تفجّع والدة «عبد اللّه بن الحسين» عليه فقال على لسانها[2]:

[طويل]

عُقَيْبَـــــكَ أَيَّامِـــــي بُنَـــــيَّ مَآتِـــــمٌ وعِيْـــدِي بِـــلَا أُنْـــسٍ وَعَيْشِـــي بِـــلَا رَغْـــدِ
أَيَـــا كوكبـــاً كُنَّـــا بِنُـــورِ جَبِينِـــهِ إذَا مـــا ادْلَهَمَّـــت دُجْنَـــةٌ فِيْـــهِ نَسْـــتَهْدِي
وَيَـــا شَـــمْسَ أُنْـــسٍ غَـــابَ عَنِّـــي فَبَعْـــدَهُ نَهَـــارِيَ لَيْـــلٌ والدُّجَـــى ظلْمَـــةُ اللحْـــدِ
بُنَـــــيَّ فلـــــو أنَّ الـــــمَنِيَّةَ تُفْتَـــــدَى فَدَيْتُـــكَ بالنفـــسِ العَزِيـــزةِ والوُلْـــدِ
فَيَـــا أَيُّهَـــا المـــوتُ الـــذي غَيْـــرُ تَارِكِـــي أَرِحْنِـــي مـــن الدنيـــا فَـــذَا مُنْتَهَـــى قَصْـــدِي

(1) ديوانه ص131.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص323.

والنداء يكشف عما يساور نفس الأم في أصعب مواقفها، وقد ضارع صيحات الفقد وتوجعات الفراق، واستثمره الشاعر ليزيد من تأثير الموقف ويحرّك الوجدان[1]. وفي العموم كان النداء بمختلف أدواته أسلوباً فعّالاً لتجسيد الفقد. وتفجير طاقات الحزن التي أثقلت الوجدان.

خرج النداء ليدل على التمجيد والتعلّق كقول «سلمان التاجر» في مديح العلويين[2]:

[مجزوء الكامل]

يـــا مُخْسِـــئي الأبْصَـــارِ بَـــلْ يـــا مُخْرِسِـــي العَشْـــرِ العُقُـــولِ
يـــا مُفْرِغـــي الحِكَـــمِ الـــمُفَا دَةِ عـــن وَصِـــيٍّ أَوْ رَسُـــولِ

ومن النداء الذي جاء تغنّياً بالمحبوب وترنّماً بصفاته قول «الوائلي»[3]:

[بسيط]

يَـــا مَـــنْ بِغُرَّتِهَـــا بَـــدْرِي وطُرَّتِهَـــا لَيْـــلُ السُّـــرُورِ وسُـــكْرِي مِـــنْ ثُنَايَاهَـــا
وَيَـــا فَتَـــاةَ الحِمَـــى بَـــلْ يَـــا فَرِيدَتَـــهُ وَدُرَّةٌ مـــا عَرَفْـــتُ الهَـــمَّ لَوْلَاهَـــا

ومما دلّ على الزجر القريب من الهجاء قول «حسين الشاخوري» مخاطباً الأمويين[4]:

[بسيط]

يـــا أُمَّـــةً فَسَـــقَتْ فـــي دِيْنِهَـــا فَسَـــقَتْ آلَ الرَّسُـــولِ كُؤُوســـاً مـــن دَوَاهِيهَـــا
يَـــا وَيْلَهَـــا كَفَـــرَتْ فـــي دِينِهَـــا فَفَـــرَتْ أعنـــاقَ آلِ رســـولِ اللَّـــهِ هَادِيْهَـــا

التمنّي:

إن الذي يعطي التمنّي قيمته وتأثيره أنه بمثابة المرآة التي تكشف عما يظمئ النفس وما تزخر به الجوانح من آمال حبيسة ورغبات استعصى تحقيقها. وورد جلّه في السياقات العاطفية. كشعر الاغتراب فشكّل ترويحاً للنفس، خفّف الضغوط، ومتنفساً حدّ من وطأة الحنين. ومما قاله «علي بن لطف اللّه» معبّراً عمّا راود نفسه من آمال حين طالت غربته[5]:

[رمل]

غُربَـــةٌ قَـــدْ عَـــرَفَ القَلْـــبُ بِهَـــا رَبَّـــهُ مِـــنْ بَعْـــدِ مَـــا عَنْـــهَ تَعَامَـــى

(1) في التفجّع المؤثر بالنداء للأخ على أخيه يُراجع البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص160 الأبيات 81 – 88.
(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص308.
(3) ديوانه ص137.
(4) المجموعة (1) ص75.
(5) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

لَيْتَنِـــــي أَسْـــــمَعُ فِيـــــهِ خَبَـــــراً عـــــن أَحِبَّـــــاي ولـــــو كَانَ سَـــــلامَا

فلهفته الشديدة حدت به إلى التمني ولشدّة حنينه خاطبهم مكرراً أمانيه:

لَيْـــت شِـــعْرِي هَـــلْ تَرَوْنِـــي والصَّفَـــا كالـــذي كَانَ وألْقَاكُـــمْ عَلَـــى مَـــا

وعبّرت «ليت» عن الترجّي، وأبرزت المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بُعْدِ نيله.

واستخدموا الأداة «عسى» فدلّت على ترجّي ما يمكن حصوله كقول «محمد بن عبد اللّه الحسيني»[1]:

[طويل]

عَسَـــى الدَّهْـــرُ يَوْمـــاً أَنْ يَلُـــمَّ شَـــتَاتَهُ وتُقْطَـــعُ أَسْـــبَابُ النَّـــوَى والتَّهَاجُـــرِ

واستعملوا «هل» فزادت بنبرتها الصوتية العالية من فعالية التمني وتأثيره. يقول «أحمد بن طعّان»[2]:

[وافر]

فيـــا ربـــعَ الأحِبَّـــةِ هَـــلْ تَـــدَانٍ وَهَـــلْ بَعْـــدَ التَّرَحُّـــلِ مِـــنْ قُفُـــولِ

وجسّد أسلوب التمنّي وعلى الصعيد العام تطلعات الشعراء وما انطوت عليه أعماقهم من توقٍ للخلاص. يقول «سلمان التاجر» متعجّلاً ظهور الإمام «المهدي» معوّلاً على استخدام «متى» الاستفهامية ليفرغ فيها أمانيه[3]:

[طويل]

مَتَـــى أنظـــرُ الرايَـــاتِ والنَّصْـــرُ خَلْفَهَـــا وقـــد أَمَّهَـــا يَسْـــعَى لَـــدَى الغَـــورِ والنَّجْـــدِ

مَتَـــى أَبْصـــرُ الأَعْـــلامَ يَقْدِمُهَـــا فَتـــى بِغُرَّتِـــهِ الشـــمسُ الـــمُضِيئةُ تَسْـــتَهْدِي

مَتَـــى يـــا مَتَـــى عَيْنِـــي تَـــرَى وَثْبَـــةً لَـــهُ فَأُظْهِـــرُ مِـــنْ عَزْمِـــي الهُمَامِـــيِّ مـــا عنـــدي

ونمّ التكرار عن شدة الرغبة وقوة الإلحاح.

واستخدم التمني في المراثي الهاشمية للكشف عمّا خامر النفوس من مشاعر وانفعالات، خاصة لدى المرأة حين اشتدّ بها الخطب يوم الطف. ويصور «خليل بن علوي» استغاثة النساء الهاشميات بجدّهن الرسول فيقول[4]:

---

(1) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص505.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص157.

(3) المصدر نفسه، ص323.

(4) ديوانه ص30.

[طويل]

هَوَاتِـــفُ بِالـــمُخْتَارِ ليتَـــكَ حَاضِـــرٌ تُعَايِـــنُ مـــا قـــد نَالَنَـــا وتُشَـــاهِدُ
وليتَـــكَ يـــا جَـــدَّاهُ تنظِـــرُ زَيْنَبَـــا لَهَـــا مِـــنْ سِـــيَاطِ القَـــوْمِ صِيْغَـــتْ مَـــرَاوِدُ

ويلاحظ أن الشعراء ركّزوا على الأداة «ليت» للتعبير عن معنى التمنّي. وهي اللفظ الدال عليه في أصل وضعها اللغوي.

ظاهرة تنويع الأساليب الإنشائية في السياق الواحد:

نلحظ اتجاهاً واضحاً للإكثار من استخدام الأساليب الإنشائية، وبشكل مكثّف أحياناً. وتبدو هذه الظاهرة بارزة للعيان في السياقات العاطفية عامة، وفي المراثي الهاشمية على وجه الخصوص.

ومن الأبيات التي حشدت فيها أساليب الإنشاء وتنوعت قول «إبراهيم الخليفة» في مرثيته لوالده[1]:

[وافر]

أَلَا مـــــا لِلْمَصَائِـــــبِ كُلَّ يَـــــوْمٍ لَنَـــا منهـــا انْصِـــدَاعٌ وانقِطَـــاعُ
ومـــا لِحَـــوَادِثِ الأَيَّـــامِ عِنْـــدِي أَقَامَـــتْ مَـــا لَهَـــا عَنِّـــي زَمَـــاعُ
هَلُمِّـــي يـــا مُلَّمَـــاتِ الليالِـــي فمـــا فـــي الكَـــفِّ بعـــد الزِّنْـــدِ بَـــاعُ
وشِـــنِّي غَـــارَةً فِـــي مَـــنْ تَرَكْـــتِ فمـــا فـــي العَيْـــشِ بعـــد أبِـــي انْتِفَـــاعُ

فقد جمع فيها الشاعر الاستفهام والأمر والنداء. ومن الأبيات التي حشدت فيها جلّ الأساليب الإنشائية قول «حسين الشاخوري» على لسان نساء «الحسين» وهن يندبن قتلاهن ويستنجدن بأمهنّ «الزهراء» وأبيهن الإمام «علي»[2]:

[طويل]

أَيَـــا فَاطِـــمَ الزهـــراءِ قُومِـــي سَـــرِيْعَةً ولا تَدَعِـــي دَمْعـــاً بعَينِـــكِ مَخْزُونَـــا
وَشِـــقِّي لِمَـــا ذُقْنَـــاهُ جَيْبَـــكِ واندبِـــي حَبِيبَـــكِ أَضْحَـــى فـــي يَـــدَي شَـــرٍّ بَاغِينَـــا
وإنْ تَســـتَطِيعِي فاخبِـــرِي الطُّهْـــرَ حَيْـــدَراً لَعَـــلّ لَنَـــا يَأتِـــي سَـــرِيعاً يُسَـــلِّينَا
أَبِـــي يـــا ولـــيَّ اللَّـــهِ يَـــا حَامِـــيَ الحِمَـــى لفقدِكُـــمُ صَالَـــتْ عَلَيْنَـــا أَعَادِينَـــا
أَيُقْتَـــلُ ظَمآنـــاً حُســـينٌ وأنـــتَ فـــي الـــ ـــمَعَادِ ولـــيُّ الحَـــوْضِ بالـــكَأْسِ سِـــاقِينَا

(1) ديوانه ص35.
(2) المجموعة (1) ص64.

بروز ظاهرة الحوار:

كان من آثار عناية الشعراء بالأساليب الإنشائية، والتوسّع في استخدامها خاصة في شكلها التركيبي أن برزت ظاهرة الحوار لصياغة سياقات عاطفية طويلة.

والحوار عنصر له قيمته الفنية. فقد مكّن الشعراء من استغلال طاقات اللغة وساعد على تجسيد الجانب المأساوي. فإنطاق الشخصيات ونقل أحاديثها ونجواها وعويلها ـ في المراثي الهاشمية ـ توظيف فنّي للحوار، ساعد على نقل الحدث وتصوير أبعاده، واستبطان الشخصيات وتجسيد انفعالاتها. وأدّى إلى إضفاء جوٍّ مفعم بالتفجّع والأسى. كما خفّف من جفاف المادة التاريخية التي يتعامل معها الشعراء ويتخذونها مقوّماً لصياغة الكثير من أفكارهم ومضامينهم.

والحوار أسلوب قديم تعاطاه الشعراء الأقدمون بقدر محدود. خاصة في شعر الغزل[1] وفي المراثي الهاشمية[2].

وعقد الشعراء مشاهد حوارية على ألسنة الشخصيات الهاشمية خاصة المرأة وعلى ألسنة غيرها وكان الشعراء أنفسهم يشاركون فيها أحياناً.

وتتعدد مستويات الحوار ودرجاته، ولكن يمكن تصنيفها إلى صنفين:

الصنف الأول: حوار ذو صوت واحد: وهو الأبسط، ويقوم بين شخصيتين، ويكون من طرف واحد، أي أننا لا نسمع إلا صوتاً واحداً، ولذلك فهو أقرب إلى المخاطبة أو المناجاة، ومن ثم فتسميته حواراً فيه الكثير من التجاوز. فهو لا يتعدى حدّ النداء المعبّر عن التفجع والانفعالات النفسية، أو هو خطاب يرمي إلى شدِّ الانتباه.

ولعل ما دفعنا إلى التدقيق فيه هو كثرة وروده، وما تضمنه من تلوينات جعلته قريباً من الحوار أو شبيهاً به. ونخال أن أقصى حدوده اعتباره الأرضية التي شكلت الحوار ودفعته،

---

(1) يُراجع على سبيل المثال ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، دار المعارف، 1984، ص11 البيت الثاني عشر وما بعده. وديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، درا الأندلس، بيروت 1983، خاصة القصائد رقم 1 و111 و155 و299، وديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ، دار الكتاب العربي، بيروت 1984، ص38 قصيدة «مصابيح الدجى» وص49 «عند حنون» وص78 «إبليس الظريف».

(2) تُراجع المقطوعة المنسوبة لفاطمة بنت الحسين في أدب الطف ج1 ص164، وديوان الشريف الرضي، محمد بن الحسين، دار صادر، بيروت، د.ت، ج1 ص44 الأبيات 11 – 15 وص487 الأبيات من 7 – 9، وديوان الشريف المرتضى، تحقيق رشيد الصفار، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1958، ج1 ص54 البيت 21 و176 البيتان 2 و3 وج3 ص267 البيت 36 وما بعده.

وكأنه المستوى الأول والمهيئ له. ويغلب عليه الجانب الوجداني مع طغيان الصبغة التفجعية عليه أحياناً. ووجدنا منه ثلاثة أشكال:

1. حوار يتوحّد فيه الـمُحَاوِر والـمُحَاوَر: ويتعدّد طرفاه تعدداً واضحاً. فهو قد يكون بين شخصيتين هاشميتين أو شخصية هاشمية وأخرى معادية أو موالية، أو بين الشاعر والهاشميين أو بين الشاعر ونفسه، أو بينه وبين صاحبه أو المتلقّي وما إلى ذلك. ونكتفي بذكر المثال التالي لـ «أحمد الدمستاني». يقول مخاطباً حليف الأسى:

[طويل]

إلا مَ أخا الأحزان دمعُكَ لا يَرْقَى ... تنوحُ بِعَالِي الصَّوْتِ ما نَاحَتِ الوَرْقَا
وتَذْكُرُ أيّاماً مَضَيْنَ وفِتْيَةً ... تَخَطَّفَهُمْ رَيْبُ الزَّمَانِ فَمَا أَبْقَى
وتدعُو بِأَطْلالٍ خَلَيْنَ وأَرْبُعِ ... عَفَيْنَ فلم تملكْ جَوَاباً ولا نُطْقا

فالشاعر يسائل الواجد الحزين، ويقرّعه منكراً عليه حزنه ليصل إلى أن لا شيء يستحق التأسي والحزن سوى الهاشميين الذين لعبت بهم أيدي الخطوب[1].

2. حوار يتوحّد فيه الـمُحَاوِر ويتعدّد الـمُحَاوَر: كقول «علي بن أحمد الكامل»، وأدار الخطاب على لسان النساء الهاشميات[2]:

[طويل]

وإنْ أَنْسَ لَا أَنْسَى بَنَاتِ مُحَمَّدٍ ... تُسَلَّبُ من أَطْمَارِهَا والمآزِرِ
يُنَادِينَ يا أبناءَ كُوفَانَ وَيْلَكُمْ ... نُسَاقُ عَرَايَا بَينَ حَافٍ وَدَابِرِ
بأحزانِ يَعْقُوبٍ وعبرةِ يُوشَعٍ ... وضَرَّاءِ أَيّوبٍ وذُلَّةِ صَاغِرِ
يُنَادِينَ يا جَدَّاهُ أصبحْنَ عُرْضَةً ... لِرَيْبِ زَمَانٍ بالأماجِدِ غَادِرِ
أَيَا جَدُّ عَاثُوا في الرِّحَالِ وأحرقُوا الـ ... خِيَامَ ولَمَّا يبقَ ذُخْرٌ لِذَاخِرِ

فالمُحَاوِر واحد هن النساء ـ والمحاور طرفان: أهل الكوفة، والرسول ﷺ. ولم نسمع سوى صوت الـمُحَاوِر مع كون المخاطبَين عاقِلَيْن، مما يدلّ على أن الشاعر لا يقصد روح الحوار. وإنما استثمار النداء لإبراز الحدث وتحريك النفوس.

وقد يعمد الشعراء في خطاب المتعدّد إلى المزاوجة بين العاقل وغير العاقل. كقول «إبراهيم آل نشرة»[3]:

---

(1) ديوان حسن الدمستاني ص263. وفي مخاطبة السيدة زينب للجيش المحدق بالخيام يُراجع البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص358 الأبيات 21 وما بعده. وفي مخاطبة الشاعر للحسين يُراجع المصدر نفسه، ص167 الأبيات 52 – 57.

(2) ديوان حسن الدمستاني ص344.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص358.

[كامل]

سَـهْمٌ رُمِـي بِحَشَـاكَ يـا بـنَ الـمُصْطَفَى سَـهْمٌ بِـهِ كَبِـدُ الهِدَايَـةِ قَـدْ رُمِـي
يـا شُـمُّ زُولِـي يـا صِفَـاحُ تَثَلَّمِـي يـا فعـمُ غُـورِي يـا رِمَـاحُ تَحَطَّمِـي
يـا نفـسُ ذُوبِـي يـا جُفُونِـي تَقَرَّحِـي يـا عَيْـنُ جُـودِي يـا مدامِعَنَـا اسْـجِمِي

3. حـوار يتعـدّد فيـه المحـاوِر ويتوحّـد المحـاوَر: وهنا علـى العكس تتعـدّد أصوات المحاوِريـن وتتجـه كلهـا صوب محـاوِر واحـد فنسـمع أصواتهم لكن لا نسـمع صوتـه. كقول «أحمد بن الحاجي» مصوّراً موقف النساء حين أبصرن «الحسين» قتيلاً[1]:

[بسيط]

هَـذِي تقـولُ أَبِـي فَارَقْـتَ واتَّصَلَـتْ بِـيَ الـمَصَائِبُ والأرزاءُ والمِحَـنُ
وتلـكَ تَدْعُـو أَخِـي عَنِّـي مَضَيْـتَ وَذَا قَلبـي عُقَيْبَـكَ بالتِّـذْكَارِ مُمْتَحَـنُ
مـا أطيَـبَ العَيْـشَ والأَيَّـامُ بَاسِـمَةٌ وأنـتَ بالأَهْـلِ والأَوْلادِ مُقْتَـرِنُ
وَفَاطِـمُ فـي الثَّـرَى تَرْثِـي عَلَيْـكَ كَمَـا يَرْثِـي لفقـدِ الفِـرَاخِ الطائِـرُ الشَّـدِنُ

فالشـاعر يسـمعنا صـوت البنت والأخـت والأم وهـن يرثين الحسـين ويتفجّعـن عليه، ومنطق الحدث يجعل الشـاعر لا ينطق الحسـين لكونه مفارقاً للحيـاة. وقد خفّف الحوار من التقريرية البادرة وأضفى على الأبيات شيئاً من النبض والحيوية.

الصنـف الثانـي: حـوار من جانبيـن: هنا تتعـدّد الأصوات ونكاد نسـمع أكثـر تدخلات الـمُتَحاوِرين. وهـي وإن غلـب علـى بعضهـا الطابـع الوجدانـي كالسـابق، إلا أنه يبـدو على البعض الآخر مسحة قصصية.

وتتعدّد المشاهد الحوارية في هذا الصدد. ولكن أغلبها يدور حول شخصية «الحسين»، فهـو القطب الـذي تدور حوله، وعلى لسـانه أكثر الحـوارات. وإن كنّا نصادف أحيانـاً حواراً بين الشاعر ونفسه أو بينه وبين غيره. ويبدو أن هذا اللون أقل حجماً من الشكل الأول.

وتتعـدّد الأطـراف التي عقد لها الشـعراء حواراً مع الحسـين. بَيْدَ أن أكثـره أجروه بينه وبيـن أهـل بيتـه. فقد عقدوا مشـاهد حوارية بينـه وبين جـدّه الرسـول ﷺ[2]، وبينه وبين ابنه عليّ الأكبر[3]. إلا أن النصيب الأوفى للحوار الذي أجروه كان بينه وبين النساء.

---

(1) ديوان الدمستاني ص372.

(2) يُراجـع علـى سـبيل المثـال الطريحـي، فخـر الديـن، المنتخـب، مصـدر سـابق، قصيـدة راشـد بن سـليمان الجزيـري ص98 الأبيـات 65 – 86، وديوان حسـن الدمسـتاني ص193 الأبيـات 11 وما بعدهـا، وقصيدة ابن طعّان في الرياض، مصدر سابق، ص137 الأبيات 46 وما بعدها.

(3) نموذج منه في الرياض ص166 الأبيات 29 وما بعدها.

علاوة على ذلك أنشأوا مقاطع حوارية بينه وبين أنصاره[1]، وبينه وبين خصومه[2]، ونقتصر على المثال التالي لـ «أحمد الدمستاني» وهي محاورة دارت بين الحسين وبين النساء[3]:

[كامل]

فَمَضَى الإِمَامُ إلى الخِيَامِ مُوَدِّعاً ... والحُزْنُ في أَحْشَائِهِ يَتَرَدَّدُ
يَدْعُو بِتَلْكَ الطَّاهِرَاتِ وَدَمْعُهُ ... في الخَدِّ يسكبُ جَارِياً لا يَجْمُدُ
يَا خَيْرَ مَنْ يُسْلَبْنَ ثَوْبَ الصَّوْنِ لا ... تَجْزَعْنَ إِنْ عَضَّ الزمانُ الأَنْكَدُ
واصْبِرْنَ في البَلْوَى العَظِيمةِ وَقْعِهَا ... فالصَّبْرُ أَولَى بالمُصَابِ وأَحْمَدُ
فإذا رأيتُمْ جُثَّتِي مَطْرُوحَةً ... والرأسُ يَرْفَعُهُ الأَصَمُّ الأَمْلَدُ
فاسْتَمْسِكُوا باللَّهِ واعتَصِمُوا بِهِ ... فَهْوَ المَلَاذُ لِمَنْ إليهِ يَصْمُدُ
فَتَعَلَّقَتْ بِرِكَابِهِ أَخَوَاتُهُ ... وَبَنَاتُهُ وقُلُوبُهَا تَتَوقَّدُ
يَدْعِينَ يا خَلَفَ النبيِّ وَحَيْدَرٍ ... والكَافِلُ المُتَشَقِّقُ المُتَوَدِّدُ
أَنَراكَ مَقْتُولاً ذَبِيحاً بِالعَرَا ... يا ليتَنَا مِنْ قَبْلِ فَقْدِكَ نُفْقَدُ

فالشاعر بدأ بالسرد وقام بدور الراوي، وعقّب بالحوار مستخدماً فيه جلّ الأساليب الإنشائية. وقد ساعده على إنطاق الشخصيات وبيان أبعادها فأظهر حرص وليّ الأمر على رفع معنويات أهل بيته حين يشتدّ الهول، وما يميّز شخصية المرأة من رقة وضعف. كما أن الحوار مكّن من تجسيد الموقف والتعبير عما خالج النفوس من مخاوف ولواعج وحسرات فخلق جواً مشحوناً بالأسى والحزن.

أنطقوا في محاوراتهم ـ وبحجم أقلّ من اللون السابق ـ عناصر غير عاقلة، وقد غلب عليها القصر من ذلك المحاورة التالية بين الدنيا وأهلها وهي لـ «مفلح الصيمري»[4]:

[طويل]

فَمَالَتْ إلى أَهْلِ الرَّذَائِلِ والخَنَا ... وأومتْ إليهم أَيُّهَا القَوْمُ أَقْدِمُوا
فَجَاؤوا إليها يَهْرَعُونَ فَأَقْبَلَتْ ... عَلَيْهِمَ وقَالَتْ فاسمَعوا ثم افْهَمُوا
صَدَاقِي عَلَيكُمْ ظِلْمُ آلِ مُحَمَّدٍ ... وشيعَتِهِمْ أهلِ الفَضَائِلِ منهُمُ

(1) تُراجع على سبيل المثال قصيدة راشد بن سليمان الجزيري في منتخب الطريحي، مصدر سابق، ص96 الأبيات 9 – 15، وديوان خليل بن علوي ص5 البيت 9 – 29.
(2) يُراجع على سبيل المثال ديوان حسن الدمستاني ص265 الأبيات 27 وما بعده.
(3) المصدر نفسه، ص247.
(4) الطريحي، فخر الدين، المنتخب، مصدر سابق، ص137.

فَقَالُــوا رَضِينَــا بالصَّــدَاقِ أَسْــرَجُوا علــى حَرْبِهِــمْ خَيْــلَ الضَّــلَالِ وأَلْجَمُــوا

وبطبيعة الحال فالمحاورة يغلب عليها الخيال وهي لا تخلو من طرافة[1].

خصائص حواريّة:

أ ـ الحوار داخل الحوار:

يميل الشعراء أحياناً إلى تضمين الحوار حواراً آخر. ويمكن تمييز لونين من التداخل الحواري.

اللون الأول: ويبدو أنه مقصود. ويتمثل في أن الشاعر حين ينطق الشخصية ويجري حواراً بينها وبين شخصية أخرى يجعلها تنقل إليها حواراً آخراً غير حوارها الأول. صنع «حسين الشاخوري» في الأبيات التالية في مخاطبة السيدة «زينب» لأمّها[2]:

[طويل]

أَيَــا أُمُّ قُومِــي مِــنْ سُــتُورِكِ وانْظُــرِي حُسَــيناً لَقًــى بالطَّــفِّ وهــو طَعِيــنُ
أَيَــا أُمُّ قُومِــي وانظُرِينَــا يَسُــوقُنَا أَسَــارَى عَنِيــدٌ للشــآمِ خَــؤُونُ
وَمِــنْ بَيْنِنَــا السّــجّادُ يَكْبُــو مُصَفَّــداً أَسِــيراً يُقَاسِــي الضُّــرَّ وهــو حَزِيــنُ
يقــولُ أَبِــي قــد كُــوِّرَتْ شَــمْسُ بَهْجَتِــي وَهُــدِّمَ مِــنْ أَوْجِ السُّــرُورِ حُصُــونُ

فالسيدة زينب تخاطب أمها شاكية لها محنتهم. وبينما هي تصف مأساة النساء تنتقل إلى وصف حالة السجاد وتنقل محاورته لأبيه. ويبدو أن الشاعر على وعي تام بإدخال الحوار الثاني في سياق الأول. وأدى ذلك إلى تكثيف أحاسيس الحزن. ولم يفض إلى أيّ تعقيد.

اللون الثاني: ولعله تداخل غير مقصود. أدى إليه انفعال الذات الشاعرة واندماجها التام مع الموضوع، فتفقد السيطرة على تسلسل الأفكار. مثاله قول «سلمان التاجر»:

[مجزوء الكامل]

باللَّــــهِ عَجِّــــلْ يَــــا رَسُــــولُ وَبُــــثَّ شَــــكْوَى للرسُــــولِ
قُــــلْ يــــا حبيــــبُ بكربَــــلَا صُــــرِعَ الهزبــــرُ مــــع الشُّــــبُولِ
وَنِســــاؤُهُمْ بعــــد الأرَائِــــكِ رُكِّبَــــتْ أقتــــابَ شُــــولِ[3]

---

(1) يُراجع أيضاً البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص279 قصيدة سلمان التاجر وقد أجرى في الأبيات من 14 – 20 حواراً بين الحسين وسلاحه.

(2) ديوان الدمستاني ص391.

(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص312. والشول: الناقة لحق بطنها بظهرها من الجوع والهزال.

فالشـاعر عوّل على النداء في البيتين الأول والثاني، وهو من أساليب الخطاب المباشر لإبلاغ مبعوثه إلى ما يريد. والبلاغ نفسـه خطاب غير مباشـر للرسول. وعمد في البيت الثالث إلى تغيير الخطاب فاسـتعاض عنه بضمير الغائب لوصف حالة النسـاء وقام هو بدور الراوي. ثم انتقل إلى المقطع التالي:

وَوَرَاءَهَـــــا السَّـــــجَادُ يَهْتِـــــفُ بالوَصِـــــــــــيِّ وبالرَّسُـــــــــــولِ
وَبِهَاشِـــــــــــمٍ وبِحَمْـــــــــــزَةٍ والنَّـــــــدْبِ جعفـــــــرٍ وعَقيـــــــلِ
ومحمّـــــدِ القيـــــلِ العظيـــــمِ الـ ـــــــقِرْمِ والضـــــاري الـــــمُذِيْلِ

وواصـل فيـه اسـتخدام ضميـر الغائـب ونقـل خلاله مناشـدة السـجاد لذويه لتجسـيد مأسـاته. وكأن الشـاعر يعمـد إلى أسـلوب وسـط يمزج فيه السـرد بالحـوار، أو هو حـوار غير مباشر، ثم ينتقل إلى القول:

تَدْعُـــــو بِصَـــــوْتٍ لَـــــو صَغَتْـــــهُ الصُّـــــمُّ سَـــــالَتْ فـــــي السُّـــــهُولِ
يـــــا نجـــــدةَ الـــــمُسْتَصْرخينَ وملجـــــــــأَ الآوِي الدَّخيـــــــــلِ
يـــــا كافلـــــي الأيْتَـــــامِ بـــــل يـــــا عِصْمَـــــــــــةَ الأُمّ الثَّكُـــــــــــولِ
كُتِـــــبَ القِتَـــــالُ عليكمـــــو وعلـــــى النِّسَـــــا جَـــــرُّ الذُّيُـــــولِ

وفيـه ينتقـل إلـى السـرد أولاً ليكمـل وصف محنـة النسـاء متكئـاً على ضميـر الغائب وبعدها يجري حواراً مباشـراً بينها وبين ذويها من جانب واحد لتجسـيد حاجتها الماسّـة لمن يقيل عثرتها.

وهكـذا داخل الشـاعر بين السـرد والحوار من جهة، وبين مسـتويات الحـوار من جهة أخرى. وهو كما يبدو أكثر تعقيداً من الأول ولكنه بدا مفهوماً وواضحاً.

وفي اعتقادنا أن السـبب في خلق ذلك التداخل ليس مقصوداً، ولعل رغبة الشـاعر في إنجاز قصيدته بسـرعة في وقت قصير ليدرك المناسبة هي التي أدت إلى المداخلة، وتسببت فـي ضعف قدرته على ترتيب أفكاره. فكان يعـاود الرجوع إلى الفكرة مرة ثانية ليضيف إليها شيئاً[1].

علـى أننـا لا نسـتبعد انطلاقـاً من كـون هذا الشـعر نظـم ليلقى شـفاهاً علـى جمهور

(1) ممـا يذكـره الرواة فـي هذا الصدد أن أحد شـعراء المنطقة كان مع اتسـاع أعبائه ينظم فـي كل ليلة من ليالي عشـر محرم مرثية في الحسـين وذلك بعد صلاة العشـاء ويعطيها في الليلة نفسـها لمن يلقيها على الجمهور. يُراجـع البـلادي، علـي بـن حسـن، أنـوار البدرين، مصـدر سـابق، ص373 ترجمـة الشـيخ أحمد بن مهـدي أبو السـعود. وللخبـر دلالتـه على أن المناسـبة ربمـا كانت حافـزاً على النظـم وتدفق الشـعر. وإذا صـحّ ذلك فإن الارتباط بالمناسبة والرغبة في ملاحقتها لا تفسح للشاعر مجالاً للتنقيح والتدقيق في الأفكار أو تعمّقها.

مستمع أن الشاعر رغبة منه في تنويع الأساليب، وإثارة السامع، وإضفاء الحيوية، كان يتعمّد تجزئة الفكرة الواحدة ومعاودة الرجوع إليها ضمن الوحدة الموضوعية ليبقى جمهوره مشدوداً إليه، متجاوباً معه، مزروعاً وسط الأحداث المتناولة. ومع افتراض هذه الفكرة فقد تولّد عنها تمزيق فكري وبرز ما يشبه الفجوات في مثل تلك القصائد أحياناً.

ب. التفاوت في حجم الحوار:

لا تكاد تخلو أية مرثية هاشمية في الفترة المدروسة من لون من ألوان الحوار. وتبعاً لحجم الحوار وكثافته نجد صنفين من القصائد:

أ - قصائد ذات مشهد حواري واحد. وقد يكون محدود الحجم ببيتين أو أكثر قليلاً[1]. وقد يطول المشهد فيحتلّ حيزاً بارزاً في القصيدة[2].

ب - قصائد متعددة المشاهد الحوارية وهو النوع الغالب. وقد تحتوي القصيدة على مشهدين[3] فقط، وقد يتوسّع الشاعر فيضمّن قصيدته ما ينوف على الخمسة مشاهد حوارية خاصة حين تطول القصيدة[4]. وفي هذا اللون ترتفع نزعة الخطاب، ويتزاوج السرد بالحوار وتتعدّد الأصوات وتتداخل.

يبدو مما سبق عناية الشعراء بإنطاق الشخصيات، ونقل أحاديثها، وما انجرّ عن ذلك من بروز نزعة الحوار بنوعيه. وقد قلّل ذلك من برودة السرد التقريري، وكان مقوّماً من مقوّمات حيوية القصيدة.

وعمد الشعراء في الكثير من الأحيان على بناء حوارهم على فعل القول وحاولوا أحياناً أخرى صهره في النص فأتى ذائباً في نسيجه.

---

(1) مثال ذلك قصيدة دالية لأحمد بن طعّان في الرياض ص128 – عدد أبياتها اثنان وأربعون بيتاً. افتتحها ببيتين في مخاطبة نفسه أو صاحب رحلته.

(2) تُراجع قصيدة سلمان التاجر في الرياض ص329. وهي في رثاء الإمام عليّ. عددها اثنان وخمسون بيتاً خصّص ما يقارب التسعة وعشرين بيتاً في مخاطبة الإمام عليّ ومناجاته والتفجّع عليه. ويُراجع أيضاً القصيدة النونية في المصدر نفسه، ص333.

(3) مثالها دالية محمد بن أحمد العصفور في المقتل، مصدر سابق، ص194. عدد أبياتها ست وأربعون، شكّل المشهد الحواري الأول ثمانية أبيات وهو في مخاطبة السيدة زينب لأمها واستغرق الثاني سبعة أبيات خاطب فيه علي بن الحسين جدّه الرسول ﷺ.

(4) تُراجع قصيدة حسن الدمستاني القافيّة في ديوانه ص160، وقصيدة أحمد الدمستاني في ص250، وقصيدة سلمان التاجر البائية في الرياض، مصدر سابق، ص304، واللامية ص307. ومن القصائد التي بدت عليها النزعة الحوارية القائمة على الخطاب من جانب واحد بشكل واضح لامية أحمد بن الحاجي في ديوان الدمستاني ص379.

والخلاصة: إن الحوار بما بني عليه من أساليب إنشائية مختلفة أدّى الكثير من الوظائف:

- إنه عمل على التخفيف من جفاف المادة التاريخية المعالجة ولطّف جوها، وأضفى عليها روحاً وتدفّقاً.
- إنه من الرتابة والملل.
- إنه مكّن الشعراء من نقل المتلقّي إلى قلب الأحداث وزرعه في أعماقها بما أدّاه من دور فاعل في إبراز الأحداث وتجسيدها.
- إنه مكّن من الكشف عن بواطن الشخصيات، والولوج إلى حناياها ووصف أدقّ مشاعرها.
- إن التوسّع في استخدامه غذّى التوجه القصصي وأمدّه ونشّط كيانه، فكان إرهاصاً بنشأة الشعر القصصي.

ولعلّ الجهل بشعر البحرين هو ما حدا ببعض الباحثين إلى اعتبار الحوار نزعة معاصرة رسّخ جذورها شعراء العربية في القرن العشرين[1].

(1) ألمحنا إلى ذلك في موضوع الشعر القصصي ص333.

الفصل الخامس

شعر البحرين بين المحافظة والتجديد

أشـرنا إلـى ترجيحنا بأن مرحلـة الإحياء في شـعر البحرين كانت أبكر مـن مثيلاتها في الشـعر العربـي. وزعمنا أنها بدأت في حدود القرن العاشـر الهجري/السـادس عشـر الميلادي بنـاء علـى مقولـة ماجد بن هاشـم[1]. وأنها اسـتمرت فـي العطاء إلـى أن اعتراهـا الفتور مع مطلع القرن العشرين.

والانطبـاع العـام الذي يخرج به دارس الشـعر ـ علـى صعيدي المضمون والشـكل، هو ميل الشـعراء الواضح إلـى المحافظة القائمة على اسـتلهام الماضي، واتخـاذ التراث بمختلف أشـكاله نقطة ارتكاز وانطلاق. فالشعراء ما فتئوا يقتبسون من القرآن والسُّنَّة والأمثال والشعر القديم ويستشـهدون بأحداث التاريخ. وهم ما زالوا يحتذون القدماء ويحصرون أنفسهم في أغراضهم ومعانيهم. وما انفكّوا يتمسكون بجزء كبير من تقاليدهم وقيمهم الفنية.

وممـا يجسّـد تعلقهم بالتراث، ويبـرز العلاقة الحميمـة التي تربطهم بـه، تلك الأنماط الأدبيـة التـي تناولوها وأتاحت لهم الالتقاء بالأسـلاف على أرضية واحـدة، ومكّنتهم من لمس أشـعارهم لمسـاً مباشـراً، كالمعارضة والتخميس والتشـطير ومـا دار في فلكها. ولكثرة شـيوع هذه الأنماط، ودورانها على ألسنتهم يحسن أن نلقي عليها ضوءاً ولو خاطفاً.

المعارضات:

فنّ شـعري يصل بجذوره إلى العصـر الجاهلي، وقد اسـتمرت امتداداته طوال العصور الأدبية، وغزر في العصر المملوكي[2].

وتعـرف المعارضة بأنها محاذاة ومجاراة ومباراة شـعرية شـريفة قائمة على الإعجاب. وتقسّـم إلى معارضات تامة وفيها تتشـابه قصيدتان إحداهما أقدم والأخرى أحدث في الوزن والقافيـة وحركـة الرويّ والغرض. ومعارضات ناقصة وهي ما حدث فيه انحراف يسـير أو كثير بين القصيدتين كاختلاف حركة الرويّ أو الغرض ونحوها[3].

ونشـطت المعارضات في شـعر «البحرين» في الفترة المدروسة نشـاطاً واضحاً. وتركّز جلّهـا علـى معارضة القصائد ذات الشـهرة في عصـور الازدهار الأدبي خاصة العصر العباسـي

---

(1) يُراجع الباب الثاني ص131 وما بعدها.

(2) نوفل، محمد محمود، تاريخ المعارضات في الشعر العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983، ص16 – 29.

(3) المصدر نفسه، ص13 و15.

وبالـذات الفتـرة الممتـدة إلـى القـرن السـابع. هذا مـع وجـود معارضـات لبعـض المعلّقات الجاهلية وبعض قصائد الفترة الأموية.

ونظـراً لغيـاب أكثـر دواويـن الشـعراء أو صعوبة التاريـخ للقصائـد تعذّر علينـا معرفة المرحلة التي نشـط فيها الشعراء للمعارضة. أكان ذلك في مطلع حياتهم الفنية أم في مرحلة نضوجهم؟ والشـاعر الذي تسـنّى لنا التعرّف على تاريخ بعض معارضاته هو «جعفر الخطّي». ويدّلنـا تاريـخ إحداها إن هذا الشـاعر ربما بـدأ حياته الفنيـة بالمعارضـات[1]. وأنه اتخذ من التراث أداة ووسيلة لصقل موهبته الشعرية.

غلـب على الشـعراء عـدم التصريح بالقصيـدة الأصليـة المعارضة، ونادراً مـا نعثر على إشـارات تدلّ عليهـا. ويبدو أن هذا اتجاه شـائع بين شـعراء العربية في الفترة المدروسـة[2]. ربّما لأن القصيدة الأصلية معروفة متداولة أو بقصد إخفاء معالـم التأثر.

الشعراء القدامى الـمُعَارَضُون:

انشـدّ شـعراء «البحرين» لما خلّفه أقطاب الشـعر العربي وفحوله من ميراث شـعري. ونتـج عن إعجابهم أن عمدوا إلى الاسـتهداء بشـعرهم، واسـتلهام طريقتهـم الفنية، فجاروهم مستخدمين أدواتهم الفنية نفسها. وأبرز من اعتنوا بمعارضة شعرهم:

من الجاهليين:

«امرؤ القيس» فقد اسـتوحى موسـيقى معلّقتـه «طه العرادي» لمرثية حسـينية عدّتها 90 بيتاً[3].

«طرفة بـن العبـد» فـ«لسـلمان التاجـر» قصيـدة داليـة طويلـة 35 بيتـاً فـي رثـاء الرسول ﷺ[4] وهي تبدو كالمعارضة[5] لها.

فالتأثّر بالأقطاب الجاهليين ذو حجم محدود نسـبياً والاسـتعارة تشمل القوالب الفنية دون الموضوع.

---

(1) تُراجـع مقطوعته الهمزية في ديوانـه ص2 وهي في مجاراة همزية أبي نواس، وقالها الخطّي سـنة 1000هـ. وصـرح جامـع الديوان فـي ص72 في تقديمه لإحـدى القصائـد أنها من أوائل شـعره، وقالها فـي حدود عام 1001. وهذا يعني أنه ابتدأ شعره بمعارضة الأقدمين.

(2) يُراجـع الطرابلسـي، محمـد الهـادي، خصائص الأسـلوب في الشـوقيات، مصدر سـابق، ص241، والسـعافين، إبراهيم، مدرسة الإحياء، مصدر سابق، ص278.

(3) المعلقة عند أبي زيد القرشـي جمهرة أشـعار العرب، مصدر سـابق، ص113، وقصيدة العرادي في مخطوطة شعره في رثاء الحسين ورقة 9 – أ.

(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص341.

(5) معلّقة طرفة في الجمهرة ص304.

شعراء العصر الأموي:

التأثّر بهم يبدو أكثر من تأثرهم بالجاهليين ولكنه محدود أيضاً. وممن عارضهم شعراء «البحرين»:

1. «**جرير**»: فقد جارى بائيته (وافر) 114 بيتاً وهي في الهجاء والفخر[1] «عبد اللّه بن محمد الحسيني» بـ 92 بيتاً في المدح والاعتذار[2]. وعارض حائيته (وافر) 22 بيتاً في المديح[3]، «أحمد بن طعّان» بـ 58 بيتاً في الرثاء[4].
2. «**عمر بن أبي ربيعة**»: اقتفى أثر بائيته الغزلية (رمل) 15 بيتاً[5] «خليل بن علوي» بقصيدتين في المديح الأولى 16 بيتاً، والثانية 65 بيتاً[6].
3. «**الكميت بن زيد الأسدي**»: عارض هاشميته البائية (طويل) 138 بيتاً[7] «سلمان التاجر» بـ 53 بيتاً رثى فيها الحسين[8].

الشعراء العباسيون:

انبهر شعراء البحرين بشعرهم فانشدّوا لمجاراتهم. وأبرز من عارضوهم حسب درجة التأثر:

1. «**الشريف الرضي**»: محمد بن الحسين (ت406هـ): وهو أكثر شاعر حظي بإعجاب شعراء «البحرين» وأوفرهم حظاً من حيث عدد القصائد الـمُعَارَضَة.

- فهمزيته في رثاء أمه ـ (كامل) 68 بيتاً[9] ـ عارضها «ماجد بن هاشم» بقصيدة في رثاء خاله، وتبدو أنها طويلة[10]. كما عارضها «خليل بن علوي» بـ121 بيتاً رثى فيها والده ثم عرج على رثاء الحسين[11].

---

(1) ديوانه ص64.
(2) ابن معصوم المدني، علي خان سلافة العصر، مصدر سابق، ص510.
(3) ديوانه ص96.
(4) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص162.
(5) ديوانه ص150.
(6) ديوانه ص151 و152.
(7) القصائد الهاشميات ص36.
(8) شعره 4/4.
(9) ديوانه ج1 ص26.
(10) وردت أبيات منها في السلافة، مصدر سابق، ص495، والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص104، والتاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق.
(11) ديوانه ص4.

- مقصورة الشريف ـ (رمل) 62 بيتاً[1] ـ عارضها «خليل بن علوي»[2] و«علي بن حسين البلادي» بقصيدة من 47 بيتاً[3]، و«طه العرادي» بقصيدة من 112 بيتاً[4].
- داليته: (كامل)، 82 بيتاً في رثاء صديقه الكاتب «إبراهيم بن هلال الصابي»[5]، عارضها «الخطّي» بـ47 بيتاً[6]، و«الوائلي» بـ23 بيتاً[7]. وكلتاهما في الرثاء.
- رائيته: وهي في رثاء «الحسين» (بسيط) 40 بيتاً[8]. عارضها «ماجد بن هاشم» بمرثية حسينية بلغت 69 بيتاً[9]. و«حسين بن علي الشاخوري» بـ122 بيتاً[10]. وكلتاهما في رثاء «الحسين».
- كافيّته: غزلية (بسيط) 18 بيتاً[11]. عارضها «حسين بن علي الحسيني» بـ48 بيتاً[12] و«الوائلي» بـ12 بيتاً[13]، وكلتا القصيدتين في الغزل.
- لاميته في التعزية: (طويل) 51 بيتاً[14]: عارضها «الخطّي» بمرثيتين الأولى 38 بيتاً والثانية 44 بيتاً[15].

2. «البوصيري»: محمد بن سعيد (ت686هـ):

- ميميته: (بسيط) 160 بيتاً وهي في مدح الرسول ﷺ[16] عارضها «عبد النبي بن مانع» بمرثية حسينية[17].

---

(1) ديوانه ج1 ص44.
(2) ديوانه ص203.
(3) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص406.
(4) وردت في شعره المخطوط ورقة 8.
(5) ديوانه ج1 ص381.
(6) ديوانه ص39.
(7) ديوانه ص97.
(8) ديوانه ج1 ص487.
(9) ديوان الدمستاني ص349 والبلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص529.
(10) مجموعة (1) ص87 والبلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص533.
(11) ديوانه ج2 ص107.
(12) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.
(13) ديوانه ص116.
(14) ديوانه ج2 ص191.
(15) ديوانه ص89 و91 (17) ديوانه ص190.
(16) ديوانه ص190.
(17) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص510 والطف ج5 ص362 ذكر منها المصدرات 49 بيتاً وهي ناقصة.

- لاميتـه: (بسـيط) 206 أبيـات فـي مـدح الرسـول وفـي معارضـة «بانـت سـعاد»[1] عارضها «حسن الدمستاني» بـ67 بيتاً رثى فيها الإمام «عليّاً»[2].
- همزيتـه: (خفيـف) 457 بيتـاً فـي مـدح الرسـول[3]. عارضهـا «سـلمان التاجـر» بمـا ينوف على السبعين بيتاً. و«لطف اللّه بن علي»[4].
- نونيتـه: 99 بيتـاً وهـي فـي النقـد الاجتماعـي[5] عارضهـا «سـلمان التاجـر» بقصيـدة مدح فيها الرحّالة والمفكّر «أمين الريحاني»[6].

3. «**أبو فراس الحمداني**»: الحارث بن سعيد (ت357هـ):

- لاميتـه: (طويـل) 7 أبيـات[7] عارضهـا «أحمد بـن الحاجـي» بـ66 بيتـاً فـي رثـاء «الحسين»[8] و«الوائلي» بـ23 بيتاً في الغزل[9].
- ميميتـه: 57 بيتـاً فـي مـدح آل البيـت[10] عارضهـا «أحمد بـن طعّـان» بـ125 بيتـاً مدح فيها العلويين وهجا خصومهم[11].

4. «**مهيار الديلمي**»: ابن مرزويه الكاتب الفارسي (ت428هـ):

- بائيتـه: (رمـل) 9 أبيـات فـي الفخـر[12]: عارضهـا «الوائلـي» بـ42 بيتـاً وافتخـر فيهـا بقومه[13].
- داليتـه: (كامـل) 61 بيتـاً فـي رثـاء أسـتاذه «الشـريف الرضـي»[14] بـدا «الخطّـي» معارضاً لها بـ41 بيتاً في المديح[15].

---

(1) ديوانه ص172.
(2) ديوانه ص107.
(3) ديوانه ص1.
(4) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم،مصدر سابق، ترجمة الشاعر.
(5) ديوانه ص218.
(6) ذكر منها مبارك الخاطر في المنتدى الإسلامي، مصدر سابق، في ص120 في الإحالة ثمانية أبيات فقط.
(7) ديوانه ص238.
(8) ديوان الدمستاني ص379.
(9) ديوانه ص16.
(10) ديوانه ص255.
(11) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص117.
(12) ديوانه ج1 ص50.
(13) ديوانه ص89.
(14) ديوانه ج1 ص183.
(15) ديوانه ص27.

- ميميتـه: (رمـل) 67 بيتـاً فـي المديـح مصـدّرة بمقدّمـة عاطفيـة فيهـا حنيـن للأحبّـة وبـكاء علـى فراقهـم[1] عارضهـا «علي بـن لطـف اللّـه» بـ28 بيتـاً وصـف فيهـا سَـفْرة بحريّة شاقة وطويلة وصوّر خلالها خواطره في الغربة[2].

5. «**المتنبي**»: أحمد بن الحسين (ت354هـ):

- لاميتـه: (وافـر) 45 بيتـاً فـي رثـاء والـده سـيف الدولـة[3]. عارضهـا «الخطّـي» بمرثيـة من 57 بيتاً[4].
- ميميتـه: (طويـل) 36 بيتـاً فـي التأمـل والمديـح[5] جاراهـا «الوائلـي» بـ45 بيتـاً فـي الموضوع نفسه تقريباً[6].
- نونيتـه: (بسـيط) 25 بيتـاً فـي الحكمـة والعتـاب[7]، عارضهـا «أحمد بـن الحاجـي» بمرثية حسينية من 52 بيتاً[8].
- يائيتـه: (طويـل) 47 بيتـاً فـي مـدح «كافـور»[9]، لـ «الخطّـي» شـبه معارضـة لهـا مـن 29 بيتاً في العتاب[10].
- داليتـه: (طويـل) 42 بيتـاً فـي مديـح سـيف الدولـة[11]. لـ «حسـن الدمسـتاني» شـبه معارضة لها عدّتها 29 بيتاً في رثاء «الحسين»[12].

6. «**أبو تمّام**»: حبيب بن أوس الطائي (ت231هـ):

- بائيتـه: (بسـيط) 71 بيتـاً فـي مـدح المعتصـم وفتـح عموريـة[13] أغـرِم بهـا شـعراء البحريـن، فعارضهـا «سـلمان التاجـر» بقصيدتيـن كلتاهمـا فـي رثـاء «الحسـين»، الأولـى تبلـغ 69 بيتـاً والثانيـة 67 بيتـاً[14]. كمـا عارضهـا «خليل بـن علـوي» بـ 114 بيتاً في رثاء «الحسين» والهاشميين[15].

---

(1) ديوانه ج3 ص327.
(2) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.
(3) ديوانه ج3 ص140.
(4) ديوانه ص95.
(5) ديوانه ج4 ص235.
(6) ديوانه ص171.
(7) ديوانه ج3 ص363.
(8) ديوان الدمستاني ص372.
(9) ديوانه ج4 ص417.
(10) ديوانه ص122.
(11) ديوانه ج2 ص3.
(12) ديوانه 191.
(13) ديوانه ص18.
(14) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص304 و349.
(15) ديوانه ص46.

- رائيته: (طويل) 31 بيتاً في الرثاء[1] جاراها «سلمان التاجر» بـ47 بيتاً في رثاء والده[2].

7. «**المعرّي**»: أحمد بن عبد اللّه (ت449هـ):

- همزيته: المشبعة بالهاء في النقد الاجتماعي والنعي على الدنيا 17 بيتاً[3] من (الكامل) عارضها «ماجد بن هاشم» بمرثية من 102 بيتاً[4]، و«الخطّي» بمرثية من 41 بيتاً[5].

8. «**الطغرائي**»: الحسين بن علي الأصبهاني (ت حوالي 513 هـ):

- فتن شعراء «البحرين» بقصيدته المعروفة بلامية العجم وهي من (البسيط) 59 بيتاً والتي صاغ فيها تأملاته في الحياة[6]. فعارضها منهم «حسن الدمستاني» بـ 51 بيتاً[7] و«أحمد بن الحاجي» بـ44 بيتاً[8]، و«طه العرادي» بـ65 بيتاً[9]، وكلها في رثاء الحسين المصدّر بأبيات تأملية. كما عارضها «الوائلي» بقصيدة تبلغ 24 بيتاً سماها «لامية آل خليفة» وسار على الدرب نفسه مع تضمينها فخراً بالعرب ودعوة لنهوضهم[10].

هناك طائفة أخرى من الشعراء العباسيين اقتفى شعراء «البحرين» آثارهم ـ وبحجم أقل ـ حسبما توفّر لدينا من مادة. نذكر منهم:

9. «**دعبل الخزاعي**»: فقد عارض تائيته 115 بيتاً من (الطويل)، وهي في رثاء آل البيت[11]، «محمد بن أحمد العصفور» بـ50 بيتاً رثى فيها «الحسين»[12].

10. «**أبو نواس**»: عارض همزيته 12 بيتاً (بسيط) في وصف الخمرة[13] «جعفر الخطّي» بـ9 أبيات وهي في الموضوع نفسه[14].

---

(1) ديوانه ص355.
(2) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 349.
(3) اللزوميات ج1 ص43.
(4) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.
(5) ديوانه ص4.
(6) تُراجع عند الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم الأدباء، مصدر سابق، ج10 ص56؛ وابن خلكان، الوفيات، مصدر سابق، ج2 ص185.
(7) ديوانه ص165.
(8) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص82.
(9) مخطوط شعره في رثاء الحسين ورقة 13 – 1.
(10) ديوانه ص13.
(11) ديوانه جمع عبد الصاحب الدجيلي ص123.
(12) المقتل ص167.
(13) ديوانه ص6.
(14) ديوانه ص2.

11. **«ابـن الرومـي»:** عـارض مرثيتـه فـي ابنـه 30 بيتـاً[1] (بسـيط) «سـلمان التاجـر» بــ53 بيتاً في رثاء «عبد اللَّه بن الحسين»[2].

وسّـع شـعراء «البحرين» آفاق معارضاتهم فعارضوا خوالد الشعر المغربي والأندلسي. فـ «علي الصالحي» استعار موسيقى نونية «ابن زيدون» لمرثية حسينية[3].

وجارى «سـلمان التاجـر» دالية «الحصـري القيرواني» (متـدارك)[4] 99 بيتـاً بـ 81 بيتاً مدح فيها القائد التركي «مصطفى كمال» وأشاد فيها بانتصاره على اليونان[5].

ونستخلص من سياق المعلومات السابقة:

أ ـ مـع ميـل شـعراء البحريـن لمعارضـة أقطـاب الشـعر القديـم وفحولـه تتضـح بسـبب تشـيّعهم، ميولهـم لمعارضـة الشـعراء الذيـن اتضحـت ميولهـم الودّيـة لآل البيـت. فـ «الشـريف الرضـي»، وهـو أكثـر شـاعر عارضـوه، ينتمـي إلـى الأسـرة الهاشـمية، وجـزء غيـر قليـل مـن شـعره دار فـي إطـار مديحهـم ورثائهـم والفخـر بهـم. و«البوصيري» من العصر المملوكي أكثر الشعراء توفّراً على المدائح النبوية.

ب ـ الغالـب علـى معارضاتهـم تجـاوز الإطـار الموضوعـي للقصيـدة المعارضـة، والاكتفـاء بالتمسّـك بالقالـب الموسـيقي فقـط. وقـد أتـاح لهـم ذلـك اختيـار الموضوعـات التـي تتناسـب وميولهـم، وترتّـب عليـه تقلّـص حجـم الجوانـب المشـتركة بيـن القصيدتيـن وتظهـر هـذه السـمة، علـى وجـه الخصـوص، فـي مدائحهـم ومراثيهـم الهاشـمية التـي استعاروا لها قوالب فنية قديمة.

ج ـ تبـرز المعارضـات المشـتركة الموضـوع فـي مجـال أغـراض الشـعر الأخـرى وعلـى وجـه الخصـوص فـي رثـاء الأقـارب والأصدقـاء. ونفسّـر هـذه الظاهـرة بـأن المعارضـة تسـهّل علـى الشـاعر عمليـة النظـم، فالأعـراف والتقاليـد تقتضـي تأبيـن الفقيـد فـي اليـوم السـابع مـن الوفـاة عـادة، والقصيـدة الأصليـة فـي هـذا الصـدد توفّـر للشـاعر رصيـداً لغويـاً جيـداً خاصـة فـي مقـام المقطـع[6] وهـو حجـر الزاويـة فـي القصيـدة التقليدية. وبديهي أن تبرز جوانب مشتركة عديدة بين القصيدتين.

---

(1) ديوانه 29/1.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص321.

(3) ديـوان ابـن زيـدون ص141 والتاجر، محمد علـي، مسـودّات المنتظم، مصدر سـابق، ترجمة الشـاعر وعثرنا على بيتين فقط.

(4) المرزوقي، محمد، وزميله «يا ليل الصبّ ومعارضاتها»، الدار العربية للكتاب، 1986، ص12.

(5) شعره 16/4.

(6) لا نسـتخدم لفـظ المقطع بمعنـاه كمصطلـح عروضي، بل نعنـي به اللفظ الأخيـر من البيـت، وعمدت إلى اسـتعماله بهذه الدلالة الدراسـات الأدبية الحديثة. يُراجع الطرابلسـي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، مصدر سابق، ص248.

د ـ من ناحية الطول نجد أن قصائد المعارضة التي حوّلت عن موضوعها ووجهت لرثاء الهاشميين أطول من القصيدة الأصلية. أما المعارضات التي اتفقت في الموضوع فتنزع إلى أن تكون أقصر من القصيدة الأصلية.

ملامح أخرى للمعارضات:

نرصد في هذا السياق مدى تأثر الشاعر الـمُعَارِض بالشاعر القديم على صعيدي المضمون والصياغة.

أ. المعاني في المعارضات:

من الطبيعي اختلاف المعاني في المعارضات التي حوّلت عن موضوعها الأصلي. أما المعارضات ذات الموضوع المشترك فنلاحظ عليها ما يلي:

في المراثي الهاشمية يعمد الشعراء إلى استلهام روح النص القديم مع التصرّف المحدود في الأفكار الجزئية؛ بتفصيلها وتوسيع مداها. فعلى سبيل المثال تناول الشريف الرضي حادث قتل «الحسين» وملابساته في خمسة أبيات[1]، بينما استغرق عند «ماجد بن هاشم» ما يقارب عشرة أبيات[2]. وقد عالج «حسين الشاخوري» هذه الفكرة في حوالي 26 بيتاً، اعتنى فيها بتصوير المعركة تصويراً حياً مجسّداً المشاهد والأصوات مستخدماً كل ما أمكن من أدوات التصوير[3]. أما محنة المرأة الهاشمية فقد أشار إليها «الرضي» في بيت واحد (البيت 21) واستغرقت عند «ماجد بن هاشم» ما يقارب الخمسة عشر بيتاً (من 43 ـ 57)، هذا علاوة على ثمانية أبيات خاطب فيها السيدة فاطمة وشكا إليها (الأبيات من 35 ـ 42). وأخذ هذا الجزء عند «حسين الشاخوري» ما يقارب 12 بيتاً (من 94 ـ 106).

خارج إطار المراثي الهاشمية عارض «سلمان التاجر» بمرثية في والده رائية «أبي تمام» في رثاء «محمد بن حُمَيد الطوسي»[4].

وتكاد القصيدتان تتفقان في الأفكار الرئيسية فتصوّران فظاعة الفقد والإشادة بمآثر المرثي وأثر فقده. إلا أنّ «التاجر» يتوسّع في المعاني. ومما قاله «أبو تمام» في تمجيد المثل العليا التي تحلّى بها الفقيد واضعاً السخاء والشجاعة على رأسها:

[طويل]

وَمَا كَانَ إلاّ مَالَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ ... وذُخْراً لِمَنْ أَمْسَى ولَيْسَ لَهُ ذخرُ

(1) ديوانه ج1 ص477. تنظر الأبيات 10 – 14.

(2) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص530 – الأبيات 11 – 20.

(3) العصفور، حسين، المقتل، مصدر سابق، ص90 الأبيات من 37 – 63.

(4) ديوانه ص355. والممدوح من قواد المأمون يُراجع الطبري، تاريخه، مصدر سابق، ج8 ص619 و622.

وَمَــا كَانَ يَــدْرِي مُجْتَــدِي جُــودِ كَفِّــهِ إِذَا مــا اسْــتُهَلَّتْ أَنَّــه خُلِــقَ العُسْــرُ
فَتَــى دَهْــرُهُ شَــطْرانِ فيمــا ينوبُــهُ ففــي بَأسِــهِ شَــطْرٌ وفــي جُــودِهِ شَــطْرُ
فَتًــى مَــاتَ بَيْــنَ الطَّعْــنِ والضَّــرْبِ مِيْتَــةً تقــومُ مَقَــامَ النَّصْــرِ إنْ فَاتَــهُ النَّصْــرُ

ولـم يربـط «التاجر» نفسـه بمعاني «أبي تمام» ربطـاً تاماً، وإنما أخـذ بعض الصفات، وأضـاف إليهـا ما يناسـب شـخصية المرثـي. فركّز على شـفافية نفسـه وصفائها وعفّتهـا. ومما قاله:

فَتَــى جَيْبُــهُ زُرَّتْ عَلَــى الزُّهْــدِ والتُّقَــى وليــس لــه ذَيْــلٌ علــى الــوِزْرِ تَنْجَــرُّ
فَتَــى الحَــيِّ أَحْيَــى مِــنْ فَتَــاةٍ حَيِيَّــةٍ ومــن هَيْبَــةٍ فــي ثَوْبِــهِ خَــادِرٌ نِمْــرُ
فَمَــا غَلَبَــتْ يومــاً علــى العقــلِ نَفْسُــهُ وفــي سَــوْطِ تَقْــوَاهُ لِطَــرْدِ الهَــوَى زَجْــرُ

ووضع السخاء في مرتبة تالية لتلك الصفات فقال:

فَقُــلْ للعُفَــاةِ السُّــغْبِ لا تَطْلُبُــوا القِــرَى فَرَبْــعُ النَّــدَى مِــنْ بَعْــدِ حَاتِمِــهِ قَفْــرُ
وَقُــلْ للأُلَــى مِــنْ نِيــلِ جَــدْوَاهُ تَرْتَــوي لقــد جَــفَّ مَــاءُ النِّيــلِ واستوحَشَــتْ مِصْــرُ
وَقُــلْ للأُلَــى نَالُــوا كَبِيــرَ صِلَاتِــهِ إِذَا مُتُّــمُ حُزنــاً علــى فَقْــدِهِ نَــزْرُ

فمـع تمثل «التاجـر» معاني «أبي تمام» إلا أنه اختلف عنه في الصور وطرح الصفات، فقـد تخيّل «أبو تمـام» الفقيد كالمـال والذخر للمحتاج. أمـا «التاجر» فماثلـه بحاتم الطائي، وبالغ متصوّراً أن الجود مات بموته وأن لا حياة للعفاة بعده.

تناول الشاعران أثر الفقد، وجعل «أبو تمام» المصيبة تمسّ قوم الفقيد فقال:

كأنَّ بَنِــــي نَبْهَــــانَ يــــومَ وَفَاتِــــهِ نُجُــومُ سَــمَاءٍ خَــرَّ مِــنْ بَيْنِهَــا البَــدْرُ

ثم وسّع نطاقها لتشمل العرب أجمعين:

لَئِــنْ أُلْبِسَــتْ فيــه الــمُصِيبَةَ طَــيِّءٌ فَمَــا عَرِيَــتْ منهــا تَمِيــمٌ ولا بَكْــرُ

وبالمثل اعتنى «التاجـر» بوصف أثر المصيبة على طرفين أيضاً، لكن مع اختلاف. فقد بيّن أثرها على نفسه فقال:

لقــد فَصِمَــتْ مِنّــي عُــرَا الصَّبْــرِ فــي عَــزَا أَبِــي ثُلْمَــة مــا إنْ إلــى كَسْــرِهَا جَبْــرُ
بَكَيْــتُ لَــهُ فــي الاحْتِضَــار وبَعْــدَهُ وَحِيــنَ مَشَــتْ فــي نَعْشِــهِ البَــدْوُ والحَضْــرُ
بَكَيْــتُ بــه قبــراً وقــد طَــاوَلَ السَّــمَا بِــهِ وفُــؤَادِي لــو دَرَيْــتَ هــو القَبْــرُ
بَكَيْــتُ لَــهُ وَقْــتَ الصَّــلاةِ وقــد خَــلَا مُصَــلَّاهُ مِنْــهُ كُلَّمَــا طَلَــعَ الفَجْــرُ

ووصف أثر الفقد على نطاق «البحرين» فقال:

لقـــد عَرَّســـتْ فِيـــهِ «أَوالٌ» وأُرْمِلَـــتْ ولـــو يُفْتَـدَى بالـــمَهْرِ لـم يُغْلِـهِ الـــمَهْرُ
فَـــإنْ تَبْكِـــهِ «البَحْرَيْـــنُ» تبـــكِ لِرَاحِـــلٍ زَهَـــتْ فِيـــهِ لكـــنْ بَعْـــدَهُ مَسَّـــهَا الضُّـــرُّ
وإن تبَكِـــهِ أرضُ الـــمَنَامَةِ تبـــكِ مَـــنْ بســـجدتِهِ لليـــلِ فـــي طُولِهَـــا قِصْـــرُ

وهناك فارق في نظرة الشاعرين فقد اعتبر «التاجر» فاجع الموت قضاءً وأمراً محتوماً احتسب ثوابه عند اللّه فقال:

أَبِـــي يَـــا أَبِـــي لَـــوْ كَانَ غيـــرُ القَضَـــا غَـــزَا فِنَـــاءَكَ حَالَـــتْ دُونَـــكَ البِيـــضُ والسُّـــمْرُ
ولكـــنَّ أَمْـــرَ اللَّـــهِ حَتْـــمٌ ومـــا إلـــى الـــ ـــفرارِ مِـــنَ الـــمَحْتُومِ كَهْـــفٌ ولا وزرُ
فَأَحْتَسِـــبُ الخَـــلاّقَ فيـــكَ مُصَابُنَـــا وإنْ كَانَ لا يَأْتِـــي علـــى جُرْحِـــهِ الصَّبْـــرُ

أما «أبو تمام» فاعتبر حادث الردى غدراً من الأيّام:

لَئِـــنْ غَـــدَرَتْ فـــي الـــرَّوْعِ أيامُـــهُ بِـــهِ فمـــا زَالَـــتِ الأيـــامُ شِـــيمَتُهَا الغَـــدْرُ

ولعلّ الفارق الجذري بين القصيدتين هو تضخّم النـزعة البكائية في قصيدة «التاجر» وضمورها عند «أبي تمام». ولا غرو فـ «التاجر» يرثي والده، بينما الثاني يرثي سيداً من أشراف العرب يكنّ له أعجاباً.

المقاطع في المعارضات:

لعلّ الاشتراك في المقطع أبرز مظهر في قصائد المعارضة ومن أهم خصائصها[1]. ولا غرابة فالمقطع هو اللفظ الذي يتخيّره الشاعر ليختم به البيت الشعري، والإطار الصوتي الذي يحتضن عناصر القافية، فهو حجر الأساس فيها. هذا علاوة على ما لها من دور فاعل على صعيد الدلالة.

ومن تحصيل الحاصل القول أن الشعراء يزيد حظّهم في استعمال المقاطع المشتركة كلما اتفقت القصيدتان في الموضوع أو اقتربت من ذلك.

وعلى صعيد المعارضات ذات المضمون الواحد نجد أن رائية «ماجد بن هاشم» تشترك مع رائية «الرضي» في 28 مقطعاً من 40 أي بنسبة 70%. وتشترك رائية «حسين الشاخوري» مع رائية «الرضي» في 28 مقطعاً من 40 أيضاً أي النسبة نفسها تقريباً.

وتشترك رائية «سلمان التاجر» مع رائية «أبي تمام» في 14 مقطعاً من 31 أي بنسبة 45 %[2].

(1) الطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، مصدر سابق، ص248.

(2) شذّ عن ذلك مقطوعة الخطّي الهمزية، فمع اشتراكها في نفس موضوع همزية أبي نواس لم تتعدّ نسبة القوافي المشتركة اثنين من 12 أي بمعدل 16,66 % فقط.

علـى صعيـد المعارضـات المتقاربة الموضـوع نجد لاميـة «الوائلي» تشـترك مع لامية «الطغرائـي» فـي 14 مقطعاً من 59 أي بنسـبة 23% فقط، وهذه نسـبة متدنيـة بالقياس إلى النسب السابقة.

في سياق المعارضات المختلفة الموضوع نرى:

إن لامية «الدمسـتاني» في معارضة لامية «الطغرائي» تشترك معها في 16 مقطعاً من 59 أي بنسبة 27% وشكلت 31% من مقاطع القصيدة.

وبائية «التاجر» اشـتركت في 30 مقطعاً مع بائية «أبي تمام» من 71 أي بنسـبة 42% تقريباً. وهي تشكّل 43% تقريباً من مقاطع القصيدة.

أمـا بائيـة «خليل بن علوي» فتشـترك مـع بائية «أبي تمـام» في 26 مقطعاً أي بنسـبة 36,6%، وبلـغ معدلهـا بالنسـبة للقصيـدة 22,8%، ونعـزو ارتفـاع النسـبة فـي هـذه البائيات لتقـارب الموضوعيـن لأن الرثـاء والمـدح وجهان لشـيء واحـد فالمدح تنويـه بالحـيّ، والرثاء إشادة بالميّت. كما أن العناية بوصف المعركة عند الشعراء الثلاثة رفعت النسبة.

يمكن القول بشـكل عام أن نسـبة المقاطع المشـتركة تزداد كلمـا تقاربت موضوعات القصائـد المتعارضـة، وتقـلّ النسـبة كلمـا تباعـدت. وتبيّـن لنـا أن أعلى نسـبة هـي 70% أي بمعـدل الثلثين تقريباً، وأدناها 16% أي أكثر من العشـر بقليل. وهي تكاد تتوازى مع نسـب قوافي المعارضات عند بعض شـعراء العربية في الفترة المدروسـة. فأعلى نسـبة عند الشاعر «أحمـد شـوقي» بلغـت 80% فـي سـينيته التـي عـارض فيهـا «البحتـري»، وأدناهـا 19% في قصيدته التي عارض فيها «ابن سينا»[1].

وبطبيعـة الحال لم يتقيّد الشـعراء بترتيب مقاطع المعارضـات التي وردت في الأصول وأعطوا لأنفسهم حرية تنـزيلها في الأماكن التي تتناسب ومواضيعهم.

الملاحظة الأخيرة بشـأن المعارضات هي نشـاط هذا الفن بين المتعاصرين. فقد عمد شـعراء «البحريـن» إلى مجاراة أشـعار من تعلّقوا بهم مـن معاصريهم أو ممن سـبقهم بفترة قصيرة.

وممّا دار بين الآباء وأبنائهم معارضة «أحمد الدمسـتاني» لدالية والده[2]، ثم معارضة «حسن الدمستاني» لتائية ابنه[3].

---

(1) الطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، مصدر سابق، ص249.

(2) ديوان حسن الدمستاني ص215، ينظر البيت 61.

(3) المصدر نفسه، ص129 يلاحظ البيت 67.

ووجدنا لـ«حسين بن علي الشاخوري» نونيتين في معارضة والده وكلتاهما من الطويل[1].

ومن المعارضات الدائرة بين الأصدقاء مجاراة «حسن الدمستاني» لـ«محمد بن أحمد العصفور»[2]. ومجاراة «حسين الشاخوري» للعصفور نفسه[3]، وبالمقابل عارض «محمد العصفور» رائية «الشاخوري»[4].

ووجدنا لمنظومة «حسن الدمستاني» التي قصّ فيها مقتل «الحسين» معارضتين الأولى لـ«خليل بن علوي» والثانية لـ«أحمد بن طعّان»[5].

ومن المعارضات التي دارت بين شعراء «البحرين» وآخرين من خارجها موازنة «الخطّي» لقصيدة البهائي[6].

وبطبيعة الحال لا تتميّز هذه المعارضات عن مثيلاتها التي دارت بين شعراء الفترة وأسلافهم سوى في الميل إلى التصريح بالمعارضة.

وفي العموم شكّلت المعارضات عنصراً نشّط الشعر وأخصبه. وفتح باباً للتفاعل الحيّ والمثمر بين القديم والحديث. فقد أتاح للشعراء معيناً صافياً نهلوا منه وعلّوا. وسمح لهم بفرصة الاتصال بكنوز الشعر العربي ودرره النفيسة، خاصة في عصور القوة، فغذّى قرائحهم، وصقل أذواقهم. وكان من أثر ذلك أن عبقت العديد من المعارضات بنفحات غير قليلة من روعة القديم وجلالته.

التخميس:

صورة أخرى من صور التعلّق بالقديم ومحاكاته. وفحواه أن يضيف الشاعر إلى البيت من شعر غيره ثلاثة أشطر من نظمه تتقدّم البيت المخمّس وتلتحم به. فتجتمع عنده خمسة أشطر. وميزة هذا النمط أنه يتيح للشاعر لوناً من الاشتراك مع أي شاعر يعجبه قديم أو حديث. ويبدو أن التخميس كان منتعشاً عند شعراء العربية في الفترة المدروسة.

خمّس شعراء «البحرين» ما راق لهم من أبيات ومقطوعات شعرية قديمة تيمناً وإعجاباً، ولم نجدهم يشيرون إلى الشعراء الذين خمّسوا أشعارهم، ربّما لشهرتها وكثرة تداولها.

---

(1) الأولى في المجموعة (1) ص56 – البيت 62 والثانية في ديوان الدمستاني ص390 ينظر البيت 49.

(2) ديوان الدمستاني، ص99 ويلاحظ البيتان 58 و59.

(3) المجموعة (1) ص71 البيت 72.

(4) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(5) تُراجع الأولى في ديوان الشاعر ص12 والثانية في رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص135.

(6) ديوانه ص63.

وأغلب ما وجدناه في هذا الباب من شعر هي قصائد تحمل مضموناً دينياً، إسلامياً عاماً أو مذهبياً. وقد يكون تأملياً فلسفياً في بعض الأحيان.

وأكثر الشعراء عناية بالتخميس «طه العرادي» و«سلمان التاجر». ووجدنا لـ «العرادي» تخميسات عديدة لما نسب إلى الإمام «عليّ» من أشعار. وفيها تخميسه لأبياته التي يروى أنه قالها حين افتخر عليه «معاوية» بمكانته في الجاهلية والإسلام. ووضعنا الأبيات الأصلية بين ظفرين[1]:

[وافر]

يناظِرُنِي الحَسُودُ بِفَضْلِ قَدْرٍ ويفخرُ وهو يَعْلَمُ جُلَّ فَخْرِي
ويبذخُ بالتكبُّرِ وهو يَدْرِي (محمدٌ النبيُّ أَخِي وَصِهْرِي
وحمزةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي)
أَنَا الرَّوْضُ المُشِيدُ بِرَوضِ أُنْسِي وَعَالَمُهَا الأَرِيبُ بغَيْرِ عَكْسِ
بل النَّبَأُ العَظِيمُ ونَفْسُ قُدْسٍ (وبِنتُ مُحَمَّدٍ سَكَنِي وعرسِي
مَسُوطٌ لَحْمُهَا بِدَمِي وَلَحْمِي)

فتمجيد الشاعر لشخصية الإمام «عليّ» وإيمانه بمكانته حدا به إلى محاولة توسيع المعاني ومدّ أبعادها وتأكيدها.

وخمّس «سلمان التاجر» بيتين من مقصورة «الشريف الرضي» فقال:

[رمل]

يَا ذُكَا للدِّينِ أَوْدَاهَا البِلا فَهَوَتْ عن بُرْجِهَا في كربَلَا
ضَمَّهَا بعد الكِسَا رِمْسُ البَلا (وَاصَرِيعاً عَالَجَ المَوْتَ بِلَا
شدٍّ لحيينِ ولا مَدٍّ رِدَا
لَهْفُ نَفْسِي لِمُنَادٍ أَهْلَهُ لا يَرَى إلا نساءً حَوْلَهُ
وَعِدًى تَرْمُقُ بالبِيْضِ لَهُ (مُرْهَقاً يَدْعُو ولا غَوْثَ لَهُ
بِأَبٍ بَرٍّ وجَدٍّ مُصْطَفَى)[2]

---

(1) مخطوطة الشاعر في رثاء الحسين ورقة 1 – أ – والأبيات الأصلية وردت بروايات مختلفة عند ابن الجوزي تذكرة الخواص، مصدر سابق، ص102، والحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم الأدباء، مصدر سابق، ج14 ص48، وأشار الأميني، عبد الحسين، في: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ج2 ص25 وما بعدها إلى جلّ مصادرها.

(2) البلادي، حسين رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص333؛ وديوان الرضي، مصدر سابق، ج1 ص44.

فالشاعر يعمد إلى إضافة بعض الظلال التي تمدّ المعنى. ولعلّها زادته وضوحاً على وضوحه، إلا أنها لم تساهم في تعميقه. ولعلّ الشاعر لم يقصد ذلك، أن هدفه إشراك نفسه في شعر شاعر له في نفسه مكانة خاصة.

وإذا كان الباعث على التخميسين السابقين هو تمجيد شخصية القائل ومقولته، فإن بعض التخاميس ينبني على أساس الإعجاب بمضمون الأبيات ليس إلا. كقول «خليل بن علوي» متحمّساً بيتاً لـ «أبي نواس» في مدح الهاشميين:

[بسيط]

قَــوْمٌ إلــى الــذُّلِّ لا تُلْــوَى رِقابُهُــمُ وَفَــوقَ هَــامِ السُّــهَى تَسْــمُو قِبَابُهُــمُ
إنْ دَنَّسَــتْهُمْ عِــدَى قَــالَ الكِتَــابُ هُــمُ (مُطَهَّــــرُونَ نَقِيَّــــاتٌ ثِيابُهُــــمُ
تَجْــرِي الصَّــلاةُ عَلَيهِــم أينَمَــا ذُكِــرُوا)[1]

وتبرز ظاهرة تتعلق بكل من المعارضة والتخميس؛ فقد عارض بعض الشعراء قصائد مشهورة، ثم أتبعوا معارضاتهم بتخميسها. وجلّ ما وجدناه في هذا الصدد هو في مجال المديح الديني المكتسي بصبغة تاريخية. من ذلك التخميس التالي لـ «سلمان التاجر» لقصيدته التي عارض فيها همزية «البوصيري» في مدح الرسول. ومما قاله:

[خفيف]

لَـكَ مَعْنَـىً فـي حُسْـنِهِ الشـمسُ أَغْضَـتْ مِــنْ حَيَــاءٍ فَسَــلَّمَتْ وتَرَضَّــتْ
وَخِتَــامُ الــمَدِيحِ مِــنْ فِيــكَ فُضَّــتْ شَــخَصَتْ أَعْيُــنُ العُقُــولِ وغَضَّــتْ
حَيــرةً فِيــكَ إِذْ غَشَــاهَا الضِّيَــاءُ(2)

ومدّ الشعراء أبصارهم إلى من عاصرهم من شعر فخمّسوا ما راق لهم. وقد خمّس «أحمد الدمستاني» قصيدة والده اللامية وهي نفسها من المعارضات[3].

ونظروا فيما أنتجه شعراء المنطقة فخمّسوه. وهناك تخميسان يتميّزان بالطول الواضح لـ «سلمان التاجر» و«طه العرادي» خمّسا فيه المعارضة الأخيرة لقصيدة الشاعر العراقي «محمد كاظم الأزري» (ت 1796 م) والتي تربو على الألف بيت وهي في مدح الرسول وآله ومطلعها:

---

(1) ديوانه ص131. وورد بيت أبي نواس عند ابن شهرآشوب في المناقب، مصدر سابق، ج3 ص474 ولم نجده في الديوان.

(2) شعره 1/4 ويبدو أن القصيدة طويلة وعثرنا على ما يقارب 128 بيتاً منها. والقصيدة الأصلية في ديوان البوصيري ص1.

(3) ديوان الدمستاني ص256.

[خفيف]

لِمَـــنِ الشَّـــمْسُ فـــي قِبَـــابِ قِبَاهَـــا شَـــفَّ جِسْـــمُ الدُّجَـــى بِـــرُوحِ ضِيَاهَـــا[1]

فقـد عارضها «طه العرادي» بما يربو على السـت مئة بيت ثم خمّسـها؛ ومما قاله في صفة الرسول ﷺ:

إنّـــه فـــي النُّفُـــوسِ أَنفُـــسَ نَفْـــسٍ لَيْـــسَ يَحْجُـــو لوصفِـــهِ نَعْـــتُ قِـــسٍّ
ولقـــد صِيْـــنَ عَـــنْ قَـــذَا كُلِّ رِجْـــسٍ (ذَاتُـــهُ فـــي الوُجُـــودِ لَاهُـــوتُ قُـــدْسٍ
غَيْـــــرَ أَنْ هَيْـــــكَلَ الأَنَـــــامِ رِدَاهَـــــا)

وخمّس «التاجر» معارضة «طه العرادي» نفسها؛ ومما قاله في مقابل البيت المذكور:

بِسَـــنَا نُـــورِهِ اهْتَـــدَتْ كلُّ نَفْـــسٍ شِـــيبَ فـــي وَجْهِـــهِ الـــحَيَاءُ بِأُنْـــسِ
مَـــازَهُ اللَّـــهُ عـــن قَـــذَا كُلِّ رِجْـــسٍ (ذَاتُـــهُ فـــي الوُجُـــودِ لَاهُـــوتُ قُـــدْسِ
غَيْـــــرَ أَنْ هَيْـــــكَلَ الأَنَـــــامِ رِدَاهَـــــا)

وإذا كانت المعارضات توفّر رصيداً لغوياً في مقام القافية فإنّ التخميس يوفر للشـاعر مضموناً فكرياً ومادة أساسـية في سـياق المعنى. وقد عمل الشـعراء على توسـيع تلك الآفاق وإضافـة ما يمكن إضافتـه. وغالباً ما أتت إضافات الشـعراء بمثابة الذيول الزائدة والحشـوية، فعادة ما كان الشاعر الأول يستنفد جلّ آفاق المعنى الذي يتناوله.

ألوان أخرى من التعلّق بالقديم:

رافقـت المعارضات والتخاميس صنوفاً أخرى لعلّها نشـأت في رحابهـا ودارت في فلكها؛ وأبرزها التشطير، والتذييل. وبرزت في شعر شعراء معيّنين مجسّدة تعلّقهم بالموروث الشعري.

التشطير:

ويسـمى التصديـر والتعجيز. ومفـاده أن يعمد الشـاعر إلى أبيات غيره فيقسّـم البيت شـطرين يضيف إلى كلّ منهما شـطراً من نظمه. وأغلب ما وجدناه هو للشـاعرين «خليل بن علوي»، و«إبراهيم الخليفة» وهما من شعراء المرحلة الأخيرة لدراستنا.

يقول «خليل بن علوي» مشطّراً أبيات الإمام «الشافعي»:

[طويل]

(يـــا آلَ بَيْـــتِ رَسُـــولِ اللَّـــهِ حُبُّكُـــمُ) حُـــبُّ الرَّسُـــولِ وَمَـــنْ بالحـــقِّ أَرْسَـــلَهُ

(1) يُراجع عن الشـاعر وقصيدته البحراني، يوسـف، الكشـكول، مصدر سـابق، ج3 ص404؛ والطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، 9 – 69/1 و58/17 و135؛ وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج5 ص215.

وَلَاؤُكُـــمْ واقْتِفَـــا آثَـــارِ نَهْجِكُـــمُ (فَـرْضٌ مِـنَ اللَّـهِ فـي القـرآنِ أنزلَـهُ)
(كَفَاكُـــمُ مـــن عَظِيـــمِ القَـــدْرِ أَنَّكُـــمُ) مِـنْ نُـورِهِ حَسْـبَ مـا فـي الذِّكْـرِ مَثَّلَـهُ
قَضَـى لَكُـم وَبِـهِ نَـصَّ الرسـولُ بِـأَنْ (مَـنْ لـم يُصَـلِّ عليكـم لا صَـلَاةَ لَـهُ)[1]

وشطّر الشاعر نفسه أبياتاً تنسب للإمام «عليّ» فقال[2]:

[طويل]

(لَـكَ الـمَجْدُ يَـا ذَا الجُـودِ والعُـلَا) وَمَـنْ لِدُعَـا الداعِيـنَ فـي السِّـرِّ يسـمعُ
تَعَالَيْـتَ عَـنْ شِـبْهِ وكلِّ مُمَاثِـلٍ (تَبَارَكـتَ تُعْطِـي مَـنْ تَشَـاءُ وتَمْنَـعُ)

ويظهـر مـن الأبيات أن الشـاعر لا يشـطّر قصـد المنافسـة أو تعميق المضمـون وإنما إعجاباً بالقائل أو بالقول.

وشطّر «إبراهيم الخليفة» بيتاً لـ «أبي تمام» فقال:

[وافر]

(فَلَـبِّ الـحَزْمَ إنْ حَاوَلْـتَ يَوْمـاً) يُلَبِّيـكَ النَّجَـاحُ بـلا امتنـاعِ
وَقُـلْ للقلـبِ بُشْـرَى عَـنْ قَرِيـبٍ (بـأنْ تَسـطِيعَ غَيْـرَ الـمُسْتَطَاعِ)[3]

وفـي العموم فإنه وإن تعذّر على الشـعراء الإتيان بما يوسّـع آفـاق المعنى فقد تمكّن بعضهـم من إضافة ظـلال خفيفة أمدّت المضمـون ورفدته، وقد أتت إضافـات الغالبية زائدة فضولية.

التضمين: (الاقتباس)

وهو من أبرز صور التمسّـك بالقديم؛ فقد جنح الشـعراء إلى تضمين أشـعارهم بيتاً أو أكثـر حليـة وتشـبّهاً. ويرتبـط هـذا اللـون عـادة بالمعارضـات خاصـة التامـة منهـا، كتضميـن «أحمد بن طعّان» مرثيته لـ «عليّ بن الحسين» بيت الشاعر «التهامي» من مرثيته في ابنه:

[كامل]

يَـا صَارِمـاً فَـلَّ الصَّـوَارِمَ غِرْبُـهُ حَتَّـى تَفَلَّـلَ عَارِيـاً مِـنْ عَـارِ

(1) الديوان ص79 وديوان الشافعي، محمد بن إدريس، دار الجيل، بيروت، د.ت، تاريخ المقدمة 1971، ص72.

(2) الديـوان ص125 وديـوان الإمـام عليّ بـن أبي طالـب، تحقيق محمـد عبد المنعـم خفاجي، مكتبـة الكليات الأزهرية، 1986، ص98.

(3) الديـوان ص84 وورد بيـت أبـي تمـام في ديوانـه ص182. ويبـدو أنه وقع تصحيـف في لفظـة. «فلبّ» فقد جاءت «فللت» في الأصل ويُراجع أيضاً تشطير الشاعر لبيتي ابن خالويه في الصفحة نفسها.

(يـــا كوكَبـــاً مَـــا كَانَ أَقْصَـــرَ عُمْـــرِهِ وكَـــذَا تَكُـــونُ كَوَاكِـــبُ الأَسْـــحَارِ[1]

وقـد يضمّـن الشـاعر قصيدته بيتيـن منهـا، مثلما فعل «علي بن حسـين البـلادي» في مرثيته الحسـينية التي ضمّنها بيتين للشـاعر الجاهلي «قريط بن أنيف المازني» واسـتعارهما لوصف مناقب الهاشميين وهما:

[بسيط]

قَـــومٌ إِذَا الشَّـــرُّ أَبْـــدَى نَاجِذَيْـــهِ لَهُـــمْ طَـــارُوا إِلَيـــهِ زَرَافَـــاتٍ وَوِحْدَانَـــا
لا يَسْـــأَلونَ أَخَاهُـــمْ حِيـــنَ يَنْدبُهُـــمْ فـــي النَّائِبـــاتِ علـــى مَـــا قَـــالَ بُرْهَانَـــا[2]

والبيتان يحملان قيماً جاهلية ـ مناصرة الشـرّ ـ وقد أوردهما الشـاعر في سياق وصف سرعة نجدة الهاشميين وشجاعتهم.

تعـدّى بعض الشـعراء هذا العـدد فضمنـوا قصائدهم أكثر مـن بيتين. ويبـدو أن ذلك يقع في مجال الحماسـة وعند انفعال الشـاعر وتدافع الشعر على لسانه فيختلط نتاجه بنتاج من تأثّر بهم من الشعراء[3].

واتسـع نطـاق التضمين ألفاظاً ومعانٍ. فبرزت في شـعرهم جميع روافـد الثقافة. فإلى جانـب ثقافتهم الأدبية التي تجسّـدها الأمثلة السـابقة، تجلّت ثقافتهم الدينيـة وظهر تأثرهم بالقـرآن الكريـم. ولـ «خليل بن علوي» قصيدة في مدح الرسـول مقتبسـة من الآيـة الكريمة ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[4] ومما جاء فيها:

[رمل]

وَلَـــهُ النَّجْـــمُ هَـــوَى حَتَّـــى بِـــهِ بيتُـــهُ دُونَ البُيُوتَـــاتِ زَهَـــرْ
وانْشِـــقَاقُ البَـــدْرِ منهـــا فَـــكَأَنْ دَنَـــتِ السَّـــاعَةُ وانشـــقَّ القَمَـــرْ[5]

---

(1) البـلادي، حسـين بـن علي، ريـاض المـدح والرثـاء، مصـدر سـابق، ص167. وتُراجع مرثيـة التهامـي، علي بن محمـد، ت416هـ، في ديوانه، تحقيق علي نجيب عطوي، دار ومكتبـة الهلال، بيروت 1986، ص461. تُراجع ترجمته في وفيات ابن خلكان، مصدر سابق، ج3 ص1378.

(2) تُراجـع المقطوعـة المأخـوذ منهـا البيتان السـابقان في شـرح ديـوان الحماسـة للمرزوقـي، ج1 ص22 وهي الحماسـة الأولـى. ووردت القصيـدة التـي ضمّنها علي بن حسـين البـلادي البيتين المذكورين في مسـودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(3) ضمّـن علي بـن إسـماعيل الغريفـي قصيدتـه أربعـة أبيـات لإبراهيم بـن عبد اللّـه، أحمـر العينيـن يُراجـع: الخاقانـي، علي، شـعراء الغـري، مصدر سـابق، ج6 ص250. والقصيـدة الأصلية أوردها الأصفهانـي في مقاتل الطالبيين، مصدر سابق، ص268.

(4) سورة القمر، الآية 1.

(5) ديوانه ص152، وفي ص151 قصيدة أخرى مقتبسـة من الآية نفسـها، وفي ص141 قصيدة مقتبسـة من الآية الكريمة ﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾.

ولـ «سلمان التاجر» مرثية حسينية استقى العديد من مقاطعها من فواصل آيات سورة الإنسان ومما وصف به أصحاب «الحسين»:

[خفيف]

فِتْيَةٌ شَارَكَتْ حسيناً على الكَرْ ... بِ وَعَافَتْ مَقَاصِراً وَقُصُورَا
كَتَبَتْ آيةُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ ... إنَّهُ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورَا[1]

فالشطر الأخير مقتبس من الآية ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[2].

مع جدّة هذا اللون حسبما يبدو، لم نجد فيه أية طرافة أدبية. ولعل الشعراء رموا به إلى استعراض درايتهم بآيات الكتاب والقدرة على استخدامها في النظم، وبدت بعضها أكثر قبولاً من بعض؛ فسلمان التاجر استطاع أن يوائم نسبياً بين معنى الآيات والسياق الذي أدرجها فيه.

واقتبس «حسن الدمستاني» بعض مضامين خطب نهج البلاغة فقال:

[بسيط]

أَلَا تَرَى أولياءَ اللَّهِ كَيْفَ قَلَتْ ... طِيْبَ الكَرَى في الدَّيَاجِي مِنْهُمُ المُقَلُ
يَدْعُونَ رَبَّهُمُ في فَكِّ عُنْقِهِمُ ... مِنْ رِقِّ ذَنْبِهِمُ والدمْعَ يَنْهَمِلُ
خُمْصُ البُطُونِ طَوَى ذُبْلُ الشِّفَاهِ ظَمَا ... عُمْشُ العُيُونِ بُكَا مَا عَبَّهَا الكُحُلُ[3]

غلبة المحافظة:

تجسّد المعارضات وما دار في فلكها من أنماط شعرية العلاقة التفاعلية القوية بالتراث. وقد انجرّ عن تمجيد الشعراء لبعض أسلافهم أن عمدوا إلى محاكاتهم وإشراك أنفسهم في نتاجهم. وكان التمجيد منصباً على مستوى شخصيات الشعراء حيناً، وعلى معانيهم وأساليبهم حيناً آخر، وعلى المستويين معاً في الكثير من الأحيان.

وفي العموم تشرّب البحرين، في أناة وحرص، كل السنن الأدبية الراسخة وتمسّكوا

(1) البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق،ص346.
(2) سورة الإنسان، الآية 22.
(3) ديوانه ص166 ويُراجع ابن أبي الحديد، شرح النهج، مصدر سابق، الخطبة 120 في ج7 ص291 وفيها يتحسّر الإمام عليّ على إخوته الذاهبين من المسلمين الأوائل ويصفهم فيقول: «مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون»، وتُراجع بقية أبيات القصيدة وفيها تأثّر بالخطبة 186 الواردة في شرح النهج، مصدر سابق، ج10 ص132.

بها. ويطول بنا المقام لو رحنا نتتبع كل جوانب التأثر. فوجدان الشعراء ما زال يخفق، بالعالم الشعري القديم وبكلّ أبعاده؛ يتمثلونه، ويهيمون به. وهم ما فتئوا يستفتحون أشعارهم بمقدمات وجدانية من غزل وغيره، وفي مختلف الأغراض، حتى قصائد الرثاء مع ما بين المضمونين من بون شاسع.

واتخذوا من العالم الشعري القديم منطلقاً لخيالهم يستمدون منه صورهم وتعابيرهم. وبكوا الرسوم والأطلال، وتغنوا بالرباب وزينب وميّة وليلى. وترنّموا بالأماكن التي اعتاد الأوائل ذكرها كنجد والعقيق ولعلع وسلع وما إليها. وهم ما فتئوا يدعون لربع الأحبّة بالسقيا والارتواء؛ فانشدادهم إلى التراث قويّ، والتصاقهم به يكاد يكون تاماً.

ولقد كانوا أحيائيين بالمعنى الكامل، فقد ترسّموا الشعر القديم قلباً وقالباً، وكانت الروابط الفنية بينهم وبينه متينة صلبة، وتجاوزت الإطار الخارجي بأوزانه وقوافيه وما إلى ذلك إلى صميم العملية الشعرية وما يتصل بها من صور ومسائل دقيقة.

وعلى صعيد آخر تجاوز بعض الشعراء تلك النظرة التقديسية المقيّدة، وتطلعوا ـ في إطار ضيّق ـ وانطلاقاً من رغبتهم في الإجادة أو التجديد، إلى انتزاع إعجاب الأقدمين بل ربما بذّهم والتفوّق عليهم. يقول «محمد بن أحمد العصفور» من مرثية حسينية:

[كامل]

سَمْعاً حسيناً في رِثَاكَ مَدِيحَةً يصغُو لَهَا الفَطِنُ الذَّكِيُّ «الأَصْمَعِي»[1]

ويقول «حسين بن علي الشاخوري»:

[كامل]

يا آلَ طَهَ دونَكُم مَنْظُومَةٌ يَعْنُو لها الفَطِنُ اللبِيبُ «الشَّنْفَرَى»[2]

ويخاطب «محمد بن أحمد العصفور» «الحسين» في ختام مرثية فيقول:

[طويل]

فَسَمْعاً إِمَامُ المُتَّقِينَ قصيدةً تُبَكِّمُ أَهْلَ الشِّعْرِ لاسيَّمَا «بِشْرُ»[3]

هكذا بدت أصداء الشعر القديم قوية وبارزة. فرموزه وقيمه وكل أبعاده حيّة ماثلة

---

(1) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 772. والأصمعي من علماء اللغة توفي في حدود 216هـ ترجمته عند الذهبي، أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج10 ص175.

(2) مجموعة (1) ص70 والشنفرى شاعر جاهلي، تُراجع أخباره عند الأصفهاني في الأغاني، مصدر سابق، ج21 ص20.

(3) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 772 وربما عنّى الشاعر بشر بن أبي خازم الأسدي وهو شاعر جاهلي فحل يُراجع ابن قتيبة، الشعر والشعراء، مصدر سابق، ج1 ص190.

فـي أذهـان الشـعراء. فلا غرابـة أن ملك عليهم ذلـك العالم بسـحره نفوسـهم وعقولهم فكان المعين الذي منه يمتحون في غالب الأحيان.

على أن النظرة المتأنية والشـمولية تظهر أن شـعراء «البحرين» وإن تأثروا بالأوائل في المقـام الأول فإنهـم لم يكونوا بمنأى عن تأثيرات الشـعراء المتأخرين فقـد ورثوا عنهم الميل لاسـتعمال الزخارف والأساليب التزيينية وما تبعها من تهميش وتسطيح وتكلّف شعري. وكانوا في بعض الأحيان صورة من الأقدمين على اختلاف عصورهم مكرّرة وممسوخة.

ملامح تجديدية:

ألمعنـا ـ منـذ قليل ـ إلـى تطّلع بعض الشـعراء إلى بـذّ الأقدمين. فمع تضخّم النــزعة التقليديـة المحافظـة لم تذب شـخصية الشـعراء ذوبانـاً كاملاً. فقـد أقدم بعضهـم ـ في إطار ضيّق ومحدود، وبحذرٍ واسـتحياء ـ على التصرّف غيـر المطلق وإيجاد منافذ يخرجون بها من أسـار الأقدمين، على صعيدي المعاني والصياغة. ولا غرابة فالتطوّر والتجدّد سُـنَّة الحياة، وإن كان في تسمية ما أبدعوه تطوراً أو تجديداً أو تضخيماً للأمور، وتجاوزاً لحدودها.

فعلـى مسـتوى المضمـون نجـد الرثـاء، وهـو غـرض قديـم، يسـتأثر بجانـب كبيـر من اهتمامهـم. ومع تقليدية تناولهم بدت على مراثيهم ومضـات لا نقول إنها جديدة، بل مميزة. فقـد غـدا الرثاء صدًى ورمزاً لواقعهم، وما اكتنف حياتهم من أزمات وسـلبيات. فهو تعبير عن معاناتهـم وآلامهـم، نتيجـة عوامـل عديـدة. وقـد عمـدوا إلـى إسـقاط محنهـم علـى فواجـع آل البيـت، راحوا يبكونهم وهم يتمثّلون محن حياتهم وقسـوة الحيـاة تجاههم. كما أن البكاء علـى أطـلال الحبيبة فـي واقعه تعبيـر عن فراق الأهـل والأحبّة بفعـل حركة النزوح الواسـعة التـي عاشـوها. ويتـراءى لنـا أن في ذكر سـلع والغضـا اسـتخداماً رمزياً دلّـوا به علـى الأماكن العزيزة على نفوسهم التي غادروها ونأوا عنها.

كمـا أنهـم طرحوا خـلال مراثيهـم مواضيع شـبه جديدة، وذلـك حين وسّـعوا ما طرحه الأقدمـون مـن أفـكار. فالقضايـا التاريخيـة، ومحن الهاشـميين طرحوها بأسـلوب يـكاد يكون مسـتحدثاً، فقـد ركزوا علـى جزئياتهـا، ونظروا فـي زواياهـا وأعماقها. ويـكاد موضوعـا المرأة والطفولـة يكونـان مـن المبتكـرات الطريفـة، التي طـرح الأقدمـون أصولها في حـدود ضيقة، وتناولوها هم بالتفصيل والتحليل[1]. فبدت ذات طابع مميّز، ومذاق خاص.

ولعـل أبـرز ما يعـدّ من الخيـال الدافـق المتسـم بالخصوبـة والغنى، الشـعر القصصي الـذي عجّـت بعض جوانبـه بالحياة مـن خلال الوصـف والتصويـر. ورغم ما يكتنـف قصصهم

(1) يُراجع فصل محنة المرأة والطفولة في شعر آل البيت 181 وما بعدها وص191 وما بعدها.

الشعرية من سلبيات على صعيد البناء الفنّي واللغوي خاصة فقد استطاعوا تطويع الشعر وهيّأوه لاستيعاب المضمون القصصي[1].

وعلى صعيد الشكل نلمح ومضات لها طابعها الخاص. من ذلك فنّ البند والذي يمكن عدّه محاولة لابتكار نظام إيقاعي يثري موسيقى الشعر العربي ويحافظ على أهم كياناته، ويخفف في ذات الوقت من قيود الأوزان والقوافي دون تمرّد أو خروج عليها. وإن كانوا شركاء مع شعراء «العراق» في هذا الفن[2].

ومن منطلق الرغبة في إخصاب شعرهم وبثّ روح من الحيوية في ثناياه عقدوا مشاهد مبنية على الحوار، وأنطقوا الشخصيات مما زاد من غنى نصوصهم، وبثّ فيها حياة وتدفقاً. وقد غذّت تلك الروح شبه الجديدة النزعة القصصية التي تولّدت بفعل تعاملهم الواسع مع المادة التاريخية. وساعدت على إيجاد الأرضية الصالحة لنشأة الفن الشعري القصصي.

وفي العموم تمكّن شعراء البحرين من تلوين الأفكار المعروفة وإخراجها في صورة تكاد تكون جديدة، مما جعل الكثير منها يبدو مبتكراً أو طريفاً.

هذا على صعيد مقارنتهم بالأقدمين. ويبدو من مقارنتهم ببعضهم كشعراء عاشوا في فترة معينة ـ بدت طويلة نسبياً حوالي ثلاثمئة عام ـ أن ظاهرة التمايز بينهم تكاد تكون معدومة، فشخصياتهم غائبة ورؤيتهم الخاصة مضبّبة، فكلهم تقريباً يلوكون الأفكار نفسها ويرسمون الصور نفسها، ويوشكون أن يحسّوا الأحاسيس نفسها. ويبدو أن هذه الظاهرة السلبية كانت شائعة في مرحلة النهضة وعلى مستوى شعراء العربية[3].

ولا يعني تركيزنا على إبراز النواحي المشرقة والإيجابية خلوّ شعر البحرين من السلبيات والنواقص. ومن الطبيعي أن يكون لها وجود وهي ربّما كثيرة، فقد كان في بعضه شيء غير قليل من التكلّف والقصور، وبدت بعض جوانبه صورة مكرّرة وممجوجة من القديم. ومن ثم جاء وسطاً متفاوتاً بين الجودة والإسفاف. وعرضنا للكثير من الجوانب السلبية في العديد من المواضع.

أسبقية شعراء البحرين في إحياء التراث الشعري:

ولعلّ ما يستحق التسجيل في اعتقادنا أسبقية شعراء «البحرين» في إحياء التراث

---

(1) يُراجع فصل الشعر القصصي ص333 وما بعدها.

(2) يُراجع فن البند ص412 وما بعدها.

(3) يُراجع هيكل، أحمد، تطوّر الأدب الحديث في مصر، ط5، دار المعارف، القاهرة 1987، ص145.

الشعري، ففي الوقت الذي كان فيه الشعر العربي في مصر، على سبيل المثال، متخلفاً يستر هزاله وتهافته بألوان من المهارة اللفظية والحيل اللغوية والمحسنات البديعية المفتعلة[1] كان شعر «البحرين» يبدو أكثر حيوية بما يتضمنه من معانٍ جادة وعواطف ساخنة.

وقد تنبّه الشعراء أنفسهم إلى وجوب التجديد والانطلاق من قيد التقليد. فها هو الخطّي يشير إلى ما اصطدم به من صعوبات وما تبع ذلك من اعتراف بتقليدية شعره والإقرار بأن كل ما يقوله معاداً ومكروراً. يقول [2]:

[خفيف]

لَسْتُ أدرِي مَاذَا أقولُ وإن كنـ ... ـتُ أُعَدُّ المُفَوَّهَ المِنْطِيقَا
وَرَدَ النَّاسُ قَبْلَنَا مَوْرِدَ النظـ ... ـمِ فَأَضْحَى مُكَدَّراً مَطْرُوقَا
إنْ نَظَمْنَا بيتاً غَريباً وَخِلْنَاهُ ... جَدِيداً كَانَ الجَدِيدُ عَتِيقَا
أو سَبَقْنَا فِيمَا نَظِنُّ لِمَعْنَى ... مُعْجِبٍ كَانَ سَبْقُنَا مَسْبُوقَا
سَبَقُونَا والمرءُ يَأْنَفُ أنْ يُسْـ ... ـبَقَ يوماً وإنْ أَطَاقَ لُحُوقَا
أَيُّ مَعْنَى أَبْقُوْهُ لم يُسْمِعُوهُ ... سمعةً تَتْرُكُ الصَّرِيحَ لَصِيقَا

هكذا بدأت مرحلة الإحياء، وانبعثت محاولات التجديد على يد «الخطّي» (ت في حدود 1028هـ/1618م) وأضرابه. ومن ثم يغدو لا معنى للقول بأن «البارودي» (الشاعر المصري المتوفى في 1904م) رائد حركة التجديد في الشعر العربي الحديث[3]. كما أنه ليس من الدِّقَّة اعتبار شعراء «البحرين» الذين امتدّ بهم العمر إلى الثلث الأول من القرن العشرين قد أدوا الدور الذي أداه «البارودي» في «مصر»، وتخلّصوا من ركاكة الأساليب المستعجمة، وعادوا إلى أصالة الأسلوب العربي القديم[4]. ولعلّ غياب أكثر النتاج الشعري والجهل به هو السبب في إطلاق تلك المقولات. فمرحلة الإحياء قد سبقت شعراء الثلث الأول من القرن العشرين. وربما الأنسب اعتبارهم نهايتها لا بدايتها.

والخلاصة: إن عصر الإحياء بدأ مبكراً في شعر «البحرين»، وإن النزعة التقليدية

(1) هيكل، أحمد، تطوّر الأدب الحديث في مصر، مصدر سابق، ص31.

(2) ديوانه ص83.

(3) هيكل، أحمد، تطور الأدب الحديث في مصر، مصدر سابق، ص58 و60 و108 وغيرها، الركابي، جودت، الأدب العربي من الانحدار إلى الازدهار، مصدر سابق، ص323، والسعافين، إبراهيم، مدرسة الإحياء والتراث، مصدر سابق، ص64 وغيرها وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج7 ص171.

(4) تُراجع مقولة محمد جابر الأنصاري عن الشيخ إبراهيم الخليفة في المجموعة الكاملة لآثاره ص24. ومقولة علوي الهاشمي في كتابه «شعراء البحرين المعاصرون»، مصدر سابق، ص17 وأيضاً ما قاله عن سلمان التاجر في ص24.

المحافظـة هـي الغالبة على شـعر شـعرائها. وقد انسـابت خلالها بعض الأشـعة التي أومضت ببعـض الومضـات الخفيفـة، الطريفـة المتميـزة، التـي ربما جـاز لنـا اعتبارها خيوطـاً جديدة تضـاف إلى نسـيج الشـعر العربي. وهي حسـب تقديرنا لا تتجـاوز إطار التحويـرات الجديدة والخارجيـة التي تمسّ السـطح ولا تغيّـر الكيان أو تهز الصميـم. وكما بدا لنا فإن الشـعراء لم يرموا بها إلى التمرّد أو الخروج على ما رسـخ من سـنن أدبية، وتجذّر من قيم فنية. وإنما هي تحويرات في إطار المعطيات الأساسية. كما أنها ضئيلة الحجم بالقياس إلى النـزعة المحافظة الراجحة الكفّ، وعلى أية حال فشـعر «البحرين» امتداد واضح المعالم للفن الشعري العربي فـي مختلف اتجاهاته وحدوده وعصوره. وقد التزم مسـالكه في أغلب الأحوال. كما جنح إلى توسيع بعضها حيناً وشقّ مسالك جديدة حيناً آخر.

الخاتمة

لقـد كان شـعر «البحريـن» صـورة صافيـة عكسـت بصـدق وجـدان أهلهـا، ورسـمت شـخصياتهم، وصـوّرت نشـاطهم الذهنـي والعاطفـي في معتـرك الحيـاة. وكان صـدى حقيقياً لاتجاهاتهم وأساليب تفكيرهم.

وقـد سـاعد تفاقـم المعانـاة بسـبب اضطـراب الأوضـاع علـى انطلاق ألسـنة الشـعراء للتعبيـر عـن آلامهـم. وكان للازدهـار الثقافي أثـره في بعث جذوة الشـعر وتنشـيطه، فاندفع الشـعراء ينظمـون. كمـا أن العقيدة الصادقـة والاتصال القـويّ بالتراث خاصـة التاريخ والأدب أدّيا دوراً هاماً في بعث الشـعر، ودفع الشـعراء إلى خوض تجارب فنية متفردة. وكان من أثر ذلـك أن امتـزج فـي ضمائرهم عنصـر الواقـع والتاريخ فتحـاورا وتجاوبـا. فقـد دفعتهم محن الحيـاة وعسـفها إلـى اللجـوء إلـى التاريـخ يتمثلـون فواجعـه ويصـورون أحداثـه المأسـاوية ويتتبعـون جزئيـات أخبـاره يصوغونها فـي أشـعارهم مغيبين فيهـا واقعهم، مسـقطين عليهم أساهم ومحنهم فتآلف الماضي والحاضر وتداخلا وامتزجا.

وقـد أدّى التصاقهـم بمشـاعر الحـزن والنظر الدقيـق في تاريـخ محن الهاشـميين إلى الالتفـات إلى جوانب حسّاسـة في فاجعـة الطف غفل عنهـا الأقدمون، أو كانـوا يعرضون لها لماماً. فأبرزوا محنة المرأة الهاشمية وما تعرّضت له من قهر وقسوة. وقد جرّتهم تلك القضية إلى التفطّن إلى معاناة الطفولة في تلك المحنة، وما عوملت به من وحشية وعنف.

ونظراً لانصهار نفوسـهم بالألم غـدا البكاء والتفجّع عنصراً أصيلاً في حياتهم، وهاجسـاً قوياً ينبض به شـعرهم. فكانوا يشـيرون أحياناً إلى أسـبابه ودوافعه. وقد يبيّنون قيمة المحن ومزاياها.

ونتيجـة لتغلغل الأسـى ونفـاذه إلـى أعماقهم نظـروا في كل زوايا المآسـي الهاشـمية. فآلمهم قتل الحسـين عطشـاناً، ومن ثم برز الماء عنصراً تفجّعياً أثار شـجعهم فتناولوه بكثرة كما فعل الشـعراء الشـيعة الأقدمون، وأضافوا إليه تلوينات جديدة ولمسات متميزة استقوها من أخبار فاجعة «كربلاء» بسبب كثرة معايشتهم لرواياتها.

وسـعياً للتخفيـف مـن طاقـات الأسـى أسـبغوا عواطفهم علـى الكـون شـأن الأقدمين، وتصـوّروا تجـاوب عناصـره مـع محـن الهاشـميين التي أسـقطوا عليهـا محنهـم. فتخيلـوا تأثّر الملائكة والرسل ومكونات الكون من طبيعة حية وجامدة.

ونتـج عن تدهور القيـم الخلقية في حياتهم أن تاقوا إلى بعثها مـن جديد، فتغنوا بها، وراحوا يسبغونها على الهاشميين. فمجّدوا لونين من القيم: القيم الروحية الخاصة بالعلويين. فنوّهـوا بكونهـم سـلالة الرسـول ﷺ، وأكبـروا عراقـة أصلهـم ونقاوتـه، وأشـادوا بترويضهـم نفوسـهم وإلزامها بالفضائل، ونوّهوا بإشـادة القرآن بهم، كما تغنّـوا بتعبّدهم وإقامتهم الدين وجهودهم في تعبير طرقه وتوضيح تعاليمه.

وتمثّـل اللـون الثانـي فـي اتصافهـم بالفضائـل الأخلاقيـة العامـة. فمدحـوا شـجاعتهم وجعلوهـا خلقـاً متوارثاً يرضعونه منـذ طفولتهم المبكرة. وصوّروا بسـالتهم في ميادين القتال وسـاحات الوغى. فرسموا مشـاهد تنطق بالبطولة. كما أكبروا فيهم خلق الجود، وأطروه حين يرتبـط بالمواضع التـي يتطلبها وحين يكون منــزهاً عن الأغراض. كما عرضـوا لصفات التقوى والصبر والعزيمة الصادقة وما إليها.

وإذا كانت أشـعارهم في آل البيت تتّسم بالحيوية والطرافة في الغالب بسبب ما فيها من نبـض عاطفي وتلوينات فكرية، فإن شـعرهم في الأغراض الأخرى أتـى تقليدياً، فمعانيهم مألوفـة وأفكارهـم تكـرار لما قالـه الأقدمون. فطرقوا شـعر التأمـل والحكمـة ودارت معانيهم حول الحياة وصروفها، وحول السلوك الإنساني.

وفي سـياق الغزل نظموا في لونيه العذري والحسّي مع اقتراب الأخير كثيراً من الأول، ولم نجد لهم أيّ شعر ماجن.

وبرز مفهوم الوطن في شـعرهم فمجّدوا بلادهم وتغنّوا بهـا. وعبّروا عن ارتباطهم بها، وتفضيلهم إياها. ونتيجة لظروف الهجرة التي اضطروا إليها كثُر عندهم وصف مشـاعر الغربة وتصويـر لوعتهـا. كما اعتنوا بتصوير حنينهم إلى بلادهم، وجسّـدوا مـرارة الذكرى وألمها. كما أعربوا عن آمالهم في العودة إلى أحضان الوطن. وبسـبب ما عانوه من ظلم وقهر برزت عند بعضهـم دعـوة لمغـادرة مواطـن الجـور، واعتبرنا ذلك وطنية سـلبية. وعـادة ما كان الشـعراء يبـررون ذلك ويتبعونه بما يشـبه الاعتذار للوطن. وفـي الفترة الأخيرة تنامـت الروح الوطنية وتبلورت في الرغبة من التخلصّ من الاستعمار. كما برزت ميول إصلاحية وتمجيد للمصلحين. ورافق ذلك تطلّعات إلى وحدة عربية وإسلامية.

وطرقوا شـعر المديح. ومع عزوف بعضهم عنه أقبل عليه آخرون. وتمثلت أسـبابه في دوافع الحاجة، والاعتراف بالجميل أو لنيل الأرفاد والعطايا.

وتبيّـن لنـا أن شـعراء «البحريـن» مدحـوا فئتيـن: رجـال الدولـة والوجهـاء، وكذلـك الشخصيات العلمية الدينية.

ورثـى الشـعراء من عـزّ عليهم تقديراً ووفـاء. ويأتي الفقهـاء وعلماء الديـن في طليعة المرثيين. فأشادوا بغزارة علومهم ونوّهوا بدورهم في خدمة الدين والمجتمع.

كمـا رثوا من قضى نحبه من الأهل والأقارب، وكان الأب أبرز شـخصية في هذا الصدد. ورثـوا أصدقاءهـم أيضـاً وبكـوا فراقهم. وبـرز عند «جعفـر الخطّي» توجّـه لرثاء المـرأة، وهو موضوع نادر في شعر «البحرين». وفي الأدب العربي القديم.

وفـي ثنايا مراثيهـم تناولوا قضية الموت وعبّـروا خواطرهم إزاءه، بَيْـدَ أنهم لم يبتكروا جديداً.

وطرقوا باباً طريفاً وهو الشعر القصصي. ووجدنا أن هذا الفن نشأ في ظلال المضمون التاريخـي الذي اعتنوا به كثيراً. ورجّحنا أن يكون القرن الثامن عشـر هـو فترة ازدهاره. وتبيّن لنا وجود نوعين من الشـعر القصصي: الأول تاريخي ورأيناه صنفين: قصص يبنى على التاريخ الحقيقي، وقصص يقوم على التاريخ الممزوج بالأساطير.

وتمثّل النوع الثاني في القصص الخيالي الرمزي. ورجّحنا نشـأته بسـبب ميل الشـعراء إلى تغييب صورة الواقع ضمن إطار عناصر يستمدونها من الطبيعة أو المجتمع.

ومـع طرافـة هـذا اللـون تظهـر فيـه الكثيـر مـن النقائـص والقصـور، بعضهـا يتعلّـق بالمضمون وبعضها يتصل بالشـكل من ناحية اللغة والموسـيقى وما إليها. واعتبرنا أن ما عثرنا عليه من قصص إنما يمثّل طفولة هذا الفن وسذاجته.

وفـي الدراسـة الفنية. وعلى صعيـد الصورة الشـعرية وجدناهم يميلون إلى اسـتخدام التشـبيه علـى وجـه الخصـوص وسـيلة للتوصيـل وتجسـيد المعاني. وغلـب على تشـبيهاتهم المادية، واستعملوا الاستعارة بصنوفها وكذلك الكناية.

وشـكلت الطبيعـة بظواهرها وعناصرهم المختلفة المعين الأساسـي الذي اسـتقى منه الشـعراء صورهـم. كمـا عوّلـوا – وبدرجـة أقـل – علـى التـراث الثقافي يسـتمدّون منـه صوراً واصفة. وأتت الثقافة الدينية في المقدمة، تلتها الثقافة التاريخية والأدبية.

واتخـذت بيئـة «البحريـن» الطبيعيـة مكانها فـي خيالهم كالبحـر ومتعلقاتـه من لؤلؤ وغيره. كما شـكّلت النخلـة بأجزائها المختلفة مثالاً أمدّ الشـعراء بالعديد مـن الصور الواصفة لكنهم لم يأتوا بأية لمسات متميزة، واتسم خيالهم بالتقليدية في الغالب.

في مجال موسيقى الأوزان والقوافي تكاد استعمالاتهم لها تتوافق وتوجهات الأقدمين، فأتـى الطويـل في مقدمة البحـور التي نظموا عليها، تـلاه الكامل فالبسـيط. كما ظهر عندهم التفات واضح لاستعمال مجزوءات البحور.

وبرزت عندهم ظاهرة موسيقية طريفة وهي التنويع في البحور ضمن إطار المطولات

خاصة في الشـعر القصصي. ورجّحنا أنه أثرٌ من آثار نشـأة فن جديـد هو فن البند، والذي لم تتعد موضوعاته المدائح النبوية.

وفي موسـيقى القوافي وجدنا ميلاً لاستخدام الحروف ذات الإيقاع العذب والوفرة في اللغة التي تهيئ القافية المناسـبة للشـاعر. وعزفوا عن اسـتعمال الحروف القليلة الدوران في ألفـاظ اللغـة، خاصة فـي الروي، وكذلـك الحروف النافـرة. ومالوا إلـى القوافـي المطلقة أكثر منهـم إلـى المقيّدة. كما هو الشـأن عنـد الأقدمين وبـدت ظاهـرة التنويع في القوافي سـمة بارزة في فنّهم. فنظموا الشعر المزدوج، وكذلك المسمّطات والمخمّسات.

ونجـم عـن شـيوع مذهب البديـع في الشـعر العربـي عامة فـي الفترة المدروسـة أن اعتنى به شـعراء «البحرين» وأولوه اهتماماً واضحاً، بَيْدَ أنه استعمل باعتدال في أكثر الأحيان عدا حالات قليلة.

وحرصوا على اسـتخدام الأسـاليب الإنشـائية المختلفة وأكثروا من اسـتعمال الاستفهام والأمـر علـى وجـه الخصـوص. وانجـرّ عن كثـرة اسـتخدامها بـروز ظاهـرة الحـوار بأنواعه في أشعارهم.

ولا ترانـا نغالي حين نقول: إن شـعر «البحرين» وهو جزء مـن الأدب العربي في عصر انحطاطه ومرحلة إحيائه أدّى دوره كاملاً أو شـبه كامل بفضل أسـبقيته في بعث الأدب. وقد أدّى اتصالـه القـوي بالثقافـة العربية القديمـة، والأدب في عصـوره المختلفـة – وخاصة فترة ازدهاره – إلى بث النبض والحيوية. فاسـتيقظ الشعراء ووعوا جوانب الضعف والقوة. فتراوح موقفهـم بيـن المحافظـة والتجديـد. فهـم بين التـزام بالسـنن وبين تطلـع إلى الابتـكار. ومع وجـود النــزعتين كانـت الغلبة للمحافظـة. وقد تجلّـت في جميـع المجالات. كمـا برزت في فنون بعينها كالمعارضة والتخميس والتشطير والتضمين وما إليها.

وتطلّـع الشـعراء فـي هذه الألـوان الشـعرية إلـى الوقـوف مـع الأقدمين علـى أرضية واحدة وإشراك أنفسهم معهم في نتاجهم. وذلك بسبب تعظيمهم وشدّة تعلّقهم بتراثهم.

ومـع غلبـة التقليدية لم يخل شـعرهم من جوانب مشـرقة، فكان متفاوتاً في مسـتواه الفكري والتعبيري، متراوحاً بين الجودة والضعف، ولكنه خالٍ من الإسفاف.

ملاحق

ملحق يحتوي على تراجم شعراء الفترة المدروسة[1]

(1) (جمال الدين) أحمد بن عبد اللَّه بن سعيد الـمُتوَّج[2] (ت850هـ/1417م):

يعرف بـ «ابن المتوّج»، وهو من مشاهير فقهاء «البحرين». يوصف بأنه عالم مفسّر شاعر عابد. أخذ العلم عن كبار علماء «العراق»، وتتلمذ عليه ثلّة من فقهاء البحرين وغيرهم.

له العديد من المصنّفات، منها: الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، تفسير القرآن المجيد، كفاية الطالبين في أصول الدين. توفي في «البحرين»، ودفن في جزيرة «النبيه صالح».

يبدو أنه شاعر غزير الإنتاج. ويقال إن له أشعاراً كثيرة ومراثٍ في آل البيت، وإن عددها يقارب العشرين ألف بيت.

يعدّ شعره الركيزة المتينة التي نهضت على أساسها الحركة الشعرية في «البحرين». فعلى غرارها صاغ الشعراء. وفي قصائده يبرز الالتفات لنظم أحداث التاريخ، خاصة واقعة «كربلاء». كما يظهر لديه ميل إلى استخدام أسلوب الحوار ربما للتخفيف من جفاف الأسلوب السردي التقريري.

ويظهر مما وصلنا من شعره ميله للنظم على بحر الطويل في المقام الأول ويليه في المرتبة استخدام الوافر.

---

(1) رتّبنا الشعراء ترتيباً زمانياً. وأدرجنا في الملحق شعراء أسبق من فترتنا المدروسة لاعتقادنا بأهمية دورهم في إرساء دعائم المضامين الفكرية البارزة.

(2) يُراجع عنه الحرّ العاملي، أمل الآمل، مصدر سابق، ج2 ص16. والبحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج1 ص299. والخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات، مصدر سابق، ج1 ص68. والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج3 ص13. وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج1 ص159. وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج1 ص300. وأورد له الطريحي شعراً في منتخبه، مصدر سابق، ص153.

(2) «مفلح بن الحسن بن راشد الصيمري»[1] (ت في حدود 900هـ/1494م)

هـو فقيـه محـدّث. ويذكـر أن لـه عـدة تصانيـف منهـا: شـرح شـرائع الإسـلام، وجواهـر الكلمات في صيغ العقود والإيقاعات.

ويعـزى السـبب فـي اسـتقراره فـي «البحريـن» إلـى الأوضـاع العلميـة المزدهـرة فيهـا. فقـد كانـت آنـذاك هي والديار الـهَجَرية[2] محط رحـال الإمامية. وتوفـي بها ودفن في إحدى قراها.

يـدور أغلـب شـعره حول موضـوع مديح الهاشـميين ورثائهم. ولـه أبيات تنضـح بتعلّقه بالبحرين، وأشار خلالها إلى أسباب ذلك التعلّق[3].

واعتنـى فـي مراثيـه بصياغـة المـادة التاريخية. مـع ميل إلـى تفصيل جزئيـات الأحداث وظهرت في شعره – وبجلاء – ظاهرة إدخال العنصر الحواري بشكليه التام والجزئي.

يتجـاوز الشـاعر مذهـب الصنعـة فيسـاير أفـكاره ومعانيـه. وهـو يميل إلـى النظم على بحر الطويل ميلاً واضحاً.

(3) «سـعيد بـن يوسـف بـن الحسـن بـن الحسـين الجزيـري»[4] (من رجـال القرن العاشـر الهجري/الخامس عشر الميلادي)

لـم نعثـر لهـذا الشـاعر علـى ترجمـة وافيـة. ولعل السـبب في عـزوف أصحـاب التراجم عـن تقديمـه، أنـه كان شـاعراً فقـط ولـم يكـن من العلمـاء. ويظهـر مما عثرنـا عليه من معلومات أنه من رجال القرن العاشر الهجري/الخامس عشر الميلادي.

---

(1) تُراجـع ترجمتـه فـي الحـر العاملـي، أمـل الآمـل، مصـدر سـابق، ج2 ص324. والخوانسـاري، محمـد باقـر، روضـات الجنـات، ج7 ص168. والأميـن، محسـن، أعيان الشـيعة، مصـدر سـابق، ج10 ص133. وشـبّر، جواد أدب الطـف، مصـدر سـابق، ج5 ص13. وأعـلام الزركلـي، مصـدر سـابق، ج7 ص281. وكحالـة، عمـر، معجم المؤلفين، مصدر سـابق، ج12 ص316. وصيمرة التي ينتسـب إليها هذا الشـاعر اسم لموضعين أحدهما في البصرة، والثاني بلد بين ديار الجبل وخوزستان.

(2) يقصد هَجَر وهي منطقة الأحساء في شرق الجزيرة العربية.

(3) وردت أبياته في أنوار البدرين للبلادي، مصدر سابق، ص76. ومما قاله: [وافر]

ألا مَـــنْ مُبْلِـــغُ الإخـــوانَ إنّـــي ... رَضِيـــتُ بســـنّة الفُجَّـــارِ فينـــا

ومـــا أســـفي علـــى البحريـــن لكـــن ... لاخـــونِ بهـــا لـــي مؤمنينـــا

دخلنـــا كارهيـــن لهـــا فلمـــا ... أَلِفْنَاهَـــا خرجنـــا كارهينـــا

(4) الجزيـري نسـبة إلـى جزيرة النبيـه صالح المسـماة قديماً بجزيـرة «أُكُل» وهـي الوحيدة بين جـزر البحرين التي يطلق عليها مصطلح «جزيرة». وما زالت تعرف به حتى الآن. راجع خريطة (2) ص559.

والنتاج الوحيد الذي وصلنا عنه مطوّلة شعرية عدّتها 392 بيتاً صيغت على الطويل وهي في رثاء الإمام «عليّ». وتناول فيها بشكل تفصيلي كل الأحداث في حياة المرثي. ومع ما فيها من عاطفة يغلب عليها النظم، وركاكة الأسلوب[1].

(4) «راشد بن سليمان الجزيري»

لم نجد ترجمة لهذا الشاعر. ولعله من أبناء القرن العاشر أو الحادي عشر الهجريين. وذكر له «الطريحي» (ت1085هـ/1674م) في منتخبه قصيدة، ولعله من المعاصرين له أو السابقين عليه[2]. والقصيدة في رثاء «الحسين» عدّتها 97 بيتاً، ومنظومة على بحر الطويل، صاغ فيها حادثة الطف، وعمد إلى التنويع بين الخبر والإنشاء. كما برزت فيها ظاهرة الحوار، وبدا فيها منساقاً للتعبير عن المعاني دون التفات إلى الزينة اللفظية، فأتت الأفكار متتابعة مسترسلة.

(5) «داود بن محمد بن عبد اللّه بن أبي شافيز»[3] (ت في حدود 1020هـ/1611م)

برز كفقيه ومتكلّم، ويقال إنه ملمّ بفنون عصره، ماهر في الجدل والمناظرة. من آثاره العلمية رسالة في المنطق، وشرح على الفصول النصيرية في علم الكلام.

وصلنا جزء من شعره وخصّص أكثره لرثاء الهاشميين ومدحهم مع عناية بالغزل. واعتنى في مراثيه بوصف المرأة الهاشمية واتكأ على أسلوب الحوار من جانب واحد لنقل خطابها قصد تجسيد مأساتها.

على صعيد الشكل التزم عمود الشعر مضموناً وصياغة. وهو ينزع بشكل بارز إلى إظهار مقدرته على استخدام فنون البديع. فيزيّن شعره. ويصل إلى الإسراف في الصنعة في بعض الأحيان.

ويظهر مما وصل من شعره ميله إلى النظم على البحور الأساسية خاصة الطويل والكامل والوافر.

---

(1) أشار إلى مطوّلته المذكورة كل من الطهراني، آقا بزرك، في الذريعة، مصدر سابق، ج20 ص103، والتاجر، محمد علي، في مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 346، وشبّر، جواد في أدب الطف، مصدر سابق، ج5 ص50 و51. وورد جزء منها في المجموعة (1) ص200 وما بعدها.

(2) تُراجع في ص95. وترجم له التاجر في المنتظم تحت رقم 318، دون أن يشير إلى زمنه حتى ولا ترجيحاً.

(3) وقع تحريف في لفظ «شافيز» أو «شافين» بَيْدَ أن أغلب المصادر تسميه شافيز وهو الأصوب في اعتقادنا. وأورد ترجمته علي خان المدني في سلافة العصر، ص522، والمحبّي في نفحة الريحانة، ج3 ص197، وسليمان الماحوزي في فهرست علماء البحرين، ص71، والبلادي في أنوار البدرين، ص80؛ والأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج6 ص384؛ والأميني، الغدير، ج11 ص232، وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، ج4 ص142.

(6) «ماجد بن هاشم بن علي بن مرتضى الحسيني الجدحفصي»[1] (ت 1028هـ /1618م)

ينتمي إلى البيت الهاشمي، ومن أسرة عُرفت بالعلم والأدب. وصفه مترجموه بالذكاء والفطنة والتبحّر في العلم، وقيل إنه سمّي بالعلاّمة. تخرج عليه جمع من علماء «البحرين» و«إيران». ومن مصنّفاته: رسالة في مقدمة الواجب، والرسالة اليوسفية في الفقه. وشغل منصب القضاء في «شيراز»، وتوفي بها.

يقال إن له ديوان شعر[2]. وأكثر موضوعاته تدور حول التأمل والرثاء، خاصة رثاء أفراد أسرته وأصدقائه من العلماء ورثاء الهاشميين.

تسري في أعطاف ما عثرنا عليه من شعره نزعة حزن دفين، لعلها تأتت له بسبب الاغتراب عن الوطن جرّاء اضطراب الحياة فيه، أو من كثرة مرافقته لأقطاب الحزن في الأدب العربي كالشريف الرضي والمعرّي، واللذين يبدو تأثّره بهما واضحاً من خلال معارضاته لهما.

وانطلاقاً من مقولته النقدية «الحمد للّه على تجديد معالم الأدب بعد اندراسها وتقويم راية البلاغة بعد انتكاسها...»[3] والتي قالها إثر سماعه قصيدة «جعفر الخطّي» في وصف حادث السمكة التي هاجمته، يمكن عدّ هذين الشاعرين الدعامة التي قامت عليها حركة الإحياء في شعر «البحرين». فقد احتفلا بجزالة الأسلوب، ومتانة التراكيب، علاوة على محاولات لإدخال مضامين جديدة، كما في موضوع السمكة[4]. وقد عبّد لهما ذلك الطريق الشعراء السابقون لهما.

مال في موسيقاه الشعرية إلى الصياغة على البحور ذات المقاطع الطويلة، فنظم بالخصوص على بحور الكامل والبسيط والطويل[5].

---

(1) جدّحفص كانت عاصمة البحرين ومن مراكزها العلمية. وردت ترجمة الشاعر في السلافة، مصدر سابق، ص492. والمحبي، نفحة الريحانة، مصدر سابق، ج3 ص186. والحر العاملي، أمل الآمل، مصدر سابق، ج2 ص226. والخوانساري، روضات الجنّات، مصدر سابق، ج6 ص72. والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص85. وشبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج5 ص64. وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج8 ص163.

(2) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، 9 – 3 ص951.

(3) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص531،. والبحراني، يوسف، الكشكول، ج2 ص181.

(4) سنشير إليها في ترجمة جعفر بن محمد الخطّي.

(5) نقصد بالبحور ذات المقاطع الطويلة مجموعة الكامل والوافر وهي ذات الثلاثين مقطعاً. ومجموعة الطويل والبسيط والمديد ذات الثمانية والعشرين مقطعاً.

(7) «عبد الرؤوف بن ماجد بن هاشم الحسيني»[1]

لا يورد له المترجمون ترجمة دقيقة. ويرجّح صاحب أنوار البدرين أنه كان طفلاً عند وفاة والده السالف الذكر، فيكون من أهل النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، كما يرجّح أنه نشأ في «شيراز». ذكر المترجمون له قصيدة في مناجاة الخالق، يغلب عليها مسايرة السجية الشعرية والابتعاد عن التكلّف. ويشير المصنّفون إلى وجود ديوان له[2].

(8) «جعفر بن محمد بن الحسن العبدي الخطّي»[3] (ت 1028هـ/1618م)

ينتسب أبو البحر إلى قبيلة عبد القيس. ولد في «الخطّ» (القطيف) واستقرّ في جزيرة «البحرين» في حدود عام 1000هـ/1591م[4].

لا نعرف على وجه الدقة أسباب نزوحه، ولعل ذلك يعود إلى خلاف بينه وبين بعض أهل بلدته[5]. أو بسبب ما أبداه العثمانيون من نزعة طائفية واضطهاد للشيعة عند استيلائهم على القطيف وما ترتّب على ذلك من هجرة الكثير من رؤسائها وأشرافها إلى جزر «البحرين»[6].

بعد استقراره بـ«البحرين» عمد إلى مدح أمرائها وساداتها، وظلّ يتردد على «القطيف» بين الفينة والفينة. وتدلنا أشعاره أنه سافر إلى «إيران» في حدود عام 1016هـ/1607م وأقام بها مدة، التقى أثناءها بالشيخ «البهائي». وعارض قصيدته المسماة «روح الجنان في مدح صاحب الزمان»[7].

اختلفت مصادر ترجمته في سنة وفاته. والمرجّح أنه توفي في حدود 1028هـ /1618م[8]،

---

(1) ابن معصوم، المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص524 والمحبّي، نفحة الريحانة، مصدر سابق، ج3 ص204، والخوانساري، محمد باقر، روضات الجنات، مصدر سابق، ج6 ص77، والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص92، والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج7 ص459.

(2) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، 9 ـ 2 ص686.

(3) يُراجع عنه البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج2 ص179 و269 و275 وج3 ص131 و182، والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج4 ص157، والمسلم، محمد سعيد، ساحل الذهب الأسود، مصدر سابق، ص235. وشبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج5 ص72، وأعلام الزركلي، مصدر سابق، ج2 ص129.

(4) تُراجع قصيدته العينية في ديوانه ص74.

(5) المصدر نفسه ص44. يُراجع البيتان 11 و12.

(6) المسلم، محمد سعيد، ساحل الذهب الأسود، مصدر سابق، ص148.

(7) يُراجع تقديم القصيدة الرائية في ديوانه ص63.

(8) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، 9 ـ 1 ـ 36.

لـه ديـوان مطبـوع[1]، تنـاول فيـه جـلّ أغـراض الشـعر العربـي المعروفـة. واحتـل فيـه المـدح والرثـاء مكانـة بـارزة. ويعدّ ما قاله فـي الحنين إلى «البحرين» من أرقّ أشـعاره؛ وعمد فيها إلى وصف خواطر الغربة والتوق للأهل والأصحاب.

ومـن الموضوعـات الطريفـة فـي ديوانـه قصيـدة وصـف فيهـا مهاجمة سـمكة من نوع السبيطي له. وفيها انتحى منحًى قصصياً[2].

مـال إلـى الانفـلات مـن ظاهـرة تنميق الشـعر والإفراط فـي اسـتخدام البديـع. واحتفى بجوانـب الأصالـة والجزالـة، فاهتـم بالصياغـة كعنصـر مسـاوٍ فـي الأهميـة للمضمـون. واحتـذى الأقدمـون في موسـيقاه الشـعرية. فورد الطويـل عنده في المرتبـة الأولى تلاه الكامل فالخفيف. يُراجع جدول أوزانه في جدول رقم 1 ص402.

(9) «محمد بن عبد الحسين بن إبراهيم آل شبانة الحسيني»[3] (كان حياً في 1070هـ /1659م)

عالـم أديـب. ينتمـي إلـى البيـت الهاشـمي. رحـل إلـى «الهنـد» ومـدح الأميـر «نظـام الديـن أحمـد بـن معصـوم»[4]. فأكرمـه وقدّمـه لسـلطانه الذي أغـدق عليه. سـافر بعد ذلك إلى «إيران». وتنقّل في المراتب وولي مشيخة الإسلام.

لـم يصلنـا مـن شـعره إلا مدائحـه فـي الأميـر المذكـور. وفيهـا تنويـه بنسـب الممـدوح العلـوي، وإشـادة بخصالـه وخصـال أجـداده. وعمـد خلالهـا إلـى الحديـث عـن توقـه لوطنه ووصف خواطر الغربة.

بنـى قصائـده علـى عمـود الشـعر العربي مـع ميل لمجـاراة طبعه الشـعري واسـتخدام الزينة اللفظية باقتصاد.

صاغ شعره في قوالب بحر الوافر والطويل والرجز.

(10) «علي بن حمّاد البرباري»[5] (ت 1088هـ/1677م)

أديـب شـاعر، عـرف بالزهـد والتقـوى. ويقـال أن له رسـالة أدبية، وديوان شـعر كبير في المدائح النبوية.

---

(1) طبع في طهران عام 1373هـ/1953م.

(2) تُراجع في ديوانه ص47. والسبيطي: نوع من السمك في الخليج العربي يشبه سمك الورقة في تونس.

(3) وردت ترجمتـه فـي سـلافة العصـر، مصـدر سـابق، ص497، و المحبـي، نفحـة الريحانـة، مصدر سـابق، ج3 ص186 وبينهمـا اختـلاف فـي الاسـم الثانـي. كمـا وردت فـي أنـوار البدريـن، مصـدر سـابق، ص95. وأخذنا بالتسمية التي اتفق عليها المصدران الأخيران.

(4) يُراجع تعريفه في شعر المديح ص305 إحالة (2).

(5) بربـار: من قـرى البحرين ذات التاريـخ العريق في العصـر الدلمونـي. وتُراجع ترجمته فـي المنتظم، مصدر سابق، رقمها 627. وموقع قريته على الخريطة رقم 2 ص12.

لـم يصلنـا مـن شـعره سـوى أبيـات قليلـة، اتبـع فيهـا ظاهـرة فنيـة فريـدة هـي التـزام الميـم قافيـة للمصـراع الأول، والـدال قافية في المصـراع الثاني طوال القصيدة. وتتسـم الأبيات بتمجيده للرسول ﷺ وللإمام «عليّ» وبنفحة عاطفية صادقة.

(11) «العلوي المرتضى»[1] (ت 1111هـ/1699م)

هـو علـوي بـن الحسـين بـن أحمـد الحسـيني - ينتمـي إلـى السـلالة الهاشـمية، وكان متّصفاً بالزهد والعبادة.

وتنـدر الأخبـار المتعلّقـة بـه. ويشـك المصـدر الوحيـد الـذي أرّخ لـه - فـي حـدود مـا عثرنـا عليـه - فـي تاريـخ وفاتـه المذكـورة علـى أسـاس تاريـخ وفـاة والـده فـي عـام 1001هـ/1592م. ونحـن نفسّـر هـذه الإشـكالية بأمـر مـن اثنيـن، إمـا أنـه وقـع بالفعـل خطـأ فـي تاريـخ وفاة المترجم، وإما حدث سـهو في تسلسـل نسـبه، فيكـون من أحفاد الحسين بن الحسن لا من أبنائه.

علـى الصعيـد الأدبـي لا يتعـدى - مـا وصلنـا مـن شـعره - مضمـون المدائـح النبويـة. ويقـال إن لـه شـعراً كثيـراً فـي هـذا الصـدد. بَيْـدَ أننـا لـم نحصـل إلا علـى قصيدتيـن، الأولـى فـي مـدح الإمام «عليّ» وهـي ناقصة، وصيغت علـى بحر الخفيـف، والثانية في رثـاء «الحسـين» عدّتهـا 81 بيتـاً منظومـة علـى وزن الطويـل، وتبـرز فـي القصيدتيـن ظاهـرة التاريـخ ووصـف محنـة المـرأة والطفولـة كمـا تظهـر عنايـة الشـاعر بمعانيـه وتسلسل أفكاره. هذا مع ميل معتدل للأخذ بفنون البديع.

(12) «عبد الرؤوف بن الحسين الحسيني الجدحفصي»

يظهـر مـن الأخبـار المتناثـرة عمّـن يسـمى بهـذا الاسـم وجود ثـلاث شـخصيات وتنتمي جميعهـا إلـى أسـرة واحـدة. هـي أسـرة «عبد الـرؤوف الجدحفصـي» التـي ترجـع فـي نسبها إلى البيت الهاشمي، والمعروفة بالعلم والأدب.

الشـخصية الأولـى هـي شـخصية الجد وكنيتـه «أبو جعفـر». وكان قاضي قضـاة البحرين وتوفـي سـنة 1006هـ/1597م. والثانية شـخصية «عبد الرؤوف» الحفيـد الأول، والمولود فـي 1013هـ/1604م. المتوفـى سـنة 1060هـ/1650م. والثالثـة شـخصية حفيـد الحفيـد وكنيتـه «أبـو المعالـي» وتوفي فـي 1113هـ/1701م. ويبـدو أن الثلاثة كانـوا من الفقهاء الشعراء.

ونظـراً لتشـابه أسـمائهم، وضيـاع أكثـر أشـعارهم، وعدم تدقيـق أكثـر رواة أخبارهم في

(1) التاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 587.

ذكـر أسـمائهم والاكتفاء بذكر اسـمين أو ثلاثـة، فقد تداخلت أخبارهم وأشـعارهم. ومع وضـوح شـخصياتهم عنـد بعـض المترجميـن إلا أن أغلبهم يـورد ترجمة واحـدة تتداخل فيهـا أخبـار الشـخصيات الثـلاث. ممّـا أدّى إلـى جعل التفريـق بين أخبارهم وأشـعارهم فـي غايـة الصعوبـة[1]. ولعـل الكشـف عن واحـد أو اثنين مـن دواوينهم يحل إشـكالية هذا التداخل[2].

يـدور مـا عثرنـا عليه من أشـعارهم حـول رثاء الهاشـميين ومديحهم. ورغم مـا تنضح به مـن عاطفـة صادقـة إلا أن العنايـة الزائدة بالمحسـنات البديعية كانت تحـدّ من تدفّقها وانطلاقها أحياناً.

وهنـاك شـعر اجتماعـي يجـري مجـرى السـليقة وينسـب لأحدهـم. وربّمـا كان للحفيد الثانـي. أمـا الجديـد فـي نتاجهـم فهو نظـم البنـد[3]. ويعدّ صاحبـه من أوائـل الناظمين فيه. بَيْدَ أننا لا نملك دليلاً قاطعاً يؤكد نسبته لأيّ منهم.

(13) «سـليمان بـن عبد اللّـه بـن علـي الماحـوزي»[4] (مـن 1075هـ/1664م إلـى 1121هـ /1709م)

ولـد شـمس الديـن وكنيته أبو الحسـن فـي «البحرين». وتتلمـذ على علمائهـا، ثم جلس للتدريس وتخرّج عليه جمع من كبار فقهائها.

---

(1) ممّـن ترجـم للحفيد الثاني الحـرّ العاملي في أمل الآمل، مصدر سـابق، ج2 ص146. وممّن لـم تتحدد عنده ملامـح الشـخصيات يوسـف البحراني فـي كشـكوله، ج3 ص218، والبلادي، علي بن حسـن ، أنـوار البدرين، مصـدر سـابق، ص102. والمرجـع الأخيـر يخلـط خلطاً كبيـراً بيـن الجـد والحفيـد الأول. ينظر أيضـاً الأمين، محسـن، أعيـان الشـيعة، مصـدر سـابق، ج7 ص459، ومحفـوظ، حسـين، المنتخـب، ص19. وممـن تفطـن لوجـود شـخصيتين تحمـلان الاسـم نفسـه التاجـر فـي منتظمـه. فقـد ترجم للجـد تحـت رقـم 433، وأتبعه للحفيـد الثاني. وشـبّر، جواد فـي أدب الطف، ج5 ص61 – 69 حيـث فرّق بين الجد والحفيـد الثاني. يُراجع أيضاً أعلام الزركلي، مصدر سابق، ج3 ص353.

(2) أشـار الطهرانـي، آقا بزرك في الذريعـة 9 ـ 2 ص685 إلى ديـوان الجد تحت رقم 4777 وإلـى ديوان الحفيد الثانـي تحـت رقم 4778. وربما دلّت عدم الإشـارة إلى ديـوان الحفيد الأول أنه كان شـاعراً مقلاً ولم يكن له ديوان شعر.

(3) نُذَكِّـر أن البنـد هو شـعر ذو شـطر واحد، يقوم إيقاعه على أسـاس التفعيلـة الواحدة المتكـررة بحرية تامة، يُراجع ص412 وما بعدها من هذا البحث.

(4) الماحـوز كانـت قرية صغيرة وأنجبت العديـد من العلماء وهي اليـوم من الضواحي الراقيـة لمدينة المنامة عاصمـة البحرين. وتُراجع أخبار الشـاعر عند يوسـف البحراني فـي الكشـكول، ج3 ص42 و134. والبحراني، يوسـف، لؤلؤة البحرين، مصدر سـابق، ص7. والخوانسـاري، محمد باقر، روضات الجنات، مصدر سـابق، ج4 ص16. والبـلادي، علـي بـن حسـن، أنـوار البدرين، مصـدر سـابق، ص149. والأمين، محسـن، أعيان الشـيعة، مصدر سـابق، ج7 ص302. والمنتظم ترجمة 361. وأعلام الزركلي، مصدر سـابق، ج3 ص128. وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج4 ص267. وشبّر، جواد، أدب الطّف، مصدر سابق، ج5 ص203.

احتلّ مكانة علمية مرموقة، وسمّي بالمحقّق البحراني. ووصل إلى مرتبة شيخ الإسلام فيها.

له جملة من الآثار أغلبها رسائل، وعدّد له صاحب الأعيان 64 مصنّفاً.

على الصعيد الأدبي: للماحوزي الكثير من الشعر المبثوث في كتبه خاصة كتابه «أزهار الرياض»، وفي مصنّفات فقهاء البحرين، وبعض المجموعات الشعرية. ويقال إن أحد تلامذته قام بجمع شعره، ولكنّنا لا نعرف شيئاً عن مصير هذا الديوان[1].

طرق هذا الشاعر العديد من الموضوعات. فرثى الهاشميين وقرّظ «البحرين». ومن أبرز الملامح المميزة في شعره السياسي والاجتماعي. أنه أدان ظلم الولاة الإيرانيين في البحرين وهجاهم. وندّد بما شاع في المجتمع البحراني من اتجاهات أخلاقية سيئة.

وتعدّ قصيدته التي حثّ فيها على مغادرة مواطن الظلم أجمل ما وقع بين أيدينا من شعره وأرقّه. وهي تدل على نفس طويل ومقدرة شعرية جيّدة. وورد الكثير من نتاجه على شكل مقطوعات قصيرة. وهو يميل إلى التحرّر من قيود الصنعة.

(14) «حسين بن علي الحسيني»[2] (من معاصري «سليمان الماحوزي»)

لم نتمكن من الحصول على ترجمة وافية لهذا الشاعر. واعتمدنا على التاجر في ترجيح الفترة الزمنية التي عاش فيها.

ومن أهم الآثار الأدبية التي وصلتنا عنه رسالة الكافيّات. وفيها جمع جلّ القصائد التي قيلت في معارضة كافية «الشريف الرضي» والتي مطلعها: (بسيط)

يا ظبيةَ البَانِ تَرْعَى في خَمَائِلِهِ لِيَهْنَكِ اليومَ إنَّ القلبَ مَرْعَاكِ[3]

وفيها عمد إلى ذكر الشعراء، وقرّظهم ورتّبهم ترتيباً تاريخياً. فذكر كافيّة ابن سناء الملك (ت 592هـ)[4]، والتلعفري (ت 675هـ)[5]، وابن الصائغ (ت 722هـ)[6]، وصفي الدين الحلّي (ت 750هـ)[7]. وقد تتبّع كلّ ما قيل في هذا الصدد إلى أن انتهى

(1) أشار له الطهراني آقا بزرك في الذريعة، مصدر سابق، 9 - 266/2.

(2) التاجر، محمد علي، المسودات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

(3) ديوان الرضي ج2 ص107 والرسالة المخطوطة ص1.

(4) هو هبة اللّه بن جعفر وتُراجع ترجمته عند ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، 6 ص61.

(5) هو محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة – تُراجع ترجمته في المصدر نفسه، ج4 ص62.

(6) محمد بن حسن بن سباع الجذامي. يُراجع المصدر نفسه، ج3 ص326.

(7) عبد العزيز بن سرايا – يُراجع المصدر نفسه، ج2 ص335.

بعصره فأدرج في خاتمتها كافيّته التي نظمها هو. ومع تنويهه بكل واحدة منها فضّل عليها جميعاً كافية الشريف الرضي.

وتتميز كافية الحسيني بغلبة النظم. كما يبرز فيها حرصه الشديد على إظهار مقدرته الأدبية خاصة في مجال استخدام البديع.

(15) «أحمد بن عبد الرؤوف بن الحسين الحسيني»[1] (من معاصري «سليمان الماحوزي»)

هو فقيه شاعر. والأخبار المتعلقة به شحيحة. له حاشية على ألفيّة ابن مالك، وشرح لديوان المتنبي، ويبدو من أخباره مع «سليمان الماحوزي» أنه من تلاميذه.

تنصبّ تجربته الشعرية حول رثاء الهاشميين. ومع عنايته بالمضمون الفكري يميل أحياناً إلى زخرفة أشعاره. ولا تخلو بعض أبياته التي وصلتنا من جزالة في الأسلوب. وغالباً ما يصدّر مراثيه بمقدمات تأملية أو وجدانية يبكي فيها فراق الأحبة.

وعلى صعيد موسيقى الإطار وجدنا الشاعر صاغ شعره على بحري الطويل والكامل.

(16) «علي بن حسين البلادي»[2] (من معاصري «سليمان الماحوزي»)

من الشعراء الفقهاء. وتضنّ المصادر التي تترجم له بأخباره. وقد استشهد «سليمان الماحوزي» ببعض من شعره.

يدور أكثر شعره حول رثاء الهاشميين. ويسير فيه على النهج السائد من اهتمام بالتاريخ وتفصيل لأحداثه. كما أنه يستثمر مقدمات مراثيه للتعبير عن حزنه لفراق الأحبة.

يميل لمحاكاة الأقدمين. ولا يخلو شعره من رقّة.

(17) «عبد الرضا بن عبد الصمد الحسيني»[3]

فقيه شاعر، عاصر صاحب السلافة المتوفى سنة 1120هـ/1708م، وقرّظ مؤلف

---

(1) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج2 ص624، ومحفوظ، حسين، المنتخب، مصدر سابق، ص24، والتاجر، محمد علي، مسودات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 65، وشبّر، جواد، أدب الطّف، مصدر سابق، 5 ص69.

(2) يُراجع عنه البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص116، والتاجر، محمد علي، المنتظم، مصدر سابق، ترجمة رقم 625، ومحفوظ، حسين، المنتخب،مصدر سابق، ص22. والبلادي نسبة إلى بلاد القديم، وهي من المدن العريقة في البحرين، ومن المراكز العلمية فيها في الفترة المدروسة. وكانت عاصمة البحرين. تُراجع الخريطة رقم (2) ص559.

(3) ابن معصوم، المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص517. والمحبّي، نفحة الريحانة، ج3 ص182. والحرّ العاملي، أمل الآمل، مصدر سابق، ج2 ص148. والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج8 ص11.

الكتاب شعر الشاعر، وتتسم الأبيات التي ذكرها له بتقليدية المعاني والعناية بالصنعة.

(18) «علوي بن إسماعيل»[1]

عالم أديب، ينتمي إلى البيت الهاشمي. ووصفه معاصره صاحب السلافة بأنه شاعر «هَجَر» ومنطيقها.

ذكر له عدة مقطوعات في الغزل العذري. وهي لا تخلو من رقة. وقد مال الشاعر فيها إلى إسقاط أحاسيسه على عناصر الطبيعة ومساءلتها.

لم تتعد موسيقى الشعر المرويّ له النظم على بحور الوافر والمتقارب والسريع.

(19) «عبد اللّه بن محمد بن أبي شبانة الحسيني»[2]

تضنّ المصادر التي ترجمت له بإعطاء تصوّر واضح لشخصيته. وهي تشير إلى وفوده على «الهند» ومدح الأمير «أحمد بن معصوم»، ولأسباب مجهولة أغضبت الحاكم غادرها إلى «إيران».

أثنى معاصره صاحب السلافة، وابن الأمير المذكور على شعره، وذكر له ما يقرب المئتي بيت أكثرها في المديح وبعضها الآخر في الغزل. وبدا الشاعر فيها ملتزماً بعمود الشعر مضموناً وصياغة. كما ظهر من خلالها ميل لتنمق العبارات، مما وسمها بالتصنّع أحياناً.

وتدلّ الأبيات المذكورة في السلافة على اهتمامه بالنظم على البحور الأساسية خاصة الطويل والوافر. كما نظم على بحور المرتبة الثانية: الخفيف والسريع والمنسرح.

(20) «محمد بن يوسف بن علي بن كنبار البلادي»[3] **(ت 1130هـ/1717م)**

برز كشاعر فقيه وعرف بكثرة ملازمة التعبّد والدعاء والانهماك في الدرس. وقيل إنه لم يكن يكلّ منه.

عاش في فترة تاريخية شديدة الاضطراب فعاصر اشتداد وطأة الغزو العماني على

---

(1) ابن معصوم المدني، علي خان، سلافة العصر، مصدر سابق، ص519. والمحبّي، نفحة الريحانة، مصدر سابق، ج3 ص184؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص95. والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج8 ص150.

(2) ابن معصوم المدني، المصدر نفسه، ص505. والمحبّي، المصدر نفسه، ج3 ص191. والبلادي، علي بن حسن، المصدر نفسه، ص97.

(3) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، مصدر سابق، ص109؛ والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص180؛ وشبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج5 ص204 وج7 ص317.

«البحريـن». وقـد اضطـره ذلك إلى النــزوح إلـى «القطيف»، ولضيق المعيشـة فيها عاد إلـى «البحريـن». وصـادف وقـوع فتنة كبيرة وحـروب، فأصيب بجروح بالغـة، فنقل إلى «القطيف» وتوفي بها.

ويقـال إن لـه ديـوان شـعر فـي رثـاء آل البيـت. ويبـدو ممـا حصلنـا عليه من شـعره أنه يعطي جانب المعاني أهميته ويساير طبعه الشعري.

وصاغ شعره في قوالب البحور الأساسية خاصة البسيط والطويل.

(21) «أحمد الحاجي بن عبد اللَّه بن حسن بن جمال البلادي»[1] (ت1137هـ /1724م)

مـن الشـعراء الفقهـاء، تتلمـذ علـى «سـليمان الماحـوزي»، وله بعـض المصنّفـات منها: شرح رسالة الصلاة لشيخه «سليمان الماحوزي».

انصبّـت تجربته الشـعرية علـى رثاء الهاشـميين ومديحهم. ويبدو أنه متدفّق الشـاعرية غزيـر الإنتـاج. وقـد قـال حفيـده صاحـب أنـوار البدريـن: إن لـه مـا يقـرب مـن ألـف قصيدة في العلويين، هذا علاوة على المدائح الأخرى والتواريخ وغيرها.

وذكر أن له ديواناً ضخماً وأنه تلف في إحدى الحوادث.

مـن الملامـح المميـزة فـي شـعره تصديـر بعـض مراثيـه الحسـينية بالبـكاء علـى محنـة الوطن والتوجّع على رحيل الأهل والأصحاب، مع ربط ذلك بفواجع الهاشميين[2].

وتتجلّـى فـي شـعره ظاهـرة الحوار من جانب واحد خاصة على لسـان المرأة الهاشـمية. ويظهر عنده ميل إلى تنميق أشعاره دون إسراف.

نظـم حسـبما توفّـر لنـا مـن شـعر علـى عـدة بحـور، وهـي: البسـيط والكامـل والطويل والمتقارب.

(22) «علي بن لطف اللَّه بن يحيى بن راشد»[3] (من 1099هـ/1687م إلى 1142هـ/1729م)

حظـي بمكانـة أدبيـة مرموقـة فـي «البحريـن» بيـن أدبـاء فترتـه وشـعرائها. لكـن عـدم

---

(1) ترجمته في البلادي، علي بن حسـن، أنوار البدرين، مصدر سـابق، ص165؛ والأمين، محسـن، أعيان الشـيعة، مصـدر سـابق، ج2 ص600 وج3 ص8؛ والأمينـي، عبـد الحسـين، الغدير في الكتـاب والسـنة والأدب، مصدر سابق، ج11 ص341؛ والتاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ورقمها 71.

(2) تُراجـع على سـبيل المثال مقدمـة قصيدتيه النونيتين في ديـوان الدمسـتاني ص372 و375، وكذلك قصيدته الرائية عند الأميني، عبد الحسين، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، مصدر سابق، ج11 ص341.

(3) البـلادي، علـي بن حسـن، أنـوار البدرين، مصـدر سـابق، ص187، والتاجـر، محمد علـي، المسـودات الأولى للمنتظم مصدر سابق، ترجمة الشاعر.

الاستقرار الذي وسم الحياة العامة قد أضاع كل ما تركه من نثر وشعر. فلم نعثر له إلا على قصيدة واحدة في الحنين إلى الوطن. نظمها على ما يبدو أثناء سفر طويل وشاقّ، وتصدى فيها لوصف آلامِ الغربة. ونحا فيها منحى الأقدمين، فيمكن اعتبارها من المعارضات. وهي تتسم بتدفّق العاطفة وصدقها، وجريان الشاعر على طبعه الشعري دون تكلّف.

(23) «حسين بن زعل البحراني» (القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي)

مصدرنا الوحيد للتعرّف عليه هو أعيان الشيعة[1]. ووصفه نقلًا عن معاصريه بأنه عالم محدّث شاعر أديب. ويظهر أنه غادر «البحرين» لطلب العلم. وتنقّل بين العديد من المدن الإيرانية، ثم سافر إلى «العراق».

له مقطوعة في المديح صرّح فيها بضعف حاله وحاجته. وتوجّه بها إلى الفقيه العراقي محمد علي بن بشارة الخيقاني النجفي (ت 1160هـ/1747م)[2]. وطبقاً لذلك فهو من معاصريه.

والمقطوعة منظومة على وزن الطويل، والأبيات فيها تجري مجرى السليقة لا يكترث الشاعر بتنميقها أو زخرفتها بالبديع.

(24) «علي بن عبد اللّه الحسيني»[3] (ت 1162هـ/1748م)

يوصف بأنه من سادات «البحرين» وأهل الشرف فيها. ومن شعرائها المعروفين.

هبط «النجف» في النصف الأول من القرن الثاني عشر. واختلط بعلمائها وشعرائها. وكان له معهم مطارحات. روي له شعر في المديح قاله طلباً للرفد. وصرّح فيه بفقرة وحاجته.

يساير هذا الشاعر طبعه الشعري دون تكلّف. ونظم حسبما وجدناه من شعره على مجرى الطويل والبسيط.

(25) «لطف اللّه بن محمد بن عبد المهدي الجدحفصي»[4] (القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي)

المعلومات المتوفرة لنا عن هذا الشاعر قليلة. لكن يمكن القول إنه من الفقهاء

---

(1) ج6 ص23.

(2) الزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ج6 ص259.

(3) الخاقاني، علي، شعراء الغري، مصدر سابق، ج6 ص234. والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج8 ص281.

(4) ورد الاسم كاملاً في منتخب محفوظ ص20 نقلاً عن مجموعة حفيده المسماة بمجموعة لطف اللّه الجدحفصي. وتُراجع ترجمته عند شبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج5 ص255.

وإن لـه بعـض المصنّفـات. ويدلنـا تاريـخ كتابتـه لبعضهـا أنـه كان حيـاً فـي 1164هـ /1750م[1].

ينصـبّ مـا عثرنـا عليـه من شـعره على رثاء الهاشـميين. وغالباً ما يسـتفتح تلـك المراثي بمقدمة تأملية، يدعو فيها إلى التأسّي بمصاب آل البيت.

تبـرز فـي شـعره كل ظواهـر الشـعر البحرانـي مـن عنايـة بالتاريـخ والتفـات إلـى محنة المـرأة. كمـا تظهـر عنـده النــزعة الحواريـة خاصـة المبنيـة علـى الخطـاب مـن جانب واحد.

ويتسـم أسـلوبه بمتانـة التعبيـر وقـوة التراكيـب فـي غالـب الأحيـان. ويجـري شـعره مجرى السليقة. ويميل إلى استعمال الزخارف البديعية باقتصاد.

تتميـز قصائـده بطـول النفـس إذ لا تقـلّ عـن سـتين بيتـاً فـي أكثـر الأحـوال، وغالبـاً مـا يصبّ شعره في قوالب الأوزان الطويلة كالكامل فالطويل فالوافر.

(26) «حسن بن محمد بن خلف بن ضيف الدمستاني»[2] (ت 1181هـ/1767م)

من مشاهير فقهاء البحرين وشعرائها.

عـاش فـي فترة سياسـية عاصفة فعاصر اشـتداد الغارات المتتابعة والاعتـداءات المكثّفة علـى «البحريـن» فاضطر إلى النــزوح إلـى «القطيف»، وهاجر إلى «إيـران» وتنقّل بين مدنها. ثم عاد إلى «القطيف» وتوفي بها.

أخـذ العلـم عـن فقهـاء بـلاده. ووصـل إلـى مرتبـة عاليـة فـي الإفتـاء. لـه العديـد مـن المصنّفات منها: انتخاب الجيّد من تنبيهات السيد[3]، ورسالة في التوحيد.

يـدور جـلّ شـعره حـول رثـاء الهاشـميين ومديحهـم. وتنضـح أكثـر مقدمـات قصائـده بمعاناتـه وتألمـه لاضطـراب الوضـع في وطنـه. وقد دفعه ذلـك إلى تأمل الدنيـا وذمهّا. ووصف الشاعر الغربة. كما نزع إلى البكاء والتفجّع.

تظهـر فـي مراثيـه جـلّ الظواهـر الفكريـة المدروسـة مـن اهتمـام بالتاريـخ المأسـاوي للهاشميين، وتجسيد لمحنة المرأة، مع التفات واضح إلى معاناة الطفولة.

---

(1) الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، 9 ـ 944/3.

(2) دمسـتان مـن قـرى البحريـن. وتُراجـع ترجمته عنـد البـلادي، علي بن حسـن، أنـوار البدرين، مصدر سـابق، ص217، والأميـن، محسـن، أعيـان الشـيعة، مصـدر سـابق، ج5 ص260، ومقدمـة ديوانـه، وأعـلام الزركلـي، مصدر سابق، ج2 ص220، وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج3 ص286.

(3) هـذا المصنّـف عبارة عـن مختـارات من كتـاب «تنبيهـات الأديب في رجـال التهذيب» لهاشـم بن سـليمان البحراني. والكتاب الأصلي لهذين المصنفين هو «تهذيب الأحكام» لأبي جعفر محمد بن الحسـن الطوسـي والمعروف بشيخ الطائفة، المتوفى سنة 469هـ. والكتاب من المجاميع المعوّل عليها عند الشيعة.

وتعبق بعض أشعاره بنفحة صوفية عميقة. فتتدفق مشاعره وتنساب في ترانيم حزينة متشائمة. وقد أدى ميله إلى حشد المحسنات في بعض الأحيان إلى الحدِّ من تدفقها وانسيابها، فأتت مفتعله باردة.

وحرص الشاعر على تجسيد معانيه فعمد إلى تصويرها، وأغلب صوره مستقاة من ثقافته الدينية والأدبية. وقد يستمدها من بيئة «البحرين».

يميل في موسيقى أشعاره إلى النظم على البحور الأساسية. وقد أتى الطويل في مقدمة إيقاعه، يليه الكامل، فالبسيط[1]. كما نلمح التفاتاً واضحاً منه للنظم على مجزوءات البحور، خاصة مجزوء الرمل لتميزه بجرس غنائي خلاّب ومؤثر.

(27) «محمد بن أحمد بن إبراهيم العصفور»[2] (1112هـ/1700م إلى 1182هـ /1768م)

ولد ونشأ في «البحرين»، ودرس على علمائها. وانتهت إليه الزعامة الدينية بعد وفاة والده وهجرة أخيه «يوسف بن أحمد البحراني» إلى «إيران». اشتغل بالتدريس، وصنّف عدة مؤلفات منها: مرآة الأخبار في أحكام الأسفار.

له ديوان مخطوط لم نتمكن من الوصول إليه. ويدور جلّ ما عثرنا عليه من شعره حول رثاء آل البيت. ويتجلى فيه اطلاعه الواسع على الأدب العربي القديم. فالشاعر لا ينفك من ذكر أسماء أعلامه شعراءً ونقاداً.

انعكس أثر الأحداث الخطيرة التي عاصرها، ونجم عنها تشريد أهل البلاد في شعره، فبكى أحبّته المغادرين في مقدمات مراثيه، وربط بين محنتهم ومحنة الهاشميين، وتوجّع من معاداة الدهر للفئتين.

وتتدفّق أشعاره بالعاطفة الصادقة والحزن الدفين. وفيها يجري مجرى السليقة، متجاوزاً في الغالب مذهب التنميق اللفظي الشائع.

وتبدو في شعره نزعة تفجعية مريرة. وعوّل على التنويع في الأساليب خاصة الإنشائية، وعلى التكرار والتقطيع وغيرها لتجسيد آلامه.

كما اعتنى بتصوير محنة المرأة الهاشمية، وعمد إلى أسلوب الحوار، خاصة ما كان من جانب واحد لإبراز مأساتها.

---

(1) تُراجع في جدول الأوزان ص402.

(2) تُراجع ترجمته عند البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص205، والتاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة رقم 772، وشبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج5 ص349.

صبّ شعره في أوزان البحور الأساسية خاصة الطويل والكامل والبسيط، وساعدته مقاطعها على تجسيد مختلف الانفعالات.

(28) «حسين بن علي بن عبد اللّه الشاخوري الغريفي»[1] معاصر للشاعر السابق

ينتمي هذا الشاعر إلى البيت الهاشمي، وأغفل ذكره جلّ المؤرخين، ولعل السبب أنه كان شاعراً، ولم يكن من العلماء. والمصدر الوحيد الذي عثرنا على ترجمة فيه هو مسودات منتظم الدرين. وصرّح مؤلفه أنه لم يقف على شيء من أحواله. بَيْدَ أننا يمكن استنتاج الكثير عنه من خلال شعره. فهو صديق «محمد بن أحمد العصفور» السالف الذكر، تتلمذا على الشيوخ نفسهم وعارضا قصائد بعضهما بعضاً، ودعا كل منهما للآخر في خواتيم قصائده[2].

يبدو أن والد الشاعر كان من العلماء الشعراء. وهو يصرّح بمعارضته له في قصيدتين من قصائده التي عثرنا عليها. يقول في إحداهما والخطاب موجه للهاشميين أجداده: (طويل)

لقد قلتُ فيكم وَزْنَ مَا قَالَ وَالِدِي (أتبكي ربوعاً لا بكتْكَ عُيونُ)[3]

وأورد صاحب المنتظم مطالع ست قصائد من شعر الأب دون أن يلاحظ علاقة النسب من خلال الاسمين مع ما تميّز به من ملاحظة دقيقة[4]. ولعله تفطن لذلك في التحرير النهائي للكتاب.

عاش «الشاخوري» في الفترة العاصفة من تاريخ «البحرين» الحديث، وأورد له صاحب المنتظم قصيدة قالها إبان تواجده في «العراق». ولا ندري هل قصد «العراق» زائراً أم أنه كان مقيماً بها؟

ويبدو هذا الشاعر متدفّق القريحة، غزير الإنتاج، فالمجموعات الشعرية البحرانية تذكر له الكثير من القصائد. ويتركز ما وصلنا منها حول مراثي الهاشميين، وهذا يعني أن تجربته الشعرية ربما دارت في هذا الإطار.

---

(1) الشاخورة من قرى البحرين. وكانت من المراكز العلمية. والغريفة اسم لموضعين في البحرين. تُراجع مادة «غريفة» عند الحموي، شهاب الدين، ياقوت الحموي في معجم البلدان، مصدر سابق. ووردت ترجمة الشاعر عند التاجر، محمد علي، في مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ورقمها 262.

(2) تُراجع على سبيل المثال مجموعة (1) ص71. وفصل المعارضات في شعر البحرين ص489 وما بعدها من هذا البحث.

(3) ديوان الدمستاني ص392. وتُراجع أيضاً القصيدة الثانية في مجموعة (1) ص60 البيت 62.

(4) ترد ترجمة علي بن عبد اللّه الشاخوري في مسودّات التاجر دون ترقيم. ولعلّه عثر عليها في فترة متأخرة وبعد انتهائه من تحرير المسودّات، فلم يتسنَّ له ترقيمها.

تبـرز فـي مراثيـه كل الظواهـر الفكريـة مـن عنايـة بالتاريـخ وتصويـر لمحنـة المـرأة. وخصّـص الكثيـر مـن مقدمـات أشـعاره للبكاء علـى الأحبـة الراحلين. كما وصـف لواعج الحنين والألم وربط بين محنتهم ومحنة الهاشميين.

وتزخـر قصائـده برقّـة العاطفـة ويسـري فـي أعطافهـا ألـم عميـق. ويميـل الشـاعر إلى إعطـاء تجربتـه فرصـة التدفـق دون وضـع أيـة عوائـق. ومن ثـم قلّـت عنايتـه بالتنميق اللفظي في أكثر الأحيان. واستغلّ الحوار كأداة فنية لتجسيد المآسي العلوية.

وتتميـز أشـعاره بطـول النفـس، وأقصـر قصائـده لا تقـلّ عـن السـتين بيتـاً. وبنى شـعره على أوزان الطويل والبسيط والوافر والكامل.

(29) «يوسـف بـن أحمـد بـن إبراهيـم بـن عصفـور الـدرازي البحرانـي»[1] (1107هـ /1695م إلى 1186هـ/1772م)

ولـد فـي «البحريـن» وقـرأ علـى أبيـه أولاً، ثـم علـى جماعـة مـن علمـاء «البحريـن». واضطـر بسـبب عنف الحياة السياسـية في بـلاده إلى التردد بينها وبيـن «القطيف»طلباً للمعيشة والعلم.

وبتفاقـم الأحـداث وتـردّي الأوضـاع الأمنيـة نـزح إلـى «إيـران»، وتنقـل بيـن العديد من مدنهـا، مشـتغلاً بالتدريـس والتصنيـف. ونـال في بعضها مكانـة دينية، فقـد تولّى إمامة الجمعـة والجماعـة فـي جامـع «شـيراز». وحيـن اهتـزت أوضاعهـا انتقل إلـى «العراق» وأقـام بـ«كربـلاء» مكمـلاً مسـيرته العلميـة فـي مجـال التأليـف والتدريـس والمطالعـة. وحظي هناك بمنـزلة علمية رفيعة إلى أن توفي بها.

وتنـوف مؤلفاتـه على العشـرين مصنّفاً أشـهرها: الحدائق النضرة في الفقه الاسـتدلالي، والدرّة النجفية.

عـرض فـي شـعره للعديد مـن المضامين. وعلـى الخصـوص المدائح النبوية. وهو يسـير فيهـا علـى نهـج شـعراء الفترة المدروسـة. ولا تخلو أشـعاره من رقّة. وهي تزداد انسـياباً وشـفافية حيـن يتنـاول همـوم الـذات الشـاعرة. فقـد وصـف مشـاعر الغربـة ولوعـة الحنين. كما عبّر عن توق ملّح إلى الوطن والأهل[2].

---

(1) ترجمـت له أكثـر كتب التراجـم. نذكر منها: الخوانسـاري، محمـد باقر، روضـات الجنات، مصدر سـابق، ج8 ص203، والبـلادي، علـي بن حسـن، أنـوار البدرين، مصدر سـابق، ص193، والأمين، محسـن، أعيان الشـيعة، مصـدر سـابق، ج10 ص317، وأعـلام الزركلـي، مصـدر سـابق، ج8 ص215، وكحالـة، عمر، معجـم المؤلفين، مصـدر سـابق، ج13 ص268. وقـد كتـب ترجمتـه الذاتيـة بنفسـه فـي ذيل كتابـه «لؤلـؤة البحريـن». ينظر ص442 وما بعدها.

(2) يُراجع البحراني، يوسف، الكشكول، مصدر سابق، ج2 ص392 وما بعدها وص406.

وهـو يميـل إلـى اسـتعمال البديع ولكـن باعتـدال غالباً. ويأتـي في مقدمـة البحور التي نظم عليها الطويل ويليه الكامل.

(30) «عبد النبي بن أحمد بن مانع الجدحفصي»[1] (من معاصري يوسف البحراني)

لا تقـدّم المصـادر التـي ترجمـت لـه شـيئاً عـن حياتـه الخاصـة. ويظهـر مـن تلقيبـه بالخطّـي أنـه ربمـا نـزح إلـى «القطيـف» وأقـام فيهـا. وقـد اعتبـره بعـض دارسـي تلـك الربوع من أهلها[2].

ويظهـر ممـا قيـل عنـه أنـه متعـدد الثقافـة. ويذكـر أنه عـارف بالطـبّ والحكمـة، عالم بأنساب العرب. ومن مصنّفاته الأدبية «تاريخ المولّدين من الشعراء».

علـى الصعيـد الأدبـي انصبـت تجربتـه فـي حدود مـا عثرنـا عليه من شـعره، حـول رثاء الهاشـميين. وكان ذا نفـس شـعري طويـل. ويظهـر أثـر الغربـة فـي مطالـع مراثيـه[3]. ويتضـح تأثّـره بالأقدميـن مـن خلال معارضاتـه التي غلب عليهـا اسـتعارة القالب الفني، مع توظيفها وما يتناسب مع أغراض.

ويظهـر ممـا اطلعنـا عليـه من شـعره ميل بارز لمسـايرة الطبع الشـعري. هـذا مع الأخذ من ألوان البديع بقدر معقول. كما اتضح عنده حرص على استخدام التشبيه[4].

وتتركـز موسـيقاه الشـعرية علـى النظـم علـى بحـور الطويـل والبسـيط والكامـل ثـم الخفيف.

(31) «ماجد بن أحمد بن علي بن إبراهيم الجدحفصي»[5] (كان حياً في 1197هـ/1782م)

آخـر أمـراء البحريـن مـن قبـل «إيـران». قيـل: إنه قتـل، وقيـل: إنه اختفـى أو هـرب. لم نجد لـه سـوى قصيـدة واحـدة مـن البسـيط. وهـي فـي رثـاء «الحسـين»[6]. وعدّتهـا واحـد

---

(1) ترجـم لـه التاجر فـي المنتظم، تحت رقم 571. ويذكر شـبّر في أدب الطف في ترجمتـه 5 ص364 أنه لُقِّبَ بالخطي، ويشـير إلى أن لطف اللّه بن علي الجدحفصي أورد له في مجموعته المحررة في 1201هـ/1786م ثلاث قصائد مجموع أبياتها 330 بيتاً.

(2) ترجم له المسـلم، محمد سـعيد في كتابه «سـاحل الذهب الأسـود»، مصدر سـابق، ص240 على اعتباره من شعراء القطيف.

(3) مما قاله في مطلع إحدى قصائده: [كامل]

للّـــهِ مـــا صنعـــتْ بنـــا الأيَّـــامُ فَعَلَـــى الأَحبَّـــةِ والديـــارِ سَـــلَامُ

(4) راجع على سبيل المثال ميميته عند البلادي، حسين بن علي، رياض المدح والرثاء، مصدر سابق، ص510.

(5) تُراجع ترجمته عند التاجر، محمد علي، المنتظم، مصدر سابق، ورقمها 748.

(6) وردت كاملة في مسـودات المرجع السـابق. وذكر شُـبَّر، جواد في أدب الطف، ج5 ص86 أبياتاً منها ونسبها خطأً لماجد بن هاشم الجدحفصي ربما بسبب تشابه الاسمين، فخلط بذلك بين شعر الشخصيتين.

وسبعون بيتاً وتتصدرها مقدمة تأملية يتوجّع فيها من ظلم الدهر، ويبكي من تتابع المحن.

وتظهر في القصيدة العناية بالتاريخ على غرار ما درسناه، كذلك تبرز فيها النزعة الحوارية المبنية على الخطاب من جانب واحد. كما أن تراكيبها لا تخلو من المتانة وقوة السبك. والشاعر يميل فيها إلى مجاراة طبعه الشعري دون تكلّف.

(32) «علي بن أحمد بن شرف بن إسماعيل الكامل الجدحفصي»[1] من (1144هـ/1731م) إلى (1199هـ/1784م) تقريباً[2]

ينتمي لأسرة السيد «عبد الرؤوف الحسيني الجدحفصي» التي عرفت بالعلم والأدب، وأنجبت العديد من الشعراء.

ولا نكاد نعثر على شيء من أخباره. ربّما لأنه كان شاعراً ولم يكن من العلماء لذا لم يهتم به المترجمون. أو أنه عاش بعيداً عن البحرين، فانقطعت أخباره. ومقدماته العاطفية تفيض بكاءً ووجداً على الديار وأهلها. وقد صرّح في إحداها بأنه غادر قسراً وبإكراه[3].

كان من الطبيعي أن يتجه لما يتناسب ووضعه المؤلم. فركز على رثاء الهاشميين والبكاء على فواجعهم مسقطاً عليهم محنه وآلامه.

وقد اعتنى بالتاريخ المأساوي شأنه شأن شعراء الفترة المدروسة، فوصف محنة المرأة العلوية، واتكأ على أسلوب الحوار القائم على الخطاب من جانب واحد لتجسيد فاجعتها.

وحرص على تتابع المعاني وتدفّقها أكثر من الاهتمام بالتنميق اللفظي وتزيين العبارات.

وتتميز بعض مقدماته الغزلية التي صدّر بها مراثيه برقّة العاطفة، والعناية بإبراز الصفات الجمالية للمرأة.

وصاغ أكثر ما وجدناه له من شعر على الطويل والبسيط والكامل والمتقارب، فساعدته على تصوير مختلف الانفعالات.

---

(1) مصدرنا الأساسي للتعرّف عليه هو ما وصلنا من شعره. وكذلك الأخبار المتناثرة التي عثرنا عليها في المسودّات الأولى للمنتظم حيث إننا لم نتمكن من الوصول إلى المسودّات النهائية لهذا المصدر.

(2) تاريخ الوفاة تقديري. وقد حصلنا على تاريخ الميلاد وأضفنا إليه خمسة وخمسين عاماً.

(3) يُراجع ديوان الدمستاني ص335، الأبيات اللامية من 1 – 10، وقد أوردها محفوظ في منتخبه ص24. وكذلك الأبيات العينية الواردة عند شبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج6 ص22 من 1 – 5.

(33) «لطف اللّه بن علي بن لطف اللّه بن محمد الجدحفصي»[1] (كان حياً في 1211هـ/1796م)[2]

لم تمدّنا المصادر التي ذكرته بشيء عن حياته أو علمه. ونكتفي بالإشارة إلى مختاراته المؤرخة في 1200 أو 1201هـ/1786م والتي ضمّنها العديد من قصائد شعراء البحرين[3].

ولعل نزوحه عن الوطن واضطراب حياته وتنقّله أدى إلى ضياع أخباره.

يدور أكثر ما وصلنا من شعره حول رثاء آل البيت. ويذكر أن له أراجيز قصصية طويلة[4].

صدّر مراثيه الحسينية بوصف لوعة الفراق، والبكاء على ديار الأحبة المغادرين. كما تناول فيها الظواهر الفكرية المألوفة عند الشعراء كالتاريخ ومحنة المرأة، وعوّل على أسلوب الحوار من جانب واحد لتصوير مأساتها.

ويتميز أغلب شعره بالسلاسة وطول النفس، وفيه يجري مجرى السليقة دون أن يقيّد نفسه بزخرفة الأسلوب إلا في النادر.

صبّ موسيقى أوزانه في قوالب بحر الطويل والبسيط والخفيف والسريع. أما شعره الذي نحا فيه منحى قصصياً فقد نظمه على بحر الرجز.

(34) «عبد المنعم بن محمد بن أحمد الجدحفصي»[5] (عاش في حدود 1201هـ /1786م)[6]

يبدو أن هذا الشاعر لم يكن من العلماء، لذا لم يترجم له المصنّفون، ولم يذكروا شيئاً عن أحواله. كما أن اضطراب الأوضاع وما نتج عنها من تشتّت أدى إلى ضياع الكثير من أخباره ونتاجه.

وتتركّز التجربة الفنية لهذا الشاعر حول المراثي الهاشمية. وعمد إلى تصديرها

---

(1) ذكره البلادي، علي، في أنوار البدرين، مصدر سابق، ص188، وشبّر، جواد، في أدب الطف، مصدر سابق، ج5 ص359، وهو حفيد الشاعر لطف اللّه بن محمد المذكور سابقاً.

(2) وهو تاريخ رثائه لابن عمّه. ووردت القصيدة في مسودات المنتظم، مصدر سابق.

(3) يُراجع عنها: الطهراني، آقا بزرك، الذريعة، مصدر سابق، ج20 ص104؛ وشبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج5 ص359.

(4) التاجر، محمد علي، المسودّات الأولى للمنتظم، مصدر سابق.

(5) ذكرت بعض أشعاره عند الأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج8 ص126، ومنتخب محفوظ، مصدر سابق، ص21، والتاجر، محمد علي، مسودات المنتظم، مصدر سابق؛ وشبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج5 ص53.

(6) هو تاريخ كتابة مجموعة لطف اللّه بن علي الذي أورد بعض أشعاره. ونعتقد أنه من معاصريه.

بمقدمـات وجدانيـة بكـى فيهـا خلـو الديار وتأسّـف على رحيـل أهلهـا. واعتنى بوصف ما أصابه من وجد وكمد.

ولانهماكـه فـي وصف تجربته وتجسـيد آلامـه تتدفّق أبياته بالعاطفة وتنسـاب بتلقائية. ولم يقيّد نفسه بأية قيود في الغالب.

وعـوّل – فـي حـدود مـا عثرنـا عليـه مـن شـعر – علـى بحـري الطويـل والكامـل ليصبّ فيهـا تجربتـه. وقـد أعانتـه مقاطعهمـا على تجسـيد مشـاعره ومـا يختلج في نفسـه من أحاسيس.

شعراء نرجّح أنهم من رجال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي

(35) أ. «محمد الشاخوري»

يترجم صاحب المنتظم لشخصيتين تحملان هذا الاسم. الأول «محمد بن أحمد بن سليمان الشاخوري»[1]، وهو شاعر وأديب. له رسالة أدبية طريفة. زخرف تعابيرها بصنوف البديع، وحلّى فقرها بأبيات من القريض. كما يُروَى له شعر في مناجاة الخالق. ويدلّ إيراد يوسف البحراني لأدبه أنه ربما كان من معاصريه[2].

والثاني هو «محمد الشاخوري». وقد اكتفى بذكر هذين الاسمين فقط. ونستنتج من إيراد «لطف اللّه بن علي» شيئاً من أشعاره أنه ربما كان من معاصريه[3].

وعلى ذلك فالشخصيتان من أبناء القرن الثاني عشر، كما أننا لا نستبعد أنهما شخصية واحدة.

وللثاني قصائد في رثاء الحسين. ويغلب عليها الاستهلال بمطالع تأملية. ويسير فيها على النهج المألوف من عناية بأحداث التاريخ ووصف لمعاناة المرأة والطفولة. وبدا فيها مهتماً بالمضمون والمعاني في المقام الأول.

ويظهر في حدود ما عثرنا عليه من شعره ميله إلى النظم على بحر الطويل.

(36) ب. «قاسم بن علي الإصبعي»[4]

يذكر المصدر الوحيد الذي ترجم له أنه لم يعثر على شيء من أحواله. ويذكر أن له منظومتي الرطب، والتتن (التبغ). ويقول: إنه وجدهما منسوبتين إليه في

---

(1) ترجمة رقم 778.

(2) تُراجع الرسالة في كشكول يوسف البحراني، مصدر سابق، ج3 ص396 والمناجاة في ج2 ص175.

(3) محفوظ، حسين، المنتخب، مصدر سابق، ص23، والتاجر، محمد علي، مستدرك المنتظم، مصدر سابق، ص57، وشبّر جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج6 ص24.

(4) قرية أبي صيبع من قرى البحرين. ووردت ترجمته عند التاجر، محمد علي، في مسودات المنتظم، مصدر سابق، ورقمها 728.

مجموعة خطية. وفي مستدرك المنتظم يضيف إليه أيضاً منظومة غزوة أُحد[1]. وكان قد صرّح في تقديمه للمنظومة الأخيرة ومنظومة «طوق بن الصباح»، أنهما لشعراء بحرانيين لا يستطيع تحديد أسمائهم. إلا أن النظرة المتأنية في أسلوب التناول وعرض الأفكار، والصيغ الفنية تشعر أن المنظومات الأربع لشخص واحد. وعلى هذا الأساس نسبناها جميعاً للإصبعي[2].

ويمكننا أن نعوّل على الاستنتاج في تحديد الفترة الزمنية التي عاش فيها هذا الشاعر، فعدم عثور التاجر على أي شيء من أخباره ربما دلّ على أنه عاش في فترة بعيدة عنه نسبياً. ومن ثم نرجّح أنه عاش في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. ولو أنه عاش قبله بقرن واحد لربما كانت المهمة أكثر سهولة. ولتساقطت إلينا بعض أخباره.

كما أن الموضوع الذي تطرحه المنظومات الأربع واحد. وهو قضية الصراع الدائر والمستعر بين العديد من الأطراف[3]. وكان القرن الثامن عشر من أكثر الفترات التي اشتدّ فيها الصراع بين القوى المختلفة لامتلاك البحرين. وعلى ذلك فالصراع الذي بُنيت عليه المنظومات هو انعكاس للصراع الدائر على الساحة السياسية التي عاصرها الشاعر. ومن ثم فهي انعكاس فني لواقعه.

(37) ج. «حسن المليلي الجدحفصي»[4]

ليس بين أيدينا ما يميط اللثام عن شخصية هذا الشاعر. وجلّ ما يمكن قوله إنه من شعراء الأراجيز القصصية. والراجح كما يقول المصدر الوحيد الذي حاول الترجمة له أنه ليس من العلماء الذين اهتم المؤرخون بشعرهم أو الترجمة لهم. وهو يميل إلى اعتباره من أبناء القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. ونحن نقول: إنه لو كان كذلك لربما وصلتنا شذرات من أخباره. لذا فنحن نرجح أنه من رجال القرن الثاني عشر، وأنه ربما كان معاصراً

---

(1) ص65.

(2) مما لاحظناه في دراستنا للشعر القصصي أن لكل قصّاص أسلوبه الفني في الصياغة. فحسن المليلي مثلًا لا يطعّم نصوصه ببحور مختلفة، ويحيى الشمالي الحلّي أو العرادي – نسبة إلى عراد من قرى البحرين – صاغ منظومته «الراحبة» على أساس المقاطع الخماسية، وقد دفعنا عدم وثوقنا من هويته البحرانية أو العراقية إلى استبعاد منظومته.

(3) يُراجع فصل الشعر القصصي ص335 وما بعدها.

(4) تُراجع ترجمته عند التاجر، محمد علي، المنتظم، مصدر سابق، ورقمها 227، وفي مستدركه، مصدر سابق، ص64.

للإصبعي وأنهما ربما تأثرا ببعضهما في التطرق للشعر القصصي. وإن كنا لا نملك الوصول إلى أيهما أسبق[1].

يقوّي اعتقادنا السابق أن الكثير من أبناء هذا القرن قد فاتتنا أخبارهم. كما أن موضوع منظومته «قصة السمك»، وهي النتاج الوحيد الذي وصلنا يرجح ذلك، فهي تقوم على الصراع بين السمك الحلال أكله والسمك المحرّم، وعلى النسق نفسه الوارد في قصص الأصبعي وكصدى لواقع الشاعر.

ويشير المصدر المذكور إلى أن لـ «المليلي» عدّة منظومات في المغازي بَيْدَ أننا لم نعثر عليها.

(38) د. «علي بن عبد اللَّه بن جعفر البوري»[2]

تندر المعلومات المتعلقة بأحوال المترجم. ويقال إنه محدّث أديب تقي صالح. وقد تلقى علومه في «البحرين». ويرجح التاجر أنه من أبناء القرن الثاني عشر.

تغلب على شعره نزعة روحية. وتنزع مراثيه إلى التهوين من شأن الدنيا ومظاهرها الخدّاعة، مع تمجيد للمثل العليا، خاصة مبدأ الزهد.

يميل في شعره إلى بساطة التعبير ووضوح المعاني، مع انصراف عن ضروب الزينة. وقد صاغ ما عثرنا عليه من شعره على بحري الطويل والخفيف.

(39) هـ. «عبد الحسين بن محمد الكاتب البلادي»[3]

عثرنا على شعر كثير لهذا الشاعر، بَيْدَ أننا لم نعثر له على ترجمة. ويدلّ إيراد لطف اللَّه بن علي لبعض قصائده في مختاراته أنه ربما كان من معاصريه أو من السابقين له بقليل[4].

جلّ ما وجدناه من شعره هو في رثاء الهاشميين. وغالباً ما يخصّص مقدماته للغزل ذي الطابع الحزين. فهو يذكر الحبيبة وقد يصف صفاتها الجمالية ثم ينفذ إلى الحديث عن لوعة الفراق وألم البعد، مما يوسم شعره بنزعة عاطفية رقيقة.

يعتني كغيره من الشعراء بالتاريخ وقد يتطرّق لوصف مأساة المرأة والطفولة.

---

(1) يُراجع فصل الشعر القصصي، ص333 وما بعدها.

(2) بوري من قرى البحرين. تُراجع خريطة (2) ص559 ووردت ترجمة الشاعر في مستدرك المنتظم ص62.

(3) التاجر، محمد علي، المسودات الأولى للمنتظم، مصدر سابق، ومحفوظ، حسين المنتخب، مصدر سابق، ص26.

(4) تُراجع ترجمة لطف اللَّه بن علي 540 رقم 33.

ويميل إلى النظم على البحور المألوفة. وأكثر ما وجدناه من قصيده مصاغ على وزن الطويل. كما ينظم على الكامل والبسيط.

(40) «حسين بن محمد بن أحمد العصفور»[1] (ت1216هـ/1801م)

من مشاهير علماء البحرين. درس على أبيه وأفراد أسرته التي اشتهر أبناؤها بالعلم والأدب. وحظي بمكانة فقهية مرموقة، وقد أثنى مترجموه على صفاته العلمية فأشادوا بقوة حافظته، ونوهوا بقدرته الواسعة على الاستيعاب.

ويبدو أنه نظراً لذيوع صيته توافد عليه طلاب العلم من المنطقة. فتتلمذ عليه جمع من علماء «القطيف» و«الأحساء» علاوة على البحرانيين، ووصل بعضهم إلى درجة فقهية عالية.

له العديد من المصنّفات، وهي تربو على الثلاثين، منها: النفحة القدسية، ومفاتيح الغيب؛ والتبيان في تفسير القرآن.

توفي في «البحرين» في إحدى المواقع الحربية متأثراً بجراحه، ويذكر أن له ديوان شعر، تنوف أبياته على السبعة آلاف. ولم نعثر إلا على أرجوزته «شارحة الصدور» وهي من المتون التعليمية وموضوعها الأصول الخمسة[2]. وقصيدة في مدح الإمام «عليّ» مصدّرة بمقدمة غزلية رقيقة، تخلّص بعدها إلى التنويه بمناقب الممدوح، واعتنى بتجسيد الفضائل معوّلاً على التصوير البياني خاصة التشبيه، كما حرص على جمال الصياغة مع الأخذ بفنون البديع باقتصاد. وصبّ إيقاعها الموسيقي في قوالب بحر الكامل.

(41) «أحمد بن حسن الدمستاني»[3] (ت1240هـ/1824م)

أخذ العلم عن أبيه وعن الشيخ «يوسف بن أحمد البحراني». وتتلمذ عليه عدد من العلماء، أشهرهم العالمان الأحسائيان المعروفان «أحمد بن زين الدين» (ت1242هـ

---

(1) ترجمته عند البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص207، وعند الأميني، عبد الحسين، شهداء الفضيلة، مصدر سابق، ص313، والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج6 ص140، والتاجر، محمد علي، المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 270، وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، مصدر سابق، ج4 ص44، وشبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج5 ص119.

(2) يُراجع الباب الثاني شعر العقيدة ص123 وما بعدها.

(3) وردت شذرات عنه عند الخوانساري في روضات الجنات، مصدر سابق، ج8 ص208، والبلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص220، والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج5 ص336 و495 و604، والتاجر، محمد علي، مسودات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 42، ومقدمة ديوان والده حسن الدمستاني ص52، وشبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج5 ص336.

/1826م) ومعاصره «عبد المحسن اللويمي»[1]. له بعض المؤلفات. وتندر المعلومات الخاصة به. ويبدو أنه عاش شطراً من حياته متغرّباً عن الوطن.

يظهر تأثره بوالده جلياً من خلال معارضاته لقصائده. وتتركز تجربته الشعرية حول مراثي الهاشميين. ويتسم بعض شعره بالتدفق العاطفي. وغلب على البعض الآخر النظم. ويميل في بعض الأحيان إلى تنميق أساليبه بالحلى اللفظية ولكن دون إسراف.

نظم على البحور الأساسية، ويأتي البسيط في مقدمة ما عثرنا عليه، يليه الطويل فالكامل. كما نظم على السريع والوافر. يُراجع جدول أوزانه في الجدول ص402.

(42) «علي بن إسماعيل بن محمد الغياث الغريفي»[2] (ت في حدود 1244هـ/1828م)

ولد هذا الشاعر في «البحرين» وتتلمذ على علمائها، ثم هاجر إلى «النجف» واستقر بها بسبب ظلم لحق به. وبقي هناك إلى أن توفي بالطاعون.

أخذ عن كبار فقهائها، كما أخذ عنه آخرون. وكان بارعاً في النحو والعربية حتى سمّي بـ «سيبويه».

يتسم ما روي له من شعر بالرصانة وقوة العبارة. ويظهر بجلاء تأثره بالأقدمين والسير على نهجهم، مع ميل للابتعاد عن مدرسة البديع.

(43) «علي بن محمد بن علي بن يوسف الصالحي»[3] (ت 1247هـ/1831م)

يوصف بأنه محدّث أصولي نحوي عروضي. وأخذ العلم عن علماء أسرة آل عصفور كالشيخ «حسين بن محمد» وأخيه «أحمد». له بعض المصنفات منها: رسالة في النحو وأخرى في المنطق.

على الصعيد الأدبي تدور تجربته الشعرية حول رثاء الهاشميين. واستثمر مقدّماته لأغراض الشعر الأخرى كالغزل والبكاء على ديار الأحبة المغادرين.

تجري أشعاره على السليقة تارة فترقّ معانيه، وتعذب أساليبه. وقد يعمد إلى إبراز

---

(1) تُراجع ترجمتها عند البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص406 و409. وَمَنَحَ المترجم الأول منهما إجازة حرّرها في 1205هـ/1790م، ونشرها حسين محفوظ في كتابه «إجازات الشيخ أحمد الإحسائي».

(2) ترجمته مستقاة من الخاقاني، علي، شعراء الغري، مصدر سابق، ج6 ص250، والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج8 ص167، والتاجر، محمد علي، مستدرك المنتظم، مصدر سابق، ص73.

(3) الصالحية من قرى البحرين، راجع خريطة (2) ص559. ووردت ترجمته عند التاجر، محمد علي، مسودات المنتظم، مصدر سابق، تحت رقم 687.

قدرتـه علـى اسـتخدام ألـوان البديـع فيسـرف فـي اسـتعماله لتأتـي أبياتـه معتسـفة متكلّفة.

ويظهـر ممـا عثرنـا عليه من شـعره ميله للنظم علـى البحور الأساسـية كالطويل والكامل والبسيط.

(44) «إبراهيـم بـن محمـد بـن حسـين بـن حاميـم آل نشـرة»[1] (كان حيـاً فـي 1250هـ /1834م)

ليـس لدينـا تصـور كامـل عن حياة هذا الشـاعر وشـعره. ولكـن يمكن القول أنـه ينتمي إلـى أسـرة لهـا اهتماماتهـا العلميـة والأدبيـة. وقـد بـرز عـدد مـن أبنائهـا فـي ميـدان الثقافة.

ويبـدو أنـه ممـن نـزح إلـى «النجف» واسـتقر بهـا، وبقي هنـاك إلى أن قضـى نحبه في أرضها. وقد عدّه البعض من شعرائها.

يظهـر أنـه قصـر شـعره على آل البيـت مدحاً ورثـاءً. ويتميز مـا وصلنا منـه – وهو قليل – بتدفّق العاطفة ورقّتها.

وقـد اعتنـى مثـل غيره مـن الشـعراء بالتاريـخ والتنويه بالقيـم الخلقية للهاشـميين. كما برز لديه ميل معتدل لاستعمال الزينة البديعية في الغالب.

وعلى صعيد الإيقاع بدا لنا أن الكامل هو البحر المفضل لديه.

(45) «خلف بن عبد علي بن حسين العصفور»[2] (ت 1273هـ/1856م)

يقدّمـه صاحـب منتظـم الدريـن علـى أنـه عالـم محـدّث. نشـأ فـي «البحريـن» وتخرج علـى شـيوخها، ثـم نـزح إلـى «بوشـهر» وتولـى إمامـة الجمعـة والجماعة، وبقـي هناك إلى أن قضى نحبه فيها.

يعـدّ لهـا التاجـر مـا يربـو علـى العشـرين مصنّفـاً أغلبهـا رسـائل. ومـن كتبـه «واضحـة البرهـان فـي ردّ مـن عمـل بظواهـر القـرآن» ورسـالة فـي الميـراث وأخـرى فـي علـم الحروف.

علـى صعيـد الأدب يوصـف بأنـه أديب شـاعر. ويقال: إن جلّ شـعره في رثـاء آل البيت،

---

(1) ترجـم له حفيده محمـد علي التاجر في المنتظم، مصدر سـابق، تحـت رقم 22، وعلي الخاقاني في شـعراء الغري، مصدر سابق، ج1 ص124. وشبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج6 ص318.

(2) البـلادي، علـي بن حسـن، أنـوار البدرين، مصـدر سـابق، ص213، والأمينـي، عبد الحسـين، شـهداء الفضيلة، مصدر سابق، ص319، والتاجر، محمد علي، مسودات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 302.

ولـم نتمكـن مـن الحصـول إلا على أبيـات قليلة له، تبـدو وكأنها مقدمـة عاطفية لمرثية حسينية، وفيها يتحسّر ويتأسّف على فراق «البحرين».

(46) «عبد اللّه بن أحمد الذهبة»[1] (ت 1277هـ/1860م)

مـن أهالـي قريـة «جدحفـص». نـزح مـن البحريـن وسـكن «مسـقط» ثـم «لنجـه» من توابع «إيران»، وبها توفي. وكان دائم التردّد على «البحرين» و«القطيف»[2].

يُقـال: إن لـه ديـوان شـعر كبيـر يتكـون مـن مجلديـن. ويظهـر أنـه نـال مكانـة أدبيـة مرموقة، فهناك تقريظات لأشعاره.

يـدور أكثـر شـعره حول رثـاء الهاشـميين. ويبدو أنه طـرق موضوعات الشـعر الأخرى إذ نعثـر لـه علـى موضوعـات في الألغـاز. وتبرز فـي مراثيه عنايـة بالموضوعـات المعتادة من اهتمام بالتاريخ وتصوير لمحنة المرأة. وعوّل على أسلوب الحوار لتجسيد ذلك.

تسـري فـي بعـض قصائـده نفحـة صوفيـة وعاطفة صادقـة. كمـا أن أشـعاره لا تخلو من متانة بناء، وكان يجنح إلى استخدام البديع ولكن باعتدال غالباً.

فـي موسـيقى الإطـار مـال إلـى بحـور المرتبـة الأولـى خاصـة الطويـل. ولـه أبيـات فـي مجزوء الكامل. كما نظم على السريع والخفيف.

(47) «صالح بن طعّان بن ناصر الستري»[3] (ت 1284هـ/1864م)

فقيـه تخـرّج علـى علمـاء البحرين. لم تُذكَـر له أية مصنّفـات. وحين وجهـت إليه بعض الأسئلة الفقهية مراسلة أجابها عنه ابنه أحمد بن صالح.

دارت مضامينـه الشـعرية حـول رثـاء الهاشـميين، وتأبيـن الفقهـاء الذيـن جمعتهـم بـه بعض الروابط خاصة شيوخ درسه.

يتصدر بحر البسيط ثم الكامل أوزانه الشعرية في حدود ما عثرنا عليه من شعر.

(48) «خليل بن علوي بن هاشم الجدحفصي»[4] (ت 1310هـ/1892م)

ينتمـي إلـى أسـرة «عبد الـرؤوف الحسـيني الجدحفصـي» العلميـة التـي أنجبـت عدداً من الشعراء الفقهاء.

---

(1) البـلادي، علـي بن حسـن، أنـوار البدرين، مصـدر سـابق، ص250، والتاجر، محمـد علي، مسـودات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 484 وشبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج7 ص98.

(2) تنظر المواقع على الخريطة رقم (1) ص558.

(3) التاجر، محمد علي، مسودات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة رقم (387).

(4) التاجـر، محمـد علـي، مسـودات المنتظـم، مصـدر سـابق، ترجمـة 308، والدجيلـي، عبد الكريـم، البنـد في الأدب العربي، مصدر سابق، ص126.

وتنـدر أخبـاره. ويدلّنـا شـعره علـى أنـه كان رقيـق الحـال، وأنـه اضطـر للمديـح طلبـاً للرفـد. كمـا يبـدو أنـه كان يتـردد علـى «القطيـف» و«العراق» طلبـاً للأمـن، وهروبـاً من الحاجة.

وبالرغـم مـن أنـه لم يكـن من العلمـاء إلا أن نتاجه يـدل على رصيد ثقافـي جيد خاصة فـي مجـال التاريـخ والأدب. وكان يرتبـط بعلاقـة صداقـة مـع العديـد مـن شـعراء «البحرين» و«العراق» و«الأحساء» وفقهائها.

لـه ديـوان مـا زال مخطوطـاً وقـدرت أبياته بأربعـة آلاف بيت إلا أن مـا وجدناه يقل عن هذا العدد.

تتعـدد مضاميـن شـعره الفكريـة وهـي لا تتعـدى موضوعات الشـعر العربـي التقليدية. ودار أكثرهـا حـول المدائـح النبويـة ورثاء الهاشـميين. كمـا أن تناوله للمعاني وأسـلوب صياغتها لم يخرج عن إطار الأقدمين.

وأبـرز ملمـح تجديـدي فـي شـعره ميلـه لكتابـة فـن البند، وهـو فن طرقـه أدباء أسـرته السابقون[1].

واعتنـى باسـتخدام البديـع، وتميـز اسـتعماله بالاعتـدال فـي أكثـر الأحيـان. يميـل إلـى اسـتخدام البحـور الأساسـية. وقد أتـى الطويل في المرتبـة الأولى تلاه الكامل فالبسـيط، يُراجع جدول البحور ص402.

(49) «أحمـد بـن صالـح بن طعّان بن ناصر السـتري»[2] (مـن 1251هـ /1835م إلى 1315هـ /1897م)

تلقّـى تعليمـه الأول فـي «البحرين»، ثم رحل إلـى «النجف» وتتلمذ علـى كبار فقهائها، وبعد عودته تفرّغ للتعليم.

اسـتقرّ بـه المقـام فـي «القطيـف» بعـد اضطـراب الأوضـاع فـي بـلاده وواصـل فيهـا التدريـس والتصنيـف. وظل على اتصـال بـ «البحرين»، فكان دائم التردد عليها لمباشـرة القضايا الفقهية، وتوفي في إحدى زياراته لها.

---

(1) يُراجع ديوانه ص68. وعن تعريف البند يُراجع ص412 وما بعدها من هذا البحث.

(2) سـترة ثالث جزر البحرين من حيث المسـاحة. وتُراجع ترجمته عند البلادي، علي بن حسـن، أنوار البدرين، مصـدر سـابق، ص252، والأميـن، محسـن، أعيان الشـيعة، مصـدر سـابق، ج2 ص606، والتاجـر، محمد علي، المنتظـم، مصـدر سـابق، ترجمـة 56، والخاقانـي، علـي، شـعراء الغـري، مصـدر سـابق، ج1 ص262، وأعـلام الزركلـي، مصـدر سـابق، ج1 ص135، وكحالـة، عمـر، معجـم المؤلفيـن، مصـدر سـابق، ج1 ص252، وشـبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج8 ص126.

بلغ مرتبة عالية في الإفتاء، وصار مرجع أهل البحرين والقطيف. له العديد من المصنّفات وهي تربو على الثلاثين بين رسالة وكتاب، منها «شرح اللمعة» و«زاد المجتهدين».

له ديوان شعر. ويقال: إن قسماً منه طبع في «الهند» بعد وفاته. ولكننا لم نتمكّن من العثور عليه.

تتركز أكثر موضوعاته حول رثاء الهاشميين ومديحهم. ويغلب على بعض نصوصه سمة النظم. كما أن له العديد من المنظومات الفقهية.

ينزع الشاعر لتكريم العقل، ويبرز ذلك من خلال مقدماته التي يمجّده فيها، ويدعو إلى التعويل عليه.

ويبدو هذا الشاعر مشغوفاً بالبديع، ويتجلّى ذلك من خلال عنايته بتنميق أشعاره بفنونه. وقد صاحب هذا الحرص اهتماماً بالمضمون الفكري. ويتمثل نزوع الشاعر إلى الزخرفة في جنوحه إلى نظم قصيدة «بديعية» في مدح الإمام «عليّ» مطلعها:

[بسيط]

بَدَيعُ مَدْحِي «عليٍّ» إِذْ عَلَا قَلَمِي بَرَاعَةً تستهِلُّ الفيضَ مِنْ كَلِمِي[1]

مال في الإيقاع الموسيقي إلى البحور الأساسية. وحسبما حصلنا عليه من شعره يأتي الطويل في مقدمة البحور التي نظم عليها. يليه الوافر فالكامل. هذا مع التفات واضح للنظم على مجزوء الرمل.

(50) «ناصر بن أحمد بن عبد الصمد آل شبانة الموسوي»[2] (من 1260هـ/1844م إلى 1331هـ/1912م)

ينتمي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر، من بيت شرف وعلم. ولد في «البحرين»، وانتقل مع والده إلى «مسقط» فـ «إيران»، ووفد على «النجف» وأخذ من كبار فقهائها.

استقرّ به المقام أخيراً في «البصرة». وأصبح فيها زعيماً ومرجعاً دينياً، وعُرف بدماثة الخلق، وتوفي بها عن عمر يقارب السبعين عاماً.

---

(1) البديعية غالباً ما تكون قصيدة طويلة تنظم على بحر البسيط، وعلى رويّ الميم ويتضمّن كلّ بيت من أبياتها نوعاً بديعياً. وموضوعها عادة المديح النبوي. يُراجع أبو زيد، علي، «البديعيات في الأدب العربي»، ط1، عالم الكتب، بيروت 1983، ص46 و47.

(2) ترجمته عند البلادي، علي بن حسن، أنوار البدرين، مصدر سابق، ص239، والأمين، محسن، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج10 ص201، والتاجر، محمد علي، مسودات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 949، وشبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج8 ص251.

تـدور أكثـر أشـعاره حـول رثـاء الهاشـميين، فيهتـم علـى شـاكلة شـعراء «البحريـن» بالتاريـخ. ويربـط بينـه وبيـن الواقـع فـي بعـض المقدمـات. وقد يسـتثمر ذلـك للتعبير عن توقه للعودة إلى الوطن.

يظهـر تعلّقـه بالقدمـاء مـن خـلال اسـتلهامه أفكارهـم وأسـاليبهم. ولـه تخميـس لبعض أبيـات الشـاعر العباسـي «حيـص بيـص». يميل إلـى التحرّر مـن مذهب البديع ويسـاير سجيته الشعرية في الغالب.

(51) «علـي بـن حسـن بـن علـي بـن سـليمان البـلادي»[1] (مـن 1274هـ/1857م إلـى 1340هـ/1921م)

ولـد فـي «البحريـن». وفي سـن الحاديـة عشـرة غادرها إلـى «القطيف» بسـبب انخرام الحالـة الأمنيـة. جمعتـه الغربـة هنـاك بـ «أحمـد بـن صالـح بـن طعّـان»، فتتلمـذ على يديـه وصاهـره واتخـذه أبـاً روحيـاً، وقـرأ عليـه النحـو والصـرف وعلـوم البلاغـة والفقه، سـافر بعـد ذلـك إلـى «النجـف» لإكمـال تحصيلـه العلمـي، وحصـل علـى الإجـازة مـن بعض علمائها.

صنّـف العديـد مـن الكتـب منها «أنـوار البدريـن» وهو أحـد مراجعنا المهمـة، وله أيضاً العديد من المنظومات الفقهية.

يـدور أغلـب شـعره حـول مديح الهاشـميين ورثائهم. ولـه أبيات في التأسّـف على فراق الوطن ومحنه.

تتّسـم بعـض أشـعاره بالنظـم. ويتميـز البعـض الآخـر بتدفـق العاطفـة. فـي موسـيقى الإطار نظم على الطويل والبسيط والكامل بصنفيه التام والمجزوء.

(52) «سـلمان بـن أحمـد بـن عبـاس بـن علـي بـن إبراهيـم آل نشـرة التاجـر»[2] (مـن 1307هـ/1889م إلى 1342هـ/1923م)

ولـد فـي «البحريـن». وتلقـى دروسـه الأولـى في «الهنـد» على يـد بعض رجـال التعليم البحرانييـن والعراقييـن. واصـل تلقّيـه فـي «البحريـن» علـى يـد شـيوخ القـراءة والعلم،

---

(1) تُراجـع ترجمتـه التـي دوّنها بنفسـه فـي كتابـه «أنـوار البدريـن» ص270، والأمين، محسـن، أعيان الشـيعة، مصـدر سـابق، ج8 ص185، والزركلـي، الأعلام، مصدر سـابق، ج4 ص276، وشـبّر، جـواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج9 ص28.

(2) التاجـر، محمـد علي، مسـودّات المنتظم، مصدر سـابق، خاصة الأخيرة منهـا التي تترجم للشـاعر تحت رقم 349، وشبّر، جواد، أدب الطف، مصدر سابق، ج9 ص84.

فأخذ عن «محمد بن صالح بن أحمد بن طعّان» (ت1333هـ/1915م)[1]، وعن «سلمان بن أحمد العصفور» (ت 1338هـ/1919م)[2]. ودرس بعض فصول النحو في «العراق». وأخذ في قرظ الشعر منذ سن الخامسة عشرة. كما يذكر شقيقه صاحب المنتظم. وشرع في تصنيف عدة مؤلفات إلا أن المنية عاجلته فحالت دون إتمامه أيٍّ منها.

يظهر أنه نال شهرة في الأوساط الأدبية بالبحرين، فقد استدعاه الأمير الشاعر «إبراهيم بن محمد الخليفة» إلى مجلسه في عام 1916م فأنشده على إثر اجتماعه به قصيدة عرّف فيها نفسه وأوضح فيها مبادئه[3].

شارك بشعره في تكريم الشخصيات العربية الداعية إلى الإصلاح التي زارت «البحرين». فله قصيدة في الإشادة بـ «أمين الريحاني» أنشدها إياه عام 1922م، وأخرى في مدح الداعية المصري «محمد علي يحيى السعيد»، نظمها في 15 رجب 1342هـ/1923م، وهي آخر شعره، إذ توفي بعدها بفترة قصيرة إثر انتشار وباء الطاعون[4].

يبدو التاجر شاعراً متدفق القريحة غزير الإنتاج. فله شعر ما زال مبعثراً في أيدي الناس، وفي بعض المجاميع الشعرية. وصرّح شقيقه بضياع الكثير منه في حياة الشاعر.

تتركز أغلب تجربته الشعرية حول رثاء الهاشميين، ويرقّ شعره في هذا اللون ويتسم بصدق العاطفة نتيجة تفاعل الذات الشاعرة مع الموضوع. وعوّل على أسلوب التصوير لتجسيد المأساة، والتفت التفاتاً واضحاً إلى محنة المرأة والطفولة. واتكأ على الأسلوب الحواري خاصة الخطاب من جانب واحد لتصوير معاناتها.

---

(1) يُراجع الزركلي، الأعلام، مصدر سابق، ج6 ص156.

(2) ترجمته التاجر، محمد علي، المنتظم، مصدر سابق، ورقمها 348.

(3) مما قاله فيها: (بسيط)

فإن تردْ صِفَتي خُذْهَا مفصَّلَةً ... مَا شَأنَهَا كَذِبٌ كَلاَّ ولا عَسْفُ

لي مِقوَلٌ صَارِمٌ حُرٌّ أَصُونُ بِهِ ... معنَى الوفاقِ لئلا يلزمُ الخِلْفُ

(4) رغم قرب العهد بهذا الشاعر ظلّت أخباره وكثير من جوانب حياته مجهولة. كما اتسمت المعروفة منها بعدم الدقة. فهناك جهل بتاريخ مولده، واختلاف حول سنة وفاته. وجلّ من ترجم له حدّدها بسنة 1925. كما أن الجزء الأكبر من شعره ما زال مطموساً. يُراجع ما قاله عنه محمد جابر الأنصاري في «لمحات من الخليج العربي»، مصدر سابق، ص163. ومبارك الخاطر في «نابغة البحرين: عبد اللّه الزائد»، مصدر سابق، ص59 إحالة (1) ود.علوي الهاشمي في «شعراء البحرين المعاصرون»، مصدر سابق، ص23. ونأمل أن نكون قد دقّقنا بعض تواريخ حياته، وكشفنا عن جانب من شعره في دراستنا خلال الأبواب المختلفة.

طرق موضوعات الشعر الأخرى خاصة الرثاء، فرثى والده وأساتذته[1]، ومدح من يراه أهلاً من المصلحين. وهو ذو قدرة على النظم، فله أرجوزة صاغ فيها معاني الفيلسوف الفرنسي «جوستاف لوبون» الواردة في كتابه «جوامع الكلم» وأطلق عليها الاسم نفسه[2].

اعتنى في شعره بالمضمون الفكري، وتجاوز الحلى اللفظية تارة واستخدمها باعتدال تارة أخرى.

اتخذ الإطار الموسيقي لشعره نهجاً مغايراً لما كان شائعاً عند شعراء الفترة. فقد تقدّم الخفيف على بقيّة البحور. وكان المألوف تقدّم الطويل. وتلاه الكامل فالبسيط[3]، وأتت هذه البحور الثلاثة مرتبة بالتوالي بعد الخفيف.

(53) «إبراهيم بن محمد بن خليفة آل خليفة»[4] (من 1267هـ/1850م إلى 1352هـ /1933م)

ولد هذا الأمير في مدينة «الـمُحَرَّق[5]. وهو ينتمي إلى الأسرة الحاكمة. وكان والده حاكماً للبحرين لفترات متقطّعة. ثقافته تقليدية قوامها القرآن الكريم والتاريخ والتراث الشعري العربي.

في عام 1885م توجّه إلى مكة المكرمة وأخذ عن كبار علمائها اللغة العربية والأدب والفقه. وفي العام الموالي أثناء مرافقته لوالده المنفي زار العديد من مناطق الجزيرة العربية، كـ «عدن» ونواحيها. كما عرّج على «البصرة»، وقد أتاحت له تلك الرحلة الاحتكاك بالعديد من الأدباء والتعرّف على ما برز من أفكار في تلك المناطق، فأثرى ذلك رصيده الثقافي.

له مساهمته الفعّالة في خدمة الحياة العلمية، فقد شغل منصب نائب الرئيس

---

(1) ذكرنا شواهد من مرثيته لوالده في موضوع المعارضات ص489 وما بعدها. وتُراجع مرثيته في أستاذه سلمان العصفور في الرياض ص621.

(2) نقلها إلى العربية أحمد فتحي زغلول (الكاتب المصري ت1332هـ/1914م) وطبعت في مصر في عام 1922. ونظم الشاعر جزءاً كبيراً منها وتوفي قبل إتمامها.

(3) راجع جدول الأوزان 402.

(4) يُراجع عنه الريحاني، أمين، ملوك العرب، مصدر سابق، ج2 ص215 وما بعدها. والتاجر، محمد علي، مسودّات المنتظم، مصدر سابق، ترجمة 23. والأنصاري، محمد جابر، المجموعة الكاملة لآثار الشيخ إبراهيم، مصدر سابق، وهي أهم وثيقة لنتاج الشاعر. يُراجع أيضاً مبارك الخاطر: نابغة البحرين ص23 ود.علوي الهاشمي: شعراء البحرين المعاصرون، مصدر سابق، ص15.

(5) كانت عاصمة البحرين آنذاك، وهي ثاني المدن الآن.

لمجلس المعارف عام 1919م، ورأس النادي الأدبي الذي رعى الحركة الأدبية في البلاد. وفي عام 1922م التقى بـ «أمين الريحاني» أثناء زيارته لـ «البحرين». وقد قال عنه في كتابه «ملوك العرب» بأنه أشدّ ميلاً إلى الأدب والشعر منه إلى السياسة، ووصفه بأنه شيخ الأدباء والشعراء في «البحرين»، وأنه رجل عصري التفكير، مطّلع على الصحافة العربية، ومتصل بالحركة الثقافية العالمية.

له ديوان شعر مطبوع، ويأتي المضمون الوجداني بما فيه من غزل وصبابة ومناجاة ومعاتبة للدهر في مقدمة الأغراض الشعرية التي طرقها. ويحتلّ موضوع الإخوانيات مكانة واضحة. وللشاعر علاوة على ذلك مراثٍ لبعض أفراد أسرته.

يجنح على مستوى الأداء الفني إلى الاهتمام بنصاعة الأسلوب واعتماد التركيب العربي التقليدي أساساً للتعبير عن تجربته. وقد دفعه ذلك إلى الانسياق وراء سجيّته الشعرية، مع محاولة لتجاوز مذهب الصنعة، أو استخدامه باقتصاد في بعض الأحيان.

في موسيقى الإطار شكّل وزن الطويل القاعدة الإيقاعية الأساسية التي نظم عليها شعره. وقد أتى الوافر ثم البسيط في مراتب تالية.

(54) «طه بن إبراهيم العرادي»[1] (من 1283هـ/1866م تقريباً إلى 1363هـ/1943م)

تتلمذ على علماء «البحرين»[2]. وغلبت ثقافته الأدبية واللغوية والتاريخية على ثقافته الدينية. ووصفه المصدر الوحيد الذي ترجم له بأنه شاعر لغوي نحوي، وساعدته حياته الطويلة – عاش ما يقارب الثمانين عاماً – على إثراء ثقافته.

له ديوان شعر ما زال مخطوطاً.

وخصّص الجزء الأكبر من تجربته الشعرية لرثاء الهاشميين ومديحهم.

ويظهر في نظمه لهذا اللون عنايته بالجانب التاريخي، وتصوير محنة المرأة، كما

---

(1) يدلّ لقبه على أن أصله من عراد، إحدى قرى البحرين، ولكنه سكن مدينة المنامة وعاش فيها طوال حياته إلى أن توفي. تُراجع ترجمته في المنتظم، مصدر سابق، ورقمها 401.

(2) دعا في إحدى مطولاته لاثنين من شيوخه فقال: [خفيف]

فَقِنِي بالقِيَام والآلِ طُرّاً ... مع آبائي الكرام بلاها

ثم أشياخي الأماجد منها ... أحمد وابن ماجد نبلاها

وذهب التاجر في المصدر نفسه إلى أن المذكورين هما أحمد بن محمد العصفور (ت1315هـ/1897م) وتقع ترجمته في المصدر نفسه تحت رقم (100) والثاني هو محمد بن علي بن ماجد الجشي. ولم نجد له ترجمة أو تاريخ وفاة.

هـو شـائع عنـد شـعراء الفتـرة. ونلحـظ شـغفه بوصـف البطولـة وتمجيـد مـا يـدور في فلكها من مثل عليا، كالنجدة والشهامة والعفّة وما إليها.

طـرق أغـراض الشـعر الأخـرى فرثـى مـن قضـى مـن العلمـاء. ولـم نجـد لـه مديحـاً في أحـد. وأغـرم بالمعارضـات، فعـارض قصائـد قديمـة وحديثـة. وغلـب علـى معارضاتـه للأقدميـن اسـتعارة القالـب الفنـي فقـط. ومـع هـذا الخـروج عـن الإطـار الموضوعـي برزت ظلال واضحة للتأثر.

وشـغف بالتخميـس، فخمّـس الكثيـر مـن الأبيـات المنسـوبة لشـخصيات مـن آل البيت كالإمـام «علـيّ» وابنيه «الحسـن» و«الحسـين» والسـيدة «فاطمة الزهـراء» ومن إليهم. وتبرز عنده سمة أخرى هي تخميس بعض قصائده الخاصة.

يعتنـي الشـاعر بالمضمـون الفكـري لقصائـده، ويميل إلـى التحرّر من قيـود الصنعة مع حرص على تخيّر ألفاظه وتعابيره.

يغلـب علـى شـعره طـول النفس وأشـرنا إلى أن لـه قصيدة عدّتهـا حوالي ثمانية وسـت مئة بيت[1].

فـي موسـيقى الإطـار نلحـظ تقـدّم بحر الطويـل، ويليه البسـيط، هذا مـع التفات واضح للنظم على السريع والخفيف.

(55) «محمـد بـن عيسـى بن علـي بن خليفـة الخليفـة»[2] (الوائلـي) (مـن 1296هـ/1878م إلى 1384هـ/1964م)

أميـر مـن البيـت الحاكـم. قـرأ القـرآن فـي سـنّ الخامسـة. وتلقـى ثقافتـه فـي مجلس والده حاكم «البحرين» الذي كان يعجّ بالوفود التي تحمل معها شعرها وأنسابها.

وشـكّلت جولاتـه وتنقلاتـه الكثيـرة بيـن بلـدان العالـم المختلفـة عربيـة وغيـر عربيـة ركيـزة هامـة مـن ركائـز ثقافتـه. وكان كثيـر التـردّد علـى «القاهـرة» والإقامة فيهـا. مما أتاح له الاحتكاك المباشر بشعرائها وأدبائها.

لـه دور واسـع فـي إنعـاش الحركـة الأدبيـة فـي «البحريـن». وهـو مـن مؤسسـي النادي الأدبـي عـام 1921م. ورعـى الشـعراء، وسـهّل قـدوم العديـد مـن الأدبـاء والمفكريـن العرب إلى البلاد.

نشـر الكثيـر مـن نتاجـه الأدبي تحت اسـم «الوائلي» فـي جريدة البحرين التي أنشـئت عام 1941م، ومنها اكتسب هذا اللقب.

---

(1) يُراجع الباب الرابع، موضوع التخميس ص501 وما بعدها.

(2) تُراجع مقدمة الديوان بطبعتيه الأولى ص11 وما بعدها، والثانية ص5 وما بعدها.

لـه ديـوان شـعر طبع مرتين: الأولـى في القاهرة عـام 1975م، والثانية فـي البحرين عام 1987م.

طـرق العديـد مـن أغـراض الشـعر العربـي. ويمثّـل شـعر الغـزل أبـرز معالـم تجربتـه الشـعرية. ومـن الموضوعـات الحديثـة التي عرض لها موضـوع الإيقـاظ الوطني والحثّ على النهوض بالمجتمع.

اسـتلهم فـي نتاجـه الأدبـي روح الشـعر العربـي القديـم. فنـرى فـي نصوصـه آثـاراً مـن غـزل «عمـر بـن أبـي ربيعة» وحكمـة «المتنبـي» و«الرضـي» وشـعر «مهيـار الديلمي» وغيرهم. وتتميز أكثر قصائده برقّة العاطفة وعذوبة الألفاظ.

سـاير فـي تعابيـره الفنيـة طبعه الشـعري، ونـادراً مـا كان يعتني بمذهـب الصنعة. ومن الملامـح المميـزة لشـعره اتخـاذه وزن الكامـل إطـاراً موسـيقياً نظـم عليـه الكثيـر مـن أشعاره فأتى هذا البحر في مقدمة أوزانه، تلاه الطويل فالبسيط[1].

(1) يُراجع جدول (1) في باب الأوزان والقوافي ص402 وص422.

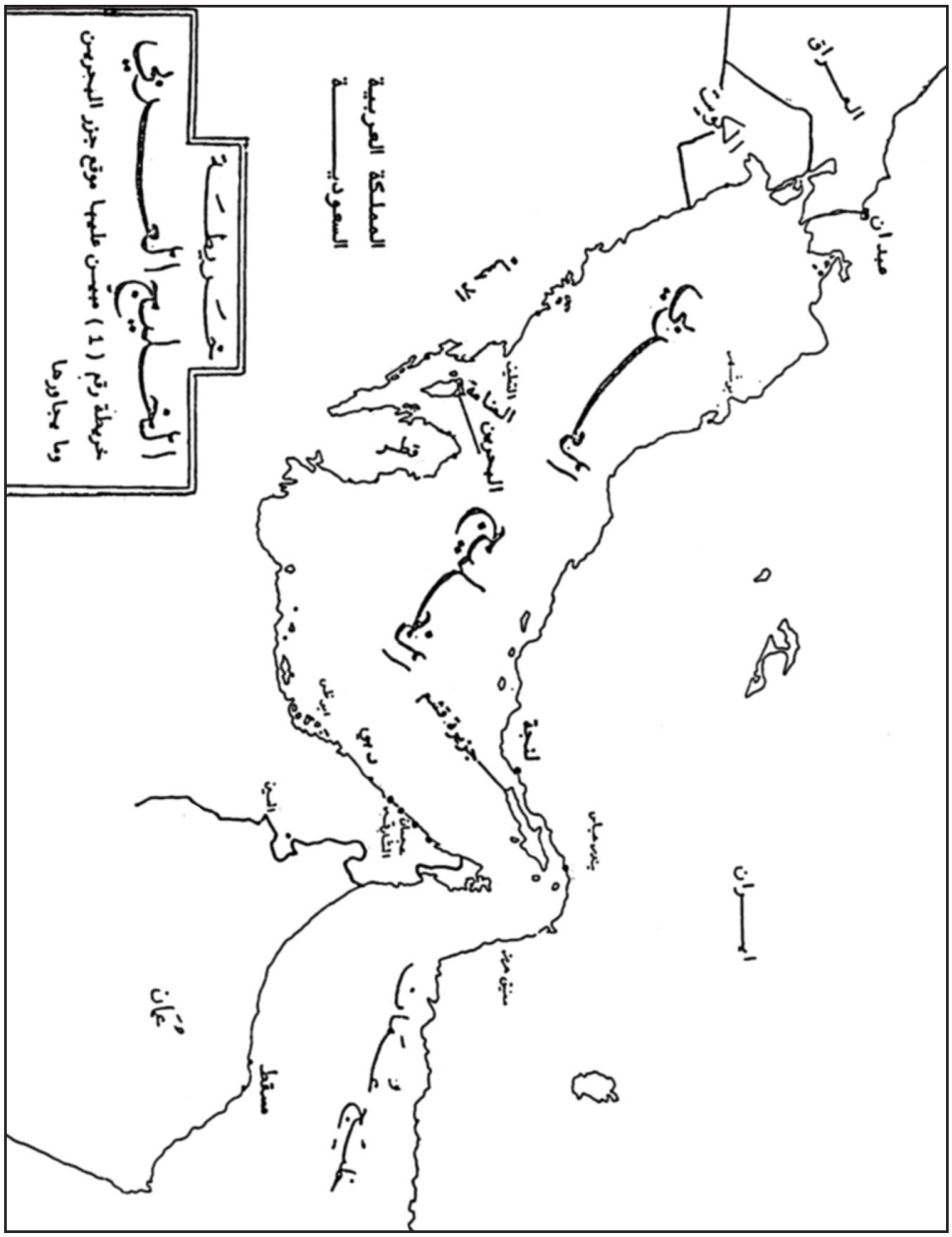

خريطة رقم (1) مبيّن عليها موقع جزر البحرين وما يجاورها

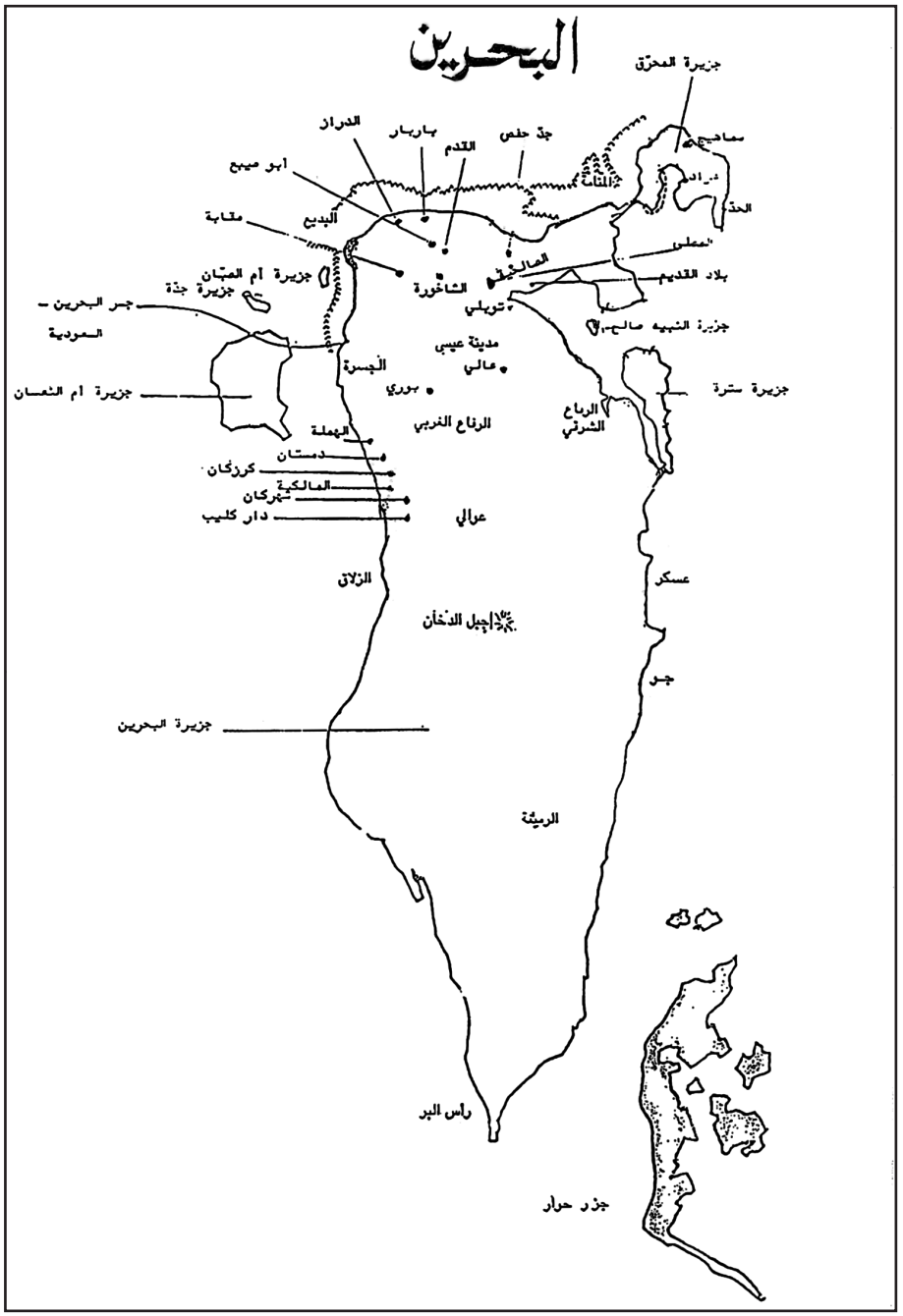

خريطة رقم (2) وهي لجزر البحرين مبيّن عليها أهم الجزر والمدن والقرى

فهرس المصادر والمراجع [1]

(1) رتبنا المصادر تاريخياً بقدر الإمكان. ورتبنا المراجع هجائياً.

مصادر المدوّنة الشعرية

أولاً: الدواوين الشعرية:

أ ـ المطبوعة:

1. ديوان جعفر الخطي - مطبعة الحيدري - طهران 1373هـ - 1953م.
2. ديوان حسن الدمستاني - نشر مكتبة العلوم العامة بالبحرين وطبع مطبعة النعمان بالنجف د.ت.
3. شعر إبراهيم بن محمد الخليفة المجموع تحت اسم «المجموعة الكاملة لآثار الشيخ إبراهيم بن محمد الخليفة - أشعاره ورسائله» - تحقيق وشرح محمد جابر الأنصاري - بإشراف مديرية التربية والتعليم - البحرين - 1968م.
4. ديوان محمد بن عيسى الخليفة أو ديوان الوائلي الطبعة القديمة بمراجعة العوضي الوكيل - المطبعة العالمية - القاهرة 1975م.

   الطبعة الجديدة بتحقيق علي أبا حسين - المطبعة الحكومية - دولة البحرين - 1987م.

ب - الدواوين المخطوطة:

5. ديوان خليل بن علوي.
6. شعر طه إبراهيم المرادي المكوّن من مخطوطيّ «رثاء أهل البيت» و«رثاء الحسين».

ثانياً: الاختيارات الشعرية:

أ - المخطوطة:

7. مجموعة (1) تاريخ نسخها 1265هـ/1848م.
8. مجموعة (2) وهي عبارة عن منظومات ومطولات شعرية جُمِعت من عدّة جهات.

ب - المطبوعة:

1. الطريحي (فخر الدين) المنتخب في جمع المراثي والخطب المسمى بالفخري مؤسسة الأعلمي - بيروت - د.ت.
2. البلادي (حسين بن علي آل الشيخ سليمان) رياض المدح والرثاء - دار الإرشاد العامة - البحرين - ط3 - د.ت.
3. محفوظ (حسين) المنتخب من أدب البحرين - شركة طباعة تابان - طهران 1375هـ - 1955م.

ثالثاً: مدوّنة التراجم والنقد وكتب الأدب العامة:

أ - المطبوعة:

1. ابن معصوم المدني (علي خان بن أحمد) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر - المكتبة المرتضوية - 1324هـ.
2. المحبّي (محمد أمين فضل اللّه) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة - تحقيق عبد الفتاح الحلو - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ط1 - 1963م.
3. البحراني (يوسف بن أحمد آل عصفور) أنيس المسافر وجليس الخاطر المعروف بالكشكول - نشر مكتبة نينوى - طهران - طبع مطبعة النعمان - النجف - د.ت.
4. البلادي (علي بن حسن) أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين - مطبعة النعمان - النجف - 1377هـ.
5. الأمين (محسن) أعيان الشيعة - دار التعارف - بيروت - 1983م.
6. الخاقاني (علي) شعراء الغري - النجفيات - منشورات دار البيان - بغداد - 1374هـ - 1954م.
7. الأميني (عبد الحسين) الغدير في الكتاب والسنّة والأدب - دار الكتاب العربي - بيروت ط4 - 1977م.
8. شبّر (جواد) أدب الطف أو شعراء الحسين - مؤسسة الاعلمي - بيروت - ج1، 1969م وج10، 1980م.

ب - المخطوطة:

1. العصفور (حسين بن محمد) : المقتل (مقتل الحسين).
2. التاجر (محمد علي) - مسودّات منتظم الدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين.
3. التاجر (محمد علي): مسودّات مستدرك منتظم الدرّين.

المراجع

1. **القرآن الكريم**
2. الآمدي (الحسن بن بشر): **المؤتلف والمختلف** - بتصحيح كرنكو - دار الكتب العلمية - بيروت - 1982م.
3. ابن الأثير (علي بن محمد الجزري):
   - **أسد الغابة في معرفة الصحابة** - تحقيق محمد إبراهيم البنّا وزميلاه - طبعة دار الشعب - القاهرة 1970م.
   - **الكامل في التاريخ** - دار الكتاب العربي - بيروت - ط4 - 1983م.
4. الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد اللّه): **نزهة المشتاق** - الجزء الخاص بجزيرة العرب - نشر مجلة المجمع العلمي العراقي - بغداد - 1971م.
5. الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين):
   - **الأغاني** - الدار التونسية للنشر - 1983م.
   - **مقاتل الطالبيين** - تحقيق أحمد صقر - مؤسسة الأعلمي - بيروت - ط2 - 1987م.
6. ابن أعثم الكوفي (أبو محمد أحمد): **الفتوح** - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 1986م.
7. امرؤ القيس: **ديوانه** - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - ط4 - 1984م.
8. الأمين (حسن): **دائرة المعارف الإسلامية الشيعية** - دار التعارف للمطبوعات - بيروت - ط3 - 1981م.
9. الأميني (عبد الحسين): **شهداء الفضيلة** - مؤسسة الوفاء - بيروت - ط2 - 1983م.
10. أنيس (إبراهيم):
    - **موسيقى الشعر** - دار القلم - بيروت - ط4 - 1972م.
    - **الأصوات اللغوية** - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ط6 - 1981م.

11. الأنصاري (محمد جابر): **لمحات من الخليج العربي** - الشركة العربية للوكالات والتوزيع - البحرين - ط1 - 1970م.
12. البحتري (أبو عبادة الوليد بن عبيد): **حماسته** - ضبط الأب لويس شيخو اليسوعي - دار الكتاب العربي - بيروت - ط3 - 1967م.
13. التهامي (علي بن محمد): **ديوانه** - تحقيق علي نجيب عطوي - دار ومكتبة الهلال - بيروت - 1986م.
14. الجابري (علي حسين): **الفكر السلفي عند الشيعة الاثني عشرية** - مكتبة الفكر الجامعي - بيروت - ط1 - 1977م.
15. الجابري (محمد صالح): **الشعر التونسي المعاصر** - الشركة التونسية للتوزيع - 1974م.
16. الجاحظ (عمرو بن بحر):
- **البيان والتبيين** - تحقيق عبد السلام هارون - مؤسسة الخانجي - القاهرة - ط3 - د.ت.
- **رسائله** - المطبعة الرحمانية - مصر - ط1 - 1933م.
17. الجاسر (حمد): **المعجم الجغرافي** - منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - ط1 - 1979م.
18. جرير بن عطية الخطفي: **ديوانه** - شرح محمد إسماعيل الصاوي - دار مكتبة الحياة - بيروت - د.ت.
19. ابن جعفر (قدامة): **نقد الشعر** - تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي - مكتبة الكليات الأزهرية - ط1 - 1978م.
20. جمال الدين (مصطفى): **الإيقاع في الشعر العربي** - مطبعة النعمان - النجف - 1970م.
21. ابن الجوزي (السبط شمس الدين يوسف بن فرغلي): **تذكرة خواص الأمة** - مؤسسة أهل البيت - بيروت - 1981م.
22. أبو حاكمة (أحمد مصطفى): **تاريخ شرقي الجزيرة العربية** - تعريب محمد أمين عبد اللّه - دار مكتبة الحياة - بيروت - د.ت.
23. الحاوي (إيليا): **فنّ الوصف** - دار الكتاب اللبناني - ط3 - 1980م.
24. ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي): **الإصابة في تمييز الصحابة** - دار إحياء التراث العربي - بيروت - مصوّر عن الطبعة الأولى - 1328هـ.
25. ابن أبي الحديد (عبد الحميد بن محمد):

- **شرح نهج البلاغة** - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء التراث العربي- بيروت ط2 - 1965م.
- **القصائد العلويات** - مطبوعة ضمن الروضة المختارة - مؤسسة الأعلمي - بيروت - ط1 - 1972م.

26. الحرّ العاملي (محمد بن الحسن): **أمل الآمل** - تحقيق أحمد الحسيني - مكتبة الأندلس - بغداد - ط1 - 1385هـ.
27. ابن حزم (علي بن أحمد): **جمهرة أنساب العرب** -تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف - مصر - ط5 - 1982م.
28. الحسيني (مرتضى): **فضائل الخمسة من الصحاح الستة** - منشورات الأعلمي - بيروت - ط4 - 1982م.
29. الحصري القيرواني (إبراهيم بن علي): **زهر الآداب** - تحقيق علي البجاوي - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ط2 - 1969م.
30. الحلو (عبد الفتاح): **شعراء هجر** - دار العلوم - الرياض - 1981م.
31. الحلّي (الحسن بن يوسف المطهّر): **نهج الحق وكشف الصدق** - دار الكتاب اللبناني - بيروت - 1982م.
32. الحمداني (أبو فراس): **ديوانه** - دار صادر - بيروت - د.ت.
33. الحموي (شهاب الدين ياقوت):
    - **معجم البلدان** - دار صادر - بيروت - 1984م.
    - **معجم الأدباء** - دار الفكر - بيروت - ط3 - 1980م.
34. حميدة (عبد الحسيب طه): **أدب الشيعة** - مطبعة السعادة - مصر - ط2 - 1968م.
35. الحميري (محمد عبد المنعم): **الروض المعطار** - تحقيق إحسان عباس - مكتبة لبنان - ط2 - 1984م.
36. ابن حنبل (الإمام أحمد): **مسنده** - دار صادر - د.ت.
37. ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي): **صورة الأرض** - مكتبة الحياة - بيروت - 1979م.
38. الإمام الشافعي (محمد بن إدريس): **ديوانه** - دار الجيل - بيروت - د.ت. تاريخ المقدمة 1971م.
39. الشبلنجي (مؤمن بن حسن): **نور الأبصار** - الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ط1 - 1983م.
40. ابن شهر آشوب (رشيد الدين محمد بن علي): **مناقب آل أبي طالب** - المطبعة الحيدرية - النجف - 1956م.

41. الصاحب بن عبّاد: **ديوانه** - تحقيق محمد حسن آل ياسين - مكتبة النهضة - بيروت ط2 - 1974م.

42. صبحي (أحمد محمود): **البحرين ودعوى إيران** - مطبعة عوف - الإسكندرية - 1963م.

43. الصدوق (أبو جعفر محمد بن بابويه القمّي): **أماليه** - مؤسسة الأعلمي - بيروت - ط5 - 1980م.

44. ضيف (شوقي):

- **عصر الدول والإمارات** - دار المعارف - مصر - 1980م.
- **الرثاء** - دار المعارف - مصر ط2 - د.ت.

45. الطائي (عبد اللّه بن محمد): **الأدب المعاصر في الخليج العربي** - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة - 1974م.

46. الطاهر (علي جواد): **مقدمة في النقد والأدب** - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط1 - 1979م.

47. ابن طباطبا العلوي (محمد بن أحمد): **عيار الشعر** - تحقيق عباس عبد الساتر - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 1982م.

48. الطباطبائي (عبد الجليل): ديوانه المسمّى: **روض الخلّ والخليل**- طبع على نفقة أمير البحرين - 1964م.

49. الطبرسي (أحمد بن علي): **الاحتجاج** -مؤسسة الأعلمي - بيروت - ط2 - 1983م.

50. الطبري (محبّ الدين أحمد بن عبد اللّه): **الرياض النضرة في مناقب العترة** - دار الكتب العلمية - بيروت - د.ت.

51. الكتبي (محمد بن شاكر): **فوات الوفيات** - دار صادر - بيروت - 1973م.

52. كحالة (عمر رضا): **معجم المؤلفين** - دار إحياء التراث العربي - بيروت - د.ت.

53. الكميت بن زيد الأسدي: **القصائد الهاشميات** شرح محمد شاكر الخياط - مطبعة الموسوعات القاهرة - د.ت.

54. اللامي (عبد الرحمن كريم): **الأدب العربي في الأحواز - من مطلع القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر** - منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالعراق - بغداد 1985م.

55. لوريمر (جون جوردون):

- دليل الخليج - القسم الجغرافي.
- دليل الخليج - القسم التاريخي.

تعريب قسم الترجمة بديوان أمير دولة قطر - وطبع في الدوحة في سنوات متفرقة ابتداءً من الستينيات.

56. ابن ماجد (شهاب الدين): **الفوائد في أصول علم البحر والقواعد** - تحقيق إبراهيم خوري وعزة حسن - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1971م.

57. الماحوزي (سليمان بن عبد اللّه): **فهرست علماء البحرين** - مطبوع ضمن فهرست آل بابويه لنفس المؤلف - منشورات مكتبة آية اللّه المرعشي النجفي - قم - 1404هـ.

58. مبارك (زكي): **المدائح النبوية** - دار الشعب - د.ت.

59. آل مبارك (عبد اللّه): **الأدب العربي المعاصر في الجزيرة العربية** - القسم الأول - الشعر في شرقي الجزيرة - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة - 1973م.

60. المتقي الهندي (علاء الدين علي): **كنز العمّال** - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط5 - 1985م.

61. المتنبي (أحمد بن الحسين): **ديوانه بشرح عبد الرحمن البرقوقي** - دار الكتاب العربي - بيروت - 1979م.

62. ابن المجاور (جمال الدين يوسف بن يعقوب): **صفة بلاد اليمن المسمّى تاريخ المستبصر** - ضبط أوسكر لوفغرين - ليدن 1951م.

63. المجلسي (محمد باقر): **بحار الأنوار** - مؤسسة الوفاء - بيروت - ط2 - 1983م.

64. محفوظ (حسين):

- **مصادر دراسة تراث البحرين** - نشر مركز دراسات الخليج العربي - جامعة البصرة ضمن مجموعة البحوث التي ألقيت في الندوة العلمية العالمية الثانية المركز.
- **كتاب إجازات الشيخ أحمد الأحسائي** - مطبعة الآداب - النجف - 1971م.

65. المحبّي (محمد أمين): **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** - دار صادر - بيروت - د.ت.

66. المرادي (الحسن بن قاسم): **الجني الداني في حروف المعاني** - تحقيق فخر الدين قباوة وزميله - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط2 - 1983م.

67. الشريف المرتضى (علي بن الحسين):

- **ديوانه** - تحقيق رشيد الصفار - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - 1958م.
- **أمالي المرتضى** - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الكتاب العربي - بيروت - ط2 - 1967م.

68. المرزباني (محمد بن عمران): **معجم الشعراء** - تصحيح وتعليق ف. كرنكو - دار الكتب العلمية - بيروت - ط2 - 1982م.
69. المرزوقي (محمد وزميله): **يا ليل الصبّ ومعارضاتها** - الدار العربية للكتاب - 1986م.
70. مريدن (عزيزة): **اللغة الشعرية في العصر الحديث** - دار الفكر - دمشق - ط1 - 1984م.
71. ابن مزاحم المنقري (نصر): **موقعة صفين** - تحقيق عبد السلام هارون - المؤسسة العربية الحديثة - القاهرة - ط3 - 1981م.
72. المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين): **مروج الذهب** - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - ط4 - 1964م.
73. الإمام مسلم بن الحجاج: **صحيحه** - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - د.ت.
74. المسلم (محمد سعيد): **ساحل الذهب الأسود** - منشورات دار الحياة - بيروت - د.ت.
75. ابن المعتز (عبد اللّه): **كتاب البديع** - دار المسيرة - بيروت - ط3 - 1982م.
76. الواقدي (محمد بن عمر): **كتاب المغازي** - عالم الكتب - بيروت - د.ت.
77. ولبر (دونالد): **إيران ماضيها وحاضرها** - تعريب عبد المنعم محمد حسين - دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني - ط2 - 1985م.

الدوريات

1. مجلة تراثنا اللبنانية: الأعداد 1 و6 و7 و8 و10 و15.
2. مجلة صوت البحرين - العدد 3 - السنة الثانية.
3. مجلة لغة العرب العراقية - العدد 9 - آذار 1912م.
4. مجلة الوثيقة البحرانية - الأعداد من 1 - 12.

الكشاف العام

الكشاف العام

أ

آشور: 21.

آقا بزرك الطهراني: 29، 83، 97، 101، 102، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 113، 125، 126، 142، 150، 164، 165، 504، 523، 524، 525، 528، 534.

آل بو عينين: 69.

آل البيت: 14، 29، 30، 46، 106، 113، 123، 124، 125، 141، 146، 147، 148، 149، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 158، 163، 165، 166، 173، 176، 192، 197، 205، 207، 219، 223، 231، 233، 234، 236، 240، 249، 255، 307، 310، 321، 337، 354، 363، 403، 436، 493، 495، 521، 532، 535، 540، 548.

آل خليفة: 57، 58، 61، 62، 63، 64، 66، 67، 68، 69، 326، 495.

آل رقبة: 42.

آل صباح: 57، 62.

آل عبد اللَّه: 64.

آل عبد الدار: 339.

آل عبس: 343.

آل كنانة: 221.

آل مبارك: 97.

آل مذكور: 56، 57، 61.

أبان بن سعيد بن أبي العاص: 29، 35.

إبراهيم آل نشرة: 153، 155، 215، 241، 248، 276، 378، 396، 452، 479، 548.

إبراهيم أنيس: 403، 404، 405، 406، 410، 418، 420، 421، 425.

إبراهيم بن عبد اللَّه: 506.

إبراهيم بن عبد النبي القدمي: 110، 113.

إبراهيم بن علي البلادي: 142، 150.

إبراهيم بن محمد الخليفة: 97، 115، 117، 119، 124، 256، 260، 263، 268، 280، 288، 325، 363، 372، 382، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 420، 423، 424، 433، 434، 456، 477، 504، 505، 553، 554.

إبراهيم بن محمد الطيبي: 38.

إبراهيم بن محمد بن عبد اللَّه (الخواجة): 312.

إبراهيم بن محمد: 70.

إبراهيم بن هلال الصابي: 492.

إبراهيم السعافين: 128، 129، 130، 132، 511.

إبراهيم العريض: 353.

ابن أبي الحديد: 27، 29، 30، 35، 42، 110، 157، 158، 164، 166، 212، 221، 223، 231، 239، 244، 342، 507.

ابن أبي حجلة: 296.

ابن الأثير: 29، 170، 185، 188، 192، 196، 207، 212، 222، 303، 341، 395.

ابن أعثم الكوفي: 196، 212، 227.

ابن بابويه القمي = الصدوق
ابن بطوطة: 30.
ابـن الجـوزي: 186، 194، 196، 201، 206، 208، 220، 237، 244، 246.
ابن حجر العسقلاني: 29، 30، 31، 35، 43، 222.
ابن حوقل: 26.
ابن خالويه: 505.
ابن خلدون: 22، 27، 28، 30، 34، 36، 37، 38.
ابن خلكان: 45، 151، 506، 529.
ابن رشـيق: 191، 231، 311، 314، 371، 431، 436، 447.
ابن الرومي: 192، 496.
ابن زكريا: 37.
ابن زيدون: 496.
ابن سناء الملك (هبة اللَّه بن جعفر): 529.
ابن سينا: 40، 93.
ابـن شهرآشـوب: 163، 187، 190، 198، 208، 212، 220، 222، 227، 503.
ابن الصائغ: 529.
ابن طباطبا: 311.
ابن عباس: 43.
ابن عبد البر: 222.
ابن عبد ربه: 166.
ابن عساكر: 29، 35، 206، 222.
ابن فضل اللَّه العمري: 26.
ابن قتيبة الدينوري: 35، 44، 169، 201، 508.
ابن هشام: 83.
أبناء لؤي: 220.
أبو بكر السلغري: 38.
أبو بكر الصديق: 29، 166.
أبو تمام: 44، 255، 494، 497، 498، 499، 505.
أبو جحش: 339.
أبو الحسن حازم القرطاجني: 410.
أبو الحسـن علي بن الحسين المسـعودي: 28، 29، 43، 146، 168
أبو حنيفة النعمان: 198.
أبو زيد القرشي: 490.
أبو سعيد الجنابي: 36، 37.
أبو سعيد القرمطي: 36.
أبو سفيان: 339.
أبو عبد اللَّه محمد بن سعد: 35، 42، 165، 222
أبو عبيدة: 42.
أبو فديك: 36.
أبو فراس الحمداني: 265، 493.
أبو القاسم النصيبي= ابن حوقل.
أبو نواس: 478، 490، 495، 499، 503.
أبو هلال العسكري: 311، 359.
الأتراك: 54.
أجود بن زامل: 39.
أُحد: 221، 344.
الأحساء: 11، 12، 15، 29، 35، 36، 37، 38، 39، 44، 52، 54، 58، 66، 73، 79، 82، 88، 96، 97، 98، 109، 125، 127، 276، 325، 522، 546، 550.
إحسان عباس: 24، 27.
أحمد بـن إبراهيم آل عصفور: 72، 73، 83، 84، 86، 91، 94، 100، 108.
أحمد بـن الحاجـي: 156، 195، 199، 217، 368، 480، 493، 494، 495، 532.
أحمد بن حسن الدمستاني: 124.
أحمد بن الحسين = المتنبي
أحمد بن حنبل: 167، 216.
أحمد بن زين الدين (الشيخ): 97، 546.
أحمد بن سليمان آل عصفور: 88.
أحمد بن صالح بن طعان الستري: 73، 81، 87، 96، 105، 109، 118، 142، 150، 157، 166، 177، 212، 220، 224، 225، 234، 235، 236، 239،

243، 245، 249، 255، 259، 260، 265، 361، 378، 386، 392، 394، 410، 426، 439، 454، 458، 459، 461، 469، 484، 491، 493، 501، 550، 552.
أحمد بن صالح بن طوق القطيفي: 97.
أحمد بن صالح الدرازي: 74.
أحمد بن عباس التاجر: 112.
أحمد بن عبد اللَّه البلادي: 113.
أحمد بن عبد اللَّه بن المتوج البحراني (جمال الدين): 41، 45، 96، 101، 164، 216، 521.
أحمد بن عبد اللَّه العصفور: 265.
أحمد بن عبد اللَّه المعري: 255، 495.
أحمد بن عبد الرؤوف: 104، 211، 444، 275، 387.
أحمد بن عبد السلام (الشيخ): 116.
أحمد بن عبد الصمد الموسوي: 87، 322.
أحمد بن علي بن سعادة البحراني: 40، 93، 107.
أحمد بن علي القلقشندي: 29، 37، 155.
أحمد بن فهد بن إدريس الأحسائي: 96.
أحمد بن علي المنوي: 179.
أحمد بن ماجد: 22، 27، 39.
أحمد بن محمد آل ماجد البلادي: 63، 101، 113، 259، 331.
أحمد بن محمد الإصبعي: 114، 117.
أحمد بن محمد بن يوسف المقابي: 88، 94، 100، 107.
أحمد بن محمد الخليفة: 63، 64، 69.
أحمد بن محمد السبعي: 96.
أحمد بن محمد العصفور: 97.
أحمد بن محمد الميداني: 213.
أحمد بن معصوم (نظام الدين): 308، 526.
أحمد بن مهدي (أبو السعود): 483.
أحمد بن يحيى بن جابر بن داود = البلاذري
أحمد البنا: 221.
أحمد الحسيني: 30، 301.
أحمد الدمستاني: 11، 97، 174، 195، 219، 232، 245، 268، 363، 375، 383، 386، 392، 393، 402، 404، 406، 407، 422، 423، 438، 440، 546، 467، 471، 479، 481، 484، 500.
أحمد شوقي: 500.
أحمد صقر: 196.
أحمد العناني: 52، 53.
أحمد مصطفى (أبو حاكمة): 56، 57، 58، 61، 62، 63، 68.
أحمد هيكل: 511.
الأحنف بن قيس: 311.
الأحواز: 98، 131، 132، 249، 413.
الإخباريون: 93، 94، 95، 104.
أدب الطفّ أو شعراء الحسين (جواد شبر): 12، 126.
الإدريسي: 19، 23.
أرادوس: 33.
أرجوزة شارحة الصدور (حسين عصفور): 426.
الأزد: 28.
أرجوزة الكامل في الصناعة (جعفر بن كمال الدين): 101، 530.
أزهار الرياض (سليمان الماحوزي): 529.
أسامة (ابن عم طوق): 344.
الاستبصار (محمد بن الحسن الطوسي): 83.
استرابون: 33، 34.
أسرة المتوج: 45.
الإسكندر المقدوني: 310.
الإسكندرية: 53، 337.
إسماعيل الخشاب: 130.
أصفهان: 73، 87، 99.
الأصفهاني: 44، 152، 196، 197، 212، 220، 508.
الأصمعي: 508.

أصول الكافي (الكليني): 83.
الأصوليون: 95، 104.
الأعراب المرتزقة: 59.
أعيان الشيعة (محسن الأمين): 12، 126.
الأكديون: 33.
ألفونسو دي البوكيرك: 23، 26، 53.
أمراء البحرين: 56.
أمراء هرموز: 38.
امرؤ القيس: 196، 395، 478، 490.
الأمم المتحدة: 68.
الأمويون: 178، 220، 249، 475.
أمين الريحاني: 21، 31، 34، 66، 70، 115، 133، 553، 555.
الإنجليز: 31، 64، 70، 133.
الإنجيل: 394.
إنزاك (إله): 33.
أنكي (إله): 33.
أنوار البدرين (علي بن حسن البلادي): 12، 60، 72، 109، 114، 126، 525، 552.
أنيس المسافر وجليس الخاطر (يوسف بن أحمد البحراني): 12، 126.
الأهواز: 98.
أوال = البحرين
أور: 25.
الأوروبيون: 22، 31، 87، 129.
إيران: 11، 40، 52، 56، 57، 58، 59، 60، 63، 67، 68، 71، 73، 75، 80، 82، 86، 87، 93، 95، 98، 99، 102، 117، 123، 132، 133، 148، 349، 411، 524، 525، 526، 534، 538، 551.
الإيرانيون: 31، 55، 56، 87، 98، 302.
إيليا الحاوي: 376.
أيوب (النبي) عليه السلام : 394.

ب

بابا خان: 55.
بابل: 21.
البارودي: 511.
بحار الأنوار (المجلسي): 102.
البحتري: 44، 421، 500.
البحر المتوسط: 21.
البحرانيون: 12، 54، 65، 72، 73، 74، 87، 88، 94، 96، 98، 99، 124، 127، 281، 413، 546، 552.
بحرية (عين): 21.
البحرين: 11، 12، 13، 14، 15، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 65، 66، 67، 68، 71، 72، 73، 74، 75، 79، 80، 82، 88، 89، 90، 92، 93، 94، 96، 97، 98، 100، 101، 107، 109، 111، 112، 117، 118، 119، 120، 123، 124، 125، 126، 127، 131، 132، 134، 136، 138، 146، 147، 149، 151، 165، 175، 179، 223، 231، 255، 276، 293، 295، 297، 298، 309، 312، 326، 327، 352، 359، 362، 365، 376، 378، 390، 391، 395، 401، 403، 410، 411، 413، 417، 420، 425، 431، 436، 448، 453، 454، 463، 467، 489، 498، 499، 509، 510، 515، 516، 517، 518، 521، 522، 524، 525، 526، 528، 532، 534، 538، 539، 546، 548، 550، 551، 552، 554، 556، 557، 558، 559.
بدر: 187.
البدو: 69.
بر العرب: 19.
براغا: 51.
بربار: 526.

البرتغال: 23، 51.
البرتغاليون: 23، 26، 51، 52، 53، 54، 131، 133، 309.
برديسو: 33.
البرهان في تفسير القرآن (هاشم بن سليمان): 101.
برية: 21.
بريطانيا: 20، 70، 71، 128.
البريطانيون: 71.
بشار بن برد: 366.
بشر بن أبي حازم الأسدي: 508.
بشر بن منقذ (الأعور الشني): 44.
بشير كاظم: 51.
البصرة: 15، 21، 36، 44، 131، 522، 551، 554.
البطحاء: 151، 370.
بطليموس: 22، 33.
بغداد: 19، 20، 22، 29، 54، 73، 80، 98، 126، 128، 413.
البكريون: 43.
بلاد الرافدين: 25، 33.
بلاد العجم: 73.
بلاد الهند: 32.
بلاد ما بين النهرين: 32.
البلاذري: 27، 28، 29، 172، 190، 212، 222، 342.
بلينوس: 33
بليني: 22.
بندر عباس: 57.
بنسانو: 33.
بنو أبي الحسن علي بن مسمار: 28.
بنو إسرائيل: 176.
بنو أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد: 28.
بنو أمية: 210، 439، 470.
بنو تميم: 313، 498.
بنو تيم الرباب: 167.
بنو ثعلب: 38.
بنو حرب بن أمية: 338.
بنو سعد بن زيد بن مناة: 28.
بنو صوحان: 42.
بنو عامر بن عبد القيس: 28.
بنو عامر بن عقيل: 37، 38.
بنو عتبة: 57، 61.
بنو عصفور: 38، 39، 52، 547.
بنو عقيل بن عامر: 51.
بنو مسمار: 28.
بنو مضر: 221، 338.
بنو معن: 28.
بنو نبهان: 498.
بنو هاشم: 29، 166، 231، 397، 470.
بهاء الدين الأربلي: 111.
البهائي: 85، 87، 110، 133، 525.
بهبهان: 73.
بهجة الخاطر ونزهة الناظر (يحيى بن حسين البحراني): 107.
بوري: 545.
بوشهر: 57، 63، 88.
البوصيري: 164، 231، 237، 492، 496، 503.
البيت الحرام: 224.
بيروت: 19، 27، 31، 46، 73، 99، 105، 110، 114، 120، 125، 126، 145، 148، 152، 157، 185، 192، 201، 216، 222، 236، 237، 342، 410، 431، 478، 489.
بيشة: 330.
بيعة الرضوان: 142.
بيعة السقيفة: 166.
بيعة غدير خم: 167.

ت

تاريخ العرب قبل الإسلام (جواد علي): 33.
تاريخ مشايخ الشيعة (يحيى بن حسين البحراني): 108.
تايلوس: 22.
تُبَّع: 395.
تتميم أمل الآمل (محمد بن علي آل شبانة): 108.
التجريد (نصير الدين الطوسي): 317.
تحفة الباحثين في أصول الدين (حسن الدمستاني): 143، 426.
تستر: 111.
تشارلز بلجريف: 119.
تعريف رجال من لا يحضره الفقيه (هاشم بن سليمان): 108.
تميم بن أبي بن مقبل: 44.
تنبيهات في رجال التهذيب (هاشم بن سليمان): 108.
تهامة: 28.
التهذيب (الطوسي): 83.
تورانشاه: 39، 53.
تونس: 128.

ج

الجاحظ: 42، 43، 231.
الجارود: 35.
جامع شيراز: 99، 537.
جامعة البصرة: 79، 80.
جامعة بغداد: 93، 132.
الجامعة التونسية: 133، 205، 401، 417.
جامعة عين شمس: 130، 249، 276.
جامعة قطر: 130.
جبارة الهولي (الشيخ): 59، 60.
الجبري (الشيخ): 58.
جبريل: 188، 190، 206، 221، 223.
الجبريون: 58.
جبل عامل: 79.
جديس: 27.
جذيمة: 28.
جرجي زيدان: 128، 129، 130.
الجرعاء: 34.
جرير: 134، 313، 491.
الجزء الذي لا يتجزأ (عبد اللَّه بن علي البلادي): 108.
جزر أوال= جزر البحرين
جزر البحرين: 11، 19، 20، 22، 24، 28، 30، 38، 60، 131، 298، 323.
جزيرة أرد (أراد): 33.
جزيرة أُكل= جزيرة النبيه صالح
جزيرة إيبريا: 24.
جزيرة تاروت: 38.
جزيرة سترة: 20، 294.
الجزيرة العربية: 19، 21، 33، 56، 61، 62، 63، 68، 72، 80، 86، 88، 93، 97، 130، 138، 353، 522.
جزيرةالمحرق: 20.
جزيرة النبيه صالح: 60، 81، 521، 522.
جعفر بن كمال الدين: 73، 74، 90، 98، 99.
جعفر الخطي: 11، 20، 54، 87، 113، 115، 123، 127، 131، 132، 138، 149، 278، 287، 294، 298، 300، 307، 309، 312، 314، 317، 318، 322، 327، 328، 330، 366، 369، 374، 376، 377، 379، 386، 387، 388، 389، 395، 402، 403، 404، 405، 408، 409، 422، 439، 441، 455، 457، 459، 460، 492، 493، 511، 517، 517، 524، 525.
الجغرافيون العرب: 23.
الجفير: 28.

الجلاهمة: 62، 67، 68.
جليل منصور العريض: 205، 276.
جمال الدين يوسف بن يعقوب بن المجاور: 22، 27، 30.
جمال زكريا قاسم: 52.
الجمجمي: 43، 44، 89.
جهرم (بلدة): 73.
جواثى: 35.
جواد شبر: 46، 149، 151، 158، 164، 168، 177، 186، 205، 232، 258، 259، 268، 279، 331، 384، 397، 462، 471، 522، 523، 525، 528، 540، 543، 548.
جواد علي: 22، 25، 32، 33، 34.
جواهر البحرين في أحكام الثقلين (عبد اللّه بن صالح): 103.
جواهر البحرين في أحكام الثقلين (يوسف البحراني): 20.
جودت الركابي: 128، 129، 511.
جون غوردون لوريمر: 20، 22، 24، 26، 31، 38، 53، 57، 59، 63، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72.
جويرية بن مسهر العبدي: 30.
جيش المنذر: 35.
جيمس بلجريف: 31، 53، 54، 59، 60، 72.

ح

حاتم الطائي: 396، 498.
الحارث بن سعيد = أبو فراس الحمداني
حبيب بن أوس الطائي = أبو تمام
الحتوف: 60.
الحجاز: 88.
الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة (يوسف آل عصفور البحراني): 102.
الحدق النواظر في تتمة كتاب النوادر (الفيض الكاشاني): 110.
حرب السمك (حسن المليلي): 348، 349، 427.
الحرم المكي: 21.
حسان بن ثابت: 146.
حسن الأمين: 29، 32، 87، 126.
الحسن بن أحمد الهمداني: 19، 28.
الحسن بن أحمد بن أبي سعيد القرمطي: 45.
الحسن بن بشر الآمدي: 44.
الحسن بن بهرام (أبو سعيد): 26، 30.
الحسن بن علي أبي طالب: 188، 216، 244، 556.
الحسن بن قاسم المرادي: 360.
الحسن بن هانئ = أبو نواس
الحسن بن يحيى بن العياش: 37.
الحسن بن يوسف المطهر الحلي: 41، 86، 244.
حسن جوهر: 324.
حسن الدمستاني: 92، 105، 123، 134، 143، 144، 145، 149، 152، 153، 154، 167، 169، 172، 178، 183، 184، 186، 189، 192، 193، 194، 195، 197، 198، 200،201، 206، 207، 208، 210، 211، 214، 217، 219، 220، 223، 224، 225، 226، 233، 234، 237، 243، 248، 257، 259، 260، 263، 265، 267، 269، 276، 284، 289، 296، 331، 336، 360، 362، 364، 369، 373، 378، 386، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 431، 432، 434، 435، 436، 437، 441، 448، 449، 450، 452، 457، 460، 467، 468، 470، 474، 494، 495، 500، 501، 507، 534.
حسن عون: 337.
الحسن القيرواني (أبو علي) = ابن رشيق
حسن المليلي: 348، 408، 410، 544.
حسن الندّي: 87.

الحسين عليه السلام: 12، 30، 45، 46، 124، 126، 149، 154، 156، 163، 169، 170، 171، 178، 183، 184، 187، 188، 191، 192، 193، 195، 196، 197، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 213، 216، 220، 222، 223، 224، 225، 226، 231، 238، 239، 241، 244، 245، 335، 365، 367، 390، 392، 394، 444، 450، 473، 480، 481، 491، 494، 495، 501، 507، 523، 538، 543، 556.
حسين آل عصفور: 81، 82، 91، 95، 97، 103، 107، 110، 118، 142، 145، 174، 175، 199، 207، 209، 215، 217، 218، 223، 270، 287، 323، 365، 495، 497، 546، 547.
حسين البحراني: 40.
حسين بن أبي سروال: 87، 110.
حسين بن حسن الغريفي: 107.
حسين بن زعل البحراني: 308، 316، 533.
حسين بن سعيد: 53.
حسين بن عبد الرؤوف: 82.
حسين بن عبد الصمد العاملي: 90.
الحسين بن علي الأصبهاني الطغرائي:495، 500.
حسين بن علي البلادي: 123، 124، 134، 151.
حسين بن علي الحسيني: 492، 529.
الحسين بن محمود (أبو الفتح): 45.
حسين الشاخوري: 154، 170، 206، 208، 214، 215، 219، 220، 225، 226، 233، 241، 242، 243، 275، 279، 283، 371، 386، 395، 432، 435، 445، 475، 477، 482، 492، 497، 499، 501، 508، 536.
حسين الماحوزي: 85، 86، 89، 95، 96، 98.
حسين محفوظ: 79، 89، 100، 112، 113، 233، 234، 235، 266، 275، 278، 280، 281، 367، 373، 425، 462، 547.
الحصري القيرواني: 231، 496.
الحقائق الفاخرة في تتميم الحدائق الناضرة (يوسف البحراني): 110.
حكم الجهر والإخفات بالتسبيح في الأخيرتين (عبد اللّه بن عباس الستري): 103.
حكيم بن جبلة: 30.
الحلبي الحائري: 164، 165.
حلوان: 37.
حمد أبو الفضل إبراهيم: 145.
حمد بن عيسى: 64.
حمد الجاسر: 23، 26، 31.
الحمزة بن عبد المطلب: 338، 339، 340، 502.
حمود الحمادي: 149.
حميدة عبد الحسيب طه: 152.
حنين: 344.
حيدر آباد: 74، 99، 308.
الحيرة: 136، 342.
حيي بن أخطب: 339.

خ

خالد الفرج: 119.
خرنق: 44.
الخط: 131، 297، 525.
الخطيب القزويني: 359، 361، 376، 431، 436.
خلف بن عبد علي العصفور: 298، 548.
خلف بن عبد المطلب: 311.
الخلفاء الراشدون: 35، 36.
الخليج العربي: 19، 20، 22، 24، 26، 31، 33، 51، 53، 61، 71، 79، 80، 119، 130، 276.
خليفة بن محمد الخليفة: 66.
الخليفيون: 67، 69.
خليل بن علوي: 97، 124، 150، 169، 178، 184، 189، 193، 196، 208، 211، 219، 221، 246، 258، 262، 263، 293، 313، 315، 316، 321، 322، 324، 337، 368، 370، 372، 373، 375،

381، 385، 387، 388، 389، 390، 393، 395، 396، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 409، 410، 414، 420، 422، 426، 438، 447، 449، 451، 457، 461، 468، 469، 472، 476، 491، 500، 501، 503، 504، 506، 549.
الخوارج: 60، 93.
خوزستان: 111، 522.
خير الدين الزركلي: 21، 29، 40، 45، 80، 83، 87، 89، 90، 100، 101، 104، 105، 106، 109، 136، 308، 504، 511، 533، 553.

د

دار إحياء الكتب العربية: 126.
دار الإرشاد العامة: 125.
دار الأندلس: 128، 185.
دار البيان: 126.
دار الكتاب العربي: 126.
دار اليمامة: 26.
دارا (ملك الفرس): 330.
داود عليه السلام: 156.
داود بن أبي شافيز: 46، 107، 149، 165، 167، 185، 216، 217، 367، 381، 440، 444، 451، 453، 523.
داود بن الحسن الجزيري: 82، 94.
الدرر الكامنة: 31.
دعبل بن علي الخزاعي: 146، 205، 222، 232، 495.
دلمون: 25، 32، 33.
دمشق: 29، 35، 45، 128، 335.
الدوحة الأولى: 67.
الدوحة الثانية: 67.
دوس بن عُدثان: 28.
الدول الإسلامية: 27.
الدول الأوروبية: 51.
دول الخليج العربي: 24.
الدولة الإيرانية: 60، 61.
الدولة الصفوية: 52، 99.
الدولة العثمانية: 52.
الدؤلي: 163.
دونالد ولبر: 52، 58.
ديار الجبل: 522.
الدين الحنيف: 35.
ديوان إبراهيم بن علي بن حسن البلادي: 12.
ديوان إبراهيم بن محمد الخليفة: 11.
ديوان الأحمدي (أحمد بن صالح بن طعان الستري): 123.
ديوان جعفر الخطي: 11.
ديوان حسن الدمستاني: 11.
ديوان خليل بن علوي: 12.
ديوان ديك الجن: 183، 222.
ديوان الشريف الرضي: 183، 241.
ديوان الشريف المرتضى: 183.
ديوان الصبابة: 296.
ديوان طه بن إبراهيم العرادي: 12.
ديوان عبد اللّه بن أحمد البصري: 12.
ديوان محمد بن عيسى الخليفة: 11.
ديوان نيل الأماني (حسن الدمستاني): 123.
ديوان الوائلي: 124.

ذ

الذهبي: 201، 222، 508.

ر

راشد بن سليمان الجزيري: 46، 480، 481، 523.
الرباب بنت امرئ القيس: 197.
رحمة بن غيث: 65.
رسالة إتمام الصلاة في الحرم الأربعة (يوسف البحراني): 103.

رسالة باهرة العقول في نسب الرسول (حسين بن عصفور): 106.
رسالة الجنة الواقية في أحكام التقية (حسين آل عصفور): 106.
رسالة جواهر الكلمات في العقود والإيقاعات (مفلح الصيمري): 104.
رسالة الصلاة (علي بن سليمان القدمي): 103.
رسالة في أصول الدين (محمد بن أحمد آل عصفور): 103.
رسالة في تفسير الأسماء الحسنى (صالح بن عبد الكريم): 101.
رسالة في علم العروض والقافية (حسين بن حسن الغريفي): 107.
رسالة في مناسك الحج (سليمان الماحوزي): 103.
رسالة قرة العين في حكم الجهر بالبسملة والتسبيح (أحمد بن صعان): 103.
رسالة الناسخ والمنسوخ (أحمد بن عبد اللَّه بن المتوج): 101.
رستم (القائد الفارس): 311.
الرشت: 59.
رشيد الصفار: 478.
رضوى: 384.
رقبة بن مصقلة: 42.
الروافض: 30، 31.
الروضة العلية في شرح الألفية (ياسين بن صلاح الدين): 106.
الرومان: 22.
الرياض: 23، 26، 35، 337، 423، 425.
رياض الدلائل وحياض المسائل (أحمد بن محمد المقابي): 103.
رياض المدح والرثاء (حسين بن علي البلادي): 12، 124، 125.

ز

الزبارة: 62، 63، 66.
زبدة الأصول (البهائي): 110.
الزبور: 394.
الزبير بن العوام: 311.
زحر بن قيس الجعفي: 186.
زكي مبارك: 151، 152.
زمان سلطان بن قزل خان: 55.
الزنج: 36، 395.
زهير بن أبي سلمى: 255.
زواهر الزواجر في معرفة الكبائر (إبراهيم بن علي البلادي): 142.
زياد الأعجم: 44.
زيد بن صوحان: 30، 42.
زينب ابنة علي بن أبي طالب: 189، 190، 193، 194، 211، 225، 339، 390، 451، 474، 479، 482، 484.

س

سابور: 395.
ساحل الذهب الأسود: 138.
الساحل الشرقي: 19، 67، 72.
الساحل العربي: 20.
سبأ: 396.
سترابون: 22.
سحبان وائل: 396.
سرة السلطان سر علي بن تورانشاه: 39.
سرجون الأكدي: 32.
سعد بن مالك: 43.
السعودية: 66.
السعوديون: 66.
سعيد بن سلطان: 74.
سعيد بن يوسف الجزيري: 46، 218، 522.

سفيان بن مصعب العبدي: 30.
سكينة بنت الحسين: 189، 199.
سلافة العصر (علي خان المدني): 114، 125، 136.
سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر (علي بن أحمد المدني): 12.
السلالة الهاشمية: 527.
سلطان بن أحمد الإباضي: 74.
سلطان حسين (الشاه الصفوي): 59.
سلمان بن أحمد آل خليفة: 64، 65، 69.
سلمان بن أحمد التاجر: 12، 494، 495، 496، 498، 499، 502، 503، 504، 511، 552.
سلمان بن أحمد العصفور: 324.
سلمان بن حكيم العبدي: 36.
سلمة بن أبي حبابة العبدي: 44.
سليمان بن أحمد التاجر: 124، 150، 153، 154، 155، 156، 165، 166، 169، 171، 178، 186، 197، 223، 224، 232، 235، 236، 239، 240، 241، 242، 244، 247، 248، 262، 303، 307، 324، 361، 362، 364، 365، 367، 374، 377، 379، 382، 385، 392، 393، 394، 401، 402، 403، 405، 406، 407، 408، 409، 420، 422، 426، 435، 436، 441، 444، 446، 455، 459، 462، 472، 473، 475، 482، 484.
سليمان بن صالح بن عصفور: 81، 106، 553.
سليمان بن عبد اللّه: 94.
سليمان الصفوي: 56.
سليمان القانوني (السلطان): 54.
سليمان الماحوزي: 56، 83، 84، 89، 90، 92، 99، 100، 101، 103، 105، 108، 109، 110، 116، 257، 267،293، 302، 321، 523، 528، 530، 532.
سماهيج: 28.
السّنة: 88، 119، 120.
سواد العراق: 28.
سوريا: 128.
السوريون: 33.
سوق الخميس: 69.
سوندك (السلطان): 55.
سيحان بن صوحان: 30، 42.
سيد قطب: 148، 164، 221.
سيف الدولة: 329، 494.
السيف الصارم في الرد على ابن الناظم (ياسين بن صلاح الدين): 106.
سيف بن ذي يزن: 212.
سيف بن موسى بن جعفر: 99.
السيوطي: 106.

ش

الشاخورة: 536.
الشاطئ الغربي: 57.
الشام: 21، 151، 222، 240، 377.
شاه إيران: 65.
شرائع الإسلام (المحقق الحلي جعفر بن الحسن): 109.
شرح الألفية (ابن الناظم): 83.
شرح الكافية (الرضي الأسترابادي): 83.
شرح رسالة الطير (ابن سينا): 40.
شرح رسالة العلم (ابن سعادة): 40.
شرح نهج البلاغة (ميثم البحراني): 99.
الشركة البحرية الهندية البريطانية: 26.
شركة طباعة تابان: 125.
الشريف الرضي: 137، 138، 146، 147، 163، 205، 222، 276، 478، 491، 492، 493، 496، 497، 499، 502، 524، 529، 557.
الشريف المرتضى: 134، 138، 145، 147، 158، 163، 222، 349، 478.

شط العرب: 21.
الشعبي: 43.
شعراء البحرين: 11، 12، 20، 133،135، 136، 148، 150، 152، 158، 159، 183، 192، 198، 205، 231، 275، 289، 310، 337، 380، 385، 418، 428، 431، 496.
شعراء الشيعة: 146، 152، 232.
الشعراء العباسيون: 491.
شعراء عبد القيس: 30.
شعراء الغري (علي الخاقاني): 126.
الشفا في الحكمة النظرية (سليمان الماحوزي): 108.
شمر بن ذي الجوشن: 171.
الشنفرى: 508.
شوقي ضيف: 138، 152.
شيبة بن ربيعة: 187.
شيخ المشايخ = سليمان بن عبد اللّٰه الماحوزي
الشيخ المفيد: 166.
شيراز: 54، 60، 63، 68، 73، 80، 84، 88، 98، 99، 524.
الشيعة: 29، 31، 41، 52، 54، 55، 59، 79، 86، 92، 119، 120، 147، 151، 165، 168، 205، 206، 207، 211، 515، 533.
شيعة البحرين: 31، 32.
شيعة عثمان: 42.
شيعة علي: 42.
شيوخ الجبور: 52.

ص

الصاحب بن عباد: 192، 223.
الصادق (الإمام) عليه السلام: 30، 206.
صالح بن طعان: 323.
صالح بن عبد الكريم: 73، 101.
الصالحية: 547.
صحار: 99، 311.
صحار بن عياش العبدي: 42.
صدر الدين بن محمد: 89.
الصدوق: 101، 109، 111، 192، 198.
صعصعة بن صوحان العبدي: 29، 30، 42، 43.
صفوة الصافي (محمد بن علي المقابي): 101.
الصفويون: 51، 55، 56، 57، 58، 87، 131، 148.
صفي الدين الحلي: 529.
صفي محمد بن مهدي (شيخ الإسلام): 99.
صفين: 212.
صلاح الدين بن علي القدمي: 114.
الصلتان العبدي: 44.
الصين: 21.

ض

ضرار بن ضمرةالضبائي: 168، 235.

ط

طارق: 344.
الطبرسي: 166.
الطبري: 30، 35، 36، 157، 167، 171، 185، 190، 191، 193، 196، 206، 209، 221، 226، 237، 243، 392، 497.
طرفة بن العبد: 43.
طسم: 27.
الطف: 14، 30، 46، 154، 164، 168، 170، 174، 175، 179، 193، 201، 207، 211، 212، 223، 232، 238، 239، 248، 397، 426، 453، 470، 482، 523.
طه العرادي: 124، 150، 191، 238، 240، 325، 381، 383، 384، 427، 433، 435، 450، 490، 492، 495، 502، 503، 504، 555.
طهران: 41، 110، 125، 126، 526.

طوق بن الصباح: 342، 343، 344، 345، 346، 412، 544.
طيء: 498.
طيبة: 337.

ظ

ظالم: 344.

ع

عاد: 395.
عباس الأول: 57.
العباس بن علي: 212.
عباس الثاني: 58.
عباس الصفوي (الشاه): 55.
عباس عبد الساتر: 311.
عباس القمي: 30.
العباسيون: 36، 495.
عبد اللَّه آل مبارك: 130، 138، 353.
عبد اللَّه الأحسائي: 97.
عبد اللَّه بن أحمد آل خليفة: 64، 66، 69.
عبد اللَّه بن أحمد الحداد: 125.
عبد اللَّه بن الحسين عليه السلام: 192، 196، 198، 201، 277، 474.
عبد اللَّه بن حسين البحراني: 137.
عبد اللَّه بن خالد آل خليفة: 61، 63، 70.
عبد اللَّه بن صالح السماهيجي: 60، 73، 80، 84، 85، 95، 96، 104، 111، 116.
عبد اللَّه بن عباس: 81.
عبد اللَّه بن عباس الستري: 92، 103، 105، 106، 118.
عبد اللَّه بن عبد العزيز البكري: 19، 28.
عبد اللَّه بن علي البحراني: 84.
عبد اللَّه بن علي البلادي: 60، 85، 98.
عبد اللَّه بن علي الماحوزي: 262.
عبد اللَّه بن عوف: 35.
عبد اللَّه بن المتوج: 45، 141.
عبد اللَّه بن محمد البحراني: 136.
عبد اللَّه بن محمد بن إبراهيم: 309.
عبد اللَّه بن محمد بن أبي شبانة: 531.
عبد اللَّه بن محمد بن سنان: 314، 370.
عبد اللَّه بن محمد الحسيني: 288، 308، 312، 313، 383.
عبد اللَّه بن محمد قطب شاه (السلطان): 308.
عبد اللَّه بن المعتز: 431، 436.
عبد اللَّه بن يوسف البلادي: 95.
عبد اللَّه الخليفة: 33، 34.
عبد اللَّه الذهبية: 186، 246، 247، 384، 469، 471، 549.
عبد اللَّه الطائي: 119، 120، 130، 353، 425.
عبد اللَّه العيوني: 37.
عبد اللَّه القاروني: 321.
عبد الجليل الطباطبائي: 69، 114، 294.
عبد الحسين الأميني: 46، 106، 142، 152، 165، 167، 232.
عبد الحسين بن محمد الكاتب: 285، 545.
عبد الحميد بن محمد = ابن أبي الحديد
عبد الرحمن البرقوقي: 447.
عبد الرحمن بن ملجم: 167، 168.
عبد الرحمن اللامي: 98، 132، 249.
عبد الرضا بن عبد الصمد البحراني: 137، 141، 288، 440، 530.
عبد الرؤوف بن أحمد جد حفصي: 156، 415، 417، 447، 453، 525.
عبد الرؤوف بن حسين الجد حفصي: 233، 234، 235، 238، 258، 262، 266، 287، 328، 329، 370، 389، 415، 471، 527، 539، 549.

عبـد الرؤوف بـن ماجد بن هاشـم الحسـيني: 266، 525.
عبد السلام هارون: 28، 42.
عبد الصاحب الدجيلي: 495.
عبـد العزيـز عتيـق: 364، 365، 371، 375، 376، 431، 436، 447، 454.
عبد العظيم الربيعي: 127.
عبد الفتاح الحلو: 97، 126، 136.
عبد القاهر بن عبد الرؤوف: 326، 328.
عبـد القيـس: 28، 29، 30، 34، 35، 41، 42، 43، 44، 525.
عبد الكريم الدجيلي: 413، 414، 415، 416، 417.
عبد اللطيف بن إبراهيم آل مبارك الحسائي: 97.
عبد اللطيف بن محمود آل محمود: 88، 319.
عبد المحسن بن عبد العزيز: 97.
عبد المحسن اللويمي: 97، 547.
عبد الملك بن مروان: 36.
عبد الملك الحمر: 33، 34.
عبـد المنعم بـن محمد بـن أحمـد الجـد حفصـي: 234، 242، 275، 282، 373، 425، 540.
عبد المنعم محمد حسين: 58.
عبـد النبي بـن مانـع: 169، 280، 382، 384، 387، 390، 492، 538.
عبد النبي المقابي: 46.
عبد الهادي الفضلي: 123.
عبد علي بن أحمد البحراني: 95.
عبد علي التوبلي: 110.
عبد علي الدرازي (الشيخ): 94.
العبديون: 30، 42، 43، 44.
العبسيون: 343، 344، 347.
عبيد اللّه بن زياد: 190، 226.
العتبات المقدسة: 73.
عتبة بن ربيعة: 187.
العتوب: 57، 61، 62، 63، 64، 68.
عثمان بن سند: 61.
العثمانيون: 73، 93، 525.
عدن: 554.
العدنانية: 28، 37.
عراد (قرية): 33، 544.
العـراق: 11، 21، 31، 33، 73، 80، 86، 87، 89، 92، 93، 95، 96، 97، 98، 102، 117، 125، 127، 148، 150، 240، 311، 314، 377، 413، 510، 521، 536، 550.
العراقيون: 44، 98، 308، 414، 552.
العـرب: 28، 37، 41، 43، 53، 57، 61، 71، 231، 406، 470، 498.
عربستان: 73.
عزيزة مريدن: 335.
العشرة الكاملة (سليمان الماحوزي): 104.
العصر الأموي: 36، 491.
العصر الجاهلي: 25، 43.
العصر العباسي: 26، 36، 147، 489.
العصر المغولي: 131.
العصر المملوكي: 131.
العصفوريون: 38، 39.
عطاء الملك الجويني: 99.
عقبة بن سليم الفهري: 36.
عقـد الـلآل فـي فضائـل النبـي والآل (أحمد بـن سليمان الإصبعي الشاخوري): 106.
عقيل بن أبي طالب: 43.
عقيل بـن كعب بـن ربيعة بـن عامر بـن صعصعة: 37.
العقيليون: 38.
العلاء الحضرمي: 27، 34، 36.
علل الشرائع (الصدوق): 111.
علماء الإمامية: 85، 97.

علمـاء البحريـن: 92، 93، 97، 99، 100، 102، 104، 127.
علماء شيراز: 98.
علماء العراق: 324.
علماء النجف: 308.
علوي بن إسماعيل: 283، 386، 531.
علوي بـن الحسـين بن أحمـد الحسـيني (العلـوي المرتضى): 527.
علوي الهاشمي: 401، 511، 553، 554.
العلويـون: 151، 172، 173، 198، 231، 233، 307، 475، 793، 532.
علي الأكبر: 480.
علي باحسين: 124.
علي البجاوي: 168.
علي البحراني النجفي: 73.
علي بن إبراهيم آل شبانة: 117، 256، 289، 297.
علي بن إبراهيم البوري: 123.
علي بن أبي بكر الهيتمي: 157.
علي بـن أبـي طالـب: 29، 30، 43، 45، 46، 150، 153، 156، 157، 158، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 188، 189، 207، 209، 215، 216، 220، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 241، 244، 247، 248، 276، 316، 338، 339، 340، 341، 343، 346، 370، 391، 477، 502، 505، 507، 523، 546، 551، 556.
علي بن أحمدبن حزم: 28
علي بن أحمد الجد حفصي: 124، 195، 539.
علي بـن أحمد الكامل: 209، 233، 237، 244، 360، 362، 364، 366، 375، 390، 391، 432، 449، 453، 479.
علي بن إسماعيل الغريفي: 106، 506، 547.
علي بن جعفر: 56.
علي بن حسن = الشريف المرتضى
علي بـن حسـن البـلادي: 29، 35، 40، 45، 46، 56، 61، 72، 73، 74، 75، 81، 82، 84، 88، 89، 91، 92، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 117، 118، 123، 131، 135، 142، 153، 155، 157، 158، 166، 169، 172، 178، 186، 196، 199، 209، 212، 216، 219، 220، 223، 224، 232، 233، 235، 238، 239، 242، 245، 247، 255، 257، 260، 266، 276، 285، 295، 297، 303، 360، 362، 363، 367، 368، 371، 377، 378، 386، 387، 394، 395، 396، 397، 425، 426، 433، 446، 448، 456، 458، 459، 461، 469، 472، 475، 476، 479، 492، 496، 506، 524، 528، 530، 551، 552.
علي بن حسين: 52.
علي بن الحسين عليه السلام: 151، 246، 505.
علي بن الحسين الهاشمي: 123.
علي بن حماد البرباري: 427، 526.
علي بن خليفة بن سلمان آل خليفة: 64، 70، 71.
علي بن سليمان البحراني: 40.
علي بن سليمان بن حاتم: 85، 93.
علي بن سليمان القدمي: 56، 90.
علي بن عبد اللّه البوري: 245، 545.
علي بن عبد اللّه الحسيني: 73، 533.
علي بن عبد اللّه الستري: 315.
علي بـن عبـد اللّه بـن وصيـف (الناشـئ الصغيـر): 152، 198، 205، 232.
علي بن عبد العالي الكركي: 87.
علي بن لطـف اللّه بن يحيى بن راشـد: 301، 475، 532.
علي بن ماجد الحسيني: 113.
علي بن محمد بن عبد النبي المقابي: 108.
علي بن محمد التهامي: 505، 506.

علي بـن محمـد صالحـي: 105، 107، 282، 284، 361، 368، 381، 384، 389، 547.
علي بن المعلى: 30.
علي بن المقرّب العيوني: 37، 45.
علي بن موسى الرضا عليه السلام: 206.
علي جواد الطاهر: 337.
علي حسين الجابري: 92، 93، 94، 95، 98.
علي الخاقاني: 29، 106، 177، 506، 547، 550.
علي خـان ابن المعصوم المدني: 74، 81، 99، 114، 131، 134، 135، 149، 267، 268، 283، 285، 288، 289، 295، 299، 301، 308، 311، 312، 313، 369، 370، 371، 383، 438، 455، 459، 463، 491، 524، 525، 530.
علي الشابي: 52، 133، 148.
علي الكركي: 133.
علي الليثي: 130.
علي نجيب عطوي: 506.
عماد الدين إدريس القريشي: 185، 194، 198.
عمار بن ياسر: 343، 347.
عُمـان: 15، 20، 41، 53، 58، 60، 65، 68، 74، 99، 311، 349، 411.
عمانويل الأول: 51.
العمانيون: 59، 60، 65، 66، 68، 81.
عمر بن أبي ربيعة: 478، 491، 557.
عمر بن أبي سلمة: 29.
عمر بن الخطاب: 222.
عمر بن سعد: 172، 190، 239.
عمـر كحالـة: 89، 90، 93، 97، 98، 100، 101، 102، 103، 105، 107، 136، 523، 537، 550.
العَمرّد: 343، 345.
عمرو بن أوس العبدي: 44.
عمرو بن بحر = الجاحظ
عمرو بن دراك العبدي: 44.
عمرو بن عبد ود العامري: 316، 391.
عمرو بن قميئة: 44.
عمرو بن كلثوم: 311.
عمورية: 494.
عنزة بن أسد: 61.
العهد البرتغالي: 39.
العهد الصفوي: 133.
العوالم (عبد اللَّه بن نور اللَّه البحراني): 102.
العوام بن الزجاج (أبو البهلول): 37.
عيسى ابن مريم: 236.
عيسى بن جامع: 97.
عيسى بن علي بن خليفة: 64، 70، 71.
العيونيون: 37، 38.

غ

غاشم: 344.
الغديـر في الكتـاب والسُّـنة والأدب (عبد الحسـين الأميني): 12، 126.
الغريفة: 536.
غزوة الأحزاب: 316.
غزوة خيبر: 341، 344.
غيث بن ناصر آل مذكور: 60، 61.

ف

الفارابي: 107.
فارس: 19، 36، 38، 59، 131.
فاطمـة بنت الحسـين (الصغـرى): 152، 192، 198، 199، 201، 205، 478.
فاطمـة الزهـراء: 166، 187، 190، 195، 205، 216، 220، 222، 225، 329، 477، 497، 556.
فخـر الديـن الطريحـي: 46، 87، 125، 145، 216، 217، 443، 480، 481، 521، 523.
فخر الدين قباوة: 360.
الفخر الرازي: 244.

فدك: 166.
الفرزدق: 146، 151.
الفرس: 31، 36، 57، 310.
فضل بن جعفر بن أبي قائد: 86.
الفضل بن عبد اللّه العيوني: 37.
فهر : 438.
فؤاد خوري: 56.
الفيض الكاشاني: 98، 102.
الفينيقيون: 33، 34.

ق

قاسم بن مهزع الخاطر: 82، 88، 118.
قاسم الإصبعي: 340، 341، 343، 344، 348، 408، 410، 411، 412، 426، 543، 545.
القاهرة: 117، 124، 126، 130، 167، 212، 359، 478، 557.
قبر الأمير زيد: 42.
قبيلة أسد: 28.
قبيلة بكر بن وائل: 19، 28، 36، 43، 498.
قبيلة البنعلي: 67، 69.
قبيلة تغلب بن وائل: 19، 311.
قبيلة ربيعة: 28.
قثم بن خبيئة: 44.
القدس الشريف: 393، 460.
قراد السدوسي البحراني: 44.
القرامطة: 30، 36، 45.
قرية أبي صيبع: 543.
قرية بلاد القديم: 95.
قرية جد حفص: 81، 297، 299، 549.
قرية عسكر: 29.
قرية فاران: 82.
قرية القدم: 82.
قرية المصَلَّى: 298.
قريش: 155، 338، 340.
قريظ بن أنيف المازني: 506.
قزاع خان: 55.
قس بن ساعدة الأيادي: 311، 316، 396.
القصاصير: 22.
قصة أُحد (قاسم الإصبعي): 337، 412.
قصة التتن (قاسم الإصبعي): 348، 412، 543.
قصة الرطب (قاسم الإصبعي): 348، 412، 543.
قصر غمدان: 303.
قطام بنت الأخضر: 167.
قطب الدين تهتمن الثاني: 38.
قطر: 21، 62، 67، 68، 69، 70.
قطر الندى (ابن هشام): 83.
القطريون: 67.
القطيف: 11، 12، 15، 29، 36، 37، 38، 39، 44، 52، 53، 72، 73، 74، 79، 82، 88، 95، 96، 109، 118، 125، 127، 131، 132، 525، 532، 534، 546، 549، 550، 551.
القليعة: 28.
قوليخان: 55.

ك

الكاظم عليه السلام: 40.
كافور: 494.
كرب بن مصقلة: 42.
كربلاء: 60، 81، 95، 98، 154، 155، 165، 169، 187، 207، 266، 365، 393، 439، 515، 537.
كرزكان: 37.
كرمان: 296.
كسرى (ملك الفرس): 310.
كشاجم = أبو الفتح حسين بن محمود
كشف الغمة (بهاء الدين الأربلي): 111.
كعب بن زهير: 146.
كعب بن مامة: 311.
كلب علي خان: 56، 60، 61.

كليب بن ربيعة: 443.
الكليني: 83، 101.
الكميت بن زيد الأسدي: 146، 151، 152، 158، 163، 491.
الكواكب الدرية في شرح الرسالة النجمية (حسين بن أبي سروال): 110.
الكوفة: 44، 342، 479.
الكويت: 22، 57، 62، 63، 82.

ل

لبنان: 24، 79، 128، 129.
لسان الصدق (علي عبد اللَّه الستري): 105.
لطف اللَّه بن علي بن لطف اللَّه الجد حفصي: 12، 113، 150، 214، 223، 224، 226، 227، 278، 281، 462، 493، 538، 540، 543.
لطف اللَّه بن محمد البحراني: 150، 176، 362، 363، 381، 387، 388، 394، 442، 445، 452، 533.
لوفغرين أوسكر: 22.
لؤلؤة البحرين (يوسف البحراني): 20، 108، 114.
لؤي بن غالب: 221.
لويس شيخو: 44.
ليدن: 22.

م

ماجد بن أحمد الجد حفصي: 174، 383، 538.
ماجد بن محمد: 99.
ماجد بن هاشم بن علي بن مرتضى الجد حفصي: 73، 87، 92، 93، 110، 113، 116، 124، 131، 132، 135، 149، 169، 209، 257، 267، 268، 299، 315، 321، 326، 329، 330، 331، 374، 379، 438، 440، 443، 454، 459، 462، 489، 491، 497، 524.
الماحوز: 528.
المالكي: 31.
ماهر حسين فهمي: 114، 130.
مبارك الخاطر: 553، 554.
المتقي الهندي: 176، 191، 206، 207، 210، 237.
المتلمس بن عبد المسيح: 43.
المتنبي: 137، 223، 255، 329، 447، 494، 530، 557.
المثقب العبدي: 43.
مجان: 33.
مجلة الوثيقة: 20، 22، 23، 24، 26، 28، 33، 36، 39، 51، 54، 61، 63، 65.
مجمع الأحكام (محمد بن علي بن عبد النبي المقابي): 102.
مجمع البيان (الطبرسي): 111.
المجمع العلمي العراقي: 22.
محاديث العيون: 37.
محاسن الاعتقاد (حسين العصفور): 105.
المحرق: 33، 82، 554.
محسن الأمين: 29، 30، 40، 79، 80، 88، 90، 93، 97، 98، 99، 100، 101، 103، 105، 106، 107، 109، 111، 115، 141، 177، 262، 266، 308، 316، 368، 385، 448، 550.
محمد ﷺ: 27، 29، 34، 35، 106، 113، 142، 144، 146، 151، 152، 153، 155، 157، 158، 165، 166، 167، 172، 176، 188، 191، 194، 205، 206، 207، 210، 216، 220، 221، 225، 231، 232، 233، 234، 236، 237، 247، 337، 339، 340، 342، 343، 345، 399، 415، 427، 439، 470، 476، 479، 492، 493، 502، 503، 504، 506، 516، 527.
محمد إسماعيل الصاوي: 313.
محمد أمين الخانجي المصري: 126.

محمد أمين فضل اللّه المحبي: 12، 136، 137، 138، 149، 308، 524، 525، 526.
محمد باقر الخوانساري:40، 45، 79، 80، 87، 89، 95، 97، 98، 102، 104، 105، 116، 521، 524، 528، 537.
محمد بن إبراهيم البنا: 29.
محمد بن أحمد البلادي: 110.
محمد بن أحمد بن سليمان الشاخوري: 116، 543.
محمد بن أحمد العصفور: 126، 147، 172، 175، 187، 190، 196، 207، 209، 218، 277، 315، 321، 365، 441، 442، 448، 495، 508، 535.
محمد بن إدريس الشافعي: 222، 504، 505.
محمد بن إسماعيل البخاري: 35، 221.
محمد بن الحسن الحر العاملي: 30، 40، 79، 80، 87، 99، 110، 521، 522، 524، 528.
محمد بن الحسن الطوسي: 83، 93، 101، 534.
محمد بن باقر بن محمد المجلسي: 87، 98، 102، 133، 192، 198، 205، 227.
محمد بن حسن بن رجب: 85.
محمد بن حسن بن سباع الجذامي = ابن الصائغ
محمد بن حميد الطوسي: 497.
محمد بن خلف الستري: 110.
محمد بن خليفة بن سلمان آل خليفة: 64، 68، 69، 70.
محمد بن خليفة النبهاني: 21، 23، 25، 31، 36، 37، 55، 56، 58، 60، 62، 65، 66، 67، 68، 69، 88، 317.
محمد بن سهل: 40.
محمد بن شاعر: 99.
محمد بن شاكر الكتبي: 45.
محمد بن شرف: 99.
محمد بن صالح بن طعان: 553.
محمد بن ضياء الدين = الفخر الرازي
محمد بن عبد اللّه آل شبانة: 301.
محمد بن عبد اللّه آل عبد القادر: 35، 37.
محمد بن عبد اللّه بن ماجد (شيخ الإسلام) : 57.
محمد بن عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم = ابن بطوطة
محمد بن عبد اللّه الحسيني: 114، 134، 295، 308، 369، 476.
محمد بن عبد الحسين آل شبانة: 73، 74، 99، 296، 526.
محمد بن علي الأكوع: 19.
محمد بن علي الباقر عليه السلام: 156.
محمد بن علي بن أبي شبانة: 86، 108، 295.
محمد بن علي التاجر: 238، 242، 244، 245، 257، 265، 280، 282، 284، 287، 298، 301، 307، 315، 321، 330، 349، 370، 381، 427، 447، 454، 471، 495، 501، 527، 540، 541، 542، 543، 544، 548.
محمد بن علي الجد حفصي: 342.
محمد بن علي الخزاعي: 27.
محمد بن علي بن عبد النبي: 86.
محمد بن عمر الواقدي: 187.
محمد بن عمران المرزباني: 44.
محمد بن عيثان (الفقيه الأحسائي): 325.
محمد بن عيسى الخليفة الوائلي: 11، 63، 70، 117، 124، 256، 275، 277، 281، 283، 284، 285، 287، 289، 293، 299، 300، 302، 303، 314، 326، 363، 366، 370، 372، 376، 380، 396، 401، 402، 403، 404، 406، 407، 408، 409، 421، 422، 423، 424، 432، 433، 434، 445، 449، 450، 452، 455، 458، 459، 467، 472، 473، 493، 500، 556.
محمد بن ماجد البلادي: 82.
محمد بن ماجد الماحوزي: 81، 84، 99.

محمد بن محسن العصفور: 107.
محمد بن محمد البحراني: 40، 106.
محمد بن محمد بن مالك بن الناظم: 83، 106.
محمد بن محمد بن النعمان = الشيخ المفيد
محمد بن مكرم بن منظور: 155.
محمد بن يعقوب = الكليني
محمد بن يوسف البحراني: 83.
محمد بن يوسف بن علي بن كنبا البلادي: 96، 177، 531 .
محمد بن يوسف بن قائد: 45.
محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة التلعفري: 529.
محمد بن يوسف العسكري المقابي: 87، 107.
محمد جابر الأنصاري: 115، 124، 511، 553، 554.
محمد الحبيب ابن الخوجة: 410.
محمد حسن آل ياسين: 192.
محمد حسين آل بو خميس: 325.
محمد الرميحي: 24، 25، 26، 31، 32، 66، 67، 68، 69، 71، 119، 120.
محمد سعيد المسلم: 53، 73، 79، 131، 138، 525.
محمد سلطان بن فريدون خان: 56.
محمد الشاخوري: 194، 258، 268.
محمد شفيع (الفقيه العراقي): 315.
محمد صالح الجابري: 128.
محمد عبد المنعم الحميري: 24، 27، 147، 223.
محمد عبد المنعم خفاجي: 505.
محمد علي باشا: 128.
محمد علي بن بشارة الخيقاني النجفي: 533.
محمد علي التاجر: 21، 24، 25، 26، 27، 37، 39، 44، 46، 54، 55، 57، 60، 61، 105، 110، 118، 147، 174، 179، 185، 194، 196، 199، 211، 214، 215، 225، 226، 227، 234.
محمد علي العصفوري: 57.
محمد فؤاد عبد الباقي: 216.
محمد كاظم الأزري: 503.
محمد محسن بن مرتضى = الفيض الكاشاني
محمد محمود نوفل: 489.
محمد محيي الدين عبد الحميد: 191.
محمد المرزوقي: 496.
محمد الهادي الطرابلسي: 359، 361، 364، 375، 410، 418، 421، 436، 447، 454، 490، 496، 499، 500.
محمود بن نور الدين (ركن الدين): 309، 310.
المحيط الهندي: 54.
المدرسة الإخبارية: 98.
مدرسة داود الجزيري: 81.
مدرسة علي القدمي: 82.
مدرسة محمد الفاراني: 82.
مدن الجد حفصي (الحاج): 63.
مدن الخليج: 34.
المدن الفينيقية: 34.
مدينة المعجزات في النص على الأئمة الهداة (هاشم بن سليمان): 105.
المدينة المنورة: 384.
المذهب الجعفري: 106.
المراثي الهاشمية: 14.
مرتضى الحسيني: 236.
مرحب اليهودي: 341، 391.
المرزباني: 44.
المرزوقي: 506.
المرقش الأصغر: 44.
المرقش الأكبر: 44.
مروزان: 37.
مسجد الخميس: 81
مسجد السدرة: 81، 82.
مسجد رسول اللّه: 35.

مسجد عبد القيس: 35.
مسقط: 21، 74، 99، 551.
مسلم بن الحجاج: 216.
مسلم بن عقيل بن أبي طالب: 192.
مسلم بن الوليد: 135.
المسلمون: 27، 53، 66، 74، 133، 187، 222، 342، 507.
المسيحية: 51.
مصر: 125، 128، 129، 130، 131، 511.
المصريون: 128، 131.
مصطفى جمال الدين: 412، 413، 414، 415، 416، 417.
مصطفى كمال: 496.
مصعب بن الزبير: 36.
مصقلة بن رقبة: 42.
مضيق هرمز: 22، 38.
المطاريش: 56.
مطبعة النعمان: 123، 126.
معاوية بن أبي سفيان: 29، 42، 43.
المعتصم: 494.
المعجم الجغرافي: 23.
معراج النبيه في شرح من لا يحضره الفقيه (يوسف البحراني): 109.
المفضل بن معشر بن نكرة: 43.
مفلح بن حسن الصيمري: 40، 46، 109، 164، 481، 522.
المقتل (حسين بن محمد العصفور): 12، 126.
المقدسي: 23.
مقرن بن أجود بن زامل: 39، 52.
مكة: 25، 88، 155، 338، 554.
مكتبة آية اللّه المرعشي: 321.
مكتبة الأندلس: 30.
المكتبة المرتضوية: 74، 126.
مكتبة نينوى الحديثة: 126.
ملاذ العباد في أحكام التقليد والاجتهاد (أحمد بن صالح بن طعان): 105.
ملحمة جلجامش: 33.
الملطاط: 342.
ملوك الأحساء: 52.
مُلُوك بنت عبد الرؤوف: 329.
ملوك الحيرة: 136.
ملوك العرب: 555.
ملوك هرمز: 54.
المماليك: 128.
الممزق العبدي: 43.
مملكة هرمز: 52، 53.
من لا يحضره الفقيه (الصدوق): 83، 109.
من لا يحضره النبيه في شرح من لا يحضره الفقيه (عبد اللّه بن صالح): 109.
منار الهدى في إثبات النص على الأئمة (علي بن عبد اللّه الستري): 105.
المنامة: 63، 528.
المنتخب من أدب البحرين (حسين علي محفوظ): 12، 125.
منتظم الدرّين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين (محمد علي بن أحمد التاجر): 12، 127.
المنذر بن ساوى: 25.
المنسك الكبير والمتوسط والصغير (حسين آل عصفور): 104.
المنطقة الشرقية: 33.
منظومة ظننت وأخواتها (حسين بن العصفور): 107.
منية الممارسين (عبد اللّه بن صالح السماهيجي): 94.
المهدي عليه السلام: 149، 165، 176، 177، 476.

مهدي التاجر: 31.
مهدي قلي خان: 55.
المهلهل بن ربيعة: 342، 443.
مهيار الديلمي أبو الحسن مرزويه: 192، 257، 493، 557.
الموالون: 29.
مؤسسة الأعلمي: 126، 192.
موسى (النبي) عليه السلام: 171، 365، 394.
موسى بن جعفر عليه السلام: 198، 551.
مؤمن بن حسن الشبلنجي: 237.
مويلك بن قابس العبدي: 44.
ميثم بن علي البحراني: 89، 93، 99، 107، 109، 117.
ميرزا عبد اللَّه أفندي: 80.
ميكائيل: 221.
مينا: 73.

ن

نابليون: 129.
نادر شاه: 59، 60.
نازك الملائكة: 412، 413، 414.
ناصر آل مذكور: 62، 63.
ناصر بن أحمد بن عبد الصمد آل شبانة الموسوي: 177، 315، 448، 551.
ناصر بن أحمد المتوج: 45، 91، 385.
ناصر بن عبد الجبار الحسيني: 328.
ناصر بن علي بن نشرة: 281.
ناصر بن محمد الجارودي: 96.
ناصر خسرو: 20.
ناصر القاروني: 82.
نبوخذ نصر: 31.
نجد: 37، 61، 66.
نجدة بن عامر: 36.
النجف: 29، 119، 126، 127، 321، 412، 547، 548، 551.
نخبة الأصول (محمد بن علي المقابي): 104.
نصر اللَّه الحائري: 98.
نصر بن مزاحم المقري: 212.
نصر بن ناصر: 61، 63.
نصر بن نصير البحراني: 40.
نصير الدين الطوسي: 40، 317.
نظام الدين كيقباذ: 38.
نُعم: 343، 345، 346.
النعمان بن منذر بن ماء السماء: 136.
نعمة اللَّه الجزائري: 98.
نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة (محمد أمين المحبي): 12، 126، 136، 138.
ننخرساك (إلهة): 33.
النهروان: 167.
نوح عليه السلام: 176، 210، 392.
نور اللَّه الشوشتري: 29.
نورية الرومي: 276.
نونو. بي . سلفا: 52.
النيسابوري: 236.
النيل: 498.

هـ

الهادي وضياء النادي(هاشم بن سليمان): 100.
هارون: 188.
الهاشميون: 14، 30، 155، 172، 174، 175، 191، 194، 210، 214، 217، 221، 226، 232، 234، 238، 241، 242، 243، 244، 246، 247، 248، 249، 361، 362، 375، 380، 381، 386، 387، 390، 392، 397، 432، 438، 444، 445، 471، 479، 494، 503، 506، 515، 516، 523، 532، 534، 536، 537، 545، 547، 549، 553.
هجر: 97، 531.

الهرامزة: 52.
هرموز: 38، 39.
هشام بن سليمان: 87، 94، 101، 105، 108، 112، 534.
هشام بن عبد الملك: 151.
الهند: 11، 20، 21، 26، 51، 53، 71، 74، 99، 128، 299، 301، 311، 526، 531، 551، 552.
هند بنت عتبة: 339.
الهنود: 31.
الهولة: 57، 59.
الهيثمي: 176، 191، 206، 209، 210.
هيرودوتس: 34.

و

وادي الرافدين: 32.
الوافي (محمد محسن بن مرتضى الفيض الكاشاني): 102.
وحشي: 339.
وسائل الشيعة (الحر العاملي): 102.
الوسيلة المرعية في معرفة الأوقات الشرعية (خليفة بن حمد النبهاني): 317.
وقعة أم سوية: 67.
وقعة الجمل: 30.
وقعة الحنينية: 69.
وقعة المحرق: 69.
الوكرة: 67.
الوليد بن عبيد (أبو عبادة): 44.
الوليد بن عتبة: 187.
الوهابيون: 65، 66، 67، 68، 70، 93.

ي

ياسين بن صلاح الدين البحراني: 60، 84، 98، 106، 111، 116، 299.
ياقوت الحموي: 24، 27، 29، 30، 39، 131، 152، 232، 502، 536.
يبرين: 28.
يحيى بن حسين البحراني: 107.
يحيى بن زكريا: 222.
يحيى بن عشيرة: 87، 111.
يحيى بن العياش: 37.
يحيى بن المهدي: 30.
يحيى الشمالي: 544.
يزيد بن معاوية: 186، 200، 201.
يعقوب عليه السلام: 394.
اليمامة: 25، 28.
اليمن: 22، 30.
اليهود: 31.
يوسف عليه السلام: 246، 394.
يوسف البحراني: 20، 40، 45، 53، 56، 57، 58، 59، 61، 62، 72، 73، 74، 80، 81، 83، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 96، 98، 99، 101، 103، 104، 105، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 114، 115، 116، 117، 131، 210، 213، 257، 267، 269، 293، 300، 301، 317، 353، 416، 439، 445، 440، 448، 504، 521، 524، 528، 535، 537، 538، 543، 546.
يوسف بن أبي بكر السكاكي: 361.
يوسف بن أحمد آل عصفور: 73، 95، 100، 537.
يوسف بن عبد اللّه (أبو عمر) = ابن عبد البر
اليونان: 496.

كشاف الشعر

قافية الهمزة

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	ص
يدنُو إلى	استقصاءِ	الكامل	حسن الدمستاني	4	192
ألا نوحُوا	بكربلاءِ	الوافر	أحمد بن المتوج	3-6	216، 443
فمن الفرضِ	الولاءِ	مجزوء الكامل	خليل بن علوي	4	208
هلموا نبكي	الأنبياءِ	الوافر	داود بن أبي شافيز	3	216
إنّ سَارَ	الهواءِ	ـــــ	ـــــ	2	345
لا خيرَ	الأحياءِ	الكامل	ماجد بن هاشم	1	440
فتخالُ	الأعداءِ	الكامل	خليل بن علوي	1	395
فإذا برزتُ	وخِبائي	ـــــ	حسن الدمستاني	3	193
قولوا لشيعتي	عزائي	الكامل	حسن الدمستاني	2	211
وَهدّ قواي	عزائي	الوافر	داود بن أبي شافيز	2	217

قافية الألف

ويا لهف	مُلقَى	الطويل	حسن الدمستاني	4	217
فإنكم سفن	الهدى	السريع	أحمد الدمستاني	1	392
هي جلسةَ	حوَى	مجزوء الكامل	الوائلي	1	433

قافية الباء

المجّدُ	النَّسَبْ	السريع	حسن الدمستاني	4	269
وأفْرَغَ	الغَضَبْ	ـــــ	ـــ	4	346
يحمِي	الأخاشبْ	مجزوء الكامل	أحمد بن طعان	4	386
أين النبيونَ	المذاهِبْ	مجزوء الكامل	أحمد بن طعان	3	469
فانتاسَهُ	القَصَبْ	السريع	حسن الدمستاني	2	391

ففلقَ	الرّيبْ	السريع	حسن الدمستاني	1	378
وَمُحَّصَ	في الحبَّ	الطويل	حسن الدمستاني	1	172
فقد مُحَّصُوا	الربَ	الطويل	حسن الدمستاني	1	172
اللهُ يا	سَبا	السريع	عبد الله الذهبة	1	397
ولو بُلِغتْ	اعتجابا	الوافر	محمد بن عبد الله الحسيني	1	134
تالله	مستجلَبا	الكامل	حسن الدمستاني	2	152
تَوَدُّ لو	غَيّبَا	السريع	عبد الله الذهبة	4	186
لِمَ لا	تُسْلَبا	السريع	عبد الله الذهبة	1	186
لهفي لأطفالِ	زَيْنَبَا	الكامل	حسن الدمستاني	2	195
جَنَحُوا	رَحيبَا	الخفيف	علي بن عبد الله البوري	2	245
لاتحسبِ	أصحابا	الكامل	جعفر الخطي	3	294
أبا الفضلِ	مخالِبَا	الطويل	حسين بن زعل البحراني	4	308
واصلحْ	انتصابَا	الوافر	عبد الله بن محمد الحسيني	3	308
قصدتُ	والرحَابَا	الوافر	عبد الله بن محمد الحسيني	5	312
وأنت الناسُ	غِضَابَا	الوافر	عبد الله بن محمد الحسيني	4	313
فَسحبانُ	خاطِبَا	الطويل	حسين بن زعل	1	316
أين الإبَا	نبَا	السريع	عبد الله الذهبة	2	470
كُتبُ الكلام	كالهبا	الكامل	سليمان الماحوزي	3	317
أَقْذَى	لهبَا	البسيط	صالح بن طعان	5	323
ألا قد	وَصْبَا	الوافر	طه بن إبراهيم العرادي	4	325
أين الفَخارُ	الكوكبَا	السريع	عبد الله الذهبة	1	384
ولو أوعدتَ	سَرابَا	الوافر	عبد الله بن محمد الحسيني	1	383
أقِلني	مَثابَا	الوافر	عبد الله بن محمد	1	456
خُمْصُ	سُغبَا	الكامل	حسن الدمستاني	1	451
إن تُكْسِبِ	الألقابَا	الكامل	جعفر الخطي	1	441
ولولَا ما	الرِّقابَا	الوافر	عبد الله بن محمد	1	463
رَبْعَ	والرُّبَى	الكامل	علي بن محمد الصالحي	3	282
ماذا الذي	واليَلَبُ	البسيط	ناصر بن أحمد الحسيني	2	177
نسيتُ الذي	المشارِبُ	الطويل	أحمد بن عبد الرؤوف	2	211
فإنك أدنى	يهابُ	الطويل	إبراهيم الخليفة	1	434
أيا ماجدٌ	صوابُ	الطويل	إبراهيم الخليفة	1	434
لهمُ رَسَتْ	تضطربُ	البسيط	خليل بن علوي	1	247

حاشا الحسينَ	الرُّتَبُ	البسيط	سلمان التاجر	1	248
يَهُبُّ	والهربُ	البسيط	سلمان التاجر	1	385
ليث تظلُّ	تَنتكِبُ	البسيط	ناصر بن أحمد	1	385
آسادُ	نشبُ	البسيط	خليل بن علوي	1	375
أبَعْدَ	والهضَبُ	البسيط	خليل بن علوي	4	468
لقد هجَرَ	المشِيْبُ	الوافر	سليمان الماحوزي	4	267
كلكم أوالُ	أرَبُ	البسيط	خليل بن علوي	3	293
الضاربي	سَلبُوا	البسيط	ناصر بن أحمد	1	448
وأقمنا	تنشبِ	الرمل	محمد بن عيسى الخليفة	1	70
وأعظمُ	من كتابِ	الوافر	يوسف البحراني	1	117
يا مَرْبعَ	للحطبِ	البسيط	ماجد بن أحمد الجدحفصي	3	174
وَظِلَّ اليتامى	بزينبِ	الطويل	حسن الدمستاني	2	193
أرقّ من	طالبِ	ـــــ	ـــــــــــــــــــ	1	213
هل المحرمُ	والكرَبِ	البسيط	علي بن حسن البلادي	3	216
يوم أصابَ	الغهبِ	المنسرح	ديك الجن	1	223
والبيت	التقليبِ	الكامل	حسن الدمستاني	2	224
أناس بهم	المحارِبِ	الطويل	عبد المنعم بن محمد	1	234
وهُمامٌ	قُرضابِ	الخفيف	سلمان التاجر	3	240
حُماةٌ متى	جانِبِ	الطويل	عبد المنعم بن محمد	1	242
وبني هاشم	الإجدَابِ	الخفيف	سلمان التاجر	2	242
يَمرُّ بها	الحقائِبِ	الطويل	سلمان التاجر	2	243
فكم أعَزَّ	الحَسَبِ	البسيط	سلمان التاجر	1	262
وكم مستفيدِ	والضَّرْبِ	الطويل	حسن الدمستاني	1	266
وَقَفتُ	الملاعِبِ	الطويل	عبد المنعم بن محمد	6	282
وما أنا	الرغائِبِ	الطويل	عبد الرؤوف بن الحسين	2	307
كأن علومَهُ	باكتسابِ	الوافر	خليل بن علوي	1	315
فَأَقرَ	للمحبُوبِ	ـــ	ـــ	2	351
مُحمِّلاتٍ	كالسُّحُبِ	البسيط	علي بن الحسين البلادي	1	360
تناديهِ	السَّحائِبِ	الطويل	لطف الله بن محمد	1	352
فما سابِغاتُ	العَنَاكِبِ	الطويل	لطف الله بن محمد	1	363
لا كان	الرّطبِ	البسيط	ماجد بن أحمد	1	383
فكأن الظُّبا	الأترابِ	الخفيف	سلمان التاجر	1	392

وقفتُ	غاربِ	الطويل	عبد المنعم بن محمد	3	373
وافاهُ	التُربِ	البسيط	علي بن حسن البلادي	1	378
وصفوةَ	بالطُّنُبِ	البسيط	علي بن حسن البلادي	1	379
برزَتْ	بالذهبِ	الرمل	الوائلي	1	380
لَهُنَّ على	الأخاشِبِ	الطويل	لطف الله بن محمد	2	394
فلا يُجاريه	العذْبِ	البسيط	خليل بن علوي	1	396
صافِحِ	الرضابِ	الخفيف	الوائلي	1	423
أما آن	واجِبِ	الطويل	لطف الله بن محمد	1	433
يفرق	والتُّربِ	الطويل	حسن الدمستاني	1	435
لفَّ الجموعَ	اللهَبِ	البسيط	سلمان التاجر	1	436
أيا والِدي	خاضبِ	الطويل	أحمد بن عبد الرؤوف	4	445
فأَينَ حماةُ	آل غالبِ	الطويل	لطف الله بن محمد	3	445
الطاهِرُ	النَّسَبِ	البسيط	خليل بن علوي	1	447
أبا الفضْلِ	راغِبِ	الطويل	خليل بن علوي	1	457
أبا الفضْلِ	سالِبِ	الطويل	ـــ	1	457
فاحصِنْ	للنَوبِ	البسيط	سلمان التاجر	3	473
لقد سافرتُ	ذهابي	الوافر	محمد بن علي آل شبانة	3	295
وحَوْلَهَا الأيتام	وا أبي	السريع	أحمد حسن الدمستاني	3	194
أرائعِة	شَبابي	الوافر	إبراهيم الخليفة	2	268
ألا من	صِحَابي	الوافر	يوسف البحراني	5	269
أملاكٌ	عَجَبي	الرمل	الوائلي	1	393
إذا أنا	مثالبي	الطويل	جعفر الخطي	1	460
أقصري	بي	الخفيف	سلمان التاجر	1	472

قافية التاء

لك معنًى	وتَرَضَّتْ	الخفيف	سلمان التاجر	3	503
سامي وجودك	أوقاتُ	البسيط	خليل بن علوي	4	313
إنما أنت	بالآياتِ	الخفيف	خليل بن علوي	1	393
فرِزؤُك	المَمَاتِ	الوافر	حسين الشاخوري	1	435
قال طرَحُوا	تَسَلَّتِ	ـــ	حسن الدمستاني	3	200
وإلى أوالَ	السَّاحاتِ	الكامل	علي بن إبراهيم آل شبانة	3	297
رَوْضٌ كما	الزهراتِ	الكامل	جعفر الخطي	1	368
والطُّهرُ	مُزنةِ	الكامل	حسن الدمستاني	4	474

مُبَصّرين	والعصمةِ	ـــ	حسن الدمستاني	3	144
كان الحسينُ	بِضْعَةِ	الكامل	حسن الدمستاني	3	198
قالوا لها	مرَّةِ	الكامل	حسن الدمستاني	4	200
وغَدَتْ تمرّغُ	لثمةِ	ـــ	ـــ	2	201
وَلَديَ	حياةِ	الكامل	علي بن إبراهيم آل شبانة	3	289
رسالةُ	العبارةِ	الطويل	عبد اللطيف بن محمود آل محمود	3	317
إذا كانَ	وفرحتي	الطويل	الوائلي	1	302
فأنا وإن	شُباتِي	الكامل	جعفر الخطي	2	307
فقال أسلِمْ	مِحْنتي	ـــ	طوق بن الصباح	2	345

قافية الجيم

دَعِ الضراعةَ	الحاجِ	البسيط	خليل بن علوي	3	264

قافية الحاء

إذا كُنتَ	نَاصِحُ	الطويل	إبراهيم خليفة	2	263
سَقَى	راشِحُهْ	الطويل	جعفر الخطي	4	297
وَعَى قلبُهُ	جوانِحُهُ	الطويل	علي بن عبد الله الستري	1	315
لهُ الأذكارُ	واصطباحِ	الوافر	أحمد بن طعان	1	234
لَهُ صومُ	الصَّبَاحِ	الوافر	أحمد بن طعان	1	235
تَسَامتْ	الرَّبَاحِ	الوافر	أحمد بن طعان	3	245، 246
فَما يعقوبُ	الصَّلاحِ	ـــ	أحمد بن طعان	2	246
كسرويٌّ	الكِفَاحِ	الخفيف	جعفر الخطي	4	310
أرى ما	كَالحِ	الطويل	حسن الدمستاني	2	437
لقد بَرَّحَ	بِبارِحِ	الطويل	حسن الدمستاني	1	441

قافية الدال

لاحظي الأطفال	الصعيدْ	مجزوء الرمل	خليل بن علوي	4	193
كأنّما السُّمْرُ	الحِدَادْ	السريع	سلمان التاجر	1	362
مَنْ للهدَى	الجَوادْ	السريع	سلمان التاجر	1	441
يا نفسُ	فُؤادْ	السريع	سلمان التاجر	2	473
ولو عاينتْ	المقلَّدَ	الطويل	العلوي المرتضى	4	200

فهو قديمُ	سرْمَدَا	—	—	3	143
ذُقْ شِدةَ	الجلدا	البسيط	حسن الدمستاني	6	174
ابني أميةَ	أُبِيدا	الكامل	خليل بن علوي	4	178
فهوتْ عليهِ	المنضُودا	الكامل	خليل بن علوي	6	190
يا راكباً	توخيدا	—	—	3	190
أألذُّ بعدك	مورُودَا	الكامل	خليل بن علوي	1	211
يومٌ به	بردا	البسيط	لطف الله بن محمد	1	223
وظللتِ	وقَدَا	البسيط	لطف الله بن محمد	1	227
حَالَ مِنْ	الرقادَا	مجزوء الرمل	الوائلي	3	281
سقيمُ	والإثمدَا	المتقارب	علوي بن إسماعيل	1	286
بَسَمْنَ	عُقُودَا	الطويل	جعفر الخطي	3	286
ولأخْبِطنَّ	جوادَا	الكامل	جعفر الخطي	3	309
بحرٌ يفوق	مُزْبدَا	الكامل	خليل بن علوي	2	315
زانَتْ به	تَمهَّدا	الكامل	خليل بن علوي	1	316
وحمزةُ	وشرَّدا	—	—	3	339
وإذا الأقوامُ	وصلَادا	الرمل	علي بن حسن البلادي	1	360
عَشِقتْ	وَوَرِيدا	الكامل	خليل بن علوي	1	372
فعند ذلك	قدَّا	—	—	7	411
للهِ قومٌ	عُبادا	البسيط	علي بن حماد البرباري	2	427
فتراهُمْ	وفؤادَا	الرمل	علي بن حسن البلادي	1	458
غابُوا	وَغَدَا	البسيط	لطف الله بن محمد	3	442
فيا لَكَ	سعودا	الطويل	جعفر الخطي	1	457
ذُقْ	الجَلدَا	البسيط	أحمد الدمستاني	2	472
حاكت له	وسدَى	البسيط	لطف الله بن محمد	1	225
تزورُهُ	هُدَى	البسيط	لطف الله بن محمد	1	226
سَمَا بِكَ	قاعِدُ	الطويل	حسن الدمستاني	2	178
وَصَوَّبَ	صَوَاعِدُ	الطويل	حسن الدمستاني	6	183، 184
قَبْلُ كانت	صِيْدُ	الخفيف	سلمان التاجر	4	186
وسكينةٌ تدعو	ويُرشِدُ	الكامل	حسن الدمستاني	4	189
في آلِهِ	يُحْمَدُ	الكامل	محمد بن أحمد العصفور	1	207
وأطفالُهُ	واقِدُ	الطويل	حسن الدمستاني	1	196
أمية ما	أباعِدُ	الطويل	حسن الدمستاني	4	211

ألمُ ألمَّ	يخمدُ	الكامل	محمد بن أحمد العصفور	5	218
لا غَروَ	العَسْجدُ	الكامل	خليل بن علوي	2	261
أسدٌ	وترعدُ	الكامل	حسن الدمستاني	1	432
إذا لم	وَوَالِدُ	الطويل	أحمد الدمستاني	2	375
كم من جواد	يُعبَدُ	الكامل	خليل بن علوي	1	375
برزنَ	صائِدُ	الطويل	لطف الله بن محمد	1	387
حالِكُ	أملدُ	الرجز	خليل بن علوي	1	389
أخِي	صائِدُ	الكامل	خليل بن علوي	1	390
هواتِفُ	وتشاهِدُ	الطويل	خليل بن علوي	2	477
فمضَى	يَتَردَّدُ	الكامل	أحمد الدمستاني	9	481
وكانوا له	يُكابِدُ	الطويل	خليل بن علوي	1	440
أيدرِكَ	كاسِدُ	الطويل	أحمد الدمستاني	4	467
أميةُ	أباعِدُ	الطويل	حسن الدمستاني	6	470
فلِذَا جليلُ	الأضدادِ	الكامل	حسين بن علي البلادي	1	158
وهَمَّ	بمرصدِ	الطويل	سلمان التاجر	2	165
ومن حَقّها	أحمدِ	الطويل	سلمان التاجر	1	166
أفاطمُ	المهْدِ	الطويل	محمد بن أحمد العصفور	3	190
محمّدُ يا	لَحْدِ	—	—	1	191
وظلَّ أبُو	المجْدِ	الطويل	سلمان التاجر	3	197
وألوَتْ عليه	الوجدِ	—	—	4	197، 198
يا أبي	والإبعادِ	الخفيف	—	2	199
وحَرُّ	بُعْدِ	الطويل	محمد بن أحمد العصفور	1	209
وبقى ثلاثاً	مُفادِ	الكامل	أحمد بن طعان	2	240
من كان	والآحَادِ	الكامل	أحمد بن طعان	1	243
عليكُم بتقوَى	العَبْدِ	الطويل	أحمد الدمستاني	1	245
صَبْراً	الأمجادِ	الكامل	أحمد بن عبد الله العصفور	2	265
إذا اشتدّتِ	أُحْدِ	الطويل	حسن الدمستاني	1	266
لعمرَكَ	لمجهودِ	الطويل	حسن الدمستاني	1	270
ولولا وقوعُ	والعَبْدِ	الطويل	—	2	270
فهلْ نظرةٌ	بالوَعْدِ	الطويل	حسن الدمستاني	3	284
وإن أنْسَ	النِّدِّ	الطويل	الوائلي	1	287
إذا نَامَ	السُّهدِ	الطويل	الوائلي	3	299

أحمدُ من	السُّؤددِ	الرجز	محمد بن عبد الله الحسيني	3	311
تفرَّسَ	وَمَهْدِ	الوافر	جعفر الخطي	3	312
الدينُ	تتقعَّدِ	الكامل	خليل بن علوي	2	322
هيهاتُ	محمَّدِ	الكامل	خليل بن علوي	3	322
قمْ وادعُ	الأعوادِ	الكامل	الوائلي	2	326
وكان ذَا	الخَدِّ	ـــ	ـــ	1	346
ما للدموعِ	حادِ	الكامل	الوائلي	1	364
قَيَّدني	مُقَيدِ	الرجز	محمد بن عبد الله الحسيني	1	369
ويبسمُ	وأبرَدِ	الطويل	جعفر الخطي	1	378
ومُذ أحرزوا	الفراقدِ	الطويل	لطف الله بن محمد	1	381
وكففتِ	طرادِ	الكامل	جعفر الخطي	1	387
فدَعْ	القتادِ	الوافر	أحمد بن طعان	1	390
رؤساؤهُمْ	عادِ	الخفيف	خليل بن علوي	1	395
ومن بَعدِ	الخدِّ	الطويل	حسن الدمستاني	1	434
والتقوا	الشدادِ	الرمل	خليل بن علوي	1	438
نَضُبَتْ	الوَرَّادِ	الكامل	جعفر الخطي	1	441
قُمْ وادعُ	الأعوادِ	الكامل	الوائلي	3	446
باكياتٌ	صوَادِ	الخفيف	حسن الدمستاني	1	448
مُذْ اشتعلتْ	حِدَادِ	الوافر	أحمد بن طعان	1	454
عفواً	بالإثمدِ	الرجز	محمد بن عبد الله الحسيني	1	455
يُعاملني	والبُعدِ	الطويل	إبراهيم الخليفة	1	456
وتبوَّأَ	وبوَادِ	الكامل	الوائلي	1	459
ألا يا	قصدِ	الوافر	خليل بن علوي	4	469
عُقَيبكَ	رَغْدِ	الطويل	سلمان التاجر	5	474
متى أنظرُ	والنَّجْدِ	الطويل	سلمان التاجر	3	476
حبيبة	خدِّي	الطويل	الوائلي	1	376
مَلَك الجزيرة	يُنادِي	ـــ	الوائلي	2	326
عَدَتِ	مُعتدِي	الكامل	خليل بن علوي	1	323
فَتَى ما	ويُبدِي	الوافر	جعفر الخطي	2	314
وطني	ووسادِي	الكامل	الوائلي	3	303
خلياني	سُهادِي	الرمل	خليل بن علوي	2	472
وإن لم	وجدِي	الطويل	حسن الدمستاني	1	457

كأن القلبَ	صادِي	الوافر	أحمد بن طعان	1	439
ألا يا أيُّها	فؤادي	الهزج	عبد الرؤوف الجدحفصي	4	416
وادٍ إذا	الوادي	الكامل	علي الصالحي	1	368

قافية الذال

قد حَجَبَ	كَذَا	—	—	1	341
ما منهمُ	بَذِي	السريع	أحمد الدمستاني	1	438
يا ساكني	يغتذِ	الكامل	سلمان التاجر	2	155
شَهْمٌ	تنفذِ	الكامل	سلمان التاجر	2	169

قافية الراء

وانتفتِ	والأثَرْ	—	—	2	143
مفهومُهَا	البَشَرْ	—	حسن الدمستاني	3	144
فقال عَمَّارُ	المنتشِرْ	—	—	2	348
وَبَعْدَ ذا	آل مُضَرْ	—	—	1	338
وله النّجمُ	زَهَرْ	الرمل	خليل بن علوي	2	506
أحرَمَ	العُصورْ	مجزوء الرمل	حسن الدمستاني	2	426
يا هندُ	يَتَغَيَّرَا	الكامل	الوائلي	1	277
شهر المحرّمِ	متفكِّرا	الكامل	حسين الشاخوري	1	214
بطلٌ هبَّ	ثُبُورَا	الخفيف	سلمان التاجر	1	240
تراءتْ لي	قِشْرَا	الطويل	حسن الدمستاني	4	259
لايخدعَنَّكَ	مُتحذِّرَا	الكامل	عبد الرؤوف بن الحسين	2	262
يا فَاعِلَ	إقتارَا	البسيط	أحمد بن طعان	2	265
خُضِ الهولَ	الصَّبرَا	الطويل	حسن الدمستاني	2	270
ألفِتُكَ	صَبْرا	الوافر	إبراهيم الخليفة	4	327
تاللهِ	جِهَارَا	—	—	2	350
فأنتَ الغيثُ	أجرَا	الوافر	إبراهيم الخليفة	1	363
سُقْياً لأيام	اخْضَرَا	الكامل	الوائلي	1	370
بطلٌ	ثُبُورَا	الخفيف	سلمان التاجر	1	377
فأنت الغيث	أجرَا	الوافر	إبراهيم الخليفة	1	382
كفاسِدَةِ	قِشرَا	الطويل	حسن الدمستاني	1	461
فيا عجباً	الصقرَا	الطويل	حسن الدمستاني	1	462
فِتيةٌ	وقُصورَا	الخفيف	سلمان التاجر	2	507

يا آل	الشَّنفرَى	الكامل	حسين الشاخوري	1	508
وحُثّ قُواكَ	المسْرَى	الطويل	حسن الدمستاني	1	364
انهضْ	الشَّرَى	الكامل	سليمان الماحوزي	3	302
ولما أَتَى	يُبَشْرُ	الطويل	داود بن أبي شافيز	3	167
ألست بأولى	يُذْكرُ	—	—	2	167
كأن رسول	والزجرُ	الطويل	محمد بن أحمد العصفور	1	172
ولي زفرةٌ	والزواخِرُ	الطويل	سعيد بن يوسف	1	218
لديكَ النعيمُ	والكوثرُ	المتقارب	علي بن أحمد الكامل	1	237
ورُدّتْ لَهُ	حُضَّرُ	—	علي بن أحمد الكامل	1	237
فما حاجتي	صُفْرُ	الطويل	خليل بن علوي	2	265
ما كنت	تأسِرُ	الطويل	حسين بن محمد العصفور	1	287
بنفسي	فَجرُ	الطويل	عبد الله بن محمد الحسيني	4	288
لمَّا رآهُمُ	الكرَّارُ	—	—	2	339
ونحنُ مِنَّا	والكفورُ	—	—	1	352
وغصنُ	تَدْبُرُ	المتقارب	علي بن أحمد الكامل	1	362
غزالٌ	نَيِّرُ	المتقارب	علي بن أحمد الكامل	1	365
لَهُنَّ ضجيجٌ	انفطَارُ	المتقارب	أحمد بن الحاجي	1	368
تُدِيرُ علينا	الثَّغْرُ	الطويل	عبد الله بن محمد	1	370
وَخَيلُ	النَّصرُ	الطويل	جعفر الخطي	1	374
وقد طارحتني	الأخضرُ	المتقارب	علي بن أحمد الكامل	1	375
عفيفٌ	وقرُ	الطويل	جعفر الخطي	1	379
أوَجْهُكِ	سِحْرُ	الطويل	عبد الله بن محمد	1	383
وما كانَ	ذخرُ	الطويل	سلمان التاجر	4	497
فَتَى	تنجرُّ	—	سلمان التاجر	3	498
فَقُلْ	قَفْرُ	—	سلمان التاجر	3	498
كأنَّ بني	البدْرُ	—	أبو تمام	1	498
لئن ألبستْ	بَكْرُ	—	أبو تمام	1	498
لقد قصمتْ	جبرُ	—	سلمان التاجر	4	498
لقد عَرَّستْ	المهرُ	—	سلمان التاجر	3	499
أبي يا	والسُّمرُ	—	سلمان التاجر	3	499
لئن غَدَرتْ	الغَدْرُ	—	أبو تمام	1	499
غُصنُ	تدبُرُ	المتقارب	علي بن أحمد الكامل	1	390

وجدَّلَ	صَرصَرُ	المتقارب	علي بن أحمد الكامل	1	391
فَسَمعًا	بِشْرُ	الطويل	محمد بن أحمد العصفور	1	508
وبالفتحِ	السِّرِّ	الطويل	عبد الله بن أحمد بن المتوج	2	142
بِمَنْ بَايَعَ	والفَخْرِ	—	عبد الله بن أحمد بن المتوج	2	142
ما قدرُ	والزُّمرِ	—	عبد الرؤوف بن أحمد الجدحفصي	2	157
أمربعُ	ممطُورِ	البسيط	حسين الشاخوري	2	154
تعاليتُ	قاصرِ	الطويل	ابن أبي الحديد	1	158
لهفي	مغرورِ	البسيط	ماجد بن هاشم	2	169
ما مركزُ	المنَاحيرِ	البسيط	حسين بن علي الشاخوري	5	170
حتى إذا	بتضويرِ	—	حسين بن علي الشاخوري	2	171
يُلقي	تزفيرِ	—	حسين بن علي الشاخوري	3	171
مُلقَى	بمحفورِ	—	—	2	171
ومَالُوا	طَوَاهِرِ	الطويل	داود بن أبي شافيز	2	185
ومقروحةٌ	عَاثِرِ	—	داود بن أبي شافيز	2	185
وَنادَى	سِاتِرِ	—	داود بن أبي شافيز	2	185
وأعظمُ	من الكِبْرِ	الطويل	حسن الدمستاني	4	187
أَيَا جَدُّ	الحَواسِرِ	الطويل	علي بن أحمد الجدحفصي	3	195
وفاطمةُ	بِوِكْرِ	الوافر	أحمد بن الحاجي	5	199
أبي يعزِزْ	صَخْرِ	—	أحمد بن الحاجي	1	199
يقضي الحسين	خنزيرِ	البسيط	ماجد بن هاشم	1	209
فَلاَ كَانَ	عَاشِرِ	الطويل	لطف الله بن علي	2	214
محرَّمُ لا	الدَّهْرِ	الطويل	حسن الدمستاني	2	214
رزيةٌ	وتحقيرِ	البسيط	حسين الشاخوري	4	219
ومن ذا يُعزّي	والمفاخِرِ	الطويل	خليل بن علوي	4	221
لقد رَاضَ	النَّجائِرِ	الطويل	علي بن أحمد الكامل	1	233
قَومٌ	مَذْكورِ	البسيط	حسين الشاخوري	1	233
قومٌبهم	والجوُرِ	البسيط	حسين الشاخوري	1	235
حُلْوُ الخصالِ	مُنْكَسِرِ	البسيط	عبد الرؤوف بن الحسين	3	238
ولا يُنَاغَى	المضَامِيرِ	البسيط	حسين الشاخوري	2	241
والمطعمونَ	ومأسورِ	البسيط	حسين الشاخوري	1	243
أظن هاروتَ	بالظّفَرِ	البسيط	عبد الرؤوف بن الحسين	2	286

مُنِّي	سَقَرِ	البسيط	عبد الرؤوف بن الحسين	5	288
هو الحُبُّ	النُّكرِ	الطويل	الوائلي	1	289
إن أَنْسَى	والنُّورِ	الكامل	جعفر الخطي	4	294
إذَا جَنَّنِي	الفَجرِ	الطويل	محمد بن عبد الله الحسيني	4	295
مَضَتْ في	والغَرِّ	—	محمد بن عبد الله الحسيني	3	295
آه وقَلَّ	كُثيرِ	الكامل	جعفر الخطي	3	297
إن تُصيبني	وذُكُورِ	الكامل	جعفرالخطي	3	298
ليس البعادُ	بإضَرارِ	البسيط	ياسين بن صلاح الدين	2	299
إذَا جَالَ	المآثرِ	الطويل	يوسف البحراني	3	300
وإنِّي لأرجُو	العُمْرِ	الطويل	محمد بن عبد الله آل شبانة	5	301
متى تصدحُ	والبشائرِ	الطويل	يوسف البحراني	3	302
قُلْ لأحفَى	الشُّكْرِ	الطويل	جعفر الخطي	4	313
وذكاءٌ	الجَمْرِ	الخفيف	جعفر الخطي	1	315
وختامٍ	وعمرِو	—	—	2	316
وقضاءٌ	وشُكرِ	—	—	1	316
مستنير	عَمُرو	—	—	1	316
واحتجاجٍ	السِّحْرِ	—	—	1	316
وزاخرُ	البَشَرِ	البسيط	خليل بن علوي	1	316
وقريضٌ	حِجْرِ	الخفيف	جعفر الخطي	4	317
لئنْ سلمتم	البَرِّ	—	—	2	350
رَمَوهُ	مَاطِرِ	الطويل	علي بن أحمد الكامل	1	360
تعشِّقْتُ	السِّحرِ	الطويل	إبراهيم خليفة	1	370
نُورُ الهُدَى	والقَدَرِ	البسيط	عبد الرؤوف بن الحسين	1	370
وليس تأوِي	المحاجِيرِ	البسيط	حسين الشاخوري	1	371
وأشكُو	الكَسْرِ	الطويل	جعفر الخطي	1	377
ولم يبقِ	القَطرِ	الطويل	خليل بن علوي	1	385
إن كرَّ	كاسَرِ	الكامل	أحمد بن عبد الرؤوف	1	387
وضاقَ	متطايرِ	الطويل	خليل بن علوي	1	388
وَرُمْحِ	الخناجِرِ	الطويل	خليل بن علوي	1	388
ورديَّةَ	البصَرِ	البسيط	عبد الرؤوف بن الحسين	1	389
فانسابَ	السَّحَّارِ	الكامل	أحمد بن طعان	1	394
تَتلُو	زَبُورِ	الكامل	جعفرالخطي	1	394

وكم ربيبةِ	سابُورِ	البسيط	حسين الشاخوري	1	395
وقريضٍ	حُجْرِ	الخفيف	جعفرالخطي	3	395
تَرَى في	ونارِ	الوافر	الوائلي	1	433
ويا هاجري	شاكرِ	الطويل	الوائلي	1	435
وإن كُرَّ	النَّوافِرِ	الطويل	داود بن أبي شافيز	1	440
مَنْ مُبلغنَّ	ومنحُورِ	البسيط	ماجد بن هاشم	4	443
فبين عذارى	نواشِرِ	الطويل	داود بن أبي شافيز	3	444
فللهِ يومٌ	مَاكرِ	الطويل	يوسف البحراني	2	446
ورديةَ	البَصَرِ	البسيط	عبد الرؤوف الجدحفصي	1	447
نوائبُه	فاجِرِ	الطويل	يوسف البحراني	1	448
سَهلُ	يُسرِ	البسيط	الوائلي	1	449
بأحزانِ	صَاغِرِ	الطويل	علي بن أحمد الكامل	1	449
الدّينُ في	مذعورِ	البسيط	خليل بن علوي	1	449
عفيرًا	مَتبْرِ	الطويل	حسن الدمستاني	1	450
جمٌّ	الأُزْرِ	البسيط	الوائلي	1	450
جليلٌ	الذِّكْرِ	الطويل	خليل بن علوي	1	452
وتَثْرَى	صُفرِ	الطويل	جعفرالخطي	1	457
عسى الدهرُ	والتهاجُرِ	الطويل	محمد بن عبد الله الحسيني	1	476
وإن أنسَ	والمآزرِ	الطويل	علي بن أحمد الكامل	5	479
يا صارِمًا	عَارِ	الكامل	أحمد بن طعان	2	505
وألزمتني	أشعاري	الطويل	الخطي	2	149
عذراً	عذري	البسيط	عبد الرؤوف بن أحمد الجدحفصي	1	157
يناظِرُني	فخرِي	الوافر	طه العرادي	6	502
سُؤْلي	نُورِي	البسيط	حسن الشاخوري	1	451
نعم لا	ناصرِي	الطويل	الوائلي	1	424
عُجْ بالمطي	سُرورِي	الكامل	جعفرالخطي	4	298
من لي وقد	وأنصاري	البسيط	سليمان الماحوزي	2	257
فَقُمْ	الضاري	الطويل	أحمد بن صالح بن طعان	1	177

قافية السين

وكم لآل	مَرْمُوسَا	البسيط	حسن الدمستاني	1	172
تكفَّل رزقي	النَّفْسَا	الطويل	خليل بن علوي	4	264

أَصْبَحتُ	مَغْمُوسَا	البسيط	حسن الدمستاني	5	296
فقال أين	و«الجنيسُ»	—	—	2	351
إنه في	قِسٍّ	—	طه العرادي	3	504
بِسَنَا	بأُنْسِ	—	سلمان التاجر	3	504

قافية الصاد

والحقُّ	والخُصوصُ	—	—	2	143

قافية الضاد

يا كَافِلَ	القضَا	الكامل	أحمد بن طعان	1	378
فانهضْ	أمَرَضَا	الكامل	أحمد بن طعان	2	473
طَلَعَتْ	المَمْحُوضُ	الكامل	ماجد بن هاشم	3	267
قد كنتُ	ويُروَضُ	الكامل	ماجد بن هاشم	1	268
رَحَلُوا	ومُغَيِّضُ	الكامل	جعفر الخطي	5	278
والليلُ	بغيضُ	الكامل	ماجد بن هاشم	1	460
أيقومُ	المفروضُ	الكامل	ماجد بن هاشم	1	462

قافية العين

فنازعك	انتزاعْ	الوافر	إبراهيم بن محمد	1	70
قال لهم	تَبَعْ	—	قاسم الإصبعي	2	344
وافَى الهلالُ	مُتَلَفّعا	الكامل	سلمان التاجر	3	224
ودعوْتَ	تقطيعَا	الكامل	أحمد الدمستاني	1	440
أنا في مديحك	المصقِعُ	الكامل	ابن أبي الحديد	1	158
أحبابنا	رُجُوعُ	السريع	عبد الرؤوف بن الحسين	3	471
ألا ما	وانقطاعُ	الوافر	إبراهيم الخليفة	4	477
لك المجدُ	يسمعُ	الطويل	خليل بن علوي	2	505
هِي الدُّنْيا	وانخِدَاعُ	الوافر	إبراهيم الخليفة	3	260
فوحَقّكُمْ	يتقطَّعُ	الكامل	إبراهيم الخليفة	5	280
هَلُمِّي	بَاعُ	الوافر	إبراهيم الخليفة	2	325
قضاءٌ	امتناعُ	—	إبراهيم الخليفة	2	325
وقد قضَى	اتساعُ	—	إبراهيم الخليفة	3	325
كأن قلوبَنَا	الودَاعُ	الوافر	جعفر الخطي	2	363

ألستَ تَرَى	قواطعُ	الطويل	إبراهيم الخليفة	1	372
ويا طوْدَ	القِلاعُ	الوافر	إبراهيم الخليفة	1	374
اشاقَكَ	طوالعُ	الطويل	إبراهيم الخليفة	1	424
حُكْمُ	ويخضعُ	الكامل	إبراهيم الخليفة	1	433
والعِلمُ	التضييعِ	الكامل	عبد الله بن صالح السماهيجي	1	80
لِربْهمُ	المضَاجِعِ	الطويل	عبد الرؤوف بن الحسين	1	234
بِهِمْ أشرَقَ	الشرائعِ	الطويل	عبد الرؤوف بن الحسين	1	235
ولا تكترِثْ	بِضَائعِ	الطويل	عبد الرؤوف بن الحسين	3	266
يا قبرُ	المطلَعِ	الكامل	خليل بن علوي	4	324
فلبّ	امتناعِ	الوافر	إبراهيم الخليفة	2	505
التارِكُ	منقعِ	الكامل	جعفر الخطي	1	391
هَجَعَ	ضُلوعِي	الكامل	الوائلي	1	467
قالوا أتى	ممرعِي	—	حسن المليلي	2	350
سَمْعًا	الأصمعِي	الكامل	محمد بن أحمد العصفور	1	508

قافية الغين

مهدي قلي	قد زاغا	الكامل	–	8	56

قافية الفاء

لَاحَ الجمالُ	وصفَا	البسيط	الوائلي	1	432
الله أكبْر	وانقصَفَا	البسيط	حسين الشاخوري	1	215
افدي ربيع	كَنفَا	البسيط	حسين الشاخوري	1	242
أهوَى	جَلِفُ	البسيط	سلمان التاجر	1	303
ولا أشكُّ	والوصفُ	البسيط	سلمان التاجر	1	307
فإن تردْ	عَسَفُ	البسيط	إبراهيم الخليفة	2	553
والشكرُ	لم يعرفِ	—	—	1	143

قافية القاف

وأبرزهُ نَحوَ	الحَقَّا	الطويل	حسن الدمستاني	2	197
فما كلمتهُ	رَشْقَا	—	—	2	197
بني المصطفى	حَقًّا	الطويل	أحمد الدمستاني	2	232
وإذا استقبلتكَ	سحيقا	الخفيف	جعفر الخطي	2	287

إلامَ أخا	الوَرْقَا	الطويل	أحمد الدمستاني	3	479
لست أدري	المنطِيقَا	الخفيف	جعفر الخطي	6	511
بُغاةَ العلَا	يَرْقَى	الطويل	حسن الدمستاني	2	270
يا مُنتقِي	المنتقَى	الكامل	جعفر الخطي	1	439
تقول له	صدُوقُ	الطويل	حسن الدمستاني	4	167
وباتَ يراعي	يضيقُ	—	حسن الدمستاني	1	168
وجاء أمير	غسوقُ	—	حسن الدمستاني	2	168
نَضَى	بريقُ	—	حسن الدمستاني	4	168
أمِثْلُهُ	تتعلَّقُ	الطويل	حسن الدمستاني	3	184
فَرَقَّ	المَرقْرَقُ	—	حسن الدمستاني	5	184
وما للفتى	ومفرِقُ	الطويل	أحمد بن حسن الدمستاني	3	268
متى لاحَ	طروقُ	الطويل	حسن الدمستاني	2	424
يفيضُ	ويفيقُ	الطويل	حسن الدمستاني	1	434
شربِتُ	حَرِيقُ	الطويل	حسن الدمستاني	1	436
وتذكُّرٍ	الرَّاقي	الكامل	جعفر الخطي	2	300، 388

قافية الكاف

يبكيك	بعزاكا	الكامل	سليمان بن صالح	1	81
فما يشدَّ	الفَلَكا	البسيط	جعفر الخطي	1	330
عاثَ الحِمامُ	مَلِكا	البسيط	جعفر الخطي	3	330
قالت نزلْ	بأهلِكا	—	—	1	345
يا من مضى	وخلدَكا	البسيط	جعفر الخطي	1	387، 459
إنسيَّةٌ	وأغراكِ	البسيط	الوائلي	3	285
فِهْرُ يا	سَمَاكِ	الخفيف	سلمان التاجر	1	438
كَفَّاكِ	كفَّاكِ	الكامل	خليل بن علوي	1	439
يا ظبيةَ	مَرْعَاكِ	البسيط	الشريف الرضي	1	529

قافية اللام

مَرقَ المهرُ	العويلْ	—	حسن الدمستاني	4	227
يا حليماً	يَعْجَلْ	مجزوء الرمل	عبد الرؤوف بن ماجد	5	266
تلك المكاتبُ	وصولا	الكامل	خالد الفرج	4	119

العدْلُ	عَقْلا	الرجز	حسن الدمستاني	4	144
ذكرتُ	الهمُولا	الوافر	حسن الدمستاني	2	208
سأسكبُ	بخِيلا	الوافر	أحمد بن حسن الدمستاني	1	219
فذاقَ	سَلسَبيلا	الوافر	حسن الدمستاني	2	223
وأعارَتْ	الغزالا	الخفيف	جعفر الخطي	1	366
يا ذُكَا	كربَلا	الرمل	سلمان التاجر	6	502
لفرقةِ	وبالُ	الرجز	عبد الجليل الطباطبائي	1	69
انظر	أوالُ	الرجز	عبد الجليل الطباطبائي	2	69
على الورَى	جزْلُ	المجتث	عبد الرضا بن عبد الصمد	4	141
يا من تقدس	مِثْلُ	المجتث	عبد الرضا بن عبد الصمد	4	141
قد رَاقَ	والغَزَلُ	البسيط	أحمد بن الحاجي	1	156
إلى اللَّه	ذُحولُ	الطويل	حسين الشاخوري	2	176
وَقَعْنَ عليهِ	مُتَبَلِّلُ	الطويل	خليل بن علوي	3	184، 185
وفي الظعنِ	وقيلُوا	الطويل	محمد الشاخوري	1	194
وأيتامُكُمْ	وَصُولُ	—	—	3	194
بالرغمِ مني	معتزِلُ	البسيط	أحمد بن الحاجي	1	195
الصبرُ	قُتِلُوا	البسيط	حسين الشاخوري	1	206
ألا تَرَى	المقلُ	البسيط	حسن الدمستاني	3	206
وَحَرَّمُوا	جَلَلُ	البسيط	علي بن أحمد الكامل	1	209
ولو أنني	قليلُ	الطويل	حسين الشاخوري	1	215
لم يَشْج	منزلُ	الطويل	خليل بن علوي	4	219
إذا لم يكنْ	عقلُ	الطويل	إبراهيم الخليفة	3	256
أتخدعُك	حَمُولُ	الطويل	محمد الشاخوري	3	258
دُنياكَ	والعَمَلُ	البسيط	أحمد البلادي	2	259
أضحى الخليل	إكليلُ	البسيط	حسن الدمستاني	3	260
يا مُنْفِقَ	ثَمِلُ	البسيط	حسن الدمستاني	2	267
أما قد	دَليلُ	الطويل	محمد الشاخوري	1	268
وراءكُما	لقليلُ	الطويل	جعفر الخطي	3	322
أوالِدَهُ	وجَهُولُ	الطويل	جعفر الخطي	2	323
ولا كالتي	ومَقِيلُ	الطويل	جعفر الخطي	2	329
وعائدةٍ	نُزُولُ	—	جعفر الخطي	3	329
وإحدى	بُعُولُ	—	جعفر الخطي	3	329

هذا مولانا	يجفلُ	—	—	4	346
ويا أصبرَ	ثَقِيلُ	—	جعفر الخطي	3	329
إن الأنامَ	ارتحلُوا	البسيط	حسن الدمستاني	2	331
ومن يَجْهَلُ	ضلالُ	الوافر	حسن الدمستاني	1	331
فالموتُ	الأجلُ	البسيط	أحمد البلادي	2	331
فاجتمعتْ	وبَذَلُوا	—	—	5	338
لديهم كؤوسُ	المعَسْلُ	الطويل	خليل بن علوي	1	368
وما دُنياكَ	الانتقالُ	الوافر	حسن الدمستاني	1	369
وبالشعراءِ	تُطاوِلُ	الطويل	خليل بن علوي	1	395
فذاك	باقلُ	الطويل	خليل بن علوي	1	396
قومٌ	شغْلُ	المجتث	عبد الرضا عبد الصمد	1	440
شجاعٌ	عادلُ	الطويل	خليل بن علوي	1	451
وكيف انشقُ	الأسلُ	البسيط	حسن الدمستاني	3	468
ويا مهجتي	المجامِلُ	الطويل	خليل بن علوي	4	473
ألا تَرَى	المُقَلُ	البسيط	حسن الدمستاني	3	507
ضاهَيتُ	خَجَلِ	المتدارك	حسن الدمستاني	1	134
فلقد كرعتُ	للعَلِيلِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	3	153
وفي مُحكمِ	وإجْمَالِ	الطويل	حسن الدمستاني	3	153
ببيوتكم	والخَليلِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	2	154
فمديحُهُم	الشمولِ	مجزوء الكامل	يوسف البحراني	2	156
يا آل أحمد	للولي	الكامل	لطف الله بن محمد	2	176
هو المجدُ	التناوُلِ	الطويل	سلمان التاجر	3	178
كيف السلُوُّ	الوَالي	البسيط	حسن الدمستاني	1	207
فأوجستِ	الشَّعيلِ	الوافر	أحمد بن طعان	5	212
إلى أن فكَّ	مستطيلِ	—	—	4	212
فجذتْ	بالفلولِ	—	—	4	213
هلَّ المحرَّمُ	والمَالِ	البسيط	حسن الدمستاني	1	214
والحورُ	البتولِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	2	223
طابتْ	الأُصولِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	5	232
المصطفى	ومُهَلْلِ	الكامل	لطف الله بن محمد	3	233
حميصُونَ	ليالِ	الطويل	حسن الدمستاني	1	235
مَروِّي	خَبَالِ	الطويل	حسن الدمستاني	2	236

أنتم سَحاب	المحُولِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	2	242
مباذِيلُ	بِسُؤالِ	الطويل	حسن الدمستاني	1	243
أنتم غِياثُ	الجليلِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	1	244
جادوا	ليالي	الكامل	علي بن أحمد الكامل	1	244
يا مُفْرِغي	رَسُولِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	1	247
مشارِقُ	جلالِ	الطويل	حسين الدمستاني	1	248
العِلمُ نُورٌ	السُّبُلِ	البسيط	الوائلي	1	256
وما دُنيَاكَ	الانتقالِ	الوافر	حسن الدمستاني	1	259
للَّهِ وقفةُ	والأثلِ	البسيط	لطف الله بن علي	6	278
صَبْري	يَجْمُلِ	الطويل	عبد النبي بن مانع	7	280
فالروحُ	خَطَلِ	البسيط	ناصر بن علي بن نشرة	2	281
رَبْعٌ	بالعَطَلِ	البسيط	لطف الله بن علي	6	281
يُمَثِّلُ	وإجْلالِ	الطويل	الوائلي	3	284
مَن كلِّ	تلي	الكامل	علي بن محمد الصالحي	2	286
هي البحرينُ	والكمالِ	الوافر	سليمان الماحوزي	4	293
منالُ	المفاصِلِ	الطويل	سلمان التاجر	3	303
رَثَّتْ	الجَهْلِ	الكامل	ماجد بن هاشم	5	321
ولو كان	الرجالِ	الوافر	المتنبي	1	329
لآخذ الثأر	صَيْقَلِ	—	—	2	339
قال له	الجَبَلِ	—	—	2	345
يَحْلُو	السَّلَسلِ	الكامل	علي الصالحي	1	361
فَشَدَّ	كالسيُولِ	الوافر	أحمد بن طعان	1	361
حتى إذا	القَبُولِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	2	365
ما الصُّورُ	الذّليلِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	1	365
هو دُرّةٌ	الأهلِ	الكامل	ماجد بن هاشم	1	374
أطَنَّ	بالفضائلِ	الطويل	سلمان التاجر	1	379
لولا عُلَا	الأصْلِ	الكامل	ماجد بن هاشم	1	379
أنتم شُموسُ	الأصيلِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	1	381
ينجابُ	أَلْيَلِ	الكامل	علي الصالحي	1	381
كالريح	السُّيُولِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	1	382
على سبُوحٍ	وإقبالِ	البسيط	أحمد الدمستاني	1	383
سلامٌ	قبُولِ	الطويل	جعفر الخطي	1	389

فَلمْ يُفدهُمْ	بأقفالِ	البسيط	حسن الدمستاني	1	392
ما أنتِ	الخليلِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	1	393
سراةٌ	والقنابِلِ	الطويل	سلمان التاجر	1	435
كأنَّ ظباهُمْ	هَوَايِلِ	الطويل	سلمان التاجر	5	444
أنتم صراطُ	السبيلِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	3	446
مأوى	للضالِّ	الكامل	علي بن أحمد الكامل	1	449
خميصونَ	لَيالِ	الطويل	حسن الدمستاني	1	449
فذلك الرزءُ	بلبالِ	البسيط	حسن الدمستاني	1	452
طابتْ	الأصولِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	1	455
أنا الذي	ومنتعِلِ	البسيط	الوائلي	1	455
فكان مهبطُهُ	عَالِ	البسيط	حسن الدمستاني	1	460
أيامَ	معتزلي	البسيط	لطف الله بن علي	1	462
ألستُمُ	القُللِ	البسيط	الوائلي	2	470
يا مُخسئي	العقُولِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	2	475
فيا ربعَ	قُفُولِ	الوافر	أحمد بن طعان	1	476
باللَّهِ عجِّلْ	للرسُولِ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	3	482
وَوَراءَها	وبالرَّسُولِ	—	سلمان التاجر	3	483
تدعُو	السُّهولِ	—	—	4	483

قافية الميم

أناسٌ	بِكمْ لَمْ	الوافر	يوسف البحراني	2	91
أيُّها المهرُ	الخيامْ	—	حسن الدمستاني	4	227
لائِمي	الأوَامْ	الرمل	الوائلي	1	474
هو الوجودُ	انعدامَا	الوافر	إبراهيم بن علي البلادي	2	142
واحسرتاه	الظَّمَا	الكامل	محمد بن أحمد العصفور	1	196
فدعَتْ بنتُ	مَا	مجزوء الرمل	خليل بن علوي	5	196
طَلَعَ	السَّمَا	الرمل	الوائلي	3	283
وَبِحُسنِها	السَّما	الكامل	عبد الحسين بن محمد الكاتب	5	285
ليلةٌ	وانصِرَامَا	الرمل	عبد الرضا بن عبد الصمد	1	288
ذِكر أيَّامِ	كِلَامَا	الرمل	علي بن لطف الله	4	301
أي امرئ	والألما	البسيط	جعفر الخطي	3	322
وحَكَى النهارُ	أَنْجُمَا	الكامل	علي بن أحمد الكامل	1	366

فَتَرى الرُّؤوسَ	أسْحَمَا	الكامل	داود بن أبي شافيز	5	367
كل يُزِيرُ	نَدَما	البسيط	جعفر الخطي	1	376
فكأنما وقعُ	السَّمَا	الكامل	داود بن أبي شافيز	1	381
فتفرّقوا	الضَّيغما	الكامل	أحمد الدمستاني	1	386
ذو مبسمٍ	مُتبسمَا	الكامل	خليل بن علوي	1	389
وبَغَوا	مطعَما	الكامل	علي بن أحمد الكامل	1	432
يا حماماً	حِماما	الرمل	عبد الرضا عبد الصمد	1	438
رأوا	فمكرَّما	الكامل	محمد بن أحمد العصفور	1	441
فجوادُهُ	أُضْرَما	الكامل	داود بن أبي شافيز	1	451
أُخذَتْ	وتُشتما	الكامل	لطف الله بن محمد	1	452
وَعَلَتْ	الظَّما	الكامل	علي بن أحمد الكامل	5	453
غُربةٌ	تعامَى	الرمل	علي بن لطف الله	2	475
هَاكُم	مُسْلمُ	الكامل	سلمان التاجر	1	134
وجاء	ويلزِمُ	ـــ	حسن الدمستاني	2	145
هذا الذي	والحَرَمُ	البسيط	الفرزدق	1	151
وكأنما لهجُ	يُتَرْجِمُ	الكامل	سلمان التاجر	3	156
أُعَزيكَ	أعْظَمُ	الطويل	أحمد بن طعان	4	220
تزلزَلَ	يُحطمُ	الطويل	أحمد بن طعان	2	224، 225
فإنّ أُسَّ	هُمُ	البسيط	أحمد بن طعان	3	236
يا من هُمُ	المحْكَمُ	الكامل	سلمان التاجر	1	236
وبدا	يُدمدِمُ	الكامل	سلمان التاجر	7	239
ففازَ من	فَعَمُوا	البسيط	أحمد بن طعان	3	255
فَتُعسًا	وذِمامُ	الطويل	خليل بن علوي	2	258
هو الدهرُ	دَوَامُ	الطويل	عبد الرؤوف بن الحسين	3	258
فيا لك	أثَامُ	الطويل	خليل بن علوي	2	261
أَشِيمُ	القديمُ	الوافر	علوي بن إسماعيل	5	283
رَعَى الله	بواسِمُ	الطويل	إبراهيم الخليفة	2	288
ولمّا أن	الشؤومُ	الوافر	محمد بن عبد الله الحسيني	3	309
وكيف أطيقُ	يقومُ	ـــ	محمد بن عبد الله الحسيني	3	309
عَقدَتْ	الإسلامُ	الخفيف	سلمان التاجر	5	324
يا نظامَ	نِظامُ	ـــ	سلمان التاجر	2	324
نبأٌ ألمَّ	غمُومُ	الكامل	جعفر الخطي	2	328

أأخِي	ضُمومُ	—	جعفر الخطي	4	328
أرثي	حَمِيمُ	—	جعفر الخطي	1	328
أرِجَالَهُ	التَّعظيمُ	—	جعفر الخطي	3	328
فـ«أُحدُ»	مَعْلُومُ	—	قاسم الإصبعي	1	337
وكأنما الأعدا	حُوَّمُ	الكامل	سلمان التاجر	1	361
قومٌ	قبابُهمُ	البسيط	خليل بن علوي	3	503
وفِجاجُها	أنْجُمُ	الكامل	سلمان التاجر	1	364
ماذا عَراها	وتَبْسِمُ	الكامل	سلمان التاجر	1	367
ولا زالت	الشَّمِيمُ	الوافر	محمد بن عبد الله الحسيني	1	369
جاثٍ على	مَعْكُومُ	الكامل	جعفر الخطي	2	369
فكيف تغشاكَ	زُؤَامُ	الطويل	خليل بن علوي	1	370
لَهُ فهمٌ	كَريمُ	الوافر	محمد بن عبد الله الحسيني	1	371
مضى الليل	عائمُ	الطويل	الوائلي	2	372
قضى ابنُ	والنظمُ	الطويل	سلمان التاجر	1	374
والحقُّ	لَهمُ	البسيط	أحمد بن طعان	1	393
فَدَعاهُ	يُعَظِّمُ	الكامل	سلمان التاجر	1	394
يا بَحرَ	يَضرِمُ	الكامل	سلمان التاجر	1	459
ففاز	فعمُوا	البسيط	أحمد بن طعان	1	461
وكأنما الصهواتُ	عظموا	الكامل	سلمان التاجر	1	436
وتحيرَ	فصيمُ	مجزوء الكامل	الوائلي	1	377
فَلَيلُ	قَتَامُ	الطويل	خليل بن علوي	1	381
فمالتْ	أقدِمُوا	الطويل	مفلح الصيمري	4	481
لله ما	سَلامُ	الكامل	عبد النبي جدحفصي	1	538
نبيَّنا	كلِّ العَالَمِ	—	حسن الدمستاني	2	144، 145
فكل مديحٍ	ذوي العزمِ	الطويل	سلمان التاجر	1	155
إذا غيرُهُ	والنَّظْمِ	الطويل	الحسين بن علي البلادي	1	156
غدَاةَ	والشِّيَمِ	البسيط	عبد النبي بن مانع	2	169
ولم أَنْسَ	مَغَانِمِ	الطويل	أحمد بن طعان	4	188
وتمثّلتْ	النعيمِ	مجزوء الكامل	الوائلي	5	287
أحِبُّ بلادي	المعالِمِ	الطويل	الوائلي	2	294
ولمَّا أن	المستَهَامِ	الوافر	محمد بن عبد الحسين آل شبانة	3	296

وكان عُمرُ	الأعوامِ	ـــ	قاسم الإصبعي	2	339
قال له	العَلْقَمِ	ـــ	قاسم الإصبعي	1	344
غداةَ	مُلتطِمِ	البسيط	عبد النبي مانع	1	383
كأنه حين	العَرِمِ	البسيط	عبد النبي مانع	1	384
يعدُون	رُخُمِ	البسيط	عبد النبي بن مانع	1	387
معاهِدُ	والغنمِ	البسيط	علي الصالحي	1	389
أفناهُمُ	والسَّلَمِ	البسيط	عبد النبي بن مانع	1	390
كريمُ	الكريمِ	الوافر	خليل بن علوي	2	447
سهمٌ	رُمي	الكامل	إبراهيم آل نشرة	3	480
بديعُ	كَلِمِي	البسيط	ـــ	1	551
يا نفس	اسجمي	الكامل	إبراهيم آل نشرة	1	216

قافية النون

لي مِنْ	أُجَنْ	الكامل	إبراهيم آل نشرة	2	153
لهف نفسي	الحِصانْ	مجزوء الكامل	حسن الدمستاني	4	226
شيَّدْتَ	الذَّقَنْ	الكامل	إبراهيم آل نشرة	3	241
هو عيبةُ	بَطَنْ	الكامل	إبراهيم آل نشرة	1	274
أصبحتَ	بالرِّسَنْ	الكامل	إبراهيم آل نشرة	1	248
لو ذُقْتُ	عَنْ	الكامل	إبراهيم آل نشرة	1	277
طويلُ	السِّمانْ	المتقارب	حسن الدمستاني	2	289
يا ساكني	المِحَنْ	البسيط	ماجد بن هاشم	4	299
وافترّ	هَتَنْ	الكامل	إبراهيم آل نشرة	1	378
بأسُهَا	السَّاعدينْ	الرمل	سلمان التاجر	1	382
قل للذي	اللبنْ	الكامل	إبراهيم آل نشرة	1	396
خفيفٌ	جَبَانْ	المتقارب	حسن الدمستاني	1	451
هذي تقول	والمِحَنْ	البسيط	أحمد بن الحاجي	4	480
والعقلُ	تيقنا	ـــ	حسن الدمستاني	2	144
بلا هَوَرٍ	ولا لَحْنَا	الطويل	محمد بن أحمد العصفور	1	147
على دارِها	الإذنا	الطويل	أحمد بن طعان	2	166
بني الوحي	لُذْنا	الطويل	محمد بن أحمد العصفور	1	174
رحلتم	رهنا	الطويل	محمد بن أحمد العصفور	8	175

أُفٍّ لدهرٍ	بَانَا	البسيط	أحمد بن علي المنوي	3	179
فلو أننا	جُدنَا	الطويل	حسن الدمستاني	3	207، 208
فتبكِيهِ	سُخْنا	الطويل	أحمد بن طعان	1	226
كَفاكَ من	قَرْنا	الطويل	أحمد بن طعان	2	259
كانَ السباقُ	مَيْدَانا	البسيط	خليل بن علوي	3	263
تالله	كانَا	ـــ	خليل بن علوي	2	264
سَرَى الظّعنُ	تلاقينا	الطويل	حسين الشاخوري	5	279
يا ربُّ	جانا	البسيط	ـــ	2	347
فما الليلُ	حَنَّا	الطويل	محمد بن أحمد العصفور	1	366
أأبدانُنا	البُدنَا	الطويل	حسن الدمستاني	1	436
بَني الوَحْي	الدُّجَنَا	الطويل	محمد بن أحمد العصفور	3	436
فيا عبرتي	فاكتنَّا	الطويل	محمد بن أحمد العصفور	1	448
أيا فاطِمَ	مَخْزُونا	الطويل	حسين الشاخوري	5	477
قومٌ إذا	ووحدَانَا	البسيط	علي بن حسين البلادي	2	506
تُعوضِهمْ	تفنى	الطويل	أحمد بن طعان	1	456
أما في رسول	مضنَى	الطويل	حسن الدمستاني	1	207
قِفُوا	مُضْنَى	الطويل	محمد بن أحمد العصفور	3	278
قصرْتُ	مَغْنَى	الطويل	عبد الله بن حسين	1	277
يا خادمِ	خِسْرانُ	البسيط	يوسف البحراني	1	115
اقبِلٌ	إنسانُ	البسيط	يوسف البحراني	1	115
أليس رسول	جَنينُ	الطويل	حسن الدمستاني	2	206
قضيةُ	وحَنينُ	الطويل	حسن الدمستاني	1	207
ويا نكبةً	تهونُ	الطويل	حسن الشاخوري	2	208
أيدبحُ	ريانُ	البسيط	حسن الدمستاني	2	210
أأقتلُ	مَعِينُ	الطويل	حسن الدمستاني	4	210
ففي كل	عُيُونُ	الطويل	حسن الشاخوري	1	215
حَيْدرٌ	وحنينُ	مجزوء الرمل	حسن الدمستاني	1	220
تضعضعَ	غُصونُ	الطويل	حسن الدمستاني	1	224
واشتدَّ	والفُرسانُ	ـــ	ـــ	4	351
هواجِرُ	جفونُ	الطويل	حسن الدمستاني	1	431

هذا الذي	ومَنّ	الكامل	إبراهيم آل نشرة	1	452
الدهُرُ	بَدَنُ	البسيط	ماجد بن هاشم	1	459
ايا أُمُّ	طَعينُ	الطويل	حسين الشاخوري	4	482
لقد قلتُ	عُيونُ	الطويل	حسين الشاخوري	1	536
أخذوا	حلوانِ	الكامل	علي بن المقرب العيوني	1	37
وأمضِّ	كرزكانِ	الكامل	علي بن المقرب العيوني	1	37
أهديتكُمْ	حسانِ	البسيط	حسن الدمستاني	1	134
إعادةُ	الثاني	—	حسن الدمستاني	2	145
وأنتم يا	لا ترقبوني	الوافر	حسين بن علي الشاخوري	3	170
وزينبُ ذاتُ	غَلَيانِ	الطويل	حسن الدمستاني	5	189
وقولي إن	للحسينِ	الوافر	حسن الشاخوري	1	211
اغبرّ آفاق	العَصْرانِ	الكامل	فاطمة الزهراء	2	222
ولا كوقعةِ	الشَّانِ	البسيط	حسن الدمستاني	4	225
أبي لاحِظِ	رَواني	الطويل	زينب ابنة علي	2	225
فدأبُكَ	مَعانِ	الطويل	حسن الدمستاني	1	234
رَمَيْتُ	فَنَفَاني	الطويل	حسن الدمستاني	2	257، 258
نصحتُ	هَوانِ	الطويل	خليل بن علوي	2	263
قُلْ للفَخُورِ	كَفَّانِ	البسيط	حسن الدمستاني	5	263
أنامَ	يقظَانِ	البسيط	جعفر الخطي	2	311
قالت له	العدناني	—	قاسم الإصبعي	4	339
ونُرجِعُ	العدناني	—	قاسم الإصبعي	3	340
فنأخذُ	تَوَانِي	—	—	2	350
من كلِّ أروعَ	عُرجُونِ	البسيط	علي بن أحمد الكامل	1	362
يكرُّ فيهم	الضَّانِ	البسيط	حسن الدمستاني	1	363
أَقْرَى	يُقرينِي	البسيط	علي بن أحمد الكامل	1	373
من كُلِّ	عرجُونِ	البسيط	علي بن أحمد الكامل	1	390
فنانةٌ	سحبانِ	الكامل	الوائلي	1	396
وأرجو	يقيني	الوافر	حسين الشاخوري	1	432
فقلت أهواكِ	وتحناني	البسيط	الوائلي	1	452

خِصْبٌ	والكوْنِ	البسيط	علي بن أحمد الكامل	1	453
ولقد تسابقتِ	التبيينِ	الكامل	أحمد بن طعان	2	458
ترضى	ترعاني	البسيط	الوائلي	1	459
غطَّى	فأبكاني	البسيط	حسن الدمستاني	1	460
نصحتُ	هَوَانِ	الطويل	خليل بن علوي	1	461

قافية الهاء

فلو تَرَى	ودُرُّهْ	—	—	4	346
قالوا له	الشفاعَهْ	—	—	1	341
أيموتُ	الزاخرَهْ	الكامل	محمد بن أحمد العصفور	2	209
وَرَثَ	شبلُهْ	مجزوء الكامل	سلمان التاجر	1	241، 364
على الدهرِ	نائِلُهْ	الطويل	إبراهيم الخليفة	1	424
وضّمَّهُ	مُغْرَقَهْ	—	قاسم الإصبعي	7	340
قد صَحَّ	كالدعامهْ	—	حسين العصفور	2	145
حتى قدِمْنَا	سِترَه	الرجز	عبد الجليل الطباطبائي	3	294
بها الحيدرُ	حرائِبُهْ	الطويل	أحمد بن طعان	4	166
فمنْ للهدى	سحائِبُهْ	الطويل	عبد الله الذهبة	3	469
تولَّعَ	صوائبُهُ	الطويل	أحمد بن طعان	4	260
أَخوُ هِمَّةِ	ضرائِبِهْ	الطويل	عبد الله الذهبة	1	247
لا تَغُرّنكَ	نظيفَه	الرمل	عبد الله بن علي الماحوزي	2	262
شمسُ	وسنَاها	الخفيف	طه العرادي	2	427
حتى إذا	أشداقَهَا	الكامل	طه العرادي	2	240
من للعُلُومِ	سَبَّاقَهَا	الكامل	طه العرادي	3	249
بِمُهنّدٍ	إبراقَها	الكامل	طه العرادي	1	381
بعثتْ	أنماقَها	الكامل	طه العرادي	1	433
من ترقبُ	فلاقَها	الكامل	طه العرادي	1	435
مَنْ كالِئٌ	فساقَها	الكامل	طه العرادي	1	450
يا مَنْ	ثُناياها	البسيط	الوائلي	2	475
إني أخاف	وَبَالَها	الكامل	حسن الدمستاني	2	261
لمن الشمس	ضياها	الخفيف	محمد كاظم الأزري	1	504

فَقِني	بَلاها	الخفيف	طه العرادي	2	555
لَهُنَّ ندبٌ	أعاليَها	البسيط	طه العرادي	1	384
والوحشُ	ضواريها	البسيط	حسين الشاخوري	1	386
يا ساكن	مَوَاضِيْها	ـــ	محمد بن أحمد العصفور	5	187
نفسي لآلِ	كرباتِها	الكامل	يوسف البحراني	2	210
يا للرِجَال	جذواتِها	الكامل	يوسف البحراني	2	445
إني إذا	مَمَاتِها	الكامل	يوسف البحراني	2	213
زَهَتِ	أنَهارَها	الكامل	خليل بن علوي	2	373
وتارِكُ	فطرتِهِ	ـــ	ـــ	1	143
ضاقَ	حَيَاتِها	الكامل	علي بن إبراهيم آل شبانة	4	256
يا أمةً	دواهِيها	البسيط	حسين الشاخوري	2	475
بكوا لَها	تُعزِّيَها	البسيط	محمد بن أحمد العصفور	2	187
لله رَبةُ	تُرَبِّيَها	البسيط	طه العرادي	2	191
ما لي أرى	ناعِيها	ـــ	ـــ	2	191
يبلُّ	مثاويَها	البسيط	حسين الشاخوري	1	225
والوحشُ	ضوارِيَها	البسيط	حسين الشاخوري	1	226
فلو أن	شِمامُها	الطويل	طه العرادي	1	384
فلأبكينكْ	بيضائِهَا	ـــــ	ماجد بن هاشم	3	327
يا دافنيهِ	وفائِهَا	ـــــ	ماجد بن هاشم	1	/327
هَوَى	عبيرُها	الطويل	الوائلي	1	424
من كلِّ أروع	إرهاقِها	الكامل	طه العرادي	5	238
أحداثُها	أمعَائِهَا	الكامل	ماجد بن هاشم	2	331
أما العُيُونُ	وكائِهَا	الكامل	ماجد بن هاشم	1	326
هيهاتَ	ظبائِهَا	الكامل	ماجد بن هاشم	2	330
كيف انتجعتَ	وشتائِهَا	ـــــ	ماجد بن هاشم	2	326
بأخٍ صفتْ	إخائِهَا	الكامل	ماجد بن هاشم	1	454
مالي وللأيامِ	أعدائِها	الكامل	ماجد بن هاشم	4	257
عِصَبِي	لِوَرَائِها	ـــــ	ماجد بن هاشم	2	326
وبقيتُ	أصنائِها	الكامل	جعفر الخطي	1	391
لا تستقلُّ	أنوائِهَا	الكامل	ماجد بن هاشم	1	438
فإذا غليلُ	ظمائِهَا	الكامل	جعفر الخطي	1	455

هذي الطفوفُ	رحابِها	الكامل	حسن الدمستاني	3	154
فامشِ	أعتابِها	الكامل	حسن الدمستاني	2	155
يا حُجة	نكابدُها	البسيط	محمد بن يوسف البلادي	2	177
قالوا مدحنَّ	لمعناهُ	البسيط	أحمد بن طعان	2	157
فإن أصِفُهُ	أشباهُ	—	—	2	157
هذي فرسي	مستوردُهُ	خبب	سلمان التاجر	1	462
معرِفَةْ	قاطِبُهُ	الرجز	حسين بن محمد العصفور	1	143
قضية	فاحسبهُ	الرجز	يوسف البحراني	1	58
كأنَّ مَثَارَ	كواكِبُهُ	الطويل	بشار بن برد	1	366
ومن رَاسِخِ	حاجِبُه	الطويل	عبد الله الذهبة	1	246
سقَتِ الغوادي	كثبانِهِ	الكامل	الوائلي	2	300
يا أيُّها	زَمَانِهِ	الكامل	الوائلي	3	314
فاحمرَّتِ	آذانِهِ	—	قاسم الإصبعي	3	344
فاقتلع	بَنَانِهِ	—	—	1	348
والعشقُ	مراسِيهِ	البسيط	أحمد الدمستاني	1	383
هو الجحيمُ	يُطفيهِ	البسيط	أحمد الدمستاني	1	393
يا شافعي	عَاصِيهِ	البسيط	حسن الدمستاني	1	237

قافية الياء

لو تراه	العَليَّا	الخفيف	سلمان التاجر	2	235
هذه الشمسُ	ذَهَبِيا	الرمل	الوائلي	2	366
لهفَ نفسي	المذاكي	الخفيف	سلمان التاجر	1	171
ما كان	سَلِي	الكامل	علي الصالحي	4	284
سحابُ	إمامي	الطويل	حسين الشاخوري	2	215
فيومٌ أرى	وآمالي	الطويل	الوائلي	1	302
إنّ يداً	ببقائي	الطويل	عبد الله محمد بن إبراهيم	3	309
توارت	دَهْرِي	الوافر	أحمد بن الحاجي	3	217
لَهُ خدٌّ	شقيقي	الهزج	خليل بن علوي	16	414
قِف بـ«المصلّى»	ودلالي	الكامل	خلف بن عبد علي العصفور	1	298

قدمت البحرين في الفترة المدروسة من القرن السابع عشر إلى الثلث الأول من القرن العشرين عطاءً أدبيًا مميزًا ظل مجهولًا وتمثل في جانبين: شعر العقيدة بما فيه من شعر في آل البيت والتفجع على محنهم والممازجة بين أحداث التاريخ المؤلمة والواقع المعاش، ثم الأغراض الشعرية التقليدية بما فيها من غزل ومديح ورثاء وحكمة وما أنتجه الشعراء من شعر قصصي اتسم بالجدة.

ويتضمن الكتاب دراسة فنية للأشكال الأدبية من صور وموسيقى وما أُبدِع من فن أدبي أطلق عليه فن البند، وهو شعر شبه جديد شكّل قاعدة للشعر الحديث بما فيه من شعر التفعيلة والشعر الحر.

ISBN 978 - 9953 - 0 - 3734 - 9

9 789953 037349 >

مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION